والنص القرآن جاء بقوله الحق: « لا يؤمنون » وجاء العلماء عند هذه المسألة واختلفوا ، وجزى الله الجميع خيرا ؛ لأنها أفهام تتصارع لتخدم الإيمان . ونسأل : ما الذي يجعل الأسلوب يجيء بهذا الشكل ؟ ونقول : إنها مقصودات الإله حتى نعيش في القرآن . لا أن نمر عليه المرور السريع . والأسلوب في قوله : « وما يشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون » هو دليل على أنه ليس لكم علم . وقلنا : إن الشعور يحتاج إلى إدراك ومواجيد ونزوع ، فعلى أى أساس بنيتم شعوركم هذا ؟ أنتم أخذتم ظاهر كلامهم ، ولكن الحق يعلم ويحيط بما يخفون ويبطنون . وكأنه سبحانه يوضح أن طلب الآية إنما هو تمحيك ، وأنتم لا تعلمون أن الله إن جاء لهم بالآية فلن يؤمنوا .

وبعض من المفسرين قال: إن (لا) زائدة ومنهم من كان أكثر تأدبا فقال: (لا) صلة لأنهم خافوا أن يقولوا: (لا) زائدة وقد يأخذ البعض بمثل هذا القول فيحذفها ، لذلك أحسنوا الأدب و لأن الذي يتكلم هو الإله وليس في كلامه حرف زائد بحيث لوحذفته يصح الكلام ، لا . إنك إذا حذفت شيئا فالكلام يفسد ولا يؤدي المراد منه و لأن لله مرادات في كلامه ، وهذه المرادات لابد أن يحققها أسلوبه . والمثال في حياتنا أن يقول لك واحد : وما عندي مال ، أو ما عندي من مال ؟ إن ومن مال ، قو ما عندي من بداية ما يقال : إنه مال ، أما من يقول : وما عندي مال الذي له خطر وقيمة ، بل يقول : وما عندي مال الذي له خطر وقيمة ، بل عنده قروش مما لا يقال له : مال . إن في جيبه القليل من القروش .

و و لا ي في هذه الآية جاءت لأن الحق يريد أن يقول للمؤمنين: ما يعلمكم يا مؤمنون أنني إذا جثت لهم بالآية يؤمنون ، فكأنه سبحانه ينكر على المؤمنين تأييد مطلب الكافرين . وقد تلطف الحق مع المؤمنين وكرم حسن ظنهم في التأييد لأنهم لا يؤيدون الطلب حبا في الكفار ، بل حبا في النبي والمنهج ، وكأن الحق يقول لهم : أنا أعذركم لأنكم تأخذون بظاهر جهد اليمين ووأقسموا بالله جهد أيمانهم ، ومبالغتهم فيه . ولا أنكر عليكم تصديقكم لظاهر قولهم ؛ لأن هذا هو مدى علمكم ، وما أدراكم أنني إذا جثت بالآية أنهم أيضا لن يعلنوا الإيمان . ولوكنتم تعلمون ما أعلم لعرفتم أنهم لن يؤمنوا . إذن حين جاء الأسلوب بو لا يؤمنون ، فولا علمه الواسع حقيقية وليست زائدة . ومن أجل أن يطمئن الحق المؤمنين أظهر لهم أن علمه الواسع يعلم حقيقة أمرهم يقول :

00+00+00+00+CTAVIO

﴿ وَنُقَلِّبُ أَفِيدَ تَهُمُ وَأَبْصَدَرَهُمُ كَمَالَة يُوَمِنُواْ بِهِ = أَوَّلَ مَنَ وَوَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَنِهِمْ يَعْمَهُونَ ۞ ﴿ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ ا

وحين تقول: أنا أقلب السلعة فهذا يعنى أنك تفحصها. والحق يبلغنا هنا: أنا قلبت قلويهم على كل لون ولن آخذ بظاهر الفؤاد، بل بلطفى وعظيم خبرتى أعلم الباطن منهم فاطمئنوا إلى أن حكمى هو الحكم الحق الناتج من تقليب لطيف خبير.

وقد يكون هنا معنى آخر ، أى أن يكون التقليب لونا من التغيير ؛ فمن الجائز المهم حينها أقسموا بالله جهد أيمانهم كانوا في هذا الوقت قد اقتربوا من الإيمان ولكن قلويهم لا تثبت على عقيدة . بل تتقلب دائها . ومادامت قلوبهم لا تثبت فأنى لنا بتصديقهم لحظة أن أقسموا بالله جهد أيمانهم على إعلان الإيمان إن جاءت اية ؟ وهل فيهم من يملك نفسه بعد مجىء الآية أيظل أمره كذلك أم يتغير ؟ . لأن ربنا مقلب القلوب وما كنت تستحسنه أولا قد لا تستحسنه ثانيا . حين و نقلب أفئدتهم وأبصارهم يه أى أن الحكم قد جاء عن خبرة وإحاطة علم (ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كها لم يؤمنوا به أول مرة) .

إن الإيمان يحتاج إلى استقبال آيات كونية بالبصر ، وبعد أن تستقبل الآيات الدالة على عظمة الإله تؤمن به ويستقر الإيمان في فؤادك . وسبحانه يوضح لنا أنه يقلب أفئدتهم وأبصارهم ، هل يبصرون باعتبار واقتناع ؟ أو هي رؤية سطحية لا فهم لهم فيها ولا قدرة منهم على الاستنباط ؟ وهل أفئدتهم قد استقرت على الإيمان أو أن أبصارهم قاصرة وقلوبهم قاصرة ؟

﴿ وَنُقَلِّبُ أَفْعِدَتُهُمْ وَأَبْصَنْرُهُمْ كَمَا لَرْ يُوْمِنُواْ بِهِ ۚ أُولَ مَرْةً وَتَذَرُهُمْ فِي طُغْيَتِهِم يَعْمَهُونَ ١٤٥٥﴾ يَعْمَهُونَ ١٤٥٥)

إذن فهم لا يؤمنون ويسيرون إلى ضلالهم . فإن جاءت آية فلن يؤمنوا ، وفي هذا عذر للمؤمنين في أنهم يرجون ويأملون أن تنزل آية تجعل من أقسموا جهد الإيمان أن يؤمنوا .

OTANTOO+00+00+00+00+0

لاذا؟ لأن الحق قال: «كما لم يؤمنوا به أول مرة»، أى أنهم لم يتغيروا ولذلك يصدر ضدهم الحكم «ونذرهم في طغيانهم يعمهون» والطغيان هو تجاوز الحد، وهم قد تجاوزوا الحد هنا في استقبال الآيات، فقد جاءتهم آيات القرآن وعجزوا عن أن يأتوا بمثلها، وعجزوا عن أن يأتوا بعشر سور، وعجزوا عن أن يأتوا بسورة، وكان يجب الا يطغوا، والا يتجاوزوا الحد في طلب الاقتناع بصدق الرسول.

وونذرهم في طغيانهم يعمهون، و«العمه» هو التردد والحيرة، وهم في طغيانهم يترددون ، لأن فيهم فطرة تستيقظ، وكفرا يلح؛ يقولون لأنفسهم : أنؤمن أو لا نؤمن؟ والفطرة التي تستيقظ فيهم تلمع كومضات البرق، وكان يجب ألا يترددوا: أو «ونقلب أفئدتهم وأبصارهم» في النار؛ لأن البصر لم يؤد مهمته في الاعتبار، والقلب لم يؤد مهمته في الفقه عن الله، فيجازيهم الله من جنس ما عملوا بأن يقلب أبصارهم وقلوبهم في النار،

ويقول الحق بعد ذلك :

﴿ وَلَوْ أَنَّنَا زَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَيْكَةَ وَكُلَّمَهُمُ الْمُوْنَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمُ كُلَّ شَيْءٍ قَبُلًا مَّاكَانُوا لِيُوْمِنُوا إِلَّا أَن وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمُ كُلَّ شَيْءٍ قَبُلًا مَّاكَانُوا لِيُوْمِنُوا إِلَّا أَن وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمُ كُلُّ مَا كَانُوا لِيُوْمِنُوا إِلَّا أَن وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمُ كُلُونَ اللهُ وَلَكِنَ أَحْفَرُهُمْ يَجْهَلُونَ اللهُ وَلَكِنَ أَحْفَرُهُمْ يَعْهَلُونَ اللهُ اللهُ وَلَكِنَ الْحَالَا اللهُ وَلَكِنَ الْحَالَا اللهُ وَلَكِنَ الْحَالَا اللهُ وَلَكِنَ اللهُ وَلَكِنَ اللهُ اللهُ اللهُ وَلَكِنَ الْحَالَا اللهُ وَلَكِنَ الْحَالَا اللهُ وَلَكِنَ الْحَالَا اللهُ وَلَكِنَ الْحَالَا اللهُ وَلَكِنَ اللهُ وَلَكِنَ اللَّهُ وَلَا اللّهُ وَلَكِنَ الْحَالَا اللّهُ وَلَكِنَ الْحَالَا اللّهُ وَلَكِنَ اللّهُ وَلَكِنَ اللّهُ وَلَكِنَ اللّهُ وَلَكُونَ اللّهُ وَلَكُونَا اللّهُ وَلَا اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ وَلَكِنَ اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللللّهُ

هنا يوسع الحق المسألة. فلم يقل: إنهم سوف يؤمنون، بل قال: «ولو أننا نزلنا اليهم الملائكة» مثلما اقترحوا، أو حتى لو كلمهم الموتى، كما قالوا من قبل:

﴿ فَأَتُوا بِآبَائِنَا إِن كُنتُمْ صَلْدَقِينَ ٢٠٠٠ ﴾

ويأتى القول: «وحشرنا عليهم كل شيء» و«الحشر» يدل على سوق بضغط مثلما نضع بعضا من الكتب في صندوق من الورق المقوى ونضطر إلى أن نحشر كتابا لا مكان له، إذن: الحشر هو سوق فيه ضغط، وهنا يوضح الحق: لو أننى

00+00+00+00+00+0+0+0

أحضرت لهم الآيات يزاحم بعضها بعضا وقدرتي صالحة أن أتى بالآيات التي طلبوها جميعا لوجدت قلوبهم مع هذا الحشر والحشد تضن بالإيمان.

"وحشرنا عليهم كل شيء قبلا" و "قبلا" هي جمع "قبيل"، مثل سرير وسرر.

"وحشرنا عليهم كل شىء قبلا"، وهذا يعنى أن الحق إن جاء لهم بكل ما طلبوا من آيات، وكأن كل آية تمثل قبيلة والآية الأخرى تمثل قبيلة ثانية، وهكذا. فلن يؤمنوا، أو "قبلا" تعنى معاينة أى أنهم يرونها بأعينهم، لأن فى كل شىء دبرا وقبلا؟ والقبل هو الذى أمام عينيك، والدبر هو من خلفك. فإن حشرنا عليهم كل شىء مقابلا. ومعاينا لهم فلن يؤمنوا. وإن أخذتها على المعنى الأول أى أنه سبحانه إن حشد الآيات حشدا وصار المعطى أكثر من المطلوب فلن يؤمنوا. وإن أردت أن تجعلها مواجهة، أى أنهم لو رأوا بعيونهم مواجهة من أمامهم فلن يؤمنوا.

﴿ وَلُو أَنْنَا نَزُلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلْئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلُّ شَيْء قُبُلاً مًا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ . . (١١١٠ ﴾

وجاء الحق هنا بمشيئته لأن له طلاقة القدرة التي إن رغب أن يرغمهم على الإيمان فلن يستطيعوا رد ذلك، ولكن الإرغام على الإيمان لا يعطى الاختيار في التكليف ولذلك قال سبحانه :

﴿ لَعَلَّكَ بَسْخِعٌ نَفْسَكَ أَلاَ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ۞ إِن نَشَأَ نُنَزِلُ عَلَيْهِم مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلْتُ أَعْسَـٰ قُهُمْ لَهَا خَسْضِعِينَ ۞ ﴾

والله لا يريد أعناق تخضع، وإنما يريد قلوبا تخشع. لذلك يذيل الحق الآية بقوله: « ولكن أكثرهم يجهلون». والجهل يختلف عن عدم العلم ، بل الجهل هو علم المخالف، أى أن هناك قضية والجاهل يعلم ما يخالفها، أما إن كان لا يعلم القضية فهذه أمية ويكفى أن نقولها حتى يفهمها فورا. لكن مع الجاهل هناك مسألتان: الأولى أن نزيل من ادراكه هذا الجهل الكاذب، والأخرى أن نضع فى

إدراكه القضية الصحيحة ، وما دام أكثرهم يجهلون . فهذا يعنى أنهم قد اتبعوا الضلال .

ويقول الحق بعد ذلك:

﴿ وَكَذَالِكَ جَعَلْنَ الِحِلِ نَبِي عَدُواً شَيَاطِينَ الإنس وَٱلْجِنِ يُوجِى بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضِ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْشَاءً رَبُّكَ مَافَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ شَيْ ﴿ فَا لَا مَافَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ شَيْ ﴿ فَا لَا مَافَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا

و كذلك ، إشارة من الحق سبحانه وتعالى إلى الرسل والأنبياء ليعطى الأسوة للرسول بإخوانه السابقين له في موكب الرسالات ، فلست بدعا ـ يا محمد ـ في أنك رسول يُواجّه بأعداء ، فكل رسول من الرسل ووجه وقوبل بهؤلاء الأعداء .

وهل فت أعداء الرسل في عضد من أرسل إليهم وأضعفوا قوتهم وأوهنوا عزائمهم وأثنوهم عن دعوتهم ؟ أو ظل الرسل أيضا صامدين ؟ . . إنهم صحدوا وأيدهم الله ونصرهم وإذا كنت أنت خاتم الرسل ، وسيد المرسلين ، والمعقب على رسالات سبقتك ولا معقب على رسالتك فلابد أن يكون الأعداء الذين يواجهونك مناسبين للمهمة التي تؤديها . وإياك أن تظن أن المقصد في هذه العداوة أننا تركناهم أعداء لمجرد العداء ، لا ، بل نحن قد أردنا هذه العداوة لصالح الدعوة ؟ لأن الإنسان إذا ما كان في منهج خير وأهاجه الشر يتحمس لمزيد من الخير . ولذلك لا تجد الصحوات الإيمانية إلا حين يجد المؤمنون تحدياً من خصومهم ، هنا تجد الصحوة الإيمانية قد استيقظت لأن هناك خصوما يتحدونها ، ولو لم يكن هناك خصوم لبقيت الصحوة فاترة . وهذا ما نراه حين يوجد من خصوم الإسلام من أي لون من ألوانهم من يتحدى أي قضية من قضايا الدين . في هذه الحالة نجد حتى غير الملتزم بمنهج الإسلام يغار على الدين .

إذن فالعداوة لها فائدة ، وإياك أن تظن أن في أى مظهر في الوجود يُغلب الله على مراداته في كونه ، والشر له رسالة لأنه لولا أن الشر موجود ويصاب الناس من أذاه لما تحمس الناس للخير ، فالذي يجعلنا نتحمس للخير هو وجود الشر ، وأوضحنا من قبل أن الباطل جندى من جنود الحق ؛ لأن الباطل حين يعض ويعربد في الناس يتساءل الناس متى يأتي الحق لينقذنا ، وأنك ساعة ترى مريضا يتألم إياك أن تظن أن يتساءل الناس متى يأتي الحق لينقذنا ، وأنك ساعة ترى مريضا يتألم إياك أن تظن أن الألم قد جاءه دون صبب ، بل الألم جندى من جند الشفاء . وكأن الألم يقول لمن يصيبه : يا إنسان تنبه أن عطبا في هذا المكان فسارع إلى علاجه . ولذلك نجد أعنف الأمراض وأشرسها وأخبثها ، هي الأمراض التي تأتي بلا ألم يسبقها ، ولا تظهر أعراضها إلا بعد أن يستعصى شفاؤها ، وهكذا نرى أن الألم جندى من جنود العافية .

وحين يكون لك عدو في الحارة أو في البلدة وعيونه مركزة عليك فأنت تخاف أن تقع منك هَنة وعيب حتى لا يشنّع عليك ؛ لذلك تسير على الصراط المستقيم لأنك لا تريد أن تنصره على نفسك .

والشاعر القديم، الذي أعجبه الشعر فشطره. يقول لك:

عداى لهم فضل على ومنة فعندى لهم شكر على نفعهم ليا فهم كدواء والشفاء بحره فلا أبعد الرحن عنى الأعاديا هم بحثوا عن زلّتى فاجتنبتها فأصبحت بمّا دنس العرض خاليا وهم أججوا جهدى ولكن ببغضهم وهم نافسونى فاكتسبت المعاليا

لذلك لابد أن تنظر إلى كل شيء بحكمة إيجاد الحكيم له فقد شاء الحق أن يوجد الأعداء للدعوة الإسلامية حتى تنتصر وتقوى .

﴿ وَكَذَالِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِي عَدُوا شَيْطِينَ ٱلْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضِ فَوَ لَكُ بَعْضِ وَكَذَالِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِي عَدُوا شَاءَ رَبُكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتُرُونَ ۞ ﴾ وَتُعَلِّقُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتُرُونَ ۞ ﴾

(سورة الأنعام)

وجعل الحق سبحانه وتعالى الأعداء للأنبياء ، مهيَّجين ومثيرين للنبى ولأتباعه ، لأن الأمر إذا حصلت فيه معارضة من مخالف أججت في نفس المقابل قوة حتى لا يهزم

OTAVYOO+00+00+00+00+0

أمامه ولا يغلب أمام منطقه ، ولذلك قبال الحق : «وكذلك جعلنا» أى أنهم لم يتطوعوا بالعداوة إنما هو تسخير للعداوة «جعلنا لكل نبي عدوا» .

وكيف يجعل الله لكل نبى عدوا؟ إنه يفعل ذلك بما أودع في الناس من الاختيار، وما داموا مختارين فالذي اختار الهدى يكون نصيراً للنبى، والذي اختار الضلال يكون عدوا للنبى.

إذن فهم لم يكونوا أعداء بطبيعتهم، وإنما بما أودع الله فيهم من الاختيار.

وإذا كان الله هو الذي أودع الاختيار فقد أراد أن يحقق مشيئته في قوله :

﴿ لَيْهِ لَكُ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةً وَيَحْنَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيْنَةً . . () ﴾ [سورة الأنفال]

ولو شاء الله الا يكون للنبوة أعداء لفعل ذلك؛ لأن له طلاقة القدرة، ولكن ذلك سيكون بالقهر، والله لا يريد قهراً للعقلاء، وإنما يريد أن يذهبوا إليه بمحض اختيارهم؛ أى وهم قادرون على الا يذهبوا، وكلمة اعدوا في ظاهرها أنها مفرد، ولكنها تطلق على الواحد، وتطلق على الاثنين، وتطلق على الجماعة، فتقول: هذا عدولى ؛ و هذه عدولى »؛ ولا تقل اعدوة»، وتقول: وهذان عدولى، وهاتان عدولى، وهؤلاء عدولى، لأن كلمة اعدوا تطلق على الذكر والأنثى وتقال للمفرد وللمثنى، وللجمع.

اقرأوا قول الحق:

[سورة الشعراء]

﴿ فَإِنَّهُمْ عَدُورٌ لِي إِلاَّ رَبُّ الْمَسْلَمِينَ ٧٧٠ ﴾

واقرأوا قول الحق:

﴿ قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيمًا بَعْضَكُمْ لِبَعْضِ عَدُو ۗ . . (١٣٣٠ ﴾ [سورة طه]

ولم يقل أعداء، إذن فكلمة اعدر، تطلق على المفرد والمفردة، والمثنى والمثناة،

00+00+00+00+00+0

وعلى جمع المذكر ولجمع المؤنث . لكن بعض الذين يحبون أن يكونوا مستدركين على كلام الله . يقول الواحد منهم : كيف يقول : « فإنهم عدو لى » ، أو « اهبطوا بعضكم لبعض عدو » ؟! ويقول سبحانه وتعالى :

﴿ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُو مُبِين . . (١٦) ﴾

والشيطان عدو ، وهم عدو . وبعد ذلك يقول الحق سبحانه وتعالى :

﴿ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا . . [الله عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُم أَعْدَاءً فَأَلَفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا . . (الله عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُم أَعْدَاءً فَأَلَفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا . . (الله عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُم أَعْدَاءً فَأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِذْ كُنتُم أَعْدَاءً فَأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِنْ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُم أَعْدَاءً فَأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِنْ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُم أَعْدَاءً فَأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِنْ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِنْ اللَّهُ عَلَيْكُمْ إِنْ اللَّهُ عَلَيْكُمْ إِنْ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِنْ اللَّهُ عَلَيْكُمْ إِنْ اللَّهُ عَلَيْكُمْ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِنْ اللَّهُ عَلَيْكُمْ إِنْ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِنْ اللَّهُ عَلَيْكُونَا اللَّهُ عَلَيْكُمْ اللَّهُ عَلَيْكُمْ أَمْ اللَّهُ عَلَيْكُوانَا عَلَيْكُمْ اللَّهُ عَلَيْكُمْ اللَّهُ عَلَيْكُمْ اللَّهُ عَلَيْكُمْ اللَّهُ عَلَيْكُمْ أَنْ عَلَيْكُوانَا اللَّهُ عَلَيْكُواللَّهُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ اللَّهُ عَلَيْكُمْ اللّهُ اللّهِ عَلَيْكُمْ اللّهُ اللّهُ عَلَيْكُمْ اللّهُ اللّهِ عَلَيْكُمْ اللّهِ عَلَيْكُوالِكُمْ اللّهُ اللّهِ عَلَيْكُواللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلَيْكُمْ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهِ اللّهُ اللللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الل

ونقول له: أنت قد فاتك أن الذي يتكلم هو الرب الأعلى . والعداوة نوعان ، فإذا تعدد العدو ، وجمعته مصلحة واحدة في معاداة المعادي يكونون وحدة في العداوة فهم عدو واحد لاجتماعهم على سبب واحد في العداوة . لكن إذا تعددت أسباب العداوة فالأمر يختلف ، فقد يكون لك عدو لأن مظهرك أحسن منه ، وعدو آخر لأنك أذكى منه ، وعدو ثالث لأنك أغنى منه . فلتعدد الأسباب صار كل واحد منهم عدواً برأسه وجمع على أعداء لتعدد سبب العداوة .

﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِي عَدُوا شَيَسْطِينَ الإنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضِ الإنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضِ اللهِ مَا اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ ا

وشياطين الإنس والجن كما يقول النجاة بدل من عدو و « شياطين» جمع شيطان وهو اللعين المطرود ، البغيض ، سواء أكان من الإنس أم من الجن .

* يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً * والوحى - كما نعرف - هو إعلام بخفاء ، ولماذا يوحى بعضهم إلى بعض ؟ لأن غلبة الحق لا تجعلهم قادرين على أن يتجاهروا ؛ لذلك يتأمرون مع بعضهم البعض ، لكن الناس المحقين في قضية يتحركون في علانية ، ولا يستخفون من الناس .

OYAV100+00+00+00+00+0

« يوحى بعضهم إلى بعض » ومن الذي يوحى ؟ ومن الذي يوحى إليه ؟ ليس لنا دخل بهذا الموضوع ، إنما الوحى : هو إعلام بخفاء ، إن كان إلهاماً في النفس، أو إن كان بالإشارة أو بالدس، أو إن كان بالوسوسة ، أو إن كان بواسطة رسول نحن لا نراه ، كل ذلك أساليب الوحى الشامل للخير والشر .

وإذا كان الوحى من شياطين الجن فهل يوحون إلا بشر " نعم . وكذلك هناك شياطين من الإنس يوحون أيضاً بشر". مصداقاً لقوله الحق: « يوجى بعضهم إلى بعض زخرف القول» وزخرف القول ، المقصود به أنهم يدخلون على المسائل بالتزيين ، فيزينون للناس الشهوة ، ولذلك سماها ربنا « وسوسة» ، ونعلم أن المعانى حين يؤخذ لها ألفاظ تؤخذ من الأشياء الحسية ، والوسوسة هي صوت الحلي ، وقد اختار الله لما يفعله الشياطين من الإنس والجن للفظ الموحى بالمعنى المراد لأن وسوسة الحلى تغرى بالنفاسة وعظم القيمة ، والوسوسة طريقها هو الخفاء .

« يوحى بعضهم إلى بعض » وهم شياطين من الإنس والجن، إنس يوحى لإنس بأن يزين له المصية والشهوة ، وكثيراً ما يقع ذلك .

وجنَّى يوحى لجنَّى ؛ لأن الجن مكلَّف أيضاً . وكذلك يوحى الجن للإنس .

« يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول ، الزخرف . هو الشيء لمزين ظاهره لكن باطنه فاسد ، ولذلك قال عز وجل :

﴿ وَزُخْرُفًا وَإِن كُلُّ ذَلِكَ لَمًّا مَتَسْعُ الْحَيْرَةِ الدُّنْيَا . . (٣٠ ﴿ السررة الزخرف]

أى أموراً مزخرفة ظاهراً ، لكن ليس لها عمق أو عمر أو نفاسة .

﴿ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضِ زُخُرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا . . (١١٦) ﴾ [سورة الأنعام]

وذلك ليغروهم ويخدعوهم ليفعلوا ويقترفوا المعصية، وإن لم يأتوا للمعصية بكلمات تزخرفها وتزينها فلن يستطيعوا أن يدخلوا بها على الناس؛ لذلك يعرضون ويبدون محاسن المعصية في ظاهر الأمر، مثال ذلك أنك لا تجد من يقول لآخر:

اشرب الخمر لتصاب بتليف الكبد مثلا !! ولكن هناك من يقول : احتس الخمر ليذهب همك وتنشط نفسك ويكثر فرحك .

« زخوف القول غروراً » أي ليغروهم ؛ بإظهار فائدة موهومة فيه ، ويسترون عن الناس مضرة هذا الشيء ومهالكه .

ويتابع سبحانه : " ولو شاه ربك ما فعلوه " إنّ الحق سبحانه وتعالى هو الذى أعطى خلقه اختياراً في أن يكونوا مؤمنين أو أن يكونوا كافرين ، مهديين أو ضالين ، في نور أو في ظلمة . ويأتي الوقت الذى يثيب فيه سبحانه أو يعاقب ؛ لذلك فهو جل شأنه - لا يرغمهم على فعل ثم يعاقبهم عليه ؛ لأنه هو العدل . ولذلك نجد من يقول : لماذا العقاب ولا شيء في الكون يقع على غير مشيئة الله ؟ ونقول : نعم كل شيء من فعل الله ؛ لأن سبب الاختيار من الله . وسبحانه هو الذى خلق الاختيار . فالكافر لا يقدر أن يؤمن إلا إن شاء الله ، لكن المطلوب منه أن يؤمن لأن طبيعته صالحة للكفر وصالحة للإيمان .

إذن خلق الله الإنسان مختاراً في أن يفعل أو لا يفعل في بعض الأمور ، فالذى ينظر إلى أن كل فعل من الله أى ليس بطاقة من عبد ، نقول له : صح رأيك . ومن يقول : إن هذا الأمر من العباد نقول له أيضاً : صح موقفك ؛ لأن ربنا خلق الإنسان صالحاً لأن يحصل منه كذا ويحصل منه كذا . فإن أردت الحقيقة تجد كل فعل يأتي من الله ، فأنت - على سبيل المثال - لم تخلق القوة التي لليد لترتفع ، ولا خلقت القوة للأصابع لتنقبض . وإذا أردت أن تقبض يدك . فما هي العضلات التي تتحرك لتفعل الانقباض ؟ أنت لا تعرف . إنك تقبض يدك بمجرد إرادة منك أن تقبضها ، والذى خلق لك هذه القوة يأمرك ألا تستعملها في قهر الآخرين ، ولكن عليك أن تستعملها في قهر الآخرين ، ولكن عليك أن تستعملها فيما يفيد الناس . واليد صالحة للضرب وللعمل الطيب وأنت لم تخلق الطاقة التي في اليد ، ولا خلقت الانفعال فيها لإرادتك .

« ولو شاء ربك ما فعلوه » أى لو شاء عدم فعله لفعل ؛ لأن له طلاقة القدرة فلا يقدر أحد أن يخرج عن مراده أبداً . ونحن نرى السماء والأرض وكل ما دون الإنسان مسخراً ، ثم لماذا نأخذ أمثلة من السماء والأرض والنبات والجماد والحيوان؟ خذ المثال من نفسك . أنت فيك أشياء ليس لك سيطرة عليها، ولا اختيار لك عليها ، ألك اختيار أن تمرض ؟ . لا .

ألك اختيار أن يقع عليك حجر وأنت تمشي؟ . لا.

ألك اختيار في أن يصيبك سائق سكران؟ لا .

ألك اختيار في أن تموت أو لا تموت؟ . لا . لقد جعل الله فيك الأمرين الأثنين :

قهرك في أمور ، والقهرية تثبت له ـ سبحانه ـ القدرة وطلاقتها ، وجعلك مختارا في أشياء ، والاختيار بثبت صحة التكليف .

ويتابع الحق مذيلاً الآية : «فذرهم ومايفترون» لأن افتراءهم وكذبهم وزعمهم الباطل لن يغير من حقيقة الأمر شيئاً، وهم يرون أن افتراءهم يعوق الدعوة، لا، فقد صار افتراؤهم وكيدهم وعداوتهم للنبي وقوداً مهيّجاً للا عوة الأن يخلص الدعوة من الشوائب ويصهر المؤمنين بها ويخرج منهم خصال الشر ويملاهم بخلال الخير .

﴿ فَأَمَّا الرَّبُدُ فَيَدَّهُبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ . . () ﴾

[صورة الرعد]

ولو لم يكن هناك مهيجات لهذه المسائل لدخل الدعوة العاطل والباطل ولاندس فينا من لا يعرف قيمة الإيمان؛ لذلك يمحص الله الدعوة بالأعداء وبالقوم الذين يقفون أمامها حتى لا يكون في حملة الدعوة أحد من ضعاف العقائد وضعاف الإيمان، وهم الذين يخرجون هرباً من مسئوليات الإيمان ولا يبقى إلا أصحاب الرسالة الذين يخلصون الصدق مع الله وينقيهم الله بواسطة الأعداء. ولذلك قال:

﴿ لُوْ خَرْجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمُ إِلاَّ خَبَالاً . . ﴿ اللَّهِ اللَّهُ اللَّ

فمن الحمكة أنه ـ سبحانه ـ ثبط عزيمتهم وضعف رغبتهم في الانبعاث والخروج معكم .

﴿ وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لِأَعَدُوا لَهُ عُدُةً وَلَكِن كُرِهُ اللَّهُ البِعَاثَهُمْ فَتَبْطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَسْعِدِينَ [3] ﴾ وهنا يقول ألحق : « يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول » وزخرف القول هو لون من الأداء له سُمَّاع ، ومن يسمعونه قد لا يؤثر فى قلوبهم ولا فى نفوسهم ، ومرة أخرى يسمعونه ويكون عندهم ميل وليس عندهم عقيدة ثابتة راسخة إلى هذا القول .

وكيف يسلك هؤلاء الناس:

﴿ وَلِلْصَعَىٰ إِلَيْهِ أَفْتِدَهُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْاَخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُواْمَا هُم مُّقَتَرِفُونَ ﴿ فَالْأَخِرَةِ وَلِيَرْضُوهُ وَلِيَقْتَرِفُواْمَا هُم مُّقَتَرِفُونَ ﴿ فَالْأَخِهِ

كأن من يؤمن بالآخرة لا يقرب منه الزخرف أبداً ولا يميل إليه . وإن زُينت له معصية فإنه بتساءل : كم ستدوم لذة هذه المعصية ؟ دقيقتين ، ساعة ، شهراً ؛ وماذا أفعل يوم القيامة الذى يكون فيه الإنسان إمّا إلى دخول الجنة وإمّا إلى دخول النار . إذن فمن يؤمن بالآخرة لا تتقبل أذنه ولا فؤاده هذا الزخرف من القول ، ولا يتقبله إلا من لا يؤمن بالآخرة ، وهو لا يعرف إلا الدنيا ، فيقول لنفسه : فلتتمتع في الدنيا فقط ، ولذلك لو استحضر كل مؤمن العقوبة على المعصية ما فعلها ، وهو لا يفعلها إلا حين يغفل عن العقوبة . وإذا كنا في هذه الدنيا نخاف من عقوبة بعضنا بعضاً ، وقدراتنا في العقوبة عدودة ، فها بالنا بقدرة الرب القاهرة في العقوبة ؟! ولذلك نجد الذين يجعلون الآخرة على ذكر من أنفسهم وبالهم إذا عرضت لهم أي معصية ، الذين يجعلون الآخرة على ذكر من أنفسهم وبالهم إذا عرضت لهم أي معصية ، وليرضوه وليقترفوا ما هم مقترفون).

والإصغاء هو ميل الأذن إلى المتكلم ؛ لأنك قد لا تسمع من يتكلم بغير إصغاء ، وحين يسير الإنسان منا في الطريق فهو يسمع الكثير ، لكن أذنه لا تتوقف عند كل ما يسمع ، بل قد تقف الأذن عندما يظن الإنسان أنه كلام مهم . ولذلك يسمونه التسمع لا السمع ، وهذا هوالإصغاء . ولذلك يقول النبي عليه الصلاة والسلام : من تسمع غانية _ أي امرأة تغنى بخلاعة _ ولم يقل : « من سمع » ، والإنسان منا قد يسير ويذهب إلى أي مكان والمذباع يذيع الأغان ، ويسمعها الإنسان ، وآلة إدراك

المنالانعفال

OTANTOC+00+00+00+00+0

السمع منطقة وليست مفتوحة ؛ فهو لا يتصنت ، وآلة إدراك الانطباقية أر الانفتاحية مثل العين ؛ فالعين لا ترى وهي مغمضة ، إنها ترى وهي مفتوحة ، والعين تغمض بالجفون أما الأذن فليس لها جفون يقول لها : لا تسمعي هذه ، وهذه اسمعيها .

إذن فالسمع ليس للإنسان فيه اختيار ، لكن التسمع هو الذي له فيه اختيار .

﴿ وَلْتَصْغَىٰ إِلَيْهِ أَفْتِدَةُ اللَّهِ مِنْ لِا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ وَلِيَرْضُو أُهُ وَلِيَقْتَرِفُو امَا هُم مُقْتَرِفُونَ (١١٣) ﴾

[سورة الأنعام]

كأن فيه شيئا ينبع طلب السمع فيه من الفؤاد ، أى يوافق ما فى الأعماق ، وشيئا آخر يمر عليه الإنسان مر الكرام غير ملتفت إليه ، والأفئدة هى القلوب ، صحيح أن الآذان هى التى تصغى ، لكن القلوب قد تتسمع ما يقال ، وكأن النفس مستعدة لهذه العملية ؛ لأنها لا تؤمن بأن هناك آخرة وعندما استعداد لأن تأخذ لذة الدنيا دون التفات للآخرة . ولذلك ينقل الحق سبحانه الإصغاء من الأذن إلى الفؤاد وهذا إدراك .

﴿ وَلِتَصْغَىٰ إِلَيْهِ أَفْدِدَةُ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ . . ١٠٠٠ ﴾

ثم تأتى المرحلة الثانية والمرحلة الثالثة :

﴿ . وَلِيَوْضُوهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُم مُقْتَرِفُونَ ١١٦ ﴾

وقد يصغى إنسان ، ثم تتنبه نفسه اللوامة ، ويمتنع عن الاستجابة . لكن هناك من يصغى ويرضى وجدانه ويستريح لما يسمع ، ثم ينزع للعمل ليقترف الإثم ، وهذه ثلاث مراحل : الأولى هي : « ولتصغى إليه أفتدة الذين لا يؤمنون بالآخرة » ، ثم المرحلة الثانية : « وليرضوه » ، ثم المرحلة الأخيرة : « وليقترفوا » أي يرتكبوا الإثم ، وهذه المسألة حددت لنا المظاهر الشعورية التي درسها علماء النفس فالإدراك ؟ ولتصغى » ، والوجدان ؟ « ليرضوه » ، والنزوع ؟ « ليقترفوا » .

وقبل أن يولد علم النفس جاء القرآن بوصف الطبيعة البشرية بمراحلها المختلفة من إدراك ووجدان ، ونزوع ، والشرع لا يتدخل عند أى مظهر من مظاهر شعور المرء إلا عند النزوع إلا في حالة واحدة حيث لا يمكن فصل النزوع عن الوجدان وعن الإدراك؛ لذلك يتدخل الشرع من أول الأمر ، وهو ما يكون في عملية نظر الرجل إلى المرأة؛ لأنك حين تنظر تجد في نفسك : تحبها وتعشقها تفتن بها، ومحرم عليك النزوع ، فحين تتقدم ناحيتها يقول لك الشرع : لا . ولأن هذا أمر شاق على النفس البشرية ، ولا يمكن فصل هذه العمليات ؛ لأنه إن أدرك وجد ، وإن وجد نزع ، فأمر الحق بالامتناع من أول الأمر :

﴿ قُل لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُوا مِنْ أَبْصَلُوهِمْ . . (٣) ﴾ [سورة النور] ﴿ وَقُل لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغُضُضُنَ مِنْ أَبْصَلُوهِنَّ . . (٣) ﴾

إذن فقد منع الإدراك من بدايت ولم ينتظر حتى النزوع ، لماذا ؟ لأن الإدراك الجمالي في المرأة . الإدراك الجمالي في المرأة يُحدث عملية كيمارية في الجسم تسبب النزوع ، ولا يمكن فصلها أبدا . (ولتصغى إليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة وليرضوه وليقترفوا ما هم مقترفون) .

وساعة ما نقول : « ما» ويأتى الإبهام فهذا دليل على أن هناك أموراً كثيرة جداً . ولذلك يقول الحق :

﴿ . . فَغَشْيَهُم مِّنَ الْيَمِ مَا غَشْيَهُم (١٨) ﴾

أى أنه أمر لا يمكن أن تحدده الألفاظ ، مثله مثل قوله : (وليقترفوا ما هم مقترفون) .

أى أن كل واحد بقترف ويكتسب ويعمل ويرتكب ما يميل إليه؛ فهناك من يغتاب أو يحسد أو يسرق وغير ذلك من شهوات النفس التي لا تحدد؛ لذلك جاء لها باللفظ الذي يعطى العموم .

وما دامت المسألة في نبوة واتباع نبوة ، وفي أعداء شياطين من الإنس والجن

ويوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً إذن فهذه معركة ، وحتى يتم الفصل فيها لابد من حاكم يحكم . فأوضع الحق : يا محمد أنا أرسلتك ، ولك أعداء وسيكيدون لك بكذا وكذا ويبذلون قصارى جهدهم في إيذائك ومن اتبعك ، فإياك أن تبتغى حكما غيرى ؛ لأنى أنا المشرع وأنا من أحكم ، وأنا الذى سوف أجازى .

لماذا ؟ لأن الخلاف على ما شرع الله ، ولا يستقيم ولا يصح أن يأتي من يقول مراد المقنن كذا ، أو المفسر الفرنسي قال كذا ، والمفسر الإنجليزي قال كذا ، لا ، إن الذي يحكم هو من وضع القانون ، ومراداته هو أعلم بها ، والحق الواضح هو أعلم به ، وسبحانه هو من يحكم ، والرسول صلى الله عليه وسلم يقول :

(إنما أنا بشر وإنكم تختصمون إلى فلعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فأقضى له على نحو ما أسمع ، فمن قضيت له بحق مسلم فإنما هى قطعة من النار فليأخذها أو ليتركها)(١).

أى إياك أن يقول واحد: إن النبي قد حكم ؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم قد حكم بظاهر الحجة ، وقد يكون واحد من المختصمين قوى الحجة ، والأخر لا يجيد التعبير عن نفسه . إذن فالحكم هو الله لأنه هو الذي قنن ، وما دام هو الذي قنن وهو الذي يحكم بينكم ، فليطمئن كل إنسان يتخاصم مع غيره ؛ لأن القضية يفصل فيها أعدل العادلين وأحكم الحاكمين .

ولذلك يقول الحق سبحانه:

﴿ أَفَعَ بِرَاللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوا لَّذِي أَنزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِنْبَ مَفَصَّلًا وَالَّذِينَ مَا تَلْنَاهُمُ الْكِنْبَ يَعْلَمُونَ الْكِنْبَ مَفَصَّلًا وَالَّذِينَ مَا تَلْنَاهُمُ الْكِنْبَ يَعْلَمُونَ الْكِنْبَ يَعْلَمُونَ أَنْ مُنزَلًا مُعَمِّزِينَ مُنْ الْمُعْمَرِينَ اللهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّا اللَّهُ اللَّلَّا اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ ال

فسبحانه هو من يحكم وهو من قنن ، وهو من يعلم القانون ويعلم من يتبع (1) رواه مالك وأحمد والبخاري ومسلم وأبو داود والنساني والترمذي وابن ماجه .

القانون، ومن يخالف القانون. وساعة تقول: العنير الله أبتغى حكيا ». فهذا دليل على أنك والق أن بجبك لن يقول لك إلا: لا تبتغى حكيا إلا الله ، ولذلك يطرح المسألة في صبغة استفهام، ويقول صلى الله عليه وسنم: مبلغا عن ربه وهو الذي أنزل إليكم الكتاب مفصلا ». ولم يقل رسول الله : وهو الذي أنزل على الكتاب ، بل قال مبلغاً عن رب العزة : « وهو الذي أنزل إليكم الكتاب » كأن العداوة ليست لمحمد وحده ، لكنها العداوة لأمة الإيمان كلها ، والحكم لأمة الإيمان كلها . ومع أن القرآن نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم أولاً ، ولكن مهمته البلاغ إلى الناس والغاية منه للمؤونين كلهم ، وهكذا تكون العداوة للنبي عداوة للمؤمنين كلهم ، وهكذا تكون العداوة للنبي عداوة للمؤمنين كلهم ، ولذلك أنزل عليه الحق هذا التساؤل ! « أفغير الله أبتغى حكياً » للمؤمنين كلهم ، ولذلك أنزل عليه الحق هذا التساؤل ! « أفغير الله أبتغى حكياً »

﴿ وَكَذَالِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِي عَدُوا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالَّحِنِّ ﴾

(من الأية ١٩٢ سورة الأنعام)

إذن فعدر النبي هوعدو للمؤمنين به والمتبعين له ، لكن قمة العداوة تكون للنبي المرسل من الحق :

﴿ وَالَّذِينَ عَاتَيْنَكُمُ الْكِتَبُ يَعْلُمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِن رَبِّكَ بِالْحَيِّي فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ اللَّهُ مُنَزَّلٌ مِن رَبِّكَ بِالْحَيِّي فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ مَا اللَّهُ مَنْ إِلَّا اللَّهُ مَا اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مَا اللَّا مُعَالِمُ اللَّهُ مَا اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مَا اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مَا اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مَا اللَّهُ مَا اللَّهُ مَا اللّهُ مَا اللَّهُ مَا اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مَا اللّهُ مَا اللَّهُ مَا اللَّهُ مَا اللَّالَّالِمُ اللَّهُ مَا اللَّهُ مَا اللَّهُ مَا اللَّهُ مَا اللَّهُ مَا اللَّهُ مَا اللَّهُ مَا

(من الآية ١١٤ سورة الأنعام)

وكلمة « من ربك بالحق » فيها إغراء للمؤمنين بأن كل الأمر يعود عليكم أنتم بالفائدة ؛ لأن غاية إنزال الكتاب لكم أنتم ، والكتاب جاء بهذا المنهج لصالحكم ولن يزيد في صفات الله صفة ، ولن يزيد في ملك الله ملكا . بل الغاية أنتم .

﴿ أَفَفَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكًّا وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِنْبَ ﴾

(من الأية ١١٤ سورة الأنعام)

وسبحانه لم ينزل الكتاب إلا بتفصيل لا تلتبس فيه مسألة بأخرى:

○Y^^Y○○+○○+○○+○○+○○+○

﴿ وَالَّذِينَ ءَاتَيْنَنَهُمُ الْكِنَابُ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِن رَبِّكَ بِالْحَتِّي فَلَا تَكُونَنْ مِنَ اللَّهُمْ مَنَ اللَّهُمُ مَنَ اللَّهُمُ مَنَ اللَّهُمُ مَنَ اللَّهُمُ مَنَ اللَّهُمُ مَنَ اللَّهُمُ مَنْ اللَّهُمُ مَنْ اللَّهُمُ اللَّهُمُ اللَّهُمُ مَنْ اللَّهُمُ اللّهُمُ اللَّهُمُ اللَّهُ اللَّهُمُ اللَّهُ اللَّهُمُ اللَّهُ اللَّهُمُ اللَّا اللَّهُمُ اللَّا اللَّهُمُ اللَّهُمُ اللَّلَّا اللَّهُمُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُمُ ال

(من الآية ١١٤ سورة الأنعام)

والمقصود هنا بالذين آتيناهم الكتاب اليهود والنصارى الأنهم يعلمون صفاتك يا رسول الله ويعلمون نعتك ويعلمون الكثير من كتابك فكل ما يتعلق بك موجود عندهم لكن الأفة أنهم اعتنقوا دينين: دينا يعلن يبدونه ويظهرونه ، ودينا يُسَرّ به ، فيا يسر به لا يعلنونه ويُعرَّمون السؤال فيه ، ولا يقبلون فيه نقاشا ، وعندما تصل إلى الحقيقة وتعرضها عليهم لا يقبلونها ، وما الذي جعلهم يلتوون هكذا الائن لهم حالين اثنتين: حال أيام أن كانوا يعاديهم من لا يؤمن بالسهاء ومنهج السهاء كعبدة الأوثان والمشركين ، وقال فيه الحق:

(وكاثوا من قبل يستفنحون على الذبن كفروا)

(من الآية ٨٩ صورة البقرة)

لقد كانوا من قبل أعداء للذين كفروا وأشركوا فكان همهم وشغلهم الشاغل أن ينتصروا على هؤلاء الكافرين ، وقالوا :

(أظل زمان نبي نتبعه ونقتلكم معه قتل عاد وإرم)

وحيثها جاءهم ما عرفوا كفروا به لأنهم :

(اشتروا بآيات الله ثمنا قليلا)

(من الآية ٩ سورة التوبة)

وكان الثمن هو بقاء السلطة في أيديهم ، وعندما تأتي النبوة تنزع منهم السلطة ، فليس في الإسلام سيطرة لرجال الدين ولا كهنوت . وكانوا يريدون أن تستمر سيادتهم ، فاشتروا بآيات الله ثمنا قليلا .

﴿ وَالَّذِينَ عَاتَبْنَنَهُمُ الْكِنَبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِن رَّبِّكَ بِالْحَتِّي فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ

المُعترِينَ ﴾

(من الآية ١١٤ صورة الأنعام).

- فالانعفا

وهم يعلمون أنه منزل من ربك بالحق ، وهم يعلمون أن الذي يشيعونه هو باطل . إذن فهناك علم بينهم وبين نفوسهم ؛ وعلم آخر يقولونه للآخرين ، وقوله الحق : « فلا تكونن من الممترين افى الشاكين في أن أهل الكتاب يعلمون أن القرآن منزل من عند ربك بالحق . هذا خطاب للنبي عليه والزيادة ؛ لأن هناك أموراً قد تزلزل المخاطب أمرا هو فيه فالمراد المداومة عليه والزيادة ؛ لأن هناك أموراً قد تزلزل الإيمان ؛ لذلك يأتي الأمر بالثبات ، أو هو إهاجة له ، أو هو تسلية للمؤمنين إذ قال لهم لا تمتروا ولا تشكوا .

ويقول الحق بعد ذلك :

﴿ وَتَمَتَ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَذَلًا لَا مُبَدِّلُ لَا مُبَدِّلُ لَا مُبَدِّلُ اللهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيدُ فِي اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ الله

وكلمة " تحت الدل على أن المسألة لها بداية ولها خاتمة ، فما المراد بالكلمة التي تحت؟ . أهى كلمة الله العليا بنصر الإسلام وانتهاء الأمر إليه؟ أو هو تمام أمر الرسالة حيث قال الحق:

﴿ الْيُومُ أَكُملُتُ لَكُم دِينكُم وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُم بِعُمتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلَمَ دِيناً . . (٣) ﴾

أو «كلمة ربك» المقصود بها قرآنه ؟ . ونرى أن معنى « تمت استوعبت كل أقضية الحياة إلى أن تقوم الساعة ، فليس لأحد أن يستدرك على ما جاء في كتاب الله حكماً من الأحكام ؛ لأن الأحكام غطت كل الأقضية . ولفظ « كلمة « مفردة لكنها تعطى معنى الجمع . وأنت تسمع في الحياة اليومية من يقول : وألقى فلان كلمة طيبة قوبلت بالاستحسان والتصفيق . هو قال كلمات لكن التعبير عنها جاء بـ « كلمة » إذن « تمت كلمة ، واقرأ قوله الحق :

﴿ كَبُرَتْ كُلْمَةً تُخْرِّجُ مِنْ أَقْزَهِهِمْ . . () ﴾

[سورة الكهف]

أهى كلمة أو كلمات؟أنها كلمة ولكن فيها كلمات. إذن لفظ «كلمة» تطلق ويراد بها اللفظ المفرد، وتطلق ويراد بها الكلام. والكلمة في الأصل لفظ مفرد، أي لا يكون معها لفظ آخر، ولكنها تدل على معنى، فإذا كان المعنى غير مستقل بالفهم؛ ويحتاج إلى ضميمة شيء إليه لنفهمه فهذا حرف، وأنت تقول: «في اوهو لفظ يدل على الظرفية ، إلا أنه غير مستقل بالفهم؛ لأن الظرف يقتضى مظروفاً ومظروفاً فيه، فتقول : «الماء في الكوب» لتؤدى المعنى المستقل بالفهم، وكذلك ساعة تسمع كلمة «إلى» تعلم أن هناك انتهاء، وإن كان «من اتفهم أن هناك ابتداء، وساعة تسمع كلمة «إلى» تعلم أن هناك انتهاء، وإن كان يدل على معنى في نفسه وهو غير مرتبط بزمن فهو الأسم، وإن كان الزمن جزءاً منه فهو « الفعل». أما «الكلام» فهو الألفاظ المفيدة.

وحين تسمع السماه الفنى ، وكذلك حين تسمع كلمة اأرض اوهو معنى مستقل بالفهم ، مستقل بالفهم ، وحين تسمع كلمة اكتب فهى تدل على معنى مستقل بالفهم ، والزمن جيز من الفسعل ، فكتب تدل على الزمن الماضى و ايكتب الله على الخاضرو اسيكتب الله على الكتابة في المستقبل . إذن ف الكلمة الفظ بدل على معنى فإن كان غير مستقل بالفهم فهو حرف . و الكلمة اقد يقصد بها الكلام .

وقوله الحق: اتمت كلمة ربك اتعنى الكثير. فإن إردت بها القرآن فالمقصود هو كلمة الله. وكلام الله نسميه اكلمة الأن مدلوله كلمة واحدة . انتهت وليس فيها تضارب ، هذا إن أردنا بها القرآن ، ولتفهم أن القرآن قد استوعب كل شيء ، وكل قضية في الوجود وأيضاً لم ينس أو بذل فيه حرف ؛ بل بقى وسيبقى كما أنزل ؛ لأن الآفة في الكتب التي نزلت أنهم كتموا بعضها ونسوا بعضها ، وحرفوا بعضها ، وكان حفظها موكولاً إلى المكلفين ، ومن طبيعة الأمر التكليفي أنه يطاع مرة ، ويعصى مرة أخرى . وإن أطأعوا حافظوا على الكتب ، وإن عصوا حرفوها بدليل قوله الحق :

﴿ إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَمْلُمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبُسْنِيُّونَ وَالأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتُسْبِ اللَّهِ . . (عَن) السَّورة المائدة]

و استحفظوا» أى طلب منهم أن يحافظوا عليه ، وهذا أمر تكليفي عرضة أن يطاع ، وعرضة أن يعصى ، لكن الأمر اختلف بالنسبة للقرآن فقد قال الحق :

﴿ إِنَّا نَحْنُ نُزُّلْنَا الذِّكُرِ وَإِنَّا لَهُ لَحَمْ فِظُونَ ٢٠ ﴾

فسبحانه هو من يحافظ على القرآن ، وليس ذلك للبشر لأن القرآن معجزة ، والمعجزة لا يكون للمكلّف عمل فيها أبداً .

إذن فقوله الحق: * تمت كلمة ربك المقصود بها أن تَطْمَن على أن القرآن الذي بين يديك إلى أن تقوم الساعة هو هو لن تتغير فيه كلمة ، بدليل أنك تتعجب في بعض نصوص القرآن ، فتجد نصا مساويا لنص ، ثم يختلف السياق ، فيقول الحق:

﴿ كُلاَّ إِنَّهُ تَذْكُرُهُ ۞ فَمَن شَاءَ ذَكُرُهُ ۞ ﴾

ومرة أخرى يقول سبحانه :

﴿ كُلاً إِنَّهَا تَذْكُرَةً ١٠ فَمَن شَاءَ ذَكَرَهُ ١٠٠٠ ﴾

ومرة أخرى يقول:

﴿ إِنَّ هَسْدِهِ تَذَّكِرَةً فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ مَبِيلاً ١٦٠ ﴾

فهذا لون ونوع من المتشابه من الأيات ليقول لنا الحق :

﴿ فَإِذَا قَرَأَنْكُ فَاتَّبِعُ قُرْآنَهُ ۞ ﴾

[سورة القيامة]

[سورة الإنسان]

[سورة المدار]

[سورة عس]

والحق يقول :

01/4/00+00+00+00+00+0

﴿ قَدْ أَفَلَحَ الْمُوْمِنُونَ ۞ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَسْشِهُونَ ۞ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّهُ وِ مُعْرِضُونَ ۞ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزِّكُوةِ فَسَعِلُونَ ۞ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُورِ جِهِمْ حَسْفِظُونَ ۞ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكُوةِ فَسَعِلُونَ ۞ وَالَّذِينَ هُمْ لِلْأَعَلَىٰ أَزُواجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۞ فَمَنِ البّغَيٰ وَرَاءَ وَلَا عَلَىٰ أَزُواجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۞ فَمَنِ البّغَيٰ وَرَاءَ وَلَا فَاللَّهُ فَأُولَدَينَ هُمْ الْمَنْسَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ۞ وَالَّذِينَ هُمْ لاّمَنْسَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ۞ وَالَّذِينَ هُمْ لاّمَنْسَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ۞ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَّواتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۞ ﴾ [المورة المؤونون]

وفي آية أخرى يقول :

﴿ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ٢٠٠٠ ﴾

وكل ذلك يدلك على أن كل كلمة وصلتك كما أنزلت ، وبذلك تكون كلمة ربك قد تمت . أو قول الله : " وتحت كلمة ربك " ليدل على أن كلمة الله هى العليا ، ولذلك تلاحظ أن " كلمة الله هى العليا الم يجعلها الحق جعلاً ، وإنما جاءت ثبوتاً ، وسبحانه القائل :

﴿ وَجَعَلَ كُلِمَةُ الَّذِينَ كُفَرُوا السُّفَلَىٰ . . ﴿ ﴾ [سورة التوبة]

هذا السياق الإعرابي حصل فيه كسر مقصود ، والسياق في غير القرآن أن يقول : وجعل كلمة الله هي العليا ، ولكنه سبحانه يقول :

(وجعل كلمة الذين كفروا السفلي وكلمة الله هي العليا)

وسبحانه أراد بذلك أن نفهم أن كلمة الله هي العليا دائماً وليست جعلاً . وهذا دليل على أن كلمته قد تمت .

ونلحظ أن قول الحق: و وتحت كلمة ربك ؟ تأتى بعد الفير الله أبتغى حكماً ؟ ، واستقرى، مسوكب الرسالات من لدن آدم ، وانظر إلى حكم الله بين المبطلين

والمحقين ، ويين المهتدين والضالين ، إنه الحق القائل :

﴿ فَكُلَّا أَخَذُنَا بِذَنِّيهِ عَلَيْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا ﴾

(من الآية ١٠ صورة العنكبوت)

والحاصب هو الربح التي تهب عملة بالحصى وكانت عقوبة لقوم عاد.

﴿ وَمِنْهُم مِّنْ أَخَذَتُهُ ٱلصَّبِحَةُ ﴾

(من الآية ١٠١ سورة العنكبوت)

وهم قوم ثمود، يسميها مرة الصيحة، وأخرى يسميها الطاغية:

﴿ فَأَمَّا نَمُودُ فَأَمَّلِكُواْ بِالطَّاغِيةِ ﴿ ﴾

(سورة الحاقة)

ومرة يخسف بهم الأرض مثليا فعل مع قارون : (فخسفنا به وبداره الأرض) . وكذلك : (ومنهم من أغرقنا) .

وقد أغرق الله قوم فرعون وكذلك أغرق ـ من قبلهم ـ المكذبين لنوح . إذن كل قوم أخذوا حكم الله عليهم ، لكنك يا محمد مختلف عنهم وكذلك أمة محمد التي أصبحت مأمونة على الوصية ، وعل المنهج ، ولذلك قال الحق :

﴿ وَمَا كُنَّا مُعَدِّينِ عَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾

(من الآية 10 سورة الإسراء)

وبعد أن بعث الحق رسوله صلى الله عليه وسلم قال :

﴿ وَمَا كَانَ آللهُ لِيُعَلِّيهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ﴾

(من الآية ٣٣ سورة الأنفال)

إذن وتمت كلمة ربك ، وهي الفصل النهائي :

﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَنْنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿ إِنَّهُمْ لَمُمُّ ٱلْمَنْصُورُونَ ﴿ وَإِنَّ جُندَنَّا

المنالانفيال

O1/4100+00+00+00+00+0

[سورة الصافات]

لَهُمُ الْغَسْلِبُونَ (١٧٢) ﴾

وأنتم المنصورون لأنكم منسوبون إلى منهج غالب ، والنصر للمنهج الغالب يقشضي الإخلاص ، فإن تنصروا المنهج باتباعه ينصركم من أنزل المنهج ، فهو القائل:

[سورة للجادلة]

﴿ لِأَغْلِبُنَّ أَنَّا وَرُسُلِي . . 1 ﴾

وما قاله كان هو الواقع وما جاء به الواقع كان مطابقاً للكلام.

﴿ وَتَمُّتُ كُلِمْتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلاً .. (١١٥ ﴾

أى وافق الراقع الكونى ما قال الله به . وكيف كان الواقع صادقاً وعادلاً فى آن واحد ؟ لنفرض أنك أحضرت مدرساً خصوصيًا لولدك ، وصادف أنه هو الذى يدرس فى المدرسة وهو الذى يدرس لابنك ثم قلت له : أريد أن ينجع الولد فى الامتحان . ووعد المدرس بذلك ثم جاء الامتحان ونجع الولد ، فتكون كلمة المدرس قد صدقت . لكن هل هذا عدل ؟ قد يكون المدرس هو واضع الأسئلة ولمع للولد بالأسئلة ، ويكون النجاح حبنئذ غيرعادل ، لكن كلمة الله تجىء مطابقة لما قال ، موقعها مطابق لما قال ، وهى كذلك عدل ؛ لأنه سبحانه أوضح الثواب والعقاب : (وتمت كلمة ربك صدقاً وعدلا) . لأنه لا مبدل لكلمات الله ،

أما بالنسبة للبشر فقد علّم الله عباده احتياط الصدق في كلامهم ؛ فأوصاهم :
﴿ وَلا تُقُولُن لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِل ذَلِكَ غَدًا ﴿ آ إِلا أَن يَشَاءُ اللّهُ . . ﴿ ﴾ [سورة الكهف]

لأن فعل ذلك غداً والإتيان به وإحداثه هو أمريتعلق بالمستقبل الذي لا نتحكم فيه ، فاحم نفك وقل : " إن شاء الله ، فإن لم يحدث يمكنك أن تقول : لم يشأ

ربنا حدوث ما وعدت به ، وبذلك يحمى الإنسان نفسه من أن يكون كاذباً ويجعل نفسه صادقاً فلا يتكلم إلا على وفق ما عنده من قوانين الفعل وعدم الفعل ؛ لأنه عندما تقول: 1 أفعل ذلك غداً . ماذا ستفعل غداً وأنت لا تضمن نفسك وحياتك وظروفك ؟! لكن الله إذا قال: 4 سأفعل فله طلاقة القدرة .

﴿ وَتَمْتُ كَلِمْتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلاً لا مُبَدِّلَ لِكَلِمَ المَّبِيهِ وَهُو السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (١١٥ ﴾ [سررة الأنعام]

ومادامت الكلمات ستتحقق والحكم سيصدر فهذا دليل على أنه سبحانه سميع لما قالره في عدواتهم ، وعليم بما دبروه من مكائدهم ، وهو القائل من قبل :

﴿ وَإِنْ الشَّيْسَطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أُولِيَاتِهِمْ لِيُجَسِّدِلُوكُمْ . . (١٢١) ﴾ [سورة الانعام] أي ليعلموهم بخفاء ، فإن كان كلامهم ظاهراً فهو مسموع ، وإن كان بخفاء فهو معلوم .

ويقول الحق بعد ذلك :

﴿ وَإِن تُطِعِ آَكَ أَرٌ مَن فِ الْأَرْضِ يُضِلُوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِن يَتَبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِن يَتَّبِعُونَ ﴿ اللَّهُ الللللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ الللَّاللَّهُ اللللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ الللللّهُ الللّهُ الللّهُ الللللّهُ الللللللّهُ الللللللّهُ اللّهُ اللّهُ

و « من فى الأرض المقصود بهم المكلفون ؛ لأنهم هم من يتميزون بالاختيار ولهم أوامر ونواه ، فما دون الإنسان لا أمر له ، و اكثر الايقابلها بالضرورة كلمة «قليل» أو « أقل ، و ما دام القول هو : « أكثر ، فقد يكون الباقون كثيراً أيضاً ، وأمّا كثير فإنها ، تعطى له كميته فى ذاته وليست منسوبة إلى غيره ، ولذلك كنا نسمع من يقول : مكتوب على محطة مصر أو على « المطار » أو على « الميناه » ، يا داخل

مصر منك كثير ، أى إن كنت رجلاً طيباً فستجد مثلك الكثير ، وإن كنت شريرا فستجد مثلك الكثير أيصاً .

ويقول الحق:

فكل الكائنات مقهورة مسخرة ، وعند الناس انقسم الأمر ؛ لأن لهم اختياراً ، فراح أناس للطاعة وذهب أناس للمعصية ، فلم يقل الحق : والناس . بل قال وكثير من الناس، ، ولم يقل الحق : وقليل حق عليه العذاب ، لكنه قال : « وكثير حق عليه العذاب، فهؤلاء كثير وهؤلاء كثير ، وإن نظرت إليهم في ذاتهم فهم كثير ، والآخرون أيضاً إذا نظرت إليهم تجدهم كثيراً . ولماذا يقول الحق : « وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله ؟؟

الطاعة - كما نعرف - استجابة للأمر في " افعل" ، والنهى في " لا تفعل" إذا قال الحق للإنسان افعل كذا ؛ فالإنسان صالح لأن يفعل وإن كان هناك شيء لا تقدر لا تفعل فالإنسان صالح أن يفعل ، وإن لا يفعل ، وإن كان هناك شيء لا تقدر عليه فلن يقول لك: افعله . والإنسان عادة حين يؤمر أو يُنهى إلما يؤمر وينهى عليه فلن يقول لك: افعله . والإنسان عادة حين يؤمر أو يُنهى إلما يؤمر وينهى لمصلحته معارض من منهج إلهى فهذا من مصلحته أيضاً ؛ لأن الله أجاز له حرية الفعل والترك . ويوضح الحق : من رحمتى أن جعلت لكم تشريعاً ؛ لأننا لو تركنا الناس إلى أهوائهم فسيأمر كل واحد من الذين لهم السيطرة على الناس بما يوافق هواه ، وسينهى كل واحد من الناس بما يخالف هواه ؛ لذلك نعصم هذا الأمر بالمنهج . حتى لا يتضارب الخلق ولا يتعاكس هواك مع هوى الخلك نعصم هذا الأمر بالمنهج . حتى لا يتضارب الخلق ولا يتعاكس هواك مع هوى أخيك . ومن المصلحة أن يوجد مطاع واحد لا هوى له ، ويوجد منهج يقول للجميع افعلوا كذا» و « لا تفعلوا كذا» وبذلك يأتى الاستطراق لنفعهم جميعاً . ولذلك يقول الحق :

﴿ وَإِن تُطِعُ أَكْثَرُ مَن فِي الأَرْضِ يُصَلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ . . (١٠٠٠) ﴾ [سورة الانعام]

فهناك أناس مؤمنون وهم أصحاب الفطرة السليمة بطبيعتهم ؛ لأن الخير هو الفطرة في الإنسان ، وقد جاء التشريع لينمى في صاحب الفطرة السليمة فطرته أو يؤكدها له ، ويعدل في صاحب النزعة السيئة ليعود به إلى الفطرة الحسنة .

والذين يضلون عن سبيل الله ماذا يتبعون ؟ يقول الحق : (إن يتبعون إلا الظن) .

كل واحد منهم يظن أن هذا الضلال ينفعه الآن ، ويغيب عنه ما يجر عليه من الربال فيما بعد ذلك .

وا الظن - كما نعلم - هو إدراك الطرف الراجح ويقابله الوهم وهو إدراك الطرف المرجوح والظن هنا ، هو ما يرجحه الهوي :

و ﴿ إِن * - كما نعرف - تأتى مرة جازمة : إن تفعل كذا تجد كذا ، وتأتى مرة نافية ، مثل قوله الحق :

أى : ما أماتهم ؛ ف اإن هنا نافية . وقوله الحق : اإن يتبعون إلا الظن اله ما يتبعون إلا الظن مم إما أن يتبعوا الظن وإمّا أن يخرصوا . (فالخارص) هو من يتكلم بغير الحقيقة ، بل يخمن تخميناً ، كأن ينظر إنسان إلى آخر في سوق الغلال ويسأله : كم يبلغ مقدار هذا الكوم من القميح ؟ . فيرد : حوالي عشرة أرادب أو اثنى عشر أردباً ، وهو يخمن تخميناً بلا دليل يقيني أو بلا مقاييس ثابتة ، أو يقول كلاماً ليس له معنى دقيق .

فإذا اتبعت الناس فسوف يضلونك . لأنهم لا يملكون دليلاً علميًا ، ولاحقًا يقينيًا ، بل يتبعون الظن إن كان الأمر راجحاً ، ويخرصون ويخمنون حتى ولو كان الأمر مرجوحاً .

© YA4V ○ ○ + ○ ○

ويقول سبحانه بعد ذلك :

﴿ إِنَّ رَبِّكَ هُو أَعْلَمُ مَن يَضِلُ عَن سَبِيلِهِ * وَهُو الْعُلَمُ مَن يَضِلُ عَن سَبِيلِهِ * وَهُو الْمُ

وساعة ترى «هو» هذه فاعرف أنها تَرُد وتجيب على ما يكن أن يقال ، فهناك من يقول: أنا سوف أرى تصرفات فلان ، ولأنك من البشر فمهما علمت عنه فأنت محدود الإدراك ؛ لأنك سترى تصرفات فقط ، ولن ترى انفعالات قلبه وتقلبات عقله ، ولكن الحق سبحانه وتعالى هو الأعلم ؛ لأن الميزان كله عنده ، إنه يدرك الظاهر والباطن ، وهو سبحانه يقول هنا : «أعلم وهناك « عليم» ، و «العليم « هو من يرى ظاهر الأمر و يحيط به ، لا الخافى منه ، أما الذي يرى الظاهر واخفى فهو أعلم .

ولذلك كان النبي على في مسائل كثيرة يعامل الناس بعلانيتهم، ويترك سرائرهم إلى الله. وعندما قتل مسلم رجلاً أعلن الإسلام، سأله على لماذا؟، قال: لأنه أعلن الإسلام نفاقاً. فقال على: أشققت عن قلبه؟! .

وسبحانه وتعالى « أعلم ا؛ لأنه يعلم الظاهر والباطن، ويعلم خاتنة الأعين وما تخفى الصدور.

ويقول الحق:

﴿ فَكُلُواْمِمَّا ذُكِرُ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كُنتُم بِعَايَنِهِ وَ مُؤْمِنِينَ ﴿ اللهِ ا

والمعالمة المعالمة

وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ أَلَاقًا حَكُمْ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا أَضْطُرِرْتُمْ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا أَضْطُرِرْتُمْ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا أَضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهُ وَقَالِم عِلَيْكُمْ إِلَّا مَا أَضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهُ وَآبِهِم بِغَيْرِعِلْمُ إِنَّ كُنْ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْ إِنَّ لَيْ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْ إِنَّا لَهُ اللَّهُ عَلَيْ إِنَّ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْ إِنَّا اللَّهُ عَلَيْ إِنَّ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْ إِنَّ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْ إِنَّا اللَّهُ عَلَيْ إِنَّ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْ إِنَّا اللَّهُ عَلَيْ إِنَّا اللَّهُ عَلَيْ إِنَّا اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْ إِنَّا اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْ إِنَّا اللَّهُ عَلَيْ إِنَّا اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْ إِنَّا اللَّهُ عَلَيْ إِنَّا اللَّهُ عَلَيْ إِنَّ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْ إِنَّا أَنْ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْ إِلَيْ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْ إِلَيْ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْ إِلَيْ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْ عَلَيْكُمْ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْ اللَّهُ عَلَيْ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْ عَلَيْكُمُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْ إِلَا اللَّهُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ اللللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ

ما الذي أدخل هذه المسألة في هذا السياق ؟ لقد تكلم الحق عن أن هناك أعداه لكل نبى يلتمسون ثغرة في منهجه ليتكلموا فيها ، وهذه هي مهمتهم التي هيأها الله لهم ، فحين يقولون الاعتراضات نجد المنهج يرد عليهم وبذلك تنتفع الدعوة إلى أن تقوم الساعة .

مثال ذلك نجد الجماعة الذين عارضوا رسول الله تلك في الإسراء والمعراج ، فحين قال لهم: إنني أسرى بي إلى المسجد الأقصى وعرج بي إلى السماء في ليلة واحدة ، التمسوا له ثغرة لينفذوا منها ويضللوا غيرهم وقالوا له: أتدعى أنك أيتها في ليلة ونحن نضرب إليها أكباد الإبل شهراً ؟!! لكن أبو بكر الصديق قال: إن كان قال فقد صدق ، وهذا هو الإيمان الذي يحسن استقبال الأمر المخالف للنواميس ، ويجادلون أبا بكر ، فيقول: أنا صدقته في خبر السماء فكيف أكذبه في ذلك ، ما دام قال فقد صدق ، وهذا كلام منطقي .

لكن المعارضين لرسول الله الله الله الله الله المارات ووصف لهم العير التى نضرب إليها أكباد الإبل شهراً! فأعطى الله الأمارات ووصف لهم العير التى في الطريق ، وغير ذلك من العلامات التي تجعل من الأمر حجة إلى يوم القيامة ، ولو مرت مسألة الإسراء والمعراج من غير أن يعترض أحد من الأعداء ، لما وجدنا الحرارة في تصديقها .

إنسا نجد حاليًا من يقبول: وهل من المعقول أنه الله والله بيت المقدس وجاء في ليلة ؟ لا بدأن ذلك كان حلماً. لولم يقولوا هم هذا ما كنا عرفنا الرد ؛ إنما هم قالوها حتى نعرف الرد وينظل الرد وادعاً إلى أن تقوم الساعة ، وهذه هي المهمة التي جعلها الله للأعداء؛ لانه الله لوقيال

OYA1100+00+00+00+00+00+0

لهم: إننى حلمت أنى رحت بيت المقدس. أكان هناك من يعترض على أن يحلم النبى حتى ولو قال: إنه ذهب إلى آخر المعمورة إنه لا يجرؤ واحد أن يكذبه ، لكنهم ما دامرا قد كذبوه ، ورفضوا تصديق الإسراء فهذا دليل على أنهم فهموا من الذهاب أنه ليس ذهاب رؤيا وإنما ذهاب قالب ، لقد فهموا عنه أنه قد انتقل بجسده من مكة إلى بيت المقدس ، ولذلك كذبوه ، وهذا التكذيب منهم ينفعنا الآن ، لنرد به على المكذبين المعاصرين ،

إذن فوجود الأعداء يهيج القرائح التي يمكن أن نرد على أية شبه يثيرها أي إنسان سواء أكان ماضيًا أم معاصراً.

والحق هنا يقول :

﴿ فَكُلُوا مِمَّا ذُكرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِن كُنتُم بِآينته مُؤْمِنِينَ (١١١) ﴾ [سورة الأنمام]

هذه الآية لها قصة توضح كيف يحاول الأعداء اصطياد الثغرات لينفذوا منها ، وقالوا : يقول النبى لكم : إن الميتة لا يحل لكم أن تأكلوا منها ، وما تذبحونه بأيديكم كلوا منه ، والذبح لون من الموت ، هذه هى الشبهة التى قالوها ، وهى أو لا مغالطة فى الأساليب ؛ لأن الميتة غير المذبوحة وغير المقتولة . فالمذبوحة إنما ذبحناها لنطهوها من الدم ؛ لذلك فالمناقشة الفقهية أو العلميه تهزم قولهم ؛ لأن هناك فرقا بين المرت والقتل . فالموت هو أخذ للحياة بدون سلب للبنية ، إنما الفتل هو سلب للبنية أو لا فتره الروح ويبقى الدم فى الجسم ، ثم هل يأخذ المشرع وهو الرب الأعلى الحكمة منّا أو أن الحكمة عنده هو وحده ؟ .

وقد تبين لنا في عصرنا أن غير المؤمنين بدأوا في الاهتداء إلى أن الميتة فيها كل الفضلات الضارة ، واهتدوا إلى إزالة كل الفضلات الضارة من الحيوانات التي يريدون أكلها ؛ لأن تكوين جسم الحيوان يتشابه مع تكوين جسم الإنسان ، فهو يأكل ويهضم ويمتص العناصر الغذائية ليتكون الدم والطاقة ، وفي الجسد أجهزة تصفى وتنقى الجسم من السموم الضارة ، فالكُلْية مثلاً تصغى الدم من البولينا وغيرها ، ويسير الدم ليمر على الرئة ليأخذ الأوكسيجين ، وكل ذلك لتخليص الجسد من الفضلات الضارة ، وأوعية الدم في الإنسان والحيوان فيها الدم الصالح والدم

Will will

الفاسد، والدم الفاسد هو الذي لم تتم تنقيته، وعندما نذبح الذبيحة ينزل منها الدم الفاسد وغيره، أي أننا ضحينا بالدم الصالح في سبيل وقايتنا من الدم الفاسد. لكنها إن ماتت دون ذبح؛ فآثار الدمين الاثنين موجودة. وكذلك آثار الفضلات التي كان يجب أن يتخلص منها، وهذا ما نفعله في هذا الأمر، لكن هل لنا مع الحق سبحانه وتعالى تعقل في شيء إلا في توثيق الحكم والاطمئنان إلى مجيئه منه جلت قدرته ؟

كان جدلهم أنهم قالوا: أنتم تأكلون ما قتلتم ولا تأكلون ما قتل الله ، فأنتم تظنون أنفسكم أحسن من الله ، وهذا افتراء منهم . ثم إن الحيوان حين يموت لم يذكر عليه اسم الله ، لكن الذبيحة التي نذبحها نذكر عليها اسم الله ، فكأن الحق سبحانه وتعالى يوضح : فكلوا عا ذكر اسم الله عليه . أي غير الميتة وغير ما يذبح للأصنام ،

﴿ فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرُ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِن كُنتُم بِآيَسْتِهِ مُؤْمِنِينَ (١١٨) ﴾ [سورة الانعام]

إنَّ تلقى أى حكم من الحق ، لا يصبح أبداً أن نبحث عن علته أو لا ثم نؤمن به ، بل علينا بعد أن نثق بأنه من الله الذي آمنا به . علينا إذن أن نـ أخذ الحكم الذي أمر به الله .

﴿ وَهَا لَكُمْ أَلاَ تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهُ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُم إِلاً مَا اصْعُلُرِرْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنَّ كَتَلِيسِرًا لَيُسَتِلُونَ بِأَهْوَاتِهِم بِغَيْسِ عِلْمٍ إِنَّ رَبِّكَ هُو أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ (111) ﴾

وللآيتين - كما علمنا - صبب نزلتا من أجله وهو أن بعض المعارضين لرسول الله الذين يقفون من الدعوة موقف التكذيب والعمل على إبطالها والقضاء عليها ، كانوا يشيعون عند المؤمنين إشاعات قد تفت في عضدهم العقدى فعرضوا هذه المسألة وهي في ظاهرها تشكيك . وهم قد عرضوا القضية بهذا الشكل غير المتسق؛ لأن من الذي قتل ؟ لقد قالوا : إن الميتة قتلها الله ، فهل الله هو الذي قطع رقبتها ؟ وهل

O11.100+00+00+00+00+00+0

ضربها الله على رأسها فأمات أصل إدارة الحياة وهو المنع ؟ هل صوّب شيئاً إلى قلبها؟ سبحانه جل وعلا منزه عن مثل هذه الأفعال البشرية ، فكيف يسمون الموت قتلاً ؟ إن تسمية الموت قتلاً هو الخطأ ، فقولهم : كيف تبيحون لأنفسكم ما قتلتموه أى بالذبح . ولا تبيحون ما قتله الله أى أماته ، فيه مغالطة في عرض القضية ، ويريد الله سبحانه وتعالى أن يضع عند المؤمنين مناعة من هذه الهواجس التي يثيرونها ؛ فقال : في فكلُوا مِما ذكر اسم الله عَلَه إن كُتُم بِآينته مُزْمِنين (١١٨) ﴾

وما معنى الذكر ؟ إنّ عدم تحديد العلماء المعنى المقصود بالذكر ، هو الذي أوجد بينهم خلافاً كبيراً . فسيدنا الإمام مالك يرى أنك إذا ذبحت ولم تذكر اسم الله سواء اكنت ناسياً أم عامداً فلا يصح لك أن تأكل من الذبيحة . ويرى الإمام أبو حنيفة : إذا كنت لم تسم ناسياً فكل مما ذبحت ، لكن إن كنت عامداً فلا تأكل ، والإمام الشافعي - يرى : ما دمت مؤمناً ومقبلاً على الذبح وأنت مؤمن فَكُلُ مما لم تذكر اسم الله ناسياً أو عامداً لأن إيمانك ذكر لله .

وثقول: ما هو الذكر؟ هل الذكر أن تقول باللسان؟ أو الذكر أن يمر الشيء بالخاطر؟ إن كنتم تقولون إن الذكر باللسان فلنبحث في الحديث القدسي الذي قاله الله تعالى: ﴿ أَنَا عَنْدَ ظَنَ عَبْدَى ، وأَنَا مَعْهُ إِذَا ذَكُرْنِي ، فإن ذَكَرْنِي في نفسه ذكرته في نفسى ، وإن ذكرني في ملا ذكرته في ملا خير منهم الله .

إذن فقد سمّى ربنا الخاطر في النفس ذكراً وبذلك يصبح من حق الإمام الشافعي أن يقول ما قال .

لذلك أقول: يجب أن نحدد معنى الذكر أولاً حتى ننهى الخلاف حول هذه المسألة، فليس من المقبول أن نقيم معركة حول معنى « الذكر »؛ لأن الذكر وهو خطور الأمر على البال قد يصحبه أن يخطر الأمر على اللسان مع الخطور على البال، وقد يظل خطوراً على البال فقط، بدليل ما جاء في الحديث السابق.

(۱) رواه البخاري ، ومسلم ، والترمذي .

والمؤمن حين يجد أمامه أشياء كثيرة ، قد يوجد شيء جميل وآخر ليس له من الجمال شيء ؛ فالجاموسة أقل في الجمال من بعض الحيوانات التي حرم الله أكلها ، وأقبل المؤمنون على ذبح الجاموسة ليأكلوا منها ، ولم نسمع عن مسلم تقدم إلى حيوان حرم الله أكله ليذبحه ، لماذا ؟ لأن المؤمن يقبل على ما أحل الله ، وهذا الإقبال دليل على أنه ذكر في نفسه للحلل والمحرم وهو الله ، إذن اختياره حيواناً للذبح دليل على أنه ذكر الله في النفس أو في القول ، وبهذا نتفق على أن ذكر المؤمن يكون في على أنه ذكر المؤمن يكون في قلبه قال أو لم يقل ، وينتهى الخلاف في هذه المسألة . إذن الإمام الشافعي أخذ بهذه المسألة ؛ لأن النبي عليه الصلاة والسلام حينما سئل عن أكل المسلم من ذبيحة المسألة ؛ لأن النبي عليه الصلاة والسلام حينما سئل عن أكل المسلم من ذبيحة لا يعرف من ذبحها وهل سمى أو لم يسم ، أوضح لمن سأله : سم وكُلُ .

فالإنسان منا لا يحضر وقت الذبح دائماً، ويكفيه أن يستحضر المحلل والمحرم ساعة الأكل . والحق سبحانه وتعالى يوضح لنا : اذكروا اسم الله ، وسبحانه يعلم أنك تقبل على أشياء لتفعلها . وهذه الأشياء تنقسم إلى قسمين : قسم يمر على بالك قبل أن تفعله ، وقسم لا يمر على بالك ، بل تفعله تلقائبًا بدون ما يمر على البال ، ومثال ذلك الأفعال العكسية كلها التي يفعلها الإنسان إنها لا تمر على باله . فلو حدث أن حاول واحد أن يضع إصبعه في عين آخر ، فهذا الآخر يغمض عينيه تلقائبًا . ويختلف ذلك عن الفعل الذي تفكر فيه قبل أن تفعله . فالذي يفعل الفعل بعد أن يمر بخاطره هو فعل ذو بال . ولذلك أراد الرسول عليه الصلاة والسلام الا يكلفنا عناه أو مشقة ؟ فقال :

« كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم أقطع » (١).

والأمر ذو بال هو الأمر الذي يكون قد خطر على بالك أن تفعله أو لا تفعله . إذن فالله سبحانه وتعالى لا يكلفنا إلا عند الأمر الذي يمر على الخاطر ؛ لأنك حين تقبل على أي فعل فينفعل لك كسما تريد ، إن هذا من عطاء الله لك ، وأنت حين تذبع عجد أ ، أو خروفا ، وتنامل أنت كيف يُقدرك الله على هذا الكائن الحى ، وإنك لم تفعل ذلك إلا لتسخير الله كُل الكائنات لك . فباسم الله تذبحه .

إذن هناك أمور كثيرة وأفعال ذات بال تمر عليك ومن حسن الأدب والإيمان أن

O11.100+00+00+00+0

تقبل عليها باسم الله . ولذلك يخطى، بعض الناس حين يظنون أن الإنسان عندما يذبح حيواناً فهو يؤذيه . لا ، بل ذبح هذا الحيوان هو تكملة لمهمته في الحياة ؛ لأنه غلوق لهذا الهدف ومذلل له .

لقد قلنا سابقاً: إن هناك عجيبة من عجائب المزاولات الفعلية ، هذه العجيبة أنك حين تأتى إلى الحيوانات التى لم يحلها الله للإنسان ، كالحمار مثلا إذا ما تعرضت هذه الحيوانات إلى ما يمينها ، كأن التف حول عنقه حبل ، واختنق فهو يموت دون أن يحد رقبته إلى الأمام ، لكن الحيوان الذي أحله الله للأكل ؛ مثل الجاموسة أو الحروف أو العجل ، نجد الحيوان من هذه الحيوانات إن اختنق يمد رأسه إلى الأمام ، فيقول أهل الريف في مصر: إنه يطلب الحلال ، أى الذبح . فلا يسمى ذبح الحيوان اعتداء عليه ؛ لأن الحيوان مخلوق لهذه المهمة .

إذن فمعنى كلمة و باسم الله وأى أننى لم أجترىء على هذا العمل إلا في إطار اسم الله الذي أحل لى هذا .

بعد ذلك يقول الحق للمؤمنين: لا تسمعوا كلام الكافرين، ويأق السؤال الاستنكارى: « ومالكم ألا تأكلوا عا ذكر اسم الله عليه » والمعنى: أى سبب يمنعكم من أن تأكلوا عا ذكر اسم الله عليه ؟ وقد فصل لكم ما حرم عليكم ، فها ذكر اسم الله عليه ليس من ضمن المحرمات التي نص الله عليها ، فربنا سبحانه هو من حلل وحرم . وإن قيل : ما دام قد حرم علينا بعض الأشياء فلماذا خلقت هذه الأشياء ؟ ونقول : إن من يفكر بمثل هذا الأسلوب يتناسى أن كل مخلوق من الحيوانات ليس مخلوقاً للأكل ، بل لكل حيوان مهمة . وإن ذبحت عرماً ، فقد يناقض هذا الفعل مهمته . فالحنزير - مثلاً - حرّمه ربنا ؛ لأنك إن ذبحته فستذهب به بعيداً عن المهمته ؛ لأنه مخلوق كي يلم جراثيم الأشياء التي لا تراها العين ، فأنت حين تذبحه من غذاء يولد الطاقة ولا يهدر الصحة ؛ لذلك حرم وحلل له ، وإياك أن تقول : إن الله سبحانه وتعالى لم يحرم إلا الشيء الضار ؛ فقد حرم شيئًا غير ضار لأنه يريد بذلك الأدب في : « افعل هذا » و لا لأنك قال الحق سبحانه :

﴿ فَيَظُلُّهِ مِنَ الَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا عَلَيهِم طَيِّبَلْتٍ أُحِلَّت لَهُمْ ﴾ (من الآية ١٦٠ سورة النَّسَاه)

وفي حياتنا اليومية هل تقول: إن الذين يربون أبناءنا في الجيش بالشدة ، يقسون على الأبناء ؟ لا ، بل إنهم يعدّونهم لمواجهة المهام الشاقة . وأن يتعرّدوا التزام الأدب والطاعة والانضباط ، فكذلك حلل الحق ما أراد وحرم ما شاء ليجعل الكون منضبطا بقدرة الحكيم القادر ، فسبحانه يحرم أشياء مثل المخدرات ، ونحن في بعض الأحيان نتناولها لنداوى بها الأمراض ، فلو أخذها الإنسان من غير مرض أو داع فإنها تسرق الصحة من بنية الإنسان ، وإن أخذها من بعد ذلك للعلاج لا تأتى بالمفعول المطلوب منها . ولذلك نجد من الأطباء من يسأل الإنسان قبل إجراء الجراحات الدقيقة إن منها . ولذلك نجد من الأطباء على حقيقة ما يصلح له من ألوان التخدير .

وسبحانه وتعالى قد منع عنا تلك الألوان من مغيبات العقول ، لعلنا نحتاج إليها في لحظة الشدة والمرض .

إذن فالحق سبحانه وتعالى قد ربط كل حكم من الأحكام التحليلية والتحريمية بدوان كنتم مؤمنين ، ومعنى وإن كنتم مؤمنين ، أى يا من آمنتم بالإله الحكيم الذى لا يأمر إلا بما فيه مصلحتكم ، امتنعوا عن مثل تلك الأفعال ، وإذا أقبلت على أى شى ، بما أحله الله لك فأقبل عليه باسم الله ، وسبحانه وتعالى له أسهاء علمها لنا ، وأنزلها فى كتابه ، وأسهاء علمها لأحد من خلقه ، وأسهاء استأثر بها فى علم الغيب عنده ، وهذه الأسهاء هى صفات الكمال لله ، التى لا توجد فى غيره . وحين نستحضر الاسم الجامع لكل صفات الكمال نقول : باسم الله . وتنهى المسألة . وحين ناقش العلهاء مسألة التحريم والتحليل ، قال بعضهم : إن الحق سبحانه وحين ناقش العلهاء مسألة التحريم والتحليل ، قال بعضهم : إن الحق سبحانه وتعالى قال فى أول سورة المائدة :

﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُ الْمَبْنَةُ ﴾

(من الآية ٣ سورة الماتدة)

وهنا في سورة الأنعام يقول:

﴿ وَمَّدْ فَصَلَ لَكُم مَّاحَرُمُ عَلَيْكُمْ ﴾

(من الأية ١١٩ سورة الأنعام)

والمتنبهون من العلماء قالوا: إن سورة المائدة مدنية ، ومعنى كونها مدنية أنها نزلت

بعد السور المكية ، وسورة الأنعام مكية ، وهل يقول الحق في السورة المكية « وقد فصل لكم ما حرم عليكم ، في السورة المدنية ؟ وبعض العلماء الذين أعطاهم ربنا نور بصيرة قال : لقد فصل لكم في سورة المائدة وجاء أيضاً في سورة الأنعام فقال :

﴿ قُلُ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَى مُحَرِّمًا عَلَىٰ طَاعِم يَطْعَمُهُ إِلاَّ أَنْ يَكُونَ مَيْتَةُ أَوْ دَمًا مُسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنْهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أَهِلُ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرُ غَيْرَ بَاغٍ وَلا عَادِ مُسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنْهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أَهِلُ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرُ غَيْرَ بَاغٍ وَلا عَادِ فَإِنْ رَبِّكَ غَلُورٌ رُحِيمٌ (١٠٠٠) ﴾ [سورة الأنمام]

أى فصل لك في هذه السورة المكية . وقد يأتي واحد من المولعين بالاعتراض أو من خصوم الإسلام ويقول : لم تذكر الآية كل الأشياء المحرمة لماذا ؟

ونقول: القرآن هو الخطوط الأساسية في المنهج ، وتأتي السنة بالتفصيل في إطار:

﴿ وَمَا ءَاتَكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا . . ٧ ﴾ [سررة الحشر] والحق يقول هنا:

﴿ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا خُرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلاَّ مَا اصْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ . . ١١١٠ ﴾ [سورة الأنمام]

واضطرار هو أمر ملجىء إلى شىء غير الأسباب الكونية المشروعة ، ومعنى كونه مضطراً أنه يلجأ إلى شىء فقد أسبابه المشروعة كالذى يريد أن يأكل ليستبقى الحياة ، فإذا لم يجد من الحل ما يستبقى به الحياة فهو مضطر . ونقول له : خذمن غير ما أحل الله بالقدر الذى يدفع عنك الضرورة . فكل من الميتة بقدر الضرورة ولا تشبع .

والحق يقول :

﴿ فَمَنِ اصْطُرُ فِي مَخْمَصَةً . . ()

[سورة المائدة]

والمخمصة هي المجاعة . إذن فالاضطرار هو شميء فوق الأسباب المشروعة

@@#@@#@@#@@#@@#@!\\\@

للعمل . والله سبحانه وتعالى يعطى الإنسان الرخصة في أن يتناول ما حرمه إذا كان مضطراً .

﴿ إِلاَّ مَا اصْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيْضِلُّونَ بِأَهْرَاثِهِم بِغَيْرِ عِلْم . . (١١١) ﴾

[سررة الأنمام]

والذين يضلون بأهوائهم بغير علم هم من أرادوا زراعة الشك في نفوس السلمين. ومعنى الضلال بالهوى أن تكون عالما بالقضية ، ولكن هواك يعدل بك عن مراد الحق من القضية ، ولذلك يصف الحق رسوله على :

﴿ وَمَا يَنْطِقُ عُنِ الْهُوَىٰ ٢٠﴾ ١

وحين يقول الحق: (وإن كثيراً ليضلون بأهوائهم) فمعنى ذلك أنه يوجد ضلال بغير هوى ، وهو عدم وصول الإنسان إلى الحقيقة ؛ لأنه لا يعرف الطريق إليها ، والضلال بالهوى أى أن تكون عندك الحقيقة وأنت عارف بدورها ولكنك تعدل عنها?"

﴿ وَإِنَّ كُثِيرًا لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِم بِغَيْرِ عِلْم . . (١١١) ﴾

وساعة ترى مجىء متعلق بعد « يضلون» وهو قوله : (بأهوائهم) تقول كأن هناك ضلالاً بغير علم ، وهو غير مذموم ؛ لأن صاحبه لا يعرف الحكم في القضية ، وهذا يختلف عن الذي يضل وهو يعرف الحكم ، فهذا ضلال بالهوى ، وهذا الفهم يحل لنا إشكالات كثيرة أيضاً . و « بغير علم » أي ليس عندهم علم بالقضية وأحكامها .

ويذيل الحق الآية بقوله:

﴿ ... إِنَّ رَبُّكَ هُو أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ (١١٦) ﴾

وقد أفسح الله في النص القرآني لبعض خلقه الذين يعرفون المهتدى من غير المهتدى ، والكثير من الناس لا يعلمون المهتدى من غير المهتدى ولكن إن علموا فالله أعلم .

الله الحق بعد ذلك :

﴿ وَذَرُواْ ظُلْهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِئَهُۥ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْسِبُونَ ٱلْإِثْمُ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُواْ يَقَتَرِفُونَ اللَّهُ اللَّهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ الل

هذه تقنينات السياء التي تحمى المجتمع من بعضه وذلك في ألا تقع عين أحد على غالفة من أحد ، وإذا وقعت عينك على غالفة من غيرك تكون المخالفة مما يدرك لكنها ليست كل الفساد في المجتمع ؛ ففساد المجتمع يأتي من أشياء كثيرة لا تقع تحت دائرة الإدراكات . وهناك أشياء تكون في منابع النفس البشرية التي تصدر عنها عوامل النزوع ؛ فقبل أن يوجد إثم ظاهر يوجد إثم باطن ، والإثم الباطن سابق على الإثم الظاهر . والتقنينات البشرية كلها تحمينا من ظاهر الإثم ، ولكن منهج السياء بحمينا من فساد ظاهر الإثم وباطن الإثم .

ويوضح لنا الحق الفرق بين تقنين البشر للبشر وتقنين الإله ، فسبحانه رقيب على مواجيدكم ووجداناتكم وسرائركم ، فإياكم أن تفعلوا باطن الإثم ، ولا يكفى أن تحمى نفسك من أن يراك القانون ؛ لأن قصارى ما يعمل القانون أن يمنع الناس من أن يتظاهروا بالجريمة ويقترفوها علائية ، والفرق بين تشريع السهاء وتشريع الأرض أن تشريع الأرض يحمى الناس من ظاهر الإثم ، ولكن تشريع السهاء يحمى الناس من ظاهر الإثم هو أعنف أنواع الإثم في الأرض .

وبعض أهل الاكتباب في الشر برياضتهم على الشر يسهل عليهم فعل الشر وكأنهم يفعلون أمراً قد تعودوا عليه بلا افتعال .

و 3 كسب 4 _ كها نعلم _ تأتى بالاستعمال العام للخير ، و 3 اكتسب ۽ تأتى للشر لأن الخير يكون فيه الفعل العمل رتيباً مع كل الملكات ، ولا افتعال فيها ، فمن يريد _ مثلاً _ أن يشترى من محل ما فهو يذهب إلى المحل في وضع النهار ويشترى . لكن من يريد أن يسرق فهو يرتب للسرقة ترتيباً آخر ، وهذا افتعال ، لكن الافتعال قد يصبح بكثرة المران والدربة عليه لا يتطلب انفعالاً ، لأنه قد أضحى لوناً من

00+00+00+00+00+00+0\f\.\D

الكسب. وا يكسبون الله على الربح ؛ لأن اكسب الدل على أنك أخذت الأصل والزيادة على الأصل ، والإنسان حين يصنع الخير إنما يعطى لنفسه مقومات الحياة ويأخذ أجر الآخرة زائداً ، وهذا هو قمة الكسب .

ويريد الحق سبحانه وتعالى من العبد في حركته أن يحقق لذاته نفعاً هو بصدد الحاجة إليه ، ولكن الإنسان قد يحقق ما ينفعه وهو بصدد الحاجة إليه ، ثم ينشأ من ذلك الفعل ضرر بعد ذلك ؛ لذلك يحمى الله الإنسان المؤمن بالمنهج حتى يمييز بين ما يحقق له الغرض الحالى ويحقق نفعاً عمداً ولا يأتى له بالشر وما يحقق له نفعاً عاجلاً ولكن عاقبته وخيمة ونهايته أليمة ، إننا نجد الذين يصنعون السيئات ويميلون عاجلاً ولكن عاقبته وخيمة ونهايته أليمة ، وانا نجد الذين يصنعون السيئات ويميلون للشهوات - مثلاً - يحققون لأنفسهم نفعاً مؤقتاً ، مثل التلميذ الذي لا يلتفت إلى دروسه ، والذي ينام ولا يستيقظ ، والذي إن أيقظوه وأخرجوه من البيت ذهب ليتسكع في الشوارع ، هو في ظاهر الأسر يحقق لنفسه راحة ، لكن ماله إلى الفشل . بينما نجد أن من اجتهد وجدً وتعب قد حقق لنفسه النفع المستمر الذي لا تعقبه ندامة .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكُسِبُونَ الإِنَّمَ سَيُجْزُونَ بِمَا كَانُوا يَقْتُرِفُونَ (١١١) ﴾ [سورة الانعام]

ففى الدنيا نجد أن الجزاء من بشر لبشر ، ولكن ماذا عن لحظة العرض أمام الله وهو العليم بظاهر الإثم وباطن الإثم ؟

فالذي يصون المجتمع - إذن - هو التقنين السماوي ، فالمنهج لا يحمى الإنسان عن حوله فحسب ولكنه يقنل لحركة الإنسان لتكون صحيحة .

ويعود الحق بعد ذلك إلى قضية الطعام فيقول:

﴿ وَلَا تَأْكُواْ مِمَالَةُ يُذَكِّرِ اَسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ، لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَطِينَ لَيُوحُونَ إِنَّ أَوْلِيَا بِهِمْ لِيُجَدِدُ لُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿ فَا اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ لِيُجَدِدُ لُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿ فَا اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّ

WE WILL

@11.10@+@@+@@+@@+@@+@

وهنا يسمى الحق ما لم يذكر اسم الله عليه بدد الفسق، وهو ما تشرحه الآية الأخرى وتبرزه باسم مخصوص:

﴿ قُل لا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَى مُحَرِّمًا عَلَىٰ طَاعِم يَطْعَمُهُ إِلاَّ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مُسنفُوحًا أَوْ لَحُمْ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أَهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ . . (١٤٠٠ ﴾ [سررة الأنمام]

إذن فـ * فسقاً معطوفة على الميتة والدم المسفوح ولحم خنزير ، لكنه سبحانه فصل بين المعطوف وهو (فسقاً) ؛ والمعطوف عليه بحكم يختص بالمعطوف عليه ، وهذا الحكم هو الرجس وهكذا أخذت الثلاثة المجرمات حكم الرجس . وعطف عليها ما ذبح وذكر عليه اسم غير الله كالأصنام وهو قد جمع بين الرجس والفسق .

ويقول الحق: قوإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم وسبحانه يريد أن يبين لنا أن الفطرة السليمة التي لا عيلها هوى تصل إلى حقائق الخير ، ولذلك نجد أن الذين يحثون ويحض بعضهم بعضا على الشر ويعلم بعضهم بعضا بخفاء إنما يأخذون مقام الشيطان بالوسوسة والتحريض على العصيان والكفر ؛ لأن المسألة الفطرية تأبى هذا ، وحين يرتكب إنسان موبقة من الموبقات ، إنما يلف لها ويتحايل ليصل إلى ارتكاب الموبقة ، وقد يوحى بذلك إلى غيره ، فيدله على الفساد . ويكون بذلك في مقام الشياطين الذين يوحون إلى أوليائهم بإعلام خفى ؛ لأن الفطرة السليمة تأبى الأشياء الشريرة وتقف أيضاً فيها ، ولا يجعلها تتقدم إلى الشر إلا الهوى ، فإذا ما أراد شيطان من الإنس أو شيطان من الجن أن يزين للناس قعلاً قهو لا يعلن ذلك مباشرة . إنما يلف ويدور بكلام ملفوف مزين ،

« وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم وإن أطعتموهم إنكم لمشركون »
 وفي ذلك إشارة إلى قول المشركين : تأكلون ما قتلتم أنتم ولا تأكلون ما قتل الله وأنتم
 أولى أن تأكلوا مما قتل الله .

﴿ . وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ (11) ﴾

[سررة الأنعام]

والانتقاء

00+00+00+00+00+00+0

وكأن مجرد الطاعة لهؤلاء المشركين لون من الشرك؛ لأن معنى العبادة امتثال وائتمار عابد لمعبود أمراً ونهياً ، فإذا أخذت أمراً من غير الله فإنه يخرج بك عن صلب وقلب منهجه مبحانه وبذلك تكون قد أشركت به .

ويقول الحق بعد ذلك :

﴿ أَوْمَن كَانَ مَيْسَتَافَأَحِيدَنَهُ وَجَعَلْنَالَهُ, نُورًا يَمْشِى يِهِ مِفِ النَّاسِ كَمَن مَّنَهُ رِفِ الظَّلُمَنِ لَيْسَ بِخَارِج مِنْهَا كَذَ لِكَ زُيِنَ لِلْكَنْفِرِينَ مَا كَانُواً بِخَارِج مِنْهَا كَذَ لِكَ زُيِنَ لِلْكَنْفِرِينَ مَا كَانُواً يَعْمَلُونَ شَنْ إِلَى الْكَنْفِرِينَ مَا كَانُوا

والحق سبحانه وتعالى - كما عرفنا - يعرض بعض القضايا لا عرضاً إخبارياً منه ، ولكن يعرضها باستفهام ؛ لأنه - جل وعلا - عليم بأنه حين يأتى لك الاستفهام ، ثم تدير ذهنك لتجيب فلن تجد إلا جواباً واحداً هو ما يريده الحق . إذن فالأسلوب أحياناً يكون أسلوباً خبريا أو يكون استفهاماً بالإثبات أو استفهاماً بالنفى . وحين يعرض سبحانه القضية التى نحن بصدها يوضح وهو العليم أنك إن أحببت أن تجيب فلن تجد إلا الجواب الذى يريده الحق .

إننا نجد في الآية الكريمة موتاً وحياة ، وظلاماً ونوراً .

وما هي الحياة ؟ . الحياة هي وجود الكائن على حالة غكنه من أداء مهمته المطلوبة منه ، وما دام الشيء يكون على حالة يؤدي بها مهمته ففيه حياة ، وأرقى مستوى للحياة هو ما تجتمع فيه الحركة والحس والفكر ، وهذه الأمور توجد كلها في الإنسان . أمّا الحيوان ففيه حس وحركة وليس عنده فكر ، غير أن الحيوان له غريزة أقوى من فكر الإنسان ، فهو محكوم بالغريزة في أشياء وبالاختيار في أشياء ، وليس لك في الغريزة عمل ، لكن في مجال الاختيار لك عمل ، تستطيع أن تعمله وتستطيع ألا تعمله .

0111100+00+00+00+00+00+0

إذن فالحياة هي أن يكون الكائن على حال يؤدى به مهمته المطلوبة منه . وعلى هذا الاعتبار ففي الإنسان حياة ، وفي الحياة حياة ، وفي النبات حياة ، وفي الجماد حياة ، وكلما تقدم العلم يثبت لنا حيوات أشياء كثيرة جداً كنا نظن ألا حياة فيها ، وإن ظهر لنا في التفاعلات أن بعض الأشياء تتحول إلى أشياء أخرى ، فعلى سبيل المثال الحيوان فيه حياة فإذا ذبحناه وأكلناه ، ورمينا عظامه ، كانت فيها حياة من نوع ثم صارت أجزاؤه إلى جمادية لها حياة من نوعها ، بدليل أنه حبن يمر بعض من الزمن يتفتت العظم ،

وكنا قديماً في الريف نحلب اللبن في أوعية من الفخار وتوضع في مراقد ، ويستمر اللبن أسبوها في المرقد ، ويكون أحلى في يومه عن أمسه ، ويزداد اللبن حلاوة كل يوم ، ثم تأخذ زوجة الفلاح قطعة الفشطة الأخيرة وتصنع منها الجبن الجميل الطعم ، أو الزيد لكن بعد أن غلينا اللبن نجده يفسد بعد عدة ساعات ؛ لأنك حين وضعته في المرقد ، أخذته بالحياة فيه فظلت فيه حيوية حياته ، لكن جبن غليته فقد قتلت ما فيه من الحياة ، فإن لم تضعه في ثلاجة لا بد من أن يتعفن ، ومعنى التعفن أنه لم يعد يؤدى مهمته كلبن ، إنما انتقل إلى حياة أخرى بفعل البكتريا وغيرها ، ولا يُذهب الحياة إلا الهلاك وهو ما قاله الحق :

﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكُ إِلاَّ وَجُهُهُ . . (٨٨ ﴾

إذن ، لا تأخذ الميت على أنه شيء ليس فيه حياة ، ولكنه انتقل إلى حياة ثانية . ﴿ أَوْ مَن كَانَ مَيْنًا فَأَحْيَيْنَــُهُ وَجَعَلْنَا لِهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ . . (١٣٠٠)

[سررة الأنعام]

كأن للإنسان حياة في ذاته ، ثم جعل الحق له نوراً يمشى به ، كأن الحياة متنقلة في أشياء ، ويحتاج الإنسان إلى حياة ، ويحتاج إلى نور تنضح به مراتى الأشياء . وكانوا قديماً يعتقدون أن الإنسان يرى حين ينتقل شعاع من عينه إلى المرثى فيراه ، إلى أن جاء العربى المسلم ابن الهيثم . وقال هذا رأى جانبه الصواب في قانون الضوء ، وقال : إن الإنسان يرى ؟ لأن شعاعاً من المرثى يصل إلى عين الرائى ، بدليل أن المرثى إن كان في ضوء يدركه الإنسان ، وإن كان في ظلمة لا يدركه الإنسان ،

00+00+00+00+00+0******

ولو كانت الأشعة تخرج من عين الإنسان لرأى الأشياء سواء أكانت في نور أم في ظلمة، وتعدلت كل النظريات في الضوء على يد العالم المسلم، وجاءت من بعد ذلك الصور الفوتوجرافية والسينما. إذن فالنور وسيلة إلى المرثيات.

ويترك الحق سبحانه وتعالى فى أقضية الكون الحسية أدلة على الأقضية المعنوية ؛ فالنور الحسى الذى نراه إما ضوء الشمس وإما ضوء القمر، وإما ضوء المصباح، وإما غير ذلك، وهذا ما يجعل الإنسان يرى الأشياء، ومعنى رؤية الإنسان للأشياء أن يتعامل معها تعاملاً نفعيا غير ضار. ونحن نضىء المصباح بالكهرباء حين يغيب التور الطبيعى - نور الشمس - وعندما نضىء مصابيحنا نرى الأشياء ونتفاعل معها ولا نحطمها ولا تحطمنا، وكل واحد منا يأخذ من النور على قدر إمكاناته. إذن كل واحد يضىء المكان المظلم الذى اضطر إليه بغيبة المنير الطبيعى على حسب واحد يضىء المكان المظلم الذى اضطر إليه بغيبة المنير الطبيعى على حسب استطاعته، فإذا ظهرت الشمس أطفأنا جميعاً مصابيحنا؛ هذا دليل من أدلة الكون الحسية الملموسة لناخذ منها دليلاً على أن الله إن قعل لقيمنا نورا فلا ناتى بقيم من عندنا، مادامت قيمة موجودة.

ويوضح الله أن الإنسان بدون قيم هو ميت متحرك، ويأتيه المنهج ليحيا حياة راقية. ويوضح سبحانه لكل إنسان: احرص على الحياة الثانية الخالدة التي لا تنتهى وذلك لا يتأتى الا بانباع المنهج، وإياك أن تظن أن الحياة فقط هي ما تراه في هذا الوجود لأنه إن كانت هذه هي غاية الحياة لما أحس الإنسان بالسعادة؛ لأنه لو كانت الدنيا هي غايتنا للزم أن يكون حظنا من الدنيا جميعاً واحداً وأعمارنا واحدة، وحالاتنا واحدة، والاختلاف فيها طولاً وقصراً وحالاً دليل على أنها ليست الغاية ؛ لأن غاية المتساوى لابدأن تكون متساوية.

إذن فقول الله هو القول الفصل:

﴿ وَإِنَّ الدَّارُ الآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيْوَانُ . . 1 ﴾

[سورة العنكبوت]

فهذه هي الحياة التي لا تضيع منك ولا تضيع منها، ولا يفوتك خيرها ولا تفوته. إذن فالذي يحيا الحياة الحسية الأولى وهي الحركة بالنفخ في الروح هو ميت متحرك.

0111100+00+00+00+00+00

﴿ أُومَن كَانَ مَيْكَ فَأَحْدِينَهُ وَجَعَلْنَا لَهُ وَثُورًا يَمْشِي بِهِ ٩

﴿ مِن الآية ١٢٢ سورة الأنعام)

أى أنه سبحانه قد أعطى لمثل هذا العبد حياة خالدة ونوراً يمشى به ، لا يحطم ولا يتحطم .

أما من يقول : إن الحياة بمعناها الدنيوي ، لا تختلف عن الحياة في ضوء الإيمان ، لمثل هذا نقول : لا ، ليس بينهما تساوٍ فهما مختلفتان بدليل أن الحق يقول :

﴿ اَسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلْرَسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُ ﴾

(من الآية ٢٤ سورة الأنفال)

فسبحانه يخاطبهم ، وما دام يخاطبهم فهم أحياء بالقانون العادى ، لكنه سبحانه أنزل لرسوله المنهج الذى يميا به المؤمن حياة راقية ، وافطنوا إلى أن الحق سبحانه وتعالى أعطى ومنح الروح الأولى التي ينفخها في المادة فتتحرك وتحس بالحياة الدنيا ، إنّه أعطاها المؤمن والكافر . ثم يأت بروح ثانية تعطى حياة أبدية . ولذلك سمى منهج الله لخلقه روحاً :

﴿ وَحَادَالِكَ أُوحَيِنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَ ﴾

(من الآية ؟٥ سورة الشورى)

فالمنهج يعطى حياة خالدة .

إذن فقوله الحق: وأو من كان ميتاً فأحييناه ع أى أو من كان ضالاً فهديناه ، او من كان كافراً فجعلناه مؤمناً . ولنلحظ أن فيه و ميتاً ع بالتخفيف ، وفيه ميت بالتشديد . والميت هو من يكون مآله الموت وإن كان حيًّا ، فكل منا ميت وإن كان حيًّا ، فكل منا ميت وإن كان حيًّا . ولكن الميت هو من مات بالفعل وسلبت وأزهقت روحه . ولذلك يخاطب الحق نبية صلى الله عليه وسلم فيقول له : (إنك ميّت) .

أى تؤول إلى الموت وإن كنت حيًّا الآن . لأن كُلًّا منا مستمر فى الحياة إلى أن يتلبس بصفة الفناه ، ويقول الحق : 1 فأحييناه ، أى بالمنهج الذى يعطبه حياة ثانية ، ولذلك سمّى الفرآن روحاً ، وسمّى من نزل بالقرآن روحاً أيضاً .

وجعلنا له نوراً يمشى به فى الناس ، ولماذا يمشى به فى الناس فقط ، وليس بين كل الأشياء ؟ ؛ لأن الأشياء الأخرى من الممكن أن تحتاط أنت منها ، ولكن كلمة الناس تعبر عن التفاعل الصعب لأنهم أصحاب أغيار . ويتابع الحق : ه كمن مثله فى المظلمات ليس بخارج منها » وهذا تساؤل جوابه : لا ، أى ليس كل منها مساويا للآخر ، مثلها نقول : هل يستوى الأعمى والبصير ؟ . والفطرة هنا تقول : لا ، مثلها تؤكد الفطرة عدم استواء الظلمات والنور ، أو الغلل والحرور ، وهنا يَأْمَننا الله على الجواب ؛ لأنه سبحانه - يعلم أن الأمر إذا طرح كسؤال وكاستفهام فلن نجد إلا جواباً واحداً هو ما يريد الحق أن يقوله خبراً .

ويذيل الحق الآية :

﴿ كَذَالِكَ زُيْنَ لِلْكَاغِرِينَ مَا كَانُواْ يَعْمَدُونَ ﴾

(من الآية ١٣٢ سورة الأنعام)

والمعنى هنا أى تركناهم عرضة لأن ينفعلوا للتزيين ، ولم يحمهم الحق بالعصمة في اختيارهم ؛ لأنه سبحانه قد ترك الاختيار حرا للإنسان :

﴿ فَمَن شَآة فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآة فَلْيَكُفُرُ ﴾

(من الآية ٢٩ سورة الكهف)

ويقول الحق من بعد ذلك :

﴿ وَكَذَالِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْبَيَةٍ أَكْبِرَ مُجْرِمِيهَا لِيمَّكُرُواْ فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِمِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِمِمْ

وقول الحق سبحانه : « وكذلك » تدل على أن شيئاً شبَّه بشيء ، فكها وُجد في مكة من يناصبك العداء ويناهضك ويقاومك في أمر الدعوة إلى الله ، ويصدّ عن

سبيل الحق؛ إن تلك قضية لست فيها بدعاً من الرسل؛ لأن هذه المسألة قضية سائدة مع كل رسول في موكب الإيمان، و اكذلك أي كما جعلنا في مكة مجرمين يمكرون جعلنا في كل قرية سبقت مع رسول سبق هذه المسألة، فلم تكن بدعاً من الرسل. وحيث إنك لم تكن بدعاً من الرسل فلتصبر على ذلك كما صبر أولو العزم من الرسل. وأنت أولى منهم بالصبر؛ لأن مشقاتك على قدر مهمتك الرسائية في الكون كله، فكل رسول إنما جاء لأمة محدودة ليعالج داءً محدوداً في زمان محدود، وأنت قد جئت للأمر العام زماناً ومكاناً إلى أن تقوم الساعة، فلابد أن تتناسب المشقات التي تواجهك مع عموم رسالتك التي خصك الله بها.

﴿ وَكُذَا لِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكُسْبِرَ مُجْرِمِيهَا . . (٢٣٠) ﴾ [سورة الأنعام]

والإجرام هو مأخوذ من مادة الجيم او الراه او الميم الجرم والجورم والجورم والجورمة والجورمة من القطع والمجرميه المجمع مجرم ومجرم من أجرم وأجرم أى ارتكب الجرم والجريمة ومعنى ذلك أنه قطع نفسه بالجويمة عن مجتمعه الذي يعايشه فهو يعزل نفسه لا لمصلحة لأحد إلا لمصلحته هو افكانه قام بعملية انعزال اجتماعى وجعل كل شيء لنفسه ، ولم يجعل نفسه لأحد الأنه يريد أن يحقق مرادات نفسه غير مهتم بالتاتج التي تترتب على ذلك .

إذن فالإجرام هو الإقدام على القبائح اقداماً يجعل الإنسان عازلاً نفسه عن خير مجتمعه؛ لأنه يريد كل شيء لنفسه . ومادام يريد كل شيء لنفسه فعامل التسلط موجود فيه، ويرتكب الرذائل . ولأنه يرتكب الرذائل فهو يريد من كل المجتمع أن تنتشر فيه مثل هذه الرذائل؛ كي لا يشعر أن هناك واحداً أحسن منه ،

﴿ . لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلاَّ بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿ ١١٠ ﴾ [سورة الانعام]

والمكر - كما نعرف - مأخوذ من النفاف الأغصان بعضها على بعض التفافأ بحيث لا تستطيع إذا أمسكت ورقة من أعلى أن تقول هذه الورقة من هذا الفرع؛ لأن الأغصان والفروع ملفوفة ومتشابكة ومجدولة بعضها مع بعض. والماكر يصنع ذلك

لأنه يربد أن يلف تبييته حتى لا يُكشف عنه، ومادام يفعل ذلك فاعلم من أول الأمر أنه ضعيف التكوين؛ لأنه لو لم يعلم ضعف تكوينه لما مكر لأن القوى لا يمكر أبدأ، بل يواجه، ولذلك يقول الشاعر:

وضعيفة فإذا أصابت فرصة تتلت كذلك قدرة الضعفاء

والضعيف عندما يملك فهو يحدث لنفسه بأن هذه فرصة لن تتكرر، فيجهز على خصمه خوفاً من الا تأتى له فرصة أخرى، لكن القوى حين يأتى لخصمه فيمسكه ثم قد يحدث نفسه بأن يتركه، وعندما يرتكب هذا الخصم حماقة جديدة فيعاقبه. إذن فلا يمكر الا الضعيف. والحق سبحانه وتعالى في هذه المسألة يتكلم عن المجرمين من أكابر الناس، أى الذين يتحكمون في مصائر الناس، ويفسدون فيها ولا يقدر أحد أن يقف في مواجهتهم. وهناك كثير من الآيات تتعلق بهذه المسألة، وبعضها وقع فيه الجدل والخلاف، ومن العجيب أن الخلاف لم يصف، وكل جماعة من العلماء الجدل والخلاف، ومن العجيب أن الخلاف لم يصف، وكل جماعة من العلماء يتمسكون برأيهم، وهذه الآية التي نحن بصدد خواطرنا عنها تلتقي مع القول الحق: يتمسكون برأيهم، وهذه الآية التي نحن بصدد خواطرنا عنها تلتقي مع القول الحق:

﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُهُلِكَ قُرْيَةً أَمَرْنَا مُتُرَفِيهَا فَقَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمُرْنَسُهَا تَدُمِيرًا (١٦) ﴾ [سورة الإسراء]

وهذه الآية فيها اشكال، وقامت بسببها معركة بين العلماء؛ فنجد منهم من يقول: وكيف يأمر الله أناساً بالقسق؟ وحاولوا أن يعجدوا تأويلا لذلك فقالوا: إن الحق قد قسر وأجبر أكابر هؤلاء الناس على الفسق والجانب الثاني من العلماء قالوا: لا، إن الحق لا يقسر البشر على الفسق، بل على الإنسان حين يقرأ كلمة أمر الله في المنهج فلابد أن يعرف أن هذا الأمر عرضة لأن يطاع وعرضة لأن يعصى؛ لأن المأمور وهو المكلف - صالح أن يفعل ، وصالح الا يضعل ، وأن الأمر قد أمر الله بشىء، والمأمور له حق الاختيار؛ وبذلك تجد أكابر القوم إنما استقبلوا أمر الله بالعصيان؛ لأن الحق هو القائل:

﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهُ . . (ف) ﴾

[صورة البيئة]

0111100+00+00+00+00+0

والفسق _ إذن _ مترتب على اختيار المأمور .

وحين نتامل نحن بالخواطر معنى : ﴿ أَمَرَ الله ﴾ نجد أَنْ أَمَرَ الله يَتَمَثَّلُ فَى التَّكُويَاتِ الطّبيعية الكونية ولا يوجد لأحد قدرة على مخالفة الله فى ذلك ، فهو القائل : ﴿ إِنَّا أَمَرُهُ إِذَا أَرَادُ شَيْئًا أَنْ يقولُ لَه كُنْ فَيَكُونَ ﴾ .

ويتمثل أيضاً أمر الله في التشريعات ، وللبشر الذين نزلت لهم هذه التشريعات أن يختاروا بين الطاعة أو العصيان ، وسبحانه القائل عن الأمر بالتشريع : (وما أمروا إلا ليعبدوا الله) .

وحين يقول الحق : ﴿ وَإِذَا أَرِدْنَا أَنْ نَهَلَكُ قَرِيةً أَمَوْنَا مَتَرْفِيهَا فَغُسَقُوا فَيْهَا ﴾ .

فسبحانه لا يهلك هذه القرية ظلماً ، وإنما يرسل إليهم المنهج ، فإن أطاعوا فأهلًا وسهلًا ، وإن عصوا فلابد لهم من العقاب بالمدمار .

وهكذا نرى أن العلماء الذين ظنوا أن الفسق مترتب على الأمر من الله لم يلتفتوا إلى أن ورود الأمر في القرآن جاء على لونين : أولا : أمر التكوين بالقهريات فلا يستطيع المامور أن يتخلف عنه ، ويمثل الأمر القهرى قوله الحق :

(سورة يس)

فالأمر جاهز في عالم الأزل ليبرز حين بشاء الحق . والأمر الثاني : هو الأمر التشريعي وهو صالح لأن يختار المكلف بين أن يطبع أو يعصى ، وفي هذا الإطار نفهم قوله الحق :

﴿ وَإِذَاۤ أَرَدْنَآ أَن نُهُلِكَ قَرْبَةُ أَمْرِنَا مُتَرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَكَ عَلَيْهَا الْقُولُ فَدَمَّ نَنْهَا

تَدْمِيرًا ١

(سورة الإسراء)

فلا تقل : إن الله يأمر بالفسق ؛ فالحق قد أمر المؤمنين بالمنهج لأنه سبحانه لا يأمر بالفحشاء ، بل جاء الأمر لكل البشر أن يعبدوا الله مخلصين له الدين ، لكن كبار

أهل هذه القرية أخذوا البديل للطاعة وهو الفسق والمعصية ، فلها أمرهم ففسةوا ماذا يصنع بهم ؟ ، هو سبحانه يدمرهم تدميرا . فإن كان في الكونيات فلا أحد من خلق الله مكلف في الكونيات ، أما أمره الثاني في اتباع المنهج فلنا أن نفهم أنه الاختيار .

وهكذا نعلم ونفهم معنى هذه الآية لتلتقي مع الآية التي نحن بصدد خواطرنا عنها: أي وإذا أردنا أن نهلك قرية أنزلنا منهجاً لها فأكابرها كانوا أسوة سيئة الهسقوا فيها بعدم إطاعة منهج الله فحق عليها القول فدمرناها تدميرا . وكذلك _ أيضاً نفهم قوله الحق: « وما يمكرون إلا بأنفسهم وما يشعرون » لأن المكر إنما يزيد به الماكر أن يحقق شيئاً من طريق ملتو لأنه ضعيف لا يمكن أن يواجه الحقائق ، وهذه الحقائق تستقبلها الفطرة السليمة ، وهو يريد تزييف المسألة على هذه الفطرة لذلك الحقائق تستقبلها الفطرة السليمة ، أنت تريد أن تحقق لنفسك خيراً عاجلاً وشهوة يلتوى . ولمثل هذا الماكر نقول : أنت تريد أن تحقق لنفسك خيراً عاجلاً وشهوة موقوتة ، ولكنك إن استحضرت العقوبة التي تنشأ من هذا الأمر بالنسبة موقوتة ، ولكنك عقوبتك على أنك أضللت الآخرين لرأيت كيف يأتي الشر .

﴿ وَمَا يَمْ كُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾

ر من الآية ١٢٣ سورة الأنمام) . أي لا يعلمون ، لأنهم لا يوازنون الأمور بدقة تؤدى إلى النفع الحقبقى . . ويقول الحق بعد ذلك :

﴿ وَإِذَا جَاءَتُهُمْ ءَايَةٌ قَالُواْ لَنَ نُوْمِنَ حَتَى نُوْقَى مِثْلُ مَا أُولِهُ مَا اللهِ اللهِ اللهُ أَعْلَمُ حَيثُ يَجْعَلُ مِثْلُ مَا أُولِيَ رُسُلُ اللهِ اللهُ أَعْلَمُ حَيثُ يَجْعَلُ مِسْكَالْتُهُ اللهِ اللهُ أَعْلَمُ حَيثُ يَجْعَلُ مِسْكَالتُهُ اللهِ مَا كَانُواْ يَمْكُرُونَ صَعَالَ عِندَ اللهِ وَعَذَابُ شَدِيدُ إِمَا كَانُواْ يَمْكُرُونَ صَعَالًا فَيَ اللهِ وَعَذَابُ شَدِيدُ إِمَا كَانُواْ يَمْكُرُونَ صَعَالًا فَيْ اللهِ وَعَذَابُ شَدِيدُ إِمَا كَانُواْ يَمْكُرُونَ صَلَى اللهِ وَعَذَابُ شَدِيدُ إِمَا كَانُواْ يَمْكُرُونَ صَلَى اللهِ وَعَذَابُ شَدِيدُ إِمَا كَانُواْ يَمْكُرُونَ اللهِ اللهِ وَعَذَابُ شَدِيدًا إِمَا كَانُواْ يَمْكُرُونَ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ وَعَذَابُ شَدِيدُ إِمَا كَانُواْ يَمْكُرُونَ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ وَعَذَابُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللّهُ اللهُ اللّهُ اللهُ ا

وكأن الآية التي أرسلها الله مع رسوله وهي القرآن لتثبت لهم صدقه في البلاغ عن

O111100+00+00+00+00+00+0

الله لم تقنعهم ، ولم يكتفوا بها، بل طالبوا بأيات أخرى ، فهم قد قالوا:

﴿ وَقَالُوا لَن نُوْمِنَ لَكَ حَتَىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الأَرْضِ يَنْبُوعًا ۞ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِن نُخِيلٍ وَعِنْبٍ فَتَفَجِّرُ الأَنْهَـٰرَ خِلسْلَهَا تَفْجِيرًا ۞ أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كَسَفًا أَوْ تَأْتِي بِاللّهِ وَالْمَلائِكَةِ قَبِيلاً ۞ ﴾ [سورة الإسراء]

هم لايريدون أن يؤمنوا بل إنهم يدخلون في اللجاج، والتماس سبل الفرار من الإيمان؛ لذلك تجد أن كل الحدج التي وقفوا بها أمام دعوة الرسول هي أكاذيب؛ فقالوا إنه ساحر يفرق بين المرء وزوجه، وبين الولد وأبيه، ويدخل بما جاء به - ويزعم أنه من عند الله - الفتنة في الأسرة الواحدة.

لكن لماذا لم يتساءلوا: مادام قد سحر غيرنا فلماذا لم يسحرنا؟ . وهل تأبوا هم على السحر؟ . وهل للمسحور رغبة أو خيار مع الساحر؟ . إنهم في ذلك كاذبون .

ثم قالوا: إن الرسول على شاعر . ولو أن أحداً غيرهم قال مثل هذا الكلام لكان مقبولاً لأنه يجهل رسول الله ، ولأنه لبس من قوم هم أهل فصاحة وأهل بلاغة وأهل بيان ، إنهم يعرفون الشعر ، والنثر ، والخطابة والكتابة . فلو كان هذا الأمر من غيرهم لكان القول مقبولاً ، ولذلك نجد منهم من تصفو نفسه يقول : والله ماهو بقول كاهن ولا بقول شاعر . ويطلب الحق منهم ألا يقولوا رأيا جماهيريا ؛ ففي الرأى الجماهيرى يختلط ويلتبس الحق بالباطل . بل كان يطلب منهم أن يكون الكلام محدداً بحيث تنسب كل كلمة إلى قائلها فيقول الحق :

﴿ قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِزَحِدَةٍ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَقُزَدَىٰ ثُمُّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةً . . (13) ﴾

أى لا تأثوا في أثناء هياج الناس وتتهموا الرسول الله بالجنون؛ لأن قوموالله قولكم في الهياج الجماهيري غير محسوب على أحد لكن المطلوب أن تقوموالله

00+00+00+00+00+0117.0

مثنى أى اثنين اثنين ، وكل اثنين يقولان : هيا بنا نستعرض أمر هذا الرسول ونري قضاياه : أهو كاهن ؟ . أهو ساحر ؟ . أهو شاعر ؟ فبين الاثنين لا يضيع الحق أبداً لأن كلاً منهما يناقش الأخر ، وحين يجلس اثنان للنقاش ، إذا انهزم منهما واحد أمام الآخر لا يُفضح أمام الغير ، لكن حين يتناقش ثلاثة أو أربعة فكل منهم يخاف أن ينهزم أمام غيره ، ونجد كل واحد يدافع عن نفسه . ولذلك حين يجلس اثنان معاً ينهزم أمام غيره ، ونجد كل واحد يدافع عن نفسه . ولذلك حين يجلس اثنان معاً ليتناقشا ، ويبحثا أى أمر لا يخشى أحدهما الهزيمة ؛ لذلك يأتي الأمر من الله أن يقوموا لئه مثنى أو فرادى ، ويتذكر كل واحد منهم أمر هذا الرسول : أهو مجنون ؟ .

إن أفعال المجنون وأعماله تكون متقطعة غير مستقيمة . ومحمد على خلق عظيم ، وهل يقال للمجنون : إنه على خلق عظيم ؟ ؛ لأن الإنسان منا لا يعرف كيف سيقابله المجنون ، أيضربه ، أيشتمه ، أيقطع له ملابسه ؟ . أمّا اخلق العظيم فمعناه الخلق المضبوط بالقيم ، وخلق رسول الله صلى الله عليه وسلم مضبوط بالقيم حتى صار ملكة وليس أمراً افتعالياً . وحين يقول الناس عن إنسان إن خلقه الكرم أى قد تأصلت فيه صفة الكرم تأصلاً بحيث أصبحت تصدر عنه أفعال البذل بيسر وسهولة ، والصفة حين ترسخ في النفس تصير هي الخلق وتصدر عن النفس الأفعال بيسر وسهولة . وفي أعمال المعاني نسميها خلفاً ، وفي أعمال المادة نسميها آلية .

وكلنا يعرف أن الإنسان إن أراد أن يتعلم قيادة سيارة فهو يتعلم الأفعال التي تؤدي إلى سير السيارة حتى يكتب المهارة ويؤديها بيسر وبدون صعوبة ، وكذلك الشأن في الخلق حين تصدر عنه الأفعال بدربة ومهارة ، ونجد على سبيل المثال من يتعلم المفقه ، فيستعرض الأمر من كل أوجهه في الفقه ، فيستعرض الأمر من كل أوجهه في وقت طويل ، لكن من يتدرب يصبح الفقه بالنسبة إليه ملكة ، فلا يتعب في استنباط الحكم . كذلك الخلق .

ويوضح لهم الحق: أنتم تقولون عن الرسول: إنه مجنون ، فاجلسوا مثنى مثنى أو فرادى وادرسوا تصرفاته ستجدون أنها تصرفات منطقية مبنية على خلق كامل مكتمل ، وهو سلوك يختلف بالتأكيد عن سلوك المجنون ؛ لأن المجنون لا ضابط له في حركاته ولا في سكناته ولا فيها يأن ولا فيها يدع . وكذلك لا يمكن أن يكون شاعراً ؛ لأنكم أنتم أهل شعر ، وكذلك ليس بكاهن ؛ فالكهنة قد يستبدلون بآيات

011100+00+00+00+00+0

الله ثمنا قليلا، وهو الذي أعلن لكم رفض الملك والثروة والجاه. لكنهم قالوا: ﴿ وَإِذَا جَاءَتُهُمُ آيَةٌ قَالُوا ثَن نُؤْمَنَ حَتَىٰ نُؤْتَىٰ مثلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ الله .. (١٢١) ﴾

[سررة الأنعام]

وقد حدث الوليد بن المغيرة نفسه بذلك، وكان من ناحية السن أسن من رسول الله، ومن ناحية المال كان غيّا، ومن ناحية الأولاد عنده العزوة والولد، وقال: لو كانت الرسالة بكل هذه الأمور لكنت أنا أولى بهذا لأننى أسن ولأننى أكثر مالأ ولأننى أكثر ولداً. وهو قد قاسها بمقاييس البشر، وكأن الوليد لم يكن يعلم أن الرسالة ليست رئاسة ، فإذا كنت أنت دون غيرك عندك المال وعندك الأولاد وعندك الزروع وغير ذلك لكنك لست على خلق محمد على الذي فطره الله عليه وأعده واصطفاه ليكون رسولا، ولكن مع هذا قال بعضهم:

﴿ وَقَالُوا لَوْلا نُزِّلَ هَسْدَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُل مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ (١٦) ﴾[سورة الزخوف] ولنسمع رد القرآن :

﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمُتَ رَبِّكَ . . ٢٠٠٠) ﴾

ويوضح لهم الحق: نحن قسمنا بينهم الأمور الحياتية، لكنكم تريدون تقسيم رحمة الله ، وفرق بين الرحمة في الرسالات وبين امتداد الحياة بالأقوات والمال؛ لأن هذه عطاءات ربوبية. لكن الرحمة هي عطاءات الوهية، انكم تميزتهم في دنياكم بالمال والبنين والبساتين لا لخصوصية فيكم ولكن لأن نظام الكون كله إنما يحتاج إلى مواهب متكاررة، ولو امتلك كل الناس مثل ما عندك يا وليد من أرض ومسال لما وجدت من يفلح لك الأرض، ولما كنان عندك من يسرج لك الفرس. ولهذا جعل الحق مسألة الثروة دولا، أي يقلب سبحانه هذه الأمور لتكون متداولة بين الناس؛ تكون لهذا في زمن ولآخر في وقت وزمن آخر ولا تدوم لأحد.

وحين جاء الناس إلى أبي جهل يحدثونه في الرسالة قال: زاحمنا بني عبد مناف في

المنالانعفاء

00+00+00+00+00+0

الشرف؛ أطعموا فأطعمنا، كسوا فكسونا، ذبحوا فذبحنا. حتى صرنا كفرسى رهان، قالوا: منا نبى يوحى إليه والله لا نرضى به ولا نتبعه أبداً الا أن يأتينا بوحى كما يأتيه، ومعنى كفرسى رهان، أى فحين تنطلق الخيل في السباق في وقت واحد كانوا بدقون عوداً في الأرض عند نهاية السباق ومن يجذبه من الأرض يقال له: حاز قصب السبق، وعود القصبة هو غاية المشوار، حتى لا يقولن أحد لقد سبقنى بخطوة أو غير ذلك.

وهنا يقول الحق : ﴿ وَإِذَا جَاءَتُهُمُ آيَةٌ ﴾.

وانظر إلى كلمة «جاءتهم آية»، فمرة يقول: (قد جئناك بآية من ربك)، ومرة يقول: «جاءتهم آية»، فكأن الآية بلغت من وضوحها ومن استقلالها ومن ذاتيتها وخصوصيتها أنها تجيء.

﴿ قَالُوا لَن نُؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِي رُسُلُ اللَّهِ . (٢٢٤ ﴾ [سورة الانعام]

ويقول الله لهم رداً عليهم: لا تقترحوا ذلك على الله ؛ لأن الله أعلم حيث يجعل رسائته ؟ ولأن الرسالة إنما تجيء لتنشر خيراً في الجميع، ولكنها تعف نفسها عن آثار الانتفاع من ذلك الخير. والغير يريد أن يأتي له الخير ثم يترك بعضاً من الخير للناس، والرسول قد جاء لينشر خيره للاخرين، وهو نفسه لا ينسال من هذا الخير إلا البلاغ به. ويأمر سيدنا رسول الله على قبل أن يموت ألا يأخذ أهله الزكاة، أما ما تركه فقد صار صدقة للناس، أي أنه لم ينتفع به في الدنيا؛ لذلك هو مأمون على الرسالة، ولم يرد أن يأخذ الدنيا ليرثها أهله من بعده، وقد أراده الله كذلك ليكون خيره لكل الناس. فالرسالة تكليف، والنبوة ليس جزاؤها هنا، بل من عظمة ليكون خيره لكل الناس. فالرسالة تكليف، والنبوة ليس جزاؤها هنا، بل من عظمة الجزاء أنه في الآخرة، ولذلك حينما جاء رسول الله على بيعة العقبة وقالوا: اشترط لغضك. قال: تمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم وتعملون كذا وتعملون كذا.

قالوا له : فما لنا ؟ أنت اشترطت لنفسك ، فما لنا إن نحن وفينا؟. ماذا قال الرسول على ؟ . قال الرسول على ؟ . قال الرسول الله ي الله المحالة . هذا هو الشمن الذي عنده ،

O141700+00+00+00+00+0

فمن يريد الجنة يأتى إلى الإيمان، ومن يريد ما هو دون الجنة فليس مكانه مع أهل الإيمان. مع أنه قال لهم فيما بعد ستركبون السفن وتفرشون الزرابي والوسائد وتجلسون عليها، وبشرهم بالكثير، لكنه لم يقل لهم ذلك من البداية لأن من هؤلاء من لا يدرك خيراً في الذنيا مع الإسلام ؛ بل يموت والإسلام ضعيف واتباعه في قلة، لذلك أعطاهم الجزاء المضمون لهم جميعاً حين قالوا له: ماذا إن نحن وقينا؟. قال: لكم الجنة، وكأنه على يعلمهم أن الدنيا أهون من أن تكون جزاءً على العمل الصالح، فجزاء العمل الصالح خالد لا يفوتك ولا تفوته.

ُ ﴿ وَإِذَا جَاءَتُهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَن نُؤْمِنَ . . (١٠٠٠) ﴾

وحين نتأمل قولهم: (لن نؤمن) نجد أن في هذا القول إصراراً على عدم الإيمان، أى لن نؤمن حتى في المستقبل إنهم تحكموا في المستقبل. ثم يفضحهم الله فيموت بعضهم على الكفر، ومن بقى منهم يأتون مؤمنين بعد الفتح. ومن العجيب أن العبارة التي ينطقون بها هي عبارة مهزوزة لاتستقيم مع منطق الكفرمنهم، قالوا: لن نؤمن حتى نؤتي مثل ماأوتي رسل الله، كأنهم قد عرفوا أن هناك رسلا من الله، والأصل في الآية أن يؤمنوا برسل الله ورسول الله تلك خاتم الرسل، وهذا القول يدل على منجرد المعارضة المقترنة بالغباء، فما دمتم تعرفون أن لله رسلا يصطفيهم، فكيف تحاولون أنتم تحديد إرادة الله في الاختيار؟.

إن رسل الله كانت لهم آيات كونية ، حسية مرئية ، وهي وإن كانت فيها قوة الممشهد الملزم ، إلا إنه لا ديمومة لها ، فمن رأى سيدنا موسى وهو يضرب البحر فينفلق لن يكذب هذه الآية الكونية ، إلا أنها أصبحت خبراً والخبر مناسب لمحدودية رسالة موسى ، وكذلك رسالة عيسى عليه المراكزة الأكمة والأبرص بإذن الله . وهذه رسالات لزمن محدود وفي قوم محدودين ، لكن الرسول ملكة جاء ومعه المنهج المعجزة الباقى إلى قيام الساعة ، فإن كانت المعجزة حسية فلن يراها إلا قوم مخصوصون لأن الأمر الحسى لايتكرر ، بل يتهى ، وسيدنا محمد رسول إلى أن تقوم الساعة ، فلا بدله من آية باقية إلى قيام الساعة ؛ لذلك كانت الآية وسول إلى أن تقوم الساعة . فلا بدله من آية باقية إلى قيام الساعة ؛ لذلك كانت الآية في المعنويات والعقليات التي لا تختلف فيها الأزمان ،

لكنهم أرادو معجزة حسية، وأخرى عقلية، حتى إذا جاءت واحدة فقط أنكروا الثانية، فحسم الحق الأمر وقال: ١ الله أعلم حيث يجعل رسالته،

ولو نظروا إلى كلمة «الله أعلم حيث يجعل رسالته»، فكلمة اأعلم» تدل على أنه قد يمكن الله بعضاً من خلقه ليعلموا لماذا اختار الله محمداً من الله الذين واجههم منه أمر الدعوة، هل انتظروا منه أن تكون له آية أو معجزة، أو آمنوا به بجرد الإخبار؟ . لقد آمنوا بمجرد الإخبار؟ لأن تجربتهم معه أكدت أنه صادق وأمين على خبر الأرض، ولابد أن يكون مأمونا على خبر السماء ؟ لأنه لم يكذب عليهم في أمر الأرض، فكيف يكذب في أمر السماء ؟

إننا نجد أن سيدنا أبا بكر، بمجرد أن علم بأمر الرسالة قال: صدقت، وسيدتنا خديجة صدقته من فور أن قال، وأخذت صدق بلاغه من مقدمات حياته، وقالت أول استنباط فقهى في الأسلام. وكان ذلك لسيدتنا أم المؤمنين خديجة قبل أن يعرف الفقه بمعناه الإصطلاحي الحديث، مما يدل على أن الاستنباطات للأدلة هي استنباطات للعقل الفطرى السليم البعيد عن الأهواه. إنه يقدر أن يستقرىء الأمر استنباطات للعقل الفطرى السليم البعيد عن الأهواه. إنه يقدر أن يستقرىء الأمر ولابد أن يهتدى ، فحين أعلن لها أنه خائف أن يكون الذي أصابه مرض أو مس من الجن رفضت ذلك لأنه يصل الرحم، ويحسمل الكلّ، ويعسين على نوائب الدهر، وقالت له: والله لا يخزيك الله أبداً.

إذن فقد جاءت بالمقدمات التي ترشح أن ربنا لا يمكن أن يخذله، وكل المقدمات مفاخر، كلها خلق عظيم، وكلها التقاءات إنسانية قبل أن يأتي منهج السماء، التقاءات إنسانية بالفطرة دون تقدير أو تدبير، وكان هذا أول استنباط فقهي في الإسلام. ولذلك نعرف السر لماذا جعل الله لرسوله أم المؤمنين خديجة أول زوجة له؟ لأنه ستمر به فترة لا يحتاج فيها إلى زوجة فقط، بل إلى ناضجة، ذلك النضج الكامل الذي تستقبل به مسائل النبوة، ولذلك حين يخرج إلى الغار تأتي له حكمة خديجة في الاستنباط قبل أن يوجد فقه الإسلام؟

«الله أعلم حيث يجعل رسالته»؟ ، وهم قد أصروا على ألا يعلموا على الرغم من أنهم وجدوا منه خصالاً وأشياء حكموا بوجودها فيه وأنها صفات رسول.

○ 1110.0+00+00+00+00+00+0

﴿ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْ صَغَارُ عِندَ ٱللَّهِ ﴾

(من الآية ١٢٤ سورة الأنعام)

هنا نجد فجوة انتقالية في الأداء، فمن قبل يتحدث سبحانه عمن يظنون أنهم كبار، فيأتي ليقول: إن الصغار سيصيبهم، وليس معنى الصغار الذل والهوان لدى الناس، لا، بل صغار وذل وهوان عند نفس كل منهم ذاتيًا، فكل منهم سيشعر بالذل أمام نفسه ويستصغر نفسه، كأن الصغار سيصيب الإنسان في نفسه، ويكون هذا الصغار من عند الله، وما دام الصغار منسوباً إلى عندية الله فهو لا يزول أبداً ؛ لأنه لا توجد قوة ثانية تقول لله إن قدرك لن يتحقق. فالصغار والذل والهوان سينزل بهم وهم مع كونهم أكابر المجرمين فلن يستطيعوا دفعه عن أنفسهم، وسيصيبهم مع ذلك عذاب شديد.

لاذا العذاب الشديد؟

لقد قلنا من قبل: إن العذاب يوصف مرة بأنه أليم ، ويوصف مرة أخرى بأنه مهين ، ويوصف هنا بأنه شديد . والعذاب المهين الذي تكون فيه ذلة النفس . والعذاب الأليم الذي يكون في البنية ؛ لأن الإنسان له بنية وله معنويات قيمية ، فمن ناحية البنية يصيبه العذاب ، ومن ناحية المعاني النفسية تصيبه الإهانة ، فهناك من يتعذب لكنك لا تملك أن تهينه ويتحمل المشقة برجولة ، ومها تلقى من الإهانة فلا تزال نفسه كريمة عليه ، مصداقاً لقول الشاعر :

وتجلدى للشامنين أريمو أن لريب الدهر لا أتضعضع للذلك ينزل قدر الله بالعذاب على نوعين : عذاب بنية وعذاب قيم ، وهذا هو الصغار ، والعذاب الشديد ، وهو الذي لا يقوى الإنسان على تحمله ، ولم يُنزل الحق العذاب بهؤلاء جزافاً ، لكنه بسبب ما كانوا عكرون ، فسبحانه هو القائل :

ع وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِن كَانُواْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾

(من الآية ١١٨ سورة النحل)

والحق سبحانه وتعالى حينها عرض هذه القضية عرضها ليبين لنا أنه لم يرغم بقدره خلقاً من خلفه على مسائل الاختيار في التكليف بل أوجد ذلك في إطار:

00+00+00+00+00+00+0+71770

﴿ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكُفُو * . . (١٠) ﴿ السورة الكهف]

ولكن الإرغام من الحق جاء للأمور القهرية القدرية الكونية الخارجة عن نطاق التكليف، أما أمر التكليف فالله سبحانه وتعالى قال فيمن يرفضون الطاعة: «يصيب الذين أجرموا صغار عند الله وعذاب شديد» وسبحانه قد أوضح لنا: نحن لم نجعل ذلك قهراً منا لهم دون عمل عملوه باختيارهم بل إن العذاب والصغار كانا جزاءً لمكرهم.

ثم يأتي الحق سبحانه وتعالى لنا بقضية يقع فيها الجدل التبريري لبعض الناس الذين أسرفوا على أنفسهم، ويريدون أن يجعلوا إسرافهم على أنفسهم في الذنوب خاضعا لأن الله أراد منهم ذلك؛ فيقول سبحانه:

تجد من يقول إن ربنا حين يريد لإنسان أن يشرح صدره للإسلام فذلك من إرادة الله وماذنب المكلف إذن؟ .

وللرد على هذا نقول: لقد عرفنا من قبل أن الهداية لها معنيان: المعنى الأول: الدلالة وهى أمر وارد وواجب حتى للكافر. فإن هُدى الله للكافر أن يدله إلى طريق الخير، ولكن هناك هداية من نوع آخر وهى للذى آمن، ويصبح أهلاً لمعونة الله بأن يخفف عنه أعباء التكاليف وييسرها له ويجعله يعشق كل الأوامر ويعشق البغض والتجافى عن كل النواهى.

١٠٠٠ الانعفاء

O111100+00+00+00+00+0

يقول بعض الصالحين: اللهم إنى أخاف ألا تثيبنى على طاعة، لأنى أصبحت أستهيها اكأنه عشق الطاعة بحيث لم يعد فيها مشقة أو تكليفاً، لذلك فهو خائف، وكأنه قد فهم أنه لابد أن توجد مشقة ، ولمثل هذا الإنسان الصالح نقول: لقد فقدت الإحساس بمشقة التكليف لأنك عشقته فألفت العبادة كما ألفتك وعشقتك ، وحذت الانجذاب بينك وبين الطاعة ، وجعلت رسول الله مشلاً لك وقدوة ، فقد كان تلك برى أنه إذا نودى إلى الصلاة يقوم الناس إليها كسالى لكنه تلك يقول لبلال حينما يأتى وقت الصلاة : "أرحنا بها يابلال».

وهذا غير مايقوله بعض عمن يؤدون الصلاة الآن حيث يقول الواحد منهم: هيا نصل لنزيحها من على ظهورنا، وهؤلاء يؤدونها بالتكليف لابالمحبة والعشق, أما الذين ألفوا الراحة بالصلاة حينما يحزبهم ويشتد عليهم أمر خارج عن نطاق أسبابهم، يقول الواحد منهم: مادامت الصلاة تريح القلب، فلأذهب إليها وألقى ربى زائداً على أمر تكليفه لى منقربا إليه بالنوافل، ولذلك كان رسول الله منظم إذا حزبه أمر قام إلى الصلاة، ومعنى حزبه أن الأسباب البشرية لاتنهض به، فيقوم إلى الصلاة، وهذا أمر منطقى، ولله المثل الأعلى.

كان الإنسان منا وهو طفل إذا ما ضايقه أمر يذهب إلى أبيه، فما بالنا إذا ما ضايقنا أمر فوق الأسباب المعطاة لنا من الله فلمن نروح؟ إننا نلجأ لربنا ولقد كان الله إذا حزبه أمر قام إلى الصلاة.

إذن فعشق التكليف شيء يدل على أنك ذقت حلاوة الطاعة، وقد يجوز أنه شاق عليك؛ لأنه يخرجك أولاً عما ألفت من الاعتباد. فعندما يأتبك أمر فيه مشقة تقول: إن هذه المشقة إنما يريد ابها لي حسن الجزاء، فبإذا ما عشقت الصلاة صارت حبّا لك، وكان واحد من الصالحين - كما قلت - يخاف ألا يشاب على الصلاة لأنها أصبحت شهوة نفس، والإنسان مطالب بأن يحارب نفسه في شهواتها لكن رسول الله عقة وضع لنا المثل فقال: «لا يؤمن أحدكم حتى يصبح هواه تبعاً لما جثت به أي يصبح ما يشتهيه موافقا لمنهج الله، فإذا وصل وانتهى المؤمن إلى هذه المنزلة فهو نعم العبد السوى.

وهكذا عرفنا أن الهداية قسمان : هداية بمعنى الدلالة، وهداية بمعنى المعونة.

00+00+00+00+00+011/A

فإذا ما اقتنعت بهداية الدلالة وآمنت بالحق فنبحانه يخفف عليك آمور المتكليفيد... ويجعلك عاشفاً لها ، ولذلك يقول أهل الصلاح : ربنا قد فرض علينا خس صلوات ، وسبحانه يستحق منا الوقوف بين يديه أكثر من خس مرات ، وفرض علينا ربنا نصاب الزكاة وهو اثنان ونصف بالمائة ، وسبحانه يستحق منا أكثر من ذلك لأنه واهب كل شيء ، وهذا عشق التكليف ، وهذا هي معنى قوله : (قمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام) ،

ه فمن يرد الله أن يهديه ه أى يدلّه سبحانه كه دل كل العباد إلى المنهج ، لكن الذي اقتنع بالدلالة وآمن يسهل عليه تبعات التكليف مصداقاً لقوله الحق :

عِ وَيَزِيدُ اللهُ الَّذِينَ الْمَنْدُواْ هُدًى وَالْبَنْمِينَاتُ الصَّلِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِكَ ثُوابًا وَخَيْرٌ مُرَدُّا ﴿ مُرَدُّا ﴿ ﴾

(سورة مريم)

فهذه هداية المعونة ، وفيه فرق هنا بين الإسلام والإيمان لأن الإيمان لا يحتاج فقط إلى الاعتقاد ؛ إنما هو حمل النفس على مطلوبات الإيمان . ولذلك نجد أن كبار رجال قريش رفضوا أن يقولوا : « لا إله إلا الله » ؛ لأنهم علموا أنها ليست مجرد كلمة تقال ، ولكن لها مطلوبات تنعب في التكاليف الناتجة عنها به افعل » و و لا تفعل » . فالتكليف يقول لك : « افعل » لشيء هو صعب عليك ، ويقول لك : « افعل » لشيء هو صعب عليك ، ويقول لك : « افعل » لشيء هو صعب عليك ، ويقول لك : « لا تفعل » لذلك يقول سبحانه :

﴿ فَن يُرِدِ اللهُ أَن يَهْدِيهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ ﴾

(من الآية ١٢٥ سورة الأنعام)

ومبحانه يشرح صدره للإسلام بعد أن علم أنه قد اعتقد شريعة التوحيد ورضيها واطمأن بها ، فيأتي إلى فهم التكاليف ؛ لأن صحيح الإسلام يقتضى الانقياد لأمور التكاليف ، فمن أخذ الهداية الأولى وآمن بربه ، يوضح له سبحانه : آمنت بى وجئتنى ؛ لذلك أخفف عنك تبعات العمل ، ويشرح صدره للإسلام ، وشرح الصدر قد يكون جزاءً . فسبحانه هو القائل :

O111100+00+00+00+00+00+0

﴿ أَلَّا نَفْرَحُ لَكَ صَدْرَكَ ٢٠٠٠

(سورة الشرح)

فقد جازاه ربنا بذلك ؛ لأنه أدّى ما عليه وصمد . كأن الله يريد بالإيمان من المؤمن أن يقبل على الحق ، يبحث العبد ليتعرف على المراد والمعللوب منه فيعلم أنها التكاليف ، فإذا رأى الله منك الاستعداد المتميز لقبول التكاليف ، فإنه يخففها عنك لا بالتقليل منها ، ولكن بأن يجملك تشتهيها ، وقد تلزم نفسك بأشياء فوق ما كلفك الله ؛ لتكون من أهل المودة ومن أهل التجليات ومن اللذين يدخلون مع الله في ود ، وتلتقت لنفسك وأنت تقول : لقد كلفني الله بالقليل وسبحانه يستحق الكثير . فنزيد من طاعتك وتجد أمامك دائماً الحديث القدسي :

ه من عادى فى وليا فقد آذنته بالحرب ، وما تقرب إلى عبدى بشىء أحب إلى عما افترضته عليه ، ولا يزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به ، ويده التى يبطش بها ، ورجله التى يشى بها ه(١) .

أي بالأمور التي تزيد على ما كلفه في الصلاة والزكاة والصيام والحج.

إذن فمعنى و فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام و أى يجعل الأمور التي يظن بعض من الناس أنها متعبة فإنه بإقباله عليها وعشقه لها بجدها مريحة ويقبل عليها بشوق وخشوع . ولذلك فالحق سبحانه وتعالى يترك في خلقه مُثلًا للناس ، فنجد المال عزيزاً على النفس حريصة عليه لأنه إن كان المال قد جاء بطريق شرعه الله وأحله فهو يأتي بتعب وبكد ؟ لذلك يحرص عليه الإنسان ، فيحنن الله العبد من أجل البذل والعطاء .

إننا نجد المؤمن يعطى للسائل لأن السائل هو الجسر الذي يسبر عليه المسلم إلى الثواب من الله ، فيقول العبد المؤمن للسائل : مرحباً بمن جاء ليحمل زادي إلى الأخرة بغير أجرة ، ولذلك عندما جاء مسلم إلى الإمام على رضى الله عنه وكرم الله وجهه . ، قال المسلم : أنا أريد أن أعرف أأنا من أهل الدنيا أم من أهل الآخرة ؟

⁽١) رواه البخاري.

واختار الإمام على مقياساً للإيمان في نفس كل مؤمن، وقال له: إن جاءك من يطلب منك، وجاء من يعطيك فأنت من أهل الدنيا، وإن كنت تهش لمن يعطيك فأنت من أهل الدنيا، وإن كنت تهش لمن يأخذ منك فأنت من أهل الآخرة؛ لأن الإنسان يحبب من يعمر له ما يحب.

إذن فر يشرح صدره للإسلام» أى يخفف عنه مناعب التكليف بحيث لا توجد مشقة، ثم يرتقى بمد ذلك ارتقاءً آخر بأن يعشقه في التكليف. ويهديه الله إلى طريق الجنة، لأن هناك هداية إلى المنهج وهداية إلى الجزاء على المنهج، ولذلك نجد القرآن يقول؛ عمن ضلوا:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغَفِرَ لَهُمْ وَلا لِيَهُدِيهُمْ طَرِيقًا (١٦٠) [سورة النساء]

كأن هناك هداية إلى العمل وهداية إلى الجزاء، ونجد الحق يقول:

﴿ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُصِلُّ أَعْمَـٰلَهُمْ (أَ) سَيَهْدِيهِمْ وَيُصَلِّحُ بَالَهُمْ () وَيُدَّخُلُهُمُ الْجَنَّةُ عَرَّفَهَا لَهُمْ () ﴾

وقد يتساءل إنسان: كيف يهدى الله من قتل، وهل هناك تكليف بعد القتل؟ . نقول: انظر إلى الهداية، إنها هداية الجزاء «سيهديهم ويصلح بالهم ويدخلهم الجنة عرفها لهم».

وهكذا نعرف أن هناك هداية الجزاء، من يحسن العمل يُجزِه الله الجنة، أما من يسيء فله عذاب في الدنيا والآخرة.

﴿ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلُّهُ يُجْعَلُ صَدْرَهُ ضَيِّفًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَعُدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يُجْعَلُ اللَّهُ الرَّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ (١٢٠) ﴾ اللَّهُ الرَّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ (١٢٠) ﴾

@11100+00+00+00+00+0C+0

والل هذا تجن من الله على خلقه؟ لا، لأنه مادام دعاهم للإيمان فآمن بعضهم وصاروا أهلاً للتحرج وضيق وصاروا أهلاً للتحرين وكفر بعضهم فلم يؤمنوا، فصاروا أهلاً للحرج وضيق الصدر، ومعنى الفيق أن الشيء يكون حجمه أقل مما يؤدى به مهمته، فحين يقال ضاق البيت بي وبعيالي، فهذا يعني أن الرجل وزوجه في البداية عاشا في غرفتن، وكان البيت متسعاً. ثم أنجبا عيالاً كثيرة فضاق بهم البيت. وهكذا نعلم أنه لم يطرأ شيء على الجدران ومساحة البيت، لكن حين زاد عدد الأفراد شعر رب الأسدة بضيق المنزل. ويقال: صدره ضيق أو ضيق فقد ورد في القرآن لفظ ضيق على لغتين: قالحق يقول:

﴿ . . وَلا تُكُ فِي ضَيْقٍ مِّمًا يَمْكُرُونَ (١٢٧) ﴾

وهناك في الآية التي نحن بصدد خواطرنا عنها توجد كلمة ضَيَّت، والحق يقول: ﴿ فَلَعَلَكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَصَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ . . (١٢) ﴾ [سورة هود]

فسا السراد من «ضائق»، و «ضيق»، و «ضيق» ؟. نعرف أن الصدر هو مكان الجارحتين الأساسيتين في التكوين: القلب والرئة، والرئة هي الجارحة التي لا تستمر الحياة الا بعملها؛ فقد تبطىء الأمعاء مثلا، أو تتوقف قليلا عن عملها، ويتغشى الرنسان على خزينه من الدهن أو اللحم ولذلك يصبر الإنسان على الجوع مدة طوبلة، ويصبر على الماء مدة أقل، لكنه لا يصبر على افتقاد الهواء لدقائق، ولا صبر لأحد على ترك الشهيق والزفير.

ولقد قلنا من قبل: إن الحن سبحانه وتعالى قد يملك بعضاً قوت بعض. وأقل منه أن يملك بعضا ماء بعض، لكن أيملك أحداً هواء أحد؟ لا؛ لأن الرضا والغضب أغيار في النفس البشرية. فإذا غضب إنسان على إنسان، وكان يملك الهواء وحبسه عنه فالإنسان يموت قبل أن يرضى عنه هذا الآخر، ولذلك لم يملك الله الهواء لأحد من خلقه أبداً.

إذن كل المسألة المتعلقة بقوله: "يجعل صدره ضيقاً حرجاً" نعلم عنها أن الصدر

00+00+00+00+00+01/170

هو محل التنفس، والرئة تأخذ الأوكسجين وتطرد ثانى أوكسيد الكربون، وعندما يصاب الإنسان بنوبة برد نراه وهو يجد صعوبة في التنفس، كأن حير الصدر صار ضيقاً، فلا يدخل الهواه الكافي لتشغيل الرئتين، ويحاول الإنسان أن يعوض بالحركة ما فاته فينهج. ويشخص الأطباء ذلك بأن المريض يريد أن يأخذ ما يحتاجه إليه من الهواء، فينهج الأن الحير قد ضاق، وكذلك عندما يصعد الإنسان سلماً، ينهج أيضاً الأن الصعود يحتاج إلى مجهود، لمعاندة جاذبية الأرض، فالأرض لها جاذبية أيضاً الإنسان، ومن يصعد إلى يحتاج إلى قوة ليتحرك إلى أعلى ويقاوم الجاذبية .

إننا نجد نزول السلم مريحاً؛ لأن في النزول مساعدة للجاذبية، لكن الصعود يحتاج إلى جهد أكثر ، فإذا ضاق الصدر فمعنى ذلك أن حيز الصدر لم يعد قادراً على أن يأخذ الهواء بالتنفس بطريقة تريح الجسم، ولذلك يقال: قفلان صدره ضيق؟ أن يأخذ الهواء بالتنفس بجهده إجهاداً بحيث بحتاج إلى هواء أكثر من الحجم الذي يسعه صدره،

اومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً والحرج معناه الحجز عن الفعل، كأن نقول حرَّجت على فلان أن يفعل كذا، أى ضيقت عليه ومنعته من أن يؤدى هذا العمل. (كأنما يصعد في السماء).

وعلمنا أن الصعود لأعلى هو امتداد لفعل الجسم إلى جهة من جهاته. فالجهات التى تحيط بأى شيء ست: هي فوق وتحت، ويمين، شيمال، وأمام، وخلف، وعرفنا أن الهبوط سهل؛ لأن الجاذبية تساعد عليه، والمشي ماذا يعني؟ المشي إلى عين أو إلى شمال أو إلى أمام أو إلى خلف، فهو فعل في الاستواه العادى الظاهر، والذي يتعب هو أن يصعد الإنسان، لأنه سيعاند الجاذبية، وهو بذلك يحتاج إلى قوتين: قوة للفعل في ذاته، والقوة الثانية لمعاندة الجاذبية.

«ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً كأنما يصعد في السماء، وذلك بسبب مشقات التكليف بسبب مشقات التكليف بعشق، فلا يدخل إلى مشقات التكليف بعشق إلا المؤمن فهو الذي يستقبل هذه التكاليف بشرح صدر وانبساط نفس وتذكر عا يكون له من الجزاء على هذا العمل، والذي يسهل مشقة الأعمال حلاوة تصور الجزاء على هذا العمل، والذي يسهل مشقة الأعمال حلاوة تصور الجزاء على عليها؛ فالذي يجتهد في دروسه إنما يستحضر في ذهنه لذة النجاح وآثار هذا النجاح

WE WILL

9¹¹1100+00+00+00+00+00+0

فى نفسه مستقبلاً وفى أهله . أما الذى لا يستحضر نتائج ما يقعل فيكون العمل شاقاً عليه . (١٠٠٠ ﴾ ﴿ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلِّهُ يَجْعَلُ صَدَّرَهُ ضَيِقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَعَدُ فِي السَّمَاءِ . . (١٠٠٠ ﴾ (سررة الأنعام)

والسماء هي كل ماعلاك فأظلك ، فالجو الذي يعلوك هو سماء ، وكذلك السحابة ، وأوضح لنا ربنا أنه أقام السموات السبع ، وهنا أراد يعض العلماء الذين يحبون أن يظهروا آيات القرآن كمعجزات كونية إلى أن تقوم الساعة ، أرادوا أن يأخذوا من هذا القول دليلاً جديداً على صدق القرآن ، وتساءلوا : من الذي كان يدرك أن الذي يصعد في الجو يتعب ويحتاج إلى مجهودين : الأول للعمل والثاني لمناهضة الجاذبية ولذلك يضيق صدره لأنه لا يجد الهواء الكافي لإمداده بطاقة تولد وقوداً .

ونقول لهؤلاء العلماء: لا يوجد مايمنع استنباط مايتفق في القضية الكونية مع القضية الكونية مع القضية القرآنية بصدق، ولكن لنحبس شهوتنا في أن نربط القرآن بكل أحداث الكون حتى لانتهافت فنجعل من تفسيرنا لآية من آيات القرآن دليلاً على تصديق نظرية قائمة، وقد نجد من بعد ذلك من يثبت خطأ النظرية ،

إنه يجب على المخلصين الذين يريدون أن يربطوا بين القرآن لمافيه من معجزات قرآنية مع معجزات الكون أن يمتلكوا اليقظة فلا يربطوا آيات القرآن إلا بالحقائق العلمية، وهناك فرق بين النظرية وبين الحقيقة؛ فالنظرية افتراضية وقد تخيب.

لذلك نقول: أنبعد القرآن عن هذه حتى لاتعرضه للذبذبة. ولا تربطوا القرآن إلا بالحقائق العلمية التي أثبتت التجارب صدقها.

وقائل القرآن هو خالق الكون، لذلك لاتناقض الحقيقة القرآنية مع الحقيقة الكونية ؛ لذلك لا تما حقيقة القرآنية وتحصرها في شيء وهي غير محصورة فبه, وتنبه جيداً إلى أن تكون الحقيقة القرآنية حقيقة قرآنية صافية، وكذلك الحقيقة الكونية.

﴿ .. كَأَنَّهَا يَصَعْدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْمَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الْمَدِينَ لا يُولِنَ مِنُونَ (170) ﴾ [سررة الأنعام]

00+00+00+00+00+0T1TEO

والرجس وهو العذاب ، إنما يأتيهم بسبب كفرهم وعدم إقبالهم على التكليف .

ويقول الحق بعد ذلك :

﴿ وَهَاذَا ضِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا قَدُ فَصَلَانَا ٱلْآيَاتِ لَيْنَتِ لِنَا اللهَ لَيْنَتِ لِنَا اللهَ اللهُ اللهُ

و « هذا » مقصود به ما تقدم من آيات . من كتاب الإسلام وهو القرآن ، وذلك ما يشرح الصدر القابل للإيمان ، والقرآن هو الحامل لمنهج الإسلام ؛ فمرة تعود الإشارة إلى القرآن أو إلى الإسلام . وليس هناك خلاف بين القرآن أو إلى الإسلام .

(وهذا صراط ربك مستقياً). و ه الصراط ، هو الطريق السوى ، والطريق السّوى قد يكون مع استوائه معوجاً لكن هذا الطريق مستو ومستقيم ، ونعلم أن الطريق المستقيم هو أقصر الطرق الموصلة للغاية . وعلى هذا فصراط لا تغنى عن مستقيم ، ومستقيم لا يغنى عن صراط ، بل لابد من صراط معبد ومستقيم ليكون أقصر طريق إلى الغاية وبلا متاعب ، إننا _ نحن البشر _ نرى المهندسين وهم يقيسون الأبعاد والمسافات والغايات والبدايات والنهايات ، وبعد ذلك يربطون البدايات بالغايات ،

إنهم يحضرون آلات معينة ليرصدوا استقامة الطريق وكيفية تمهيده. وقد يعترض استقامة الطريق عقبات صعبة شديدة كَأَدَاء كجبل مثلاً ، فيقوم المهندسون إما بنحت نفق في الجبل ليضمنوا له الاستقامة ، وإما بأن يجنى الطريق ليضمنوا جودة تعبيد الطريق . فإن جاء المهندسون وقالوا نمشى من هنا لنضمن استقامة الطريق فإننا نفعل ذلك . وإلا جعلوا الطريق متعرجاً أو حلزونياً ؛ وذلك ليتفادى السائر العقبات التي ليس له قدرة عليها .

لكن إذا كان الصراط قد مهده رب ، أتوجد له عقبة ؟ طبعاً لا ، إذن فهو طريق مستقيم . ولنلحظ أنه سبحانه قال : « صراط ربك » أى أنه جاء بها من ناحية

الربوبية ، والربوبية عطاء الرب ، إنه سيد ، ومرب ، وخالق الخلق ويضمن هم ما يعينهم على مهمتهم في الوجود معونة ميسرة سهلة . وهكذا نعرف أن طريق الحق هو الصراط المعبد المستقيم ، أى الذي يصل بين البداية والنهاية . فإن كان الطريق الذي نتبعه مستقيماً ومعبداً ، وسهلا ، فلماذا لا نتبعه ؟

وهذا صراط ربك ، ونلحظ أنه سبحانه قد أسند الرب لمحمد ، أى من أجل خاطره جعل الصراط مستقيماً ؛ لأنه سبحانه هو المتولى لربوبيتك يا محمد ، وسبحانه رب الكون كله ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم عين أعيان الكون .

﴿ وَهَا ذَا صِرَاهُ رَبِّكَ مُسْتَقِيماً قَدْ فَصْلَنَا ٱلْآيَاتِ لِفَوْرِ يَذْ كُونَ ١٠٠٠ ﴾

(سورة الأنعام)

و فصلنا و أى أن كل شىء فى هذا الكون مخلوق لما يناسبه ، وكل قضية من قضايا الكون خلقها ربنا لتحقق الفائدة منها بدون مشقة ، وبدون عنت . والمنهج الذى أنزله الله إنما يصلح الكون ويجعل كل شىء فيه مناسباً لمهمته ؛ لأن الله إله كل الناس وهم بالنسبة إليه سواء لأنه لم يتخذ لا صاحبة ولا ولداً . ولا يعطى سبحانه الحياة لمخلوق ويوجده فى الكون ، ثم يعرّبه من أسلحة الحركة فى الحياة ، ولكل إنسان سلاح من موهبة أو قدرة وبذلك تتعدد الأسلحة والمواهب والقدرات ، فمن يريد أن يبنى بيناً ، أنقول له : اذهب إلى كلية الهندسة لتتعلم كيف ترسم البيت وتخطعه ؟ أنقول له : تعلم كيف تكون فنيا وكهربائيا ونقاشاً ؟ إن الفرد الواحد لا يمكن أن يتعلم كل هذه التخصصات ، لذلك وزّع الله المواهب على خلقه ؛ هذا عنده موهبة ليممل لنفسه ، ويعمل لغيره . وبعد ذلك يأن غيره ليؤدى له عملاً ليس له فيه موهبة بعيث يتكامل المجتمع كله ولا يتكرر أفراده .

ولو كنا تخرجنا جميعاً كأطباء أو مهندسين لما نفعت الدنيا ، ومن نقول عليهم : إنهم فشلوا في التعليم يقومون بأعمال في الحياة ما كنا نستطيع الحياة بدونها ؛ فقد خلقهم الله بقدرات عقلية عدودة ليهبهم قدرات أخرى تصلح في مهمات أخرى . وإن تعلم المجتمع كله تعليهاً عاليا لصار الهرم مقلوباً . وإن انقلب الهرم فمعني هذا أن أجزاة منه ستكون بغير دعائم في الأرض . لذلك نجد أن هناك إعدادا عقليا أراده الحق لكل واحد من الحلق ، ولا نستطيع أن نقول لكل إنسان : تعلم وتخرج في

@@#@ @@+@@+@@+@@+@@+© r\r\@

الجامعة ثم اكنس الشارع . وكن في الغد حداداً . لذلك ربط الحق كل عمل بالحاجة إليه ، ومن يحسن استقبال قدر الله في نفسه يُعطِ الله له من العمل كل الخير .

ونلحظ الآن أن من يعمل موظفاً في الدولة يحيا في راتب محدود ، بينها تجد السباك يقدرعمله بأجر يحدده هو ، ويبقى الويل والتعب لمن كان تقدير عمله في يد غيره . (وهذا صراط ربك مستقيماً قد فصلنا الآيات لقوم يذكرون) .

وانظر كل قضية في الكون ، لم يُدخل ابن آدم فيها أنفه تجدها مستقيمة ، ولا يأتي الفساد إلا في القضايا التي أدخل ابن آدم أنفه فيها بدون منهج الله . فإن دخلت في كل مسألة بمنهج الله يستقم الكون تماماً . ولذلك يلفتنا الحق سبحانه وتعالى إلى النظام الأعلى في كونه والذي لا تدخل لنا فيه . ولا سيطرة عليه ؛ السموات ، والكواكب ، والشمس ، والقمر ، وحركة الأرض ، كل تلك الكائنات نجد أمورها تسير بانتظام ، ولذلك يقول لنا الحق سبحانه :

﴿ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ﴾ أَلَّا تَطَغُواْ فِي ٱلْمِيزَانِ ﴾

(سورة الرحمن)

فإن أردتم أن تستقيم أموركم فى شئونكم وأحوالكم الاختيارية فادخلوا فيها بمنهج الله ؛ لأن الأشياء التي تدار بمنهج الله بدون أن يتدخل فيها البشر تؤدى مهمتها كها ينبغى .

فعلى الإنسان _ إذن _ أن يتذكر كيف يأخذ من المقدمات التي أمامه ما يوصل إلى النائج ، ولابد أن يأخذ المقدمات السليمة ليصل إلى الغايات الفطرية . وأقصر الأمور أن تسأل نفسك : أنت صنعة من ؟ صنعة نفسك ؟ ! لا ، هل أنت من صنعة واحد مثلك ؟ لا . وهل أدّعى واحد في كون الله _ وما أكثر ما يُدّعى _ أنه خلقك أو خلق نفسه ؟ لا . بل أنت وهو وكل الكون من صنعة الله ، فدعوا الله يقرر قانون صيانتكم ، وسيظل الناس متعبين إلى أن يسلموا الصنعة إلى خالفها . (وهذا صواط ربك مستقياً قد فصلنا الأيات لقوم يذكرون) .

ولم يقل فصلنا الأيات لواحد ، بل قال ، لقوم ، حتى إذا ما مال أو غفل واحد في الفكر يعدله غيره . وكلنا متكافلون في التذكير ، وهذا التكافل في التذكير يعصم كل

01/1/00+00+00+00+00+0

مؤمن من نفسه؛ فإن حصل عندى قصور من سهو أو من غفلة أو من هوى يعدله غيرى. وهذه قضية كونية لو استقرأت الوجود كله وجدتها لا تتخلف أبدا، ولابد من تذكر الغاية التي جاء بها في قوله الحق:

مَرِّقُ لَمُنَّمَ دَارُ ٱلسَّلَامِعِندَ رَبِّيمٌ وَهُوَ وَلِيَّهُ مِيمَاكَانُواْ يَعْمَلُونَ ۞ ﴿ اللهِ اللهِ عَلَيْهُ مَا لُونَ ۞ ﴿ اللهِ اللهِ عَلَيْهُ مَا لُونَ ۞ ﴿ اللهِ اللهِ عَلَيْهُ ال

أى أن لهؤلاء المتقدمين الذين صبروا وصابروا ورابطوا، لهم دار السلام، وهو أسلوب مكون - كما يقال - من مبتدأ وخبر، الا أن المبتدأ أخر هنا، والخبر تقدم، وكان المنطق أن يقال: ادار السلام لهؤلاء، ولكن الأسلوب القرآني جاء ليقدم الخبر المكون من الجار والمجرور ومتعلقه، ويؤخر المبتدأ وذلك لخصوصية أرادها الحق، وهي أن هذه الدار لهم وحدهم دون غيرهم فهي خالصة لهم يوم القيامة والادار السلام، مكونة من كلمتين، لادار، ومعناها ما يستقر فيه الإنسان، ويجمع هذا المكان كل ما تتطلبه حياة الإنسان، وهي أوسع قليلاً من كلمة ابيت الأن البيت مكان يعد للبيتوتة، لكن كلمة الدار، تعد للحياة ولما يتعلق بالحياة من مقوماتها.

و «دار» هنا مضافة إلى السلام، وهو - كما نعلم - اسم من أسماه الله ، إذن فالحق هنا يوضح: لهم دار منسوبة للسلام وهو الله ، وهم مستحقون لها جزاءً منه، فإذا كانت الدار التي وعدها الله هي دار السلام وهو الله ، فلا بدأن فيها متعا وإمكانات على قدر فضل المضاف إليه وهو الله ، ولماذا لم يقل الله : «دار الله »؟ ؛ لأن الله أراد أن يأتي بوصف آخر من أوصافه ؛ ليعطيهم السلام والأمن والاطمئنان.

وهناك فوق بين دور الدنيا، وهذه الدار؛ فدور الدنيا فيها متع، ولكنك فيها بين أمرين : إما أن تفوت أنت ما هي فيه، وإما أن يفوتك ما فيها، ولذلك لا يوجد في الدنيا أمن؛ لأن غيرك قد يناوئك فيها ويعاديك، وقد تأتي لك مكدرات المرض، وقد تأتي لك معكرات الأعداء، كل ذلك ينغص عليك الأمن والسلام في الدنيا. ولذلك أراد الحق أن تكون لك الآخرة دار سلام مادمت قد آمنت، وأن تسأمن فيها

من كل الآفات التي كانت في دار الدنيا.

﴿ لَهُمْ دَارُ السَّلْسَمِ عِندُ رَبِّهِمْ . . (١٠٠٠) ﴾

وكأن دار السلام ليست وعداً من الله بأن تكون، ولكنها جاهزة معدة عند الله ومحفوظة لديه تنتظر المؤمنين، وسبحانه قد خلق جناناً تتسع لكل خلقه على فرض أنهم أمنوا، وجعل من النار مثل ذلك على قدر خلقه، على فرض وتقدير أنهم كفروا. وسيأخذ المؤمنون ما أعد لهم من دور الإيمان ويرثون ما أعد للكافرين من دور الإيمان على فرض أنهم آمنوا في الدنيا.

﴿ أُولَنْ عَلَى هُمُ الْوَارِثُونَ ۞ الَّذِينَ يُوثُونَ الْفَرْدُوسَ هُمْ فِيهَا خَلَدُونَ ۞ ﴾

[سورة المؤمنون]

فلم يخلق الحق جناناً محدودة، لا، بل أعدوهياً من الجنان ما يتسع لكل الخلق إن امنوا، ومن النيران ما يتسع لكل الخلق إن كفروا. ومادامت العندية منسوبة إلى الله فهي عندية مأمونة.

وبعد ذلك أيتخلّى الله عنهم ويكلهم إلى ما أعدّه لهم ؟. لا، بل قال : ﴿ . . وَهُو وَلِيَّهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢٢٧) ﴾

فهناك إعداد، ثم قيومية ولاية الله ، وهذه القيومية لله ، هي للمؤمنين في الدنيا . لكن فلنلاحظ أن الولاية في الدنيا قد تكون فيها أسباب مخلوقة لله ، لكن في الآخرة هناك الجزاء الذي لا يكله الله للأسباب ، فتكون الولاية مباشرة له ؛ لأنه سيعطيك قوراً ، وإذا خطر أي شي مبالك تجده حاضراً : فهي متعة على غير ما ألف الناس ؛ لأن الناس يتمتعون في الدنيا بواسطة الأسباب المخلوقة لله . ولكن في الآخرة فلا ملكية لأحد حتى في الأسباب ، لذلك يقول سبحانه :

﴿ لَمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمُ . . (11) ﴾

[سورة غافر]

O 111100+00+00+00+00+0

وستجد الإجابة هي قوله ـ سبحانه ـ :

﴿ لِلَّهِ الرَّحِدِ الْقَهَّادِ ﴾

(من الآية ١٦ سورة غافر)

والحق هو الولى الذي يليك ، قرباً تنتفع به ، فلا تضطر حتى أن تنادى عليه ليأتى لك بالمنافع ويدفع عنك المضار كها عمل لك في الدنيا ووفقك للعمل وهو وليك في الاخرة بحسن الجزاء لك بسبب ما كنت تعمل ؛ فالعمل في الدنيا هو الزرع وهو الحرث لشمرة الآخرة . ولكن أيعطينا الله على قدر أعمالنا ؟ لا ، بل يعطينا على قدر صبرنا ؛ لانه إن كان العطاء على قدر الأعمال ، إننا نو حسبناها لما أدينا ثمن عشر معشار نعم الله علينا في الدنيا . فكأننا نعمل في الدنيا لنؤدى شكر ما أفاء علينا وأعطانا من النعم ، فإذا جاء الحق سبحانه وتعالى وأعطانا بعد ذلك ثواباً فهو الفضل منه ، ولذلك يوضح الحق لن : إياكم حين توفقون في العمل أن تفتئوا بأعمالكم ، بل عليكم أن تنذكروا أن ذلك فضل من الله :

﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَ رِحْمَنِهِ عَلِدُ إِلَّ فَلْيَغْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ٢

(سورة يوتس)

وقد شرح النبي عليه الصلاة والسلام هذا الأمر وقال:

لن يُدْخِل أحداً منكم عملُه الجنة ، قالوا : ولا أنتَ يا رسول الله ؟ قال :
 ولا أنا إلا أن يتغمدن الله منه بفضل ورحمة (١٠) ،

إذن المسألة كلها بالفضل من الله ، ولكن فضل الله شرطه العمل الصالح ؛ فأنت تعمل العمل الصالح ، ويعطيك ربنا أضعافه ، وبطبيعة الحال فعملك لن ينفع جلاله أو جالة أو كماله أو يزيده صفة أو يزيده ملكاً ، لكنه يعطيك على ما عملته لنفعك ولنفع بنى جنسك .

ولذلك نجد الإمام الرازي _ رضي الله عنه _ يقول : إن العمل في ذاته يورث

 ⁽١) رواه مسلم في المنافقين واللفظ له ، ورواه السخارى في الرقاق والمرضى ، وابن ماجه في الزهد .
 والدارمي في الرقاق ، ورواه أحمد في المسند ٢٣٥/٢ ، ٢٥٦

الذات شيئا من الصفاء الذى ترتاح له وتسعد به ، حتى تجد الجزاء في الراحة ، والراحة النفسية هي الأمر المعنوى الذي يوجد في بنية مادية هي قالبك . فساعة يوجد شيء في النفس فهو يؤثر في القالب أغياراً ، فإذا غضب الإنسان فهذا الغضب يظهر أثره في البنية نفسها فيحمر الوجه ، ويرتعش الإنسان للانفعال بالغضب ، والغضب أمر معنوى لكنه أثر في البنية ، وكذلك إذا ما حدث ما يسرك ، يظهر ذلك في البنية أيضاً ؛ فتشرق وتتهلل أساريرك . إذن فالعمل يؤثر في البنية ، والبنية تؤثر في العمل .

ويقول الحق بعد ذلك :

مَنْ وَيَوْمَ يَعْشُرُهُمْ جَيعًا يَدُعْشَرَ أَلْجِينَ قَدِ السَّتَكُنُّرُتُهُمْ مِنَ الْإِنسِ وَقَالَ أَوْلِيا وَهُمْ مِنَ الْإِنسِ وَقَالَ أَوْلِيا وَهُمْ مِنَ الْإِنسِ وَقَالَ أَوْلِيا وَهُمْ مِنَ الْإِنسِ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي رَبِّنَا السَّتَمْتَعَ بَعْضُ نَا بِبَعْضِ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي رَبِّنَا السَّتَمْتَعَ بَعْضُ نَا بِبَعْضِ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي رَبِّنَا السَّتَمْتَعَ بَعْضُ نَا بِبَعْضِ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا اللَّذِي اللَّهُ اللْعُلْمُ الللللْمُ اللَّهُ اللْعُلْمُ اللَّهُ اللللْمُ اللَّهُ اللللْمُ اللَّهُ اللَّهُ اللْمُلْمُ اللَّهُ اللْمُلْمُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الْمُلْمُ اللْمُلْمُ اللَّهُ اللْمُلْمُ اللْمُلْمُ

وساعة تسمع «يوم» اعرف أنها « ظرف زمان » ، أى أن هناك حدثاً ، وقوله الحق : « ويوم يحشرهم جميعاً » أى اليوم الذي يقف فيه الجميع ويحشدون ، وحين نظر إلى ما بعدها نجد أن الحدث لم يأت ، ولكن جاء « يا معشر الجن » وهذا « نذاه » . فكأن الحدث هو التداء نفسه ، والنداء يقتضى مناديًا ، وهو الحق مبحانه ، ومنادى وهو معشر الجن والإنس ، وقولاً يبرز صورة النداء . فكأن العبارة هى : يوم يحشرهم جميعاً فيقول يا معشر الجن والإنس ، و « الحشر » هو الجمع ، و « المعشر » هم الجماعة المختلطة اختلاط تعايش ، بمعنى أن يكون فيهم كل عناصر ومقومات الحياة ، وقد يضاف المعشر إلى أهل حرفة بخصوصها ؛ يا معشر التجار ، يامعشر العلماء ، يا معشر الوزراء . لكن إن قلت : يا معشر المصريين فهى جماعة يامعشر العلماء ، يا معشر الوزراء . لكن إن قلت : يا معشر المصريين فهى جماعة غتلطة اختلاط تعايش ومعاشرة .

@1481@@+@@+@@+@@+@@+@

﴿ يَسْمَعْشُرَ الَّجِنِّ قُلْدِ اسْتَكُثُرْتُم مِنَ الإنسِ . . (١٠٠٠) ﴾

و «استكثر »أى أخذ منه كثيراً ، كمن استكثر من جمع المال ، أو استكثر من الأصدقاء ؛ فمادة «استكثر » تدل على أنه أخذ كثرة . وماذا يعنى استكثارهم من الإنس؟ . نحن نعلم أن من الجن طائعين ، ومنهم عاصون ، والأصل في العصيان في الجن «إبليس» الذي أقسم:

﴿ قَالَ فَبِعِزُ تِكَ لَأُغُرِينَهُمْ أَجْمَعِينَ (١٨) ﴾

نكأن الحق يوضع: أنكم معشر الجن قد حاولتم جاهدين أن تأخذوا الإنس إلى جانبكم واستكثرتم بهم ، فبعد أن كان العاصون فقط من شياطين الجن وجد عصاة من الإنس أيضاً ، واستكثرتم منهم ، بأن ظننتم أن لكم غلبة وكثرة وعزاً ، لأنهم إذا أطاعوكم في الوسوسة أصبحت لكم السيادة ، وذلك ماكان يحدث ، فكان الإنسان إذا مانزل وادياً مثلاً قال: أعوذ بسيد هذا الوادي-من الجن- ويطلب أن يحفظه ويحفظ متاعه ، وحينما يوسوس له شيء يارع إلى تنفيذه ، وهذا استكثار.

﴿ وَقَالَ أُولِيَا وُهُم مِنَ الإنسِ رَبُّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ . . (١١٥ ﴾ [سورة الأندام]

وكذلك لم يستمتع الجن والإنس فقط ، بل استمتع أيضاً بالجن ، وهكذا بحد تبادل استمتاع من خلف منهج الله ، لهؤلاء إغواء وسيادة ، يأمرونهم بعمل الأشياء المخالفة لمنهج الله ، وهؤلاء يستمتعون بهم يحققون لهم شهواتهم في صورة تدين ، فيقولون لهم : اعبدوا الأصنام ، واعبدوا الشمس ، واعبدوا القمر ، فيفعلون . وذلك يرضى فيهم غريزة الانقياد التديني ؟ لأن كل نفس مفطورة على أن ترتبط بقوة أعلى منها ؟ لأن الإنسان إذا نظر لنفسه وإلى قرناته وجدهم أبناء أغيار ؟ الواحد منهم يكون اليوم صحيحاً وغداً مريضاً ، ويكون اليوم غنياً وغداً فقيراً ، فما الذي يضمن للنفس البشرية حماية من هذه الأغيار؟.

إن الإنسان بحب أن بلجاً ويرتبط بقوى ؛ حتى إذا جاءت هذه الأغيار كانت

00+00+00+00+00+0****

سنداً له. إلا أن هناك من يصعدها في التدين وهؤلاء هم الذين يركنون إلى الإيمانية لله ويعتمدون عليه سبحانه ويقبلون على الإيمان بالله بمطلوبات هذا الإيمان في الفعل و الانفعل و الأنفعل الأسياء التي يعبدونها من دون الله ليس لها مطلوبات أو تكاليف إلا أن تكون موافقة لأهواء النفس ، وهذا الإكذاب للنفس أي حمل النفس على الكذب لايدوم طويلاً ؛ لأن الإنسان لايغش نفسه ؛ فالإيمان يحمى النفس إذا جاء أمر فوق أسبابك ، وليس هناك من يقول: ياشمس أو يا قمر ، ياشبطان أو يا صخر! لايمكن ؛ لأنك لن تكذب على نفسك أبداً. ومثال ذلك ياشبطان أو يا صخر! لايمكن ؛ لأنك لن تكذب على نفسك أبداً. ومثال ذلك

﴿ وَإِذَا مَسُ الإِنسَانَ الضِّرِ دَعَانَا لِجَنْبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُوَّهُ مَوْ كَأَنْ لُمْ يَدُعُنَا إِلَىٰ ضُرَّ مُسُدُ . . () ﴾

وهنا يقول الحق عن الإنس:

﴿ وَقَالَ أُولِيَازُهُم مِنَ الإنسر رَبِنَا استَمْتَعَ بَعْضَنَا بِبَعْيض وَبَلَغْنَا أَجَلْنَا الَّذِي أُجُلُت اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهُ اللّهُ اللَّهُ اللّ

أى أن هذا الاستمتاع أمداً ، هو أمد الأجل أي ساعة تنقضي وتنتهي الحياة ، ثم يبدأ الحساب فيسمعون قول الحق ;

﴿ . قَالَ النَّارُ مَثُواكُمْ خَسْلِدِينَ فِيهَا إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبُّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ (١٦٨) ﴾

[سورة الأنعام]

و «الشواء» هو الإقامة ، و «مشواكم» أى إقامتكم ، وإلا ماشاء الله ، وهذا الاستثناء كان محل نقاش بين العلماء ، دار فيه كلام طويل ؛ فهناك من قال: إن الحق سبحانه وتعالى قال: اإلا ماشاء الله ، أى أن له طلاقة القدرة والمشيئة ؛ فيقعل مايريد لكنه حسم الأمر وحدد هو «ماشاء» فقال:

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكُ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ . . (الله السورة النساء]

وهنا حدده ماشاء ، أى أن ماشاء يكون في غير الشرك به قبإن الشرك لا يكون محل غفران منه سبحانه . أو يجوز الا ماشاء الله ، أن بعضاً يفهم أنه بمجرد البعث والحشر ستكون النار مثواهم ، ولكن المثوى في النار لن يكون إلا بعد الحساب ، وهذا استثناء من الزمن الخلودي ، فلن يحدث دخول للجنة أو للنار إلا بعد الحساب . فزمن الحساب والحشر مستثنى وخارج عن زمن الخلود في الجنة أو النار .

وتحن نجد أيضاً [إلا ماشاء ربك» في سورة هود حيث يقول الحق:

﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زُفِيرٌ وَشَهِيقٌ (١٠٦) خَسُلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَت السَّمَسُواتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبُّكَ فَعَالٌ لَمَا يُرِيدُ (١٠٦) وَأَمَّا الَّذِينَ سُعدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَسُلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَسُواتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَّاءً غَيْرَ مُجَدُّودٌ (١٠٠٠) ﴾ [سورة هود]

إذن فهناك الاستثناء في النار والاستثناء في الجنة ، فقول الحق: «خالدين فيها مادامت السموات والأرض «إلا ماشاء ربك» فمجيء الاستثناء بعد الوصف بالخلود ، يدل على إن الخلود ينقطع مع أنه قد ثبت خلود أهل الجنة في الجنة وخلود أهل النار في النار للأبد من غير استثناء فكيف ذلك؟

والرد على هذا أن أهل النار لا يخلدون في عداب النار، وحده بل يعدنبون بالزمهرير وبأنواع من العذاب سوى عذاب النار عاهو أغلظ منها كلها وهو سخط الله عليهم ولعنهم وطردهم وإهانته إياهم. وكذلك أهل الجنة لهم سوى الجنة ماهو أكبر منها وأجل موقعا، وهو رضوان الله كما قال: (وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ومساكن طيبة في جنات عدن ورضوان من الله أكبر) قلهم مايتفضل الله به عليهم سوى ثواب الجنة عالايعرف كنهه إلا هو ، فهذا هو المراد بالاستثناء، والدليل عليه قوله: (عطاء غير مجذوذ) ومعنى قوله في مقابلته: (إن ربك فعال لمايريد) أن ربك يفعل بأهل النار مايريد من العذاب ، كما يعطى أهل الجنة الذي لا انقطاع له .

وللانعفال

@@+@@+@@+@@+@@+@#\{{

ويذيل الحق الآية بقوله: أإن ربك حكيم عليم الحكيم في أن يعذب ، عليم بمن يستحق أن يعذب ، عليم بمن يستحق أن يثاب وينعم ، بمن يستحق أن يثاب وينعم ، وبقول الحق بعد ذلك:

﴿ وَكَذَالِكَ نُوكِي بَعْضَ الظَّلِمِينَ بَعْضَا بِمَاكَانُواً يَكْسِبُونَ شَ الْكَالِمِينَ بَعْضَا بِمَاكَانُواً

الله الله الله الله ماحدث من الجن والإنس من الجدل ، فقال الحق على ألسنة الإنس :

[سورة الأنعام]

﴿ رَبُّنَا اسْتَمْتُعُ بِعُضْنَا بِبَعْضَ . . (١٢٨) ﴾

ولم يأت بكلام الجن ؛ لأن كلامهم جاء في آيات أخرى ؛ فالحق هو القائل:

﴿ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَّكُمْ وَعَدَ الْحَقِّ وَوَعَدَّتُكُمْ فَالْخُلَفُتُكُمْ وَعَدَ الْحَقِّ وَوَعَدَّتُكُمْ فَالْمُتَكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُم مِن سُلْطَنْنِ إِلاَّ أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلا تَلُومُونِي وَلُومُوا وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُم مِن سُلْطَنْنِ إِلاَّ أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْتُم بِمُصْرِخِيِّ . . (١٣) ﴾ [سورة إبراهيم]

وكذلك أورد الله مايجيء على لسان الشيطان في سورة أخرى:

﴿ كَمَثَلِ الشُّيُّطَنْنِ إِذْ قَالَ لِلإِنسَنْنِ اكْفُر فَلَمَّا كَفُرَ قَالَ إِنِّي بُرِيءٌ مِنك . . (() ﴾

[سورة الحشر]

وكذلك جاء الحق في آيات أخرى بأقوال الإنس الذين ضلوا:

の「11:0 DO+OO+OO+OO+OO+O

﴿ رَبُّ أَرِنَا الَّذَيْنِ أَضَلَانَا مِنَ الْجِينَ وَالْإِنِينِ تَجْعَلْهُمَا تُحْتَ أَقْدَامِنَ لِيَكُونَامِنَ الْأَسْفَلِينَ ﴾

(من الآية ٢٩ سورة فصلت)

وقوله الحق هنا في سورة الأنعام:

﴿ وَكُذَالِكَ نُولِي بَعْضَ الظَّالِينَ بَعْضًا ﴾

(من الآية ١٣٩ سورة الأنعام)

أى كيا صنعنا مع الجن والإنس ، باستكثار الجن من الإنس واستمتاع بعضهم ببعض إضلالا وإغواء ، وطاعة وانقيادا ، نجعل من بينهم ولاية ظالم على ظالم ، ولا نولى عليهم واحداً من أهل الخير ؛ لأن أهل الخير قلوبهم عملوءة بالرحمة ، لا يقوون على أن يؤدبوا الظالم ؛ فهم قد ورثوا النبوة المحمدية في قوله يوم فتح مكة : الذهبوا فأنتم الطلقاء » ، ولذلك إذا أراد الله أن يؤدب ظالماً لا يأتي له بواحد من أهل الخير ليؤدبه ، إنه _ سبحانه _ بتكريمه لأهل الخير لم يجعل منهم من يكون في مقام من يؤدب الظالم . إنه _ سبحانه _ يجعل أهل الخير في موقف المتفرج على تأديب الظالمن بعضهم بعضا .

والتاريخ أرانا ذلك . فقد صنع الظالمون بعضهم في بعض الكثير ، بينها لو تمكن منهم أعداؤهم الحقيقيون لرحموهم ؛ لأن قلوبهم عملوءة بالرحمة .

ولذلك بلغنا عن سيدنا مالك بن دينار وهومن أهل الخير . يقول : قرأت في بعض الأثار حديثاً قدسيا يقول فيه الحق :

« آنا ملك الملوك قلوب الملوك بيدى «(١) .

فإياكم أن يظن الطاغية أو الحاكم أو المستبد أنه أخذ الحكم بذكائه أو بقوته ، بل جاء به الحق ليؤدب به الظلمة ، بدليل أنه ساعة يريد الله أن تنتهى هذه المسألة فهو

⁽ ١) تذكرة الموضوعات لابن القيسران .

00+00+00+00+00+CMM0

بجلاله ينزع المهابة من قلوب حرَّاسه ، وبدلاً من أن يدفع عنه بالبندقية ، يصوّب البندقية إليه .

فإياكم أن تظنوا أن ملكا يأخذ الملك قهراً عن الله ، ولكن إذا العباد ظلموا وطغوا يسلط الحق عليهم من يظلمهم ، ولذلك يقال : « الظالم سيف الله في الأرض ينتقم به وينتقم منه » .

﴿ وَكَذَلِكَ نُولِ بَعْضَ الظَّالِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ١٠٥٠

(سورة الأنعام }

فكأن ما سلّط على الناس من شرّ عاتٍ هو نتيجة لأعمالهم ، ولذلك كان أحد الصالحين يقول : أنا أعرف منزلتي من ربي من خُلُق دابتي ؛ إن جمحت بي أقول ماذا صَنَعْتُ حتى جمحت بي الدابة ؟! وكأن المسألة محسوبة . وهذه معاملة للأخيار ، عندما يرتكب ذنباً يؤاخذ به على الفور حتى تصير صفحته نظيفة دائباً . قال عليه الصلاة والسلام : « مامن مصيبة تصيب المسلم إلا كفر الله بها عنه ، حتى الشوكة يشاكها » (١) .

فإذا فعل العبد من أهل الخير بعضاً من السيئات ، يوفّيه الحق جزاءه من مرض فى جسمه أو خسارة فى ماله ، وكذلك المسىء الذى لا يريد له الله النكال فى الأخرة . يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « ما من مسلم يصيبه أذى شوكة فما فوقها إلا حط الله تعالى له به سيئاته كما تحط الشجرة ورقها ورقها ورقها . (٢) .

(وكذلك نولى بعض الظالمين بعضاً بما كانوا يكسبون) هم اعتقدوا أنهم أخذوا شيئاً من وراء الله وخلصوا به . نقول : لا ، فربك سيحاسبك ثواباً أو عقاباً وذلك بما قدمت يداك وما عملت من سيئات أو حسنات .

ويقول الحق بعد ذلك :

⁽١) رواه البخاري ومسلم وأحمد .

⁽ ٢) رواه البخاري ومسلم عن ابن مسعود ,

﴿ يَدَمَعُشَرَ الْإِنِ وَ الْإِنْسِ الْوَيَأْتِكُمْ رُسُلُ مِنكُمْ يَعَمُّمُ وَسُلُ مِنكُمْ يَعَمُّمُ وَسُلُ مِنكُمْ يَقُصُونَ عَلَيْحَكُمْ ءَايَتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءً يَوْمِكُمْ هَانُوا عَلَيْهِ مَا يَعْتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءً يَوْمِكُمْ هَانُوا فَاللَّهُ مَا اللَّهُ مَا الْفُرِينَ أَنْ فَاللَّهُ مَا الْفُي مِن اللَّهُ مَا اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ مَا اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ مَا اللَّهُ مَا اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ مَا اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ مَا اللَّهُ مَا اللَّهُ مَا اللَّهُ مَا اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ مَا اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ مَا اللَّهُ مَا اللَّهُ اللّهُ الل

ونلاحظ أنه قال هنا: «يامعشر الجن الإنس الأنه يريد أن يقيم عليهم الحُجة بأنه سبحانه لم يجرم أعمالهم ولم يضع لهم العقوبات إلا بعد بلغهم بواسطة الرسل ؛ فقد أعطاهم بلاغاً بواسطة الرسل عما يجب أن يفعل ، ومايجب أن يترك. فلم يأخذهم - سبحانه - ظلماً .

وهنا وقعة ؟ فعالخطاب للجن والإنس األم يأتكم رسل منكم افقال بعض العلماء: إن الجن لهم رسل ، والإنس لهم رسل ، وقال آخرون: الرسل من الإنس خاصة ؟ لأن القرآن جاء فيه على نسانهم: (إنا سمعنا كتاباً أنزل من بعد موسى).

إذن فقد احتج الجن بكتاب أنزل من بعد موسى عليه السلام وعندهم خبر عن الكتاب الذى جاء بعده ، كأن الجن يأخذون رسالتهم من الإنس ؛ فكأن الله قد ارسل رسلاً من الإنس فقط وبلغ الجن ماقاله الرسول ، وهو هنا يقول سبحانه:

﴿ يَكْ مَعْشُو الَّجِنِّ وَالْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ . . (١٠٠٠) ﴾ [سورة الأنعام]

وأنت حين تأتى إلى اثنين: أولهما معه مائه جنيه ، والثاني يسير معه وليس معه شيء وتقول: «هذان معهما مائه جنيه» فهذا قول صحيح. فقوله سيحانه: « ألم يأتكم رسل منكم» أي من مجموعكم. أو أن الرسل تأتى للإنس ، وبعد ذلك من الجن من يأخذ عن الرسول ليكون رسولاً مبلغاً إلى إخوانه من الجن :

﴿ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمًا حَصَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمًا فَوَا إِلَىٰ قَوْمِهِم مُنذِرِينَ ٢٠٠ ﴾ قُضِي وَلُوا إِلَىٰ قَوْمِهِم مُنذِرِينَ ٢٠٠ ﴾

فكأن المنذرين من الجن يأخذون من الرسل من الأنس وبعد ذلك يتوجمهون إلى الجن.

﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مَنكُمْ يَقُصُونَ عَلَيْكُمْ آيَلتِي . . (١٠٠٠) ﴾ [سررة الأنعام]

والآيات تطلق على المعجزات التي تثبت صدق الرسل ، ومايكون من شرح الأدلة الكونية الدالة على صدق الرسل . وكلمة "يقصون عليكم آياتي "أى يروون لهم الموكب الرسالي من أول «آدم " إلى أن انتهى إلى «محمد " مناه . و «يقصون عليكم آياتي " قول بدل على دقة الأداء التاريخي ؟ لأن قص المأخوذ من قص الأثر ، ومعناها تنبع القدم بدون انحراف عن كذا وكذا ، وهكذا نجد أن المفروض في القصة أن تكون مستلهمة واقع التاريخ ،

﴿ يَقُصُونَ عَلَيْكُمْ آيَــــــــــــــ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا . . (١٠٠٠) اسورة الأنمام]

وهو اليوم المخزى حيث سيقفون أمام الله ويذكرهم الحق أنه قد نبههم وقد أعذر من أنذر ،

﴿ . قَالُوا شَهِدْنَا عَلَىٰ أَنفُسِنَا وَغَرَتُهُمُ الْحَيْوَةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمُ أَنَّهُمُ كَانُوا كَسْفِرِينَ (عَلَىٰ أَنفُسِهِمُ أَنَّهُم كَانُوا كَسْفِرِينَ (عَلَىٰ أَنفُسِهِمُ أَنَّهُم }

وقولهم: اشهدنا على أنفسنا القرار منهم على أنفسهم ؛ فقد شهدوا على أنفسهم، وقولهم الذي منعهم أن ينفسموا إلى الإيمان بمواكب النبوة؟. تأتى الإجابة من الحق: (وغرتم الحياة الدنيا).

والذي يفرّ هو الشيء الذي يكون له تأثير ، وهو موصوف بأنه و دنيا و !! لذلك فالغرور الذي يأتى بالدنيا هو قلة تبصّر . (وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين) . ومن يستقرىء آيات القرآن يجد آية تقول :

﴿ وَاللَّهِ رَبُّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴾

(من الآية ٢٣ سورةالأنعام)

فمرة ينفون عن أنفسهم أنهم كفروا ، ومرة يثبتون أنهم كافرون ، وهذا لاضطراب المواقف أو اختلافها . أو أنهم «شهدوا على أنفسهم » ؛ بمعنى أن أبعاضهم شهدت عليهم ؛ لأن الإنسان في الدنيا له إرادة ، وهذه الإرادة مسيطرة على ما له من جوارح وطاقات مخلوقة تله ؛ لأن الله جعل للإرادة في الإنسان ولاية على الأبعاض التي تقوم بالأعمال الاختيارية . لكن الأعمال الاضطرارية القهرية ليس للإنسان إرادة فيها ؛ فلا أحد يملك أن يقول للقلب انبض كذا دقة في الساعة ، للإنسان إرادة فيها ؛ فلا أحد يملك أن يقول للقلب انبض كذا دقة في الساعة ، ولا أن يقول للأمعاء : تحركي الحركة الدودية هكذا . لكنه يقدر أن يمشى برجليه إلى الحماد ، أو يمشى إلى الحمارة . ويستطيع أن يقرأ القرآن أو يقرأ في كتاب يضرو لا يفيد .

آذن فإرادة الإنسان مسيطرة على الأبعاض لتحقق الاختيار المصحح للتكليف . لكن يوم القيامة تسلب الإرادة التي للإنسان على أبعاضه ، وتبقى الأبعاض كلها حُرَّة ، وحين تصير الأبعاض جُرَّة فالأشياء التي كانت تقبلها في الدنيا بقانون تسخيرها / لإرادتك قد زالت وانتهت ، فهي في الأخرة تشهد على صاحبها ؛ تشهد الجلود والأيدى والأرجل :

﴿ وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدَمُ عَلَيْنَا قَالُواْ أَنطَفَنَا اللهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلُّ شَيْءٍ ﴾ (من الآية ١١ سزرة نصلت)

وحين يقولون لربنا: ما كنا مشركين ، فهذا كلامهم هم ، لكن جوارحهم تقول لهم : يا كذا بون ، أنتم عملتم كذا .

ويقول الحق بعد ذلك:

©C+©C+CC+CC+CC+C 110. C

﴿ وَاللَّهُ مَا كُن رَّبُّكَ مُهَالِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمِ وَاللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهِ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ اللَّاللَّهُ اللَّهُ اللَّا اللَّهُ اللَّا اللَّهُ اللَّا اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ الل

« ذلك » إشارة إلى ما تقدم ، وهو إرسال الرسل مبلغين عن الله ؛ حتى لا يكون لأحد حُجة بعد الرسل ، وقد أقروا بأن الله أرسل إليهم رسلا ، وشهدوا على أنفسهم ، وماداموا قد أقروا على أنفسهم بأن الله أرسل لهم رسلا وشهدوا على أنفسهم بذلك ، إذن فهذا إقرار جديد بأن الله لم يكن مهلك الغرى بظلم وأهلها غافلون ؛ لأن الحق سبحانه وتعالى قبل أن يعاقب على جُرم ، وقبل أن يجرم ينزل النص بواسطة الرسل . أى أن الله لا يهلكهم بسبب ظلم وقع منهم إلا بعد ذلك البلاغ .

و وأهلها غافلون ، و و الغفلة ، ضد اليقظة ، فاليقظة هي تنبه الذهن الدائم ، و و الغقلة ، أن تغيب بعض الحقائق عن الذهن ، ومعنى أن ربنا لا يهلك القرى بظلم وأهلها غافلون أى غير يقظين ؛ فلو أنهم كانوا يقظين ومتنهين لما احتاجوا إلى الرسل ؛ لأن الله عندما خلق الخلق أرسل آدم إلى ذربته ، وكان المفروض كما يلقن الأباء الأبناء وسائل حيانهم أن يلقنوهم مع ذلك قيم دينهم . فكما أن الآباء يعلمون ذربتهم وسائل حيانهم ، ثم ينقلونها ويزيدون عليها بابتكاراتهم ، كان من الواجب على الآباء أن يقوموا بهذا العمل بالنسبة للقيم فتعيش القيم في الناس كما عاشت وسائل حيانهم .

ولماذا _ إذن _ عاشت وسائل حياتهم وتوارثوها وزادوا عليها أشياء ؟! لأن زاوية الله الله التي يغفل الناس عنها ، بسبب أنها تقيد حركتهم في الفعل ، و لا تفعل ، ولكتهم يريدون الترف في وسائل حياتهم . لماذا إذن أبها الإنسان تحرص على الترقى في القيم ؟ . لقد كنت _ على سبيل المثال - تشرب من الماء أو النبع بيدك ثم صنعت كوباً لتشرب منه ، ونقيت الماء من الشوائب ونقلته من المنابع في صهاريج . أنت ترقه حياتك المادية والمعيشية فاين إذن الاهتمام بقيم الدين ؟!!

راجع أصله وخرح أحاديثه الدكتور/ أحد عمر هاشم تأثب رئيس جامعة الأرهر

ولو كانوا متيقظين لكان كل أب قد علم ابنه ما ورثه من آبائه من القيم ، وعلى الرغم من ذلك رحم الحق سبحانه وتعالى هذه الغفلة ، وكرر التنبيه بؤاسطة الرسل . وكلها انظمست معالم القيم التي يحملها المنهج فهو ـ جل وعلا ـ يرسل رسولاً رحمة منه وفضلاً وعدالة ، ولم يكن يهلك القرى بظلم وأهلها غافلون ، والغفلة ضد المقطة .

إذن لو كانوا متيقظين لما كانت هناك ضرورة للرسل ؛ لأن الأباء كانوا سينقلون لأبنائهم القيم كما ينقلون إليهم وسائل حياتهم ، وهذا الأمر مستمر معنا حتى الأن ؟ إن الأب مثلاً إن غاب ابنه عن المدرسة يوماً يلوم الابن ، وإن أعمل فى دروسه أو رسب فهو يعاقب الابن ، وهذه هى الغيرة على المستقبل المادى للابن ، ولا غيرة على أداثه لفروض الدين ، لماذا ؟ . إن الناس لو عنوا بمسائل قيمهم كما يعنون دائماً بسائل حياتهم لاستقام منهج الخبر فى الناس وأصبح أمراً رئيباً.

وعرفنا أن الغفلة ضدها اليقظة ، كها أن السهو ضده التذكر ، والغروب ضده الشروق ، والغياب ضده الحضور .

ويقول الحق بغد ذلك :

﴿ وَلِكُلِ دَرَجَنتُ مِّعَاعَكِمِلُوا وَمَارَبُكَ فَي وَلِكُلِ دَرَجَنتُ مِّعَاعَكِمِلُوا وَمَارَبُكَ فَي الْك بِغَنفِلِ عَنَا يَعْمَلُونَ شَلْ اللهِ

و ولكل ، وجاءت بالتنوين أى لكل من الإنس والجن درجات عما عملوا ، فكان الأعمال تتفاوت ؛ فقد تكون فى ظاهرها قوالب متحدة ، لكن التفاوت إنما ينشأ بكثرة العمل ، أو بإخلاص المقارف للعمل والمكتسب والفاعل له ، فهناك من يخلص بكل طاقته ، وهناك من يؤدى عمله بنصف إخلاص ، ومسألة الإخلاص هذه لا تحددها لوائح ولا قوانين إنما بحددها الحق سبحانه وتعالى ، ولذلك يقول محمد صلى الله عليه وسلم مبلغاً عن رب العزة هذا الحديث القدسى :

00+00+00+00+C11010

و الإخلاص سر من سرى استودعته قلب من أحببت من عبادي ١٥٠٥ .

إذن فمقاييس الإخلاص لا يعرفها إلا ربنا سبحانه وتعالى ، وعلى مقدار ذلك تكون الدرجات . وتكون الدرجات على مقدار ما يزيده العبد من جنس ما فرضه الله عليه ؛ فالحق قد فرض صلوات خساً ، فيزيد العبد عشر ركعات في الليلة مثلاً . والله قد فرض الصيام شهراً ، فيصوم العبد يومى الاثنين والخميس .

والذي يقف عند ما فرض الله بجازيه الله على إخلاصه في أداء ما عليه ، وحينها سأل أعرابي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن موقف الذي لا يؤدي إلا الفروض فقط ، قال له : (أفلح إن صدق)(٢) ، فالذي يزيد عها فرض الله من جنس ما فرض الله أشد فلاحاً . ولا يصل الإنسان إلى المرتبة التي هي أشد فلاحاً إلا إذا كان في درجة أعلى ، وكلمة « درجات » تفيد العُلوّ ، وكلمة « دركات » تفيد المُبوط ، والحق لا يغفل عن ظاهر وباطن كل عمل لاي عبد .

ويقول سبحانه من بعد ذلك :

﴿ وَرَبُكَ الْغَنِيُ ذُوالرَّحْمَةِ إِن يَشَ أَيُدُهِ بَكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ مِنْ بَعْدِكُمْ مَايَشًا أَكُمَّا أَنْشَأَ كُمَّا أَنْشَأَ كُمَّا أَنْشَأَكُم مِن ذُرِيْكِةِ قُوْمٍ ءَاخَكِرِينَ ﴿ الْمَا الْمُنْكَامُ اللَّهِ ﴾

وهنا يحننا الله سبحانه وتعالى إلى عبادته ، وإلى تكاليفه ؛ يحننا إلى فضيلة الطاعة ، وكل ذلك لمصلحتنا وهذا مطلق الربوبية الرحيمة ، فيحسن لنا الجزاء ، ويفخم لنا فيه لنعمل لصالحنا نحن ؛ لأن كل أعمالنا _ كها قلنا _ لا تزيد في ملك الله قدر جناح بعوضة ؛ لأن قدر جناح بعوضة ؛ لأن قدر جناح بعوضة ؛ لأن الله بكل صفات الكمال خلقنا ، ولم نزده نحن شيئاً . لقد أوجد الدنيا من عدم ،

⁽١) رواه أبوالقاسم القشيري في الرسالة من حديث على بن أبي طالب.

⁽٢) رواه النسائي والبيهقي في السنن الكبري.

O11:100+00+00+00+00+0

وفرق بين الصفة القائمة بذات الله ، وإيجاد متعلق الصفة . فالله خالق ؛ والله رحمن ، والله رحيم ، والله قهار ، وسبحانه رحمن ورحبم وقهار وخالق حتى قبل أن يجلق يبرز ويظهر مايخلقه ؛ لأنه بصفة الخالق فيه خلق ، وهو رزاق قبل أن يخلق المرزوق ، فالصفة موجودة فيه قائمة به ، وبهذه الصفة رزق ، وبوجود هذه الصفات فيه يقول للشيء كن فبكون ، وله هذا الكون كله ، وهو غتى عن العباد وله كل الملك ، وكذلك خلق التوبة ، والرسول على يقول:

﴿ وَرَبُكَ الْفَنِي ذُو الرَّحْمَةِ إِن يَشَأْ يُذَهِبُكُمْ وَيَسْتَخْلِفَ مِنْ بَعْدِكُم مَّا يَشَاءُ كَمَا ا أَنشَأَكُم مِن ذُرِيَّةٍ قَوْمِ آخْرِينَ (١٣٠٠) ﴾

إذن فالخلق مستمر الإيجاد من العدميات وهو دليل على أن صفة الخالقية موجودة.

ولكنه عند القياس أو ادم

وما آدم في منطق العقل واحد

فالكون كله من أول آدم موجود ، وكل الكون المسخر لآدم كخليفة في الأرض خاضع لله ، فإن شاء اذهب الخلق وأتى بخلق جديد .

ويقول الحق بعد ذلك :

﴿ إِنَّ مَا نُوعَكُونَ لَا تُو الْمَا أَنتُهِ بِمُعْجِزِينَ ﴿ فَا أَنتُهِ

والحتى سبحانه وتعالى لأنه لا إله إلا هو ، إذا وعد فلا بد أن يتحقق وعده ، وإذا أوعد فلابد أن يأتي وعبده ، والوعد إذا أطلق فهو في الخير ، والوعيد يكون في الشر . والذي يخلف الوعد أو الوعيد من الخلق فهذا أمر متوقع لأنه من الأغيار ، فيتغير رأيه

⁽١) رواه البخاري في الدعوات ، ومسلم في التوية ، والترمذي في الدعوات . سقط على بعيره : أي صادفه وعثر عليه من غير قصد فظفر به .

المنالان المنالة

@@+@@+@@+@@+@@+@#**

فلم يعد أهالاً لهذا الوعد ؛ لأنه ربما يكون قد وعد بشيء كان ينظن أنه في مكنته ، وبعد ذلك خرج عن مكنته ، فليس له سيطرة على الأشياء ، لكن إذا كان من وعد قادراً ، ولا يوجد إله آخر يناقضه فيما وعد أو أوعد به فلا بد أن يتحقق الوعد أو يأتى الوعيد . . ولذلك حينما يحكم الله حكماً فالمؤمل يأخذ هذا الحكم قضية مسلمة ؛ لأنه لا إله مع الله سيغير الحكم ، وسبحانه ليس من الأغيار ، والمثال أنه قال:

﴿ تَبْتُ يَدَا أَبِي لَهُب وَتُبُ ١٠ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَاللهُ وَمَا كَسَبَ ٢٠ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهُب (٣) وَأَمْرَأَتُهُ حَمَّالَةً الْحَطَب (١) في جيدها حَبُلٌ مِن مُسَد (١) ﴾ [سورة المد]

وهذا وعيد في أمر لهم فيه اختيار ، ومع ذلك لم يسلموا . وجاء بعدها مايؤكد لكل مسلم : إياك أن تأخذ هذه القضية مأخذ الشك ، وتقول : قد يتوب أبو لهب هذا وزوجه ويسلمان ، ألم تتب هند؟! ألم يسلم أبو سفيان؟! . لكنه سبحانه عالم عايصير إليه اختيار أبى لهب واختيار زوجه ، وإن كان كل منهما مختاراً ، ولا يوجد إله سواه ليغير الأمر عما قال .

﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ١٠ . ﴾ [سورة الأخلاص]

أي لايوجد إله أخر ليعدل هذا الأمر.

﴿ إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لِآتِ وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ (٢٠٠ ﴾

قد يظن بعض الناس أن الله قد يأتي بما وعد به لكنهم قد يهربون منه ، ولكن ليس الأمر كما يظنون ؛ فالوعد آت وأنتم لاتستطيعون الهرب منه ، ولا أحد بقادر على أن يمنع الله عن تحقيق ماوعد أو أوعد ، ولن تفروا من وعده أو وعيده ، ولن تغلبوا الله أو تفوتوه وتعجزوه ؛ فالله غالب على أمره .

ويقول سبحانه من بعد ذلك:

○ T100 → ○ ○ ○ ◆ ○ ◆ ○

﴿ قُلْ يَعَوْمِ آعْمَالُواْ عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِي عَامِلًا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مِّن تَكُونُ لَهُ عَلِقِبَةُ ٱلدَّارِ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُ عَلِقِبَةُ ٱلدَّارِ اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ اللَّلِمُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللْمُولِلْمُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللْمُ الللْمُ اللْمُعَالِمُ اللَّهُ الللْمُولِلْمُ اللَّهُ اللَّهُ الللْمُولِلْمُ اللَّ

والقوم هم الجماعة ، وعادة بطلق على الرجال لأنهم أهل القيام للمهمات ؛ لأن الشأن والأصل في المرأة الستر والبيتونة والاستقرار في البيت للقيام على أمره ورعايته . وحين تقرأ القرآن تجد كلمة وقوم » وتفهم أن المقصود منها الجماعة التي تجمعهم رابطة ، وأنها للرجال خاصة ، والمثال هو قول الحق :

﴿ لَا يَسْخُرْ قَوْمٌ مِن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُواْ خَدِرًا مِنْهُمْ وَلَا فِسَآهُ مِن فِسَآهِ عَسَىٰ أَن يَكُنْ خَيْرًا مِنْهُنْ ﴾

(من الآية ١١ سورة الحجرات)

ومادام قد جاء بمقابل و قوم » : « ولا نساء و ، ف و قوم » هذه للرجال وماخوذ منها و القوامة » . ولذلك الشاعر يقول : ولا أدرى ولست أخال أدرى القسوم آل حصن أم نساء

يعنى أرجال أم نساء.

﴿ قُلْ يَنفُومِ أَعْمَلُواْ عَلَى مَكَانَتِكُمْ ﴾

(من الآية ١٢٥ سررة الأنعام)

و « المكان ، هو الحيز الذي يأخذه جسم الإنسان ؛ فكل كائن له مكان ، إن وقف له مكان ، إن قعد له مكان ، والمكان هو المعلوك والمخصص لك من الأرض ، فحين تقف في مكان لا يقدر آخر أن يقف فيه وأنت واقف ، بل مجب أن يزحزحك عنه ، وحين تزحزح من هو واقف ، فهو يروح إلى مكان ثانٍ ، وعتنع التداخل بين اثنين في حيز لا يسع إلا واحدا ، وهذا أمر فطرى ؛ فتجد الولد الصغير الذي لم يدرك أي شيء ويقدر أن يقف فقط ، ثم يريد أن يقعد على الكرسي الذي تجلس عليه

أخته أو أخوه ، فقبل أن يقعد على الكرسي يشد من يجلس عليه ؛ لأنه يعرف بالفطرة أن اثنين لا يوجدان في خيز واحد .

وترى ذلك أيضاً في غير الجرم المرثى ، فأنت حين تأتى بقارورة وتضعها في ماء لتمتلء تسمع صوت الهواء الخارج منها في بقبقة ؛ لأن الماء لا يمكن أن يدخل إلا إن خرج الهواء ، ولأن المياه أكثف فهى تضغط ليخرج الهواء ، وهذا ما يؤكد عدم التداخل . أى لا يوجد شيئان اثنان في حيز واخد . ومكانتك هى الموقع الذي تستولى عليه ، ولذلك حتى في الجيوش وفي الحرب توضع الخطط من أسلحة غتلفة ، لتستولى على الأماكن .

اعملوا على مكانتكم عدو قول موجه إلى الجماعة الذين عارضوا النبوة ووقفوا منها هذه المواقف ، فيقول لهم الحق تهديدا لهم وتيئيسا من أنهم لن يصلوا إلى النيل من رسول الله : اعملوا على قدر استطاعتكم من التمكن ، أو أثبتوا على ما أنتم عليه من الخلاف والمناهضة ، لماذا ؟ ؛ لأنه صلى الله عليه وسلم عامل أيضاً : فلن يكون ثباتكم مانعاً لى من العمل ؛ أنتم تعملون وأنا أعمل ، أنتم تعملون على طاقاتكم ، وأنا أعمل على طاقاتى الإيمانية ومدد ربى الأعلى من الطاقة .

﴿ قُلْ يَنْقُومِ آغَمَا وَا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُ عَنِيَّةً الدَّارِ إِنَّهُ لِا يُفْلِحُ الظَّيْلُوتَ ﴿ ﴾

(صورة الأنعام)

و فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار ، و و له ، تعطى دلالة إلى أن الإيمان ستكون عاقبة الدار لصالحه ؛ لأن الآخرين لن تكون لهم بل عليهم ، وساعة ترى و اللام ، اعرف أن الأمر لهم لا عليهم . فكأن الظالمين إن تنلهم عاقبة فهى ليست لهم ، وإنما عاقبتهم عليهم ، ولن يقلح الظالمون .

ويقول سبحانه من بعد ذلك:

﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَا مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَكِيمِ

O710VOO+00+00+00+00+0

وهنا رجوع إلى كلام عن الذين يناهضون منهج الله.

و «ذراً» أى خلق ، وبث ، وبشمر ، والحمرث بسراد به الزرع ، وسمى السزرع حرثاً ؛ لأنه يأتى بالحرث ، و الأنعام ، وهى تتمثل فى ثمانية أزواج فى آية تأتى بعد ذلك ، وهى الإبل ، والبقر ، والضأن والمعز ،

• وجعلوا لله محاذراً من الحرث والأنعام نصيباً الى مساخل ، وهنم قد حرثوا فقط ؛ لأن الذى يزرع هو الله ، فسبحانه الذى أعطى للبذرة قوتها لتربى لها جذراً ، وتمتص عناصر الغذاء من الأرض ، وهو الذى جاء بعناصر الأرض كلها ، وهو الذى جعل البذرة تتوجه إلى العناصر الصالحة لها ، وتترك غير صالح بقانون الذى خلق فسوى والذى قدر فهدى 1 . والذى صنعه الله الحرث وفي الأنعام تتخيلون أنكم تتصرفون فيه على رغم أنه هو الذى ذراً وخلق . إنه - سبحانه - هو المتصرف .

هم جعلوا لله عاذراً من الحرث والأنعام نصيباً فقالوا: هذا لله فبزعمهم وهذا لشركاتنا ، أى جاءوا بالحرث وقسموه قسمين وقالوا: هذا لله ، وهذا للأصنام . وكذلك قسموا الأنعام وجعلوامنها قسماً لله ، وقسماً لهم ، ألم يكن من العدل أن يقسم الذى خلق بدلاً من هذا الزعم منكم لأنكم أخذتم غير حقكم ، وياليتكم أنصفتم فنرضى بقسمتكم فيذهب القسم الذى لله للصدقات على الفقراء ، والذى للشركاء يذهب للأصنام وللسدنة الحجاب عليها والخادمين والذين يضربون لكم الأقداح ، وياليتكم عرفتم العدل في القسمة بل أن ماصنعتموه هوقسمة ضيزى جائرة وظالمة ، لماذا؟ . تأتى الإجابة من الحق :

﴿ فَسَمَا كَانَ لِشُرَكَاتِهِمْ فَالا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُمُ وَيَصِلُ إِلَى اللّهِ وَمَا كَانَ لِلّهِ فَهُمُ وَيَصِلُ إِلَى اللّهِ فَا اللّهُ وَمَا كَانَ لِللّهِ فَا يُصِلُ إِلَى اللّهِ وَمَا كَانَ لِللّهِ فَاهُمُ وَيَصِلُ إِلَى اللّهِ وَمَا كَانَ لِللّهِ فَاهُمُ وَيَصِلُ إِلَى اللّهِ وَمَا كَانَ لِللّهِ فَهُمُ وَيَصِلُ إِلَى اللّهِ وَمَا كَانَ لِللّهِ فَاهُمُ وَلَا يَصِلُ إِلَى اللّهِ وَمَا كَانَ لِلّهِ فَاهُمُ وَلَا يَصِلُ إِلَّى اللّهِ وَمَا كُنانَ لِللّهِ فَلَا يَصِلُ اللّهِ وَمَا كُنانَ لِللّهِ فَلَا يَصِلُ إِلّٰ إِلَى اللّهِ وَمَا كُنانَ لِللّهِ فَلَا يَصِلُ إِلّٰ إِلّهُ اللّهُ وَلَا لَا لَهُ إِلّهُ إِلَّا لَهُ إِلّهُ لَا يُعَلّمُ إِلّهُ إِلّهُ إِلّٰ إِللّهُ وَمَا كُنانَ لِللّهِ فَلَهُمُ وَاللّهُ إِلَى اللّهِ وَمَا كُنانَ لِلللّهِ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللّهِ وَمَا كُنانَ لِللّهُ فَلَا يَصِلُوا إِلّٰ إِلّٰ إِلّٰ إِلّهُ لِللّهُ فِي إِلّهُ إِلّهُ إِلّهُ إِلّٰ إِلّٰ إِلّهُ إِلّهُ إِلّٰ إِلّهُ إِلّٰ إِلَّا لِللّهُ لِللّهُ إِلّهُ إِلّٰ إِلَّا إِلّٰ إِلّا إِلّٰ إِل

أنتم قسمتم وقلتم: هذا لله وهذا لشركاتنا. فاصدقوا مع أنفسكم في هذه النسبة ، لكنهم كانوا يسرقون حق الله ، وكان لهم في الهلاك تقسيم معين ، وفي الزيادة لهم تق سيم أخر . فإذا ما جاءت آفة للزرع وأهلكته أخذوا ماخصصوه لله وأعطوه للشركاء وقالوا: إن ربنا غنى! وبرغم أنكم قسمتم ولكنكم لم توفوا بالقسمة التي فرضتموها ورضيتم بها .

وكذلك في الأنعام يقدرون عدداً من الأنعام ويقولون: هذه لله ، وتبلك للشركاء ، فإن ماتت بهيمة منذورة للشركاء ، فإن ماتت بهيمة من المنذور لله لم يعوضوها ، وإن ماتت بهيمة منذورة للأصنام يعوضوها ويأخذوا بدلاً منها من القسم الذي نذروه لله . وأيضاً لنفترض أن عيناً جارية ساحت فيها المياه لتروى الزرع المقسوم لله ، فياخذوا منها للأرض المزروعة للأصنام . إذن هي قسمة ضيزى من البداية ، وليتهم وفوا بهذه القسمة ، وهكذا ساء حكمهم وفسد .

ويقول الحق بعد ذلك:

﴿ وَكَذَالِكَ زَبَّنَ لِكَثِيرِ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَكَثِيرِ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَكَثِيرِ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَتَلَا أَوْلَا لِيهِمْ مُرَكَا أَوْهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلَوْشَاءَ اللهُ مَافَعَكُوهُ وَلِيَلْبِسُواْ عَلَيْهِمْ وِينَهُمْ وَلَوْشَاءَ اللهُ مَافَعَكُوهُ وَلِيلَبِسُواْ عَلَيْهِمْ وِمَا يَفْتَرُونَ اللهُ مَافَعَكُوهُ فَي اللهُ اللهُ مَافَعَكُوهُ فَي اللهُ اللهُ مَافَعَكُوهُ فَي اللهُ الله

وأيضًا نقلوا تلك القسمة الضيزي إلى مايتلعق بذواتهم في الإنجاب والإنسال ؛ فشركاژهم زينوا لهم قتل أولادهم ، والتزيين، هو إدخال عنصر التحسين على

@11:10@+0@+0@+0@+0@+0

التزيين أمراً عرضياً طارئاً ، ووجه التزيين أنهم كانوا إما أغنياء ، وإما فقراء ، فإن كانوا فقراء يقل كانوا فقراء يقل الواحد منهم لماذا أجلب لنفسى همّما على هم ، وإن كانوا أغنياء يقل الواحد منهم: إن الأبناء سيأخذون منك ويفقرونك . إذن فقيه أمران : إما فقر موجود بالفعل ، إما فقر مخوف منه ، ولذلك تجد الآيات الى تعرضت لهذا المعنى ، تأتى على أسلوبين اثنين ؛ فالعَجُز مختلف باختلاف الصدر ، والذبن يحبون أن يستدركوا على أساليب القرآن لأنه مرة يقول :

﴿ وَلا تَقْتُلُوا أَوْلَــُدَكُمُ خَشْيَةَ إِمْلَــَى مِنْ فَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ . . (اسورة الإسراه] وموة ثانية يقول:

[سورة الأنعام]

﴿ نُحَنُّ نَرِزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ . . (😇 ﴾

فما الفرق بين العبارتين؟

ونقول لمثل هذا القاتل: أنت تقارن بين التذييل المن نحن نرزقكم وإباهم ، وانحن نرزقهم وإباهم ، هذه تذييل لآية ، وهذه تذييل لآية ثانية ، هات ذيل الآية مع صدرها نجد أن ذيل كل آية مناسب لصدرها ، ومادام قد اختلف في الصدر فلابدأن يختلف في الختام ، ففي الآية الأولى يقول الحق سبحانه: "ولاتقتلوا أولادكم من إملاق افالإملاق وهو الفقر واقع موجود . إذن فشغل الإنسان برزقه أولى من شغله برزق من يعوله من الأولاد ، فيقول الحق لهؤلاء:

﴿ وَلا تَقْتُلُوا أَوْلُنَدَكُم مِنْ إِمْلُتِي نُحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ . . (١٥٠ ﴾ [سورة الانعام]

فالإملاق موجود ، وشغلهم برزق أنفسهم يملأ نفوسهم . لذلك يقول لهم : انرزقكم وإياهم فيطمئنهم سبحانه نحن نرزقكم ثم نرزقهم . أما إن كان الإملاق غير موجود فالحق يقول:

﴿ وَلا يُقْتُلُوا أُولُكُ كُمْ خَشْيَةً إِمْكِنَ نُحُنُّ نُوزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ . . (الله المسورة الإسراء]

أى لاتقتلوا أولادكم خوفاً من فقر ، فأنتم تملكون رزقكم ، وحين يأتى الأولاد نرزقهم ونرزقكم معهم. وهكذا نرى أن الصدر مختلف في الآيتين ، وكذلك العجز ، والشركاء كانوا يزينون قتل الأولاد ، وهذه مسألة تحتاج إلى تزيين قاس ؛ لأن حب الأبناء غريزة في النفس البشرية ، والنفس تحب أن يكون لها ذرية ؛ لأن الإنسان يفهم أنه مهما طال عمره فسوف يموت فيحب أن يظل اسمه في الأجيال المتتابعة . ونجد الإنسان وهو عتلى ، بالسعادة حين يأته حفيد ، ويقول : لقد ضمنت ذكرى لجيلين قادمين ، وينسى أن الذكر الحقيقي هو الذي يقدمه الإنسان ضمنت ذكرى الأبناء وحب امتداد الذات . وقتل الأبناء يحتاج إلى تنزين شديد ، كأن يقال : إن أنجبت أبناء فسيفقرونك ويذلونك ، فأنتم أمة غارات وأمة حروب وكل يوم يدخلك أبناؤك في قتال ونزال فتكون بين فقد لأبنائك أو انتهاب لمالك ، وإن كانوا بنات فسيتم سبيهن من بعنك ، وهكذا تكون المبالغة في الإغراء لعملية تناقض الفطرة السليمة في إمتداد النسل .

﴿ وَكُذَلِكَ زَيْنَ لِكَثِيرِ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلْنَدِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ . . (١٣٧) ﴾

[سررة الأنعام]

والكثيرمن المشركين، تفيد أن بعضهم كان يرفض قتل الأولاد ، و «يردوهم» من الردى ، وهو الهلاك ، والموت .

﴿ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ . (١٧٧)

أى يخلطوا عليهم الدين ، فهل كان عندهم دين؟ . لقد ورث هؤلاه من أمر قيم الدين ماكان سابقاً وهو ماكانوا عليه من دين إسماعيل عليه حتى مالوا وزالوا عنه إلى الشرك ، إنهم زبنوا لهم أعمالا ليوردوهم موارد الهلكة . وحاولوا أن يخلطوا عليهم مابقى لهم من دين ،

﴿ . وَلُو شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتُرُونَ (٧٧٠) ﴾

لأن وأد الأولاد وقتلهم إنما ينافي فكرة خلق الله ، فهل بخلق الله لتقتل أنت؟!

كأنهم يصادمون إرادة الإيجاد من الحق سبحانه وتعالى ، لكنّه ـ سبحانه ـ لوشاء ما فعلوا ذلك ، فهو قد أعطاهم الاختيار ، ومن باب الاختيار ينفذون إلى كل مراد لهم ، ولو لم يخلق الله فيهم اختياراً ما فعلوا ذلك ؛ لأنه لو أراد ألا يضلوا لما فعلوا ، وقد أراد الله أن يوجد خلقاً لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون وهم الملائكة .

إذن فهذه المسألة ليست عزيزة على الله ، وسبحانه ساعة يقهر على مراد له ، إلما يكون ذلك لمصلحة المخلوق ، وساعة يتركه غتاراً فمن إمداد الخالق له بالاختيار ولا يفعل المختار شيئاً غصباً عن الله ؛ لأن الألوهية تقتضى أمرين اثنين : تقتضى قدرة تتجلى فى الأشياء القهرية التى لا يستطيع العباد أن يقفوا أمامها ، والإنسان هو الكائن الوحيد الذى له حق الاختيار بين البديلات فى مراداته ، أما بقية الكون فسائر بقانون التسخير وليس له اختيار .

والكائنات المسخرة أثبتت لله طلاقة القدرة ، ولكنها لا تثبت لله محبوبية المخلوق ا لأن المحبوبية تنشأ من أنك تكون حرًّا في أن تفعل ، ولكنك تؤثر فعلاً مراد لله على مرادك . (ولو شاء الله ما فعلوه فذرهم وما يفترون) .

و د الافتراء ، هو الاختلاق والكذب المتعمد ، وهم مفترون ، لأنهم أرادوا أن يغيروا صدق الواقع في الإنجاب ، فقد خلق الله الزوجين ـ الذكر والأنثى ـ من أجل الإنجاب .

ويقول سبحانه من بعد ذلك:

﴿ وَقَالُواْ هَالِهِ مِهِ أَنْعَادُ وَحَرْثُ حِجْرٌ لَا يَطْعَمُهَا اللهِ وَقَالُواْ هَالِهِ مِهِ أَنْعَادُ وَحَرْثُ حِجْرٌ مَنْ كُلْهُ وَرُهَا اللهِ مَا نَعْدُ حُرِّمَتْ كُلْهُ وَرُهَا وَأَنْعَادُ حُرِّمَتْ كُلْهُ وَرُهَا وَأَنْعَادُ مُرَّالِهِ عَلَيْهَا ٱفْتِرَاءً عَلَيْهُ وَالْعَادُ مِنَا اللهِ عَلَيْهَا ٱفْتِرَاءً عَلَيْهُ وَالْعَادُ مِنَا اللهِ عَلَيْهَا ٱفْتِرَاءً عَلَيْهُ مَا وَأَنْعَادُ مُنْ اللهِ عَلَيْهَا ٱفْتِرَاءً عَلَيْهُ وَاللهُ عَلَيْهَا ٱفْتِرَاءً عَلَيْهُ فَا مُنْ اللهِ عَلَيْهَا الْعَرْاءُ عَلَيْهُا اللهِ عَلَيْهَا الْعَرَاءُ عَلَيْهُا اللهِ عَلَيْهُا اللهِ عَلَيْهُا اللهِ عَلَيْهُا الْعَرَاءُ عَلَيْهُا اللهِ عَلَيْهُا اللهُ عَلَيْهُا اللهِ عَلَيْهُا اللهُ عَلَيْهُا عَلَيْهُا اللهُ عَلَيْهُا اللهُ عَلَيْهُا اللهُ عَلَيْهُا اللهُ عَلَيْهُا عَلَيْهُا اللّهُ عَلَيْهُا اللّهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُا اللهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ

وهذا تماد في الشرك ؛ لأنهم قسموا الحيوانات والحرث وحجزوا قسماً للأصنام، وهذه الأنعام المرصودة للأصنام لا يتصرف فيها أحد، فلا يؤخذ لبنها ولا يستخدمها أحد كمطايا ، ولا يتعدى نفعها للناس ، ولم ينتبهوا إلى أن هذه الأنعام نعمة من الله ، ولا بد من الانتفاع بها ، وليس من حسن التعقل أن تترك حيواناً تستطيع أن تستفيد من تسخيره لك ولا تفعل ، هم قد فعلوا ذلك وحكى الحق عنهم فقال :

﴿ وَقَالُوا هَلَدُهِ أَنْعَلَمُ وَحَرَّتُ حِجْرٌ لا يَطْعَمُهَا إِلا مَن نَّشَاءُ بِزَعْمِهِمْ . . (١٣٨ ﴾

[سورة الأنعام]

أى هي أنعام محرم استخدامها ، وحرموا أيضاً ركوبها . ﴿ وَأَنْعَلَـمُ حُرِّمَتُ ظُهُورُهَا . . (١٣٨) ﴾

[سورة الأنعام]

وتمادوا في الكفر فذكروا أسماء الأصنام عليها:

﴿ وَأَنْعَلْمُ لَا يَذُكُرُونَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءً عَلَيْهِ . . (١٣٤١) ﴾ . [سورة الأنعام]

وهذا لون من الافتراءات قد فعلوه ونسبوه إلى أنه متلقًى من الله ، ومأمور به منه -سبحانه - ولو قالوا: إن هذه الأمور من عندهم لكان وقع الافتراء أقل حدة ، لكنه افتراء شديد لأنهم جاءوا بهذه الأشياء ونسبوها إلى الله ، وهم قد انحلوا عن الدين وقالوا على بعض من سلوكهم إنه من الدين ، ولذلك يجازيهم الله بما افتروا مصداقاً لقوّله :

[سورة الأنعام]

﴿ . . سَيْجُزِيهِم بِمَا كَانُوا يَفْتُرُونَ (١٣٨) ﴾

ويقول الحق بعد ذلك:

﴿ وَقَالُواْ مَا فِي بُطُونِ هَاذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِللَّهِ وَقَالُواْ مَا فِي بُطُونِ هَاذِهِ وَالْأَنْعَامِ خَالِصَةً لِيَّا الْأَوْلِجِنَا وَإِن يَكُن لِيَّا الْرُولِجِنَا وَإِن يَكُن لَيْنَا وَهُمَا مَنْ مُكَالًا أَرْوَلِجِنَا وَإِن يَكُن لَيَّا اللَّهُ مَنْ اللَّهُ اللِّهُ اللَّهُ اللْمُنْ اللَّهُ اللْمُنْ اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللْمُلْمُ اللَّهُ اللْمُلْمُ اللْمُلِلْمُ اللَّهُ اللْمُلْمُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللْمُلْمُ

O1/1/100+00+00+00+00+0

ويتودهم الباطل إلى باطل آخر فادعوا أن مافي بطون هذه الأنعام من اللبن ومن الأجنة إذا نزلت حيّة فهي للذكور منهم فقط ، ولا تأكل النساء من ذلك شيئاً ، وإن مات منها شيء أكله الرجال والنساء وهذا يدل على التشقيق في القسمة .

ويديل الحق الآية بالقول الكريم:

﴿ . سَيْجُزِيهِمْ وَصُفْهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ (١٣٠) ﴾

أى سيجزيهم على كذبهم وافتراثهم بمايليق عقاباً للكاذبين ؛ لأنه-سبحانه-(حكيم) في أفعاله وأقواله وشرعه وقدره (عليم) بما يفعلونه من خير وشر ، وإنه سيجازيهم على مافعلوه أتم الجزاء وأكمله.

ويقول الحق من بعد ذلك :

﴿ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَـ تَلُوَّا أَوْلَنَدُهُمْ سَفَهَا بِغَيْرِ عِلْمِ وَحَرَّمُواْ مَارَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ ضَـ لُواْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ﴿ لَهِ اللَّهِ عَلَى اللَّهِ قَدْ

وجه الحسران أنهم لم يلتفتوا إلى أن الله يرزقهم ويرزق أبناءهم أيضاً، ولعلك أيها الأب قتلت ولداً ، كنت ستعيش أنت في رحاب رزقه ، وكثيراً مايكون البعض من الأولاد صاحب رزق وفير ، ويقال عن مثل هذا الابن: إن وجهه وجه الخير والسعد والبركة ، فمن يوم أن ولد ولد معه الخير ، وذلك حتى لايتأبى الإنسان على عطاء الله ؟ لأنك حين تتأبى على عطاء الله تحرم نفسك العطاء فيما تظنه غير عطاء ، وهذا خسران كبير .

00+00+00+00+00+01110

إننا نلحظ أن العرب كانوا في بيئة تستجيب وتلبى العسريخ ، فساعد يصرخ من في شدة نزلت به واستنجد ، يجد من ينقذه ، والأولى بالنجدة أهل الرجل وأولاده. والمثال على ذلك ماحدث من جد رسول الله تحله حينما ذهب ليحفر البئر ، وجاءت قريش ورقفت له حتى لا يحفر ، فقال: لوأن لى عشرة أبناء سأضحى بواحد منهم . إذن فكثرة الأولاد في هذه المسائل تعطى العزوة وتكثر الصريخ ، ولا يفعل ذلك إلا المفطور على النجدة .

وإن قتلت ابناً خوفاً من الفقر فقد تخسر رزقاً قد يكون في طي من تقتل من الذرية ، وفوق ذلك تفقد مباهج الشأن أو العزوة أو الآل. أو على الأقل أنهم قد خسروا لأنهم عاكسوا موادات الله في الإيجاد بالإنجاب.

﴿ . . وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ الْتِرَاءُ عَلَى اللَّهِ قَدْ صَلُوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ (11) ﴾

[سورة الأنعام]

وهم حين يحرمون على أنفسهم مارزقهم الله من الأنمام ، فهم أهل حمق وضلال وخسران فلو تركوها لانتفعوا منها في حمل أثقالهم أو فيما تدره من لبن ، أو في أكل لحمها . إنهم بحمقهم وجهلهم قد خسروا كثيراً ، وهم مع ذلك فعلوا مافعلوا بكذب متعمد على الله ، وهم قد ضلوا ولم يكونوا أهلا للهداية ، وكان يكفى أن يصفهم بقوله : «قد ضلوا» ؛ لكنه أضاف: «وماكانوا مهندين الأن الضلال بكفى أن يصفهم بقوله : «قد ضلوا» ؛ لكنه أضاف: «وماكانوا مهندين الأن الضلال عو عدم الذهاب إلى المقصد الموصل للغاية ، وقد يكون ذلك عن جهل بالطريق ، لكن الحق سبحانه رسم لهم طريق الحق فأثروا الذهاب إلى الضلال مع وجود طريق الحق .

ويقول سبحانه بعد ذلك :

مَعْمُ وَشَنْتِ وَٱلنَّحْلَ وَٱلنَّرْعَ بُغْنَافِقًا أَكُلُهُ وَٱلنَّعْلَ وَغَيْرَ مَعْمُ وَشَنْتِ وَغَيْرَ مَعْمُ وَشَنْتِ وَغَيْرَ مَعْمُ وَشَنْتِ وَأَلزَّيْتُونَ وَالنَّحْلَ وَالزَّرْعَ بُغْنَافِقًا أَكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالزَّمْعَ وَالزَّمْعَ وَعَيْرَ مُتَشَنِيةً حَكُلُوا مِن وَالرَّمَّنَانَ مُتَشَنِيةً حَكُلُوا مِن تَسَيَعِهِ وَالْمَانَ مُتَشَنِيةً وَكُلُا مُنْ وَعَالُوا حَقَّهُ مِيْوَمَ حَصَمَادِهِ وَالْوَاحِقَةُ مِيْوَمَ حَصَمَادِهِ وَالْوَاحِقَةُ مِيْوَمَ حَصَمَادِهِ وَاللَّهُ مَنْ وَعَلَيْ الْمُسْرِفِينَ اللَّهُ الْمُسْرِفِينَ اللَّهُ اللَّهُ الْمُسْرِفِينَ اللَّهُ الْمُسْرِفِينَ اللَّهُ الْمُسْرِفِينَ اللَّهُ الْمُسْرِفِينَ اللَّهُ الْمُسْرِفِينَ اللَّهُ اللَّهُ الْمُسْرِفِينَ اللَّهُ اللَّهُ الْمُسْرِفِينَ الْمُسْرِفِينَ اللَّهُ الْمُعُلِينَ اللَّهُ الْمُسْرِفِينَ اللَّهُ الْمُسْرِقِينَ اللَّهُ الْمُسْرِقِينَ اللَّهُ الْمُسْرِقِينَ اللَّهُ الْمُسْرِقِينَ اللَّهُ الْمُسْرِقِينَ الْمُسْرِقِينَ اللْمُسْرِقِينَ اللْمُسْرِقُ الْمُسْرِقُ الْمُسْرِقِينَ الْمُسْرِقِينَ الْمُسْرِقِينَ الْمُسْرِينَ الْمُسْرِقِينَ الْمُسْرِقِينَ الْمُسْرِقِينَ الْمُسْرِقِينَ الْمُسْرِقِينَ الْمُسْرِقِينَ الْمُسْرِقِينَ الْمُسْرِقِينَ الْمُسْرِقِينَ الْمُسْرِقُ الْمُسْرِقِينَ الْمُسْرِقُ الْمُسْرِقِينَ الْمُسْرِقِينَ الْمُسْرِقِينَ الْمُسْرِقُ الْمُسْرِقِينَ الْمُسْرِقِينَ الْمُسْرِقِينَ الْمُسْرِقِينَ الْمُسْرِقِينَ الْمُسْرِقِ

وقول الحق : و أنشأ و أي أوجد على إبداع لم يسبق له مثبل فلم يكن هناك تماذج توضيحية تدل الله سبحانه ، وإنما ابتدأها على غير مثال سابق ؟ لأنه لا يوجد خالق سواه . والخالق إذا لم يكن هناك سواه من شريك أو ند فإنه حين يخلق إنما ينشىء خلقاً على غير نظام أو مثال كان قد سبقه .

وكلمة و جنات ، تؤدى ما نعرفه من المكان المحدد الذي يجمع صنوف الزروع والثمار مما نقتات ، ومما نتفكه به ، وتسمى جُنَّة وتسمى جُنَّات ؛ لأن المادة كلها تدل على الستر وعلى التغطية ، ومنه الجُنون لأن فيه ستراً للمقل ، ومنها الجنَّ لأنهم مستورون عن رؤية العين ، وكذلك و المِجَنَّ ، لأنه الذي يستر عن الإنسان طعنات الخصم .

والجنّة هي المكان الممتلى، بالزرع والشمار وتعلو الأشجار فيه وتكثف وتلتف أغصانها وفروعها بحيث تستر من يكون بداخلها وتستره أيضاً عن بقية الأمكنة ، لأنه لا حاجة له إلى الأمكنة الأخرى ؛ ففي الجنة كل مقومات الحياة من غذاء وفاكهة ومرعى ، وماء وخضرة ومتعة ، وفيها كل شيء . كما تسمى البيت العظيم المكتمل الذي يضم ويشتمل على كل المرافق و قصراً و لأنّه قصرك عن أي مكان سواه ؛ لأن فيه الأشياء التي تحتاج إليها كلها ، فلا تحتاج إلى شيء بعده .

المنعفلان المنعفل

@@+@@+@@+@@+@@*G*****

[سورة الأنعام]

﴿ وَهُو الَّذِي أَنشَأَ جَنَّتِ مُعْرُوشَتِ . (13) ﴾

ومادة العرش تدل على العلو ، ومنه قيل للسقف عرش، ويطلق العرش أيضاً على السرير ؛ مثل قوله الحق: (ورفع أبويه على العرش).

ويطلق العرش على الملك مثل قوله الحق: (ولها عرش عظيم).

كل ذلك يدل على العلو اوقوله الحق هنا: « مغروشات وغير معروشات ، أى أن الزع من نوع العنب ، حين نعنى به نجعل له القوائم والقواعد التي يقوم عليها ؛ لأن امتداد أغصانه اللينة لاتنهض أن تقوم وحدها ، ولكن هناك نوع أيضاً يقوم وحده نسميه العنب الأرضى ، وكأن الكلام فيما يختص بالكرم . أى : أنك إذا مانظرت إلى الزع الذي لاساق له كالبطيخ ، وكالشمام ، وكالكوسة ، وكل الزوع الذي لاساق تجدها مفروشة في الأرض أي غير قائمة على قواعد وقوائم وعروش . وإن كنا الآن نحاول أن نرفعها لنعطى لها قوة الإنتاج . والكلام جاء على ماكان موجوداً عند العرب أيام بعثة النبي على (وهو الذي أنشأ جنات معروشات والنخل والزرع يطلق ويراد به مانقنات به من الحبوب .

﴿ مُخْتَلِفًا أَكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَانَ مُتَشَلِبِهَا وَغَيْرَ مُتَشَلِبِهِ . . (آنَ ﴾ [سورة الأنعام] وحين ننظر إلى هذه الآية نجد أنه قد سبقتها آية فيها كل هذه المعانى يقول سبحانه:

0111100+00+00+00+00+00+0

وبعض الناس يحاولون نقد القرآن فيقولون : إنه يكرر المعانى الواحدة ؛ لأنهم لا يمتلكون فعلنة أن المتكلم هو الله ، وسبحانه يتكلم في كل شيء لأمر حكيم ، فهو هنا يتكلم عن هذه الأشياء كدليل على الخالق ووحدانيته بدليل أنه ذيل الآية بقوله : (إن في ذلكم لآيات لقوم يؤمنون) ، ولكن الكلام في الآية التي نحن بصدد خواطرنا عنها قد جاء بقصد الحديث عن الانتفاع بها فيقول :

﴿ كُلُواْ مِن تُمَرِمِة إِذَا آَلْمُرُ وَوَاتُواْ حَفْهُ مِيوْمَ حُصَادِهِ ٢

(من الآية ١٤١ سورة الأنعام)

ولاشك أن استقامة العقيدة بالإيمان بالإله الواحد تحتاج إلى الدليل أولاً ؟ لأن فائدتها أشمل ، وأعم ، وأعمق ، وأخلد من الأكل ، لأن الأكل قصارى ما فيه أنه يقوتنا هذه الحياة ، ولكن الأدلة الأولى تعطينا الثواب الباقى والنعيم المقيم ؛ لذلك فالآية الأولى متعلقة بالدليل ، وهذه الآية متعلقة بالانتفاع ، وهنا نلاحظ أنه قال : وكلوا من ثمره إذا أثمر ، ، وفي هذا إباحة لتناول الأشياء منه قبل أن تنضج دون أن يترتب على ذلك لون من الضرر وإلا عالجناها بما يزيل وينفى عنا الضرر ، فإذا ما وجدت ثماراً لم تنضج لك أن تأكل منها ، ولم يجعل الحق لنا حرجاً فيها نحرث ونبذر ونروى ولكن الله صبحانه هو الذي يزرع ونحن نأكل منه ، ونجد أهل الريف يشوون الذرة قبل أن تنضيج ويقول سبحانه : (وأتوا حقه يوم حصاده) .

لقد قالوا إن الآية غتصة بما يُحصد وهي الزروع ، أما الأشياء التي لا يقال فيها : حصد فهي خارجة عن ذلك مثل الفواكه ، لكن الإمام أبا حنيفة يرفض ذلك ويرى : أن كل ما تنبته الأرض ينطبق عليه هذا النص ؛ لأنه لا يصح أن تأخذ معنى الحصاد على العرف ، ولكن بفهم اللغة .

ما معنى الحصاد فى اللغة ؟ . الحصاد فى اللغة الفطع ، فحينها تفصل الثمرة المطلوبة فهذا هو الحصاد . ولكن يوم الحصاد للحبوب ؛ تكون الغلال فى السنابل ، ويرى الإمام أبو حنيفة أن تعطى من البداية لمن حضر القسمة ، وكذلك حينها تدرسه وتذريه تعطى ، وعندما تغربل الحبوب أعط أيضاً ، ويبتدىء الحصاد من ساعة أن تكيل ، وما تقدم غير محسوب ، ما تأتيه من الحق يوم حصاده هو غير المفروض ؛ لأنه لم يقل الحق المعلوم ، وفي هذا اتساع لدائرة امتداد الخير إلى غير الزارعين .

الْمُوَّاللَّهُ فَاللَّهُ اللَّهُ اللللْمُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللللْمُ الللِّهُ اللللْمُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللْمُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللْمُولِي اللللْمُ الللِّهُ اللللْمُ الللِّهُ اللللْمُ الللِّهُ الللْمُ اللَّهُ اللْمُعِلَّالِي اللْمُعِلَّالِي اللْمُعِلَّالِي اللْمُلِمُ الللْمُعِلَّالِي الْمُعْلِمُ اللْمُعِلَّالِي اللْمُعِلَّالِي الْمُعْلَمُ اللْمُعِلَّالْمُعِلَّالْمُ اللْمُعِلَّالِي اللْمُولِي اللْمُعِلَّالِي الْمُعْلِمُ اللْمُعِلَّا الْمُعْلِمُ اللْمُولِي اللْمُعْمِي اللْمُعْمِي الْمُعْلِمُ اللْمُعْمِي الْمُعْلَمُ

(من الآية ١٦ سورة الأنعام)

والإسراف هو مجاوزة الحد ، والبعض قد فسر الإسراف بالزيادة فقط ، ولكن الحقيقة أن أى تجاوز للحد زيادة أو نقصاً يسمى إسرافاً ؛ لأنه ماخوذ من و سرف الماء ، وهو أن يُطلق الماء ويذهب في غير نفع ، وسيدنا مجاهد يقول : لو أن للإنسان مثل جبل أبي قبيس ذهباً ثم أنفقه في حل ما عُدَّ سرفاً ، ولو صرف درهماً واحداً في معصية يعد سرفاً .

إذن فمعنى : « ولا تسرفوا » أمران اثنان بمعنى لا تتجاوزوا الحدود التي شرعها الحن فتستعملوا هذا في معصية ، أو لا تسرفوا في أن تعطوا للفقير أقل بما يستحتى .

وكان حاتم الطائى كريماً جداً ، وقعدوا يلومونه على هذا الكرم ، فقال واحد له : لا خير فى السرف . رد عليه فقال له : ولا سرف فى الخير . أى أنه مادام فى الخير فلا يكون سرفاً.

وإذا كنا سنأخذ الأمر على المعنيين الاثنين: النقص والزيادة ، فيا المانع أن نعطى المفتير أكثر ؟ . ويحكى الأثر أن أناساً قد تأخذهم الأريحية والنشاط للبذل والعطاء ساعة يرون كثرة غلتهم ، وما أفاء الله عليهم من ربع أرضهم . إنهم يعطون الكثير مثليا عمل ثابت بن قيس ، وكان عنده خسون نخلة وجزها وأعطاها كلها للفقراء ، ولم يترك لأولاده شيئاً . فلها رُفع الأمر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له : أعط ولا تسرف ، لماذا ؟ مخافة أن تحتاج بعد ذلك إلى ما أعطيت فتندم على أنك أعطيت .

ويقول الحق بعد ذلك :

﴿ وَمِنَ الْأَنْعَلَمِ حَمُولَةً وَفَرْشَا كُلُوا مِمَّارَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلَاتَنَّيِعُوا خُطُورَتِ الشَّيْطِينَ إِنَّهُ، مِمَّارَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلَاتَنَيِعُوا خُطُورَتِ الشَّيْطِينَ إِنَّهُ، لَكُمُ عَدُوُّهُمَيِنَ ﴿ اللَّهِ الْمُ

O111100+00+00+00+00+00+0

وبعد أن تكلم سبحانه عن نعمه علينا في الزراعة ونعمه علينا في الماشية قال: «ومن الأنعام» وهي الإبل والبقر والغنم ، «حمولة» والحمولة هي التي تحمل ، فيقال: « فلان حمول» أي يتحمل كثيراً. والحق يقول:

﴿ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَد لَمْ تَكُونُوا بَسْلِغِيهِ إِلاَّ بِشِقِّ الأَنفُسِ . . ٧٠ ﴾

[سورة النحل]

والذي تحمله فوق ظهرها يسمى احُمُولة ». ولذلك نقول عن السيارة التي تنتقل الحمولة كذا طن ». (ومن الأنعام حمولة وقرشاً) .

والإبل نحمل عليها الرحال ، وكل متطلباتنا ، وقفر شاء معناها: مقابل الخمولة. فالحمولة هي المشتدة التي تقوى على أن تحمل ، وكل مالا يستطبع الحمل لصغره ، أو لأنه لم يعد لذلك ، إذا مانظرت إليه نظرة سطحية تجده وكأنه فارش للأرض . أو قومن الأنعام حمولة ، وهي التي تحمل ستاعكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس . و وفرشا ، أي ومن ما تتخذون منه فرشاً بأن نسبح من وبره وصوفه وشعره مانفرشه .

﴿ وَمِنَ الْأَنْمُنْمِ خَمُولَةً وَفَرْشًا كُلُوا مِمًّا رَزْقَكُمُ اللَّهُ وَلا تَتَبِعُوا خُطُوْتِ الشَّيْطُنْنِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوً مُبِينٌ (١٤٧) ﴾ [سررة الأنعام]

وفى الحديث عن الأنعام ، جاء بالحمولة والفرش ويأتى أيضاً بسيرة الأكل ؛ لأننا نأكل لجمها وألبانها ومشتقات الألبان كلها ، وهكذا تتعدد المنافع ، فهى تحملنا ونأخذ من أصوافها وأوبارها وشعورها الفرش ، والوبر وهو شعر الجمال، والصوف وهو شعر الغنم ، وشعر الماعز يتميز بلمعة وانفصائية بين شعيراته .

ونلحظ أنه سبحانه قال في الآية الأولى: «كلوا «وفي الثانية: «كلوا» ؛ لأن ذلك جاء بعد الكلام عما حرموه على أنفسهم من أرزاق الله في الأرض، فمكان ولابد أن يؤكد هذا الممنى ، ويوضح: إن الذي خلق هو الله ، والذي كلف هو الله ، فلا تأخذوا تحليلاً لشيء ولا تحريماً لشيء إلا عمن خلق وعن كلف .

(كلوا ممارز قكم الله ولاتتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين).

الشيطان هو الذي يوسوس لهم بالمخالفة لمنهج الله ، وعداوة الشيطان ظاهرة . فإذا ماكنت العداوة سابقة ، فقد أنزل آدم وحواء من رثبة الطاعة إلى رتبة المعصية وجرأهما على المخالفة فخرجا من الجنة ، كان من الواجب أن نحتاط في قبول هذه الوسوسة .

ثم يفصل الحق لنا الأنعام التي نتخذها حمولة ، أو نأخذ منها فرشاً فقال :

﴿ ثَمَانِيَةً أَزْوَجَ مِنَ الضَّانِ آثَنَانِ وَمِنَ الْمُعَنِ اثْنَانِ وَمِنَ الْمُعَنِ اثْنَانِ وَمِنَ الْمُعَنِ اثْنَانِ اثْنَانِ وَمِنَ الْمُعَنِ اثْنَانُ الْأَنْنَيَةِ وَلَيْ الْمُعَنِ الْمُعَنِ الْمُعَنِ الْمُعَنِ الْمُعَنِ الْمُعَنِ الْمُعَنِ الْمُعَنِ اللهُ الل

وكلمة "أزواج" ، جمع زوج ، و"الزوج ايطلق على الشيء معه مايقارنه مثل «زوج النعل» ، ونحن في أعرافنا نأخذها على الاثنين ، لكنها في الأصل تطلق على الواحد ومعه مايقارنه ، إلا أنه إذا لم يكن هناك فارق بين الاثنين بحيث لايتم الانتفاع بأحدهما إلا مع الآخر ولكن لاتميز لأحدهما على الآخر كالجورب مثلا ، ففي مثل هذا نستسمح اللغة في أن نسمى الاثنين زوجا ، لكن إذا كان هناك خلاف بين الاثنين لانقول على الاثنين: زوج .

والذكر والأنثى من البشر ، صحيح أنهما يقترنان في أن كل واحد منهما إنسان ، لكن للذكر مهمة وللأنثى مهمة مختلفة. أما الجوارب فكل فردة امنها نضعها في أى قدم لأنه فارق بينهما ، إذن كلمة فزوج الطلق ويراد بها الشيء الواحد الذي معه ما يقارنه. والحق يقول:

﴿ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةُ . . (﴿ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ

[صورة البقرة]

O14V100+00+00+00+00+0

وكلمة « زوج »هنا أطلقت على حواء ؛ فأدم زوج وحواء زوج ، والحق هو القائل:

﴿ وَأَنَّهُ خَلْقُ الزُّوجِيْنِ الذَّكُرُ وَالْأَنشَىٰ ٤٠٠ ﴾

ولم يقل عن الاثنين: إنهمما ازوج اللقال: خلق الزوج الذكر والأنثى. إذن فكلمة ازوج الطلق على واحد معه مايقارته ، مثلها كمثل كلمة التوأم وهي لاتقال للاثنين ، بل تقال لواحد معه آخر. لكن الاثنين يقال لهما: توأمان.

﴿ ثُمَّ نِيَةً أَزْوَاجٍ مِّنَ الصَّأْنِ النَّيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ النَّيْنِ . ١٣٠٠ ﴾ [سورة الانعام]

و «من الضأن اثنين»أى ذكرها وأنثاها فتسمى الذكر كبشا والأنشى انسجة . ومن المعز اثنين ، والذكر نسميه «تيساً» ، والأنثى نسميه العنزة ، وبذلك يكون معنا أربعة ، ومن هنا نفهم أن الزوج مدلوله فرد ومعه مايقارنه .

﴿ . قُلْ ء الذُّكُرِيْنِ حَرَّمَ أَمِ الأُنظِيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الأُنظَيَّنِ نَبِّتُونِي بِمِلْم إِن كُتُمْ صَلْدَقِينَ (١٤٦) ﴾

ومادمتم أنتم تحرمون وتحللون ، وتقولون: إن هذا من عند الله فقولوا لنا أحرم الذكرين أم حرم الأنثيين؟ ولا يجدون جواباً ؛ لأن سبحانه لاحرم هذا ولاحرم ذلك ، ولذلك أبرزت المسألة إسراز الاستفهام ، والشيء إذا أبرز الاستفهام قمعناه أنه أمر مقرر بحيث إذا سألت الخصم لا يقول إلا ما تتوقعه ، واسعه السؤال أو الاستفهام التقريري . ويقول الحق: « نبئوني بعلم إن كنتم صادقين »أي أخبروني بعلم ذلك في التحريم إن كنتم أهل صدق ؛ لأنكم لستم أهلاً للتحريم ، إنما يحرم ويحلل من خلق وشرع . فإن كان عندكم علم قولوا لنا هذا العلم .

ثم يأتي الحق بخبر الأربعة الباتية من الأنعام فيقول:

00+00+00+00+C'rqvr0

﴿ وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَانِ وَمِنَ الْمُعْرَافِنَ الْمُعْرَافُنَانِ وَمِنَ الْمُعْرِافُنَانِ وَمِنَ الْمُعْرَافُ الْمُعْرَافُ الْمُعْرَافُ الْمُعْرَافِ الْأَنْسُيَةِ الْمُحْدَاءَ إِذَ عَلَيْهِ الْرَحَامُ الْأَنْسَيَةِ الْمُحْدَاءَ إِذَ عَلَيْهِ الرّحَامُ الْأَنْسَيَةِ الْمُحْدَافَةِ الْمُحْدَافَةِ اللّهِ مَعْدَافَةً مِعْرَافَةً مِعْرَافَةً مِعْرَافَةً مِعْرَافَةً مَا اللّهِ مِعْدَافَةً اللّهُ مِعْرَافَةً اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللللّهُ الللّهُ اللّهُ الللللّهُ الللللّهُ الللللّهُ الللللّهُ اللللللّهُ اللللللّهُ اللللللّهُ اللللللّهُ اللللّهُ الللللللللللللللل

ومن البقر اثنين: ذكر وأنثى أيضاً ، والذكر من البقر نسميه ثوراً ، ويخطئ بعض الناس في تسمية الأنثى من البقر « بقرة » ، إن البقرة اسم لكل واحد منها: للذكر والأنثى ، والتاء في بقرة للوحدة ، واسم الأنثى « ثورة » «ومن الإبل اثنين ومن البقر اثنين قل الذكرين حرم أم الانثيين » أنتم تقولون ؛ إنكم لم تتبعوا رسولاً ، وكنتم على فترة من الرسل ، ولم يأت لكم رسول ، إذن فلا تحريم إلا من الله ، ولا يبلغكم تحريم الله إلا عن طريق رسول . بل أكنتم شهداء مسألة التحريم ، أى أشاهدتم ربكم ورأيتموه حين أمركم بهذا التحريم ، أم أنتم الأنبياء ؟ . إنكم تتعمدون ربكم ورأيتموه حين أمركم بهذا التحريم ، أم أنتم الأنبياء ؟ . إنكم تتعمدون الكذب على الله لإضلال الناس . إذن ، فالحق لا يهدى من يظلم نفسه ويظلم الناس .

ويقول سبحاله بعد ذلك :

﴿ اللهِ قُل لَا آجِدُ فِي مَا أُوحِي إِلَىٰ عُكرَّمًا عَلَى طَاعِيمِ الْعَلَى عَلَى طَاعِمِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهُ اللّهُ اللهُ ال

المنابعة المنابعة

الله بِهِ مَا فَكُورُ رَجِيدُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ

والحق سبحانه وتعالى قد تكلم عن التحريم في آيات كثيرة ؛ فهناك الآية التي قال فيها :

﴿ حُرِّمَتُ عَلَيْكُمُ الْمَيْسَةُ وَاللهُمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أَهِلُ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمُوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَذِيةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكُلُ السِّبُعُ إِلاَّ مَا ذَكُيْتُم وَمَا ذُبِحَ عَلَى النَّصُب . . ٢٠٠٠ ﴾

وهنا في الآية التي نحن بصدد خواطرنا عنها نجد الحصر في أربعة فقط ، فيقول مسحانه:

﴿ قُلْ لاَ أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَىٰ مُحَرِّمًا عَلَىٰ طَاعِم يَطْفَمُهُ إِلاَّ أَن يَكُونَ مَيْنَةً أَوْ دَمَّا مَسْفُوحًا أَوْ لَحَمَّ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أَهِلُ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ . . (10) ﴾ [سورة الأنعام]

فكيف يتفق هذا النص مع النص الأخر؟!

من يقول ذلك نقول له: أنت لاتفرق بين إيجاز وإطناب ، ولاتفرق بين إجمال وتفصيل ؛ فالذي تُرك في هذه الآية داخل في الميتة ؛ لأن المنخنقة والمعتردية والنطيحة وماأكل السبع ، والذي ذُبح على النصب وما أهل به لغير الله موجود وداخل في كلمة «الميتة».

ثم: من قال: إن القرآن هو المصدر الوحيد للتشريع ؟ التشريع أيضاً لرسول الله على ، بتفويض من الله في قوله تعالى :

﴿ وَمَا آتَسَكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَسُكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا . ٧ ﴾ [سورة الحشر]

فلاتقل إن المحرمات فقط محصورة في هذه الآية لأن فيه محسرمات كثيرة ، بدليل أن الله مرة يُجْملها ، فيحرم علينا الخبائث ؛ فكل خبيث مُحرم ، وقلنا من قبل : إن الدم المسفوح مُحرم ، والدم المسفوح هو السائل الذي ينهال ويجرى وينصب ساعة الذبح ، وهل هناك دم غير مسفوح ؟ نعم ، وهو الدم الذي بلغ من قوة تسماسكه أن كون عضواً في الجسم كالكبد أو الطحال ، ولذلك يقول الرسول على : «أحلت لنا ميتتان ودمان : فأما الميتتان فالحوت والجراد ، وأما الدمان فالكبد والطحال ، وأما الدمان فالكبد والطحال ، وأما الدمان

وعلى منطق التحريم للميتة والدم كان لابد ألا نأكل الميتة من السمك. ولاالكبد والطحال ، ولكن الله أحل لمنا السمك والجراد والكبد والطحال لأنها لاتضر الجسم ، فالسمك والجراد لبس لهما نفس سائلة أى دم يجرى ؛ فإذا ماذبحنا أحدهما لايسيل له دم ، أما الكبد والطحال فهما من دم وصل من الصلاحية أنه يكون عضواً في الجسم ، ولايتكون عضو في الجسم يؤدى مهمة من دم فاسد ، بل لا بدأن يكون من دم نقى .

والحق الذي شرع يقدر الظروف المواتية للمكلّفين، وقد تمر بهم ظروف وحالات لا يجدون فيها إلا الميتة، وهنا يأكلون أكل ضرورة على قدر دفع الضروالجوع. لكن على المسلم ألا يملاً بطنه من تلك الأشياء.

﴿ . . فَمَنِ اضْطُرُ غَيْرَ بَاغٍ وَلا عَادٍ فَإِنَّ رَبُّكَ غَفُورٌ رُحِيمٌ (10) ﴾ [سورة الانعام]

وأنواع الإضطرار: ألا تجد ما يؤكل من الحسلال، أو أن يكون ما يوكل من الحلال موجوداً إلا أن هناك من يكرهك على أن تأكل هذا المحرم، فالإكراه داخل في الاضطرار، والاضطرار يحملك ويدفعك إلى أن تمنع عن نفسك الهلاك؛ (١) رواه ابن ماجه والحاكم واليهقي من ابن عمر.

فتأخذ من طعام حتى تقتات فلا تموت من الجوع ، فإذا كان الله قد أباح لك أن تأكل من المستة في حال مظنة أن تموت من الجوع فمالك من الإكراه بالموت العاجل ؛ إنه أولى بذلك ؛ لأنه سبحانه هو الذي رخص ، وهو الذي شرع الرخصة ، ومعنى ذلك أنها دخلت التكليف ؛ لأن الله يحب أن تؤتى رخصة كما يحب أن تؤتى عزائمه ، وما دامت قد دخلت في دائرة التكليف فهنا يكون الغفران والرحمة .

ويقول الحق بعد ذلك:

وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَدِ حَرَّمْنَا صُكُلَّ ذِى ظُفْرٍ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَدِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُ مَآ إِلَّا مَاحَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا آوِالْحُوايَا أَوْمَا أَخْتَلَطَ بِمَظْمِّ ذَالِكَ جَزَيْنَاهُم بِبَغْيِمِ مُ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿

هنا يأتي الحق بالتحريم الثاني ، وهو التحريم للتهذيب والتأديب ، مثلما قال من قبل:

﴿ فَبِظُلُم مِن الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبُ عَلَيْهِمْ طَيِّبُ عَلَيْهِمْ طَيِّبُ عَلَيْهِمْ عَلَيْهِمْ عَلَيْهِمْ عَلَيْهِمْ عَلَيْهِمْ عَلَيْهِمْ عَلَيْهِمْ عَلَيْهِمْ مَن الله عَلَيْهِمْ عَلَيْهُمْ عَلَيْهِمْ عَلَيْهُمْ عَلَيْهُ عَلَيْهِمْ عَلِيكُمْ عَلَيْهِمْ عَلَيْهِمْ عَلَيْهِمْ عَلَيْهِمْ عَلَيْهِمْ عَ

ف «الظُفُر » هو ما يظهر عندما ننظر إلى أقدام بعض الحيوانات أو الطيور ، فهناك حيوانات نجد تشقق إصبعها ظاهراً والأصابع مفصلة ومنفرجة بعضها عن بعض ، فهذه ليست حراما عليهم ، ونوع آخر نجد أصابعها غير مفصولة وغير منفرجة مثل الإبل ، والنعام ، والبط ، والأوز وهي ذر الظفر . فكل ذي ظفر حرم على اليهود ، وقد حرم عليهم لاخبث وضرر في المأكول ، ولكن تأديبا لهم لأنهم ظلموا في أخذ غير حقوقهم ؛ لذلك يحرمهم الله من بعض ماكان حلالا لهم ؛ فالأب يعافب ابنه الذي أخذ حاجة أخبه اعتداه ؛ فيمنع عنه المصروف ،

- فالانجال

@@#@@#@@#@@#@@#@#\\\\\

والمصروف في ذاته ليس حراماً ، ولكن المنع هنا للتأديب. والحق هو القائل: ﴿ فَبِظُلْمٍ مِنَ اللَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيَّبَتْتِ أُحِلْتُ لَهُمْ وَبَصَدَهِمْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا (١٠٠٠) وَأَخْذِهِمُ الرِّبُوا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْؤُلَ النَّاسِ بِالْبَسْطِلِ . ـ (١٦٠٠) ﴾

[سررة النساء]

ولأنهم فعلوا كل ذلك يأتي لهم التحريم عقاباً وتأديباً

﴿ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلِّ ذِى ظُفُر وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا الْأَمَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظَمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَسُهُم بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظَمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَسُهُم بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَا مَا حَمَلَتُ ظُهُونَ ١٤٦٠ ﴾ [صورة الانعام]

وأنت حينما تذبح الذبيحة تجد بعضاً من الدهن على الكلى ، ونجد في داخلها ما يسمونه «منديل الدهن» وكذلك «ألية الخروف» ، وحين تقطع الرأس تجد فيها نوعاً من الدهون، وقد حرم الحق عليهم في البقر والغنم شحومهما. وكذلك «كل ذي ظفر» محرم كله . وهناك استثناء في البقر والغنم هو: ﴿ إِلاَ مَا حَمَلَتُ طُهُورُهُما أُو الْحُوالِيَا ﴾ .

أى أحل لهم ماهو فوق الظهر من الشحم، وأحل لهم ماحملته الحواياء الشحوم وقد الحوايا عجمع حوية أو حاوية أو حاوياء وهي ماتحق من الأمعاء أي تجمع واستدار، وفي الريف تقول المرأة عن قطعة القماش التي تبرمها وتلفها وتصنع منها دائرة مستديرة تضعها على رأسها لتحميه عندما تحمل فوقه الأشياء با تقول: صنعت وحواية والحواية هناهي الأمعاء الغليظة، وطولها كذا متر، ومن حكمة تكوينها الربائية نجدها تلتف على بعضها، ولذلك اسمها قالحوايا، وهي مانسميه المبار، وكذلك حلل لهم مااختلط بعظم في القوائم والجنب والرأس والعين، وكذلك أحل لهم شحما اختلط بعظم منه الألية، لأن الألية تمسك بعضب الذنب، أي أصله، وهو الجُنزَيُ، في أصل الذنب عند رأس العُصْعُص.

ويذيل الحق الآية بقوله: ﴿ ذلك جزيناهم ببغيهم وإنا لصادقون ﴾ .

وليس هذا التحريم تعديًا عليهم ، أو تعنتاً في معاملتهم ، بل لأنهم بَغُوا ، والباغي يجب أن يأخذ حظه من الجزاء ؛ حتى يفكر ماذا يحقق له البغى من النفع ، وماذا يمنع عنه من النفع أيضاً ، وحين يقارن بين الاثنين قد يعدل عن بغيه ، وهم قد صدوا عن سبيل الله ، وأخذوا ربا لينموا أموالهم وأكلوا أموال الناس بالباطل ، لذلك حرّم عليهم الحق بعض الحلال . وسبحانه صادق في كل بلاغ عنه ، وتعرف بذلك أن علة التحريم لبعض الحلال كانت بسبب ظلمهم وما بدر منهم من المعاضى فكان التحريم عقوبة لهم .

ويقول الحق سبحانه بعد ذلك:

﴿ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةِ وَسِعَةِ وَلِسِعَةِ وَلَا يُرَدُّ مَا أَنْ وَرَحْمَةِ وَلِسِعَةِ وَلَا يُرَدُّ مَا أَنْ مُحْرِمِينَ ﴿ اللَّهُ مَا أَلْمُحْرِمِينَ ﴾ وَلَا يُرَدُّ بَأَسْهُ وَعَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُحْرِمِينَ ﴾

وكان مقتضى أنهم بكذبونك فيما أخبرت به عن الله ، أن يعجل الله لهم بالعذاب ؛ لكن الحق لم يعجل لهم بالعذاب لأنه ذورحمة واسعة .

﴿ فَقُل زَّبْكُمْ ذُورَهُمْ وَاسِمَةٍ ﴾

(من الآية ١٤٧ سورة الأنمام)

ولكن إياكم أن تطمعوا في الرحمة الدائمة ؛ إنها رحمة تأجيل فقط ، ولن يفوتكم عذابه ، وهنا يحننهم أيضاً فيقول سبحانه : « ربكم ذو رحمة واسعة ، وكأنه يقول لهم : راجعوا أنفسكم واستحوا من الله ولا يغرنكم أنه ربّ ، خلق من عُدّم وأمدٌ من عُدْم ، وتولّى التربية ، لكنه لن يرد ويمنع بأسه وعذابه عن القوم المجرمين منكم .

ويقول سبحانه من بعد ذلك:

﴿ سَيَقُولُ الَّذِينَ اَشَرَكُواْ لَوْسَاءَ اللهُ مَا أَشْرَكُنا وكلاّ مَا الكَوْنَ اولا حَرَّ مَنا مِن شَيْءٍ كَذَالِكَ كَذَب اللّذِينَ مِن قَبْلِهِ مَحَقَّى ذَا قُواْ بَأْسَتَنَا فَلْ هَلْ عِندَكُم مِنْ عِلْمِ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِن تَنْبِعُونَ إِلَا الظّنَ وَإِنَّ أَنتُمَ

وكلما تقرأ آية فيها «سيقول» فاعلم أنها تنطوى على سر إعجازى للقرآن، والذي يعطى هذا السر هو الخصم حتى تعرف كيف يؤدى عدو الله الدليل على صدق الله، مما يدل على أنه في غفلة. ومن قبل قال الحق سبحانه:

﴿ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ ﴾

(من الآية ١٤٧ سورة البقرة)

و دسيقول ، معناها أنهم لم يقولوا الآن ، ويخبر القرآن أنهم سيقولون ، ولم يخبئ ويستر القرآن هذه الآية ، بل قالها رسول الله صلى الله عليه وسلم قرآنا يقرأ ويصلى به . ولو أن عندهم شيئاً من الفكر لكانوا يسترون القول حتى يُظهروا المتكلم بالقرآن بمظهر أنه لا يقول الكلام الصحيح ، أو على الأقل يقولون إنه يقول : د سيقول السفهاء » ، ونحن لسنا بسفهاء فلا نقول هذا القول . لكنهم يقولون القول الله يقولون الأية قد سبقتهم بالتنبؤ بما سوف يقولون ؛ لأن الذي يقولون القول الذي اخبر هو الله ، ولا يمكن أن يجئ احتياط من خلق الله ليستدرك به على صلق الله . أحبر هو الله ، ولا يمكن أن يجئ احتياط من خلق الله ليستدرك به على صلق الله .

وكل مسرف على نفسه في عدم اتباع منهج الله يقول: إن ربنا هو الذي يهدى وهو الذي يضل ، ويقول ذلك بتبجح ووقاحة لتبرير ما يفعل من سغه . وسيظل المسرفون على أنفسهم وكذلك المشركون يقولون ذلك وسيحاولون تحليل ما حرم الله . وقد جاء المشركون بقضيتين : قضية في العقيدة ، وقضية في التكليف ؛ قالوا

WE WILLIAM

في قضية العقيدة: « لوشاء الله ما أشركنا » ، وكأنهم أشركوا بمشيئة الله . وجاءوا إلى ماحرموا من حلال الله وقالوا إنهم قد فعلوا ذلك بمشيئة الله أيضاً ؛ ليوجدوا لأنفسهم مبرراً ، وهذا القول ليس قضية عقلية ؛ لأنها لوكانت وقفة عقلية لكانت في الملحظين: الخير والشر ، فالواحد منهم يقول: كتب ربنا علينا - والعياذ بالله - الشر ، لماذا يعذبني إذن ؟! ولا يقول هذا الإنسان « وكتب الله لي الخير» . هذا ماكان يفرضه ويقتضيه المنطق لكنهم تحدثوا عن الشر وسكتوا عماً يعطى لهم من خير ،

وقولهم الوشاء الله ماأشركنا اصحيح المعنى ؛ لأنه سبحانه لوشاه أن يجعل الناس كلهم مهديين لفعل ، لكنه شاء أن يوجد لنا اختياراً ، وفي إطار هذا الاختيار لا يخرج أمر عن مشيئته الكونية ، بل يخرج الكفر والشرعن مسراده الشرعى ، وعلمنا من قبل أن هناك فرقاً بين الكونية والشرعية ؛ فكفر الكافر ليس غصباً عن الله أو قهراً عنه سبحانه ، إنما حصل وحدث بما أعطاه الله لكل إنسان من اختيار ، فالإنسان صالح للاختيار بين البديلات:

﴿ فَمَن شَاءَ فَلْيُوْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكُفُو ﴿ . . (17) ﴾

فالإنسان قادر على توجيه الطاقة الموهوبة له من الله الصالحة للخير أو الشر. إذن فأختيار الإنسان إما أن يدخله إلى الإيمان و إما أن يتجه به إلى الكفر ، لذلك يقول الحق عن الذين يدعون أن كفرهم كان بمشيئة الله:

﴿ كَذَلَكُ كَذَّبُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا بَأْسَنَا . . (١٤٨٠) ﴾ [سورة الأنعام]

والسابقون لهم قالوا ذلك وفعلوا مثل مايفعل هؤلاء من التكذيب ؛ وجاءهم بأس وعذاب من الله شديد ، ولذلك يأمر الحق محمداً علله :

﴿ . قُلْ هَلْ عِندَكُم مِنْ عِلْم فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَبِعُونَ إِلاَّ الظُنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلاَّ تُخُرُّصُونَ ﴿ ٢٤٠ ﴾

00+00+00+00+00+014.0

ويسألهم محمد على عن علم بؤكدون به صحة مايدعونه. . ويزعمونه أى هل عندكم بلاغ من الله ، والحق أنهم لاعلم لديهم ولادليل ، إنهم يتبعون الظن ، ويخرصون ، أى أن كلامهم غير واضح الدلالة على المرادمنه ، إنه تخمين وظن وكذب.

لذلك يقول سبحانه:

﴿ فَلَ فَلِلَّهِ ٱلْحُبِّعَةُ ٱلْبَالِغَةُ فَلُوشَاءَ لَهَدَىٰكُمْ الْمُحَادِينَ اللَّهِ اللَّهُ الْمُعَادَ المُحَدِينَ اللهُ اللهُ

نعم فلو شاء سبحانه لقسرهم على الهداية وما استطاع واحد منهم أن يخرج عن الهداية ، ولكنه لم يشأ ذلك ، بل أراد أن يكون الإقبال على الإيمان به ، واتباع التكاليف أمراً داخلاً في اختيارهم . ألم يخلق سبحانه خلقاً لا يعصون الله ماأمرهم ويفعلون ما يؤمرون؟ ألم يخلق الكون كله مؤتمراً بأمره؟!

﴿ قُلْ قَلْلَهِ الْحُجَّةُ الْبَسْلِغَةُ . . (١١١) ﴾

و الخجة اهى الدليل الذي تقيمه لتأييد قولك في الجدل ، ولذلك نسمى عقودنا حجة على الملكية . أو الخجة البالغة التي لاينفذ منها شيء أبدأ يعطل المراد منها.

ويقول الحق بعد ذلك :

﴿ قُلْهَلُمُ شُهَدَآءً كُمُ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ مَرَّمَ هَنَدُ أَفَإِن شَهِدُونَ أَنَّ اللَّهَ

OY14100+00+00+00+00+0

تَنَيِعُ أَهُوا ۗ ٱلَّذِينَ كُذَّبُوا بِعَايَكِتِنَا وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُم بِرَيِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿ اللَّهِ اللَّهُ اللَّالَّالِي الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ

ومادمتم لا تملكون العلم فمن المحتمل أنكم تملكون شهوداً على ما تقولون . والخطاب: وهلم عهداءكم عهو خطاب للجماعة ، و وهلم عستوى فيها المفرد والمفردة والمثنى مذكراً كان أو مؤنثاً . والجمع مذكراً أو مؤنثاً ، فتقول : هلم يا زيد إلى ، وهلم يا هند إلى ، وهلم أيضاً لجماعة الذكور ولجماعة الإناث ، وهذه لغة الحجازيين . وتختلف عن لغة بنى تميم التى يزيدون عليها فيقال : وهلم يا رجل ٤ ، و وهلمى يا امراة ٤ ، و وهلما ، وهلموا ، وهلممن ٤ . والقرآن نزل بلغة قريش و الحجازيين ٤ ، والحق يقول : وهلم شهداءكم ٤ . أى هاتوا وأحضروا شهداءكم أن الله حرم هذا ، إنكم بلا علم ، وكذلك لا شهود عندكم على المدعى ؛ فإن كان عندكم شهود هاتوا هؤلاه الشهود .

وماذا إن أحضروا شهود زور ؟ إنه .. سبحانه .. يحذر رسوله ويوضح له أنهم حتى ولو أحضروا شهداء إياك أن تصدقهم فهم كذابون :

وكان الله يريد أن يفضح الشهود أيضاً أمام المشهود أمامهم ، ويعطى أيضاً قضيتين اثنتين ؛ فسبحانه يدحض ويبطل حجتهم ، ويفضح الشهود الذين جاءوا بهم . فكانه قال : هاتوا هؤلاء الذين قالوا لكم هذا الكلام ، وفي ذلك فضيحة لمن لقنهم هذه الأوامر .

ويأمر الحق رسوله ألا يتبع الذين كذبوا بآياته سبحانه . وكلمة ه أهواء ، جمع هوى ، وهو ما يختمر في الذهن ليلوى الإنسان عن الحق ؛ فهو شهوة ترد على الذهن فتجمله يمدل عن الحق :

﴿ وَلَا تَتَّبِعُ أَهُوا مَا الَّذِينَ كَلُّهُواْ بِعَايَنْتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْلَائِرَةِ ﴾

(من الآية ١٥٠ سورة الأنعام)

وهم لا يكذبون بآيات الله فقط بل لا يؤمنون بالآخرة أيضاً ؛ لأنهم لوكانوا يؤمنون بالآخرة لعلموا أنهم مجازون على هذا جزاء يناسب جرائمهم ، ولو أنهم قدروا هذه المسألة لامتنعوا عن اتباع أهوائهم .

ويذيل الحق الآية بقوله الكريم :

﴿ وَهُم يِرَيِّهِم يَعْدِلُونَ ﴾

(من الآية ١٥٠ سورة الأنمام)

ونفهم من كلمة ويعدل ، أنها من العدل بمعنى القِسط ؛ إذا قيل : عدل في كذا ، أو عدل بين فلان وفلان ؛ أو عدل في الحكم ، أما عدل بكذا فيكون المراد منها أنه جعله عديلا ومساويًا ، وجاءت بهذا المعنى في آية أخرى هي قوله الحق :

﴿ الْحَمْدُ بِنَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَنُوْتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَنْتِ وَالنَّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ رِرَبِهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿ ﴾

(سورة الأنمام)

أى يجعلون ما لا يصبح أن يكون مساويًا لله ، مساويا وعدلا لله . وهذا نعل من جعلوا لله شركاء ، وكذلك من لا يؤمنون بالله ؛ فالواحد منهم يعدل عن ربه عدولا ويميل ويعرض عنه ويشزك به ويسوّى به غيره . ويجب أن نلحظ عند النطق بكلمة التوحيد ، وهي : د لا إله إلا الله ، ألا نقف عند قول : (لا إله) لأن ذلك يعنى إنكار ونفي وجود إله وهذا والعياذ بالله كفر . إذن يجب علينا أن نصلها بما بعدها فنقول : (لا إله إلا الله) أو نكون عند نطقنا بلفظ (لا إله) قد انعقدت قلوبنا على وحدانيته وما يجب له _ تعالت عظمته _ من صفات الجلال والكمال ، ومعنى (لا إله إلاالله) أنه لا معبود بحق إلا الله ، لأن المعبودين بباطل كثيرون كالأصنام والنجوم والجن وبعض الإنس والملائكة وغير ذلك .

وكلمة و بربهم يعدلون ، تفيد أنهم أهل شرك ، وكذلك من ينكر وجود الله إنه عن ربنا يعدل ويميل ويحيد عن الاعتراف به إلها .

﴿ قُلْ تَعَالُواْ اَتْلُ مَا حَرَمُ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ عَلَيْكُمْ الْكَانُ الْكَانُ الْكَانُ الْكَانُ الْمَكُنُ الْمَلْكُولِ الْمَلْقِ فَعَنُ نَرُدُفُكُمْ وَلَا تَقْدُلُواْ الْفَوْرَحِثُ مَا ظَلْهَرَمِنْهَا وَكَانَعُ مُونَ الْمَلْقِ فَعَنُ نَرُدُفُكُمْ وَالْمَانُ الْفَوْرَحِثُ مَا ظَلْهَرَمِنْهَا وَمَا الْفَوْرَحِثُ مَا ظَلْهَرَمِنْهَا وَمَا الْفَوْرَحِثُ مَا ظَلْهَرَمِنْهَا وَمَا الْفَوْرَحِثُ مَا ظَلْهَرَمِنْهَا وَمَا اللّهُ وَمَا اللّهُ وَمَن اللّهُ وَمَا اللّهُ مَن اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ

نظر في هذه الآية فلا نجد شيئاً من المحرمات من الأطعمة التي بها قوام الحياة ، ولكن نجد فيها المحرمات التي إن اتبعناها نهدر القيم المعنوية التي هي مقومات الحياة الروحية ، إنها مقومات الحياة من القيم ﴿ قل تعالوا أتل ما حرّم ربكم عليكم ﴾ .

والأداء القرآنى هنا يأخذ لفظ و تعالى بفهم أعمق من مجرد الإقبال ، فكأن الحق يقول : أقبل على إقبال من يريد التعالى في تلقى الأوامر . فأنت تقبل على أوامر الله لتعلو وترتفع عن حضيض تشريع البشرية ؛ فلا تأخذ قوانينك من حضيض تشريع البشر ؛ لأن الشرط الواجب في المشرع ألا يكون مساويًا لمن شرع له ، وألا يكون منتفعاً ببعض ما شرع ، وأن يكون مستوعباً فلا تغيب عنه قضية ولا يغفل عن شيء والمشرع من الخلق لا يشرع إلا بعد اكتمال عقله ونضجه . ولا يقدر أن يمنع نفسه من الائتفاع بالتشريع .

الراسمالي - مثلًا - يشرع ليستفيد ، والماركسي يشرّع ليستفيد . وكل واحد

يشرع وفي نفسه هوى ، ومن بعد ذلك تعدّل التشريعات عندما نستبين أنها أصبحت لا تفى ولا تغطى أمور الحياة ، فكأن المشرع الأول لقصور علمه غابت عنه حقائق فضحها المجتمع حين برزت القضايا ، فنظر في قانونه فلم يجد شيئاً يغطى هذه القضايا ، فيقول : نعدل القانون ، ونستدرك . ومعنى استدراك القانون أي أن هناك ما جهله ساعة قنن .

إذن يشترط في المقنن الا يكون مساويًا للمُقنن له ، والا تغيب عنه قضية من القضايا حتى لا يُستُدّرُك عليه ، والا يكون منتفعاً بالتشريع ، ولا يوجد ذلك في بشر أبداً ، فأوضح الحق : اتركوا حضيض التشريع البشرى وارتفعوا إلى السماء لتأخذوا تقنينكم منها ؛ فحين ينادى الله « تعالوًا » فمعناها ارتفعوا عن حضيض تقنين بشريتكم إلى الأعلى لتأخذوا منه تقنيناتكم التي تحكم حركة حياتكم ، فهو لا ينتفع بما شرع ، بل أنتم الذين تتفعون ، ولأنه لا يغيب عنه شيء سبحانه ، وهو خالق ، هو أولى أن يشرع لكم .

﴿ قُلْ تَعَالُواْ أَتَلُ مَا حَرْمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ﴾

(من الآية ١٥١ سورة الأنعام)

اتل ، من التلاوة وهي القراءة ﴿ ما حرم ربكم عليكم ﴾ أي ما جعله حراما . .
 أي يمتنع عليهم فعله ، وسأقول لكم كل البلاغات بلاغاً بعد بلاغ .

﴿ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِ = شَيْعًا ﴾

(من الآية ١٥١ سورة الأنعام)

لقد جاء سبحانه بتحريم الشرك من خلال تركيب لغوى يؤكد علينا ألا نشرك به ؛ فأنت ساعة تأتى لتلقى أوامر لمن ترأسه تقول له : استمع إلى ما أمنعك منه فأتبعه . ثم تبدأ في التفصيل ، والحق هنا جاء بأول بند من المحرمات والمحظورات هو ألا نشرك به شيئاً . أى أتلو عليكم تحريم الشرك ، فأول المحرمات الشرك ، وعلينا أن نوحد الله ، فكل نهى عن شيء أمر بمقابله وكل أمر المحرمات الشرك ، وعلى ذلك فكل أمر يستلزم نهيا ، وكل نهى يستلزم أمراً . فلا تلبس عليكم الأوامر والنواهي . أو تكون (عليكم) منقطعة عما قبلها ، أى عليكم ترك الشرك ، وعليكم إحسانا بالوالدين ، وألا تقتلوا أولادكم ، وألا تقربوا

الفواحش . أي ألزموا ذلك .

ثم يقول سبحانه: ﴿ وبالوالدين إحساناً ﴾ وسبحانه يأمر هنا بتأكيد الإحسان إلى الوالديس؛ فسهو أمر بإيجاب ويستلزم نهياعن مقابله وهو عقوق الوالدين، أى لاتمقوهم. فعدم الإحسان إلى الوالدين يدخل فيما حرم الله. ثم يقول سبحانه:

﴿ وَلا تَقْتُلُوا أَوْلَـٰ دَكُم مِنْ إِمْلِنِي نُحُنُّ نَوزُقُكُم وَإِيَّاهُم . . (١٠٠٠) السورة الانمام]

أى استبقوا حياة أولادكم ، فإن أردتها من قبيل النهى فقل هو نهى عن قتل الأولاد، وإن أردتها من قبيل الإيجاب فقل: استبقوا الحياة . وقول: ﴿ مِنْ إَمْلَوْ ﴾ أى من فقر ، فكأنهم كانوا فقراء ، ومادام الإملاق موجوداً فشغل الإنسان برزق نفسه يسبق الانشغال برزق من يأتى بعده ؛ فيا أهل الإملاق تذكروا أن الله يرزقكم ويرزق من سيأتى زيادة وهم الأولاد ، ويقول سبحانه :

﴿ وَلا تُقْرَبُوا الْفَوْحِشَ مَا ظَهْرَ مِنْهَا وَمَا يُطُنُّ . . (19) ﴾

وهذا نهى عن القرب ، أى نهى عن الملابسات التي قد تؤدى إلى الفعل لانهى عن الفعل فقط ؛ فحينما أراد الله يحرم على آدم وعلى زوجه الشجرة قال :

﴿ وَلا تَقْرِبًا هَلْدُه الشَّجْرَة . . 3 ﴾

لأن القرب قد يغرى بالأكل، وكذلك: ﴿ ولاتقربوا الفواحش ﴾ أى لا تأتى إلى مقدمات الفواحش بأن تلقى نظرة أو تحدق النظر إلى محرمات غيرك، وكذلك المرأة الني تتبرج ؛ إنها تقوم بالإقبال على مقدمات الفواحش، فإذا امتنعت عن المقدمات أمنت الفتئة والزلل؛ لأن رسول الله تقلل يقول: • الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور مشتبهات لا يعلمها كثير من الناس فمن اتقى المشبهات فقد استيراً لدينه

والانبقال

وعرضه ومن وقع في المشبهات وقع في الحرام كراع يرعى حول الحمى يوشك أن يواقعة ، ألا لكل ملك حمى ، ألا وإن حمى الله تعالى في أرضه ، ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت كله ألا وهي القلب (1).

ويمنعك الحق : ألا تقرب، أي أبعد نفسك عن مظنة أن تستهويك الأشياء ، مثلها مثل الجتنب ، تماماً ، وسبحانه وتعالى يقول :

﴿ فَاجْتَبُوا الرِّجْسُ مِنَ الأُوثْمُسُنِ . . ٢٠٠٠ ﴾

ويقول : ﴿ . . وَاجْتَنْبُوا قُولُ الزُّورِ ١٦ ﴾

وهنا يقول تعالى : ﴿ وَلا تَقْرَبُوا الْفُواحَشُ مَا ظَهُرُ مَنْهَا وَمَا يَطُنَ ﴾ .

وكل ما ظهر من الفواحش هو من أفعال الجوارح التي ترتكب الموبقات و اوما بطن ٩ هو من أفعال السرائر مثل الحقد ، والغل ، والحسد .

ويتابع سبحانه : ﴿ وَلا تَقْطُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ . . (١٥٠٠ ﴾

[سورة الأنعام]

وكلمة النفس ا يختلف الناس في معناها ، ولا تطلق النفس إلا على التقاه الروح بالمادة ، والروح في ذاتها خيرة ، والمادة في ذاتها خيرة مسبحة عابدة.

﴿ وَإِنْ مِن شَيْءِ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمَدُهِ .. (11) ﴾

وإذا التقت الروح بالمادة تقوم الحياة ، فمعنى قتل النفس أن نفصل الروح عن المادة بهدم البنية وهذا غير الموت ؛ لأن الله هو الذي يميت النفس ، أما الإنسان به في الآية فستجد التعقل يعطيك التوازن في القرار ، وقد ختم الحق الخمسة الأشياء

⁽١) رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه عن التعمان بن بشير.

@#4AV@@#@@#@@#@@#@@#@

فهو يقتل النفس إن هدم بنيتها . والذي وهب الحياة هو الله ، فلا يسلب الحياة إلا هو . وبعد ذلك يشرع الله لنا أن نسلب الحياة قصاصاً ، أو للزنا من الثيب المحصن رجلا أو امرأة ، أو للردة ، فهذا قتل بحق ،لكن سبحانه وتعالى يلعن من يهدم بنيان الله بغير الحق ، والإنسان بنيان الله فلا تعتدى عليه . ولذلك أمرنا الله بالقصاص من إنسان قتل إنساناً ؛ حتى يحافظ كل واحد على حياة نفسه ، وحين يحفظ الإنسان كل نفس ، فإنه ينجو بنفسه ويسلم .

هكذا يأمر الحق بأن نقتل الثيب، والثيب الزانى يطلق على الذكر والأنثى وهو من تزوج ودخل على زوجه وذاق كل منهما عسيلة الأخر وأفضى إليه، وكذلك المرتد، فنحن نحوص على حرية الاعتقاد؛ بدليل أننا لا نقتل الكافر الأصلى لكفره، ولكن يجب على الإنسان أن يفهم أن الدخول إلى الإيمان بالإسلام يقتضى أن يدرسه دواسة مستوفية مقنعة، وأن يعلم أن حياته رهن بأن يرجع عن هذا الدين، فلن يدخله إلا وهو مقتنع تمام الاقتناع. ونحن نحمى بالاختيار، فنعلن لكل من يقبل على الإسلام ونحذره: إياك أن تدخل بظاهر القول دون فهم لمعنى الإسلام لأنك لو دخلت ثم بعد ذلك ارتددت فسوف تقتل، ومادام الشيء ثمنه الحياة، فالواجب أن يحتاط الإنسان الاحتياط الشديد. وفي ذلك أيضاً ثقة من أن الإنسان إذا ما بحث في الأدلة فسيقتنع بأن له إلها حقا، ولكننا لا نقتل الكافر الأصلى.

إذن فقتل المرتد حماية لحزم الاختيار ، فإياك أن تدخل بدون روية ؛ لأنك لو دخلت ثم ارتددت فسوف تقتل ، وبذلك يصفى الدق المسألة تصفية لازمة بأن يعرض من يقبل على الإسلام جميع الحجج على نفسه ، ولا يدخل إلا بنية على هذا ، ففى أى عقد يحاول الإنسان أن يعرف التزاماته وأن تتضح أمامه هذه الالتزامات . ولا يدخل إلى الدين الدخول الأهوج ، أو الدخول الأرعن ، أو الدخول المتعجل . بل يلزمه أن يدخل بتؤدة وروية .

وفى الزواج بدخل الإنسان بكدمة ويخرج بكلمة أيضا هى : و أنت طالق و ، ولذلك تحتاط المرأة ، فمادامت قد عرفت أن بقاء زواجها رهن بكلمة فعليها أن تحرص ألا تضع هذا الحق إلا في يد أمينة عليه . وساعة أن يقول لها أبوها :

اسمعى ، إن لك أن تختارى الزوج الذى إن أحبك أكرمك ، وإن كرهك لا يظلمك ؛ لأنه بكلمة منه تنتهى الحياة الزوجية . إذن فعلى المرأة أن تفكر في الإنسان الأمين على هذه الكلمة .

ومع ذلك فهناك احتياط للغفلة ؛ فالرجل يتزوج بكلمة واحدة ، من مرة واحدة لكن في الطلاق هناك ثلاث مراحل ؛ كرصيد للغفلة . فالرجل يتزوج المرأة بكلمة وزقجتك نفسي أو يزوجها وليها ويكون القبول من الزوج وبهذا يتم الزواج ه . لكن في الطلاق أباح الله لغفلة الرجل ولرعونته أن يطلق مرة ، ثم يراجع هومن غير دخول أحد بينها ، ثم يطلق ثانية ، ويراجعها ، ولكن بعد الطلاق الثالث يجد التنبيه من الحق : لقد احتطنا لك برصيد من غفلتك . ولكن عندما تريدها زوجاً لك فلا يتم ذلك إلا أن تتزوج غيرك ، وبعدها قد تعود لك أو تبقى مع من تزوجها . فاحتط ذلك إلا أن تتزوج غيرك ، وبعدها قد تعود لك أو تبقى مع من تزوجها . فاحتط جيداً للأمر الذي تدخل عليه ، وللتعاقد الذي التزمت به . فإذا كان هذا هو الشأن في تعاقد الزواج ، فها بالنا بالرَّدة ؟ إنّنا نقتل المرتد ، ولا نفعل به ذلك قبل أن يؤمن وقبل أن يعلن إيمانه وقبل الدخول في حيز المؤمنين ، ليعلم أنه إن رجع عن الإسلام فسيقتل . وهكذا يصعّب الإسلام الدخول إليه ، ويحمى الاختيار في الوقت نفسه .

ويتابع سبحانه :

﴿ ذَالِكُمْ وَصَّلْكُم بِهِ ، لَعَلَّكُمْ تَعْفِلُونَ ﴾

(من الآية ١٥١ سورة الأنعام)

و « الوصية » لا تكون إلا للأمور المهمة التي لا تستقيم كالحياة إلا بالقيام بها ، إنها في أمهات المسائل التي لا يصح أن نغفلها . ولذلك حين تنظر إلى النبي صلى الله عليه وسلم ؛ لقد ظل ثلاثة وعشرين عاماً يستقبل من السهاء ويناول أهل الأرض ، ثم جاء في حجة الوداع وركّز كل مبادئ الدين في قوله تعالى :

﴿ ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون ﴾ .

و « وصاكم » غير شرّع ؛ فشرّع تأتى بكل التشريعات وما فيها من تفاصيل صغيرة ، والوصية تضم أمهات المسائل في التشريع ، و العقل يجب أن يسع المسألة من أولها إلى آخرها ؛ فلو استعملت عقلك في كل منهى عنه ، أو في كل مأمور

O144100+00+00+00+00+0

به في الآية فستجد التعقل يعطيك التوازن في القرار ، وقد ختم الحق الخمسة الأشياء التي ذكرها في هذه الآية بـ ﴿ ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون ﴾ . وهذه الأوامر متفق عليها في جميع الرسالات وفي جميع الأديان ، ويسمونها: «الوصايا العشر» .

والأشياء الخمسة التي أوصى بها سبحانه هي:

- ألا تشركوا به شيئاً.
- وبالوالدين إحساناً .
- ولا تقتلوا أولادكم من إملاق.
- ولاتقربوا الفواحش ماظهر منها ومابطن.
- ولاتقتلوا النفس التي حرّم الله إلا بالحق.

فكان يجب أن يقول: ذلكم وصاكم بها ، لكنه قبال: ﴿وصاكم به) ، فكأن أوامر الله ونواهيه أمر واحد متلازم تتمثل كلها في: النزم ماأمر الله به ، واجتنب مانهي الله عنه ،

وقوله سبحانه: ﴿لعلكم تعقلون﴾ فكأن العقل لو خُللًى ليبحث هذه الأشياء بحثاً مستقلاً عن منهج السماء لوجد أن ضرورة العيش على الأرض تتطلب وجود هذه الأشياء.

إذن ، كيف نُعْصم من أهوائنا المتضاربة بعضها مع بعض؟ . لابد أن يكون الإله واحداً حتى لايتيع كل واحد منا هواه . إننا نعرف أن الأصل في الإنسان هو الأب والأم . لذلك وصى بالأصل في ﴿وبالوالدين إحسانا ﴾ ، ووصى أننا لانقتل الأولاد خشية الفقر ؛ لأن الحياة تستمر بهم ، وبعد ذلك لابد أن تكون الحياة نظيفة ، طاهرة لجميع الأفراد ، ولاتشوبها شائبة الدنس أبداً ، ولا يتأتى ذلك إلا إذا تركنا الفواحش: ماظهر منها ومابطن ؛ لأننا نلاحظ أن كل الأولاد غير الشرعيين يُهمكون ؛ فالحق سبحانه وتعالى يريد طهارة الأنسال في الحياة ؛ حتى يتحمل كل واحد مسئولية نسله . ويكون محسوباً عليه أمام المجتمع ، ويحذرنا سبحانه من أن نقتل النفس إلا بالحق ؛ لأن النفس أصل استبقاء الحياة .

ثم يجيء الحق بعد ذلك في الآية التالية ليكمل الوصايا فيقول:

﴿ وَلَانَقْرَبُواْ مَالَ الْبَيْمِ إِلَّا بِالَّتِي هِي آحْسَنُ حَقَى بَبُلُغُ الشَّدَّةُ وَاوَفُواْ الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ مَقَى بَبُلُغُ الشُدَّةُ وَاوَفُواْ الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا لَا لَكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا لَا لَكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا لَا لَا لَا لَا لَا لَكَيْلَ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُواْ وَلَوْكَ اللّهِ اللّهِ اللّهِ الْوَفُوا فَاللّهُ وَلَوْكُمْ وَلَوْكَ اللّهِ اللّهِ الْوَفُوا فَاللّهُ وَلَا كُنْ تَذَكّرُونَ فَي اللّهِ وَلَوْكُمْ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهُ اللّهُ وَلَوْكُمْ اللّهِ اللّهُ اللللّهُ اللّهُ اللللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الل

ونعلم أن اليتيم هو من فقدأباه ، ولم يبلغ مبلغ الرجال ، هذا في الإنسان ، أما اليتيم في الحيوان فهو من فقد أمه . وقوله الحق:

﴿ وَلَا تُقْرِبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِي أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدُّهُ . . (١٥٢) ﴾ [سورة الانعام]

هنا يفرض سبحانه أن اليتيم له مال ، فلم يقل: لاتأكل مال اليتيسم. بمل أمرك ألا تقترب منه ولو بالخاطر ، ولو بالتفكير ، وعليك أن تبتعد عن هذه المسألة. وإذا كان قد قال: ﴿ولاتقربوا مال البتيم ﴾ فهل هذا الأمر على إطلاقه؟ . لا ؛ لأنه أضاف وقال بعد ذلك: ﴿ إلا بالتي هي أحسن ﴾ أي بأن نُشَمَّر له ماله تشمراً يسيع عيشه ، ويبقى له الأصل وزيادة ، ولذلك قال في موضع آخر:

﴿ وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا . . 3 ﴾

فلا يأخذ أحد مال اليتيم ويدخره ، ثم يعطيه منه كل شهر جزءًا حتى إذا بلغ الرشد يجد المال قد نقص أوضاع ، لذلك لم يقل: ارزقوهم منها ، بل قال: ﴿ وَارزقوهم فيها ﴾ أى ارزقوهم رزقاً ناشئاً منها . فَمَالُهم ظرفية للرزق ، ولايتاتي هذا إلا بأن نثموها لليتيم ، ولانحرم الوصاية على اليتيم لرعاية ماله من أصحاب

@11110@+@@+@@+@@+@@+@

الكفاءات في إدارة الأعمال والأمناء ، وقد يوجد الكف، في إدارة العمل ، والأمين فيه لكن حاله لا ينهض بأن يتحمل تبعات ومؤنة حياته وقيامة بإدارة أموال البتيم ؟ فقال - سبحانه - في ذلك :

﴿ وَمَن كَانَ غَنِيًّا لَلْيَسْتَعْفَفَ . . () ﴾

أى أن يهب الوصى تلك الرعاية الله ، وحين يهب تلك الرعاية لله ولا يأخذ نظير القيام بها أجراً ؛ يضمن أنه إن وُجِد في ذريته إلى يوم القيامة يتيم فسيجد من يعوله حسبة لله وتطوعاً منه مدخرا أجره عند الله . والحق هو القائل :

﴿ وَلْيَحْشُ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِيَّةٌ صِعَنْـقًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتُـقُوا اللهَ وَلَيْقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا ۞ ﴾

وحينما يجد اليتيم من يرعاه ، وحين يتعاطف المجتمع مع كل يتيم فيه ، ويتولى أمور اليتامى أناس أمناء قادرون على إدارة أمورهم فسوف يقل جزع الإنسان من أن يموت ويترك صغاره ؛ لأنه سيجد كرامة ورعاية لليتيم ، فالناس تخاف من الموت لأن لهم عيالاً صغارا ويرون أن المجتمع لا يقوم برعاية اليتامى ، لكن الإنسان إن وجد اليتيم مكرما ، ووجده أباء من الأمة الإسلامية متعددين ، فإن جاءه الموت فسوف يطمئن على أولاده لأنهم في رعاية المجتمع ، ولكن لا تنتظر حتى يصلح شأن المجتمع بل أصلح من نفسك وعملك تجاه أي يتيم ، ويمكنك بذلك أن تطمئن على أولادك فستجد من يرعاهم بعد عماتك ، وحين يرعى المجتمع الإيماني كل يتيم ستجد الناس لا تضيق ذرعا بقدر الله في خلقه بأن يموت الواحد منهم ويترك أولادا. والمثل واضع في سورة الكهف بين العبد الصالح وسيدنا موسى حينما مراً على قرية :

﴿ حَتَّىٰ إِذَا أَنْيَا أَهُلَ قُرْيَةٍ اسْتَطُّعُمَا أَهْلُهَا . ٧٧ ﴾

فلم طلبا نقوداً ليدخراها ، ولكنهما طلبا طعاماً لسد الجوع ، وهذه حاجة مُلحّة . ومع أنهما استطعما أهل القرية أبي أهل القرية أن بضيفوهما . ومعنى ذلك

أنها قرية لئيمة الأهل . وعلى الرغم من العبد الصالح وجد ردهم علية وامتناعهم عن إطعامهما ، ولكنه عندما وجد جداً ، وبفراسته علم أن الجدار پريد أن ينقض ، وكأن الجدار له إدارة ، فأقام الجدار ، ولأمه سيدنا موسى عليه ، وكان سيدنا موسى منطقيا مع نفسه ، فقد طلب هو وشيخه من أهل القرية مجرد الطعام فرقضوا ، فكيف ترد عليهم بأن تبنى لهم الجدار ، وكان يجب أن تأخذ على البناء أجرة ، فهم قوم لئام ، هذا كلام موسى . لكن العبد الصالح جازاهم بما يستحقون الأنه ببنائه الجدار قد حال بينهم وبين أخذ الكنز ، لأنه لو ترك الجدار ينهار لظهر الكنز الذي تحته وهو ليتمين ، وهكذا عرف العبد الصالح كيف يربيهم . وبعد ذلك أراد الله أن يشرح لنا أن الجدار لغلامين يتمين في المدينة .

فكأن استخراج الكنز مقارن ببلوغ الرشد ، وكأن العيد الصالح قد بنى الجدار بناء مؤقوتا ، بحيث لا ينهار إلا حين يبلغ الغلامان مبلغ الرشد ، لقد بنى العبد الصالح البناء وكأنه يضبط الميقات فلا يتماسك الجدار إلا لساعة بلوغ الغلامين أشدهما ، وعندئذ يستخرج الغلامان كنزهما . وبعد ذلك جاء لنا بالحيثية لكل ذلك ، فقال سبحائه :

فكأن صلاح الأب هو الذى أراد به الحق أن يظهر لنا كيف حمى كنز الأبناء ، فيأتي العبد الصالح الجدار الصالح الجدار الصالح الجدار الذى يصون الكنز من اللنام ، والحق يقول هنا :

سورة الانعياد

O+00+00+00+00+00+0

وحتى لا يتحرز ويتوقى الناس من رعايتهم مال اليتيم ، قال سبحانه :

﴿ وَمَن كَانَ غَنِيكَ فَلْيَسْتَعْفِفٌ وَمَن كَانَ فَفِيرًا فَلْبَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ ﴾

(من الأية ٩ سورة النساء)

وكلمة و فليأكل بالمعروف ، أى لا يكنز ولا يدخر منه أبداً ، بل يأكل بما يدفع الجوع فقط ويكتسى مايستر جسمه . ونعرف أن اليتيم لم ينضج عقله بعد ، وكذلك الكبير السفيه هو أيضاً لا يقدر على التصرف ؛ لذلك قال الحق في أداثه البيان حيث يؤدى اللفظ ما يوحى بالمعاني الواسعة :

﴿ وَلَا تُؤْتُواْ السُّفَهَاةَ أَمُولَكُمُ ﴾

(من الآية ٥ سورة النساء)

وجعل الحق مال السفيه في مرتبة مال الولى ؛ لأن السفيه لا يحترم ملكيته وقد يبددها . ولكن المال يعود لهذا الإنسان حين يذهب عنه السفه فيقول الحق :

﴿ فَإِنَّ وَانْسَمُ مِنْهُمْ رُشَّدًا فَأَدْفَعُوا إِلَّيْهِمْ أَمُولَكُمْ ﴾

(من الآية ٢ سورة النساء)

إنه أداء قرآنى عجيب ، يشجع الناس ألا يتركوا السفيه يبدد ماله فتكون خسارة للمجتمع كله ، فمادام هو في سفه فانظر إلى المال كأنه مالك ، ولتكن أميناً عليه أمانتك على مالك . وعندما ترى وتجد رشده وتطمئن على ذلك ، فإن الحق يأمرك أن تعيد له ماله ، ونعود إلى اليتيم ، هنا يقول الحق :

﴿ ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن ﴾ .

هذا إن كان له مال ، فماذا عن اليتيم الذى لا مال له ؟ . هنا تكون الوصية أقوى ، عن سهل بن سعد رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا » (وأشار بالسبابة والوسطى وفرج بيتهما)(1) .

وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

⁽١) رواه البخاري، والترمذي، وأبو داود.

ه الساعى على الأرملة والمساكين كالمجاهد في سبيل الله وكالذي يصوم النهار ويقوم الليل عام اللهاء والله اللهاء واللهاء واللهاء اللهاء واللهاء وا

وخذوا بالكم واجعلوا مسح رأس اليتيم الله ، فمن الجائز أن تكون لليتيم أم جميلة ، ويريد الولى أن يتقرب منها عن طريق الولد ، احذروا ذلك ، فإنه فضلاعلى أنه يسخط الله ويغضبه فهو خسة ولؤم ونذائة .

﴿ وَلَا تَقْرَبُواْ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا إِلَّتِي هِيَ أَخْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشْدُهُ ﴾

(من الآية ١٥٢ صورة الأنعام)

لم يقل الله _ مبحانه _ بالتي هي حسنة ولكنه قال : ﴿ بالتي هي أحسن ﴾ لتشديد الحرص على مال اليتيم حتى يبلغ أشده لأن بلوغ الأشد ، يعني أن اليتيم صارت له ذاتية مستقلة ، وما المعيار في الذاتية المستقلة ؟ ؛ أن يصبح قادراً على إنجاب مثله ، وهذا معيار النضج . مثله مثل الثمرة حين تنضج ؛ أي صارت البذرة التي فيها صالحة لأن نضعها في الأرض لتكون شجرة . وأنت إن قطفت الثمرة قبل أن ننضج لا تجد طعمها حلوا ، ولا تستسيغ مذاقها إلا حين تستوى البذرة وتنضع .

و و الأشد ، أي أن الإنسان يصبر قادراً على إنجاب مثله وهو ما نسميه البلوغ ، ويصبح أيضاً قادراً على حسن التصرف في المال وفي كل شيء . ويتابع سبحانه :

﴿ وَأُوفُواْ الْكَبْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ ﴾

(من الآية ١٥٢ سورة الأنعام)

والكيل هي المعايير لما يكال حجياً ، والموازين هي المعايير لما يُقَدِّر كثافة ، فهناك معيار للحجم ومعيار الكثافة هو الوزن ، ومعيار الكثافة هو الوزن ، وهناك أيضاً التقديرات العادلة في القياس ، للأقمشة مثلاً ، المقياس فيها هو المتر ، إذن كل شيء بحسبه ، وإذا أردت الموزون فلابد أن يكن بالقسط ، أي بالعدل .

وهذه المسألة من الصعب تحقيقها ، ولذلك تختلف الموازين باختلاف نفاسة الأشياء ، فحين نزن الفول أو العدس أو البطاطس أو القلقاس ، فنحن نزنه بميزان

⁽¹⁾ رواه البخاري في الأدب المفرد.

المنالان المنال

@110@@#@@#@@#@@#@

كبير ؛ الآن فرق الميزان قد يكون حول الكيلو جرام، فالأمر حيئة يكون مقبولاً. وحين نزن أشياء أثمن قليلاً، نأتي بالميزان الدقيق. فإن كان الشيء الموزون ذهباً نحيط الميزان بجدران زجاجية لأن لفحة الهواء قد تقلل أو تزيد الوزن.

إن نحاول أن غنع تأثير تيارات الهواء عليها. وحين نزن المواد الكيماوية نأتى عيزان يعمل بالذرة. إذن كل موزون يأخذ درجة ميزانه بمقدار نفاسته وتأثيره ؟ لأن تحقيق العدالة في الميزان مسألة صعبة، وكذلك الأمر في الكيل. فحين يكيل الإنسان كيلاً بمسك إناء الكيلة ويهزه ؟ حتى يأتي الميكال دقيقاً محرراً، وإن أراد أن يلغى ضمير، ويأخذ أكثر من حقه فهو يملأ المكيال بأكثر مما يحتمل ويسند الزيادة بيده حتى لاتقع. وربنا يقول:

﴿ وَيْلٌ لَلْمُطَفَقِهِينَ ۞ اللَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتُوْفُونَ ۞ وَإِذَا كَالُوهُمْ أُو وَزُنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۚ ۞ ﴾ [سورة المطنفين]

فحين يكتال يستوفى ويطفف أى يزيد ماسوف يأخذه شراء ، وحين يبيع يقلل الكيل أو الوزن لبأخذ ثمنا أكثر من ثمن مايزن أو يكيل . وأصل المبادلات غالباً بين طرفين ، وبعض المتنطعين يقول : كيف يقول الحق : ﴿ويل للمطففين ﴾ والتطفيف في أى مسألة يكون بالزيادة ، لا بالنقص ، ونقول : انتبه إلى أن المتحدث هو الله ، والتطفيف يزيد طرفاً وينقص من طرف ، وكل صفقة بين اثنين فيها بيع وشراء . فإن أراد واحد أن يجعل الخسران على طرف وأن يستوفى لنفسه فهو مطفف .

ولذلك تأتى دقة الأداء القرآني من رينا:

﴿ وَأُولُوا الْكَيْلُ وَالْمِيرَانَ بِالْقِسْطِ لا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلا وُسْعَهَا . . (١٠٠٠ ﴾

[صورة الأنعام]

وقال الحق ذلك لأنه يعلم أن الكيل والميزان بالعدل أمر متعذر ؛ لأن الحق سبحانه وتعالى لواسع رحمته في التشريع لنا لم يجعل مجال الاستطاعة أمراً يمكن أن تتحكم فيه أشياء لاتدخل في الاستطاعة ؛ ففي ضبط المكيال والميزان قال : ﴿ لانكلف نفساً

نفسأ إلا وسعها ﴾ لأن المكيال والميزان أداتان تتحكم فيهما ظروف لا تدخل في نطاق الإنسان . ولذلك قلنا : إن وزن الأشياء التي نعلمها إن كانت من الأشياء التي ليست فيها نفاسة فوزنها له آله ، وإن كانت في المتوسط فوزنها له آله ، وإن كان في الأشياء النفيسة الدقيقة التي للقدر الصغير فيها قيمة مؤثرة ، فإن لها آلة مضبوطة مصونة من عوامل الجوحتي لا تتأثر بهبة الهواء ، فقول الحق : ﴿لا نكلف نفساً إلا وسعها ﴾ إباحة للأشياء الزائدة أو الناقصة التي لا تدخل في الاستطاعة ، ثم قال سيحانه ؛

﴿ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلُو كَانَ ذَا قُرْبَىٰ . . (١٥٦ ﴾

نعلم أن القول نسبة كلامية ينطق بها المتكلم ليسمعها مخاطب، ينفعل للمطلوب فيها خبراً أو إنشاءً ، والقول مقابله الفعل، وكلاهما عمل ، فالقول عمل والفعل عمل الفعل عمل أو افعل متعلق بجارحة اللسان ، والفعل متعلق بكل الجوارح ما عدا اللسان ، فإذا رأيت ، وإذا سمعت ، وإذا شممت ، وإذا لمست كل ذلك يطلق عليه أنه فعل ، ولكن إذا ما تحرك اللسان فذلك قول : ﴿ وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى ﴾ .

وهل العدل مقصور على القول؟ أو العدل أيضاً يكون في الفعل؟ إن العدل قد يكون في خلاف بين اثنين، وهذا لا يتأتى بفعلك، وإنما يتأتى الحكم والفصل فيه بقولك، وإذا ما تعودت العدل في قولك، ألفته وأنست به وأحببته حتى في أعمالك الخاصة الأعرى.

والقول منه الإقرار، وإن تقرعلى شيء في نفسك فقله بالعدل وبالحق، والشهادة، قلها بالحق، والفتوى، قلها والشهادة، قلها بالحق، والحكم، قله بالحق، والوصية، قلها بالحق، والفتوى، قلها بالحق، إذن فالحق في القول أمر دائر في كثير من التصرفات؛ لأنك إذا قلت بالحق آمكنك أن تعدل ميزان حركة الحياة؛ فميزان حركة الحياة الا يختل إلا إن رجح باطل على حق؛ لأنك إذا حكمت لواحد بشيء لا يستحقه فقد أعطيته ما ليس له، وإنك بعملك هذا تجعل المتحرك في الحياة يزهد في الحركة . لكن إذا ما حيا فظت على حركة كل مستسحرك، وأخذ كل واحد حظه من الحياة بقدر ما يعسمل اتزنت كل

يونوالانعطا

والذى يؤثر فى المدل هو الهوى ، وحين يوجد الهوى فهو مجاول أن يميلك إلى ناحية ليس فيها الحق ، وأولى النواحي أن يكون الأمر متعلقاً بك أو بقرابة لك ، وقد ثريد إن حكمت ـ والعياذ بالله ـ باطلا ، أن تسعد ذا قرباك ، وأنت بذلك لم تؤد حق القرابة ؟ لأن حق القرابة كان يقتضى أن تمنع عنه كل شىء عرم وتحمى عرضه ، وتحمى دينه قبل أن تحمى مصلحته فى النقعية الزائلة . ولذلك يأمرك الحق بأن تقول الكلمة بالعدل ولو كان المحكوم له أو عليه ذا قربى ؟ لأنك حين تحكم بالباطل فأنت فى الواقع حكمت عليه لا له .

﴿ وَبِعَهَدِ اللَّهِ أُونُواْ ﴾

(من الآية ١٥٢ سورة الأنعام)

ونحن نعلم أن عهد الله هو ما عاهدنا الله عليه ، وأول عهد وقمة العهود هو الإيمان به سبحانه ، وترتب على ذلك أن نتلقى منه التكليف ، فكل تكليف من تكاليف الله لخلقه يُعتبر عهداً داخلاً في إطار الإيمان ؛ لأن الله لا يحكم حكماً أو يبينه لمكلف إلا بعد أن يقول :

﴿ يُنَا يُهِا الَّذِينَ مَامَنُواْ ﴾

(من الآية إ سورة المائدة)

أى يا من آمنت بالعهد الأصيل في القيم وهو العقيدة ، وآمنت بي إلهاً : خذ التكليف مني ؛ لأنك قد دخلت معى في عهد هو الإيمان .

ولذلك لا يكلف الله بالأحكام كافراً به ، إنما يقول : ﴿ يَاأَيِّهَا اللَّذِينَ آمَنُوا وَلَذَلْكَ يَجِبُ أَنْ نَاخَذَ كُلَّ حَكَم بِدَلْبِلُهُ مِنَ الْإِيمَانُ بَنْ حَكَم به ، فلا تَبحث عن ا في كلَّ حكم ، وإنما علة كلّ حكم أن تؤمن بالذي أمرك أن تفعل كذا ، فَعِلَّة كلّ هي الحكم .

ويذيل الحق الآية الكريمة بقوله تعالى:

﴿ ذَالِكُوْ وَمَسْكُمْ بِهِ عِلْمَلَّكُوْ نَذَ كُرُونَ ﴾

(من الآية ١٥٧ سورة الأنعام)

و و ذلكم ، إشارة إلى ما تقدم ، من أول قوله سبحانه :

﴿ قُلْ تَعَالُواْ أَنْلُ مَا حُرْمَ رَبُّكُوْ عَلَيْكُو ﴾

(من الآية ١٥١ سورة الأنعام)

إلى أن انتهينا إلى قوله سبحانه:

﴿ وَبِمَهِدِ اللَّهِ أُوفُوا ﴾

(من الأية ١٥٢ صورة الأنعام)

والتوصية تخصيص للتشريع ؛ لأن التشريع يعم أحكاماً كثيرة جدًا ، ولكن الوصية التي يوصى الله بها تكون هي عيون التشريع . ولذلك قال ابن عباس رضي ألله عنه عن هذه الآيات : و إنها محكمات لم ينسخهن شيء من جميع الكتب ، وقيل إنهن أم الكتاب من عمل بهن دخل الجنة ، ومن تركهن دخل النار » .

ولم يوجد شرع جاء لينسخ واحدة من هذه الوصايا ، ولذلك يقول اليهودى الذى أسلم وهو كعب الأحبار : و والذى نفس كعب بيده إنّ هذه الآيات لأول شيء في التوراة : ﴿ قل تعالوا أتل ما حرّم ربكم عليكم ، . ثم نجد أن هذه الوصية الآخيرة هي جامعة لكل شيء ؛ نجد تسع وصايا قد مرّت ؛ خسا منها قال فيها : ﴿ لملكم تعقلون ﴾ ، وأربعاً قال فيها : ﴿ لملكم تذكرون ﴾ ، والعاشرة يقول : ﴿ لملكم تتقون ﴾ ، وهذه الوصية العاشرة هي الجامعة لكل أنواع الفضائل التكليفية إنّها قوله الحق :

○F1110○+○○+○○+○○+○○+○

تَنَيِعُوا السُّبُلَ فَنَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ مَ ذَالِكُمْ وَنَا لَكُمْ وَمَا لَكُمْ مَنْ فَوْنَ اللهُ اللهُ وَصَّنَاكُم بِهِ عَلَقَادَ مَا مَنْ فَقُونَ اللهُ ا

أى أنه ختم الوصايا التسع بهذا القول ؛ لأن الصراط المستقيم يشمل الوصايا التسع السابقة ويشمل كل ما لم يذكر هنا . وقلت : إننا نلاحظ أن الخمس الأول ذيلها الحق بقوله : ﴿ لعلكم تعقلون ﴾ ، والأربع التي بعدها ذيلها الحق بقوله : ﴿ لعلكم تذكرون ﴾ والواحدة الجامعة لكل شيء قال تذييلاً لها : ﴿ لعلكم تتقون ﴾ .

فها الفرق بين النعقل والتذكر والتقوى؟

إن الأشياء الخمسة الأولى التي قال الحق فيها:

﴿ قُلْ تَعَالُواْ أَنْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَا تُشْرِكُواْ بِهِ عَشَيْعاً وَبِالْوَلِدَيْنِ إِحْسَنَا وَلَا تَقْرُبُواْ الْفُوْحِشَ مَاظَهُرَ وَلا تَقْرُبُواْ الْفُوْحِشَ مَاظَهُرَ مِنْ إِمَالَتِي تَحْنُ زَزْقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرُبُواْ الْفُوْحِشَ مَاظَهُرَ مِنْ إِمَالَتِي تَحْرُمُ اللّهُ إِلّا بِالْحَدِيْ وَلا تَقْرُبُواْ الْفُوحِشَ مَاظَهُر مِنْهُ إِنّاهُمْ وَمَا بَعْنَا وَمَا بَطَنُ وَلَا تَقْدُلُواْ النّفُسِ الّذِي حَرَّمَ اللّهُ إِلّا بِالْحَدِيْ وَلَا تَقْدُلُونَ وَصَلّمُ بِهِ عَلَيْهِ فَلُونَ وَهَا مَنْهُ إِلَا اللّهُ اللّهِ اللّهِ اللّهُ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُولَةُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ اللّهُ ا

(سورة الأنعام)

هذه الأشياء كانت موجودة في بيئة نزول القرآن ، إنهم كانوا يشركون بالله ويعقون والديهم ويقتلون الأولاد ويقارفون الفواحش ويقتلون النفس التي حرم الله قتلها إلا بالحق ، فأوضح لهم : تَعَقَّلُوها ، فإذا ما تعقلتموها تجدون أن تكليف الله بجنعكم من هذه الأفعال ، إنه أمر يقتضيه العقل السليم الذي يبحث في الأشياء بمقدمات سليمة وتتاثيج سليمة ، لكن د الأربع ، الأخرى ، هم كانوا يغعلونها ويتفاخرون بها ، ففي التي كانوا يعملونها من القيام على أمر مال اليتيم والوفاء في الكيل والميزان والعدل في القول والوفاء بالعهد قال : ﴿ لعلكم تذكرون ﴾ أي إياكم أن تغفلوها ؛ فإذا كنتم تفعلونها وأنتم على إسلامية ، ثم جاء بالوصية الجامعة ؛

﴿ وَأَنَّ هَلْذَا صِرَاطِى مُسْتَغِيماً فَاتَبِعُوهُ وَلَا تَقَبِعُواْ السُّلُ فَتَقَرَّقَ بِكُرُّ عَن سَبِيلِهِ عَذَالِكُرُ وَصَّنَاكُم بِهِ عَلَيْكُمْ لَتَقُونَ ﴿ ﴾

(سورة الأنعام)

ونظراً لأن هذه الوصية تستوعب كل الأحكام إيجابًا وسلبًا ، نهيًا وأمراً ، فوضح لهم أنه يجب عليكم أن تتبعوا الصراط المستقيم : لتقوا أنفسكم آثار صفات القهر من الحق سبحانه وتعالى ، وأول جنودها النار .

والصراط: هو الطريق المعبّد، ويأخذون منه صراط الآخرة، وهو _ كما يقال _ ه أدق من الشعرة، وأحد من السيف ع، ما معنى هذا الكلام ؟ . معناه أن يُمشى عليه بيقظة تامة واعتدال ؛ لأنه لو راح يمنة يهوى في النار، ولو راح يسرة يسقط فيها، فهو صراط معمول بدقة وليس طريقاً واسعاً، بل _ كما قلنا _ « أدق من الشعرة وأحد من السيف ؛ فلتمش على صراط الله ومنهجه معتدلاً ، فلا تنحرف يمنة أو يسرة ؛ لأن الميل _ كما قلنا _ يبعدك عن الغاية ، إنك إذا بدأت من مكان ثم اختل أو يسرة ؛ لأن الميل _ كما قلنا سرت يتسع الخلل ، وأى انحراف قليل في نقطة البداية يؤدى إلى زيادة الموة والمسافة .

كذلك الدين ، كلما نلتقى فيه ويقرب بعضنا من بعض ، نسير في الطريق المستقيم ، وكلما ابتعدنا عن التشريع تتفرق بنا السبل .

﴿ وَأَنَّ هَاذَا صِرَاطِى مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا لَنَّبِعُواْ السُّلُ فَتَفَرَّقَ بِكُرُّ عَن سَبِيلِهِ عَذَالِكُرُّ وَأَنَّ هَالَا لَيْبِكُواْ السُّلُ فَتَفَرَّقَ بِكُرُّ عَن سَبِيلِهِ عَذَالِكُرُّ وَأَنَّ هَا لَكُرُّ مَتَقُونَ ﴿ وَ اللَّهُ اللَّاللَّا اللَّهُ الللَّهُ اللَّا اللَّاللَّا اللَّهُ اللَّهُ اللَّا اللللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ

(سورة الأنعام)

ورسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ جلَّى بالحركة الفعلية منطوق النسبة الكلامية ، حينها جلس بين أصحابه وخطّ خطًا . وقال : هذا سبيل الله .

ثم خط خطوطاً عن يمينه وخطوطاً عن يساره ، ثم قال : هذه سبل وعلى كل سبيل منها شيطان ؛ يدعو إليها ، ثم قرأ هذه الآية : ﴿ وَأَنْ هَذَا صِرَاطَى مُسْتَقِيبًا فَاتَبَعُوهُ وَلَا تَتَبَعُوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ﴾ .

O !.. / O C + C C C + C C C +

ولذلك فكل أهل الحق ، وأهل الخير كلما اقتربوا من المركز كان الالتقاء ، وهذا الالتقاء يظل يقرب ويقرب ويقرب إلى أن يتلاشى ويصير الكل إلى نقطة واحدة.

وانظر إلى جلال الحق حينما يجعل الصراط المستقيم إليه في دينه ، منسوباً إلى رسوله: ﴿ وَأَنْ هَذَا صِراطِي مُستقيماً ﴾ فالرسول يسير على هذا الصراط وهو لا يغش نفسه ، والذي يفعله ويمشى فيه يامركم بأن تمشوا فيه ، وهو لم يأمركم أمراً وهو بنجوة وبعد عنه ، ولو غشكم جميعاً لا يغش نفسه ، وهذا هو صراطه الذي يسير فه .

والسبيل هنا معروف أنه إلى الله فكأن سبيل الله هو طريق محمد الله و وأن هذا صراطي مستقيمًا ﴾ ، ونسب الفعل والحدث لله وحده ؛ ففي البداية قال: ﴿ وَأَنْ هَذَا صِراطي مُستَقِيمًا ﴾ ، ثم قال: «سبيله المالصراط لم يعمله محمد لنفسه ، ولكن أراده الله للمؤمنين جميعاً ، ورسول الله هو الذي يأخذ بأيديهم إليه .

وحين ننظر إلى كل الخلافات التي تأتي بين الديانات بعضها مع بعض ، بين اليهودية والنصرانية على سبيل المثال:

﴿ وَقَالَتِ الْبَهُودُ لَيْسَتِ النُصَدَرَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَدَرَىٰ لَيْسَتِ الْبَهُودُ عَلَىٰ شَيءٍ . . (١١٤) ﴾

والمشركون قالوا: لاهؤلاء على شيء ، ولاهؤلاء على شيء: ﴿ كَذَٰلِكَ قَالَ اللَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ . . (١١٦) ﴾ [سورة لبقرة]

أى أننا أمام ثلاثة أقوال: اليهود قالوا: ليست النصارى على شيء ، والنصارى قنلوا: ليست اليهود على شيء ، وقال الذين لا يعلمون - وهم أهل مكة - مثل قولهم ، ثم نجد الدين الواحد منهما ينقسم إلى طوائف متعددة ، وكل طائفة لها شيء تتعصب له . وترى أن الذي تقول به هو الحق ، والذي يقول به غيرها هو الباطل ، وكيف ينشأ هذا مع أن المصدر واحد ، والتنزيلات الإلهية على الرسل واحدة؟ إن

١١٤١١ المنعفل

OC+OC+OC+OC+OC+O(1...10)

آفة كل هذا تنشأ من شهوة السلطة الزمنية ، وكل إنسان يريد أن يكون له مكانة ونفوذ وخلافة . وهذا يريد أن يتزعم فريقاً ، وذاك يريد أن يتزعم فريقاً ، ولو أنهم جُمعوا على الطريق الواحد لماكانوا فرقاء .

ونجده على يقول: «افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة ، وتفرقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة»(١).

وفي راوية : «كلها في النار إلا واحدة وهي الجماعة » ، والجماعة : هم أهل السنة والجماعة ، وفي رواية : «ماأنا عليه وأصحابي».

ونلاحظ دقة هذا القول في عدد المذاهب والفرق ، وإن كنتم لاتسمعون عن بعضها لأنها ماتت عموت الذين كانوا يتعصبون لها ، والذين كانوا يريدون أن يعيشوا في جلالها.

إذن الأفة تأتى خير ننظر حين إلى حكم من الأحكام ، يرى فيه واحد رأيا ، ويأتى الأخر فيرى فيه رأيا آخر ، لالشيء إلا للاختلاف . ونقرل لهم: انتبهوا إلى الفرق بين حكم مُحكم ، وحكم تركه الله مناطأ للاجتهاد فيه ، فالحكم الذى أراده الله محكما جاء فيه بنص لا يحتمل الخلاف ، وهذا النص يحسم كل خلاف . والحكم الذى يعبه الله من المكلفين تخفيفاً عنهم على وجه من الوجوه يأتى بالنص فيه محتملاً للاجتهاد ، ومجى النص من المشرع في حكم محتمل للاجتهاد هو إذن بالاجتهاد فيه الأنه لو أراده حكما لانختلف فيه لجاء به محكماً .

والمثال المستمر ماتركه لنا رسول الله على في سنته الشريفة ، فحينما أراد الحق سبحانه وتعالى ألا يضع السلاح قبل أن يؤدب بني قريظة ، وهم من شايعوا مشركي مكة في الحرب . فقال على : «الا يُصلَّبُنَّ أحد العصر إلا في بني قريظة»(").

⁽١) رواه أبو داود والترمذي والنساتي وأبن ماجه عن أبي هريرة .

⁽٢) رواه البخاري في المغازي ، والبيهغي في الدلائل والسنن .

فذهب الصحابة في طريقهم إلى بني قريظة ، وآذنت الشمس بالمغيب وهم في الطريق فانقسم صحابة رسول الله إلى قسمين : قسم قال : نصلى العصر قبل أن تغيب الشمس ، وقال قسم آخر : قال رسول الله لا نصلين العصر إلا في بني قريظة . فصلى قوم العصر قبل مغيب الشمس ، ولم يصل الأخرون حتى وصلوا إلى بني قريظة ، ورفعوا أمرهم إلى المشرع وهو رسول الله ، فأقر هذا ، وأقر هذا ، وأقر هذا ، لأن النص محتمل .

لماذا ؟ . لأن كل حدث من الأحداث يتطلب ظرفاً له زمان ومكان ؛ فالذين قالوا إن الشمس كادت تغرب ولابد أن نصلى العصر قبل مغيبها نظروا إلى الزمان . والذين قالوا لا نصلى إلا في بني قريظة نظروا إلى المكان . وحينما رُفِعَ الأمر إلى المشرع الأعلم أقر هؤلاء وأقر هؤلاء .

إذن فالحكم إن كان فيه نص محكم فلا احتمال للخلاف فيه . وإن كان الله قد تركه موضعاً للاجتهاد فيه فهو يأتي لنا بالنص غير المحكم . ومن ذهب إليه لا يصح أن نخطته ، ولذلك بقي لنا من أدب الأئمة الذين بقيت مذاهبهم إلى الآن بعضهم مع بعض . نجد الواحد منهم يقول : الذي ذهبت إليه صواب يحتمل الخطأ ، والذي ذهب إليه مقابلي خطأ يحتمل الصواب ، وجميل أدبهم هو الذي أبقى مذاهبهم إلى الآن ، وعدم أدب الآخرين جعل مذاهبهم تندثر وتختفي ولا تدرون بها ، والحمد لله أنكم لا تدرون بها .

ثم يقول الحق بعد ذلك :

﴿ ثُمَّرَ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِنَابَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِى الْمُسَنَّ وَمُعَدَى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدَى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَاّءِ رَبِّهِ مَرُثُونَ شَلَى ﴿ اللَّهِ مَا ثُوْمِنُونَ شَلْ ﴾

ونبحن إذا سمعنا كلمة و ثم ، نعلم أنها من حروف العطف ، وحروف العطف

كثيرة ، وكل حرف له معنى يؤديه ، وهنا ﴿ ثم آتينا موسى الكتاب ﴾ ، وإيتاء موسى الكتاب كان قبل أن يأتى قوله : ﴿ قل تعالوا أثل ما حرم ربكم عليكم ﴾ فالتوراة جاءت ثم الإنجيل ، ثم جاء القرآن ككتاب خاتم . فكيف جاءت العبارة هنا بد ثم الإنجيل ، ثم موسى الكتاب جاء قبل بجيء قوله الحق : ﴿ قل تعالوا أثل ما حرم ربكم عليكم ﴾ ؟

ونقول الأصحاب هذا الفهم: أنت أخذت «ثم » لترتيب أفعال وأحداث ، ونسيت أن «ثم » قد تأتى لترتيب أخبار . فقد يأتى من يقول لك : لماذا الاتسال عن فلان والا تؤدى الحق الواجب عليك له ؛ كحق القرابة مثلا ، فتقول : كيف ، لقد فعلت معه كذا ، ثم أنا فعلت مع أبيه كذا ، ثم أنا فعلت مع جدّه كذا .

إذن ، فأنت تقوم بترتيب أخبار . وتتصاعد فيها ، وتترقى ، ولذلك قال الشاعر العربي :

إن من ساد ثم مساد أبوه ثم قد ساد قبل ذلك جده

فالسيادة جاءت أولاً للجد ، ثم جاءت للأب ، ثم انتقلت للابن . و « ثم » في هذه الحالة ليست لترتيب الأحداث وإنما جاءت للترتيب الإخباري أي يكون وقوع المعطوف بها بعد المعطوف عليه بحسب التحدث عنهما لا بحسب زمان وقوع الحدث على أحدهما فالمراد الترقى في الإخبار بالأحداث .

وانظر إلى القرآن بكمال أداثه يقول:

﴿ وَلَقَدْ خَلَفْنَكُمْ ثُمَّ صَوْرَنَكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَتَهِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِآدَمَ ﴾

(من الآبة ١١ سورة الأعراف)

ونعلم أن الأمر من الله للملائكة بالسجود لأدم كان من البداية . فسبحانه في هذا القول الكريم يريد أن يرتب حالنا ، إنه ـ سبحانه ـ خلفنا بعد أن صورنا ، وصورنا ، بعد أن قال للملائكة اسجدوا لآدم .

ولله المثل الأعلى ، تجد من يقول لابنه : لقد اعتنيت بك في التعليم العالى ،

ثم لاتنس أنى قد اعتنيت بك فى التعليم الثانوى ، ثم لاتنس أننى قد اعتنيت بك فى التعليم فى التعليم فى التعليم الإعدادية ؛ ثم لاتنس أننى قد اعتنيت بك من قبل كل ذلك فى التعليم الابتدائى . وأنت بذلك ترتقى إخبارياً لا أحداثياً . فقد يكون الحدث بعد ولكن ترتيب الخبر فيه يكون قبل .

﴿ ثُمُّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَلْبِ . . ١٤٠٠ ﴾

طبعاً مادام جاء بسيرة موسى فالكتاب هو التوارة وإذا أطلق الكتاب من غير عديد ؛ فإنه ينصرف إلى القرآن ، لأنه هو الكتاب الجامع لكل مافى الكتب ، والمهيمن على كل ما في الكتب أما لو قيل مثلاً: أنزلنا على موسى الكتاب ، فيكون الكتاب هو فيكون الكتاب هو التوراة ، أو أنزلنا على عيسى الكتاب ، فيكون الكتاب هو الإنجيل.

﴿ ثُمُ آتَيْنَا مُومَى الْكَتَّبُ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلاً لَكُلِّ شَيْء وَهُدُى وَرَحْمَةً لَعَلَهُم بِلقَاء رَبِهِمْ يُؤْمِنُونَ (10) ﴾

والتمام هو استيعاب صفات الخير ، ولذلك يقول الحق:

﴿ الَّيُومُ أَكُمْلُتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَّمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي . . ٢ ﴾ [سورة المائلة]

و «أكملت افلا نقصان ، وأتممتها فلا استداك. ولماذا جاء بالتمام على الذي أحسن في أمر موسى على الذي أحسن في أمر موسى الله ؟ . جاء ذلك لأن الذين تصدوا للجاج والجدل معه على هم اليهود.

وأنتم تعلمون أنهم صوروا في مصر هنا فيلماً سينمائياً اسمه « الوصايا العشر » عن قصة سيدنا موسى عليه . والوصايا العشر هي التي أقر « كعب الأحبار » أنها موجودة في التوراة وجاءت في الآيات السابقة التي تناولناها وشر حناها . فمن المناسب أن يأتي هنا ذكر موسى عليه .

00+00+00+00+00+00+00+0

وحينما جاء موسى على بالتوراة كما أنزلها الله عليه عاصره أناس آمنوا بما في التوراة ، وكانوا من الناجين ، وقد ماتوا. أما الذين استمرت حياتهم إلى أن جاء رسول الله ، فكان من المطلوب منهم أن يؤمنوا به ؛ لأن الحق أوضح لهم في التوراة أن هناك رسولاً قادماً ، ولابد أن تؤمنوا حتى تتم نعمة الإحسان عليكم ، لأنكم وإن كنتم مؤمنين بموسى ، وعاملين بمنهجه فلابد من الإيمان بمحمد لأنكم وإن كنتم مؤمنين بموسى ، وعاملين بمنهجه فلابد من الإيمان بمحمد على والسابقون لكم أحسنوا في زمن بعثة رسالة موسى على ، وجاء محمد بالرسالة الخاتمة فإن أردتم أن يتم الله عليكم الحسن والكرامة والنعمة ، فلا بد أن بعلنوا الإيمان بمحمد على ، منكم من أحسن الاقتداء بموسى على وآمنوا بمحمد فتم لهم الحسن: ﴿ وَتَفْصِيلاً لَكُلُ شَيْءٍ وَهَدًى وَرَحْمةً لَعَلَهُم بِلقَاء رَبَهِم يُؤْمنُون ﴾ .

«رتفصيلاً لكل شيء اأى أنّه مناسب لزمنه ، ولله المثل الأعلى ، عندما يكون لك ولد صغير السن فتقول: أنا فصلت له ملابسه ، أى فصلت له الملابس التى تناسبه . وحين يكبر لن تظل ملابسه القديمة صالحة لأن يرتدتها . "وتفصيلاً لكل شيء أى القيم التى تناسب الوقت الذى يعيشونه ، فإذا ماجئنا بتفصيل جديد فى القرآن فهو مناسب لوقته ، ولقائل أن يقول: هنا تفصيل ، وهنا تفصيل ، فما الفرق بين تفصيل وتفصيل؟ . نقول: إن كل تفصيل مناسب لزمنه ، وآيات القرآن مفصلة جاهزة ومعدة لكل زمن وللناس جميعا إلى أن تقوم الساعة .

والآفة - دائماً - في القائمين على أمر التشريع ، فحينما تأتيهم حالة لذى جاه وسلطان يحاولون إعداد وتفصيل حكم يناسبه ، فنقول لمثل هذا الرجل: أنت تفصل الحكم برغم أن الأحكام جاهزة ومعدة وظاهرة ، إننا نجد القوالب البدنية تختلف فيها التفصيلات للملابس بينما القوالب المعنوية نجد فيها التساوى بين الناس كلها، فالصدق عند الطفل مثل الصدق عند اليافع ، مثل الصدق عند المارجل، مثل الصدق عند المارة ، مثل الصدق عند التاجر . وليس لكل منهم صدق خاص ، وكذلك الأمانة . ورحمنا الإسلام بالقضية التاجر . وليس لكل منهم صدق خاص ، وكذلك الأمانة . ورحمنا الإسلام بالقضية العقدية وكذلك بالقضية الحكمية الجاهزة . المناسبة لكل بشر ، وليست هناك آية على مقاس واحد تطبق عليه وحده ، لا ، فالآيات تسع الجميع .

○!..∨**○○**+○**○**+○**○**+○**○**+○

[سررة الأنعام]

﴿ وَتَفْصِيلاً لَكُلِّ شَيْءٍ وَهُدى وَرَحْمَةً . . (١٠٠١) ﴾

والهُدّى هو مايدل على الغايات ، لأن دين الفطرة قد انطمس بعدم تبليغ الآباء إلى الأولاد منهج السماء في أمور الحياة ومتعلقاتها والقيم التي يجب أن تسود. والآفة أن الأب يعلم ولده كيف يأكل ويشرب ، وينسى أن يعلمه أمور القيم، لكن الحق سبحانه وتعالى رحم غفلتنا ، ورحم نسياننا ؛ فشرع وأرسل لكل زمان رسولاً جديداً ، وهذيا جديداً ليذكرنا.

﴿ . لَعَلَّهُم بِلِقَاء رَبِّهِم يُؤْمِنُونَ ﴾

إن كل آفة تنبع من العزوف عن تشريعات الله ، وهم ينسون أن يضعوا في أذهانهم لقاء الله ، لكن لو أن لقاء الله مشضح في أذهانهم الاستعدوا لذلك ؛ لأن الغايات هي التي تجعل الإنسان يقبل على الوسائل ، والشاعر يقول:

ألا من يريني غايتي قبل مذهبي ومن أين والغايات هي بعد المذاهب

ونقول لهذا الشاعر: قولك: ألا من يريني غايتي قبل مذهبي كلام صحيح، أما قولك: ومن أين والغايات بعد المذاهب، هذا كلام غير دقيق، فالغاية هي التي تحدد المذهب، وكذلك شرع الله الغاية أولاً، بعد ذلك جعل لها السبيل، وقد شرع الله لكل شيء ماتقضيه ظروف البشر الحيانية، ولذلك لااستدراك عليه لأن فيه تفصيلا لكل شيء،

ويقول الحق بعد ذلك:

﴿ وَهَنذَا كِنَنْبُ أَنزَلْنَكُ مُبَارِكٌ فَاتَبِعُوهُ وَاتَقَوْاً لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۞ ﴿

واهذا»إشارة وعادة ماتأتي وتردعلي متقدم، ولكن إذا لم يكن لاسم

الإشارة متقدم أو حاضرة يشار إليه فهذا دليل على أنك إن أشرت لاينصرف إلا إليه لأنه متعين ينصرف إليه الذهن بدون تفكير لوضوحه . وكلمة «كتاب» تدل على أنه بلغ من نفاسته أنه يجب أن يُكتب ويسجل ؛ لأن الإنسان لايسبل ولايكتب إلا الشيء الناقع ، إنما اللغو لايسال عنه ، وقال ربنا عن القرآن: إنه "كتاب، ومرة قال فيه: «قرآن "فيهو "قرآن» يتلى من الصدور ، و «كتاب "يحفظ في السطور . ولذلك حينما جاءوا ليجمعوه أتوا بالمسطور ليطابقوه على مافي الصدور .

﴿ وَهُمُمُ لَا كُنْبُ أَنْزُلْنَهُ مُبَارِكٌ . (١٥٥) ﴾

و النزلناه الى أمرنا بإنزاله ، ونزل به الروح الأمين ، وكلمة مبارك مأخوذة من البركة الى أنه يعطى من الخير والثمرة فوق مايُظَن فيه ، وقد تقول : فلان راتبه ماتنا جنيه ، ويربى أولاده جيداً ويشعر بالرضا ، وتجد من يقول لك: هذه هى البركة . كأن الراتب لايؤدى هذه المسئوليات أبداً . وكلمة البركة ا تدل على أن يد الله محدودة في الأسباب ، ونعلم أن الناس ينظرون دائماً إلى رزق الإيجاب ، ولا ينظرون إلى الرزق الأوسع من الإيجاب وهو رزق السلب ، فرزق الإيجاب يأتي لك بمائتي جنيه ، ورزق السلب يسلب عنك مصارف لاتعرف قدرها . فنجد من يبلغ مرتبه ألفاً من الجنيهات ، لكن بعض والده يمرض ، ويحتاج ولد آخر إلى من يبلغ مرتبه ألفاً من الجنيهات ، لكن بعض والده يمرض ، ويحتاج ولد آخر إلى من يبلغ مرتبه ألفاً من الجنيهات ، لكن بعض والده يمرض ، ويحتاج ولد آخر إلى من يبلغ مرتبه ألفاً من الجنيهات ، لكن بعض والده يمرض ، ويحتاج ولد آخر إلى من يبلغ مرتبه ألفاً من الجنيهات ، لكن بعض والده يمرض ، ويحتاج ولد آخر إلى من يبلغ مرتبه ألفاً من الجنيهات ، لكن بعض والده يمرض ، ويحتاج ولد آخر إلى دروس خصوصية فتتبدد الألف جنيه ويحتاج إلى مافوقها .

إذن فحين يسلب الحق المصارف وإنفاق المال في المعصية أو المرض فهذه هي بركة الرزق ، ونجد الرجل الذي يأتي ماله من حلال ويعرق فيه يوفقه الله إلى شراء كل شيء يحتاج إليه ، ويخلع الله على المال القليل صفة القبول ، ونجد آخر يأتي ماله حرام فيخلع الله على ماله صفة الغضب فينفقه في المصائب والبلايا ويحتاج إلى ماهو أكثر منه.

وأنت حين تقارن القرآن بالتوراة في الحجم تجده أصغر منها وللكن لو رأيت البركة التي فيه فستجدها بركة لاتنتهى ؛ فكل يوم يعطى القرآن عطاءه الجديد ولاتنقضى عجائبه ، ويقرأه واحد فيفهم منه معنى ، ويقرأه آخر فيفهم منه معنى جديداً. وهذا دليل على أن قائله حكيم ، وضع في الشيء القليل الفائدة الكثيرة ،

وهذا هو معنى ﴿ كتاب أنزلناه مبارك ﴾ ؛ فكل كتاب له زمن محدود وعصر محدود وأمة محدودة ، أما القرآن فهو يواجه من يوم أن أنزله الله إلى أن بقوم الساعة قضايا متجددة يضع لها حلولاً . والمهم أن القرآن قد جاء على ميعاد مع طموح البشريات ، وحضارتها وارتقاءاتها في العقول ؛ لذلك كان لابد أن يواجه كل هذه المسائل مواجهة تجعل له السبق دائماً ولا يكون ذلك إلا إذا كانت فيه البركة .

وكلنا يعلم أن القرآن قد نزل على رجل أمّى ، وفي أمة أميّة ، ولذلك حكمة بالغة لأن معنى و أمّى ، أى أنه لم يأخذ علماً من البشر ، بل هو كما ولدته أمه ، وجاءت ثقافته وعلمه من السماء .

إذن فالأمية فيه شرف وارتقاء بمصادر العلم له . ونزل القرآن في أمة أمية ؛ لأن هذا الدين وتلك التشريعات ، إنما نزلت في هذه الأمة المتبدية المتنقلة من مكان إلى آخر وليس لها قانون بل يتحكم فيها رب القبيلة فقط ، وحين تنزل إليها هذه القيم الروحية والأحكام التشريعية ففي ذلك الدليل على أن الكتاب الذي يحمل هذه القيم والأحكام قادم من السماء . فلو نزل القرآن على أمة متحضرة لقيل نقلة حضارية ، لكنه نزل على أمة لا تملك قوانين مثل التي كانت تُحكم بها الفرس أو الروم .

ومادام الكتاب له هذه الأوصاف التي تربح الخلق من عناه التشريع لأنفسهم ويضم كل الحير ، لذلك يأتي الأمر من الله :

﴿ فَأَنَّهِمُوهُ وَأَنْفُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْجَمُونَ ﴾

(من الأية ١٥٥ سورة الأنعام)

وساعة ثاتى بـ « لعل » فاعلم أن فيها رجاء ، وقد ترجو أنت من واحد وتقول : لعل فلاناً يعطيك كذا ، والرجاء هنا من واحد ، ومن يفهل العمل المرجو إنسان آخر ، وقد يفعل الآخر هذا العمل ، وقد يغضب فلا يقامله ؛ لأن الإنسان ابن أغيار ، بل ومن يدرى أنه ساعة يريد أن يفعل فلا يقدر . وإذا قلت : « لعلى أفعل لك كذا : ، وهن تكور أنت الراجى والمرحو في أن واحد ، ولكنك أيضاً ابن يَتُوَلَّوْ الْانْجَيْقَالُ عند إرادتك الفعل قد لا تنيسر لك مثل مذه القدرة .

ولماذا أنزل الحق هذا الكتاب؟ . يأتي الحق هنا بالتمييز للأمة التي أراد لها أن ينزل فيها الفرآن فيقول:

﴿ أَن تَقُولُوا إِنَّمَا أَنْزِلُ الْكِئْبُ عَلَى طَآبِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّاعَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَيْفِلِينَ ﴿ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللهُ

فالكتاب بصفى العقائد السابقة التى نزلت على الطائفتين من اليهود والنصارى ، وإذا كنتم قد غفلتم عن دراسة التوراة والإنجيل ؛ لأنكم أمة أمية لا تعرف القراءة والكتابة ؛ لذلك أنزلنا إليكم الكتاب الكامل مخافة أن تصطادوا عذراً وتقولوا : إن أميتنا منعتنا من دراسة الكتاب الذي أنزل على طائفتين من قبلنا من اليهود والنصارى . وكأن الله أنزل ذلك الكتاب قطعاً لاعتذارهم .

﴿ أَوْتَقُولُواْ لَوْ أَنَا آلْزِلَ عَلَيْنَا ٱلْكِنْ لَكُنّاً الْمَاكِنَا ٱلْكِنْ لَكُنَّا الْمَاكِنِينَ اللّهِ الْمَاكَةُ مَا مَيْنَةٌ مِن رَّبِيكُمْ الْمَاكُونِ مِنْ أَفْلُهُ مِمَّن كُذَب بِعَاينتِ ٱللّهِ وَهُدُى وَرَحْمَةٌ فَكُنْ ٱظْلَوْمِمَّن كُذَب بِعَاينتِ ٱللّهِ وَهُدُى وَرَحْمَةٌ فَكُنْ ٱظْلَوْمِمَّن كُذَب بِعَاينتِ ٱللّهِ وَصَدَف عَنْما السَّوَء ٱلْعَدَابِ بِمَاكَانُواْ يَصَدِفُونَ هَنْ مَا يَكِننا اللّهِ اللّهِ مَاكَانُواْ يَصَدِفُونَ هَنْ مَا يَكِننا اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ اللللّ

قد يحتج المشركون من أن انتوراة والإنجيل لونزلت عليهم لكانوا أهدى من

011/00+00+00+00+00+0

اليهود والنصارى ، وفي هذا القول مايعني أن أذهانهم مستعدة لتقبل الإيمان ، وقد قطع الله عليهم كل عذر فجاء لهم بالقرآن ، ويقول الحق:

﴿ فَمَنْ أَظْلُمُ مِمَّن كُذَّبُ بِآينتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا . . (١٥٥٠ ﴾ [سورة الأنعام]

و «صدف امن الأفعال التي تُستعمل متعدية وتُستعمل لازمة ، ومعني «لازمة انها تكتفي بالفاعل ولا تتطلب مفعولا ، فمثلاً إذا قيل لك: جلس فلان . تفهم أن فلاناً قد جلس ويتم لك المعنى ولا تتطلب شيئاً آخر . لكنك إن قيل لك : ضرب زيد ، فلا أنك تنسظر من محدثك أن يبين لك من الذي ضرب ، أي أنك جئت بفعل يطلب شيئاً بعد الفاعل ليقع عليه الفعل ، وهذا اسمه فعل « متعد عأى يتعدى به الفاعل إلى مفعول به .

و «صدف» فيها الخاصتان. وجاء الحق بهذه الصيخة المحتملة لأن تكون لازمة وأن تكون متعدية ليصيب الأسلوب غرضين ؛ الغرض الأول: أن تكون هصدف» بمعنى انصرف وأعرض فكانت لازمة أى ضل فى ذاته ، والأسر الشانى: أن تكون صدف متعدية فهى تدل على أنه يصرف غيره عن الإيمان ، أى يضل غيره ، ويقع عليه الوزر ؛ لضلال نفسه أولاً ثم عليه وزر من أضل ثانياً ، ولذلك جاء سبحانه باللفظ الذى يصلح للاثنتين «صدف عنها» أى انصرف ، ضلالا لنفسه ، وصدف غيره أى جعل غيره يصدف ويعرض فأضل غيره ، وبذلك يعذبه الله عدايين ، فيقول سبحانه ؛

﴿ . سَنجْزِى الَّذِينَ يَصَدِّفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصَدِّفُونَ (١٠٠٠) ﴾

فكأن المسألة يرتكبها: الذين صدفوا أنفسهم ، وصرفوها عن الإيمان ، ويصدفون كل من يحاول أن يؤمن . وهؤلاء هم القوم الذين أعرضوا وانصرفوا عن منهج الهدى ، أو تغالوا في ذلك فصرفوا غيرهم عن منهج الهدى ، ولو أنهم استقرأوا الوجود الذي يعايشونه لوجدوا الموت يختطف كل يوم قوماً على غير طريقة رتيبة ، فلا السن يحكم ويحدد وقت وزمن انقضاء الأجل ، ولا الأسباب تحكمه ،

00+00+00+00+00+00+0

ولا المرض أو العافية تحكمه ، فالموت أمر شائع في الوجود. ومعنى ذلك أن على كل إنسان أن يترقب نهايته ، فكأنه يتساءل: لماذا إذن يصدفون؟ . وماذا ينتظرون من الكون؟ . أرأوا خلوداً في الكون لموجود معهم؟ .

ويقول سبحانه من بعد ذلك:

﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن تَأْتِيهُمُ الْمَلَيْكُ أَوْيَأْتِي مَنْ أَوْيَأْتِي رَبُّكُ أَوْيَأْتِي بَعْضُ ءَايكتِ رَبِّكُ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايكتِ رَبُّكُ أَوْيَأْتِي بَعْضُ ءَايكتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايكتِ رَبِّكَ لَا يَنغُمُ الْمِينَا الْمَنتُ مِن وَبِّكَ لَا يَنغُمُ الْمَنتُ مِن وَبِّكُ لَا يَنغُمُ الْمِينَا لَوْتَكُنُ ءَامَنتُ مِن وَبِّكُ فَي المَنتُ مِن وَبِّكُ فَي المَنظُرُونَ مِن اللّهُ الللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ الللللّهُ الللّهُ الللّهُ الللللللللللللل

فهل ينتظرون من عطاءات الوجود المحيط بهم إلا أن تأتيهم الملائكة التي تقبض الروح؟والملائكة تأتى هنا مجملة . وفي آيات أخرى يقول :

﴿ الَّذِينَ تَتُوفُ لُهُمُ الْمَكْ يُحَدُّ طَالِمِي أَنفُسِهِمْ فَأَلْقُوا السَّلْمَ . ((٢)) ﴿ [سورة النحل] ولن يتأبى أحد على الملائكة ؛ لذلك يلقون لهم السلم وتنتهى المسألة.

وينابع سبحانه:

﴿ أَوْ يَاتَى رَبُكَ أَوْ يَاتَى بِعُسِضُ آيَاتِ رَبُكَ يَوْمَ يَأْتِى بِعَضُ آيَاتِ رَبِّكَ لا يَنفَعُ نَفُسُا إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انتظِرُوا إِنَّا مُنتَظِرُوا إِنَّا أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انتظِرُوا إِنَّا مُنتَظِرُونَ (١٤٠٠) ﴾ [سورة الأنعام]

ووقف العلماء عند هذا القول الكريم لأنهم أرادوا أن يفسروا الإتيان من الرب على ضوء الأتيان منا ، والأتيان منا يقتضى الخلاعاً من مكان كان الإنسان فيه إلى مكان يكون فيه ، وهذا الأمر لايصلح مع الله. ونقول: أفسرت كل مجيء على

© 1.1100+00+00+00+00+00+0

ضوء المجيء بالنسبة لك؟ بالله قل لى: ما رأيك في قوله تعالى:

﴿ وَجَآءَتْ سَدَرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِي ﴾

(من الآية ١٩ سررة ق)

كيف جاءت سكرة الموت وهي المخلوقة لله ؟ إننا لا نعرف كيف يجيء الموت وهو مخلوق ؟ فكيف تريدون أن نعرف كيف يجئ الله ؟ . عليكم أن تفسروا كل شيء بالنسبة لله بما يليق بذات الله في إطار وليس كمثله شيء ولنتأدب ونعط المعقول مقدارها من الفهم ، ولنجعل كل شيء منسوبا لله بما يناسب ذات الله ؛ لأن المجيء يختلف بأقدار الجائين ، فمجيء الطفل غير مجيء الشاب ، غير مجيء الرجل العجوز ، غير مجيء الفارس ، فما بالنا بمجيء الله سبحانه ؟ !! إياك _ إذن _ أن تفهم المجيء على ضوء مجيء البشر . وأكررها دائماً : عليك أن تأخذ كل شيء بالنسبة له سبحانه لا بقانونك أنت ، ولكن بقانون الذات الأعلى ، واجعل كل ما يخصه في إطار و ليس كمثله شيء » ، ولذلك قل : له سمع ليس كسمعنا ، وبصر ليس كبصرنا ، ويد ليست كأيدينا ، في إطار و ليس كمثله شيء » . وإياكم أن تسمعوا مناقشة في قوله : ويأتي ربك » . وقل إن إتيان الله ومجيئه ليس كفعل البشر ، بل سبحانه و ليس كمثله شيء » ﴿ أو يأتي ربك أو يأتي ومجيئه ليس كفعل البشر ، بل سبحانه و ليس كمثله شيء » ﴿ أو يأتي ربك أو يأتي ومخي بعض آيات ربك ﴾ .

و « بعض آيات ربك » ، هي العلامات ، وقد قال صلى الله عليه وسلم : « بَادِرُوا بِالأعمال سِنّا : طلوع الشمس من مغربها ، والدُّخَان ، ودابَّة الأرض ، والدَّجَالَ ، وخُوبْضَةَ أَحَدِكُمْ وأَمْرَ العامّة »(١) .

و و خُورُصَةُ أحدكم ، تصغير : خاصة ، والمراد حادثة الموت التي تخص الإنسان ، وصغرت لاستصغارها في جنب سائر العظائم من بعث وحساب وغيرهما وقبل : هي ما يخص الإنسان من الشواغل المقلقة من نفسه وماله وما يهتم به .

و ي أمر العامَّة ؛ : أي القيامة ؛ لأنها تعم الخلائق ، أو الفتنة التي تعمى

⁽١) رواه أحمد ومسلم عن أبي هريرة .

وتصم ، أو الأمر الذي يستبد به العوام ويكون من قبلهم دون الخواص .

﴿ أَوْ يَا أَيْ رَبُكَ أَوْ يَا أَيْ بَعْضُ اَ يَسْتِ رَبِكُ يَوْمَ يَا أَيْ بَعْضُ اَيَسْتِ رَبِكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِعْنُهُ إِلَيْ تَكُنْ اَمْسَتْ مِن قَبْلُ ﴾ إِعْنُهُ إِلَا تَكُنْ اَمَنَتْ مِن قَبْلُ ﴾

(من الأية ١٥٨ سورة الأنعام)

لأن الإيمان لا يكون إلا بأمر غيبى ؛ فكل أمر مشهدى مدرك بالحواس لا يسمى إيماناً ؛ فأنت لا تقول : أنا أؤمن بأنى أقرأ الأن فى كتاب خواطر الشيخ الشهراوى حول آيات القرآن الكريم ؛ لأنك بالفعل تقرأ هذه الخواطر الآن . وأنت لا نقول : أنا أؤمن بأن النور يضىء الحجرة ؛ لأن هذا أمر مشهدى ، وليس أمراً غيبياً . والإيمان يكون دائماً بأمر غيبى ، ولكن إذا جاءت الآيات فإننا ننتقل من الإيمان بالأمر الغيبى إلى الإيمان بالأمر الحسى ، وحينئذ لا ينفع الإيمان من الكافر ، ولا تقبل الطاعة من صدقة أو غيرها من أنواع البر والخير بعد أن تبلغ الروح الحلقوم وتقول : لفلان كذا ولفلان كذا ، وقد كان لفلان . هذا لا ينفع ؛ لأن المحلقوم وتقول : لفلان كذا ولفلان كذا ، وقد كان لفلان . هذا لا ينفع ؛ لأن المال لم يعد مالك ، بل صار مال الورثة ، كذلك الذى لم يؤمن وبعد ذلك رأى الأيات الستة التي قال الشارع عنها : إنها ستحدث بين يدى الساعة أو قبل مجيء الساعة . وساعة ترى هذه الآيات لن يُقبل منك أن تقول : آمنت ؛ لأن الإيمان إنما يكون بالأمر الغيبى ، وظهور الآيات هو أمر مشهدى فلن يُقبل بعده إعلان يكون بالأمر الغيبى ، وظهور الآيات هو أمر مشهدى فلن يُقبل بعده إعلان الإيمان ، والحق هو المقائل :

﴿ أَوْ يَأْتِي رَبُكَ أَوْ يَأْتِي بَعْضُ وَا يَنْتِ رَبِكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ وَايَنتِ رَبِكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِنْ يَعْضُ وَايَنتِ رَبِكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِنْ يَعْضُ وَايَنتِ رَبِكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِنْ يَعْضُ وَايَنتِها لَعْبَرًا ﴾ إيمنها لَوْ كَنبَها نَعْبُرًا ﴾

(من الآية ١٥٨ سورة الأنعام)

أى أن الإيمان يجب أن يكون سابقاً لظهور هذه الآيات ، وألا يكون المانع له من العمل القصور ، كأن يكون الإنسان ـ والعياذ بالله ـ مجنوناً ولم يفق إلا بعد مجىء العلامة ، أو لم يَبُلُغ إلا بعد وجود العلامة فهذا هو من ينفعه الإيمان .

وقد عرض الحق لنا من هذه الصور ما حدث في التاريخ السابق ، فهو القائل :

﴿ وَجَسُوزُنَا بِبَنِي إِسْزَءِيلَ الْبَحُرَ فَأَتَبْعَهُمْ فِرْعُونُ وَجَنُودُهُ بَغَيا وَعَدُوا حَتَىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرْقُ قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لا إِلَـٰهَ إِلاَّ الَّذِي آمَنتُ بِهِ بَنُو إِسْزَءِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ۞ ﴾

[سورة يونس]

وماذا كان رد الله عليه ؟ لقد قال سبحانه :

﴿ ءَالآنَ وَقُدْ عَصَيْتَ قَبْلُ . . (13)

[مورةيونس]

إذن : إذا بلغت الروح الحلقوم ، وهذه مقدمات الموت فلا ينفع حيننذ إعلانك الإيمان .

ويذيل الحق الآية بقوله :

[سررة الأنعام]

﴿ . . انتظرُوا إِنَّا مُنتظرُونَ ١٠٠٠ ﴾

هم منتظرون الخيبة ونحن منتظرون الفلاح .

ويقول الحق بعد ذلك:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيَّءً إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَيِّقُهُم بِمَاكَا نُوا يَعْعَلُونَ شَيَّ الْمَالِمُ اللَّهِ ثُمَّ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهُ اللهِ اللهُ اللهُ

هذه الآية تشرح الآية الني سبقت خواطرنا عنها ، وهي قوله الحق :

﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرْطِى مُسْتَقِيمًا فَاتَبِعُوهُ وَلا تَتَبِعُوا السَّبُلَ فَتَفَرُقَ بِكُمْ عَن سبيلِهِ ذَلكُمْ وَصَـٰكُم بِهِ لَعَلَكُمْ تَتَقُونَ (١٣٣) ﴾ وصَـٰكُم بِهِ لَعَلَكُمْ تَتَقُونَ (١٣٣) ﴾

00+00+00+00+00+00+0

والذين فرقوا دينهم نسوا أن الذين إنما جاء ليجمع لاليفرق ، والدين جاء ليوحد مصدر الأمر والنهى في الأفعال الأساسية فلا يحدث بيننا وبين بعضنا أي خلاف ، بل الخلاف يكون في المباحات فقط ؛ إن فعلتها فأهلاً وسهلاً ، وإن لم تفعلها فأهلاً وسهلاً ، ومالم يرد فيه أفعل ولاتفعل ؛ فهو مباح .

إذن الذين يفرقون في الذين إنما يناقضون منهج السماء الذي جاء ليجمع الناس على شيء واحد؛ لتنساند حركات الحياة في الناس ولاتتعاند، وإذا كان لك هوى، وهذا له هوى، وذلك له هوى فسسوف تتعاند الطاقات ، والمطلوب والمفروض أن الطاقات تتساند وتتعاضد.

والشيع هم الجماعة التي تتبع أمراً ، هذا الأمر يجمعهم ولو كان ضلالا .

وهناك تشيع لمعنى نافع وخير ، وهناك تشيع لعكس ذلك ، والتشيع على إطلاقه هو أن تجنمع جماعة على أمر ، سواء أكان هذا الأمر خيراً أم شرا.

﴿ إِنَّ الَّذِينِ فَرَقُوا دِينِهُمْ وَكَانُوا شِيعًا لِّسْتَ مِنْهُمْ فِي شِيءٍ . . (١٥١) ﴾

[سورة الأنعام]

إذن هم بعيدون عن منهجك يامحمد ، ولايصح أن ينسبوا إلى دينك ؛ لأن الماء الإسلام جاء لإثبات القيم للوجود مثل الماء لإثبات حياة الوجود. وتعرف أن الماء لا يأخذ لونا ولاطعما ولارائحة ، فإن أخذ لونا أو طعما أو رائحة فهو يفقد قيمته كماء صاف ، وكذلك الإسلام إن أخذ لونا ، وصار المسلمون طوائف ؛ فهذا أمر يضر الدين ، وعلينا أن تعلم أن الإسلام لون واحد ،

﴿ . . إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمُّ يُنبِّنُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (١٠٠٠ ﴾ [سورة الاندام]

إن شاء سبحانه عاجلهم بالهزيمة أو بالعذاب ، وإن شاء أجلهم إلى يوم القيامة .

مَنْ جَاءً بِالْحُسَنَةِ فَلَهُ، عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَن جَاءً بِالْحُسَنَةِ فَلَهُ، عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَن جَاءً بِالسَّيِثَةِ فَلا يُجْزَعَ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لا جَاءً بِالسَّيِثَةِ فَلا يُجْزَعَ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ فَي اللهِ

هناك د حسن ، و د حسنة ، ولا تقل : إن حسنة هي مؤنث حسن ، لأن فيها ثاء . كأنها تاء التأنيث ، ولكن اسمها د تاء المبالغة ، تأتي على اللفظ الذي للذكر ، مثلما تقول : د فلان علامة ، ، و د فلان راوية للشعر ، وفلان نسّابة . هذه هي تاء المبالغة .

و الحسنة هي الخير الذي يورث ثواباً ، وكلما كان الثواب أخلد وأعمل كانت الحسنة كذلك . وإذا قال الحق سبحانه وتعالى : ﴿ من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ﴾ . -

ف و أمثالها » جمع و مثل » ، والمثل مذكر ، والقاعدة تقول : حين يكون المعدود مذكراً نأتى له بالتاء ، وحين يكون مؤنثاً نحذف التاء لأن أصل الأعداد مبنى علي التاء ، لأنك عندما تعد تقول واحد ، اثنان ثلاثة إلى عشرة فأصل الأعداد مبنى على التاء ، وإذا استعملته مع المؤنث تخالف بحذف التاء فيه ، وإن استعملت العدد مع الأصل وهو المذكر ، تستعمله على طبيعته فتقول : و ثلاثة رجال » . وإذا أردت أن تتكلم عن الأنثى ، تقول : و ثلاث نسوة » ، والحق هنا يقول : و فله عشر أمثالها » ، و و مثل » - كما قلنا - مذكر . والحق لم يجعل الأصل في العطاء هو و المثل » ، بل جعل الأصل هو الحسنة :

﴿ مَن جَاءَ بِالْجِسْنَةِ فَلَهُ مُ عَشْرُ أَمْنَا لِمِنَا وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّنَةِ فَلَا يُجْزَئَ إِلَّا مِثْلَهَا ﴾ (من الآية ١٦٠ سورة الانعام)

وهذا هو مطلق الرحمة والذخرال. ولذلك ورد الحديث القدسي.

سورة الأبع عار

عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ـ فيما يروى عن ربه تبارك وتعالى ـ 1 إن ربكم عز وجل رحيم . من هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة ، فإن عملها كتبت له عشراً إلى سبعمائة إلى أضعاف كثيرة ، ومن هم بسيئة فلم يعملها كتبت له حسنة ، فإن عملها كتبت له واحدة أو يمحوها الله عز وجل ولا يهلك على الله إلا هالك ١٠٠٠ .

ونعرف أن الحق يجزى الحسنة بعشر أمثالها ويضاعف ذلك إلى سبعمائة ضعفٍ ، لأن كل فعل تلازمه طاقة من الإخلاص في نفاذه ، فكأن الحق قد وضع نظاماً بأن الحسنة بعشر أمثالها ، ثم بالنية المخلصة تبلغ الأضعاف إلى ما شاء الله . وقد وضع الحق هذا النظام ؛ لأنه جل وعلا يربد للحسنة أن تُفعل ، وينتفع الغير بها ، فإنَّ كان فاعلها حريصاً على الأجر الزائد فهو يقدمها بنية مخلصة ، ويقول الحق لنا:

﴿ مَن ذَا ٱلَّذِي يُقُرضُ اللَّهُ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَعِفَهُ لَهُ وَلَهُ وَأَهُ وَأَرْدُ كُرِيمُ ٢

(سورة الحديد)

ويقول أيضاً:

﴿ مِّن ذَا ٱلَّذِي يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِقَهُ لَهُ ۖ أَضْمَافًا كَثِيرَةٌ وَاللَّهُ يَقْبِضُ ويبضع كه

(من الآية ٢٤٥ سورة البقرة)

ويحدد هناجزاء الحسنة بأن ثوابها عشر أمثالها ، ونية معطى الحسنةِ هي التي يمكنها أن تضاعفها إلى سبعمائة أو أزيد . والحق سبحانه وتعالى يعطى مثلًا لذلك في قوله تعالى:

﴿ مَثُلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَاهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهُ كُنُلِ حَبِّهِ أَنْبَنَتْ سَبْعَ سَنَابِلُ فِي كُلّ سُنْبُلَةِ مِأْنَةُ حَبِّةٍ ﴾

(١) رواه أحمد والبحاري ومسلم والنساشي .

(من الآية ٢٩١ سورة البقرة)

01-1100+00+0

وإذا كانت الأرض وهي مخلوقة لله تعطيها أنت حبة فتعطيك سبعمائة فماذا يعطى خالق الأرض؟ إن عطاءه غير محدود ولا ينفد ، ولذلك يقول سبحانه :

﴿ وَأَلْلُهُ يُضَامِفُ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾

(من الآية ٢٦١ سورة البقرة)

ويتابع الحق سبحانه :

﴿ وَمَن جَآةً بِٱلسِّيثَةِ فَلَا يُجْزَئَ إِلَّا مِثْلُهَا وَهُمْ لَا يُظْلُمُونَ ﴾

(من الآية ١٦٠ سورة الأنعام)

مادام لا يجزى إلا مثلها فهم لا يظلمون أبداً. ويقول الحق بعد ذلك:

﴿ قُلْ إِنَّنِي هَدَيْنِي رَبِّي إِلَى صِرَطِ مُسْتَقِيمِ دِينًا قِيمًا مِلَّةَ إِبْرَهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ شَ الْمُشْرِكِينَ شَ الْمُشْرِكِينَ

و « ديناً قيهاً » أي تقوم عليه مسائل الحياة ، وهو قائم بها ، و « قيهاً » مأخوذة من و القيمة ، أو من و القيام ، على الأمر ، وقام على الأمر أي باشره مباشرة من يصلحه ، كذلك جاء الدين ليصلح للناس حركة حياتهم بأن أعطاهم القيم ، وهو قائم عليهم أيضاً: ﴿ دِيناً قِيهاً ملة إبراهيم حنيفاً ﴾ .

وفي كل أمر مهم له خطره ومنزلته يأتي لنا الحق بلمحة من سيرة سيدنا إبراهيم عليه السلام ، لأنه صلوات الله وسلامه على نبينا وعليه فيه القدر المشترك الذي يجمع كفار مكة ، وأهل الكتاب الذين يتمحكون فيه . فقالت اليهود : إبراهيم كان يهوديًا ، وقالت النصارى : إن إبراهيم كان نصرانيًا ، وربنا يقول لهم ولنا :

﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِمُ بَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِن كَانَ حَنِفًا مُسْلِمًا ﴾

(من الأَية (٦٧ سورة آل عمران)

واليهودية والنصرانية جاءتا من بعده . أما بالنسبة للجماعة الأخرى ففي بيئتهم ، وكل حركات حياتهم ، وتجارتهم ونفعهم من آثار إبراهيم عليه السلام ما هو ظاهر وواضح . يقول الحق :

﴿ رَبَّنَا إِنْ أَسْكَنتُ مِن فُرِيتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعِ عِندَ بَيْنِكَ ٱلْمُحَرِّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَأَجْعَلْ أَفْعِدَةً مِنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِى إِلَيْهِمْ ﴾

(من الآية ٢٧ سورة إبراهيم)

فسيدنا إبراهيم هو الذي رفع القواعد من البيت الحرام ، وهو الذي عمل لهم مهابة جعلت تجارتهم تذهب إلى الشمال وإلى الجنوب ولا يتعرض لها أحد ، وجاءت لهم بالرزق الوفير . وحين يقول الحق :

﴿ دِينًا مِينًا مِينًا مِلْةَ إِبْرَاهِمِمْ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾

(من الآية ١٦١ سورة الأنعام)

المقصود هو الدين الذي تعيشون في كنف خيرات آثاره ، و « الحنف » هو اعوجاج في القدم . وبطبيعة الحال لم يكن دين إبراهيم ماثلًا عن الحق والصواب بل هو ماثل عن الانحراف دائم الاستقامة . ونعرف أن الرسل إنما يجيئون عند طفيان الانحراف ، فإذا جاء إبراهيم ماثلًا عن المنحرف ؛ فهو معتدل .

ويقول الحق بعد ذلك:

﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَتَعْيَاى وَمَمَاتِ اللَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ شَ ﴾

و و صلاق ، مقصود بها العبادة والركن الثاني في الإسلام الذي يتكور كل يوم خس مرات ، وهي الركن الذي لا يسقط أبداً ؛ لأن شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله _ كما قلنا سابقاً _ يكفى أن تقولها مرة في العمر ، وقد يسقط عنك الصوم إن كنت لا تستطيع ، وقد لا تركى لأنه ليس لك مال ، وقد لا تستطيع

O1.1100+00+00+00+00+0

لحج ، وتبقى الصلاة التي لا تسقط أبدأ عن العبد . وهي ـ كها تعلم ـ قد أخذت التكليف حظها من الركنية .

إن كل تكليف من التكاليف جاء بواسطة الوحى إلا الصلاة فإنها جاءت بالمباشرة ، تلقاها رسول الله صلى الله عليه وسلم من ربه دون واسطة . وحين يقول الحق : « إن صلات » ، فهو يذكر لنا عمدة الأركان والتى اشتملت على كل الأركان كما أوضحنا سابقاً . حتى إن الإنسان إذا كان راقداً في مرض ولا يستطيع القيام فعليه أن يحرك رأسه بالصلاة أو يخطر أعمال الصلاة على قلبه . ويقول الحق : ﴿ ونسكى ﴾ . و « النسك » يطلق ويراد به كل عبادة ، والحق يقول :

﴿ لِكُلِّ أَمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ ﴾

(من الآية ٦٧ سورة الحج)

د النسك ۽ إذن هو عبادة ويطلق بالأخص على أفعال كثيرة في الحج ، مثل نسك الطواف ونسك السعى ، ونسك الوقوف بعرفة ، ونسك الرمى ، ونسك الجمار ، وكل هذه اسمها مناسك ، والأصل فيها أنها مأخوذة من مادة د النسيكة ، وهى السبيكة من الفضة التى تصهر صهراً يُخرج منها كل المعادن المختلطة بها حتى تصير غاية في النقاء . فسميت العبادة نسكاً هذا ، أى يجب أن تصفى العبادة لله كها تصفى سبيكة الفضة من كل المعادن التى تخالطها : ﴿ قل إن صلاتى ونسكى وعباى وعاى ،

وهنا أمران اختياريان ، وأمران لا اختيار للإنسان فيهها ، الصلاة والمناسك كلاهما داخل في قانون الاختيار ، لكن المحيا والممات لايدخل أى منها في قانون الاختيار ؛ إنها في يد الله ، والصلاة والنسك أيضاً لله ، ولكن باختيارك ، وأنت لا تصلي إلا لأنك آمنت بالأمر بالصلاة ، أو أن الجوارح ما فعلت كذا إلا لله . إذن فأنت لم تفعل شيئاً من عندك أنت ، بل وجهت الطاقات المخلوقة لله لتأدية المنهج الذي أنزله الله . إذن أردت تسبة كل فعل فانسبه إلى الله .

ولماذا جاء بالصلاة والنسك وكلاهما أمر اختيارى ؟ ؛ لأنه إن كان فى ظاهر الأمر لكم اختيار ، فكل هذا الاختيار نابع من إيجاد الله لكم مختارين . وهو الذي وضع

المنهج فجعلكم تصلون ، أو: إن صلاتي لله ونسكى لله ، أى أن تخلص فيها ، ولاتشرك فيها ، ولاتشرك فيها ، ولاتصلى مرائياً ، ولاتصنع نسكاً مراثياً ، ولا تذهب إلى الحج من أجل أن يقولوا لك : ١ الحاج فلان أبداً ، بل اجعلها كلها لله ؛ لأنك إن جعلتها لغيره فلم لغيره فليس لغيره من القدرة على الجزاء مايجازيك الله به ، إن جعلتها لغيره فقد اخترت الخيبة في الصفقة ؛ لذلك اجعل الصلاة والنسك للذي يعطيك الأجر.

﴿ قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَعْيَاي وَمُمَاتِي لِلَّهِ رَّبِّ الْعَسْلِمِين (١٦٠) ﴾ [سورة الانهام]

والحياة هبة الله ، وإياك أن تصرف قدرة الحياة ومظاهر الحياة في غير مايرضي الله . فينبغى أن يكون حياتك لله لالشهوتك ، ومماتك لله لالورثتك ، وتذكر ذلك جيداً لأن الحق يقول بعد ذلك:

﴿ لَا شَرِيكَ لَهُ أُو بِذَالِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أُوَّلُ ٱلنُسْلِمِينَ ﴿ لَهِ اللَّهِ اللَّهُ اللَّاللَّا اللَّهُ اللَّاللَّا اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّل

وهذا القول يدل على أن بعض الخلق قد يجعل لله شريكاً في العبادة فيجعل صلاته ظاهرية رياء ، وحياته يجعلها لغير واهب الحياة ، ويجعل عماته للورثة وللذرية ؛ لذلك عليك أن تتذكر أن الله لاشريك له.

﴿ . . وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أُوَّلُ الْمُسْلِمِينَ (١٦٠ ﴾

وهذا أمر من الله لرسوله ، وكل أمر للرسول هو أمر لكل مؤمن برسالته على ، وكل والأوامر التي صدرت عن الرب هي لصالحك أنت . فسبحانه أهل لأن يُحب ، وكل عبادة له فيها الخير والنفع لنا ، وأنا لاأدعيه لنفسي بل هو عطاء من ربكم وربي الذي أمر . ولذلك فالحق سبحانه وتعالى حينما رأى أن رسوله على مشغول بأمر أمته أبلغنا:

﴿ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَاعَنِتُمْ مَرِيضٌ عَلَيْكُمْ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَا وَفُ رُحِيمٌ ﴾

(من الآية ١٣٨ سورة التوبة)

وفى كل شىء كان صلى الله عليه وسلم يقول : أمّتى أمتى أمتى أمتى ، وأراد الحق سبحانه وتعالى أن يطمئن رسوله على محبوبية أمنه فقال له : « إنا سنرضيك فى أمنك ولا نسوؤك ه(١) .

والحديث بتمامه كالآتي :

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم تلا قول الله عز وجل فى إبراهيم : ﴿ رب إنهن أضللن كثيراً من الناس فمن تبعنى فإنه منى ﴾ الآية .

وقال عيسى عليه السلام : ﴿ إِنْ تَعَذَّبُهُمْ فَإِنْهُمْ عَبَادُكُ وَإِنْ تَغَفَّرُ لَهُمْ فَإِنْكُ أَنتَ الْعَزِيزِ الْحَكِيمَ ﴾ .

فرفع يديه وقال: « اللهم أمتى أمتى » ويكى ، فقال الله عز وجل: يا جبريل اذهب إلى محمد وربك أعلم فسله ما يبكيك ؟ فأتاه جبريل عليه الصلاة والسلام ، فسأله وأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قال وهو أعلم ، فقال عز وجل: « يا جبريل اذهب إلى محمد فقل: إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوؤك « (٣) ونزل قوله الحق:

﴿ وَلَنُوفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَيْ ﴿ ﴾

(سورة الضحي)

روى غن على رضى الله عنه قال : قال صلى الله عليه وسلم : « إذن لا أرضى وواحد من أمتى في النار (٣) .

⁽١) رواه مسلم .

⁽ ٢) رواه مسلم في كتاب الإيمان .

⁽٣) غرائب القرآن ورغائب المفرقان للنيسابورى .

والالعما

ويذبل الحق الآية بقوله: ﴿ وأنا أول المسلمين ﴾

وحين يقول على: وأنا أول المسلمين في أمنه فهذا قول صحيح صادق لأنه قبل أن يأمرغيره بالإسلام آمن هو بالإسلام ، وكل رسول أول المسلمين في أمنة ، لكن هناك أناس يقولون: لنأخذ العبارة هكذا ، ونقول : إن الرسول على له منزلة بين رسل الله أجمعين تتجلى في أنه أخذ العهد على غيره له ، ولم يؤخذ العهد علية لأحد . فإن كان أول المسلمين في أمنة ، فهو أول المسلمين بين الرسل أيضا ، وإن لم تأخذها حدثاً خذها للمكانة . وأضرب هذا المثل : هب أن كلية الحقوق أنشئت مثلا سنة كذا وعشرين ، لكل سنة لها أول من التلاميذ ثم جاه واحد وحصل على ١٠٠٠٪ هذا العام فنقول عنة : إنة الأول على كلية الحقوق من يوم أن أنشئت .

ويقول الحق بعد ذلك :

﴿ قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ مَنْءُ وَزْرَ تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسِ إِلَّا عَلَيْهَا ۚ وَلَا نَزِرُ وَازِرَةً وِزْرَ أَخْرَىٰ ثُمُ إِلَّا رَبِّكُم مَرْجِعَكُمْ فَيْلِينَتُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ أَخْرَىٰ ثُمْ إِلَى رَبِّكُم مَرْجِعَكُمْ فَيْلَيْمِنْ فَي اللَّهِ مَا كُنتُمْ فِيهِ مَعْلَمُونَ ثَنْ اللَّهِ اللَّهِ مَا كُنتُمْ فِيهِ مَعْلَمُونَ ثَنْ اللَّهِ اللَّهِ مَا كُنتُمْ فِيهِ مَعْلَمُونَ فَي اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُولُولُولُولُولُولُ الللَّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ ال

معنى الرب أنة هو الذي تولى التربية ، وله السيادة ، وكل شيء في الوجود مربوب لله ، فكيف أخذ شيئا من الأشياء التي هو ربها وخالقها ليكون شريكا له؟!! إن ذلك لا يصح أبداً . ﴿ قُلْ أَغَيْرُ اللهِ أَبْغِي رَبًا ﴾ .

وهذا إنكار يأتي في صورة استفهام من كل سامع . وكأن الحق يقول لكل منا : أعرض هذا على ذهنك عرضاً غير متحيّز ، وأنا سأئتمنك على الجواب . ولاتقال

0400+00+00+00+00+00+0C

ذلك إلا وقد تأكد أن الجواب يكون: لا ، فلوكان الجواب يحتمل هذه أو تلك لما آمنك على الجواب ، وكأنه يقول: إن أى عاقل يجيب على هذا السؤال سيوافقني في أن يتخذ غير الله ربًا .

﴿ قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَّبًّا وَهُو رَبُّ كُلِّي شَيَّ وَ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ﴾

(من الآية ١٦٤ سورة الأنعام)

و دابغی ، أى أطلب ، و د تكسب ، ماخوذة من مادة د كسب ، و د اكتسب ، أن أنس بعتادون على فعل السيئات ولم تعد تكلفهم شيئاً ، فكأنها لسهولة ذلك عليهم تعتبر كسباً . ومن الحمق أن تقول هذا كسب ، وهو عليك وليس لك ؛ لأنك حين تنظر إلى التسمية نفسها تفهم أنها ليست رصيداً لك بل عليك .

﴿ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسِ إِلَّا عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِذُرَ أَخْرَىٰ ﴾

(من الآية ١٦٤ سورة الأنمام)

والوزر هو الحمل الشاق ، وإن اشتق منه شيء فإن المشقة والصعوبة تلازمه ؛ ككلمة «وزير»، والحق هو القائل :

﴿ وَاجْعَل لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي ﴿ هَذُونَ أَجِي إِسْ اَشْدُهُ بِهِ ۚ أَذْرِي ﴾

(سورة طه)

كأن موسى عليه السلام عرف أن حمل الرسالة إلى اليهود عملية شاقة فقال الله : أعطى أخى يساعدن في هذه المشقة .

والحق هو الغائل:

﴿ أَلَا لَشَرَحُ لِكَ صَدْرَكَ ﴿ وَوَضَعْنَا عَنَكَ وِزْرَكَ ﴿ الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ ﴿ ﴾ (سورة الشرح)

وكان النبي عليه الصلاة والسلام في أولِ استقباله للوحي قد عاني من وقع هذه

00+00+00+00+00+0(11710

العملية وكان أمرها شاقاً عليه ؛ لأن المسألة تقتضى التقاءات مَلَكية ببشرية ، ولابد أن يحدث تفاعل ، وهذا التفاعل الذي كان يظهر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فيحمر وجهه ، ويتصبب منه العرق ، وبعد ذلك يقول : زملوني زملوني ودثروني ، وإن كان قاعداً وركبته على ركبة أحد بجانبه فيشعر جاره بالثقل ، وإن كان على دابة تنظ وتئن تعباً ، لأن التقاء الوحي برسول الله صلى الله عليه وسلم يحتاج إلى أمرين : إما أن يتحول الوحي وهو حامل الرسالة إلى بشرية مماثلة لبشرية الرسول ، وإما أن الرسول ينتقل إلى ملائكية تتناسب مع استقباله للملك . وهكذا كان التقاؤه بالملكية يتطلب انفعالاً وتفاعلاً .

لكن لما أنس صلى الله عليه وسلم بالوحى عرف حلاوة استقباله نسى المتاعب ، ولذلك عندما فتر الوحى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اشتاق إليه . وكان الوحى من قبل ذلك يتعبه ، ويجهده ، فأراد الحق سبحانه وتعالى أن يبقى في نفسه حلاوة ما أوحى به إليه ، وتهدأ نفسه وترتاح ويشتاق إلى الوحى ، فإذا ما استقبل الوحى بشوق فلن يتذكر المتاعب .

﴿ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِدُ وَازِرَةٌ وِذْرَ أَنْعَرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيْ اللَّهِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ فَيُنْبِشُكُمْ بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾

(من الآية ١٦٤ سورة الأنعام)

إذن مادة الوزر هي الثقل بمشقة ، أي لا يحمل إنسان مشقة ثقيلة عن آخر ؛ فالمسئولية لا تتعدى إلا إذا تعدى الفعل ، وعرفنا من قبل الفارق بين من ضل في ذاته ، ومن أضل غيره ليحمل أوزاره مع أوزارهم لتعديه بإضلالهم . وسنعود جميعاً إلى ربنا لينبئنا بماكنا فيه نختلف .

ويقول جل وعلا بعد ذلك :

﴿ وَهُوا لَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَتَهِ الْأَرْضِ وَرَفَعَ

بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضِ دَرَجَنتِ لِيَسَلُّوَكُمْ فِي مَآءَاتَكُكُّرُ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَعَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ

وهناك قول كريم في آية أخرى :

﴿ فُوا الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَيْهِ فَ الْأَرْضِ ﴾

(من الآية ٣٩ سورة فاطر)

وهنا يقول الحق : ﴿ خلائف الأرض ﴾ .

ومعنى و خليفة ، أى الذى يخلف غيره ؛ فإما أن يخلفه زماناً ، وإما أن يخلفه مكاناً . وخلفة المكان مكاناً . وخلفة الزمان أن يأتى عصره بعد عصره ، ويومه بعد يومه ، وخلفة المكان أى أن يكون جالساً ثم يرحل ليأتى آخر ليستقر مكانه ، وانظر إلى كل قواعد الحياة بالنسبة للإنسان تجده في شبابه قويًا ، ثم يرحل عنه الشباب ليأخذه آخره ، ويذهب إلى النبيخوخة . وكذلك نجد إنساناً يملك مكاناً ثم يتركه ويأتى واحد آخر يملكه . أو أن الحق سبحانه وتعالى أراد من الخلافة ، لا خلافة بعضنا لبعض ولكن خلافة الإنسان لرب الإنسان في الأرض ؛ لأن كل شيء منفعل لله قهراً ، والحق سبحانه وتعالى منح بسعة عطائه ؛ فجعل بعض الأشباء تنفعل لبعضها هبة منه سبحانه ، فإذا وقعت فيها أوقدت النار _ على سبيل المثال _ تنفعل لك ، وإذا حرثت في الأرض ووضعت فيها البذور تنفعل لك ، وإذا شربت ترتوى ، وإذا أكلت تشبع . من أبن أخذت كل ذلك ؟ .

إنك قد أخذته من أن الحق الذى سخّر لك ما فى الكون ، وجعل أسباباً ومسببات ، فكانك أنت خليفة إرادات ؛ لكى يثبت لنا سبحانه أنه يفعل ما يريد ، فعلينا أن نأخذ هذه القضية قضية مسلمة ، وإن أردت أن تختبر ذلك فانظر إلى أى إنسان ولو كان كافراً ويريد أن يقوم من مكانه ، وتنفعل له جوارحه فيقوم ، فأى جارحة أمرها أن تفعل ذلك ؟ . إنه لا يعرف إلا أنه بمجرد أنه أراد أن يقوم قل قام . وحتى لا تفهم أنك أخذت كل ذلك بشطارتك فهو يجعل بعضاً من الأمور

مشاعاً عالمياً ، مثل الموت والحياة إنهما أمران ، لا يختلف فيهما الإنجليزي عن الفرنسي ، عن العربي ، وكذلك الضحك والبكاء ، وهل هناك فرق بين ضحكة إنجليزية ، أو ضحكة شيوعية أو ضحكة رأسمائية? . طبعاً لا ، فكلها ضحك وهو لغة عالمية ، ولذلك قال:

﴿ وَأَنَّهُ هُو أَصْحَكَ وَأَبُّكُنَّ ١٤٤ ﴾

وسبحانه جاء بأمر مشترك موجود في الناس كلها ، فأنت تتكلم وتعمل على الصورة والكيفية التي تريدها ، لكنك ساعة تضحك فهو سبحانه الذي يضحك. وأنت حين تود مجاملة أحد وتضحك له فتفاجأ بأن ضحكتك صناعية .

والحق يوضح لك: إن زمام كونى في يدى ، أجعل القوم مختارين في أشياء ، وأجعلهم مرغمين ومتحدين على رغم أنوفهم في أشياء ؛ فأنا الذي أضحك وأبكى . ولا يوجد بكاء إنجليزي أو بكاء فرنساوي أو بكاء ألماني ، وكل البشر شركاء في مثل هذه الأمور.

﴿ وَهُو الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَـ ثِفَ الأَرْضِ . . (17) ﴾

إن إرادتك على أبعاضك ، وعلى جوارحك-أيها الإنسان- موهوبة لك من الواهب الأعلى والمريد الأعلى ، وسبحانه يسلب ذلك من بعض الأفراد ، فيأمر المخ : إياك أن ترسل إشارة لتلك الجارحة لتنفعل ، فيصاب هذا الإنسان بالشلل .

ولو كان الأمر شطارة من الإنسان لقاوم ذلك.

أنتم -إذن- خلائف الأرض ؛ تنفعل لكم الأشياء بقدر ماأراد الله أن تنفعل لكم الأشياء بقدر ماأراد الله أن تنفعل لكم ، فإذا سلب انفعلها عنكم فلكي يثبت أنكم لم تسخروها بقدراتكم ، بل به هو ، إن شاء أطلق الخلافة ، وإن شاء قيد الخلافة ، وإن شاء قيد الخلافة . ﴿ وَرَفْعَ بَعْضَ دُرَجَات ﴾ .

كأن من الخلافة أننا لانكون متماثلين متطابقين ، بل أارد مسبحانه أن نكون متكاملين في المواهب ، وفي الكماليات ؛ لأن الناس لوكانوا صورة مكررة في المواهب ، لفسدت الحياة ، فلا بد أن تختلف مواهبنا ، لأن مطلوبات الحياة متعددة ، فلو أصبحنا كلنا أطباء فالأمر لايصلح ، ولو كنا قضاة لفسد الأمر ، وكذلك لوكنا مهندسين أو فلاحين . إذن فلا بد من أن تتحقق إرادة الله في قوله سبحانه :

﴿ وَرَفَعَ يَعْضَكُمُ فُولَى يَعْضَ دُرَجَئْتَ . (١٦٥ ﴾

أَى أَنْ البِعض قد رُفعٌ ، والبعض الآخر رُفِعُ عليه ، فمن هو البعض المرفوع ؟

ومن هو البعض المرفوع عليه؟ إن كل واحد فيكم مرفوع في جهة مواهبه ، ومرفوع عليه فيمالا مواهب له فيه ؛ لأن الحق يريد أن يتكاتف المخلوقون ، ولاينشأ التكاتف تفضلا ، وإنما ينشأ لحاجة ، فلا بدأن تكون إدارة المصالح في الكون اضطرارا ، وهذه هي هندسة المكون الأعلى سبحانه التي تشجلي في أنك وضعت خريطة لمن دخلوا معك في مرحلة التعليم الابتدائي . ومن ترك منهم الدراسة ومن استمر ليدخل الدراسة الإعدادية . إنك تجدهم أقل ، ومن درس في المرحلة الثانوية أقل ، ومن تعلم التعليم العالى أقل ، ومن نال الدكتوراه أقل .

وهكذا نجد أن البعض يتساقط من التعليم لأن هناك أكثر من مهمة في الكون لا تحتاج إلا إلى حامل الابتدائية فقط ، أو حامل الإعدادية ، أو إلى حامل شهادة إتمام الدراسة الثانوية ، ولو ظل كل واحد منهم في التعليم العالى ، فلن نجد لتلك المهام أحداً. لذلك جعل الله التكاتف في الكون احتياجاً لا تفضلاً.

والحظوا جيداً: أن الإنسان إذا عضه جوع بطنه أو جوع عياله فهو يقبل أى عمل ، وإن رضى بقدر الله فيما وضعه فيه ، ولم يحقد على سواه فسيتقن هذا العمل ، وسيتفوق فيه وسيرزقه الله الرزق الحلال الطيب. ولذلك قال الإمام على: قيمة كل امرىء ما يحسنه ، فإن أحسن الإنسان عمله ، فهو إنسان ناجح في الوجود .

وهكذا أراد الحق سبحانه وتعالى ألايجلنا أشخاصاً مكررين ، ولكن جعلنا متفاضلين متفاوتين ، فرفع بعضاً على بعض ، وكل منا مرفوع فيما يجيد ، ومرفوع

@@+@@#@@#@@#@####

عليه فيما لايجيد ، حتى يحتاج الإنسان منا إلى غيره ليؤدى له العمل الذي لايجيده وبذلك يرتبط العالم ارتباط مصلحة وحاجة لا ارتباط تفضل.

﴿ وَرَفَّعُ بِعَضِكُمْ فَوْقَ بَعْضِ دُرَجَاتٍ لِيَلُوكُمْ فِي مَا ءَاتَكُمْ . . (١٦٥) ﴾ [سورة الانعام]

كأن هذا الرفع هو اختبار للبشر فيما أعطاهم الله من المواهب. ليعلم علم الإلزام للعبد ؛ فسبحانه يعلم أز لا كل مايصدر عن العبد ، ولكنه يترك للعبد فرصة أن يؤدى العمل ليكون ملتزماً بمافعل. وتكون حجة عي العبد. وحينما يقول الحق:

﴿ لِيَبْلُوكُمْ ﴾ فالمقصود ليختبركم اختبار إقرار على نفوسكم ، لا إخباراً له.

﴿ . لِيَبْلُوكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبُكَ سَرِيعُ الْعَقَابِ وَإِنَّدُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ (١٠٠٠) ﴾ [سورة الانعام]

وسبحانه اسريع العقاب، وإياك أن تستبطىء الآخرة ؛ فالثواب والعقاب سيأتى بعد أن ننتهى وغوت. وليس للموت سبب ؛ فكل إنسان عرضة لأن يموت ، وبذلك تكون قيامته قد قامت ، وإن قامت قيامة الإنسان فلن يقوم بأى عمل آخر . إذن فسبحانه سريع العقاب. ولكن البعض من القوم يغريهم حلم الله ويستبطئون الآخرة . لذلك يقول أحد العارفين : اجعل شكرك لمن لاتنقطع نعمه عنك ، واجعل طاعتك لمن لاتستغنى عنه ، واجعل خضوعك لمن لا تخرج عن ملكه وسلطانه .

إذن فكل صفة من صفات الحق يتجلى ويظهر أثرها في المخلوق هبة من الله له ، فأنت إذا أردت أن تقف ، مثلاً ، لاتعرف ماهي العضلات التي تحركها لتقف ، ولكنك بمجرد إرادتك أن تقف تقف ، وذلك مظهر لإرادة الله إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون.

ومادمنا خلائف فلابد أن نتكامل ولانتكرر ، بمعنى أن كل واحد فيه موهبة تنقص من الآخر ، وفي الآخر موهبة تنقص في غيره ، ليضطر كل مخلوق في الأرض أن يتعاون مع آخر ، ليأخذ ثمرة مواهب غيره ، ويعطى هو ثمره مواهبه . ولا يريد الحق منا أن نعطى ثمرات المواهب تفضلاً ، وإنما يريد أن يجعلها حاجة . فأنت تحتاج إلى موهبة من لا موهبة لك فيه ، إنك تحتاج إلى الغير ، وهو كذلك أيضاً يحتاج إلى عملك .

راجع أصله وخرج حديثه الدكتور أحمد عمر هاشم نائب رئيس جامعة الأزهر.

وحين يستخلفنا الله تبارك وتعالى بهذه الصورة فبعضنا فى ظاهر الأمر يكون أعلى من بعض ، لذلك يوضح سبحانه : أنا فضلت بعضكم على بعض ، لكنى لم أفضل طائفة لأجعل طائفة مفضولاً عليها ، ولكن كل مفضل فى شىء لأن له فيه مواهب ، ويكون مفضلا عليه فى شىء آخر لا مواهب له فيه ، وهكذا يتساوى الناس جميعا .

إننا جميعاً عيال الله ، وليس أحد منا أولى بالله من أحد ؛ لأنه سبحانه لم يتخذ صاحبة ولا ولداً ؛ ولذلك إن حاولنا إحصاء المواهب فى البشر وتوزيعها على الخلق جميعاً لوجدنا أن مجموع كل إنسان يساوى مجموع كل إنسان آخر ، ولكن أنت تأخذ فى موهبة ما تفوقاً ، وفى الموهبة الأخرى لا تجد نفسك قادراً عليها ، وفى موهبة ثالثة قد تقدر عليها لكنك لا تحبها ، واجمع الدرجات كلها فى جميع المواهب ستجد أن كل إنسان يساوى الأخر ، ولا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى .

﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَتَهِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعٌ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضِ دَرَجَنْتِ لِيَبْلُو كُمْ فِ مَا قَائِنَكُمْ ۚ إِنْ رَبِّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ ﴾

(من الآية ١٦٥ سورة الأنعام)

إذن فكل واحد منا يقدر أن يقول: أنامرفوع ، ولكن عليه ألا يغتر ؛ لأنه مرفوع عليه أيضاً . والتوازن يأتي من هذه الناحبة ، فلا غرور برفعتك في درجة ، ولا مذلة بانخفاضك في درجة ؛ لأن هذا مراد لله وذلك مراد له - سبحانه - والذي يحترم قدر الله في توزيع مواهبه على الخلق يعطيه الله خير موهبته ، فلا يتميز ذو موهبة أخرى عليه أبداً .

ولكن أينجح الناس جميعاً في هذا؟ . لا ، فهناك أناس يتساقطون ، وهناك من يرى واحداً أغنى منه وهو فقير ، فيبدأ في الغل والحقد والحسد ، ونقول له : انظر إلى قوتك فقد تكون أقوى منه ، وقد تكون أسعد منه في أمور كثيرة . خد الموهبة التي أعطاها الله لك ، والموهبة التي أعطاها لغيرك وستجد مجموع كل إنسان يساوى مجموع كل إنسان ، فالذي ينجح في هذه المعادلات التفاضلية يكون له من الله ثواب . فيتجاوز له سبحانه عن بعض سيئاته ، ويغفر له . والذي لا يحترم قدر الله في خلق الله يعاقبه الله ؛ لذلك أوضح سبحانه : أنا أبلوكم وأختبركم ، فمن ينجح

فله غفران ورحمة ، ومن لا ينجع فله عقاب ، ولا تظنوا أن عقابي بعيد ؛ لأن ما بين الإنسان والعقاب أن يموت ، وليس هناك سبب معروف للموت ؛ فمن المكن أن يموت الإنسان لوقته ، فيبدأ عقابه.

﴿ . . إِنَّ رَبُّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٠٠٠) ﴾

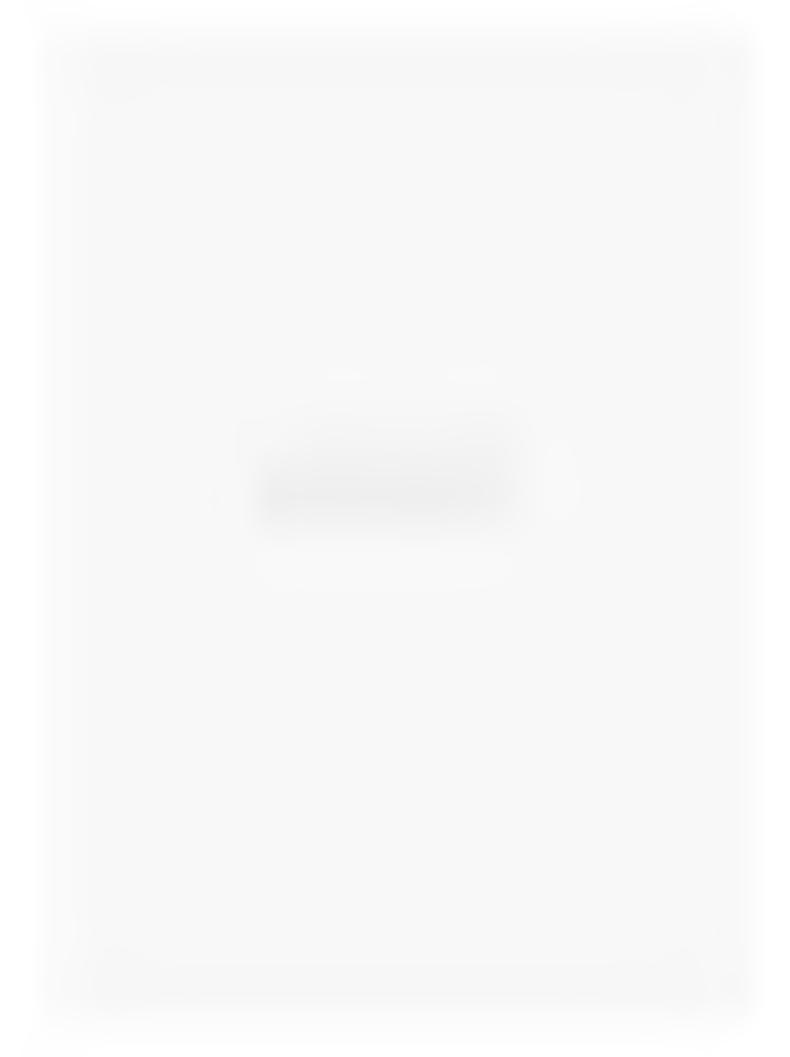
وبذلك ختمت سورة الأنعام ، التي استهلها الله بقوله سبحانه : ﴿الحمد لله﴾.

رختمها بقوله : ﴿ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رُحِيمٌ ﴾ .

فالحمد لله في الأولى.

والحمدلله في الآخرة.





Q1.70 DO+OO+OO+OO+OO+O

قبل أن نبدأ خواطرنا في صورة الأعراف لابد أن نلاحظ ملاحظة دقيقة في كتاب الله ، الله يقول :

﴿ إِنَّ رَبُّكَ سَرِيعُ ٱلْمِقَابِ وَ إِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾

(من الآية ١٦٥ سورة الأنعام)

ونقرأ الكلمة الأخيرة في سورة الأنعام و رحيم ، ونجدها مبنية على الوصل ؛ لأن آيات القرآن كلها موصولة ، وإن كانت توجد فواصل آيات ، إلا أنها مبنية على الوصل ، ولذلك تجد ﴿ غفور رحيم ﴾ وعليها الضمة وبجوارها ميم صغيرة ؛ لأن التنوين إذا جاء بعده باء ، يقلب التنوين ميماً ، فالميم الصغيرة موجودة على رحيم ، قبل أن تقرأ ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ ، وتصبح القراءة :

و غفور رحيم ۽ ديسم الله ۽ ـ

وكل آيات القرآن تجدها مبنية على الوصل ، فكأن القرآن ليس أبعاضاً . وكان من الممكن أن يجعلها سكوناً ، وأن يجعل كل آية لها وقف ، لا ، إنّه سبحانه أراد القرآن موصولاً ، وإن كان في بعض الآيات إقلاب ، وفي بعضها إدغام ، وهذا بغير غُنّة ، ويقول الحق :



金一百百日季

وفي هذه الآية فصل بين كل حرف ، فنقرأها : « ألف » ثم نسكت لنقرأ « لأم » ثم نسكت لنقرأ « ومنا حروف خرقت القاعدة لمحكمة ؛ لأن هذه حروف مقطعة ، مثل « الم ، حم ، طه ، يس ، ص ، ق ، وكلها مبنية على السكون مما يدل على أن هذه الحروف وإن خيل لك أنها كلمة واحدة ، لكن لكل حرف منها معنى مستقل عبند الله ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

د من قرأ حرفاً من كتاب الله فله حسنة ، والحسنة بعشر أمثالها ، لا أقول ألم
 حرف ، ولكن ألِف حرف ، ولام حرف ، وَمِيم حرف ، (١) .

والرسول الشهر الله أن هذه الحروف بها أمور استقلالية ، ولا تكون كذلك إلا إذا كانت لها فائدة يحسن السكوت والوقوف عليها ، فهمها من فهمها ، وتعبد بها من تعبد بها ، وكل قارئ للقرآن يأخذ ثوابه بكل حرف ، فلو أن قارئا قال : و أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، ونطق بعد ذلك بحرف أو بأكثر ، فهو قد أخذ بكل حرف حسنة ، وحين نقرأ بعضاً من فواتح السور ، نجد أن سورة البقرة تبدأ بقوله الحق :

﴿الدِّينَ ﴾

(صورة البقرة)

ونقرأ هنا في أول سورة الأعراف:

﴿ الَّمْصُ ۞ ﴾

(سورة الأعراف)

وهى حروف مقطعة ، نطقت بالإسكان ، وبالقصل بين كل حرف وحرف . ويلاحظ فيها أيضاً أنها لم تقرأ مسميات ، وإنما قُرثت أسماء ، ما معنى مسميات ؟ وما معنى أسماء ؟ . أنت حين تقول : كتب ، لا تقول : كاف ي ه تاء ي : باء ي ، بل تنطق مسمى الكاف ك ، واسمها كاف مفتوحة ، أما مسماها فهو : ك ي إذن فكل حرف له مسمى ، أى الصوت اللى يقوله الإنسان ، وله اسم ، والأمى ينطق المسميات ، وإن لم يعرف أسماءها . أما المتعلم فهو وحده الذى يفهم أنه حين يقول : «كتب ي أنها مكونة من كاف مفتوحة ، وتاء مفتوحة ، وباه مفتوحة ، أما الأمى فهو لا يعرف هذا التقصيل .

وإذا كان رسول الله قد تلقى ذلك وقال : ألف لام ميم ، وهو أمى لم يتعلم . فمن قال له انطق مسميات الحروف بهذه الأسماء؟ .

⁽۱) رواه الترمذي ، والدارمي

WANT THE WANT TO T

@ {. TV @ @ + @ @ + @ @ + @ @ + @ @ + @ @ + @ @ + @ @ + @ @ + @ @ + @ @ + @ @ + @ @ + @ @ + @ @ + @ @ + @ @ + @

لابدأنه قد عُلَّمُهَا وتلقاها ، والحق هو القائل :

[سورة القيامة]

﴿ فَإِذَا قُرْأُنْكُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ١٨٠ ﴾

فالذى سوف تسمعه يا محمد ستقرأه ، ولذلك تجد عجائب ؛ فأنت تبجد «ألم» في أول البقرة ، وفي أول سورة أل عمران ، ولكنك تقرأ الآية الأولى من سورة الفيل :

﴿ أَلَمْ تَوْ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأُصَّحَسْبِ الْفِيلِ ۞ ﴾

ما الفرق بين الألف واللام والميم في أول سورة البقرة ، وسورة آل عمران وغيرهما ، والحروف نفسها في أول سورة الفيل وغيرها كسورة الشَّرح ؟ أنت تقرأها في أول سورة البقرة وآل عمران أسماه . وتقرأها في أول سورة الفيل مسميات . والذي جعلك تفرق بين هذه وتلك أنك سمعتها تقرأ في أول البقرة وآل عمران هكذا ، وسمعتها تقرأ في أول سورة الفيل هكذا . إذن فالقراءة توقيف ، وليس لأحد أن يجترى وليقرأ القرآن دون سماع من معلم . لا ، لابد أن يسمعه أولا حتى يعرف كيف يقرأ .

ونقرأ «المتمن» في أول سورة الأعراف ، وهي حروف مقطعة ، ونعرف أن الحروف المقطعة ثمانية وعشرون حرفاً ، ونجد نصفها أربعة عشر حرفاً في فواتح السور ، وقد يوجد منها في أول السورة حرف واحد مثل:

[سررةق]

﴿ قَ وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ (١) ﴾

وكذلك قوله الحق:

[سورة ص]

﴿ صَ وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ ١٠ ﴾

وكذلك قوله الحق :

WE WILL

@@+@@+@@+@@+@@+@@+@!\TA@

[صورة القلم]

﴿ نَ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ١٠ ﴾

ومرة يأتي من الحروف المقطعة اثنان ، مثل قوله الحق :

[صورة الأحقاف]

金田市の

ومرة تأتى ثلاثة حروف مقطعة مثل :

[سورة البقرة]

﴿ الَّهُ ﴿ الَّهُ ﴿

ومرة يأتي الحق بأربعة حروف مقطعة مثل قوله الحق:

[سورة الأعراف]

﴿ الَّمْنَ ٢٠٠

ومرة يأتي بخمسة حروف مقطعة مثل قوله الحق :

[مورةمريم]

﴿ كَهِيقَمَنَ ۞ ﴾

وإذا نظرت إلى الأربعة عشر حرفاً وجدتها تمثل نصف الحروف الأبجدية ، وهذا النصف فيه نصف أحكام الحروف ، فبعضها منشور ، أو مهموس ، أو مخفى ، أو مستعل ، ومن كل نوع تجد النصف ، مما يدل على أنها موضوعة بحساب دقيق ، ومع أن توصيف الحروف ، من مستعل ، أو مفخم ، أو معرقق ، أو منشور ، أو مهموس ، هذا التوصيف جاء متأخراً عن نزول القرآن ، ولكن الذي قاله يعلم ما ينتهى إليه خلقه في هذه الحروف المقطعة وله في ذلك حكمة ، وكان رسول الله تلك أمينا ، ولم يجلس إلى معلم ، فكيف نطق بأسما ، الحروف ، وأسماء الحروف لا يعرفها إلا من تعلم ؟! فهو إذن قد تلقنها ، وإننا نعلم أن القرآن جاء متحدينا العرب ؛ ليكون معجزة لسيد الخلق ، ولا يُتحكى إلا من كان بسارعاً في هذه الصنعة . وكان العرب مشهورين بالبلاغة ، والخطابة

是外原

O1:1100+00+00+00+00+0

والشعر، والسجع وبالأمثال؛ فهم أمة كلام، وفصاحة، وبلاغة، فجاء لهم القرآن من جنس نبوغهم، وحين يتحدى الله العرب بأنه أرسل قرآناً لايستطيعون أن يأتوا عِثله، فالمادة الخام. وهي اللغة ـ واحدة، ومن حروف اللغة نفسها التي برع العرب فيها. وبالكلمات نفسها التي يستعملونها، لكنهم عجزوا أن يأتوا عِثله؛ لأنه جاء من رب قادر، وكلام العرب وبلاغتهم هي من صنعة الإنسان المخلوق العاجز،

وهكذا نعلم سر الحروف المقطعة التي جاءت لتثبت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تلقى القرآن من الملأ الأعلى لأنه أمى لم يتعلم شيئاً، لكنه عرف أسماء الحروف، ومعرفة أسماء الحروف لايعرفها - كما قلت - إلا المتعلم، وقل علمه الذي علم بالقلم وعلم الإنسان مالم يعلم، ويكن للعقل البشرى أن يحوم حول هذه الآيات، وفي هذه الحروف معان كثيرة، ونجد أن الكثيرمن المفكرين والمتدبرين لكلام الله وجدوا في مجال جلال وجمال القرآن الكثير، فتجد متصوفاً يقول إن «المص» جاءت هنا خكمة، فأنت تنطق أول كلمة ألف وهي الهمزة من الحلق، واللام تنطقها من اللسان، والميم تنطقها من الشفة، وبذلك تستوعب مخارج الحروف من الحلق واللسان والشفة .

قال المتصوف ذلك ليدلك على أن هذه السورة تنكلم في أمور الحياة بدءاً للخلق من آدم. إشارة إلى أولية خلق الإنسان، ووسطاً وهو الماش، ونهاية وهوالموت والحساب ثم الحياة في الدار الأخرة، وجاءت «الصاد» لأن في هذه السورة قصص أغلب الأنباء.

هكذا جال هذا المتصوف جولة وطلع بها، أنردها عليه الانردها بطبيعة الحال، ولكن نقول له: أذلك هو كل علم الله فيها؟ . لا ؛ لأن علينا أن نتعرف على المعانى التي فيها وأن نأخذها على قدر بشريتنا، ولكن إذا قرأناها على قدر مراد الله فيها فلن نستوعب كل آفاق مرادات الله ؛ لأن أفهامنا قاصرة .

ونحن البشرنضع كلمات لامعنى لها لكى تدل على أشياء تخدم الحياة، فمثلا نجد في الجيوش من يضع كلمة سر» لكل معسكر فلا يدخل إلا من يعرف

00+00+00+00+00+00+0

الكلمة. من يعرف اكلمة السرا يمكنه أن يدخل. وكل كلمة سر لها معنى عند واضعها ، وقد يكون ثمنها الحياة عند من يقترب من معسكر الجيش ولا يعرفها.

﴿ المَّصَ ١٦ ﴾

ونجد بعد هذه الحروف المقطعة حديثاً عن الكتاب، فيقول سبحانه:

وساعة تسمع "أنزل" فافهم أنه جاء من جهة العلو أى أن التشريع من أعلى. وقال بعض العلماء: وهل يوجد في صدر رسول الله حرج ؟. لننتبه أنه ساعة يأتى أمر من ربنا ويوضح فيه ﴿ فَلا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ ﴾ ، فالنهى ليس لرسول الله (عَلَيُهُ) وإنما النهى للحرج أو الضيق أن يدخل لرسول الله ، وكأنه مسبحانه يقول: يا حرج لا تنزل قلب محمد.

لكن بعض العلماء قال: لقد جاء الحق بقوله سبحانه: ﴿ فَلا يَكُن فِي صَدْرِكُ حَرَجٌ ﴾ ؛ لأن الحق يعلم أن محمداً قد يضيق صدره ببشريته ، ويحزن ؛ لأنهم يقولون عليه ساحر ، وكذاب ، ومجنون . وإذا ما جاء خصمك وقال فيك أوصافاً أنت أعلم منه بعدم وجودها فيك فهو الكاذب ؛ لأنك لم تكذب ولم تسحر ، وتريد هداية القوم ، وقوله سبحانه : ﴿ فَلا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ ﴾ قد جاء لأمر من اثين: إما أن يكون الأمر للحرج ألا يسكن صدر رسول الله ، وإما أن يكون الأمر للرسول طمأنة له وتسكينا ، أى لا تتضايق لأنه أنزل إليك من إله ، وهل ينزل الله عليك قراناً ليصبح منهج خلقه وصراطاً مستقيماً لهم ، ثم يسلمك إلى سفاهة عليك قراناً ليصبح منهج خلقه وصراطاً مستقيماً لهم ، ثم يسلمك إلى سفاهة هؤلاء ؟ لا ، لا يمكن ، فاطمئن تماماً.

﴿ . . فَلا يَكُن فِي صَدُّرِكَ حَرَجٌ مَنْهُ لِتُنذِر بِهِ وَذَكَّرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ٢ ﴾[سورة الأعراف]

O1-11 DO+OO+OO+OO+OO+O

والإنذار لا يكون إلا لمخالف ؛ لأن الإنذار يكون إخباراً بشر ينتظر من تخاطبه . وهو أيضاً تذكير للمؤمنين مثلما قال من قبل في سورة البقرة : ﴿ هدى للمتقين ﴾ .

وهنا نلاحظ أن الرسالات تقتضى مُرْسِلاً أعلى وهو الله ، ومُرَسَلاً وهو الرسول ، ومُرْسَلاً وهو الرسول ، ومُرْسَلاً إليه وهم الأمة ، والمرسَل إليه إما أن يستمع ويهتدى وإما لا ، وجاءت الآية لتقول : ﴿كتاب أنزل ﴾ من الله وهو المرسِل ، و «إليك » لأنك رسول والمرسَل إليهم هم الأمة ، إما أن تنذرهم إن خالفوا وإما أن تذكرهم وتهديهم وتعينهم أو تبشرهم إن كانوا مؤمنين .

ويقول الحق بعد ذلك:

﴿ اللَّهِ اللَّهُ الل

ومادام العباد سينقسمون أمام صاحب الرسالة والكتاب الذي جاء به إلى من يقبل الهداية ، ومن يحتاج إلى النذارة لذلك يقول لهم :

﴿ البُّواْ مَا أَرْلَ إِلَيْكُمْ مِن دَّبِكُمْ ﴾

(من الآية ٣ سورة الأعراف)

وينهاهم عن الشرك وعدم الاستهداء أي طلب الهداية فيقول:

﴿ وَلَا نَشِّعُواْ مِن دُونِهِ } أُولِيآ } تَلِيلًا مَّا تَذَ تُرُونَ ﴾ (من ا

(من الآية ٣ سورة الأعراف)

وحينها يأت الحق سبحانه في مثل هذه الأيات ويقول: (وذكرى ». أو و وذكر » إلى الفطرة المطبوع عليها الإنسان مؤمنة ، والرسالات كلها لم تأت لتنشئ إيمانا جديدا ، وإنما جاءت لتذكر بالعهد الذي أخذ علينا أيام كنا في عالم الذر ، وقبل أن يكون لنا شهوة اختيار:

山山

00+00+00+00+00+0+0+15

﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُ ورِهِم ذُرِيْتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمُ أَلَستُ بِرَبِكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا . . (١٧٦) ﴾

هذا هو الإقرار في عالم الذر ، إذن فحين يقول الحق : ﴿ قَلِيلاً مَّا تَذَكُّرُونَ ﴾ فنحن نلتفت إلى ما نسى الآباء أن يبلغوه للأبناء ؟ فالآباء يعلمون الأبناء متطلبات حياتهم ، وكان من الواجب أن يعلموهم مع ذلك قيم هذه الحياة التي تلقوها ؟ لأن أدم وحواء أول ما نزلا إلى الأرض قال لهما الحق :

﴿ فَإِمَّا يَأْتَيْنَكُم مَنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبِعَ هُدَاى . . (١٢٣) ﴾

وهكذا نعلم أن هناك «هدى» قد نزل على آدم ، وكنان من الواجب على آدم أن يعلمه للأبناء ، ويعلمه الأبناء للأحفاد ، وكان يجب أن يظل هذا «الهدى» منقولاً في سلسلة الحياة كما وصلت كل أقضية الحياة ، ويأتي سبحانه لنا بحيثيات الاتباع .

﴿ الَّبِعُوا مَا أَنْزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم م . (٣) ﴾

فالمنهج الذي يأتي من الرب الأعلى هو الذي يصلح الحياة ، ولا غضاضة على أحد منكم في أن يتبع ما أنزل إليه من الإله المربى القادر ، الذي ربى ، وخلق من عدم ، وهو المتولى للتربية ، ولا يمكن أن يربى أجسادنا بالطعام والشراب والهواء ولا يربى قيمنا بالأخلاق . ﴿ وَلا تَتُبِعُوا مِن دُونِه أَوْلِياء ﴾ .

ومادام قد أوضح: اتبعوا ما أنزل إليكم من أعلى ، فلا يصح أن تأتى لمن دونه وتأخذ منه ، مثلما يفعل العالم الآن حين يأخذ قوانينه من دون الله ومن هوى البشر. فهذا يحب الرأسمالية فيفرضها بالسيف ، وآخر يحب الاشتراكية فيفرضها البشر. بالسيف. وكل واحد يفرض بسيفه القوانين التي تلائمه. وكلها دون منهج الله لأنها أفكار بشر ، وتتصادم بأفكار بشر ، والأولى من هذا وذاك أن نأخذ عما لا نستنكف أن نكون عبيداً له.

金属を利用が

O1:1700+00+00+00+00+00+0

﴿ . وَلا تَتَبِعُوا مِن دُونِهِ أُولِيَاءَ قُلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ ٢٣ ﴾ [سورة الأعراف]

وتذكر أيها المؤمن أن عزتك في اتباع منهج الله تتبجلى في انك لا تخضع لمساولك ، وهذه ميزة الدين الذي يجعل الإنسان يحيا في الكون وكرامته محفوظة ، وإن جاءته مسألة فوق أسبابه يقابلها بالمتاح له من الأسباب مؤمناً بأن رب الأسباب سيقدم له العون ، ويقدم الحق له العون فعلاً فيسجد لله شاكراً ، أما الذي ليس له رب فساعة أن تأتى له مسألة فوق أسبابه تضيق حياته عليه وقد ينتحر .

ثم بعد ذلك يبين الحق أن موكب الرسالات سائر من لدن آدم ، وكلما طرأت الغفلة على البشر أرسل الله رسولاً ينبههم . ويوقظ القيم والمناعة الدينية التي توجد في الذات ، بحيث إذا مالت الذات إلى شيء انحرافي تنبه الذات نفسها وتقول : لماذا فعلت هكذا ؟ . وهذه هي النفس اللوامة . فإذا ما سكتت النفس اللوامة واستمراً الإنسان الخطأ ، وصارت نفسه أمارة بالسوء طوال الوقت ؛ فالمجتمع الذي حوله يعدله .

وهذه فائدة التواصى بالحق والصبر ، فكل واحد يوصى فى ظرف ، ويوصى فى هذه ظرف آخر ؟ فحين تضعف نفسه أمام شهوة يأتى شخص آخر لم يضعف فى هذه الشهوة وينصح الإنسان ، ويتبادل الإنسان النصح مع غيره ، هذا هو معنى التواصى ؟ فالوصية لا تأتى من جماعة تحترف توصية الناس ، بل يكون كل إنسان موصياً فيما هو فيه قوى ، ويوصى فيما هو فيه ضعيف ، فإذا فسد المجتمع ، تتدخل السماء برسول جديد ومعجزة جديدة ، ومنهج جديدة ، لكن الله أمن أمة محمد على هذا الأمر فلم يجىء رسول بعده لأننا خير أمة أخرجت للناس . والخيرية تتجلى فى أننا نأمر بالمعروف وننهى عن المنكر ، فالتواصى باق إلى أن تقوم الساعة .

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكرِ . . • • ﴿

明新人

00+00+00+00+00+0+110

وهذه خاصية لن تنتهى أبداً ، فإن رأيت منكراً فلا بد من خلية خير تنكره وتقول: لا، وإذا كان الحق قد جعل محمداً خاتم الرسل ، فذلك شهادة لأمته أنها أصبحت مأمونة، وأن المناعة الذاتية فيها لا تمتنع ولا تنقطع، وكذلك لا تمتنع منها أبداً المناعة الاجتماعية فلن يأتي رسول بعد سيد الخلق سيدنا محمد منها.

ويقول الحق بعد ذلك :

﴿ وَكُم مِن قَرْبَيْةٍ أَهْلَكُنَاهَا فَجَآءَهَا بَأَسُنَابِينَتًا أَوْهُمْ مَا يَلُونَ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ ا

وساعة تسمع اكم فاعرف أن المسألة خرجت عن العد بحيث تستوجب أن تستفهم عنها ، وهذا يدل على أمر كثير فوق العدد ، لكن عندما يكون العدد قليلاً فلا يستفهم عنه ، بل يعرف . والقرية اسم للمكان المعد إعداداً خاصاً لمعيشة الناس فيه . وهل القرى هي التي تهلك أم يهلك من فيها ؟ . أوضح الحق أنها تأتي مسرة ويراد منها المكان والمكين : أو يكون المراد بالقرية أهلها ، مشال ذلك قوله الحق في سورة يوسف :

﴿ وَاسْأَلُ الْقُرْيَةُ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ . . (٨٢) ﴾

وبطبيعة الحال لن يسأل إنسان المكان أو المبانى ، بل يسأل أهل القرية ، ولم يقل الحق : اسأل أهل القرية ؛ لأن المسئول عنه هو أمر بلغ من الصدق أن المكان يشهد مع المكين ، ومرة أخرى يوضح الحق أنه يدمر القرية بسكانها ومبانيها .

﴿ وَكُمْ مِنْ قُرْيَةٍ أَهْلَكُنَّاهَا فَجَاءَهَا بَأَسُنَا ﴾ .

وأيهما يأتى أولاً: الإهلاك أم يأتى البأس أولاً فيهلك؟. الذي يأتى أولاً هو البأس فيهلك، الذي يأتى أولاً هو البأس فيهلك، فمظاهر الكونيات في الأحداث لا يأتى أمرها ارتجالاً، وإنما أمرها مسبق أزلاً، وكأن الحق يقول هنا: وكم من قرية حكمنا أن نهلكها فجاءها بأسنا ليتحقق ما قلناه أزلاً، أى أن تأتى الأحداث على وفق المرادات؛ حتى ولو كان هناك اختيار للذي يتكلم عنه الحق.

O1:1: DO+OO+OO+OO+OO+O

ونعلم أن القرية هي المكان ، وعلى ذلك فليس لها اختيار . وإن كان لمن يتحدث عنه الله حق الاختيار ، فسبحانه يعلم أزلا أنه سيفعل ما يتحدث عنه مبحانه . ويأتي به في قرآن يتلى ؛ ليأتي السلوك موافقاً ما أخبر به الله .

﴿ وَكُمْ مِن قَرْيَةٍ أَهْلَكُنَّنَهَا فَجَآءَهَا بَأَسْنَا بَيْنَتَا أَوْهُمْ قَآيِلُونَ ۞

(سورة الأعراف)

والباس هو القوة التي لا ترد ولا تقهر ، و « بياتاً » أى بالليل ، « أو هم قائلون » أى في القيلولة ؟ . ونجد في خبر عمن أهلِكُوا مثل قوم لوط أنه حدث لهم الهلاك بالليل ، وقوم شعيب حدث لهم الهلاك في القيلولة ، والبيات والقيلولة هما وقت الاسترخاء ووقت الراحة وتفاجئهم الأحداث فلا يستطيعون أن يستعلوا .

﴿ فَإِذًا نُزُلَ إِسَاحَتِهِمْ فَسَآءَ صَبَاحُ الْمُسْدَرِينَ ١٠٠٠ ﴿

(صورة الصافات)

أى يأتيهم الدمار في وقت هم ناثمون فيه ، ولا قوة لهم لمواجهة البأس .

(من الآية \$ سورة الأعراف)

وإذا قال سبحانه: ﴿ بِياتاً أو هم قائلون ﴾ فيصح أن لهذه القرية امتدادات ، ووقت القيلولة عند جماعة يختلف عن وقت من يسكن امتداد القرية ، فيكون الموقت عندهم ليلاً ، والقيلولة هي الوقت الذي ينامون فيه ظهراً للاسترخاء والراجة . ولكن كيف استقبلوا ساعة مجيء الباس الذي سيهلكهم ؟ .

يقول الحق سبحانه:

﴿ فَمَاكَانَ دَعْوَنَهُمْ إِذْ جَاآةَ هُم بَأْسُنَا إِلَّا آن قَالُوٓا إِنَّا كُنْكَ ظَلِمِينَ ۞ ﴿ اللَّهِ اللَّ

0010010010010010010010

بهذا القول اتضحت المسألة ، ومن قوله ﴿ دعواهم ﴾ نفهم أن المسألة دعاء . ونحن نقول : فلان ادّعى دعوى على فلان ، فإما أن يقيم بينة ليثبت دعواه ، وإما ألا يقيم .

والدعوى تطلق أيضاً على الدعاء:

﴿ وَوَانِرُ دَعُونَهُمْ أَنِ ٱلْخَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَنْلَمِينَ ﴾

(من الأية ١٠ سورة يونس)

وهنا يقول الحق سبحانه وتعالى:

﴿ فَ كَانَ دُعُونُهُمْ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا إِلَّا أَن قَالُوآ إِنَّا كُنَّا ظَلِمِينَ ٢٠٥

(سورة الأعراف)

ويشرح ربنا هذا الأمر في آيات كثيرة ، إنه اعتراف منهم باقترافهم الظلم وقيامهم عليه ، فسبحانه القائل :

﴿ وَقَالُواْ لُوكُنَا نَسْمُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَا فِي أَضَعَنِ السَّعِيرِ فِي فَأَعْتَرَفُواْ بِذَنْبِهِمْ فَسُحْقًا

لَا صَّنَا السَّعِيرِ ١٠٠٠ وَ السَّعِيرِ اللَّهُ عَلَيْهُ السَّعِيرِ اللَّهُ عَلَيْهِ السَّعِيرِ اللَّهُ عَلَيْهِ السَّعِيرِ اللَّهُ السَّعِيرِ اللَّهُ اللِّهُ اللَّهُ اللَّ

(صورة الملك)

ويقول الحق بعد ذلك :

﴿ فَلَنَسْتَكُنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْتَكَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْتَكَنَّ اللهُ فَاللَّهُ اللهُ اللهُ

والحق يسأل الرسل بعد أن يجمعهم عن مدى تصديق أقوامهم لهم ، والسؤال إنما يأتى للإقرار ، ومسألة السؤال وردت في القرآن بأساليب ظاهر أمرها أنها متعارضة ، والحقيقة أن جهاتها منفكة ، وهذا ما جعل خصوم القرآن يدعون أن

○ !-!V○○+○○+○○+○○+○○+○

القرآن فيه تضارب. فالحق سبحانه يقول:

﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَا أَنْسَابٌ بَيْنَهُمْ يَوْمَهِذٍ وَلَا يَنْسَآءَ لُونَ ١٠٠

(سورة المؤسون)

ويقول سبحانه أيضاً:

﴿ وَلَا يَسْعَلُ مَرِيمًا ١٠٥

(صورة المعارج)

ويقول جل وعلا :

﴿ وَلَا يُسْتَلُ عَن ذُنُورِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾

(من الآية ٧٨ سررة القصص)

ويقول سبحانه وتعالى:

﴿ فَيَوْمُ إِذْ لا يُسْتَلُ عَن ذُنبِهِ } إنس وَلا جَآنَ ١٠

(سورة الرحمن)

ثم يقول هنا :

﴿ فَلَنَسْعَلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْعَلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ٢٠٠

(سورة الأعراف)

وهذا ما يجعل بعض المستشرقين يندفعون إلى محاولة إظهار أن بالقرآن والعياذ بالله متناقضات . ونقول لكل منهم ؛ أنت تأخذ القرآن بغير ملكة البيان في اللغة ، ولو أنك نظرت إلى أن القرآن قد استقبله قوم لسانهم عربى ، وهم باقون على كفرهم فلا يمكن أن يقال إنهم كانوا يجاملون ، ولو أنهم وجدوا هذا التناقض ، أما كانوا يستطيعون أن يردوا دعوى محمد فيقولوا : أيكون القرآن معجزا وهو متعارض ؟! لكن الكفار لم يقولوها ، مما يدل على أن ملكاتهم استقبلت القرآن بما يريده قائل القرآن . وفي أعرافنا نورد السؤال مرتين ؛ فمرة يسأل التلميذ أستاذه ليعلم ، ومرة يسأل الأستاذ تلميذه ليقرر .

00+00+00+00+00+00+0(+!/0

إذن فالسؤال يأتى لشيئين اثنين : إما أن تسأل لتتعلم ، وهذا هو الاستفهام ، وإما أن تسأل لتقرر حتى تصبح الحجة ألزم للمسئول ، فإذا كان الله سيسأله ، أى يسأله سؤال إقرار ليكون أبلغ في الاحتجاج عليه ، وبعد ذلك يقولون :

﴿ وَقَالُواْ لُوكُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْعَنِ السَّعِيرِ ﴿ إِنَّ فَاعْتَرَفُواْ بِذَنْبِهِمْ فَسُعْفًا

لِأَصْفِ السَّعِيرِ ١٠٠٠

(صررة الملك)

وهذا اعتراف وإقرار منهم وهما سيدا الأدلة ؛ لأن كلام المقابل إنما يكون شهادة ، ولكن كلام المقر هو إقرار واعتراف .

إذن إذا ورد إثبات السؤال فإنه سؤال التقرير من الله لتكون شهادة منهم على أنفسهم ، وهذا دليل أبلغ للحجة وقطع للسبل على الإنكار . فإما أن يقر الإنسان ، وإن لم يقر فستقول أبعاضه ؛ لأن الإرادة انفكت عنها ، ولم يعد للإنسان قهر عليها ، مصداقاً لقوله الحق :

﴿ وَقَالُواْ إِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدُمْ عَلَبْنا قَالُواْ أَنطَقَنَا آلَةُ ٱلَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ ﴾

(من الآية ٢١ سورة فعملت)

والحق هنا يقول: ﴿ فلنسئلن الذين أرسل إليهم ولنسئلن المرسلين ﴾ .

وهو سؤال للإقرار'. قال الله عنه :

﴿ يَوْمُ يَجْمَعُ اللَّهُ ٱلْسُلِّ فَيَقُولُ مَاذَا أَجِبْتُمْ ﴾

(من الآية ١٠٩ صورة المائدة)

وحين يسأل الحق المرسلين ، وهم قد أدوا رسالتهم فيكون ذلك تقريعاً للمرسَل إليهم .

ويقول الحق بعد ذلك:

WIENE STATE

0110010010010010010

الله فَانَقُصَنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمِ وَمَا كُنَّا غَايِبِينَ الله

أى سيخبرهم بكل ما عملوا في لحظة الحساب ؟ لأنه سبحانه لم يغب يوماً عن أى سيخبرهم بكل ما عملوا في لحظة الحساب ؟ لأنه سبحانه لم يغب يوماً عن أى من خلقه ؛ لذلك قبال : ﴿ وَمَا كُنّا غَائِسِينَ ﴾ ، وتعلم أن المخلق متكرر الدوات ، متكرر الأحداث ، متكرر المواقع ، هم ذوات كثيرة ، وكل ذات لها حدث ، وكل ذات لها مكان . فإذا قال الحق للجميع : ﴿ وَمَا كُنّا غَائِسِينَ ﴾ أى أنه مع الجميع ، ومادام ليس بغائب عن حدث ، ولا عن قاعل حدث ، ولا عن مكان حدث ، وهولاء متعددون . إذن هو في كل زمان وفي كل مكان .

وإن قلت كيف يكون هنا وهناك ؟ أقبول: خذ ذلك في إطار قوله: ﴿ لِيسَ كَمَّلُهُ شَيَّهُ ﴾ ، ومثل هذه المعانى في الغيبيات لا يمكن أن تحكمها هذه الصور. والأمر سبق أن قلناه حين تحدثنا عن مجيء الله ؟ فله طلاقة القدرة وليس كمثله شيء ، وما كان غائباً في حدث أو مكان.

ريقول الحق بعد ذلك :

﴿ وَالْوَزْنُ يُوْمَيِدٍ ٱلْحَقِّ فَمَن ثَقَلَتُ مَوَزِيثُ ثُمُ وَالْوَزْنُ يُومَيِدٍ ٱلْحَقِّ فَمَن ثَقَلَتُ مَوَزِيثُ ثُمُ فَالْمُقَلِحُونَ اللهُ فَالْحُونَ اللهُ فَاللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ فَاللَّهُ اللَّهُ فَاللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ فَاللَّهُ اللَّهُ اللَّالَّا اللَّا اللَّهُ اللَّا اللَّا اللَّهُ اللَّالَةُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ ا

فى هذه الآيات نجد الحديث عن الوزن للأعسال ، وهذا كله تأكيد للحجة عليهم ؛ فالله لا يظلم أحداً ، وفي وزن الأعسال إبطال للحجة من الذين يخافون النار ، ولم يؤدوا حقوق الله في الدنيا ، وكل ذلك ليؤكد الحجة ، ويظهر الإنصاف ويقطع العذر ، وهنا قول كريم يقول فيه الحق سبحانه :

﴿ وَنَضَعُ الْمُؤْزِينَ الْقِسْطَ لِيُومِ الْقِيسْمَةِ . . (١٧) ﴾

[سورة الأنبياء]

هذه الموازين هي عين العدل ، وليست مجرد موازين عادلة ، بل تبلغ دقة موازين اليوم الآخر أنها هي عدل في ذاتها . وهنا يقول الحق : ﴿ والوزن يومئذ الحق ﴾ . نعم ، الميزان في هذا اليوم حق ودقيق ، ولنذكر أنه قال من قبل :

﴿ مَن جَآءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْنَا لِمِنا وَمَن جَآءَ بِالسَّيِئَةِ فَلَا يُجْزَىٰ إِلَا مِثْلُهَا وَهُمْ لَا يُظْلَبُونَ ﴿ ٢ ﴾

(سورة الأنمام)

والميزان النحق هو الذي قامت عليه عدالة الكون كله ، وكل شيء فيه موزون ، وسبحانه هو الذي يضع المقادير على قدر الحكمة والإتقان والدقة التي يؤدي بها كل كائن المطلوب منه ، ولذلك يقول سبحانه :

﴿ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ ١٠٠

(سورة الرحمن)

ولم نر السماء قذفت وألقت علينا أحداثاً غير متوقعة منها ، فالكون له نظام دقيق . والوزن في يوم القيامة هو مطلق الحق ، فقى هذا اليوم تبطل موازين الأرض التي كانت تعانى إما خللاً في الآلة التي يوزن بها ، وإمّا خللاً في الوزن ، وإمّا أن تتأثر بأحداث الكون ، وما يجرى فيه من تفاعلات ، أما ميزان السماء فلا دخل لأحد به ولا يتأثر إلا بقيمة ما عمل الإنسان ، وساعة يقول سبحانه :

﴿ والوزن يومئذ الحق ﴾ .

فكأن الميزان في الدنيا يمكن أن يحصل فيه خلل ، وكذلك المِلْك أيضاً ؛ لأنه مبحانه أعطى أمباباً للملك المناسب لكل إنسان ، فهذا يملك كذا ، والثاني يملك كذا ، والثالث يملك كذا ، وبعد ذلك يتصرف كل إنسان في هذا الملك إن عدلاً ، وإن ظلماً على ضوء الاختيار . لكن حين يأتي اليوم الآخر فلا ملك لأحد :

﴿ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمُ لِلَّهِ الْوَحِدِ الْفَهَّادِ ﴾

(من الآية ١٦ سورة غافر)

فالأمر حينتذ يكون كله لله وحده ، فإن كان الملك في الدنيا قد استخلف فيه الحق

O1-1/00+00+00+00+00+00+0

عباده ، فهذه الولاية تنتهى في اليوم الأخر : ﴿ فَمَنْ ثَقَلْتُ مُوازِينَهُ فَأُولُنْكُ هُمُ الْمُلْحُونَ ﴾ .

وسبحانه هو القائل:

﴿ فَأَمَّا مَن ثَقَلَتْ مَوَازِ بِنَهُ ﴿ فَ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيةٍ ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِ بِنَهُ ﴿ فَ فَكُو فِي عِيشَةٍ رَّاضِيةٍ ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِ بِنَهُ ﴿ فَيَ فَالْمُ خَامِينَهُ فَ فَا أَمَّا مِنْ خَفَّتْ مَوَازِ بِنَهُ ﴿ فَا فَا مَا مُعَالِمِينَا فَي اللَّهُ عَلَيْهِ فَي اللَّهُ وَاللَّا مَنْ خَفَّتُ مَوَازِ بِنَهُ وَاللَّهُ عَلَيْهِ فَي اللَّهُ عَلَيْهُ فَي اللَّهُ عَلَيْهِ فَي اللَّهُ عَلَيْهِ فَي اللَّهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ فِي اللَّهُ فَي اللَّهُ عَلَيْهِ فَي اللَّهُ وَاللَّهُ عَلَيْهُ فَي اللَّهُ عَلَيْهُ فَي اللَّهُ عَلَيْهِ فَي اللَّهُ وَاللَّهُ عَلَيْهُ عَلَيْهِ فَي اللَّهُ عَلَيْهِ فَي اللَّهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهِ فَي اللَّهُ عَلَيْهِ فَي اللَّهُ عَلَيْهِ فَي اللَّهُ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهُ عَلَيْهِ عَلَا مُعْتَعِلِّهِ عَلَيْهِ عَل

(سورة القارعة)

إذن فالميزان يثقل بالحسنات ، ويخف بالسيئات . ونلحظ أن القسمة العقلية لإيجاد ميزان ووازن وموزون تقتضى ثلاثة أشياء : أن تثقل كفة ، وتخف الأخرى ، أو أن يتساويا ، ولكن هذه الحال غير موجودة هنا . ويتحدث الحق عن الذين تخف موازينهم فيقول سبحانه وتعالى :

﴿ وَمَنْ خَفَّتُ مَوَزِينُهُ فَأَوْلَتِهِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا بِعَايَنتِنا يَظْلِمُونَ ۞ ﴿ اللهِ النفُسَهُم بِمَا كَانُوا بِعَايَنتِنا يَظْلِمُونَ ۞ ﴿ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ وَاللهِ اللهُ اللّهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ

والسورة السابقة جاء فيها بالحالتين ، وفي هذه السورة أيضاً جاء بالحالتين ، ومن العجيب أن هذا الكلام عن الثقل والخفة وعدم وجود الحالة الثالثة وهي حالة تساوى الكفتين يأتي في أول سورة الأعراف ، ولكنه ـ سبحانه يقول بعد ذلك في سورة الأعراف : ﴿ وعلى الأعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم ﴾ .

وهؤلاء هم الذين استوت حسناتهم وسيئاتهم ، وقد جعل لهم ربنا مكاناً يشبه عرف الفرس ، وعرف الفرس يعتبر أعلى شيء فيه ، فحينا يأتى شعر الفرس يميناً ، وحينا يأتى شعر الفرس يساراً ، وليس هناك جهة أولى بالشعر من الأخرى . وقد أعد الحق لأصحاب إلأعراف مكاناً يسمعون فيه أصحاب النار وهم ينادون أصحاب الجنة ، وأصحاب الجنة وهم ينادون أصحاب النار ، وأصحاب الحراف

يجلسون ؛ لا هم في الجنة ولا هم في النار ، فهم الذين تساوت حسناتهم وسيثاتهم ، وبذلك صحت القسمة العقلية في قول الحق سبحانه وتعالى :

﴿ وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلَّا بِسِيمَهُمْ ﴾

(من الآية ٤٦ سورة الأعراف)

فلا الحسنات ثقلت ليدخلوا الجنة ، ولا السيئات خفت ليدخلوا النار ، فميزانهم تساوت فيه الكفتان . وقال بعض العلماء عن الميزان : إن هناك ميزانا بالفعل . وقال البعض إن المراد بالميزان هو العدالة المطلقة التي أقامها العادل الأعلى ، والأعجب أن الحق قال : إن هناك موازين ، فهل لكل واحد ميزان أو لكل عمل من أعمال التكليفات ميزان : ميزان العقائد ، وميزان الأحكام . . وهل سيحاسبنا ربنا تباعاً . أو أن هناك موازين متعددة ، بدليل أن سيدنا الإمام عليًا عندما سألوه : أيحاسب الله خلقه جميعاً في وقت واحد ؟ فقال : وأي عجب في هذا ؟ أليس هو رازقهم في وقت واحد ؟ إذن فالميزان بالنسبة لله مسألة سهلة جدًا . وهيئة فسبحانه لا يتأبى عليه شيء .

﴿ وَمَنْ خَفَّتُ مَوْزِ بِنُهُ مَ فَأُوْلَدَهِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا أَنفُسَهُم بِمَا كَانُواْ بِعَالِيْتِنَا يَظْلِمُونَ ﴿ ﴾

نعم هم قد خسروا أنفسهم فكل منهم كان يأخذ شهوات ويرتكب سيئات يمتع بها نفسه ، ويأتى اليوم الآخر ليجد نفسه قد خسر كل شيء ، وكما يقول المثل العام : خسر الجلد والسقط ، لماذا ؟ تأتى الإجابة من الحق : ﴿ بما كانوا بآياتنا يظلمون ﴾ .

ويقول سبحانه بعد ذلك:

﴿ وَلَقَدُمَكَّنَ كُمْ فِيهَا الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَدِيثُ قَلِيلًا مَّا اَنَشَكُرُونَ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ الل

@£.07@@#@@#@@#@@#@@#@

المُمكن هو الذي يحتل المكان بدون زحزحة ؛ فيقال : مكنتك من كذا . أي اعطيتك المكان ولا ينازعك أحد فيه . وقد مكننا سبحانه في الأرض وجعل لنا فيها وسائل استبقاء الحياة ، وترف الحياة ، وزينة الحياة ، ورياش الحياة ، ولم تبخل الأرض حين حرثناها ، بل أخرجت لنا الزرع ، ولم تغب الشمس عنا بضوئها وإشعاعها وحرارتها . ما في الدنيا يؤدي مهمته ، ولم نُمكن في الأرض بقدراتنا بل بقدرة الله . وكان يجب ألا يغيب ذلك عن انظارنا أبداً . فلا أحد منا مسيطر على الشمس أو القمر أو الربح أو الأرض ، ولكن الذي خلقها وجعلها مسخرة ، هو ربك وربها ؛ فأنت مُمكن ، وكل شيء مستجيب لك . بتسخير الله له .

﴿ وَلَقَدْ مَكَّنَّكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَدِيشٌ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ٥

(سورة الأعراف)

و و معايش و جمع معيشة ، والمعيشة هي الحياة ، فالعيش هو مقومات الحياة ، ولذلك سموا الخبز في القرى عيشاً لأن عندهم دقة بالغة ؛ لأنهم عرفوا أنه مقوّم أساسى في الحياة .

وقول الحق: ﴿ قليلاً ما تشكرون ﴾ دل على أن هناك من يشكر ، ومن الناس من يشكر نعم الله شكراً عاماً على مجموع النعم ، أو يشكره شكراً خاصًا عند كل نعمة ، ولكن عند جزئيات النعمة الواحدة ، فعندما يبدأ في الأكل يقول: « بسم الله الرحمن الرحيم » ، ويقول بعد الأكل : « الحمد لله » ؛ وهناك من يقول عند تناول لقمة واحدة : « بسم الله » وعندما يمضغها ويبلعها يقول : « الحمد لله » لأنها لم تقف في حلقه ، وأيضاً حين نشرب علينا أن نشرب على ثلاث دفعات : أول دفعة نقول : « بسم الله » . ونتهى منها فنقول : « الحمد لله » وكذلك في الدفعة الثانية والدفعة الثائة . ومن يفعل ذلك فلا تتأتى منه معصية ، مادامت آثار شربة الماء هذه في جسمه ؛ لأنها كلها « بسم الله » . فتحرسه من الخطيئة ؛ لأن النعمة الواحدة لو استقصيتها لوجدت فيها نعها كثيرة .

وأنتم حين لا تشكرون إنما تضيقون عليكم أبواب النعم من الله ؛ لأنكم

WENT TO THE PROPERTY OF THE PR

00+00+00+00+00+00+0

لوشكر تموه على النعم لزادت النعم عليكم ، ﴿ لَنْ شكرتم لأزيدنكم ﴾ ومن الحمق ألا نشكر.

ويقول الحق بعد ذلك :

ومسألة الخلق سبق أن تقدمت في سورة البقرة: خلق آدم، والشيطان، والقضية تتوزع على سبع سور، في سبعة مواضع موجودة في سورة البقرة، وسورة الأعراف، وسورة الحج، وسورة الإسراء، وسورة الكهف، وسورة طه، وسورة ص، إلا أن القصة في كل موضع لها لقطات متعددة، فهنا لقطة ، وهناك لقطة ثانية، وتلك لقطة ثائثة ، وهكذا ؛ لأن هذه نعمة لابد أن يكررها الله ؛ لتستقر في أذهان عباده، ولو أنه ذكرها مرة واحدة فقد تُنسى ، لذلك يعيد الله التذكير بها أكثر من مرة. وإذا أراد الله استحضار النعم والتنبيه عليها في أشياء، فهو يكررها كما كروها في استحضار النعم في سورة واحدة في قوله سبحانه: ﴿ فَبْأَيُ آلاءِ رَبِّكُما تُكذّبان ﴾.

إنه يذكر هذه النعم من بدايتها ، فيقول :

﴿ خَلَق الإنسَانَ مِن صَلْصَالِ كَالْفَخَارِ (١٤) وَخَلَقَ الْجَانَ مِن مَّارِجٍ مِن نَّارٍ ﴿ فَبِأَيُّ الْجَانَ مِن مَّارِجٍ مِن نَّارٍ ﴿ فَبِأَيُ الْجَانَ مِن مَّارِجٍ مِن نَّارٍ ﴿ فَبِأَي الْجَانَ اللهِ وَبِكُمَا تُكَذَّبَانِ اللهِ وَبِكُمَا تُكَذَّبَانِ اللهُ وَبِكُمَا تُكَذَّبَانِ (١٦) مَرْجُ الْبَعْرَانِ بَاللهُ وَالْمَرْجَانُ (١٦) بَيْنَهُمَا بَرُزْخٌ لا يَنْغِيَانِ (١٦) فَبِأَي آلاء وبكُما تُكذَبّانِ (١٦) يغرُجُ منهُما اللَّوْلُو والْمَرْجَانُ (١٦) ﴾ ويغرُجُ منهُما اللَّوْلُو والْمَرْجَانُ (١٦) ﴾

وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلامِ ﴿ فَبِأَيْ آلاء رَبِّكُمَا تُكَذَبُانِ ﴿ كَالْأَعْلامِ فَلَا فَبِأَيْ آلاء رَبِّكُمَا تُكذَبُانِ ﴿ كُمَا كُلُو الْجَلالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿ فَبِأَى آلاءِ رَبِكُمَا كُلُو الْجَلالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿ فَبِأَى آلاءِ رَبِكُمَا تُكَذَبُانِ ﴿ وَالْإِكْرَامِ ﴿ فَبِأَى آلاءِ رَبِكُمَا تُكَذَبُانِ ﴿ وَالْإِكْرَامِ ﴿ فَاللَّهِ مَا اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللللَّهُ ال

وكل نعمة يقول بعدها: ﴿ فَإِنَّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذَّبُانِ ﴾

وأراد سبحانه بذلك أن يكثر ويردد تكرارها على الأذان لتستقر في القلوب حتى في الأذان الصماء؛ فمرة يأتي بها في شيء ظاهره أنه ليس نعمة، مثل قوله:

﴿ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِن نَارٍ وَنَحَاسٌ فَلا تَنشَصِرُانِ (٣) فَيِاَي آلاءِ رَبِكُمَا تُكَذَّبُانِ (٣) ﴾ [سورة الرحمن]

وجاء الحق بذكركل ذلك؛ لأنه ساعة يجلى لنا الأمور على حقاتها ونحن في دار التكليف فهذه رحمة ونعمة منه علينا؛ لأن ذلك يدعونا إلى اتقاء المحظورات والبعد والتنحى عن المخالفات .

ولله المثل الأعلى من قبل ومن بعد، فحين يدخل الابن إلى المدرسة نقول له: إن قصرت في كذا فسوف ترسب، وأنت بهذا القول ترحمه بالنصيحة، فلم تتركه دون أن تبصره بعواقب الأمور، وأيضا ساعة ترى شراً يحيق بالكافرين، فإن هذا الأمر يسرك، لأنه لوتساوى الكافرون مع المؤمنين لما كان للإيمان فضل أو ميزة، فالعذاب نقمة على الكافر، ونعمة على المقابل وهو المؤمن.

وقد جاءت قصة خلق أدم بكل جوانبها في القرآن سبع مرات ؛ لأنها قصة بدء الخلق ، وهي التي تجيب عن السؤال الذي يبحث عن إجابته الإنسان ؛ لأنه تلفت ليجد نفسه في كون معدله على أحسن مايكون ، ولم يجيء الكون من بعد الإنسان ، بل طرأ الإنسان على الكون ، وظل السؤال وارداً عن كيفية الخاق ،

والسؤال مهم أهمية وجود الإنسان في الكون ، فأنت تستقرىء أجناساً في الكون ، وكل جنس له مهمة ، ومهمته متعلقة بك ، جماد له مهمة ، ونبات له مهمة ، وحيوان له مهمة ، وكلها تصب في خدمتك أنت ؛ لأن الجماد ينفع النبات ، ويتغذى منه لكى يغذى الحيوان ، والحيوان ينفعك ويغذيك ، إذن فكل الأجناس تصب في خدمتك . أمّا أنت أيها الإنسان فما عملك في هذا الكون ؟ ؛ لذلك كان لابد أن يتعرف الإنسان على مهمته ، وأراد الحق سبحانه أن يعرف الإنسان ممهمته ، وأراد الحق سبحانه أن يعرف الإنسان قدرة الله في كل ما صنع . وكان لابد أيضاً أن يستقبل الإنسان خبراً من الخالق . قدرة الله في كل ما صنع . وكان لابد أيضاً أن يستقبل الإنسان خبراً من الخالق . وسول ، وأنزل الحق عليه المنهج من السماء ويصاحب هذا المنهج معجزة على يد رسول ، وأنزل الحق عليه المنهج وأوكل له مهمة البلاغ . فالرسول يخبر ، شم نستدل بالمعجزة على صدق خبره . فكان من اللازم أن نصدق الرسول ، لأنه قادم نستدل بالمعجزة على صدق خبره . فكان من اللازم أن نصدق الرسول ، لأنه قادم نستدل بالمعجزة من الله .

والرسول عليه الصلاة والسلام جاه بالرسالة في سن الأربعين ومعه المنهج المعجزة ، وأبلغنا أنه رسول من الله . وكان لابد أنّ نبحث لتثبت من صدق البلاغ عن الله بالتعقل في دعواه ؛ فهذا الرسول جاء بعد أربعين سنة من ميلاده ومعه معجزة من جنس ما نبغ فيه هو ، إن معجزته أيست من عنده ، بل هي من عند الله ؛ لأن الرسول جاء بالمعجزة بعد أربعين سنة من ميلاده ، ومن غير المعقول أن تتفجر عبقرية بعد أربعين سنة من الميلاد ؛ لائنا نعلم أن العبقريات تأتى في آخر العقد الثاني وأوائل العقد الثالث من عمر الإنسان ، ونلتفت فنجده يتكلم كل الكلام البلاغي المعجز . وليس من المعقول أن يأتي بأخبار الكون وهو الأمي الذي مات أبوه وهو في بطن أمه ، ثم ماتت أمه وهو في السادسة ، وكذلك مات جده . ورأى الناس يتساقطون من حوله ، فمن الذي أدراه . إذن .. أنه سيمهل ويمد في أجله إلى أن يصل إلى الأربعين ليبلغنا بمعجزته ؟ .

ولذلك نجد القرآن يستدل على هذه ، فيقول :

﴿ وَإِذَا نُتِلَى عَلَيْهِم وَايَّاتُنَّا بَيْنَاتِ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ٱثْتِ بِقُرْوَانِ عَيْرِهَاذَا

@1.0V@@+@@+@@+@@+@@+@

أَوْ بَذِلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِى أَنْ أَبَدِلْهُ مِن تِلْقَامِي نَفْسِى إِنْ أَتَبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَّ إِنِّى أَخَافُ إِنْ عَصَبْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿ ﴾

(صورة يونس)

وهكذا تتجلى الحجة القوية من أنه صلى الله عليه وسلم مكلف بالبلاغ بما يُوحِي إليه ، ويتأكد ذلك مرة ثانية في قوله الحق :

﴿ قُل لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تُلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَكُمْ بِهِ مِ فَقَدْ لَيْنَتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِن قَبْلِهِ * أَفَلَا ثَمْقِلُونَ ﴿ ﴾

(سورة يونس)

وهنا نجد أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد تلقى الأمر من الله بأن يبين لهم : هل علمتم عنى خلال عمرى أنى قلت شعراً أو حكمة أو جئتكم بمثل ؟ إذن إن نحن عقلنا الأمر وتبصرنا وتأملنا دعواه لصدقنا أنه رسول الله ، وأن المعجزة بزلت عليه من السماء .

﴿ وَلَقَدْ خَنَفَتْنَكُرْ ثُمَّ صَوَّرْتَنَكُرْ ثُمَّ قُلْنَا لِنَمَلَتَ كَتْ آعُمُدُواْ لِآدَمَ فَسَجَدُوآ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَرْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّلِجِدِينَ ۞ ﴾

(سورة الأعراف)

وهكذا نرى أن مسألة الخلق والإيجاد ، كان يجب على العقل البشرى أن يبحث فيها ، ليعلم مهمته في الوجود . وحين يبحث فيها ليعلم مهمته في الوجود يبحب عليه أن يترك كل تخمين وظن ؟ لأن هذه المسألة لا يمكن أن نأتي فيها بمقدمات موجودة لتدلنا على كيفية خلقنا ولا لأى شيء ومهمة خلقنا ! فكيفية الخلق كانت أمراً غيبيا وليس أمامنا ما نستقرته لنصل إلى ذلك . وقد حكم الله في قضية الخلق ، صواء أكان الأمر بالنسبة للسموات والأرض وما بينهما أم للإنسان ، وقد حكم سبحانه في هاتين القضيتين ، ولا مصدر لعلم الأمر فيهما إلا من الله مبحانه ، وأغلق باب الاجتهاد فيها ، وكذلك باب التخمين ، وسمى القائمين بكل مبحث بشرى في هذا المجال بأنهم ضالون مضللون ، ولذلك قال ليحكم هذه

OC+00+00+00+00+00±0£+#A0

القضية ويحسمها ، ويريح العقول من أن تبحث فيها ؛ قال :

﴿ مَا أَشْهَدَتُهُ ۚ خَلْقَ ٱلسَّمَـٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَاخَلْقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذً ٱلْمُضِلِّينَ عَضْدًا ۞ ﴾

(سورة الكهف)

فكأن الذي يقول: كيف خلقت السموات والأرض وكيف خلق الإنسان هو مضيل ؛ لأن الله لم يشهده، ولم يكن هذا القائل عضداً لله ولا سنداً ولا شريكا له.

وقص سبحانه علينا قصة خلق السموات والأرض وخلق الإنسان ، وهذه الآية تتعرض لخلق الإنسان . ومن يبحث بحثا استقرائيا ويرجع إلى الوراء فلابد أن يجد أن الأمر منطقى ؛ لأن العالم يتكاثر ، وتكاثره أمر مرثى ، وليس التكاثر في البشر فقط ، بل فيمن يخدمون البشر من الأجناس الأخرى ، نجد فيهم ظاهرة التكاثر نباتاً وحيواناً ، وإذا ما نظرنا إلى التعداد من قرن وجدنا العدد يقل عن التعداد الحالى وهو خمسة آلاف مليون ، وكلما عدنا ورجعنا إلى الزمن الماضى يقل التعداد إلى أن نصل إلى اثنين ؛ لأن الخلق إنما يأتي من اثنين ، وحل الله لنا اللغز فقال :

﴿ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِن نَّفْسِ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زُوْجَهَا ﴾

(من الآية ١ سورة النساء)

وهذا كلام صحيح يثبته الإحصاء ويبقنه ؛ لأن العالم يتكاثر مع مرور الزمن مستقبلاً .

﴿ وَبَثْ مِنْهُمَّا رِجَالًا حَيْمِرًا وَلِسَاكَ ﴾

(من الآية ١ سورة النساء)

وهذا كلام صادق . وسبحانه القائل :

﴿ وَمِن كُلِّ شَيْ وَخَلَقْتُ زُوجَيْنِ ﴾

(من الآية 14 سورة الداريات)

Q1-11 QQ+QQ+QQ+QQ+QQ+QQ+Q

وأباغنا سبحانه بقصة خلق آدم ، وكيفية خلق حوّاء فهل أخذ جزءًا من آدم وخلق منه حرّاء ؟ قد يصح ذلك ، أو خلق منها زوجها ويكون المقصود به أنه خلقها من الجنس نفسه وبالطريقة نفسها ؟ وذلك يصح أيضا ، فسبحانه قد اكتفى بذكر خلق آدم عن ذكر خلق حوّاء ، وأعطانا النموذج في واحد ، وقال : ﴿ وخلق منها زوجها ﴾ .

و ﴿ منها ﴾ في هذه الآية يحتمل أن تكون غير تبعيضية ، مثلها مثل قوله الحق : ﴿ رسول من أنفسكم ﴾ .

فسحانه لم يأخذ قطعة من العرب وقال : إنها و محمد ، بل جعل محمدًا صلى الله عليه وسلم من الجنس نفسه خلقاً وإيجاداً ، وسبحانه حين يتكلم هنا يقول للملائكة :

﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾

(من الآية ٣٠ سورة البقرة)

وهذا هو أول بلاغ ، ثم أتبع ذلك :

﴿ فَإِذَا سَوْيَتُهُمْ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُوحِي فَقَعُواْ لَهُ سَيْجِدِينَ ٢

(سورة البعجر)

إذن فقبل النفخ في الروح ستوجد تسوية ، فلمن تحدث التسوية ، ومن هو المسوّى منه » ؟ . إن التسوية لآدم . وجاء القول بأنه من صلصال ، ومن حماً مسنون ، ومن تراب ، ومن طين ؛ إنها مراحل متعددة ، فإن قال سبحانه عن آدم : إنه من تراب ، نقول : نعم ، وإن قال : « من ماء » نقول : نعم ، وإن قال « من طين » فهذا قول حق ؛ لأن الماء حين يختلط بالتراب يصير طيناً . وإن قال : ﴿ من حماً مسنون ﴾ ، فهذا جائز ؛ لأن الحماً طين اختمر فتغيرت رائحته ثم جف وصار صلصالاً . إذن فهي مراحل متعددة للخلق ، ثم قال الحق :﴿ ونفخت فيه من روحي ﴾ .

وهكذا تكتمل فصول الخلق، ثم قال: ﴿ فقعوا له ساجدين ﴾ .

OO+OO+OO+OO+OO+O\!-1.\O

ويقول العلماء: إن المراد من السجود هو الخضوع والتعظيم، وليس السجود كما نعرفه، وقال البعض الآخر: المراد بالسجود هو السجود الذي نعرفه، وأن آدم كان كالقبلة مثل الكعبة التي نتجه إليها عند الصلاة. ولكن لنا هنا ملاحظة، ونقول: إننا لا نسجد إلا لله، ومادام ربنا قد قال: اسجدوا فالسجود هنا هو امتثال لأمر خالق آدم. والنية إذن لم تكن عبادة لآدم، ولكنها طاعة لأمر لله الأول. والأمر بالسجود لآدم قد أراده الله ؛ لأنه سبحانه سخر الكون كله لخدمة آدم، ومن الملائكة مسدبرات أمر، ومنهم حفظة، ومنهم من هو بين يدى الله، فلم يكن السجود للملائكة خضوعاً من الملائكة لآدم، بل هو طاعة لأمر الله، ولذلك سجد من الملائكة الموكلون بالأرض وخدمة الإنسان، لكن الملائكة المقربون لا يدرون شيئاً عن أمر آدم، ولذلك يقول الحق لإبليس:

﴿ . . أَسْتَكْبُرُتُ أَمْ كُنتُ مِنَ الْعَالِينَ ﴿ ۞ ﴾

والمقصود بالعالين الملائكة الذين لم يشهدوا أمر السجود لآدم ، فليس للملائكة العالين عمل مع آدم ؛ لأن الأمر بالسجود قد صدر لمن لهم عمل مع آدم وذريته والذين يقول فيهم الحق سبحانه :

﴿ لَهُ مُعَقِّبُ لَتُ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ . . ١ ﴾ [سورة الرحد]

وهناك الرقيب، والعتيد والقعيد. وفي كل ظاهرة من ظواهر الكون هناك ملك مخصوص بها، ويبلغنا الحق بمسألة الخلق، والخطاب لنا ﴿ خلقا كم محصوص بها، ويبلغنا الحق بمسألة الخلق، والخطاب لنا ﴿ خلقا كم محورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا الآدم ﴾ وهذا ترتيب اخبارى ، وليس ترتيباً للأحداث. أو أن الحق سبحانه وتعالى طمر الخلق جميعاً في خلق آدم ، والعلم الحديث يعطينا أيضاً مؤشرات على ذلك ، حين يأتون ببذرة ويكتشفون فيها كل مقومات الشمرة ، وكذلك الحيوان المنوى توجد فيه كل صفات الإنسان. ولذلك بجدهم حين يدرسون قانون الوراثة يقولون : إن حياة كل منا تتسلسل عن آخر ، فأنت من ميكروب أبيك ، وقد نزل من واللك وهو حى ، ولو أنه نزل ميثاً لما اتصل الوجود. ووالدك جاه من ميكروب جده وهو حى ، وعلى ذلك فكل كائن الآن فيه

研究原

O://OO+OO+OO+OO+OO+O

كاثن الآن فيه جزىء حي من لدن أدم، لم يطرأ عليه موت في أي حلقة من الحلقات.

إذن فكلنا كنا مضمورين في جزيئات آدم، وقال ربنا سبحانه:

﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِم . . (١٧٠ ﴾ المورة الأعراف]

ونقول: صدق الحق فهو الخالق القادر على أن يخرجنا من ظهر آدم، وهكذا كان الخلق أولا والتصوير أولا، وكل ذلك في ترتيب طبيعي، وهو سبحانه له أمور يبديها ولا يبتديها، أي أنه سبحانه يظهرها فقط، فإذا خاطب آدم وخاطب ذريته فكأنه يخاطبنا جميعاً.

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَكُمْ ثُمُّ صَوِّرْنَكُمْ ثُمُ قُلْنَا لِلْمَلْتِكَةِ اسْجُدُوا الآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِلْمَالِتِكَةِ اسْجُدُوا الآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِلْمِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّنْجِدِينَ (١٠) ﴾

وعرفنا من هم الملائكة من قبل، وماهي علة السجود. ﴿ فسجدوا إلا إبليس لم يكن من الساجدين ﴾ .

والحق سبحانه يستثنيه بأنه لم يكن من الساجدين . وهذا دليل على أنه دخل في الأمر بالسجود ، ولكن هل إبليس من الملائكة ؟ لا ؟ لأنك إذا جئت في القرآن ووجدت نصًا يدل بالمطابقة والقطع فاحمل نص الالتزام على النص المحكم الذي يقطع بالحكم . وقد قال الحق في ذلك :

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلْئِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنَ فَفُسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ .. كَ ﴾

وفى هذا إخراج لإبليس من جنس الملائكية، وتقرير أنه من الجن، والجن كالإنس مخلوق على الاختيار، يمكنه أن يعصى يمكنه أن يطبع أو أن يعصى، إذن فقوله الحق: ﴿ ففسق عن أمر ربه ﴾ . 01/130+00+00+00+00+00+00

يمنى أن هذا الفسوق أمر يجوز منه ؛ لكن الملائكة لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ، وإن تساءل أحد : ولماذا جاء الحديث عن إبليس ضمن الحديث عن الملائكة ؟ . نقول : هب أن فرداً مختاراً من الإنس أو من الجن التزم بمنهج الله كما يريده الله ، فأطاع الله كما يجب ولم يعص . . أليست منزلته مثل الملك بل أكثر من الملك ، لأنه يملك الاختيار . ولذلك كانوا يسمون إبليس طاروس الملائكة ، أى الذي يزهر في محضر الملائكة لانه ألزم نفسه بمنهج الله ، وترك اختياره ، وأخذ مرادات الله فنفذها ، فصار لا يعصى الله ما أمره ويفعل ما يؤمر ، وصار يزهو على الملائكة لأنهم مجبورون على الطاعة ، لكنه كان صالحاً ما يؤمر ، وصالحاً - أيضاً - لأن يعصى ، ومع ذلك التزم ، فأخذ منزلة متميزة من بين الملائكة ، وبلغ من تميزه أنه يحضر حضور الملائكة . فلما حضر مع الملائكة جاء البلاغ الأول عن آدم في أثناء حضوره ، وقال ربنا للملائكة : الملائكة جاء البلاغ الأول عن آدم في أثناء حضوره ، وقال ربنا للملائكة :

وكان أولى به أن يسارع بالامتثال للأمر بالطاعة ، لكنه استنكف ذلك . وهب أنه دون الملائكة ومادام قد جاء الأمر للأعلى منه وهم الملائكة ، ألم يكن من الأجدر به وهو الأدنى أن يلتزم بالأمر ؟ لكنه لم يفعل . ولأنه من الجن فقد غلبت عليه طبيعة الاختيار .

ويقول الحق بعد ذلك:

ثم قال كما يحكى القرآن الكريم:

会別を担じます。(会別を担じません)(のまり)<l

وهكذا كان الموقف استكباراً واستعلاءً . وقوله الحق :

﴿ مَا مَنْعَكَ أَنْ تَسْجُدُ ﴾

(من الأية ٧٥ سورة ص)

ونحن حين نحلل هذا النص ، نجد قوله: ﴿ ما منعك ﴾ أى ما حجزك ، وقل أورد القرآن هذه المسألة بأسلوبين ، فقال الحق مرة : ﴿ ما منعك ألا تسجد ﴾ . وهذا يعنى أن الأسلوب الأول جاء وقال مرة أخرى : ﴿ ما منعك أن تسجد ﴾ . وهذا يعنى أن الأسلوب الأول جاء به النافية ، والأسلوب الثانى جاء على عدم وجود « لا » النافية ، وقوله ﴿ ما منعك أن تسجد ﴾ كلام سليم واضح ؛ يعنى : ما حجزك عن السجود . لكن ﴿ ما منعك ألا تسجد ﴾ هى التي تحتاج لوقفة . لذلك قال العلماء : إن « لا » هنا زائدة ، ومَنْ أَحْسَن الأدب منهم قال : إن « لا » صلة . لكن كلا القولين لا ينفع ولا يناسب ؛ لأن من قال ذلك لم يفطن إلى مادة « منع » ولأى أمر تأتى ، وأنت تقول : « منعت فلاناً أن يفعل » ، كأنه كان يهم أن يقعل فمنعته .

إذن ﴿ ما منعك أن تسجد ﴾ كأنّه كان عنده تهيؤ للسجود ، فجاءت قوة أقوى منه ومنعته وحجزته وحالت بينه وبين أن يسجد . لكن ذلك لم يحدث . وتأتى « منع ع للامتناع بأن يمتنع هو عن الفعل وذلك بأن يقنعه غيره بترك السجود فيقتنع ويمتنع ، وهناك فرق بين ممنوع ، وممتنع ؛ فممنوع هي في ﴿ منعك أن تسجد ﴾ ، وممتنع تعنى أنه امتنع من نفسه ولم يمنعه أحد ولكنّه أقنعه . وإن كان المنع من الامتناع فالأسلوب قد جاء ليؤكد المعنى الفعلى وهو المنع عن السجود . وهذا هو السبب في وجود التكرار في القرآن . ولذلك قال الحق سبحانه :

﴿ قَالَ مَامَنَعَكَ أَلَا تُسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ﴾

(من الآية ١٢ سورة الأعراف)

وسبحانه قد أمر الملائكة وكان موجوداً معهم إما بطريق العلو ، لأنه فاق الملائكة وأطاع الله وهو مختار فكانت منزلته عالية ، وإما بطريق الدنو ؛ لأن الملائكة أرفع من إبليس بأصل الخلقة والجبلة ، وعلى أى وضع من العلو والدنو كان على إبليس أن يسجد ، ولكنه قال في الرد على ربّه :

﴿ . . أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتُنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتُهُ مِن طِينٍ ١٠٠ ﴾ [سورة الاعراف]

وسبحانه لم يسأل إبليس عن المقارنة بينه وبين آدم ، ولكن سأله وهو يعلم ازلاً أبليس قد امتنع باقتناع لا بقهر ، ولذلك قال إبليس : أنا خير منه ، فكأن المسألة دارت في ذهنه ليوجد حيثية لعدم السجود . ولا يصح في عرفه الإبليسي أن يسجد الأعلى للأدنى ، فما دام إبليس يعتقد أنه خير من آدم ويظن أنه أعلى منه ، فلا يصح أن يسجد له . وأعلى منه للماذا ؟ لأنه قال : ﴿ خَلَقْتَنِي مِن نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴾ فكأن النار لها علو ، وهو في ذلك مخطى و تماماً لأن الأجناس حين تختلف ؛ فذلك لأن لكل جنس دوره ، ولا يوجد جنس أفضل من جنس ، النار لها مهمة ، والطين له مهمة ، والنار لا تقدر أن تؤدى مهمة الطين ، فلا يمكن أن نزرع في النار .

إذن فالخيرية تتأتى في الأمرين معاما دام كل منهما يؤدى مهمته ، ولذلك لا تقل : إن هذا خير من هذا ، إنما قل : عمل هذا أحسن من عمل هذا ، فكل شيء في الوجود حين يوضع في منزلته المرادة منه يكون خيراً ، ولذلك أقول : لا تقل عن عود المحديد إنه عود مستقيم ، وتقول عن الخطاف : إن هذا عود أعوج ، لأن مهمة الخطاف تقتضى أن يكون أعوج ، وعوجه هو الذي جعله يؤدى مهمته ، لأن الخيرية إنما تتأتى في متاوى المهمة ، ولكن إبليس قال :

﴿ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنُهُ . . (17) ﴾

قالها للمعاندة ، للكبر ، للكفر حين أعرض عن أمر الله وأراد أن يعدل مراد الله في أمره ، وكأنه يخطّىء الحق في أمره ، ويردّ الأمر على الآمر . فيما كنان جزاء الحق سبحانه وتعالى لإبليس إلا أن قال له :

﴿ قَالَ فَأَهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَسَكَبُسَرَ فِيهَا فَأَخُرُجُ اللَّهُ الْمُرْجُ اللَّهُ المُنعِرِينَ اللَّهُ اللَّهُ المُنعِرِينَ اللَّهُ اللَّا اللَّهُ اللَّاللَّا اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّا اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ

والهبوط يستدعى الانتقال من منزلة عالية إلى منزلة أقل ، وهذا ما جعل العلماء يقولون إن الجنة التي وصفها الله بأنها عالية هي في السماء ، ونقول : لا ، فالهبوط لا يستدعى أن يكون هبوطاً مكانياً ، بل قد يكون هبوط مكانة ، وهناك فرق بين هبوط المكان ، وهبوط المكانة ، وقد قال الحق لنوح عليه :

﴿ قِيلَ يَسْنُوحُ الْمَبِطُ بِسَلْسُم مِنَّا وَبُر كُسْتِ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ أَمْم مِمَّن مَّعَكَ . . (عَ الله عَلَيْ الله عَلَيْكَ وَعَلَىٰ أَمْم مِمَّن مَّعَكَ . . (عَ الله عَلَيْ الله عَلَيْكَ وَعَلَىٰ أَمْم مِمَّن مَّعَكَ . . (عَ الله عَلَيْ الله عَلَيْكَ وَعَلَىٰ أَمْم مِمَّن مَّعَكَ . . (عَلَيْ الله عَلَيْكَ وَعَلَىٰ أَمْم مِمَّن مَّعَكَ . .

[سورةهود]

أى اهبط من السفينة ، إذن مادة الهبوط لا تفيد النزول من مكان أعلى إلى مكان أدنى ، إنما نقول من مكان أو من مكانة. ﴿ قَالَ فَاهْبِطُ مِنْهَا ﴾ .

وهذا تنزيل من المكانة لأنه لم يعد أهلاً لأن يكون في محضر الملائكة ؛ فقد كان في محضر الملائكة ؛ لأنه الزم نفسه بالطاعة ، وهو مخلوق على أن يكون مختارا أن يطيع أو أن يعصى ، فلما تخلت عنه هذه الصفة لم يعد أهلاً لأن يكون في هذا المقام ، وذلك أن الملائكة لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون.

﴿ قَالَ فَاهْبِطُ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبُّرَ . . (٣) ﴾ اسورة الأعراف] أي ما ينبغى لك أن تتكبر فيها .

إن امتناعك عن أمر من المعبود وقد وجهه لك وأنت العابد هو لون من الكبرياء على الآمر ، والملائكة جماعة لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، فمادمت أنت أهل استكبار واستعلاء على هذه المكانة فلست أهلاً لها ، فكأن العمل هو الذي أهله أن يكون في العلو ، فلما زايله وفارقه كان أهلاً لأن يكون في الدنو ، وهكذا لم يكن الأمر متعلقاً بالذاتية ، وفي هذا هبوط لقيمة كلامه في أنه من نار وآدم من طين ؛ لأن المقباس الذي توزن به الأمور هو مقياس أداء العمل ، ومن حكمة الحق

OC+00+00+00+00+0+0+0

أن الجن يأخذ صورة القدرة على أشياء لا يقدر عليها الإنس، مثل السرعة، واختراق الحواجز، والتغلب على بعض الأسباب، فقد ينفذ الجن من الجدار أو من الجسم، وكما قال الرسول عليه:

د إن الشيطان يجري من الإنسان مجري الدم ١ (١).

وهو ذلك مثل المبكروب ، لأن هذه طبيعة النار ، وهى المادة التى خُلق منها . وهى تتعدى الحواجز . والجن قد بلغ من اللطف والشفافية أنه يقدر على أن ينفذ من أى شى ، ، لكن الحق سبحانه وتعالى أراد أن يوضح للجن : لا تعتقد أن عنصريتك هى التى أعطتك هذا التميز ، وإنما هى إرادة المعنصر ، بدليل أنه جعلك أدنى من مكانة الإنسان ، إنه - سبحانه - يجعل إنسياً مثل سيدنا سليمان مخدوما لك أيها الجنى ، إنه يسخرك ويجعلك تخدمه . وأنه في مجلس سليمان ، جعل الذي عنده علم من الكتاب ، يأتى بقوة أعلى من قوة "عفريت" من الجن . فالحق هو القائل :

﴿ قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ . . [٣] ﴾

وهذا يدل على أن هناك أذكياء وأغبياء في عالم الجن أيضاً. وجاء الذي عنده علم من الكتاب فتسامي فوق عفريت الجن في الزمن ، فقد قال هذا العفريت :

﴿ أَنَا ءَاتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تُقُومُ مِن مُقَامِكَ . ٢٠٠٠ ﴾

والمقام هو الفترة الزمنية التي قد يقعدها سليمان في مجلسه ، فماذا قال الذي عنده علم من الكتاب - وهو إنسان - ؟

⁽١) رواه البخاري في الأدب، ومسلم في السلام، وأبو داود في السنة، وابن ماجه في الصوم، ورواه أحمد ٣/ ١٥٦، ٢٨٥، ٣٣٧.

كانه سياتى بعرش بلقيس قبل أن ينته سليمان من ردّ طرفه الذى أرسله ليبصر به شيئاً ، إن سليمان رأى العرش بين يديه ، ولذلك نجد عبارة القرآن معبرة :

﴿ فَلَمَّا رَوَاهُ مُسْتَغِرًّا عِندُهُ ﴾

(من الآية ٠ \$ صورة النمل)

كأن المسألة لا تتحمل . بل تم تنفيذها فوراً . إذن فالحق يوضح للمخلوقين من العناصر : إياكم أن تفهموا أن تميزكم بعناصركم ، إنني أقدر بطلاقة قدرتى أن أجعل الأدنى يتحكم في الأعلى ؛ لأنها إرادة من عَنْصُرُ العناصر .

﴿ ثَالَ فَٱلْمِطْ مِنْهَا فَسَا يَكُونُ لَكَ أَن نُتَكَبِّرُ فِيهَا فَٱنْرُجُ إِنَّكَ مِنَ

ٱلصَّنفِرِينَ ١٠٠٠ ﴾

(سورة الأعراف)

وكلمة ﴿ فاهبط ﴾ تشير وتدل على أن الهبوط أمر معنوى ، أى أنك لست أهلًا لهذه المنزلة ولا لتلك المكانة . هذا ما تدل عليه كلمة ﴿ فاهبط ﴾ ، ثم جاء الأمر بعد ذلك بالخروج من المكان .

والصَّغَار هو الذل والهوان ؛ لأنه قَابَل الأمر باستكبار ، فلابد أن يجازى بالصَّغار . وبذلك يكون قد عومل بضد مقصده ، والمعاملة بضد المقصد لون من التأديب والتهذيب والتعليم ؛ مثلما يقرر الشرع أن الذي يقتل قتيلاً يحرم من ميراثه ، لأنه قد قتله ليعجل الإرث منه ، ولذلك شاء الله أن يحرمه من الميراث ؛ فبارتكابه القتل صار محجوباً عن الميراث .

ويقول الحق بعد ذلك:

﴿ قَالَ أَنظِرُفِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ۞ ﴾

ومعنى ﴿ انظرنى ﴾ امهلئى أى لا تمتنى بسرعة ، ولا تجعل أجلى قريباً ، بدليل قوله سبحانه :

﴿ قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَوِينَ ﴿ مَا أَلُمُنظَوِينَ الْمُنظَوِينَ الْمُنظَوِينَ الْمُنظَوِينَ الْمُنظَوِينَ

فالإنظار طلب الإمهال ، وعدم التعجيل بالموت ، وقد طلبه إبليس لكى يشفى غليله من بنى آدم وآدم ؛ لأنه جاء له بالصَّغّار والذلة والطرد والهبوط ، ولذلك أصر على أن يجتهد في أن يغرى أولاد آدم ليكونوا عاصين أيضاً . وكأن إبليس في هذا الطلب أراد أن يُنقذ من الموت وأن يبقى حيًا إلى يوم البعث الذي يبعث فيه كل من مات . وكأنه يريد أن يقفز على قول المحق ؛

﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَا بِقَةُ الْمَوْتِ ﴾

(من الآية ١٨٥ سورة أل عمران)

فأوضح الحق: أن تأجيل موتك هو إلى يوم الوقت المعلوم لنا وغير المعلوم لك ؛ لأن الأجل لو عرف فقد يعصى من يعلمه مدة طويلة ثم يقوم بالعمل الصالح قبل ميعاد الأجل ، ولكن الله أراد بإبهام زمان الموت أن يشيع زمانه في كل وقت . وفي آية أخرى يقول الحق سبحانه :

﴿ إِلَّ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ۞ ﴾

(سورة العجر)

والوقت المعلوم هو النفخة الأولى:

﴿ وَنُغِخَ فِي الصَّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَوْتِ وَمَن فِي الأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أَنْكَرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿ ﴾

(سورة الزمر)

وكأن إبليس كان يريد أن يفر من الموت ليصل إلى النفخة الثانية ، لكن ربنا أوضح أنه باق إلى وقت معلوم ، وآخر الوقت المعلوم هذا لابد أن يكون قبل النفخة الأولى .

ويقول الحق بعد ذلك :

O1-1100+00+00+00+00+0

﴿ قَالَ نَبِمَآ أَغُونِيَّ فِي لَأَفْعُدُنَّ لَمُنْ صِرَطَكَ اللَّهُ عَدَّنَ لَمُنْ صِرَطَكَ اللَّهُ اللَّ

والإغواء . إغراء بالمعصية ، ومن الإغواء الغّي وهو : الإهلاك ، يقول الحق سبحانه وتعالى :

﴿ . فَسُوفَ يَلْقُونَ غَيًّا ﴿) السروة مريم]

وحين نقراً ﴿ فَبِما أَغُويَتنِي ﴾ أى فبإغوائك يا الله لى سأفعل كذا وكذا ، وبذلك يكون قد نسب الإغواء لله . لكن هل يغوى ربنا أو يهدى ؟ . إن الله يهدى دلالة ومحكينا ، وسبق أن تكلمنا كثيراً عن هداية الدلالة ودلالة التمكين ، وسبحانه خلق الشيطان مختاراً ، ولم يخلقه مرغماً ومسخراً كالملائكة ، ولأنه قد خلق مختاراً فقد أعطاء فرصة أن يطيع وأن يعصى ، وكأن الشيطان بقوله هذا يتمنى لو أنه قد خلق مقهوراً . ويقول إن الله هو الذي أعطاه سبب العصيان . ولم يلتفت إلى أن الاختيار إنما هو فرصة لا للغواية فقط ، ولكنه فرصة للهداية أيضاً . وأنت أبها الشيطان الذي اخترت الغواية .

إذن فقول الشيطان: ﴿ فِهِمَا أَغُوبَتِي ﴾ إنما يريد به الشيطان: أن يدخل بمعصيته على الله ، ونقول له: لا ، إن ربنا لم يغو ؛ لأن الحق سبحانه وتعالى لا يغوى وإنما يهدى ؛ لأن الله لو خلقه مرغماً مقهوراً ما أعطاه فرصة أن يختار كذا أو يختار كذا أ يختار كذا ؛ فقد خلقه على هيئة «افعل» و الا تفعيل ، واختار هو ألا يفعيل إلا المعصية .

﴿ قَالَ فَبِمَا أَغُولَيْتِنِي لِأَقْعُدُنَّ لَهُمْ صِرْطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ١٦ ﴾ [سورة الأعراف]

والمفهوم من العبارة أنهم بنو آدم ، والقعود لون من ألوان حركة الجسم الفاعل ؛ لأن المتحرك إما أن يكون قائماً ، وإما أن يكون

مضجعاً نائماً. وأريح الحالات أن يكون نائماً مضجعاً ؛ لأن الجسم في هذه الحالة يكون مستربحاً بفعل الجاذبية الأرضية ، وحين يكون الإنسان قاعداً تقاومه الجاذبية قليلاً ، وحين يكون واقفاً فهو يحمل ثقل جسمه على قدميه ، ولذلك نقول لمن وقف طويلاً على قدميه : « اقعد حتى ترتاح " ولو قعد وكان متعباً فيقال له : المضجع قليلاً لترتاح ".

ولماذا اختار الشيطان أن يقول: ﴿ لِأَقْعُدُنَّ ﴾ ؟ حتى يكون مطمئناً ، فقد يتعب من الوقفة ، أيضاً وهو في حالة القعود يكون منتبها متيقظاً ، والحق يقول:

﴿ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلُ مُرْصَد . . ۞ ﴾

ولم يقل : «قفوا عنى لا يرهق الناس أنفسهم بالوقوف الطويل ، ولكن ساعة يواجهون الأمر فعليهم بالنهوض ، والقعود أقرب إلى الوقوف ، لأن الاضجع أقرب إلى التراخى والنوم ، وقد اختار الشيطان الموقف الذي يحفظ لمه قوته ، ويبقى له انتباهه : ﴿ لِأَقْعُدُنَّ لَهُمْ صَرَاطَكُ الْمُسْتَقِيمُ (١٠) ﴾ .

ومادام الشيطان سيغوى ، وسيضل الغير ، فسيختار للغواية من يكون في طريق الهداية. إنما من غوى باختياره وضل بطبيعته فالشيطان قد استراح من ناحيته ولا يريده ، وتلك ظاهرة تحدث للناس حينما يجدون ويجتهدون في الطاعة ؛ فالشاب الطائع الملتزم يحاول الشيطان أن يخايله ليصرفه عن الصلاة والطاعة ؛ لأن الشيطان يتلصص على دين الإنسان ، فهو كاللص ، واللص لا يحوم حول بيت عامر بالخير .

إننا نلاحظ هذه المسألة في كل الناس حينما يأتون للصلاة فيقول الواحد منهم: حينما أصلى يأتى له الوسواس، ويشككني في الصلاة، نقول له: نعم هذا صحيح، وحين يأتي لك هذا الوسواس فاعتبره ظاهرة صحية في الإيمان؛ لأن معناه أن الشيطان عارف أن عملك مقبول، ولذلك يحاول أن يفسد عليك الطاعة؛ لأنك نو كنت فاسداً من البداية، ووقفت للصلاة دون وضوء لما جاءك الوسواس. لكن الشيطان يريد أن يفسد عليك الطاعة ولذلك يقول الله:

WENTER!

O!-V\DO+OO+OO+OO+OO+O

﴿ وَإِمَّا يَنزُغُنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزُغٌ فَاسْتَعِدْ بِاللَّهِ . . (📆 ﴾ السورة الأعراف]

لاذا ؟. لأن الله خلفك وخلقه ، وإن كنت لا تستطيع دفعه لأنه يجرى منك مجرى الدم في العروق وينفذ إليك بالخواطر والمواجيد التي لا تضبطها ؛ ويأتي إليك بهام الأشياء في وقت الصلاة ؛ فتتذكر الأشياء التي لم تكن تتذكرها ، ويأتي لك بأعقد المسائل وأنت تصلى ؛ وكل ذلك لأنه قال : ﴿ لاَ قُعُدنَ لَهُمْ صراطَك المُسْتَقِيم ﴾ ، ولم يقل إنه سيقعد على العلويق المنحرف ، ولن يجلس الشيطان في مجلس خمر ، لكنه يقعد على أبواب المساجد أو في المساجد ليفسد للناس أعمائهم الصالحة . فماذا نفعل في هذه الحال؟ . يدلنا الحق سبحانه أن نستعيذ : ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنْكُ مِن الشّيطان نَزُغُ فَاسْتعَذْ بِاللّه ﴾

فمعنى ﴿ فَاسْتَعِذْ ﴾ أى فالتجىء منه إلى الله ؛ لأن الله الذى أعطاه الخاصية فى أن يتخلفل فيك ، وفى دمك ، وفى خسواطرك ، هو القادر على منعه ، وحين تقول: «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم» بفزع والتجاء إليه سبحانه - فإنه - جل شأنه - ينقذك منه. وإن كنت تقرأ القرآن ثم جاء لك الخاطر من الشيطان فقل: «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم» فإذا قلت هذا فكأنك نبهته إلى أنك أدركت من أين جاءت هذه النزغة : مرة واثنتين وثلاثاً ، فيقول الشيطان لنفسه : إن هذا المؤمن حاذق فطن وحذر لا أستطيع غوايته ، ولأبحث عن غيره .

ولذلك رأينا الإمام أبا حنيفة ، وقد شهر عنه الفتيا ، وذهب إليه سائل يقول: ضاع منى مال فى أرض كنت قد دفئته فيها ، ولا أعرف الآن مكانه. دلنى عليه أيها الشيخ ؟ . وبطبيعة الحال كان هذا السؤال فى غير العلم ، فقال أبو حنيفة : يا بنى ليس فى ذلك شىء من العلم ، ولكنى احتال لك ؛ إذا جاه الليل فقم بين يمدى ربك مصليا هذه الليلة ، لعل الله سبحانه وتعالى يبعث لك جنداً من جنوده يقول لك عن مكان مالك .

وبينما أبو حنيفة يؤدى صلاة الفجر ، وإذا بالرجل يقبل ضاحكاً مبتسماً قائلا : يا إمام نقد وجدت المال ، فنضحك أبو حنيفة ، وقال : والله لقد علمت أن

QQ+QQ+QQ+QQ+QQ+Q(!.YTQ

الشيطان لا يدعك تتم ليلتك مع ربك ، وسيأتي ليُخبرك ، فهلا أتممتها شكراً لله ، هيا قم إلى الصلاة .

إذن فقد عرف الشيطان كيف يقعد : وكيف يقسم ، لأنه في آية أخرى يقول :

﴿ قَالَ فَيعِزُّ تِكَ لَاغُويَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ١٠٠

(سورة ص)

لقد استطاع أن يأتى بالقسم الذى يعينه على مهمته ؛ فقال : ﴿ فبعزتك لأغوينهم ﴾ أى بامتناعك عن خلقك وعدم حاجتك إليهم فأنت الغالب الذي لا يقهر ؛ لأنك إن أردتهم ما استطعتُ أن آخدهم ، لكنك شئت لكل إنسان أن يختار :

﴿ فَمَن شَآهَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآهَ فَلْيَكُفُرْ ﴾

(من الآية ٢٩ سورة الكهف)

فأقسم ، ومن هذا الباب يدخل الشيطان على الإنسان : ﴿ فبعزتك الأغويثهم أجمعين ﴾ .

واستدرك على نفسه أيضاً وقال:

﴿ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿ وَكُا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿ }

(سورة ص)

لأن الذي يريده الله مهديًا لا يستطيع الشيطان أن يغويه ؛ لأنه لا يناهض ربنا ولا يقاومه ، إنما يناهض خلق الله ، ولا يدخل مع ربنا في معركة ، إنما يدخل مع خلقه في معركة ليس له فيها حجة ولا قوة ؛ لأن الذي يغلب في المعارك إما أن يرغمك على الفعل ، وإما أن يفنعك لتفعل أنت بدون إرغام . وهل يملك إبليس واحدة من هذه ؟ . لا ، ولذلك سيأتي في الآخرة يقول :

﴿ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُم مِن سُلْطَنِ إِلَّا أَن دَعُوتُكُمْ فَأَسْتَجْبُمْ لِي ﴾

(من الآية ٢٣ سورة إبراهيم)

0.8.4700+00+00+00+00+00

والسلطان قسمان : سلطان يقهر ، وسلطان يقنع . والشيطان يدخل على الإنسان من هذه الأبواب .

ويقول الحق بعد ذلك على لسان إبليس:

﴿ ثُمَّ لَا نِينَةُ مُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِم وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَنِهِمْ وَعَنْ أَيْمَنِهِمْ وَعَن أَيْمَنِهِمْ وَعَن أَيْمَنِهِمْ وَعَن أَيْمَنهِمْ وَعَن أَيْمَنهِمْ وَعَن شَمَّ إَيْلِهِمْ وَلَا يَجِدُ أَكْثَرُهُمْ شَكِرِينَ ﴾

فالذي بين البد هو ما كان إلى الأمام ، ﴿ ومن خلفهم ﴾ أى من الوراء ، و ﴿ عن أيمانهم ﴾ أى من جهة اليسار . و ﴿ عن أيمانهم ﴾ أى من جهة اليسار . والشيء الذي أمام العالم كله ، ونسير إليه جميعاً هو ﴿ الدار الآخرة ﴾ وحين يأتى الشيطان من الأمام فهو يشككهم في حكاية الآخرة ويشككهم في البعث . ويحاول أن يجعل الإنسان غير مقبل على منهج الله ، فيصير من الذين لا يؤمنون بلقاء الله ، ويشكّون في وجود دار أخرى سيُجّازى فيها المحسن بإحسانه والمسىء بإساءته . وقد حدث ذلك ووجدنا من يقول القرآن بلسان حاله :

﴿ أَوِذَا مِتْنَا وَكُمَّا تُرَابًا وَعِظْمًا أَوْنَا لَمَبَّعُوثُونَ ١ أَوْءَابَا وَنَا الْأُولُونَ ١٠٠٠

(سورة الصافات)

ولذلك يعرض الحق قضية البعث عرضاً لا يجعل للشيطان منفذاً فيها ، فيوضح لنا أنه سبحانه لم يعجز عن خلفنا أولا ؛ لذلك لن يعجز عن إعادتنا ، والإعادة بالتأكيد أهون من البداية ؛ لأنه سيعيدهم من موجود ، لكن البداية كانت من عدم ، إنه _ سبحانه _ عندما يبين للناس أن الإعادة أهون من البداية فهو يخاطبهم بما لا يجدون سبيلاً إلى إنكاره ، وإلا فائله _ جل شأنه _ تستوى لدى طلاقة قدرته كل الاعمال فليس لديه شيء سهل وهين وآخر صعب وشاق ويبلغنا _ سبحانه _ بتمام إحاطة علمه فيقول :

﴿ قَدْ عَلَيْنَا مَا تَنْفُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِندُنَا كِنْبُ حَفِيظً ۞ ﴾

00+00+00+00+00+00+0!.VEQ

أى أن لكل واحدٍ كتاباً مكتوباً فيه كل عناصره وأجزائه .

والشيطان _ أيضاً _ يأتى من الخلف ، وخلف كل واحد منا ذريته ، يخاف ضيعتهم ، فيوسوس الشيطان للبعض بالسرقة أو النهب أو الرشوة من أجل بقاء مستقبل الأبناء ، وفساد أناس كثيرين يأتى من هذه الناحية ، ومثل هذا الفساد يأتى حين يبلغ بعض الناس منصبًا كبيراً ، وقد كبرت سنّه ، ويقبل على الله بشرّ ، ويظن أنه يترك عياله بخير . لكن إن كنت تخاف عليهم حقًا فامن عليهم في يد ربهم ، ولا تؤمن حياتهم في جهة ثانية .

﴿ وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُواْ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيّةً ضِعَنْهَا خَافُواْ عَلَيْهِمْ فَلْبَتْقُواْ ٱللَّهُ وَلَيْقُولُواْ قَوْلِكُمْ اللَّهِ عَلَيْهِمْ فَلْبَتْقُواْ ٱللَّهُ وَلَيْقُولُواْ قَوْلا سُدِيدًا ﴿ وَلَيْقُولُوا اللَّهُ عَلَيْهِمْ فَلْبَتْقُواْ ٱللَّهُ وَلَيْقُولُواْ

(صورة النساء)

ولماذا لم يأت الشيطان للإنسان من فوق ومن تحت لأن الفوقية هي الجهة التي يلجأ إليها مستغيثاً ومستجيراً بربه ، والتحتية هي جهة العبودية الخاصة فالعبد أقرب ما يكون من ربه وهو ساجد ، فهو في هاتين الحالتين محفوظ من تسلط الشيطان عليه ؛ لأن الله تعالى يقول : ﴿ إن عبادى ليس لك عليهم سلطان ﴾ .

ويقول تعالى :

﴿ ثُمَّ لَا تِينَهُم مِنْ بَيْنِ أَيْلِيهِم وَمِنْ خَلْفِهِم وَعَنْ أَيْمَنَيْهِمْ وَعَنْ شَمَّآ بِلِهِمْ وَلا تَجِدُ أَكْثَرُهُمْ شَنْكِرِينَ ۞﴾

(سورة الأعراف)

ويأتى الشيطان من اليمين ليزهد الناس ويصرفهم عن عمل الحسن والطاعة . واليمين رمز العمل الحسن ؛ لأن كاتب الحسنات على اليمين ، وكاتب السيئات على الشمال ، ويأتى عن شمائلهم ليغريهم بشهوات المعصية . ونلحظ أن الحق استخدم لفظ ﴿ عن أيمانهم ﴾ و ﴿ عن شمائلهم ﴾ ولم يأت بدعلى ، لأن وعلى ، فيها استعلاء ، والشيطان ليس له استعلاء أبداً ؛ لأنه لا يملك قوة القهر فيمنع ، ولا قوة الحجة فيقنع . ولأن أكثر الناس لا تتذكر شكر المنعم عليهم ، فيجيد الشيطان غوايتهم ، ولذلك يقول الحق تذبيلاً للآية :

明美洲

O1-V0OO+OO+OO+OO+OO+O

[سورة الأعراف]

﴿ . ، وَلا تَجِدُ أَكُثْرَهُمْ شَلْكُرِينَ 🖤 ﴾

ويقول الحق بعد ذلك:

﴿ قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْهُ وَمَا مَّدْحُورًا لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ الْحَمُورًا لَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ الْحَمَدِينَ اللهُ الل

لقد بلغ الغرور بالشيطان أن تخيّل أنه ذكى ، فشرح لنا خطته ومنهجه فدلل لنا على أن حكم الله فيه قد نفذ بأن جعل كيده ضعيفاً ، فسبحانه القائل :

﴿ . إِنَّ كَيْدُ الشَّيْطُ لِنِ كَانَ ضَعِيفًا (٧٦) ﴾

لقد نبهنا الحق لكيد الشيطان وغروره ، والناصح هو من يحتاط ، ويأخذ المناعة ضد النزغ الشيطاني . وهنا يقول الحق :

﴿ قَالَ اخْرُجُ مِنْهَا مَذْءُومًا مَدْعُورًا . . (١٨) ﴾

وقال له الحق من قبل:

﴿ قَالَ فَاهْبِطُ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجُ إِنَّكَ مِنَ الصَّسْغِرِينَ (؟)

[صورة الأعراف]

إذن فهناك هبوط وخروج بصغار ومجاوزة المكان، ثم هنا أيضاً تأكيد بأنه في حالة الخروج سيكون مصاحباً للذم والصغار والطرد واللعن. ويقول الحق سبحانه:

创新原

﴿ . . لَمْن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ (١٨) ﴾ [سورة الأعراف]

وفى هذا اخبار لمن يتبعون الشيطان بأنهم أهل لجهنم، ولم يعدُّها سبحانه لتسع الكافرين فقط، لكنه أعدّها على أساس أن كل المخلق قد يكفرون به سبحانه، كما أعدّ الجنة على أساس أن الخلق جميعاً يؤمنون به ؛ فليس عنده ضيق مكان، وإن آمن الخلق جميعاً ؛ فإنه - جل شأنه - قد أعد الجنة لاستقبالهم جميعاً، وإن كفروا جميعاً فقد أعد النار لهم جميعاً ؛ تأكيداً لقوله الحق:

﴿ أُولْكِ عُمُ الْوَرِثُونَ (١٦) الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفَرْدُوسَ هُمْ فِيهَا حَسْلِدُونَ (١٦) ﴾

[سورة المؤمنون]

وقوله الحق:

﴿ إِنْكُمْ وَمَا تَعَبُدُونَ مِن دُونِ اللهِ حَصَبُ جَهِنَمُ أَنتُمْ لَهَا وَرِدُونَ ﴿ ﴿ إِنْكُمْ وَمَا تَعَبُدُونَ مِن دُونِ اللهِ حَصَبُ جَهِنَمُ أَنتُمْ لَهَا وَرِدُونَ ﴿ ﴾ [سورة الأنياء] وبهنذا نكون قد شرحنا مسألة إبليس الذي امتنع عن طاعة أمر الأمر الأعلى بالسجود لآدم،

ويقول الحق بعد ذلك :

﴿ وَيَتَنَادُمُ السَّكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلا مِنْ حَيْثُ شِتْتُمَا وَلَا نَقْرَبَا هَذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّالِمِينَ اللَّهِ ﴾

ويعاود القرآن الحديث عن آدم بعد أن تناول مسألة إبليس فيقول : ﴿ وَيَا آدَمُ اللَّهُ وَلَا آدَمُ اللَّهُ اللَّالِمُ اللَّهُ اللَّلْ اللَّهُ اللَّا اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللّ

01.WD0+00+00+00+00+0

كثير من العلماء تواتر نقل العلم عندهم إلى أن الجنة هي جنة الأخرة والخلود ، واعترض البعض متسائلين : كيف يدخل إبليس جنة الخلود ؟ . وكيف يخرج منها ؟ . وهؤلاء العلماء الذين قالوا : إن الجنة هي جنة الأخرة ، لم يفطنوا إلى مدلول بحلمة وجنة ؛ فساعة تطلق كلمة جنة ، تأخذ ما يسمى في اللغة و غلبة الاستعمال » ، أي تأخذ اللفظ من معانيه المتعددة إلى معنى واحد يستقل به عرفا ، بحيث إذا سمع انصرف الذهن إليه ، فأنت إذا سمعت يا مؤمن كلمة الجنة ينصرف ذهنك إلى جنة الآخرة ؛ لأنها هي التي تُعتبر جنة بحق ، لكن حينما يأتي اللفظ في القرآن والمتكلم هو الله ، فلابد أولا أن ندرس اللفظ واستعمالاته في اللغة ؛ لأن القرآن جاء بلسان عربي مبين ، فمن الجائز أن يوجد اللفظ في اللغة وله معاني متعددة . وعندما يتعلق الأمر بالدين والفقه فإننا نأخذ اللفظ من معناه اللغوى ، ونجعله ينصرف إلى المعني الشرعي والفقه فإننا نأخذ اللفظ من معناه اللغوى ، ونجعله ينصرف إلى المعني الشرعي

مثال ذلك كلمة والحج ، فأنت ساعة تسمع كلمة والحج ، تقول: هو قصد بيت الله الحرام للنسك والعبادة في أشهر معلومة ، على الرغم من أن والحج ، في اللغة هو القصد ، فإذا قصدت أي شيء تقول: حججت إليه . فلما جاء الإسلام أخذ هذا اللفظ من اللغة واستعمله في الحج بالمعنى الشرعى ، وهو قصد البيت الحرام للنسك ، وكذلك كلمة والصلاة ، إنها في اللغة الدعاء ، فقوله تعالى : فوصل عليهم ﴾ أي ادع لهم ، ولما جاء الإسلام أخذ الكلمة من اللغة ، وجملها تطلق على معنى اصطلاحي جديد بحيث إذا أطلق انصرفت إليه ، وهي الأقوال والأفعال المخصوصة ، المبدوءة بالتكبير المختومة بالتسليم بشرائطها الخاصة .

ولكن هل معنى أننا أخذنا اللفظ من اللغة وجعل له الشرع معنى اصطلاحيًا أن هذا يكون تركاً لمعناه الأصلى ؟ . لا ؛ لأنك إن أردت أن تستعمله في معناه الأصلى فلك ذلك ، ولكنك تحتاج إلى قرينة تدل على أنك لا تريد الصلاة الشرعية لأن كلمة وصلاة و أصبحت هي الصلوات الخمس المعروفة لنا ، مع أن معناها الأصلى كان الدعاء ، وهذا هو ما جعل العلماء يذهبون إلى أن كلمة والجنة وساعة تُطلق ينصرف الذهن إلى جنة الخلود . ونقول : المعنى اللغوى للجنة أنها المكان الذي فيه أشجار غزيرة ومتنوعة ، أما غزارتها وعلوها فتستر

00+00+00+00+00+00+01.VAO

الإنسان وتُجِنّه عن كل ما حوله ، وأما ما فيها من الثمار والضروريات والكماليات فلأنها تستر الإنسان عن خارجها ويكتفى بأن يكون فيها ، والقرآن لم يجئ بالجنة بمعنى جنة الخلد فقط ، بل يقول أيضاً :

﴿ أَيُودُ أَحَدُ كُرُ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةً مِنْ غَيْلِ وَأَعْنَابِ ﴾

(من الآية ٢٦٦ سورة البقرة)

وكذلك يقول سبحانه:

﴿ وَأَضْرِبْ لَكُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحْدِهِمَا جَنْتَيْنِ مِنْ أَعْنَنْبِ وَحَفَفْنَالُهُمَا بِغَلْلِ

(سررة الكهف)

وقوله البحق:

﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَا فِي مَسْكَنِهِمْ عَالَةٌ جَنْسَانِ عَن يَمِينِ وَشِمَالٌ كُلُواْ مِن رِّزْقِ رَبِيكُرُ وَاشْكُرُواْ لَهُمْ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبَّ غَفُورٌ ﴿ ﴾

(سورة سبأ)

وأقول: إن علينا أن نبحث في آفاق مرادات الله حين يُعْلَمنا من لدنه ويقفنا على المعنى المراد، إننا نعلم أن أول بلاغ نزل من الله بخصوص آدم أخبرنا فيه أنه قد خلق آدم خليفة في الأرض:

﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾

(من الآية ٣٠ سورة البقرة)

إذن فآدم مخلوق للأرض ، ولا تظلموا آدم وتقولوا إنه مخلوق للجنة ، وكنا سنعيش فيها لكنه عصى وأنزلنا إلى الأرض . لذلك نقول : لا ، وعلينا أن نتذكر أن أول بلاغ من الله عن آدم أنه جعله في الأرض خليفة . والذي كان يجب أن نسأل

O+0-0+0-0+0-0+0-0+0-0+0

عنه : مادام قد جعله الله خليفة مي الأرض فما الذي جاء بحكاية الجنة هذه ؟!

لقد خلق الله آدم ليكون خليفة في الأرض ، وكان عليه أن يتلقى من الله التكاليف محصورة في و افعل » و و لا تفعل » ؛ لأنك إن لم تمتثل سيظهر الفساد في المجتمع ، أما الذي لا يظهر منه فساد فسبحانه يتركه مباحاً ؛ لذلك فكل ما لم يرد فيه و افعل » و و لا تفعل » لا يفسد به المجتمع . إذن ف و افعل » و و لا تفعل » لا يفسد به المجتمع . إذن ف و افعل » و و لا تفعل » لا يفسد به المجتمع . إذن ف و افعل »

وهل خلق الله الإنسان هكذا بدون منغصات تفسد عليه منهج الله ؟ . لا ، فمادام الشيطان قد وقف هذا الموقف مع آدم ، وقال أنا سأغوى ؛ فسيزين لك فى و افعل ، و و لا تفعل ، ويأتيك الأمر بالصلاة فينزغك الشيطان حتى لا تصلى . ويأتيك الأمر ألا تشرب الخمر فيزين لك الشيطان أن تشربها ، ويحاول أن ينقل مجال و افعل ، إلى مجال و لا تفعل ، وكذلك يحاول أن يزين لك و أن تفعل ، ما هو في مجال و لا تفعل ، فترتبك حركتك .

إن الحق سبحانه يريد منهجاً يحكم حركة الحياة ، ويضمن للخلافة في الأرض أن تؤدى مهمتها أداءً يسعد الإنسان فيها في الدنيا وينعم في الآخرة ، لذلك كان لابد أن يدرب الحق سبحانه خليفته في الأرض على المنهج ؛ حتى لا يتلقى المنهج تلقيًا نظريًا ، لذلك شاء الحق سبحانه وتعالى ألا يجعل آدم يباشر مهمة الخلافة إلا بعد أن يعطيه تدريباً على المهمة في و افعل » و و لاتفعل » . وحذره من العقبات التي تعترض و افعل » ؛ حتى لا تجيّ في منطقة و لا تفعل » ، وكذلك من العقبات في منطقة و لا تفعل » ، وكذلك مكاناً فيه كل مقومات الحياة وترفها حتى لا يتعب في أي شيء أبداً في أثناء مكاناً فيه كل مقومات الحياة وهي بستان جميل وفيه كل مقومات الحياة وترفها ، ولكن لا تقرب هذه الشجرة .

وكل عدا هو الأمر ، و و لا تقرب عدا هو النهى . وأوضح سبحانه لآدم أن الذي سيعكر عليه تطبيق منهج الله هو العدو الذي ثبتت عداوته إنه و إبليس ، الأنه حين امتنع عن السجود لآدم تلقى الطرد واللعنة فأقسم وقال :

(美) ○○+○○+○○+○○+○○+○○+○○ 1.1.0

﴿ قَالَ فَيِعِزَّ بِكَ لَأَغُوِينَهُم أَجْعِينَ ١٠٥٠ ﴾

(سورة ص)

كأن الحق سبحانه وتعالى جعل الجنة كمكان فيه كل مقومات الحياة لأدم بصنع الله مسبحانه وإعداده ، وأعطى له منها القدر الذي يعطى المقوم بلا فضلات تنعبه ، ولا ينتفخ ولا يعانى من متاعب في الصحة . . . إلخ ؛ لأنه سبحانه يعطى لأدم القدر المقوم . وسبحانه قادر على كل شيء بدليل أنه يرعى الجنين في بطن أمه ، والجنين ينمو ، والنمو معناه أنه يتلقى الغذاء ، ولا يخرج منه فضلات ؛ لأن الغذاء الذي يدخله الله له على قدر النمو فقط ، وحين يكون ربنا هو الذي يمد جنة التدريب بالغذاء ، فهو قادر على كامل الإعداد .

إذن فالجنة التي وُجد فيها آدم بداية ليست هي جنة الجزاء ؛ لأن جنة الجزاء لابد أن تأتي بعد التكليف . ولا يمكن أن يكون فيها تكليف ، ومن يسكنها لا يخرج منها . وآدم _ كها علمنا _ مخلوق للأرض ، إذن وجود الجنة هنا يعني أنها مكان التدريب على المهمة في الخلافة أمراً متمثلاً في ﴿ وَلا تقربا ﴾ ، لم يقل المهمة في الخلافة أمراً متمثلاً في ﴿ ولا تقربا ﴾ لأن القربان مغنة أنه يؤدي إلى الغواية فيها : ﴿ لا تقربا ﴾ لأن القربان مغنة أنه يؤدي إلى الغواية ويدفع إليها . وهو قد أكل منها لأنه جاء ناحيتها واقترب منها ، ولو كان قد استمع ولم يقرب لما أكل منها .

فكأن الله جعل لأدم في جنة التدريب والتمرين رمزين: الرمز الأول: لد افعل ، والرمز الثانى: لد لا تفعل ، والجد أن الذى نهى الله عنه قليل بالنسبة لما أباحه وأمر به . وهذا من رحمة الله بالعباد ، فيفعل المؤمن مايؤمر به ، ولا يحوم حول ما حرمه الله ؛ لأنه لا يأمن حين يرى ما حرم الله أن تميل نفسه إليه ، ولذلك قال: ﴿ ولا تقربا ﴾ فلو أنهما لم يقربا ما كانت الشجرة تغريهما بأى منظر . ولذلك في كثير من الأشياء التي يحرمها الحق سبحانه وتعالى وفي قمتها ما يصون ويحفظ العقيدة الأساسية ، يقول بعدم الاقتراب أو الاجتناب ، فسبحانه عوق القاتل :

﴿ فَأَجْنَفِهُواْ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلأُوْتَرْبِ وَاجْنَفِهُواْ قُولَ ٱلزُّورِ ﴾

(ْمَنَ الْآيَةِ ٣٠ صورةِ الحجِ

WANTES

@!·//OC+CC+CC+CC+CC+C

ولم يقل: الا تعبدوا الأوثان، بل قال: «فاجتنبوا، والشأن في «الخمر، أيضاً جاء بالاجتناب. لكن بعضاً من السطحيين يقولون: لم يرد في الخمر تحريم بل قال بالاجتناب، ونقول له: الاجتناب أقوى من المنع ومن التحريم، لأن غاية التحريم أن يمنعك من شرب الخمر. لكن الاجتناب يقتضى الا تذهب ناحيتها، ولا تقعد في المكان الذي توجد فيه، ولا تعصرها ولا تحملها.

﴿ . وَلا تَقُرْبَا هُلَدُهِ الشُّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظُّلِمِينَ ١٤٠ ﴾ [سورة الأعراف]

والظلم هو تجاوز الحد أو إعطاه الشخص غير حقه ، ويوضح سبحانه : أنا لم أجعل لكما حقا في أن تقربا ناحية هذه الشجرة ، فإن قربها أى منكما ، فهو قد خالف ما شرعته لكما ، «فتكونا من الظالمين» أى تدخلا في اطار من يظلمون أنفسهم لأن الله لا يظلم أحداً ، وأنت تظلم نفسك لأنك تعطى نفسك شهوة قلبلة في زمن يسير ، وبعد ذلك تأخذ عقابها عذاباً أليماً في زمن طويل وبشكل أشد. وهذا ظلم لنفسك ، كما أنه دليل على أنك غير مأمون عليها .

ويقول الحق بعد ذلك:

كلمة «وسوس» تدل على الهمس في الإغواء، ونعرف أن الذي يتكلم في خير لا يهمه أن يسمعه الناس. لكن من يتكلم في شر فيهمس خوفاً من أن يفضحه أحد، وكأن كل شر لابد أن يأتي همساً، وصاحبه يعرف أن هذا الكلام لا يصبح أن يحدث، ويستحى منه، ولا يحب أن يعرف المجتمع عنه هذا الشيء،

و و وسوس ، مأخوذة من الصوت المغرى ، لأن الوسوسة هي صوت رئين الذهب والحلى ، إذن فما قاله الشيطان لأدم وزوجه هو كلام مغرٍ ليلفتهما عن أوامر رب حكيم .

وقوله الحق: ﴿ فوسوس لهما ﴾ يعطينا حيثيات البراءة لحواء ؛ لأن الشائع أن حواء هي التي ألحت على آدم ليأكلا من الشجرة ، وكثير منا يظلم حواء على الرغم من أن القرآن يؤكد أن الوسوسة كانت لآدم وحواء معاً .

﴿ فَوَسُوسَ لَمُمَّا ٱلشَّيْطُانُ لِيبِدِي لَمُمَّا مَاوُدِي عَنْهُمَّا مِن سَوْة تِبِمًا ﴾

(من الآية ٢٠ صورة الأعراف)

وهل وسوس الشيطان لهما ليدى لهما ما وورى من سوءاتهما ، أو وسوس ليعصبا الله ؟ . لقد وسوس ليعصبا الله ، وكان يعلم أن هناك عقوبة على المعصية ، ويعلم أنهما حين يأكلان من الشيء الذي حرمه ربنا ستظهر سوءاتهما ، و و السوءة و هي ما يسوء النظر إليه ، ونطلقها على العورة ، والقطرة تستنكف أن يرى الإنسان المكتمل الإنسانية السوءة . وكأنهما في البداية لم ير أحدهما سوءة الأخر أو سوءة نفسه الأن الحق يقول : ﴿ ليبدى لهما ما وورى عنهما من سوءاتهما ﴾ .

والسوءات أربع: اثنتان للرجل واثنتان للمرأة ، فكأن كل إنسان منهما لا يرى سوءتيه ، وكذلك لايرى سوءتي الأخر ، لأن السوءات كلها لها ما يخفيها عن الرؤية ، وهذا كلام معقول جدا . ألم تقل سيدتنا أم المؤمنين عائشة ـ رضى الله عنها ـ : وما رأيت ولا رأى منى ، وفي هذا القول تتجلّى قمة الأدب لأنها لم تجئّ حتى باللفظ ، لأن العضو مادام سوءة فهو مبنى على الستر . وذلك حين حدث رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : ويا أيها الناس إنكم تحشرون إلى الله حفاة عراة غولا كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا إنا كنا فاعلين على أحد ، تعجبت السيدة عائشة فقال لها : والأمر أخطر من أن ينظر أحد إلى أحد » .

^(1) رواه البخاري ومسلم .

© €-ATO©+OO+OO+OO+OO+O

﴿ لِيَبِدِي مُمَّا مَاوُدِي عَنْهُمَّا مِن سَوْة تِهِمًا ﴾

(من الآية ٢٠ سورة الأعراف)

وبماذا وورى ؟ . لابد أن هناك لباساً كان على كل منهما ، وقال العلماء الكثير عن هذا اللباس ، فمن قائل : إن أظافر الإنسان هي بقية اللباس الذي كان موجوداً عند آدم وحواء ، وهو ما كان يواري السوءات ، ويقال : إن أي إنسان يكون في غاية الضحك والانبساط ، ويريد أن يكتم نَفْسه ، ويمنعها ويعول بينها وبين الضحك إنه يحدث له ذلك لو نظر إلى أظافره ، عندئذ لا يمكنه أن يضحك لأنها بقية لحظة الندم على كشف السوءة . وجرّبها في نفسك ، تجد نفسك قد منعت من الضحك ، وهذا من عمل الإله .

او أن الستار الذي كان يوارى السوءة هو النور الإلهى الذي كان يلفهما ، والنور الساطع جداً حين يلف لا يبين ، صحيح أنك بالنور ترى الأشياء ، لكنه إن اشتد عبنى على الأشياء فأخفاها فلا تراها ؛ لأن أى أمر إذا زاد على حدّه انقلب إلى ضده ، فإما أن يكون الثوب الأظافر ، وإما أن يكون النور الإلهى الذي كان يغشاهما ويوارى السوءة ، وقد سميت و سوءة ، و « عورة » ، لأنها تسوم ، فلماذا يسوء ؟ وما الفرق بين فتحتين : فتحة في الفم ، وفتحة في العورة ؟ .

إن فتحة العورة سوءة باعتبار ما يخرج منها . وحينما كانا يأكلان من إعداد ربنا لم يكونا ـ كما قلنا ـ في حاجة إلى إخراج فضلات ؛ لأن إعداد الله يعطى كلا منهما على القدر الكافى للحركة والفعل ، وكانت المسألة مجرد فتحات مثل بعضها . لكن حينما يخرجان عن مرادات الله في الطعام ، ويأكلان غير ما أمر الله به ، ويمارسان اختيار الطعام بدأت الفضلات في الخروج بما لها من رائحة غير مقبولة ، فهل ظهور السوءة لهما هو رمز إلى أن هناك مخالفة لمثلج الله سواء أكان ذلك في الغيم والمعنويات أم في الأمور المادية ؟ .

نعم ؛ لأن كل شيء يُخَالَف فيه منهج الله لابد أن تبدو فيه العورة ، وإن رأيت أى عورة في المجتمع فاعلم أن منهجاً من مناهج الله قد عطل . وينقل القرآن ما قاله لهما الشيطان من وسوسة :

﴿ وَقَالَ مَا نَهَنَّكُمَّا رَبُّكُمَّا عَنْ هَلِيهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلْكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَلِدِينَ ﴾

(من الآية ٢٠ سورة الأعراف)

لقد همس الشيطان وأوحى لهما بأن الحق: أراد ألا تقربا هذه الشجرة لأن من يأكل منها يصبر مُلكاً ، أو خالداً . ولم يمحص أى منهما كلمات الشيطان ليعرف أن كيده كان ضعيفاً واهياً وغبياً ؛ لأنه مادام قد عرف أن من يأكل من هذه الشجرة يصبر ملكاً أو يبقى من الخالدين فلماذا لم يخطف منها ما يجعله مُلكاً أو خالداً ؟ وفى هذا درس يبين لنا أن مَن يُزيّن له ويتصدى له أحد بالإغواء يجب عليه أن يمحص إلى أى غواية يسير ، وأن يدقق فى نتائج ما سوف يفعل .

وإذا كان الشيطان قد قال:

﴿ قَالَ أَنظِرْنِي إِلَّ يَوْمِ يُبِعَثُونَ ١٠ ﴾

(من الآية 11 سورة الأهراف)

فلماذا لم ينقذ نفسه بالأكل من هذه الشجرة وتنتهى المسألة ؟ . إذن كان ما يقوله الشيطان كذباً .

ويقول الحق بعد ذلك :

﴿ وَقَاسَمُهُمَا إِنِّ لَكُمَّا لَمِنَ ٱلنَّصِحِينَ ﴾

و قاسم ، مادة فاعل ، تأتى للمشاركة ، أى أن هناك طرفين اثنين ، كل منهما فاعل في ناحية ومفعول في ناحية أخرى ، مثل شارك زيد عمرا ، وهي تعنى أيضاً أن عمرا شارك زيدا ، وهكذا تكون مادة فاعل وتفاعل ، فكل منهما فاعل من جهة ومفعول من جهة . وفي المعنى نجد الاثنين فاعلاً ومفعولا ، إذن و قاسم ، تحتاج إلى عمليتين اثنتين . . فهل جلس إبليس يقسم لأدم ولزوجته ، وهما يقسمان ؟ . ونقول : لا ؛ لأنها تأتى مرة لغير المفاعلة ، أو للمفاعلة اللزومية ، والمفاعلة اللزومية ، والمفاعلة اللزومية ، والمفاعلة اللزومية تتضح في قوله الحق :

○ £ · A · D ○ **+ C ○ +**

﴿ وَوَاعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَثِينَ لَيْلَةً وَأَنْمُ مَنَّهَا بِعَشْرِ ﴾

(من الآية ١٤٣ سورة الأعراف)

وواعدنا ، مثلها مثل فاعل ، من الذي واعد ؟ . إنه الله الذي وعد موسى عليه السلام ، ودخل موسى في الوعد بقبوله الوعد وتوفيته به .

إذن وقاسمهما ي أي قبلا القسم ودخلا فيه .

﴿ وَقَاسَمُهُمَا إِنِّي لَكُمَّا لَمِنَ ٱلنَّامِحِينَ ١٠

(سورة الأعراف)

و و قاسم » ، أى أقسم ، ولذلك حينما عاتب ربنا سيدنا آدم أوضح سبحانه : أنا قلت إنه عدو لك ولزوجك ، ولسوف يخرجنكما من الجنة لتتعب وتشقى ، فقال آدم : يا ربى ما كنت أعتقد أن خلقاً من خلقك يقسم بك على الباطل . ولم يأت على البال أن خلقاً يقسم بالله على الباطل . وكانت هذه أول خديعة في الخلق . ولذلك نجد قتادة ـ رضى الله عنه ـ يقول : والمؤمن بالله يُخدع » .

والنبي عليه الصلاة والسلام عقد على امرأة ودخلت به ، ومن كيد النساء وهن زوجات للنبي صلى الله عليه وسلم وقد خفن أن يشغف بها حبًا ، فقلن لها : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يحب هذه الكلمة ، فإذا دخل عليك فقوليها ! ، قولى : وأعوذ بالله منك ، ولحظة أن دخل عليها سيدنا رسول الله ، قالت له : وأعوذ بالله منك ، فقال لها : استعذت بمعاذ . ولم يقربها الرسول ، وهذا ما يشرح لنا كيف يُخدع المؤمن بالله . وها هو ذا سيدنا عبدالله بن عمر كان يعتق من العبيد من يحسن الصلاة ويتقنها ويؤديها في مواعدها ، ويقف فيها خاشعاً ، وحين عرف العبيد ذلك احترفوا إقامة الصلاة أمام المكان الذي يجلس فيه وكانوا يؤدونها بخشوع ، وكان رضى الله عنه يعتقهم ، وذهب له من يقول : إن العبيد يخدعونك ، فيقول : من خدعنا بالله ، انخدعنا له .

والنصح هنا: إغراء بمخالفة أمر الله ، وكان يجب ألا تكون هناك غفلة من آدم ، وكان لابد أن يقارن بين الأمرين ، بين غواية الشيطان له بالأكل ، وبين أمر الحق سبحانه الذي قال له ولزوجه: لا تقربا . لكنه لم يفعل .

﴿ فَدَلَّنَهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّاذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَحُمَا سَوْءَ ثَهُمَا وَطَفِقًا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَامِن وَرَقِ ٱلجُنَّةِ مَوْءَ ثَهُمَا وَطَفِقًا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَامِن وَرَقِ ٱلجُنَّةِ وَنَادَنَهُمَا وَثَهُمَا ٱلْذَا أَلَمْ أَنْهَاكُما عَن يَلْكُما ٱلشَّجَرَةِ وَنَادَنَهُمَا وَثَهُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُلُ لَكُما عَن يَلْكُما ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُلُ لَكُما الشَّجَرَةِ وَأَقُلُ لَكُما عَدُولُهُمِينٌ ﴿ الشَّيْطِلِنَ لَكُما عَدُولُهُمِينٌ ﴿ الشَّيْطِلِنَ لَكُما عَدُولُهُمِينٌ ﴿ الشَّيْطِلِنَ لَكُما عَدُولُهُمِينٌ ﴿ السَّعَالَ السَّعَالَ السَّعَالَ السَّعَلَ السَّعَلَ اللَّهُ السَّعَلَ اللَّهُ الْمُلْلِ اللَّهُ اللْهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللللَّهُ اللْمُلْعُلِمُ اللَّهُ الل

﴿ فدلاهما بغرور ﴾ أى فأنزلهما من رئبة الطاعة إلى درك المعصية والذنب مما غرهما به وخدعهما من القسم. و دلا ، مأخوذة من دلّى رجليه فى البئر كى يرى إن كان فيه ماء أم لا ، أو دلّى حبل الدلو لينزله فى البئر ، ومعناها : أنه يفعل الشىء مرة فمرة ، و و بغرور ، أى بإغراء لكى يوقعهما فى المخالفة ، فأظهر لهما النصح وأبطن لهما الغش .

وهنا وقفة تدل على الاصطراع بين الحق والباطل في النفس، ﴿ فلما ذاقا الشجرة ﴾ هذا يدل على أنهما بمجرد المذاق تذكرا أن النزغ من إبليس جعلهما يذهبان إلى الشجرة . وأن ما أخذاه فقط كان مجرد المذاق ، فتنبه كلاهما إلى جسامة الأمر .

﴿ فَكُنَّا ذَاقًا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ خَسُمًا سَوْةَ الْتُهُمَّا وَطَفِقًا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمًا مِن وَرَقِ ٱلجَنَّةِ ﴾ (من الآية ٢٢ سررة الأعراف)

و و الخصف » أى تأتى بشىء وثلزقه على شىء لتدارى شيئاً . وقديماً حينماً كان يبلى نعل الحذاء ، ويظهر به خرق فالإسكافي يضع عليه رقعة من الجلد تكون أوسع من الخرق حتى تتمكن منه .

وهكذا فعل آدم وحواء ؛ أخذا من ورق الجنة ووضعا ورقة على ورقة ليداريا السوءة . وقوله الحق:﴿ وطفقا ﴾ يعني وجعلا من ورق الشجر غطاء للسوءات .

وهنا يقول الحق:

﴿ وَنَادَنَهُمَا رَبُّهُمَا أَلَّهُ أَنْهُمُ عَن يِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيطَانَ لَكُمَّا

روڙ ۽ ه کي عدو ميين کي

(من الآية ٢٢ سورة الأعراف)

لقد كان التكليف هنا في أمر واحد ، والإباحة في أمور متعددة ، وسبحانه لم يكلفهما إلا بأمر واحد هو عدم الاقتراب من الشجرة ، والمباح كان كثيراً ؟ لذلك لم يكن من اللائق أن يتوها عن التكليف . ولم يكن هذا التكليف بالواسطة ولكن كان بالمباشرة ، ولذلك سينفعنا هذا الموقف في الفهم في لقطة للقصة في سورة غير هذه وهو قوله الحق :

﴿ وَعَمَىٰ عَادَمُ رَبِّهُ مُغَوِّئ ﴾

(من الآية ١٢١ سورة طه)

ولم يأت الحق هنا بسيرة المعصية ، وقال لهما :

﴿ أَنَّ أَنْهَكُمَّا عَن يَلْكُمَّا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَّا إِنَّ ٱلشَّيْطَانَ لَـكُمَّا عَدُو مُبِينٌ ﴾

(من الآية ٢٢ سورة الأعراف)

وسبحانه لا يجرم إلا ينص ، وسبق أن قال سبحانه : ﴿ ولا تقربا هذه الشجرة ﴾ وأوضح : أن هناك عنصراً إغوائياً هو إبليس وعداوته مسبقة في أنه امتنع عن السجود ، وقد طرده الحق لهذا السبب . إذن إنْ آخذهما وعاقبهما الله بهذا الذنب فهو العادل ، وهما اللذان ظلما أنفسهما . وكان لابد أن يكون الجواب : نعم يارب نهيتنا ، وقلت لنا ذلك ، وهذا إيراد للحكم بأقوى الأدلة عليه ؛ لأن الحكم قد يأتي بالإخبار ، وقد يأتي بالاستفهام بالإيجاب ، ويكون أقوى لو جاء بالاستفهام بالنفي .

﴿ إِنَّ الشَّيْطُانَ لَكُمَّا عَدُو مُبِينٌ ﴾

(من الآية ٢٢ سورة الأعراف)

WE YIM

ونحن نعلم أن العدو هو الخصم الذي يريد إلحساق الضرر والإيذاء بك، وهمبين أى محيط، وهذا دليل يظهر عدواة الشيطان وإحاطتها؛ لأنه قد سبق أن أرضح أنه سيأتي من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم. أو بين العداوة وشديد الخصومة.

ويأتى الإقرار بالذنب من أدم وحواء :

﴿ قَالَارَبَّنَاظَلَمُنَا آَنفُسَنَا وَإِن لَرَتَغَفِرُكَا وَتَرْحَمُنَا اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّ

وتلك هي الكلمات التي قال الله عنها في سياق آخر:

﴿ فَتَلَقَّىٰ آدُمُ مِن رَّبِّهِ كَلِّمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التُّوَّابُ الرَّحِيمُ ٢٣ ﴾ [سورة البنرة]

فكأن الحق سبحانه وتعالى قدَّر غفلة خلقه عن المنهج؛ فشرَّع لهم وسائل التوبة إليه، ووسائل التوبة ثلاث مراحل: تشريعها رحمة، ثم الإقبال عليها من المذنب اعترافا وإنابة، وقبولها منه سبحانه رحمة، فالتشريع يطلب منك أن تفعل ، وحين تتوب يتوب الله عليك.

تشريع التوبة . إذن . رحمة ، لا بالمذنب فقط ، بل وبغيره أيضاً ؛ لأن الله لو لم يشرع التوبة ، كان الذي يعمل معصية ، ولايجد مغفرة ، يستشرى في المعاصى ، وإذا استشرى في المعاصى تعب المجتمع كله .

﴿ قَالَا رَبُّنَا ظُلُمْنَا أَنفُسْنَا وَإِن لُمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنكُونَنَّ مِنَ الْخُلْسِرِينَ (17 ﴾ [سورة الأعراف]

وهذا هو الموقف بعد الذنب من آدم وزوجته، وهو يختلف عن موقف إبليس بعد الذنب؛ فإبليس أراد أن يبرر المخالفة:

﴿ قَالَ وَأَنْهِدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴾

(من الآية ٦١ سورة الإسراء)

فماذا قال آدم وحواء ؟ :

﴿ رَبُّنَا ظُلَمْنَا أَنفُسُنَا وَإِن إِلَّهُ تَغَفِّر لَنَا وَرَجَّنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخُلْسِرِينَ ﴾

(من الآية ٢٣ سورة الأعراف)

ولذلك كان جزاء إبليس _ وهو المتأبى على أوامر الله وحكمه _ أن يطرد من رحمته . وجزاء المعترف بأنه أذنب ، وأنه ظلم نفسه أن تقبل تربته . إذن لا يصح للناس الذين يقيمون على معصية أن يقول الواحد منهم : « هذه هى ظروفى » ، ويبرر ويحلل ما يفعله من المعاصى ، بل على الواحد منهم ألا يطرد نفسه بنفسه من منطقة الرحمة ، وعليه أن يقول : « ما أفعله حرام ، لكن لا أقدر على نفسى » ويذلك لا يكون قد رد الحكم ، بل اتهم نفسه بالتقصير واعترف بالذنب ، فصار أهلا للمغفرة وأهلا للتوبة .

وهنا نسأل : ما الفرق بين معصية إبليس ومعصية آدم ؟ . ونقول : إبليس عصى وجاء بحيثية رفض الأمر ، لكن آدم عصى وأقر بالذنب وطلب المغفرة .

وحين قال آدم وزوجته حواء : ﴿ رَبُّنَا ظُلَمْنَا أَنْفُسْنَا ﴾ معاً وَفَى نَفُس واحد ، ونغمة حزينة نادمة ، ألا يدل ذلك على أنهما قد تعلماها ؟ . إن كلا منهما لو اعتلر لله بمفرده لاختلفا في أسلوب الاعتذار ،

وهذا دليل على أنها ملقنة ، ولهذا قال ربنا -

﴿ فَعَلَقَ عَادُمُ مِن رَبِهِ مَكَلِيْتِ فَعَابَ عَلَيْهِ ﴾

(من الآية ٣٧ سورة البقرة)

وهما قد قالا: ﴿ رَبُّنَا ظُلَمْنَا أَنفُسْنَا ﴾ ، وأنفسنا جمع نَفْس ، ولم يقولا و نفسينا » ، بل قالا ﴿ أنفسنا ﴾ أى أن قلبيهما أيضاً قد صفياً وخلصا من أثر تلك المعصية ، وأن ذلك مطمور وداخل في نفوس ذريتهما .

المُؤَالِلْ الْحَلَّى بعد ذلك :

ونلتفت لنجد أن هناك أمراً قد مبق لإبليس بالهبوط ، وهنا أمر آخر بالهبوط ، وبالله لو كانت جنة الخلود هي محل إقامتهما ، وآدم مخلوق لها ثم عصى ثم تاب لما خرجا منها أبداً . لكنه سبحانه أمر آدم بأن يهبط إلى الأرض التي جعله خليفة فيها ، ليباشر مهمة الخلافة في إطار التجربة التي وقعت له ، وعليه أن يحترم أمر الله في كل تكليف ، وليحذر عداوة الشيطان فإنه سيوسوس له . وقد جرب ذلك بنفسه ، فلينزل مزوداً بالتجربة ، وليس له عذر من بعد ذلك . ﴿ قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو ﴾ .

والأمر هنا للجماعة ؛ ولم يقل لهما اهبطا . وفي آية ثانية قال :

﴿ قَالَ ٱمْبِطَا مِنْهَا جَمِيمًا ﴾

(من الأية ١٢٣ سورة عله)

وذلك لنعرف أن ورود القصة في أماكن متعددة جاء لتعطى لقطات كثيرة . والأمر هنا جاء بقوله : ﴿ اهبطوا ﴾ لأن الهبوط اشترك فيه الثلاثة ؛ آدم وحواء ، وإبليس . والعداوة مسبقة ولا ندعيها . العداوة بين طرفين ؛ اثنان في طرف هما آدم وحواء ، وواحد في طرف هو إبليس . ويريد الحق لنا بيان الحقائق وأن المتكلم إله ، إنَّ كل حرف عنده بميزان ؛ ولذلك نجده سبحاته يقول لنا :

﴿ أَفَلًا يَتَدَبُّونَ ٱلْفُرْةَانَ ﴾

(من الأية ٨٢ سورة النساء)

أى إياك أن تأخذ واجهة النص ، ولكن ابحث في خلفيات النص ، ولا تأخذ واجهة اللفظ ، بل انظر إلى ما وراء الألفاظ .

﴿ قَ لَ آمْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضِ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرُّ وَمَنْكُم إِلَّا حِينٍ ١٠٠٠

(سورة الأعراف)

وكسة وعدو و تعنى وجود صراع ، ومعارك سوف تقوم بين أولاد آدم بعضهم مع بعض ، أو تقع العداوة بينهم وبين أعدائهم من سكان الأرض من جن وغيرهم ، لكنها لمدة محدودة ، ولذلك قال : ﴿ ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين أيه .

اى أن لكم استقراراً في الأرض ومتاعاً إلى حين . وصراع صاحب الحق في الحق يجب أن يأخذه على أنه معركة بلا جزاء ، لا يأخذه على أنه معركة بلا جزاء ، لا ، فأنت تجاهد وتأخذ جزاء كبيراً على الجهاد وهذا متاع .

ويقول الحق بعد ذلك:

﴿ قَالَ فِيهَا تَعْيُونَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُغُرَجُونَ ١ الله

كأنه قال:﴿ ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين ﴾ فأحب أن يعطينا الصور لرحلة الحياة ، ويرسم لنا علاقتنا بالأرض التي قال فيها :

﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيْفَةً ﴾

(من الآية ٣٠ سورة البقرة)

فقد ربطنا بالأرض. إيجاداً من طينها ، ومتعة بما فيها من ميزات ، وخيرات وثمرات ، ثم نموت لنعود لها ونبعث من بعد ذلك . فالإنسان منا من الأرض ، منها يحيا وفيها يموت ، ويذهب إلى أصله ومرجعه ، إلى الأم الأرض ، فهى تكفته وتضمه وتأخذه في حضنها فهى الحانية عليه وبخاصة في وقت ضعفه . وساعة ما يكون الإنسان في حالته الطيبة ، وله أخ حالته عكس ذلك فإن قلب الأم إنما يكون مع الضعيف ، ومع المريض ، ومع الصغير .

والأرض هي التي تأخذ كل البشر ، تأخذ الإنسان وتمص منه الأذي ، وتداري

明到原

00+00+00+00+00+0

رائحته ، أمّا أحبابه في الدنيا وإخوانه ، فقد سارعوا بمواراته التراب تفادياً لرحلة التحلل . وبمجرد أن يموت الإنسان ، أول ما يُنسى هو اسمه ؛ فيقولون : «أين الجشتة» ، ولا يقولون : «أين فلان» . وبعد الكفن يوضع الجشمان في النعش ، ليوارى في التراب ويدمدم اللحاد عليه برجليه .

وينتقل الحق بعد ذلك بالخطاب إلى أبناه آدم فيقول :

﴿ يَبَنِي ءَادَمَ قَدْ أَنَرَلْنَا عَلَيْكُولِاسًا يُوَرِى سَوْءَ تِكُمْ وَرِدِشًا وَلِبَاسُ النَّقُوى ذَالِكَ خَيْرٌ ذَالِكَ مِنْ ءَايَنتِ اللّهِ لَعَلَهُمْ يَذَكُرُونَ ﴿ اللّهِ اللهُ اللهُ اللّهُ اللهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ الللللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ اللّهُ اللللّهُ الللّهُ الللّهُ اللللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ ا

وكلمة ﴿ يَا بَنِي آدَم ﴾ لفت إلى أن تتذكروا ماضى أبيكم مع عدوكم الحبين ، إبليس ، أنتم أولاد آدم ، والشيطان موجود ، فانتبهوا . لقد أنزل الحق عليكم لباسا يوارى سوءاتكم ؛ لأن أول مخالفة حدثت كشفت السوءة ، والإنزال يقتضى جهة علو لنفهم أن كل خير في الأرض يهبط مدده من السماء ، وسبحانه هو من أنزل اللباس لأنه هو الذي أنزل المطر ، والمطر روى بذور النبات فخرجت النباتات التي غزلناها فصارت ملابس ، وكأنك لو نسبت كل خير لوجدته هابطا من السماء . ولذلك يمثن الحق سبحانه وتعالى على عباده فيقول :

﴿ وَأَنزَلَ لَكُم مِنَ الْأَنْعُسِمِ ثُمَسْنِيَةً أُزْزَجِ . . (1) ﴾

نعم هو الذي أنزل من الأنعام أيضاً لأن السببية في النبات من مرحلة أولى ، والسببية في الحيوان من مرحلة ثانية ، فهو الذي جعل النبات يخرج من الأرض ليتغذى عليه الحيوان ، ويقول سبحانه أيضاً :

WENTER!

O!-\TOO+OO+OO+OO+OO+O

﴿ لَقَدُ أَرْمَنْكَا رَمُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَآنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكَتَابِ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنشَفِعُ لِلنَّاسِ . . (٣٠) ﴾ [سررة الحديد]

نعم فسبحانه هو من أنزل الحديد أيضاً ؛ لأننا نأخذه من الأرض التي خلقها الله ، وهذا دليل على أن التنزيلات إنما أراد الله أن يحمى بها كل منهج .

﴿ يَسْبَنِي آدَمَ قُدْ أَنزُكَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُؤْرِي سُواءَتِكُمْ . . (السورة الأعراف]

فإذا كنا قد أنزلنا اللباس الذي يواري سوءات الحس وسوءات المادة ، كذلك أنزلنا اللباس الذي يواري سوءات القيم . فكلما أنكم تحسون وتدركون أن اللباس المادي يداري ويواري السوءة المادية الحسية فيجب أن تعلموا أيضاً أن اللباس الذي ينزله الله من القيم إنما يواري ويستر به سوءاتكم المعنوية . ولباس الحياة المادية لم يقف عند موارة السوءات فقط ، بل تعدى ذلك إلى ترف الحياة أيضاً . لذلك قال الحق :

﴿ . . قَدْ أَنزِلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُزَرِى سَوْءَ تِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقُوَىٰ ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَتِتِ اللهِ لَمُلَّهُمْ يَذَكُرُونَ ﴿ ٢٠ ﴾

والريش كساه الطير ، وقديماً كانوا يأخذون ريش الطير ليزينوا به الملابس . وكانوا يضعون الريش على التيجان ، وأخذ العوام هده الكلمة وقالوا : فلان مريش أى لا يملك مقومات الحياة فقط ، بل عنده ترف الحياة أيضاً ، فكأن هذا القول الكريم قد جاء بمشروعية الترف شريطة أن يكون ذلك في حل . وقيل أن يلفتنا الحق سبحانه وتعالى إلى مقومات الحياة لفتنا إلى الجمال في الحياة ، فقال سبحانه :

﴿ وَالْخَيْلُ وَالْبِغَالُ وَالْحَمِيرَ لِتُرْكَبُوهَا وَزِينَةً .. ۞ ﴾

[سورة النحل]

WENDS:

GC+GC+CC+CC+CC+C!-1!C

والركوب لتجنب المشقة ، والزينة من أجل الجَمَّال .

وكذلك يقول الحق سبحانه:

(من الآية ٢٢ سورة الأعراف)

بل سبحاته طلب زينتنا في اللقاء له في بيته فيقول:

(من الآية ٢١ صورة الأهراف)

إذن فهذا أمر بالزينة ، وهنا في الآية التي نحن بصدد خواطرنا عنها يقول سبحانه ؛

(من الآية ٢٦ سورة الأعراف)

نعم إن لباس التقوى خير من ذلك كله ؛ لأن اللباس المادى يستر العورة المادية ، وقصاراه أن يكون فيه مواراة وستر لفضوح الدنيا ، لكن لباس التقوى يوارى عنا فضوح الأخرة .

أو لباس التقوى هو الذى تتقون به أهوال الحروب ؛ إنّه خير من لباس الزينة والرياش لأنكم تحمون به أنفسكم من القتل ، أو ذلك اللباس لباس التقوى ـ خير من اللباس المادى وهو من آيات الله ، أى من عجائبه ، وهو من الأشياء اللافتة ؛ فالإنسان منكم مكون من مادة لها احتياجات مادية وعورات مادية ، وهناك أمور قيمية لا تنتظم الحياة إلا بها ، وقد أعطاك الحق مقومات الحياة المادية ، وزينة الحياة المادية ، وأعطاك ما تحيا به فى السلم والحرب ، ومنهج التقوى مجفق لك كل هذه المزايا . فخذ الأيات مما تعلم ومما تحس لتستنبط منها ما يغيب عنك مما لا تحس .

قبل أن يطلب منا سبحانه ألا نفتنن بالشيطان ، أوضح أنه قد رتب لنا كل مقومات الحياة ، وعلينا أن نتذكر موقف الشيطان ، من أبينا آدم وإغواءه له .

والفتنة في الأصل هي الاختبار ، وتُطلق ـ أحياناً ـ على الأثر السبئ حيث تكون أشد من الفتل ، لكن هل يسقط الإنسان في كل فتنة ؟ لا ؛ لأن الفتنة هي الاختبار ، وفي الاختبار إما أن ينجع الإنسان ، وإمّا أن يرسب ، فإن نجع أعطته الفتنة خيراً وإن رسب تعطه شراً .

وبعد أن ذكر الحق سبحانه وتعالى قصة خلق آدم ، وأعلمنا أنه خلقه للخلافة في الأرض ، وأن موضوع الجنة هو حلقة مقدمة لتلقى الخلافة ؛ لأنه إذا ما أصبح خليفة في الأرض ؛ فلله منهج يحكمه في كل حركاته ، ومادام له منهج يحكمه في كل حركاته فوحمة به لم ينزله الله للأرض ابتداءً ليتلقى المنهج بدون تدريب واقعى على المنهج ، فجعل الجنة مرحلة من مراحل ما قبل الاستخلاف في الأرض ، وحدره من الشيطان الذي أبي أن يسجد له ، وأراد منه أن يأخذ التجربة في التكليف . وكل تكليف محصور في و افعل كذا ء و ولا تفعل كذا ء و لذلك شاء الله أن يجعل له في الجنة فترة تدريب على المهمة ؛ لينزل إلى الأرض مباشراً مهمة الخلافة بعد أن زود بالتجربة الفعلية الواقعية ، وأوضح له : أن كُلُ مِنْ كُل ما في الجنة ، ولكن لا تقرب هذه الشجرة . و ﴿ كُلُ ﴾ أمْر ، و ﴿ لا تقرب ﴾ ما في الجنة ، ولكن لا تقرب هذه الشجرة . و ﴿ كُلُ ﴾ أمْر ، و ﴿ لا تقرب ﴾ ما في الجنة ، وكل تكليف شرعى هو بين و لا تفعل ، وبين و افعل » .

071.3040040040040040040

وبعد ذلك حذره من الشيطان الذي يضع ويجعل له العقبات في تنفيذ منهج الله ، فلما قرب آدم وحواء الشجرة وأكلا منها ؛ خالفا أمر الله في فولا تقربا كه ، وأراد الله أن يبين لهما بالتجربة الواقعية أن مخالفة أمر الله لابد أن ينشأ عنها عورة تظهر في الحياة ، فبدت له ولزوجته سوءاتهما ، فلما بدت لهما سوءاتهما علم كل منهما أن مخالفة أمر الله تُظهر عورات الأرض وعورات المجتمع ، فأمره الله : أن المبط إلى الأرض مزوداً بهذه التجربة .

ولما هبط آدم وزوجه إلى الأرض أرسل إليه منهج السماء بعد التجربة ، وأراد أن يبين لنا أنه عصى أمر ربه في قوله : ﴿ ولا تقربا ﴾ ، وتلقى من ربه كلمات فتاب عليه ، وأراد سبحانه أن يبين لنا أن آدم يتمثل فيه أنه بشر يصيب ويخطئ ، وتدركه الغفلة ، وقد يخالف منهج الله في شيء ، ثم يستيقظ من غفلته فيتوب ، وبعد أن كلفه أن يبلغ رسالة الله وصار نبيًا ؛ جاءت له العصمة فلا يغفل ولا ينسى في تبليغ الرسالة .

ولذلك يجب أن نفطن إلى النص القرآئي :

﴿ وَعَمَى عَادَمُ وَيَهُمْ فَعُوى ﴾

(من الآية ١٢١ صورة طه)

إنَّ هذه طبيعة البشر أن يعصى ثم يتوب إن أراد التوبة ، ولابد أن نفطن أيضاً إلى قوله الحق : ﴿ ثم اجتباء ربه ﴾ .

إذن فالاصطفاء جاء بعد المعصية ، لأن عصيانه كان أمراً طبيعيًا لأنه بشر ، يخطئ ويصيب ، ويسهو ويغفل . ولكن بعد أن خرج من الجنة اجتباء الله ليكون نبيًا ورسولاً فالعصمة تأتى له :

﴿ ثُمَّ اجْنَبُهُ رَبُّهُ فَنَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ١٠٠٠ ﴿

(سورة طه)

إذن لا يصبح لنا أن نقول : كيف يعصى آدم وهو نبي ؟! نقول : تنبه إلى أن

WAY TO

O1-1/00+00+00+00+00+0

النبوة لم تأته الا بعد أن عصى وتاب ؛ فهو يمثل مرحلة البشرية لأنه أبو البشرية كلها ، والبشرية منقسمة إلى قسمين : بشر مبلغون عن الله ، وأنبياء يبلغون عن الله ، فله في البشرية أنه عصى ، وله في النبوة أن ربه قد اجتباه فتاب عليه وهداه . والذين يقولون : إن آدم كان مخلوقاً للجنة ، نقول لهم : لا . افهموا عن الله ، لأنه يقول : ﴿ إِنّي جاعل في الأرض خليفة ﴾ .

إن أمر الجنة كان مرحلة من المراحل التي سبقت الخلافة في الأرض، انها كانت تدريباً على المهمة التي سيقوم بها في الأرض، والا فلو أن آدم قد خلقه الله للجنة وأن المعصية أخرجته، الا أن الله قد قبل منه توبته، ومادام قبل توبته فكان يجب أن يبقيه في الجنة، ومن هنا نقول ونؤكد أن الجنة كانت مرحلة من المراحل التي سبقت المخلافة في الأرض. وبعد ذلك يريد الحق سبحانه وتعالى أن يخلع علينا التجربة لآدم حتى نتعظ بها، وأن نعرف عداوة الشيطان لنا، وألا نقع في الفتنة كما وقع آدم.

﴿ يَكْ بَنِي آدَمَ لا يَفْتِننَكُمُ الشَّيْطَانُ كُمَا أَخْرَجَ أَبُونِكُم مِنَ الْجَنَّةِ بِنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِمُعَالِّمُ لَهُمَا لِبَاسَهُمَا لِبَاسَهُمَا لِبَاسَهُمَا لِبَاسَهُمَا لِبَاسَهُمَا لِبَاسَهُمَا لِبَاسَهُمَا لِبَاسَهُمَا لِمُعْلَقُهُمْ لِمُعْلَى لَعْلَالِهُ لَعْلَى لَعْلَمْ لِمَالِهُ لَلْمُعْلِمُ لَلْمُعْلِمُ لَعْلَالِهُ لَعْلَالُهُ لَعْلَالُهُ لَعْلَالِهُ لَعْلَالِهُ لِمُعْلَمُ لَا لَهُ لِمُعْلَمُ لَلْمُ لَلْمُ لَالْمُ لِمَالِهُ لِكُولِهُ لَلْعَلَالِهُ لِمُعْلَمُهُ لَعْلَالِهُ لِلْمُ لِلْمُ لِلْمُ لِلْمُ لِلْمِ لِلْمُ لِلْمُ لِعْلِيلِهُ لِمُ لِللْمِلْمُ لِلْمُ لِلْمُ لِلْمُ لِمِنْ لِلْمُ لِعْلِهُ لِلْمُ لِمِنْ لِلْمُ لِمِنْ لِلْمِلْمُ لِلْمُ لِمِنْ لِلْمِلْمُ لِلْمُ لِمِنْ لِلْمُ لِمِنْ لِلْمُ لِمِنْ لِلْمُ لِمِنْ لْمِلْمُ لِلْمُ لِمِنْ لِلْمُ لِمِنْ لِلْمُلْمِلِمُ لِلْمُ لِمِنْ لِمُعْلِمُ لِلْمُ لِمِنْ لِلْمُلْمِلِمُ لِمِنْ لِمِنْ لِلْمِنْ لِمِنْ لِمِنْ لِمُعْلِمُ لِمُعْلِمُ لِمِنْ لِمِنْ لِمِنْ لِمِنْ لِمُنْ لِمِنْ لِمِنْ لِمُعْلِمُ لِمِنْ لِمِنْ لِمِنْ لِمُنْ لِمِنْ لِمُنْ لِمِنْ لِمِنْ لِمِنْ لِمُعْلِمُ لِمِنْ لِمِنْ لِمِنْ لِمِنْ لِمِنْ لِمِنْ لِمِنْ لِمِنْ لِمِنْ لِمُنْ لِمِنْ لِمِنْ لِمِنْ لِمِنْ لِمِنْ لِمِنْ لِمِنْ لِمِنْ لِمِنْ لِمُعْلِمُ لِمُ

وهذا نهى لبنى آدم وليس نهيا للشيطان ، وهذا في مُكنة الإنسان أن يفعل أو لا يفعل ، فسبحانه لا ينهى الإنسان عن شيء ليس في مكنته ، بل ينهاه عما في مكنته ، والشيطان قد أقسم أن يفتنه وسيفعل ذلك لأنه أقسم وقال : ﴿ فبعزتك لأغوينهم أجمعين ﴾ . فإياكم أن تنخدعوا بفتنة الشيطان ؛ لأن أمره مع أبيكم واضح ، ويجب أن تنسحب تجربته مع أبيكم عليكم فلا يفتننكم كما أخرج أبويكم من الجنة ، ويتساءل البعض : لماذا لم يقل الله : لا يفتننكم الشيطان كما فت أبويكم ، وقال : «لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم هذا هو السمو والافتنان الراقي في الأداء البياني للقرآن .

وإن هذا تحذير من فتنة الشيطان حتى لا يخرجنا من جنة التكليف. دحا فتن أبوينا فأخرجهما من جنة التجربة. ويقال عن هذا الأسلوب إنه أسلوب احتباك،

WENT TO

@@#@@#@@#@@#@@#@

وهو أن تجعل الكلام شطرين وتحذف من كل منهما نظير ما أثبت في الآخر قصد الاختصار. وهذا هو الأسلوب الذي يؤدي المعنى بمنتهى الإيجاز ؟ لينبه ذهن السامع لكلام الله . فيلتقط من الأداء حكمة الأداء وإيجاز الأداء ، وعدم الفضول في الأساليب.

﴿ لا يَفْتِنْنَكُمُ الشَّيْطُ مَنْ كُمَا أَخْرَجَ أَبُويْكُم مِنَ الْجُنَّةِ . . (📆 ﴾ [سورة الأعراف]

والفتنة - كما علمنا - هى فى الأصل الاختبار حتى ننقى الشيء من الشوائب التى تختلط به ، فإذا كانت الشوائب فى ذهب فنحن نعلم أن الذهب مسخلوط بنحاس أو بمعدن آخر ، وحين نريد أن نأخذ الذهب خالصاً نفتنه على النار حتى ينفض ويزيل عنه ما علق به . كذلك الفتنة بالنسبة للناس ، إنها تأتى اختباراً للإنسان لينقى نفسه من شوائب هذه المسألة ، وليتذكر ما صنع إبليس بأدم وحواء . فإذا ما جاء ليفتنك فإينك أن تفتن ؛ لأن الفتنة ستضرك كما سبق أن الحقت الضرر بأبيك آدم وأمك حواء . والشيطان هو المنصرد على منهج الله من الجن ، والجن جنس منه المؤمن ومنه الكافر . فقد قال الحق سبحانه :

﴿ وَأَنَّا مِنَّا الصَّلْـلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ . . (١٠) ﴾

والشيطان المتمرد من هذا الجنس على منهج الله ليس واحداً ، واقرأ قول الحق سبحانه :

﴿ أَفَتَتَخِذُونَهُ وَذُرِيَتُهُ أَوْلِيَاءَ مِن دُرنِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُولٌ . . (﴿) ﴾ [سورة الكهف] وهنا يقول الحق سبحاته :

﴿ إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُو وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لا تَرُولُهُمْ . . ﴿ ﴿ إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُو وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لا تَرُولُهُمْ . . ﴿ ﴿ إِنَّهُ يَرَاكُمُ هُو وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لا تَرُولُهُمْ . . ﴿ ﴿ إِنَّهُ لَا تُرُولُهُمْ اللَّهُ اللّهُ اللَّهُ اللَّاللَّهُ اللَّهُ اللَّ

و اقبيله ا هم جنوده وذريته الذين ينشرهم في الكون ليحقق قَسَمَه :

© (-11 **□ □ + □ + □ □ +**

﴿ قَالَ فَبِعِزْ تِكَ لَا غُوِينَهُم أَجْمَعِينَ ١٠٥

(سورة ص)

إذن ففتنة الشيطان إنما جاءت لتخرج خلق الله عن منهج الله ، وحينما عصى إبليس ربّه عزّ عليه ذلك ، فبعد أن كان في قمة الطاعة صار عاصيًا لأمر الله معصية أدّته وأوصلته إلى الكفر ؛ لأنه ردّ الحكم على الله . إن ذلك قد أوغر صدره واحنقه ، وجمله يوغل ويسرف في عداوة الإنسان لأنه عرف أن طرده ولعنه كان بسبب آدم وذريته .

و إنه يرنكر هو وقيبله من حيث لا ترونهم

(من الآية ٢٧ سورة الأعراف)

وهذا يدل على أن المراد ذرية الشيطان ، فلوكان المراد شياطين الإنس معهم لما قال : ﴿ إِنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم ﴾ .

وعلى ذلك فهذه الآية خاصة بالذرية ، ويعلمنا الحق سبحانه وتعالى أن نتنبه إلى أن الشيطان لن يكتفى بنفسه ولن يكتفى بالذرية بل سيزين لقوم من البشر أن يكونوا شياطين الإنس كما وُجد شياطين الجن ، وهم من قال فيهم سبحانه :

﴿ وَكَذَالِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِي عَدُوا شَبَاطِينَ الْإِنسِ وَالِّقِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضِ وَوَكَذَالِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِي عَدُوا شَبَاطِينَ الْإِنسِ وَالِّقِنِ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضِ وَوَا لَكُودُوا ﴾ وَنُعُرُونَ الْقُولِ غُرُورًا ﴾

(من الآية ١١٢ سورة الأنعام)

وكلمة و زخرف القول على تعنى الاستمالة التى تجعل الإنسان يرتكب المعصية وينفعل لها ، ويتأثر بزخارف القول . وكل معصية في الكون هكذا تبدأ من زخرف القول ، فللباطل دعاته ، ومروجوه ، ومعلنوه ، إنهم يزينون للإنسان بعض شهواته التى تصرفه عن منهج الله ، وثلاحظ أن أعداء الله ، وأعداء منهج الله يترصدون مواسم الإيمان في البشر ، فإذا ما جاء موسم الإيمان خاف أعداء الله أن يمر الموسم تاركاً هبة إيمان في نفوس الناس ، فيحاولوا أن يكتلوا جهودهم حتى يحرموا الناس نفحة الموسم فقد حققوا

CHENTE STATE

00+00+00+00+00+01-0

غرضهم في العداوة للإسلام . ﴿ إنه يراكم هو وقبيله ﴾ .

إن الشيطان يراكم أيها المكلفون هو وقبيله . والقبيل تدل على جماعة أقلها ثلاثة من أجناس مختلفة أو جماعة ينتسبون إلى أب وأم واحدة . واختلف العلماء حول المراد من هذا القول الكريم ؛ فقال قوم : ﴿ إنهم جنوده وذريته ﴾ . ويقصدون جنوده من البشر ، ولم يلتفتوا إلى قول الحق؛ ﴿ من حيث لا ترونهم ﴾ فلابد أن يكون المراد بالقبيل هنا الذرية ؛ لأننا نرى البشر ، وفي قوله الحق تغليظ لشدة المحذر والتنبه ؛ لأن العدو الذي تراه تستطيع أن تدفع ضرره ، ولكن العدو الذي يراك ولا تراه عداوته شديلة وكيده أشد ، والجن يرانا ولا نراه ، وبعض من العلماء علل ذلك لأننا مخلوقون من طين وهو كثيف ، وهم مخلوقون من نار وهي شفيفة .

فالشفيف يستطيع أن يؤثر في الكثيف ، بدليل أننا نحس حرارة النار وبيننا وبينها جدار ، ولكن الكثيف لا يستطيع أن يؤثر في الشفيف ولا ينفذ منه . إذن فنغوذ الجن وشفافيته أكثر من شفافية الإنسان ، ولذلك أخذ خفة حركته . ونحن لا نراه .

إذن معنى ذلك أن الشيطان لا يُرى ، ولكن إذا كان ثبت في الأثار الصحيحة أن الشيطان قد رُئى وهو من نار ، والملائكة من نور ، والاثنان كل منهما جنس خفى مستور ، وقد تشكل الملك بهيئة إنسان ، وجاء لرصول الله وقال لنا صلى الله عليه وسلم : وهذا جبريل جاء ليعلم الناس دينهم و(١).

وعلى ذلك رأى السابقون المعاصرون لرسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل لا على صورة ملائكيّته ، ولكن على صورة تتسق مع جنس البشر ، فيتمثل لهم مادة .

وقد ثبت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى الشيطان وقال : و إن عفريتا من الجن جعل يفتك على البارحة ليقطع على الصلاة ، وإن الله أمكنني منه فَذَعَتُهُ فلقد هممت أن أربطه إلى 'جنب سارية من سوارى المسجد حتى تصبحوا تنظرون إليه أجمعون ورد) .

^(1) رواه مسلم في الإيمان .

⁽ ٢) رواه مسلم في المساجد ، والبخاري في الصلاة ، وأحمد ، ومعنى : و نُذَعَّهُ و : أي عنقته .

金銭を

O!!·!OO+OO+OO+OO+OO+O

وذلك من أدب النبوة. إذن فالشيطان يتمثل وأنت لا تراه على حقيقته ، فإذا ما أرادك أن تراه. . فهو يظهر على صورة مادية . وقد ناقش العلماء هذا الأمر نقاشاً يدل على حرصهم على فهم كتاب الله ، ويدل على حرصهم على تجلية مراداته وأسراره ، فقال بعضهم : حين يقول الله إن الشيطان يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم ، لابد أن نقول : إننا لن نراه .

وأقول: إن الإنسان إن رأى الجنى فلن يراه على صورته ، بل على صورة مادية يتشكل بها ، وهذه الصورة تتسق وتتفق مع بشرية الإنسان ؛ لأن الجنى لو تصور بصورة مادية كإنسان أو حيوان أو شيء آخر يمكن أن يراه الإنسان ، وحينئذ لفقدنا الوثوق بشخص من نراه ، هل هو الشيء الذي نعرفه أو هو شيطان قد تمثل به ؟

إن الوثوق من معرفة الأشخاص أمر ضرورى لحركة الحياة ، وحركة المجتمع ؛ لأنك لا تعطف على ابنك الا لأنك تعلم أنه ابنك ومحسوب عليك ، ولا تثق في صديقك الا إذا عرقت أنه صديقك. ولا تأخذ علماً إلا من عالم تثق به. وهب أن الشيطان يتمثل بصورة شخص تعرفه ، وهنا سيشكك هذا الشيطان ويمنع عنك الوثوق بالشخص الذي يتمثل في صورته. وأيضاً أعدى أعداء الشيطان هم الذين يبصرون بجنهج الله وهم العلماء ، فما الذي يمنع أن يتشكل الشيطان بصورة عالم موثوق في علمه ، ثم يقول كلاماً مناقضاً لمنهج الله ؟ .

إذن فالشيطان لا يتمثل ، هكذا قال بعض العلماء ، ونقول لهم : أنتم فهمتم أن الشيطان حين يتمثل ، يتمثل تمثلاً استمرارياً ، لا . هو يتمثل تمثل الومضة ؛ لأن الشيطان يعلم أنه لو تشكل بصورة إنسان أو بصورة مادية لحكمته الصورة التي انتقل اليها ، وإذا حكمته الصورة التي انتقل اليها فقد يقتله من يملك سلاحاً ، انه يخاف منا أكثر عما نخاف منه ، ويخاف أن يظهر ظهوراً استمرارياً ؛ لذلك يختار التمثل كومضة ، ثم يختفى ، والإنسان إذا تأمل الجنى المشكل . سيجد فيه شيئاً مخالفاً ، كأن يتمثل - مثلا - في هيئة رجل له ساق عنزة لتلتفت إليه كومضة ويختفى ؛ لأنه يخاف أن تكون قد عرفت أن الصورة التي يتشكل بها تحكمه . وإذا عرفت ذلك أمكنك أن تصرعه .

ويتابع الحق سبحانه :

﴿ . . إِنَّا جَعَلْنَا السُّيْسُطِينَ أُولْيَاءَ للَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ (٧٧ ﴾ [سورة الأعراف]

والشياطين من جَعْل الله ، وسبحانه خلَّى بينهم وبين الذين يريدون أن يفتنوهم والالوأراد الله منعهم من أن يفتنوهم. لفعل. . إذن فبكل شميء فيي السوجود، أو كل حدث في الوجود يحتاج إلى أمرين : طاقة تفعل الفعل ، وداع لفعل الفعل. فيإذا مناكبانت عند الإنسيان الطباقة للفعيل، والداعبي إلى الفعيل، فبإسراز الفعل في الصورة النهائية نستمدها من عطاء الله من الطاقة التي منحها الله للإنسان. فأنت تقول : العامل النساج نسج قطعة من القماش في غاية الدقة ، ونقول : إن العامل لم ينسج ، وإنما نسجت الآلة ، والآلة لم تنسج ، لكن الصانع الذي صنعها أرادها كذلك ، والصانع لم يصممها الا بالعالم الذي ابتكر قانون الحركة بها.

إذن فالعامل قد وجّه الطاقة المخلوقة للمهندس في أن تعمل ، واعتمد على طاقة المهندس الذي صنعها في المصنع ، والمهندس اعتمد على طاقة الابتكار وعلى العالم الذي ابتكر قانون الحركة ، والعالم قد ابتكرها بعقل خلقه الله ، وفي مادة خلقها الله.

إذن فكل شيء يعود إلى الله فعلاً ؛ لأنه خالق الطاقة ، وخالق من يستعمل الطاقة ، والإنسان يوجه الطاقة فقط ، فإذا قلت : العامل نسج يصح قولك ، وإذا قلت : الآلة نسبجت ، صبح قبولك ، وإذا قلت : إن المصنع هو الذي نسبج صبح قولك. إذن فالمسألة كلها مردها في الفعل إلى الله . وأنت وجهت الطاقة المخلوقة لله بالقدرة المخلوقة لله في فعل أمر من الأمور. فإذا قال الله ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَّاطِينَ ﴾ أي خلَّينا بينهم وبينهم المفتونين بهم ، غير أننا لو أردنا الا يفتنوا أحداً لما فتنوه. وهذا ما فهمه إبليس.

﴿ .. الْأَغُوينَهُم أَجْمَعِينَ (١٦) إلا عبادك منهم المخلصين (٢٠)

研究派

O11-100+00+00+00+00+0

إذن من يريده الله معصوماً لا يستطيع الشيطان أن يغويه ، وتعلم الشياطين أن الله خلى بينهم في الاختيار ، وهذه اسمها تخلية ؛ ولذلك لامعركة بين العلماء . فمنهجهم أن الطاقة مخلوقة لله ، ونسب كل فعل إلى الله ، ومنهم من رأى أنَّ موجّه الطاقة من البشر فينسب الفعل للبشر ، ومنهم من رأى طلاقة قدرة الله في أنه الفاعل لكل شيء ، ومنهم من قال : إن الإنسان هو الذي فعل المعصية . . أي أنه وجه الطاقة إلى عمل والطاقة صالحة له ، فربنا يعذبه على توجيه الطاقة للفعل الضار ولاخلاف بينهم جميعاً .

﴿ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ ﴾ (من الآية ٢٧ سورة الأعراف

إذن جعل الله الشياطين أولياء لمن لم يؤمن، ولكن الذي آمن لايتخذه الشيطان وليًا.

ويقول الحق سبحانه بعد ذلك:

﴿ وَإِذَا فَمَكُواْ فَنَحِثَةُ فَالُواْوَجَدَنَا طَلَيْهَا مَا الْأَوْاَوَجَدَنَا طَلَيْهَا مَا الْآَتَاءَ فَا وَاللّهُ أَمْرَنَا يَهِمُ قُلْ إِنَّ اللّهُ لَا يَأْمُرُهِ الْفَحْشَلَةِ أَتَعُولُونَ عَلَ اللّهِ مَا لَا تَمْلَدُونَ فَي اللّهِ

والفاحشة مأخوذة من التفحش أى التزيد في القبح، ولذلك صرفها بعض العلماء إلى لون خاص من الذنوب، وهو الزنا، لأن هذا تزيد في القبح، فكل معصية يرتكبها الإنسان تنتهى بأثرها، لكن الزنا يخلف آثاراً. . فإمّا أن يوأد المولود، وإما أن تجهض المرأة، وإما أن تلد طفلها وتلقيه بعيداً، ويعيش طريداً في المجتمع لا يجد مسئولاً عنه، وهكذا تصبح المسألة ممتدة امتداداً أكثر من أي معصية أخرى . وتصنع هذه المعصية الشك في المجتمع . ولنا أن نتصور أن إنساناً يشك في أن من ينسبون إليه ويحملون اسمه ليسوا من صلبه، وهذه بلوى

研究

00+00+00+00+00+00+0+0+1+10

كبيرة للغاية. والذين قالوا: إن الفاحشة المقصود بها الزنا نظروا إلى قول الله مبحانه:

﴿ وَلا تَقْرَبُوا الزِّنَيُّ إِنَّهُ كَانَ فَسُحِشَةً وَسَاءً سَبِيلاً (٣٦ ﴾

أو الفاحشة هي ما فيه حد ، أو الفاحشة هي الكبائر ، ونحن نأخذها على أنها التزيد في القبح على أي لون من الألوان.

فما هي الفاحشة المقصودة هنا؟. إنها الفواحش التي تقدمت في قوله:

﴿ مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةً وَلا سَآءِبَةً . . (١٠٠٠) ﴾

وكذلك ما جاء في قوله تعالى :

﴿ وَكَذَلِكَ زَبِّنَ لَكُنِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَنْدِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ . . ٧٧٠ ﴾

[سورة الأنعام]

وكذلك في قوله الحق سبحانه :

﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَنَّمِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَنَـٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَآءِنَا . . (الله عَمْهُمْ الانعام) لشُركَآءِنَا . . (الله عَمْهُمُ الانعام)

أو أن المقصود أنهم كانوا يطوفون بالبيت عراة ، قيطوف الرجال نهاراً ، والنساء يطفن ليلاً ، لماذا؟ . لأنهم ادَّعَوا الورع ، وقالوا : نويد أن نطوف إلى بيت ربنا كما ولدتنا أمهاتنا ، وأن نتجرد من متاع الدنيا ، ولا نطوف ببيت الله في ثياب عصينا الله فيها .

وقولهم : (وجدنا عليها أباءنا) تقليد ، والتقليد لا يعطى حكماً تكليفياً ، وإن

أعطى علماً تدريبا ، بأن ندرب الأولاد على مطلوب الله من المكلف ليستطيعوا ويألفوا ما يكلفون به عندما يصلون إلى سن التكليف . وبما يدل على أن التقليد لا يعطى حقيقة ، أنك تجد المذهبين المتناقضين ـ الشيوعية والرأسمالية مثلاً مقلدين ؛ لهذا المذهب مقلدون ، ولهذا المذهب مقلدون . فلو أن التقليد معترف به حقيقة لكان التقليدان المتضادان حقيقة ، والمتضادان لا يصبحان حقيقة ؛ لأنهم - كما يقولون ـ الضدان لا يجتمعان ، هذا هو الدليل العقلى في إبطال التقليد . ولذلك نلاحظ في أسلوب الأداء القرآني أنه أداء دقيق جداً ؛ فالذي يتكلم إله .

﴿ وَإِذَا نَعَلُواْ فَنِحِشَةً قَالُواْ وَجَدْنَا عَلَيْهَا وَابَاءَنَا وَاللَّهُ أَمْرَنَا بِهَا ﴾

(من الآية ٢٨ مبورة الأعراف)

والرد من الله عليهم أنه سبحانه لم يأت في مسألة التقليد برد لأنه بداهة لا يؤدى إلى حقيقة ، بل قال :

﴿ قُلْ إِنَّ اللَّهُ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْسَاءُ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَالَا تَعْلَمُونَ ﴾

(من الآية ٢٨ صورة الأعراف)

وهذا رد على قولهم : والله أمرنا بها . وأين الرد على قولهم : ﴿ وجدنا عليها آباءنا ﴾ ؟ .

نقول إنه أمر لا يحتاج إلى رد ؛ لأنه أمر يرفضه العقل الفطرى ، ولذلك ترك الله الرد عليه ؛ لوضوح بطلانه عند المقل الفطرى ، وجاء بالرد على ادعائهم أن الله يأمر بالفحشاء ، فالله لا يأمر بالفحشاء . ثم كيف كان أمر الله لكم ؟ . أهو أمر مباشر . . بمعنى أنه قد أمر كل واحد منكم أن يرتكب فاحشة ؟ ألم تنتبهوا إلى قول الحق مبحانه :

﴿ وَمَا كَانَ لِبَشْرِأَن يُكَلِّمُهُ أَلَكُ إِلَّا وَحَيًّا أَوْمِن وَرَآي جِمَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا ﴾

(من الأية ١١ سورة الشورى)

أم بلغكم الأمر بالفاحشة عن طريق نبى فكيف ذلك وأنتم تكذبون مجىء الرسول ؟ . وهكذا يكون قولكم مردوداً من جهتين : الجهة الأولى : إنه لا طريق

00+00+00+00+00+00+00

إلى معرفة أمر الله إلا بأن يخاطبكم مباشرة أو يخاطبكم بواسطة رسل ؛ لأنكم لستم أهلا للخطاب المباشر ، والجهة الثانية : أنكم تنكرون مسألة الأنبياء والرسل . فأنتم لم يخاطبكم الله بالمباشرة أو بواسطة الرسل فلم يبق إلا أن يقال لكم :

﴿ أَتَقُولُونَ عَلَى أَلَّهِ مَالًا تَعَلَّمُونَ ﴾

(من الآية ٢٨ سورة الأعراف)

ولا جواب على السؤال إلا بأمرين: إما أن يقولوا: ولا ع فقد كذبوا أنفسهم ، وإما أن يقولوا: ولا على الشما ؛ فقد فضحوا أنفسهم وأقروا بأن الله لم يأمر بالفاحشة ، بل أمر الله بالقسط ، لذلك يقول سبحانه بعد ذلك :

﴿ قُلْ أَمَرَ رَبِي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُواْ وُجُوهَ كُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَأَدْعُوهُ مُغْلِصِينَ لَهُ الدِّينَّ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ۞ ﴿

والقسط هو العدل من قسط قسطاً ، وأمَّا قاسط فهى اسم فاعل من قسط قسطاً وقسُوطاً أى جار وعدل عن الحق ، والقاسطون هم المنحرفون والماثلون عن الحق والظالمون ، وكلمة العدل هى التسوية ، فإن ملت إلى الحق ، فذلك العدل المحبوب . وإن ملت إلى الباطل ، فذلك أمر مكروه ﴿ قل أمر ربى بالقسط ﴾ .

وهذه جملة خبرية .

﴿ وَأَقِيمُواْ وَجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ ﴾

(من الآية ٢٩ سورة الأعراف)

وهذا فعل أمر ، وقد يتبادر إلى الذهن أن هذا من عطف الأمر على الخبر ، ولكن لنلتفت أن الحق يعطفها على وقل ، فكأن المقصود هو أن يقول : وقل أمر ربى بالقسط ، وقل أقيموا وجوهكم عند كل مسجد » .

WENT OF

والوجه هو السمة المعينة للشخص ؛ لأن الإنسان إن أخفى وجهه لن تعمر فه إلا إن كان له لباس عميز لا يرتديه الاهو. والوجه أشرف شيء في التكوين الجسمى، ولذلك كان السجود هو وضع الوجه في الأرض ، وهذا منتهى الخضوع لأمر الله بالسجود ؛ لأن السجود من الفاعل المختار وهو الإنسان يكون بوضع الجبهة على الأرض. وكل شيء خاضع لحكم الله نقول عنه : إنه ساجد.

﴿ أَلَمْ تُرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّخَواتِ وَمَن فِي الأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنَّوابُ . . (الله عَلَى النَّرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنَّوابُ . . (الله عَلَى النَّرْضِ وَالنَّرْضِ وَالنَّالِ وَالنَّرْضِ وَالنَّرْضِ وَالنَّرْضِ وَالنَّرِضِ وَالنَّالِ وَالنَّالِ وَالنَّالِ وَالنَّالِ وَالنَّالِي وَالنَّالِ وَالْمُنْ فَالْمُوالِي وَالْمُرْسُولِ وَالْمُرْسُلِ وَالْمُنْ وَالْمُنْ وَالْمُلْلِي وَالْمُلْلِي وَالْمُلْمُ وَالْمُلْمُ وَالْمُلْمُ وَالْمُلْمُ وَالْمُلْمُ وَالْمُلْمُ وَالْمُلْمُ وَالْمُ وَالْمُلْمِ وَالْمُلْمِ وَالْمُلْمُ وَالْمُلْمُ وَالْمُلْمِ وَالْمُلْمِ وَالْمُلْمُ وَالْمُلْمِ وَالْمُلْمُ وَالْمُلْمُ وَالْمُلْمُ وَالْمُلْمُ وَالْمُلْمُ وَالْمُلِمُ وَالْمُلْمُ وَالْمُلْمُ وَالْمُلْمُ وَالْمُلِلْمُ اللَّالِمُ وَالْمُلْمُ وَالْمُلْمُ وَالْمُلْمُ وَالْمُلْمُ وَالْمُلْمُ وَال

والشجر يسجد وهو نبات ، والدواب تسجد وهي من جنس الحيوان ، والشمس والقمر والنجوم والجبال من الجماد وهي أيضا ساجدة ، لكن حين جاء الحديث عن الإنسان قسمها سبحانه وقال :

لأن الإنسان له خاصية الاختيار ، ويقية الكائنات ليس له اختيار . إذن فالسجود قد يكون لغير ذى وجه ، والمراد منه مجرد الخضوع ، أما الإنسان فالسجود يكون بالوجه ليعرف أنه مستخلف وكل الكائنات مسخرة لخدمته وطائمة وكلها تسبح ربنا ، فإذا كان السيد الذى تخدمه كل هذه الأجناس حيواناً ، ونباتاً ، وجماداً قد وضع وجهه على الأرض فهو خاضع من أول الأمر حين نقول عنه إنه ساجد.

والإقامة أن تضع الشيء فيما هيي، له وُخلق وُطلب منه ، وإن وجهته لناحية ثانية تكون قد ثنيته وأملته وحنيته ، وعَوِّجته . إذن فإقامة الوجه تكون بالسجود ؛ لأن الذي سخر لك هذا الوجود وحكمك بمنهج التكليف هو من جعلت وجهك في الأرض من أجله ، وإن لم تفعل ذلك فأنت تختار الاعوجاج لوجهك ، واعلم أن

金属

هذا الخضوع والخشوع والسجود لله لن يعطيك فقط السيادة على الأجناس الأخرى التى تعطيك خير الدنيا ، ولكن وضع جبهتك ووجهك على الأرض يعطيك البركة في العمل ويعطيك خير الآخرة أيضاً. والعاقل هو من يعرف أنه أخذ السيادة على الأجناس فيثقن العبودية لله ، فيأخذ خيرى الدنيا والآخرة حيث لا يفوته فيها النعيم ولا يفوت هو النعيم ، أما في الدنيا فأنت تقبل عليها باستخلاف وتعلم أنك قد يفوتك النعيم ، أو تفوت أنت النعيم ، وحين تتذكر الله وتكون خاضعاً لله فأنت تنال البركة في حركة الاستخلاف.

﴿ وَأَقِيمُوا وَجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مُسْجِدً . . ١٠٠٠ ﴾

والمسجد مكان السجود ، وقال الرسول على الأنبياء بست : أعطيت جوامع الكلم ، ونُصرت بالرعب وأحلت لى الغنائم وجعلت لى الأرض طهوراً ومسجداً ، وأرسلت إلى الخلق كافة وختم بى النبيون " (1).

إذن فكل موضع في الأرض مسجد ؛ فإن دخلت معبداً لتصلى فهذا مسجد. والأرض كلها مسجد لك. يصح أن تسجد وتصلى فيها. وتزاول فيها عملك أيضا، ففي المصنع تزاول صنعتك فيه، وحين يأتي وقت الصلاة تصلى، وكذلك الحفل تصلى فيه، لكن المسجد الاصطلاحي هو المكان الذي حبس على المسجدية وقصر عليها، ولا يزاول فيه شيء آخر. فإن أخذت المسجد على أن الأرض مسجد كلها تكن ﴿ أَفِيمُوا وُجُوهُكُمْ ﴾ في جميع أنحاء الأرض. وإن أخذتها على المسجد، فالمقصود إقامة الصلاة في المكان المخصوص، وله متجه وهو الكعبة. وكذلك يكون اتجاهك وأنت تصلى في أي مكان، والمساجد نسميها بيوت الله ولكن باختيار خلق الله، فبعضنا يبني مسجداً هنا أو هناك. ويتجهون إلى بيت باختيار الله وهو الكعبة.

⁽١) رواه مسلم والترمذي عن أبي هريرة .

研究派

011/100+00+00+00+00+0

وقصارى الأمر أن نجعل قبلة المسجد متجهة إلى الكعبة وأن نقيم الرجه عليها ، أى على الوجه الذى تستقيم فيه العبادة . وهو أن تتجهوا وأنتم في صلاتكم إلى الكعبة فهي بيت الله باختيار الله .

وساعة ما تصادفك الصلاة صل في أي مسجد ، أو ﴿ وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد ﴾ يقصد بها التوجه للصلاة في المسجد ، وهنا اختلف العلماء ، هل أداء الصلاة وإقامتها في المسجد ندباً أو حتماً ؟ . والأكثرية منهم قالوا ندباً ، والأقلية قالوا حتماً . ونقول : الحتمية لا دليل عليها .

من قال بحتمية الصلاة في المسجد استدل بقوله صلى الله عليه وسلم:

والذى نفس بيده لقد همت أن آمر بحطب فيحتطب ثم آمر بالصلاة فيؤذن لما ثم آمر رجلا فيؤم الناس ثم أخالف إلى رجال فأحرق عليهم بيوتهم (١) .

ونقول : هل فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك أو لم يفعل ؟ لم يفعل رسول الله ذلك ، إنما أراد بالأمر التغليظ ليشجعنا على الصلاة في المساجد عند أي أذان للصلاة .

ويقول الحن سبحانه:

﴿ وَادْعُوهُ مُعْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾

(من الآية ٢٩ سورة الأعراف)

والدعاء: طلب من عاجز يتجه به لقادر في فعل يحبه الداعى . وحين تدعو ربك ادعه مخلصاً له الدين بحيث لايكون في بالك الأسباب ؛ لأن الأسباب إن كانت في بالك فأنت لم تخلص الدين ، لأن معنى الإخلاص هو تصفية أى شيء من الشوائب التي فيه ، والشوائب في العقائد وفي الأعمال تفسد الإتقان والإخلاص ، وإياكم أن تفهموا أن أحداً لا تأتى له هذه المسألة ، فرسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

⁽١) متفق عليه .

00+00+00+00+00+0(11-0

انّى لَيْغَانُ على قلبى وإنى الستغفر الله كل يوم ماثة مرة ٤(١).

إذن فالإخلاص عملية قلبية ، وأنت حين تدعو الله ادعه دائماً عن اضطرار ، ومعنى اضطرار . أن ينقطع رجاؤك وأملك بالأسباب كلها . فذهبت للمسبب ، ومادمت مضطراً سيجيب ربنا دعوتك ؛ لأنك استنفلت الأسباب ، وبعض الناس يدعون الله عن ترف ، فالإنسان قد يملك طعام يومه ويقول : ارزقني ، ويكون له سكن طيب ويقول : أريد بيتاً أملكه . إذن فبعضنا يدعو بأشياء الله فيها أسباب ، فيجب أن ناخذ بها ، وغالبية دعائنا عن غير اضطرار . وأنا أتحدى أن يكون إنسان قد انتهى به أمر إلى الاضطرار ولا يجيبه الله .

ويلايل الحق الآية الكريمة بقوله :

﴿ كَمَا بَدَأَكُمْ تَمُودُونَ ﴾

(من الأية ٢٩ سورة الأهراف)

والله سبحانه يخاطب الإنسان ، ويحننه ، مذكراً إياه بدد المعل كذا ، و د افعل كذا ، و د افعل كذا ، و سبحانه قادر أن يخلقه مرغماً على أن يفعل ، لكنه ـ جل وعلا ـ شاء أن يجعل الإنسان سيدا وجعله مختاراً ، وقهر الأجناس كلها أن تكون مسخرة وفاعلة لما يريد ، وأثبت لنفسه ـ سبحانه ـ صفة القدرة ، ولا شيء يخرج عن قدرته ؛ فأنت أيها العبد تكون قادراً على أن تعصى ولكنك تطيع ، وهذه هي عظمة الإيمان إنها تثبت صفة المحبوبية لله ، فإذا ما غر الإنسان بالأسباب ويخدمة الكون كله ، وبما فيه من عافية ، وبما فيه من قوة ، وبما فيه من مال ، تجاد الحق يلفته : لاحظ أنك لن تنفلت منى : أنا أعطيت لك الاختيار في الدنيا ، لكنك ترجع لى في الاخرة ولن تكون هناك أسباب ، ولن تجد إلا المسبب ، ولذلك اقرا :

﴿ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمُ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّادِ ﴾

(من الآية ١٦ سورة خافر) أ

(١) رواه مسلم في الذكر والدعاء باب استجاب الاستغفار، وأبو داود في الصلاة، والنسائي في عمل اليوم، والإمام أحمد ٢١١/٤. ومعنى (لَيُغَانُ): ما يتغشى القلب، وقيل الفترات والغفلات عن الذكر، أو همه بسبب أمته فيستغفر لها، وقال المناوى:: هو غين أنوار لاغين أغيار ولا حجاب ولا غفلة.

راجع أصله وخرج أحاديثه الذكتور أحمد همر هاشم نائب رئيس جامعة الأزهر . •

كأن المُلْكَ قبل ذلك _ أى فى الدنيا _ كان للبشر فيه شىء لمباشرتهم الأسباب هذا يملك ، وذلك يملك ، وآخر يوظف ، لكن فى الأخرة لا مالك ، ولا مَلِكُ إلا الله ، فإياكم أن تغتروا بالأسباب ، وأنها دانت لكم ، وأنكم استطعتم أن تتحكموا فيها ؛ لأن مرجعكم إلى الله .

ويقول الحق بعد ذلك:

﴿ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلظَّلَالَةُ إِنَّهُمُ الطَّلَالَةُ إِنَّهُمُ الطَّلَالَةُ إِنَّهُمُ الطَّيْدُونَ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ مَنْهُ مَنْهُ مَنْدُونَ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ اللَّهُ اللَّهُ مَنْهُ مَنْدُونَ اللَّهُ اللْمُ اللَّهُ اللَّلِمُ اللَّهُ اللللْمُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللللْمُ اللللْمُ اللَّهُ الللْمُلِلْمُ اللللْمُ الللْمُ اللللْمُ اللللْمُ اللَّهُ اللَّلِمُ الللللْمُ الللللْمُ الللللِّلْمُ اللللْمُ الللللْمُ اللللْمُ

اذكروا أننا قلنا من قبل: إن الله هدى الكل . ، بمعنى أنه قد بلَّغهم بمنهجه عبر موكب الرسل ، وحين يقول سبحانه : ﴿ فريقاً هدى وفريقاً حق عليهم الضلالة ﴾ فالمقصود هنا ليس هداية الدلالة ، لكن دلالة المعونة . وقد فرقنا بين هداية الدلالة وهداية المعونة .

وقوله المحق ﴿ فريقاً هدى ﴾ أى هداية المعونة ؛ لأن هذا الفريق أقبل على الله بإيمان فخفف الله عليه مؤونة الطاعة ، وبغضه في المعصية ، وأعانه على مهمته . أما الذي تأيّى على الله ، ولم يستجب لهداية الدلالة أيعينه الله ؟ لا . إنه يتركه في غيّه ويخلى بينه وبين المضلالة ، ولو أراده مهديًا لما استطاع أحد أن يغير من ذلك . وسبحانه منزه عن التجنى على أحد من خلقه ، ولكن الذين حق عليهم المضلالة حصل لهم ذلك بسبب ما فعلوا .

﴿ إِنَّهُمْ ٱلْخَذُواْ ٱلشَّيْنَطِينَ أُولِينَ } مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنْهُم مُهْتَدُونَ ﴾ ﴿ إِنَّهُمْ أَنْجُمُ مُهْتَدُونَ ﴾ ﴿ إِنَّهُمْ أَنَّكُمْ مُهْتَدُونَ ﴾ ﴿ إِنَّهُمْ أَنَّكُمُ اللَّهُ ٢٠ سورة الأعراف ﴾

إن من يرتكب المعصية ويعترف بمعصيته فهذه تكون معصية ، أمَّا من يقول إنها

00+00+00+00+00+0(1)10

هداية فهذا تبجح وكفر ؛ لأنه يرد الحكم على الله . وخير للذين يرتكبون المعاصى أن يقولوا : حكم الله صحيح ولكننا لم نقدر على أنفسنا ، أما أن يرد العاصى حكم الله ويقول : إنه الهداية ، فهذا أمره عسير ؛ لأنه ينتقل من مرتبة عاص إلى مرتبة كافر والعياذ بالله .

﴿ وَيُحْسَبُونَ أَنْهُم مَهْنَدُونَ ﴾

: من الآية ٣٠ سورة الأعراف)

لأنهم يفعلون ما حرم الله ، وليتهم فعلوه على أنه محرّم ، وأنهم لم يقدروا على أنفسهم ، ولكنهم فعلوه وظنوا أن الهداية في الفعل . وهذا الأمر يشيع في معاص كثيرة مثل الربا ، فنجد من يقول : إنه حلال ، ونقول : قل هو حرام ولكن لم أقدرً على نفسى ، فتدخل في زمرة المعصية ، ولا تدخل في زمرة الكفر والعياذ بالله ، ويمكنك أن تستغفر فيغفر لك ربنا ، ويتوب عليك ، ولكن أن ترد الحكم على الله وتقول إنه حلال !! فهذا هو المخطر ، لأنك تبتعد وتخرج عن دائرة المعصية وتتردى وتقع في الكفر ، اربأ بنفسك عن أن تكون كذلك واعلم أن كل ابن آدم خطاء ، وما شرع الله التوبة لعباده إلا لأنه قدر أن عبيده يخطئون ويصيبون ، ومن رحمته أنه شرع التوبة ، ومن رحمته كذلك أنه يقبل هذه التوبة ، فلماذا تخرج من حيز يمكن أن تخرج منه إلى حيز يضيق عليك لا تستطيع أن تخرج منه ؟ .

ويقول الحق سبحانه بعد ذلك :

﴿ يَبَنِي ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُرْ عِندَكُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُواْ وَيَنَتَكُرُ عِندَكُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُواْ وَلَانْسُرِفُواْ وَلَانْسُرِفُواْ إِنَّهُ لَلْمُعْتِبُ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿ الْمُعَالِمُ الْمُعْتَالِ فَالْمُسْرِفِينَ ﴿ الْمُعَالِمُ الْمُعْتَالُ وَالْمُسْرِفِينَ ﴾ وَالشَّرُونِينَ ﴿ اللَّهُ اللَّاللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللّه

والزينة إذا سمعتها تنصرف إلى تجميل فوق قوام الشيء، وقوله سبحانه وتعالى :

﴿ خُذُوا زِينَتُكُرُ عِندَ كُلِّي مَسْجِدٍ ﴾

(من الآية ٣١ سورة الأعراف)

هذا يعتى أن يذهب المسلم إلى المسجد بأفخر ما عنده من ملابس ، وكذلك يمكن أن يكون المقصود به ﴿ خذوا زينتكم عند كل مسجد ﴾ هو رد على حالة خاصة وهو أنهم كانوا يطوفون بالبيت عواة ، وأن المراد بالزينة هنا هو ستر العورة . أو المراد بالزينة هنا اللباس العليب العميل النظيف ، فنحن نعلم أن المسجد هو مكان اجتماع عباد الله ، وهم متنوعون في مهمات حياتهم ، وكل مهمة في الحياة لها زيها ولها هندامها ؛ فالذي يجلس على مكتب لمقابلة الناس له ملابس ، ومن يعمل في ه الجدادة ، له زي يجلس على مكتب لمقابلة الناس له ملابس ، ومن يعمل في ه الجدادة ، له زي شاص مناسب للعمل ، ولكن إذا ذهبتم إلى المسجد لتجتمعوا جميعاً في لقاء الله ، أيأتي كل واحد بلباس مهنته ليدخل المسجد ؟ لا ، فليجعل للمسجد لباساً لا يُضابق غيره ، فإن كانت ملابس العمل في مصنع أو غير ذلك لا تنيق ، فاجعل للمسجد لعمل مشترك يحكم الجميع وهو لقاء الله في بيت الله ، فلابد أن تحتفي المسجد لعمل مشترك يحكم الجميع وهو لقاء الله في بيت الله ، فلابد أن تحتفي المسجد لعمل مشترك يحكم الجميع وهو لقاء الله في بيت الله ، فلابد أن تحتفي المسجد لعمل مشترك يحكم الجميع وهو لقاء الله في بيت الله ، فلابد أن تحتفي المسجد لعمل مشترك يحكم الجميع وهو لقاء الله في بيت الله ، فلابد أن تحتفي المسجد لعمل مشترك يحكم الجميع وهو لقاء الله في بيت الله ، فلابد أن تحتفي المسجد لعمل مشترك يحكم الجميع وهو لقاء الله أن

﴿ وَكُنُواْ وَاشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾

(من الأية ٣١ سورة الأعراف)

والمأكل والمشرب من الأمور المباحة لأن فيها مقومات الحياة ، وكل واشوب على قدر مقومات الحياة ولا تسرف ، فقد أحل الله لك الأكثر وحرَّم عليك الأقل ، فلا تتجاوز الأكثر الذي أحل لك إلى ما حرم الله ؛ لأن هذا إسراف على النفس ، بدليل أنه لولم تجد إلا الميتة ، فهى حلال لك بشرط ألا تسرف . ولا يصح أن تنقل الأشياء من تحليل إلى تحريم ؛ لأن الله جعل لك في الحلال ما يغنيك عن الحرام ، فإذا لم يوجد ما يغنيك ، فالحق يحل لك أن تأخذ على قدر ما يحفظ عليك حياتك ، والمسرفون هم المتجاوزون الحدود . ولا سرف في حل ، إنما السرف يكون في الشيء المحرم ، ولذلك جاء في الأثر :

د لو أنفقت مثل أحد ذهباً في جلّ ما اعتبرت مسرفاً ، ولو أنفقت درهماً واحداً في محرم لاعتبرت مسرفاً » .

ولذلك يطلب منك رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تعطى كل نعمة حقها

WENT TO

@@+@@+@@+@@+@@+@@!\\{@

بشرط ألا يؤدى بك ذلك إلى البطر، وحينما ذهب إليه سيلنا عثمان بن مظعون، وقد أراد أن يترهب، ويتنسك، ويسبح في الكون، وقال لرسول الله: يارسول الله، إنني أردت أن اختصى؛ أى يقطع خصيتيه ؛ كي لاتبقى له غريزة جنسية، فقال أردت أن اختصى؛ أى يقطع خصيتيه ؛ كي لاتبقى له غريزة جنسية، فقال على : ياعثمان خصاء أمتى الصوم. لذلك قال على في شأن من لم يستطع الزواج: " يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاهه".

وقد روى أن رسول الله المحالة المحالة وخوفهم فاجتمع عشرة من الصحابة وهم: أبو بكر وعمر وعلى وابن مسعود وأبو ذر وسالم مولى أبى حذيفة والمقداد وسليمان وعبد الله بن عمرو بن العاص ومعقل بن مقرن في بيت عثمان بن مظعون فاتفقوا على أن يصوموا النهار ويقوموا الليل ولايناموا على الفراش ولايأكلوا اللحم ولايقربوا النساء ويجبوا مذاكيرهم أ("). فكان التوجيه النبوى أن حمد الرسول المحل واثنى عليه وقال: «مابال أقوام قالوا كذا وكذا ولكنى أصلى وأنام وأصوم وأفطر وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتى فليس منى "".

ويتابع الحق سبحانه بعد ذلك:

ومادام أخرجها لعباده فهو قد أرادها لهم، وماينفع منها للإناث جعلتها السنة

⁽¹⁾ رواه البخاري ومسلم.

⁽٢) فتح الباري .

⁽٣) روآه مسلم .

O1/10 DO+OO+OO+OO+OO+O

للإناث ، وما يصلح منها للذكور أحلتها السنّة لهم ، وكذلك الطيب من الرزق حلال للمؤمنين والمؤمنات . ولنلحظ دقة الأسلوب هنا في قوله تعالى :

﴿ قُلْ هِي لِلَّذِينَ وَامْنُواْ فِي ٱلْحَيَوْةِ ٱلدُّنْكَ ﴾

(من الآية ٣٦ سورة الأعراف)

ثم يتابع سبحانه:

﴿ خَلِقَ لَهُ يَرْمُ ٱلْقِيْمَةِ ﴾

(من الآية ٣٣ سورة الأعراف)

فكأننا أمام حائتين اثنتين : حالة في الدنيا ، وأخرى في يوم القيامة ، معنى ذلك أن الزينة في الحياة الدنيا غير خالصة ؛ لأن الكفار يشاركونهم فيها ، فهي من عطاء الربوبية للمؤمن وللكافر ، وربما كان الكافر أكثر حظ في الدنيا من المؤمن ، ولكن في الأخرة تكون الزينة خالصة للمؤمنين لا يشاركهم فيها الكافرون .

وكذلك فإن الحق سبحانه وتعالى يعطى اليقظة الإيمانية في المؤمن بوجود الأغيار فيه ، ومعنى وجود الأغيار أنه قد يتعرض الإنسان لتقلبات بين الصحة والمرض والغنى والفقر والقوة والضعف . وهكذا يكون الإنسان في الدنيا ؛ فهى دار الأغيار ، ويصيب الإنسان فيها أشياء قد يكرهها ؛ لذلك فالدنيا ليست خالصة النعيم لما فيها من أغيار تأتيك فتسوؤك إنها تسوؤك عند غيبة شحنة الإيمان منك ؛ لأنك إن استصحبت شحنة الإيمان عند كل حدث أجراه الله عليك للفتك الله إلى حكمته .

﴿ قُلْ مِنَ لِلْذِينَ وَامْنُوا فِي خَيْوَةٍ لَذَيْتَ خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْفَيْنَةِ ﴾

(من الآية ٣٦ سورة الأعراف)

ويمكن أن نقرأ كلمة وخالصة ، منصوبة على أنها حال ، ويمكن أن نقرأها في قراءة أخرى مرفوعة على أنها خبر بعد خبر ، والمعنى : أنها غير خالصة للمؤمنين في الدنيا لمشاركة الكفار لهم فيها ، وغير خالصة أيضاً من شوائب الأغيار ولكنها

01/130400400400400400400

في الأخرة خالصة للمؤمنين فلا يشاركهم الكفار ولا تأتى لهم فيها الأغيار.

ويذيل الحق الأية بقوله :

﴿ كَذَا لِكَ نُفَصِلُ الْآبَاتِ لِقُومِ بَعْسُونَ ﴾

(من الآية ٣٢ سورة الأعراف)

(صورة الأعراف)

معنى « نفضل الأيات » أى لانأتى بالآيات مجملة بل نفصل الآيات لكل مؤمن ، فلا نترك خللاً ، ونأتى فيها بكل ما تتطلبه أقضية الحياة ، بتقصيل يُفهمنا قضايانا فهماً لا لبس فيه .

ويقول الحق بعد ذلك :

﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِي ٱلْفَوْجِشَ مَاظَهَرُمِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَعْنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِاللَّهِ مَالَزُ نُنَزِلَ بِهِ عَلَى اللَّهِ مَالَزُ نُنَزِلَ بِهِ عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْلَمُونَ ﴿ ثُلُ اللَّهِ مَالْاَنْعَلَمُونَ ﴿ ثُلُ اللَّهِ مَا لَا نَعْلَمُونَ ﴿ ثُلُهُ اللَّهِ مَا لَا نَعْلَمُونَ ثَلْ اللَّهِ مَا لَا نَعْلَمُونَ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ مَا لَا نَعْلَمُونَ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ مَا لَا نَعْلَمُونَ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّا اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّه

والحق سبحانه ـ قد بدأ الآية بـ 1 إنما 1 التي هي للحصر: أي ما حرم ربي إلا هذه الأشياء ، الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، والإثم ، والبغي بغير الحق ، والشرك بالله ، والقول على الله ما لا نعلم ، فلا تدخلوا أشياء أخرى وتجعلوها حراماً ، لأنها لا تدخل في هذه ، وقول الله في الآية السابقة : ﴿ قل من حرم زينة الله ﴾ هو على صيغة استفهام لكي يجيبوا هم . ولن يجدوا سبباً لتحريم زينة الله . لأن الحق قد وضح وبينً ما حرم فقال :

﴿ قُلْ إِنَّكَ حَرْمَ رَ بِي ٱلْفُواحِشَ مَاظُهُرَ مِنْهُ ۚ وَمَ بَطَنَ وَٱلْإِثْمُ وَٱلْبَغَى بِشَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿ ﴾ تُشْرِكُوا بِٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿ ﴾

ونتأمل الخمسة المحرمات التي جاءت بالآية ؛ فحين ننظر إلى مقومات حياة المخلافة في الأرض ليبقى الإنسان خليفة فيها نرى أنه لابد من صيانة أشياء ضرورية لسلامة هذه الخلافة وأداء مهمتها ، وأول شيء أن يسلم للمجتمع طهر أنسابه . وسلامة طهر الأنساب أي الإنجاب والأنسال ضرورية للمجتمع ؛ لأن الإنسان حين يثق أن ابنه هذا منه فهو يحرص عليه لأنه منسوب إليه ، ويرعاه ويربيه . أما إذا تشكك في هذه المسألة فإنه يهمله ويلفظه ، كذلك يهمله المجتمع ، ولا أحد يربيه ولا يلتفت إليه ولا يعنى به .

إذن فسلامة الأنساب أمر مهم ليكون المجتمع مجتمعاً سليماً ، بحيث لا يوجد فرد من الأفراد إلا وهو محسوب على أبيه ، بحيث يقوم له بكل تبعات حياته ، ولذلك يجب أن تعلموا أن الأطفال المشردين مع وجود أبائهم حدث من أن شكاً طراً على الأب في أن هذا ليس ابنه . ولذلك ماتت فيه غريزة الحنان عليه ، فلا يبالى إن رآه أم لم يره ، ولا يبالى أهو في البيت-أم شرد ، لا يبالى أكل أم جاع ، لا يبالى تعرى أم لا .

إذن فطهارة الأنساب ضمان لسلامة المجتمع ؛ لأن المجتمع سيكون بين مربً يقوم على شأن وصغير مربًى ، المربى قادر على أن يعمل ، والمربئ صغير يحتاج إلى التربية . ولذلك حرم الله الفواحش والفحش - كما قلنا - ما زاد قبحه ، وانتهوا على أنه هو الزنا ؛ لأن أثره لا يتوقف فقط عند الذنب والاستمتاع . بل يتعدى إلى الأنسال . وما تعدى إلى الأنسال فهو تعد إلى المجتمع ، ويصير مجتمعاً مهملا لا راعى له .

والإثم : أهو كل كبيرة أو ما يقام على فاعله حد؟ . لقد انتهى العلماء على أن الإثم هو الخمر والميسر ؛ لأن الله قال بالنص :

﴿ وَإِنَّهُ مُمَّا أَكْبَرُ مِن نَفْعِهِما ﴾

(من الآية ٢١٩ سورة البقرة)

وأراد الحق بذلك أن يضمن مقوم تنظيم حركة الحياة في الإنسان وهو العقل وأن

OO+0O+0O+0O+OO+O+0\{\\\\O

الخمر تغيب العقل، والإنسان مطالب بأن يحفظ عقله ليواجه به أمور الحياة مواجهة تبقى الصالح على صلاحه أو تزيده صلاحاً ولا تتعدى على الإنسان. فإذا ماستر العقل بالخمر فسد واختل، ويختل بذلك التخطيط لحركة الحياة. والذين بأتون ويشربون ويقولون: نريد أن ننسى همومنا نقول لهم: ليس مراد الشارع أن ينسى كل واحد ما أهمه فلن يحتاط أحد ولن يقوم على تقدير الأمور التي تدسمن السلامة.

إن الشارع يطلب منك أن تواجه الهموم التي تعانى منها مضاعف لتزيلها. أما أن تستر العقل فأنت قد هربت من المشكلة ، إذن يجب عليك أن تواجه مشكلات الحياة بعقلك وبتفكيرك. فإن كانت المشكلة ، قد نشأت من أنك أهملت في واجب سببي أي له أسباب وقد قصرت في الأخذ بها فأنت الملوم . وإن كانت المشكلة جاءتك من أمر ليس في قدرتك ، أي هبطت عليك قضاء وقدراً ؛ فاعلم أن مجريها عليك له فيها حكمة .

وقد يكون البلاء ليحميك الله من عيون الناس فيحسدوك عليها، لأن كل ذى نعمة محسود، وحتى لاتتم النعمة عليك ؛ لأن تمام النعمة على الإنسان يؤذن بزوالها، وأنت ابن الأغيار وفي دنيا الأغيار، وإن تمت لك فقد تتغير النعمة بالنقصان.

إذن فالتفكير في ملافاة الأسباب الضارة وتجنبها يأتي بالعقل الكامل، والتفكير في الأشياء التي لبس لها سبب يأتي من الإيمان، والإيمان يطلب منك أن تردكل شيء إلى حكمة الحكيم. إذن فأنت تحتاج إلى العقل فلا تستره بشرب الخمر؛ لأن العقل يدير حركة الحياة.

البغى ذيرف أنه مجاوزة الحدظلما أو أكبر، أو بخلاً. والظلم أن تأخذ حق غيرك وتحرمه من ثمرة عمله فيزهد في العمل؛ لذلك يحرم الحق أن يبغى أحد على أحد. لا في عرضه، ولا في نفسه، ولا في ماله، ويجب أن نصون العرض من الفواحش؛ لأن كل فاحشة قد تأتى بأولاد من حرام، وإن لم تأت فهى تهدد "حرص، والمطلوب صيانته، كذلك لا يبغى أحد على محارم أحد، وكذلك لا يبغى أحد على حام، وكذلك لا يبغى أحد على حام، وعدا إنسان بأن يهدمها بالقتل.

ويصمون الحق المال فيمنع عنه البغى فلا يأخذ أحد ثمرة عمل آخر وكفاحه عدواناً وظلماً، ومظاهر البغى كثيرة. ومن البغى أن تأخذ سلطة قسراً بغير حق ولكن هناك من يأخذ سلطة قسراً وقهراً بحق، فإن كنت على صبيل المثال ـ تركب سفينة، ثم قامت الرياح والزوابع، وأنت أمهر فى قيادتها أتترك الربان يقودها وربما غرفت بمن فيها أم تضرب على يده وتمسك بالدفة وتديرها لتنقذها ومن فيها ، إنك فى هذه الحالة تكون قد أخذت القيادة بحق صيانة أرواح الناس، وهذا بغى بحق، وهو يختلف عن البغى بغير الحق، وحتى تفرق بين البغى البغى بحق والبغى بغير الحق نقول . إن هذا يظهر ويتضح عندما نأخذ مال السفيه منه للحفاظ عليه وصيانته وتثميره له، فنكون قد أخذنا من صاحبه رعاية لهذا الحق، فهو وإن كان في ظاهره بغيا على صاحب الحق قد أخذنا من صاحبه وللصالح العام فهذا بغى بحق أو أنه سمى بغيا؛ لأنه جاه على صورة استلاب الحق من صاحبه ظلماً، ويسمى هذا في علم البلاغة مشاكلة وهى ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبة ذلك الغير، ونقرأ أيضاً قول الله:

﴿ وَجَزَاءُ سَيِئَةً سَيِّئَةً مُثِّلُهَا . . (1) ﴾

فهل جزاء السيئة يكون سيئة ؟لا. وإنما هي سيئة بالنسبة لمن وقعت عليه ؛ لأنه لما عمل سيئة واختلس مالا مثلا وضربت على يده وأخذت منه المال فقد أتعبشه ولذلك فالحق يقول:

﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّنبِرِينَ (١٣٦ ﴾ [المورة النحل]

ومن بغي بغير حق علينا أن نذكره بأن هناك من هو أقوى منه، أن يتوقع أن يناله بغي عمن هو أكثر قدرة منه .

وينبهنا الحق إلى العمل الذي لاغفران له: ﴿ وَأَن تَسْرِكُوا بِالله مالم يَنزل به ملطانا ﴾.

ومحال أن ينزل الحق الذي نعبده شريكاً له ويؤيده بالبرهان والسلطان والحجة

00+00+00+00+00+0!\r.0

على أنه شريك له ـ تعالى الله عن ذلك علوًا كبيراً ؛ لأن من خصائص الإيمان أنه مبحانه يتفى هذا الشرك بأدلته العقلية وأدلته النقلية .

وإذا كان الحق قد قال لنا في هذه الآية :

﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَمَ رَ فِي الْفُواحِشَ مَاظَهُرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِنْمُ وَالْبَغَى بِغَيْرِ الْحَقِ وَأَن تُشْرِكُواْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنْزِلْ بِهِ مَ سُلْطَانَا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿ ﴾ فَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿ ﴾

(سورة الأعراف)

فبعض من الآيات الأخرى جمعت هذه الأشياء ، في إطار إيجازي ومع المقابل أيضاً ، يقول الحق :

﴿ إِنَّ اللَّهُ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَآيِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْثَآوِ وَالْمُنْكُرُ وَالْبَغِي ﴾

(من الآية ٩٠ سورة النحل)

لقد جاء بالفحشاء في هذه الآية ليؤكد طهارة الأنسال ، وجاء أيضاً بتحريم المنكر والبغى ، وزاد في الآية التي نحن بصدد خواطرنا عنها الإثم فقط ، وكأن الإثم في آية الأمر بالعدل والإحسان والنهي عن الفحشاء والمنكر والبغى ، مطمور في د المنكر و، والمنكر ليس محرماً بالشرع فقط ، بل هو ما ينكره الطبع السليم ؛ وأيضاً فصاحب الطبع غير السليم يحكم أنه منكر إذا كانت المعاصى تعود عليه بالضرر ، هنا يقول : أعوذ بالله منها . وإن كان هو يوقعها على الغير فهو يعتقد أنها غير منكر ، وعلى سبيل المثال نجد رجلاً يبيح لنفسه أن يفتح أعينه على عورات الناس ويتلذذ بهذه المسألة . لكنه ساعة يرى إنساناً آخر يفتح عينه على عورته أو على ابنه مثلا إنه يرى في ذلك أبشع المنكرات ؛ لذلك لابد أن تجعل عورته أو على الأمر المكلف به الأخرون . . وإياك أن تقول : إنه حدد بصرى من وإنما انظر إلى الأمر المكلف به الأخرون . . وإياك أن تقول : إنه حدد بصرى من الناس جميعاً أن ينظروا إلى محارمك ؛ وفي هذا صبانة لك .

(美) (1/1) (

وبعد أن حلل هذه الطيبات والزينة ، وحرم الفواحش والمنكر والبغي والإثم يقول سبحانه :

﴿ وَلِكُلِ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَاجَآةً أَجَلُهُمْ لِايسَتَأْخِرُونَ سَاعَةٌ وَلَايسَنَقْدِمُونَ ﴿ اللَّهِ ا

نحن هنا أمام نص قرآنى تثبته قضايا الوجود الواقعى ؛ فالذين سفكوا ، وظلموا ، وانتهكوا الأعراض ، وأخذوا الأموال . لم يدم لهم ذلك ، بل أمد الله لهم في طغيانهم ، وأخذهم به أخذ عزيز مقتدر . ولو أراد خصومهم الانتقام منهم لما وصلوا إلى أدنى درجات انتقام السماء . ويجرى المحق هذا الانتقام من الطغاة لصيانة سلامة المجتمع . فإن رأيت فساداً أو طغياناً إباك أن تياس ؛ لأن الحق سبحانه قد أوضح أن لكل أمة أجلاً ، بداية ونهاية ، ففي أعمارنا القصيرة رأينا أكثر من أمة جاء أجلها . إذن فكل طاغية يجب أن يتمثل هذه الآية :

﴿ وَلِكُلِّ أَمَةٍ أَجَلَّ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْمَأْتِمُ وَنَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿ ﴾ (سورة الأعراف)

والأجل لكل أمة معروف عند الله ؛ لأن الباطل والظلم إن لم يعض الناس عضة تجعلهم يصرخون فهم لا يستشرفون إلى الحق ولا يتطلعون إليه ، والألم وسيلة العافية لأنه يؤكد لك أن وضعك غير طبيعي ، وعلى ذلك فالمسائل التي تحدث في الكون وهذه الأمم التي تظلم ، وتضطهد . ولها جبروت وطغيان إنما تفعل ذلك إلى أجل معلوم . فإياك أن تيأس ، ولكن عليك أن تستشرف إلى الحق . وإلى جناب الله فتلوذ به وحده ، ولذلك نجد أكثر الناس الذين حدثت لهم هذه الأحداث لم يجدوا إلا واحة الإيمان بالله ؛ ففروا إلى بيته حجاجاً وإلى مساجده عمارا وإلى قراءة قرآنه ذكراً . وننظر إلى هذه الأمور ونقول : إن الطاغية الفاجر مهما فعل فلابد أن يسخره الله لخدمة دينه ، وهناك أناس لولا أن الدهر عضهم وأخنى عليهم كأن مسلط عليهم ظالماً لما فروا إلى الله بحثاً عن نجاة ، ولما التفتوا لربنا عبادة .

إن في واقع حياتنا يعرف كل منا أناساً ، كان الواحد منهم لا يعبد ربه فلا يصلى ولا يصوم ولا يدكر ربه ، ثم جاءت له عضة من ظالم فيلجاً الإنسان المعضوض إلى الله عائداً به ملتجا إليه ، ولذلك نقول للظالم : والله لو عرفت ماذا قدمت أنت لدين الله ، ولم تأخذ عليه ثواباً لندمت ، فأنت قد قدمت لدين الله عصبة ممن كانوا من غير المتدينين به . ولو أنك تعلم ما يأتي به طغيانك وظلمك وجبروتك من نصر لدين الله لما صنعته أنت ، إن لكل أمة أجلا ، فإن كنت ظالماً وعلى رأس جماعة ظالمة فلذلك ثهاية .

وانظر إلى التاريخ تجد بعض الدول أخذت في عنفوانها وشدتها سيادة على الشعوب، ثم بعد فترة من الزمن تحل بها الخيبة وتأتى السيطرة عليها من الضعاف ؛ لأن هذا هو الأجل . إن الحق يعمى بصائرهم في تصرف ، يظنون أنه يضمن لهم التفوق فإذا به يجعل الضعيف يغلبهم ويسيطر عليهم . وإذاجاء الأجل فلا أحد يستطيع تأخيره ؛ لأن التوقيت في يد قيوم الكون ، وهم أيضاً لا يستقدمون هذا الأجل ، ونلحظ هنا وجود كلمة و ساعة » ، والساعة لها اصطلاح عصرى الأن من حيث إنها معيار زمني لضبط المواقيت ، ونعلم أن اليوم مقسم إلى أربع وعشرين ساعة ، والأقل من الساعة الدقيقة ، والأقل من الدقيقة الثانية ، والأكبر من الساعة هو اليوم ، ومن يدرى فقد يخترع البشر آلاتٍ لضبط الجزء من الثانية .

وكذلك تطلق الساعة على قيام القيامة . ويقول الحق بعد ذلك :

﴿ يَبَنِي ءَ ادَمَ إِمَّا يَأْتِينَكُمْ رُسُلُ مِنكُمْ يَعْضُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَنِي فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَاخُوفُ عَلَيْهِمْ وَلَاهُمْ يَحْرَنُونَ ٢٠٠٠

هنا ينادي الحق أبناء آدم ، بعد أن ذكرهم أنه أحل لهم الطيبات والزينة وحرم

عليهم المسائل الخمسة من الفاحشة والمنكر والبغى والإثم والشرك، ووضع لهم نظاماً يضمن سلامة المجتمع، وطمأنهم بأنه منتقم من أى أمة ظالمة بأن جعل للظلم نهاية وأجاراً. فعليكم يابني آدم أن تأخذوا أمور حياتكم في إطار هذه المقدمات.

﴿ يُسْبَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِينَكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُونَ عَلَيْكُمْ آيستِي . . (٣٠) ﴾ [سورة الأعراف]

عليكم أن تستقبلوا رسل الله استقبال الملهوف المستشرف المتطلع إلى ما يحميه وإلى ما ينفعه ؛ لأن الرسول هو من يعلن لكل واحد منكم ماأحله الله من طيبات الحياة وملا ذها، ويبين لكم ماحرم الله ليحيا المجتمع سليماً.

كان المظنون أن ساعة يأتى الرسول نجد المجتمع يحرض على ملازمته وعلى تلقى البلاغ منه ، لا أن يظل الرسول يدعو باللين بينما المجتمع يتأبى عليه . لكن من رحمة الله أن يتأبى المجتمع ويلح الرسول مبيئاً آيات الله وبيئاته كى يأخذ كل إنسان مايساعده على أمر حياته ويهتدى إلى الصراط المستقيم ، وأنت إذا ماأصبت فى عافيتك تلح على الطبيب وتبحث عنه ، فكان مقتضى العقل أنه إذا جاء رسول ليبلغنا منهج الله في إدارة حركة الحياة أن نتشوق إليه ونتطلع ، لا أن نعاديه ، وعادة مايسعد بالرسول أهل الفطرة السليمة بمجرد أن يقول الرسول : أنه رسول ومعه آية صدقه . ويقيس أهل الفطرة السليمة قول الرسول بماضيه معهم ، فيعلمون أنه مخلص لم يرتكب الإثم . وهذه فائلة قوله الحق :

﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوكَ رُحِيمٌ (١١٨) ﴾

فسلم يسأت لسكم إنسسان لاتعسرفونه بسل لسكم مسعسه تساريخ واضبح وجلى، لذلك نجد الذين آمنوا بوسول الله أول الأمر لم ينتظروا إلى أن يتلو عليهم القرآن، لكنهم آمنوا به بسوابق معرفتهم له؛ لأنهم عايشوه، وعرفوا كل تفاصيل أخلاقه. ومثال ذلك: عندما أخبر محمد عليها سيدتنا خديجة رضوان الله عليها . بنبأ

00+00+00+00+00+00!\!!0

رسالته وأسر لها بخوفه من أن يكون ما نزل إليه هو من أمور الجن أو مسها ، أسرعت إلى ورقة بن نوفل ؛ لأنه عنده علم بكتاب ، وقبل ذلك قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنك لتصل الرحم وتحمل الكُلُّ وتعين على نوائب الحق وتكسب المعدوم » .

وكل هذه المقدمات تدل على أنك _يارسول الله _ في حفظ الله ورغايته ؛ لأنك كنت مستقيم السلوك قبل أن تُنبًا ، وقبل أن توجد كرسول من الله . وهل معقول أن من يترك الكذب على الناس يكذب على الله ؟! وكذلك نجد سيدنا أبا بكر الصديق بمجرد ما أن قال رسول الله : أنا رسول ، قال له : صدقت .

وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على صدق الفطرة ، وهذه هي فائدة ﴿ رسول من أنفسكم ﴾ أو من جنسكم البشرى حتى نجد فيه الأسوة الحسنة . ولو جاء لنا رسول من الملائكة وقال لنا : هذا هو المنهج ولكم أسوة بي ، كنا سنرد عليه الرد المقنع السهل اليسير : وهل نقدر أن نفعل مثلك وأنت ملك مفطور على الخير ؟ . لكن حين يأتينا رسول من جنسنا البشرى ، وهو صالح أن يصدر منه الخير ، وصالح أن يصدر منه الخير ، وصالح أن يصدر منه الشر فهو الأسوة الموجودة ، ولذلك كان من غباء الكافرين أن قالوا ما جاء به القرآن على ألسنتهم :

﴿ وَمَا مَنْعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ آلْهُدَى إِلَّا أَنْ قَالُواْ أَبَّعَتْ اللَّهُ بَشُرًا رُسُولًا ١٠٠٠

(سورة الإسراء)

إنه الغباء وقصر النظر والغضب ؛ لأن الله بعث محمداً وهو من البشر ، فهل كانوا يريدون مَلَكاً ؟ ولو كان ملكاً فكيف تكون به الأسوة وطبعه مختلف عن طبائع البشر ؟ . ولذلك يرد الحق الرد المنطقى :

﴿ قُلْ لَوْ كَانَ فِي ٱلْأَرْضِ مَلَنَهِكُةُ يَمْشُونَ مُطْمَهِنِينَ لَنَزَلْنَا عَلَيْهِم مِنَ ٱلسَّمَاءِ مَلَكُا رَسُولًا ﴿ ﴾

وذلك حتى تتحقق لنا الأسوة فيه ؛ فسبحانه لم يقتحم وجودكم التكليفي ، ولم يُدخلكم في أمر يشتد ويشق عليكم لكنه جاء لكم بواحد منكم تعرفون تاريخه . ولم يأت به من جنس آخر .

﴿ يَنْهِنِي عَادَمَ إِمَّا يَأْتِبِنَكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَفْصُونَ عَلَيْكُمْ عَايْتِي ﴾

(من الآية ٣٥ صورة الأعراف)

وانظر قوله: ﴿ يَقَصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي ﴾ ، لقد جاء بكلمة ويقصُّونَ ٤ لأن القصص مأخوذة من مادة و الفاف و و الصاد المضعَّفة ٤ ؛ وهذا مأخوذ من وقصّ الأثر ٤ ، وكان الرجل إذا ما سرقت جماله أو أغنامه يسير ليرى أثر الأقدام . إذن ﴿ يقصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي ﴾ أي أنهم ملتزمون بما جاء لهم ، لا ينحرفون عنه كما لا تنحرفون أنتم عن قص الأثر حين نريدون المؤثّر في الأثر .

عَلِي أَنْنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾

(من الآية ٣٥ سورة الأعراف)

و التقوى ، هو أن تجعل بينك وبين شي ، يضرك وقاية . ولذلك يقول الحق:
و اتقوا النار كه ، لنرد عن أنفسنا بالعمل الصالح لهيب النار . وإذا قبل: و اتقوا الله كه أي اتقوا متعلقات صفات الجبروت من الله ؛ لأنكم لن تستطيعوا تحمل جبروت ربنا ، وعليكم أن تلتزموا بفعل الأوامر وتلتزموا أيضاً بترك النواهي . والأمر بالتقوى هنا يعنى ألا ننكر ونجحد رسالات الرسل ؛ لأنهم إنما جاءوا لإنقاذ البشر ، فالمجتمع حين يمرض ، عليه أن يسرع ويبادر إلى الطبيب القادم بمنهج الله ليرعاه ، وهو الرسول ؛ لذلك لا يصح الجحود برسالة عليها دليل ومعجزة .
و فمن اتقى وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون كه .

و اصلح الدل على أن هناك شيئاً غير صالح فجعله صالحاً ، أو حافظ على صلاح الصالح ورقًى صلاحه إلى أعلى ، مثل وجود بئر نشرب منه ، فإن كانت البئر تؤدى مهمتها لا تردمها ، ولا نلقى فيها قاذورات ، وبذلك نبقى الصالح على صلاحه ، ويمكن أن نزيد من صلاح البئر بأن نبنى حول فوهتها سوراً ، أو أن نقوح بتركيب مضخة تمتص الماء من البئر لضخه إلى البيوت . وبذلك تزيد الصالح

00+00+00+00+00+0011110

صلاحاً ، والأفة في الدنيا هم الذين يدعون الإصلاح بينما هم مفسدون ، يقول الله فيهم :

﴿ قُلْ هَلْ نَدْبِثُكُمْ بِٱلْأَحْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿ اللَّذِبِنَ ضَلَّ سَعَيْهُمْ فِي ٱلْحَيْوَةِ ٱلدُّنْيَا وهم يحسبونَ أنهم يُعسنونَ صَعَد ﴿ إِنْ اللَّهِ عَلَيْهِ ﴾

(سورة الكهف)

إذن فحين تقدم على أى عمل لابد أن تعرف مقدمات هذا العمل ، وماذا ستعطيه تلك المقدمات ، وماذا سوف تأخذ منه ، وأبق الصالح في الكون على صلاحه أو زده إصلاحاً ، وهنا لا خوف عليك ولن تحزن على شيء فاتك ليتحقق قول الحق :

﴿ لِكُبِّلا تَأْسَوا عَلَى مَا فَا تَكُرُ وَلا تَفْرَحُوا بِفَ وَالنَّكُمُ ﴾

(من الآية ٢٣ سورة الحديد)

وما المقابل لمن لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ؛ أي هؤلاء الذين أصلحوا واتقوا ؟ المقابل هو ما يأتي في قوله الحق :

﴿ وَالَّذِينَ كَذَّبُواْ إِنَا بَلِيْنَا وَاسْتَكَبَّرُواْ عَنْهَا أَوْلَتِيكَ أَصْحَنْبُ النَّارِّهُمُ فِيهَا خَلِدُونَ ۞ ﴿ فَهَا فَالدُونَ ﴿ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّ

ولماذا يكون مصير المكذبين بالأيات والمستكبرين عنها أن يكونوا أصحاب النار ويكونوا فيها خالدين ؟ لأنهم وإن تيسرت لهم أسباب الحياة لم يضعوا في حسابهم أن يكون لهم نصيب في الأخرة ولم يلتفتوا إلى الغاية ، وغاب عنهم الإيمان بقول الحق :

﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآئِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ ، وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْبَا نُؤْنِهِ ،

مِنْهُ وَمَا لَهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ مِن نُصِيبٍ ٢٠٠٠ ﴾

(سورة الشوري)

وهب أن الواحد منهم قد أخذ ما أخذ في الدنيا ، فلماذا نسى أنها موقوتة العمر؟ ولماذا لم يلتفت إلى الزمن في الآخرة؟ . عليك أن تعلم أنك في هذه الدنيا ، خليفة في الأرض ، ومادمن جميعاً أبناء جنس واحد ومخلوقين فيها والسيادة لنا على الأجناس فلابد أن تكون لنا غاية متحدة ؛ لأن كل شيء اختلفنا فية لا يعتبر غاية ، فالغاية الأخيرة هي لقاء الله ؛ لأن النهاية المتساوية في الكون هي الموت ليسلمنا لحياة ثانية ، فائذي يستكبر عن آيات الله هو من دخل في صفقة خاسرة ؛ لأن من يقارن هذه الدنيا بالحياة الاخرى سيجد أن زمن الإنسان في الدنيا قليل ، وزمن الأخرة لا نهاية له . وعمر الإنسان في الدنيا والمتعة فيها على قدر أسباب الفرد وإمكاناته ، لكن الأخرة متيفنة ، ونعيم المؤمن فيها على قدر طلاقة قدرة الله .

﴿ أُولَيْكَ أَصَعَبْ النَّارِ هُمْ فِيهَ خَلْدُونَ ﴾

(من الآية ٣٦ سورة الأعراف)

وأصحاب النار . يعنى أن يصاحب ويلازم المذنب النار كما يصاحب ويلازم الإنسان من صاحبه ؛ لأن النار على إلف بالعاصين ، وهى التى تتساءل: ﴿ هَلَ مَنْ مَزْيِدٌ ﴾ ؟.

ويقول الحق بعد ذلك :

وَ اللَّهُ اللَّهُ مِمَّنِ أَفْلَا مُمِّنِ أَفْرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْكَذَبَ بِاللَّهِ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْكَذَبَ بِاللَّهِ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْكَذَبُ بِعَالَا اللَّهِ عَلَى اللَّهُ مَا أَنْ اللَّهُ مَا كُنْتُ مُ لَكُنْتُ مُ اللَّهُ عَلَى مَا كُنْتُمْ لَدْعُونَ مِن دُونِ فَرَا اللَّهُ اللَّالِمُ اللَّهُ اللَّلْ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّا اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ

ٱللَّهِ قَالُواْ ضَلُواْعَنَا وَشَهِدُواْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَالُواْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا

و ﴿ فَمَنَ أَظُلَمَ ﴾ تأتى على صيغة السؤال الذي لن تكون إجابته إلا الإقرار . ولا أحد أظلم ممن افترى على الله الكذب ؛ لأنه أولا ظلم نفسه ، وظلم أمته ، وأول ظلم النفس أن يرتضى حياة زائلة وأن يترك حياة أبدية ، وأما ظلمه للناس فلأنه سيأخذ أوزار ما يفعلون ؛ لأنه قد افترى على الله كذباً. ﴿ أو كذب بآباته ﴾ .

أى قول الله ما لم يقله ، أو كذَّب ما قاله الله ، وكلا الأمرين مساو للآخر . والآية ـ كما نعلم ـ هي الأمر العجيب ، والآيات أطلقت في القرآن على معانٍ متعددة ؛ فالحق يقول :

﴿ كِنَابٌ فُصِلَتْ وَالنَّهُ ﴾

(من الآية ٣ سورة قصلت)

وكذلك أطلقت على المعجزات التي يرسلها الله تأييداً لرسله.

﴿ وَمَا مَنَعَنَا أَن تُرْسِلَ بِأَلَّا يَنتِ إِلَّا أَن كُذَّبَ بِهَا ٱلْأُولُونَ ﴾

(من الآية ٥٩ سورة الإسراء)

فالآيات هنا هي المعجزات أي الأمور العجبية .

وحدثنا القرآن عن الآيات الكونية فقال سبحانه : ﴿ وَمِنْ وَالْقَمْرُ ﴾ ﴿ وَمِنْ وَالْقَمْرُ ﴾

(من الآية ٣٧ سورة فصلت)

فالأية إذن هي الشيء العجيب وهي تشمل آيات القرآن ؛ لأنك حين تنظر إلى نظم آيات القرآن ، وإلى استيعابها إلى حقائق الوجود وإلى استيفائها لقضايا الكون

(山)

O1/1/00+00+00+00+00+0

كله تقول لنفسك: هذا شيء عجيب ؛ لأن الذي جاءت على لسانه هذه الآيات نبى أمى ، ماعرف عنه أنه زاول تعلماً ، وماجريوا عليه أنه قبال شعراً ، أو نشراً أوله رياضة في كلام ، وبعد ذلك ماجرب حكم أمم ، ومادرس تاريخ الأمم حتى يستنبط القوانين التي أعجزت الحضارات المعاصرة عن مجاراتها .

إن الأمة البدوية حينما ذهب بمنهجها إلى الفرس ، وكانت الفرس لها حضارة الشرق كلها ، وعلى الرغم من ذلك أخذت الفرس قوانينها من هذه الأمة البدوية ، وكان كل نظام هذه الأمة المتبدية قبل مجىء الرسالة مع سيدنا رسول الله عليه يتخلص في نظام القبيلة وكل قبيلة لها رئيس ، وبعد أن جاءت رسالته على جاء بنظام يجمع أم العالم كلها ، ثم ينجع في أدارة الدنيا كلها ، وهذه مسألة عجيبة ، وكل آية من هذه الآيات كانت معجزة وعجيبة .

وكذلك الآيات الكونية التي نجدها تتميز بالدقة الهائلة ؛ فالشمس والقمر بحسبان ، وكل في فلك يسبحون ، إنه نظام عجيب.

إذن فالعجائب في الآيات هي آيات القرآن ، والمعجزات والآيات الكونية . وكيف يكذبون إذن بالآيات ؟ . ألا ينظرون إلى الكون . ومافيه من دقة صنع وهندسة بناء تكويني لاتضارب فيه ؟ وهي آيات تنطق بدقة الخالق ؛ فهو العالم ، الخميم ، الحسيب . وكذلك كيف يكذبون الرسول القادم بالمعجزات ، ويقولون: إنه ساحر ، وحين تتلى عليهم آيات القرآن يكذبونها . إذن هم لم ينظروا في آيات الكون ليستنبطوا منها عظمة الصانع وحكمته ودقته ، ولم يلتفتوا إلى الإيمان به قمة عقيدية ، وكذلك كذبوا بالآيات المعجزات التي جاء بها الرسل فلم يصدقوا الرسل وآخرها وقمتها آيات القرآن العظيم .

وحينما عرض الحق سبحانه وتعالى هذه القضية ، تساءل: كيف تقولون . إنه سحر الناس فآمنوا به ، فلماذا لم يسحركم أنت ؟ . وحينما قالوا:

﴿ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بِشِرَّ .. (الله)

[صورة النحل]

قال الحق:

﴿ . لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِي وَهَلَذَا لِسَانٌ عَرَبِي مُبِينٌ (١٠٠٠) ﴾

[سورة النحل]

وقالوا:

﴿ وَقَالُوا أَسَلْطِيرُ الأَوْلِينَ اكْتَتَبُهَا فَهِي تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكُرَةً وآصيلاً () ﴾

[سورة الفرقان]

فيعلم الحق رسله أن يقول:

﴿ . . فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرا مِن قَبْلِهِ أَفَلا تَعْقِلُونَ (١٦) ﴾

وهنا يأمر الحق رسوله أن يذكرهم بأنه عاش بينهم أربعين عاماً فهل عرف عنه أنه يقول أو يتكلم بشيء من هذا ؟

فهل يترك الحق من كذبوا ببالآيات؟ أنهم خلق الله ، والله استدعاهم إلى الوجود ، لذلك يضمن لهم مقومات الحياة ، وأمر أسباب الكون أن تكون خدمة هؤلاء المكذبين الكافرين كما هى فى خدمة الطائعين المؤمنين . ومن يحسن منهم الأسباب يأخذ نتائجها ، وإن أهمل المؤمنون الأخذ بالأسباب فلن يأخذوا نتائجها ، وكل هذا لأنه عطاء ربوبية ولأنه خلق فلا بد أن يرزق ، والنواميس الكونية تخدم الطائع وتخدم العاصى ؛ لأن ذلك من سئة الله ولن يجد أحد لسنة الله تبديلا.

إذن فكفرهم لن يمنع عنهم نصيبهم من الكتاب الذي قَدَّر لهم ، من الرزق والحياة ، ماهو مسطر في الكتاب الذي أنزل عليهم ؛ لذلك يقول الحق:

﴿ أُولْكِ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِنَ الْكِتَكِ . . ٧٣٠ ﴾

O117100+00+00+00+00+0

أو ينالهم ، أي يصيبهم عذاب مما هو مبين في الكتاب الذي أرسلناه ليوضح أن الطائم له الثواب ، والعاصى له العقاب ، فيقول الحق هنا :

﴿ حَتَىٰ إِذَا جَاءَتُهُمْ رُسُلْنَ يَتُوفُونَهُ ﴿ قَلُوا أَنْ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُوا عَنَ وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَنَهُمْ كَانُوا كَنغِرِينَ ﴾

(من الآية ٣٧ سورة الأعراف)

وساعة تسمع ﴿ يتوفونهم ﴾ تفهم أن الحياة تنتهى ، وتنفصل الروح عن الجسد فهذا هو و التوفى و ، فمرة ينسب إلى الحق الأعلى سبحانه وتعالى ، ومرة ينسب إلى الملك ، ومرة يراد منه أتباع الملك أى جنوده يقول ـ سبحانه ـ : ﴿ حتى إذا جاء أحدهم الموت توفته رسلن وهم لا يفرطون ﴾ ، والأساليب الثلاثة ملتقية ؛ لأن ملك الموت لم يأت بالموت من عنده ، بل أحذ المتلقى من الله ، فالأمر الأعلى من الله ، وأمر التوسط للملك ، وأمر التنفيذ للرسل .

و * التوفى * على إطلاقه هو استيفاء الأجل ، فإن كان أجل الحياة فهو توفية بالموت ، وإن كان الأجل البرزخ وهو المدة التي بين القبر والحساب . إلى أن يجيّ ميعاد دخولهم النار فهذا هو توفي أجلهم الثاني ؛ لأن كل إنسان له أجلان : أجل ينهى هذه الحياة ، والأجل الذي يأخذه في البرزخ إلى أن يجيء الحساب . وهذا لا يمنع أن يقال : إن قيامة كل إنان تأتي بموته ؛ لأن للقيامة مراحل بدءا من القبر ونهاية بالخلود في الجنة أو في النار .

رحين تسألهم الملائكة :

عَوْ أَنَّ مَدَ كُنَامُ تَدَعُونَ مِن دُوبِ ٱللَّهِ قَالُواْ صَلَّواْ عَنْ وَشَهِدُواْ عَنَى أَنَهُم كَالُواْ كُلْهُرِينَ ﴾

(من الآية ٢٧ سورة الأعراف)

هم إذن يعترفون أن من كانوا يدعونهم من دون الله قد غابوا واختفوا ولا يظهر لهم أثر .

المُؤَوَّقُ الْمُؤَالِمُ الْمُؤَالِمُ الْمُؤَالِمُ الْمُؤَالِمُ الْمُؤَالِمُ الْمُؤَالِمُ الْمُؤَالِمُ الْمُؤَالُونِ الْمُؤَالُونِ الْمُؤَالُونِ الْمُؤَالُونِ الْمُؤَالُونِ الْمُؤَالُونِ الْمُؤَالُونِ اللَّهِ عَلَيْ جَدِيدٍ ﴾

(من الأبة ١٠ سررة السجدة)

وهم - إذن - يقرون غياب من كانوا يدعونهم من دون الله ، والمراد أنه لا وجود لهم ، وهم بذلك قد شهدوا على أنفسهم بكفرهم . ولكن هذه الشهادة لا تجدى لأن زمن التكليف قد انتهى ، وهم الأن في دار قهر لكل ما يربده الله ؛ ففي دار التكليف كان الإنسان حرًّا أن يفعل أو ألا يفعل ، ولكن في الدار الأخرة لا تنفع هذه الشهادة . وذلك لتبين عدالة الجزاء الذي يصيبهم ، ولن يتأبوا على الجزاء ؛ لذلك يقول الحق :

﴿ قَالَ آدْخُلُواْ فِي أَلْمَا وَخُلُتُ مِن قَبِلِكُم مِنَ الْجِنِ وَالْإِنسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخُلَتُ أُمَّةٌ لَعَنَتُ أُخْلَهُ الْجِنِ وَالْإِنسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخُلَتُ أُمَّةٌ لَعَنَتُ أُخْلَهُ الْجَيْعَ وَالْتِ أُمَّرَنَهُمْ مَقَى إِذَا اُذَارَكُوا فِيهَا جَيعًا قَالَتَ أُخْرَنهُمْ مَنَ الْفَاتِيمَ عَذَا بَاضِعَفَا لِأُولَ لَنهُمْ رَبَّنَا هَتَوُلاَ إِ أَصَالُونَا فَعَانِهِمْ عَذَا بَاضِعَفَا لِأُولَ لِنهُمْ رَبِّنَا هَتَوُلاَ إِ أَصَالُونَا فَعَانِهِمْ عَذَا بَاضِعَفَا مِن النَّارِقَالَ لِكُلِّ ضِعْفُ وَلَكِن لَانَعْلَمُونَ الْكَالِيمِعْفَا فِي النَّارِقَالَ لِكُلِّ ضِعْفُ وَلَكِن لَانَعْلَمُونَ الْكَالِيمِ عَنْ الْمُعَلِّينَ الْمُعْلَمُونَ الْكَالِيمِ عَنْ اللَّهُمْ مِنَا اللَّهُ الْمُؤْلِيمِ عَنْ اللَّهُ وَلَيْكُن لَا نَعْلَمُونَ الْكَالِيمِ عَنْ الْمُؤْلِيمِ عَنْ اللَّهُ الْمُؤْلِقُ الْمُؤْلِقُ اللَّهُ اللَّهُ الْمُؤْلِقُ الْمُؤْلِيمِ عَنْ اللَّهُ الْمُؤْلِقُ الْمُؤْلِقُ الْمُؤْلِقِ اللَّهُ الْمُؤْلِقِ اللَّهُ اللَّهُ الْمُؤْلِقِ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الْمُؤْلِقُ الْمُؤْلِقُ اللَّهُ الْمُؤْلِقُ اللَّهُ اللَّهُ الْمُؤْلِقُ اللَّهُ الْمُؤْلِقُ الْمُؤْلِقُ الْمُؤْلِقُ الْمُؤْلِقُ الْمُؤْلِقُ اللَّهُ اللَّهُ الْمُؤْلِقُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الْمُؤْلِقُ الْمُؤْلِقُ الْمُؤْلِقُ الْمُؤْلِقُ الْمُؤْلِقُ اللَّهُ الْمُؤْلِقُ اللَّهُ الْمُؤْلِقُ اللْمُؤْلِقُ الْمُؤْلِقُ الْمُؤْلِقُ الْمُؤْلِقُ الْمُؤْلِقُ الْمُؤْلِقُ الْمُؤْلِقُ الْمُؤْلِقُ الْمُؤْلِقُ الْعُلْمُؤُلِقُ الْمُؤْلِقُ الْمُؤْلِقُ الْمُؤْلِقُ الْمُؤْلِقُ الْمُؤْلِقُ الْمُولِ الْمُؤْلِقُ ا

ويوضح لنا المحق أنه بأوامر ﴿ كَنْ ﴾ سيدخلون النار كما دخلتها أمم قد خلت من قبلهم فليسوا بدعاً ، وليدخلوا معهم إلى المصير الذي يذهبون إليه ، وهم أمم خليط ؛ لأن الكفر سوف يلتقى كله في الجزاء .

إن الاقتداء بالأمم التي سبقت هو الذي قادهم إلى الكفر ؛ فالأمم التي سبقت كانت أسوة في الضلال للأمة التي لحقت ، فإذا ما دخلوا لعنوهم .

وهب أن إنساناً دخل مرة السجن لجرم ارتكبه ، وبعد ذلك دخل عليه من كان

金属

0111700+00+00+00+00+0

يغربه بالجرم. ومن كان يزين له ، ومن اقتدى به . باللَّه ماعة يلتقيان في السجن ألا يلعن الأول الثاني ؟

﴿ كُلُّمَا دَخَلَتُ أُمَّةً لَعَنتُ أُخْتَهَا حَتَّىٰ إِذَا ادْارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتُ أُخْرَبَهُمُ لأ لأولنهم رَبَّنَا هَـُـوُلاءِ أَصَلُونَا فَآتِهِم عَذَابًا ضِعْفًا مِن النَّارِ قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٌ وَلَـٰكِن لأ تَعْلَمُونَ (٢٦) ﴾

وبعد أن يلحق بعضهم بعضاً ويجتمعوا ، يحدث بينهم هذا الحوار العجيب: ﴿ قَالَتَ أَخْرَمُهُمْ لِأُولِنَهُمْ رَبُّنَا هَسْؤُلاءِ أَصْلُونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّادِ . . (﴿ قَالَتُ أَخْرَمُهُمْ لِأُولِنَهُمْ رَبُّنَا هَسُؤُلاءِ أَصْلُونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّادِ . . (﴿ قَالَتُ أَخْرَمُهُمْ لَأُولِنَهُمْ لَأُولِنَا هَسُورَة الأَعْراف]

فإن قلت الأخرى أى التى دخلت النار متأخرة كانت الأولى هى القدوة فى الضلال وقد سبقتهم إلى النار ، ﴿ قَالَتُ أُخْرَاهُمُ لأُولاهُمْ ﴾ ، أى أن الأولى هم القادة الذين أضلوا ، والطائفة الأخرى هم الأتباع الذين قلدوا . ﴿ قَالَتُ أُخْرَاهُمْ لأُولاهُمْ رَبّنا هَنوُلاءِ أَضَلُونَا ﴾ . وهم يتوجهون بالكلام إلى ربنا : ﴿ رَبّنا هَنوُلاءِ أَضَلُونَا ﴾ .

كيف يتأتى هذا؟ . وكان المقيساس أن يقول: قالت أخراهم لأولاهم أنتم أضللتمونا لكن جاء هذا القول ، لأن الذين أضلوا غيرهم أهون من أن يخاطبوا ؟ لأن الموقف كله في يد الله ، وإذا ماقالوا لله المواجمه للجميع: ﴿ هَنْ وُلاءِ أَضَلُونًا ﴾ فهؤلاء ، هذه رشارة إليهم ، فكأن القول موجه لله شهادة منهم إلى من كان وسيلة لإضلالهم وهم يقولون لربنا هذا حتى يأخذوا عذاب الضعف من النار مصداقاً لقوله الحق:

﴿ فَ آتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ . . (الله عَلَمُ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ . . (الله عَلَمُ عَذَابًا الله لهم جميعاً : ﴿ لِكُلِّ ضِعْفٌ وَلَلْكِن لا تَعْلَمُونَ . . (الله عَلَمُ عِلَمُ عَلَمُ عَلِمُ عَلَمُ عَلَمُ عَلَمُ عَلَمُ عَلِمُ عَلَمُ عَلَمُ عَلَمُ عَلِمُ عَلَمُ عَلَمُ عَلِمُ

WENTER

فلكل أمة منهم ضعف العذاب بما ضلت وأضلت. ونفهم أن الضعف معناه اشيء مساو لمثله ، فأنتم أيها المقلدون غيركم قد أضللتم سواكم بالأسوة أيضاً ؛ لأنكم كثرتم عددهم وقويتم شوكتهم وأغريتم الناس باتباعهم.

ويكون لكم ضعف العذاب بحكم أنكم أضللتم أيضاً ، وأنتم لاتعلمون أن من يحاسبكم دقيق في الحساب ، ويعطى كل إنسان حقه تماماً.

وماذا تقول أولاهم لأخرهم ؟ يقول الحق سبحانه :

﴿ وَقَالَتَ أُولَىٰ لَهُمْ لِأَجْرَانِهُمْ فَمَاكَاتَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضَلِ فَذُوفُواْ الْعَذَابَ بِمَاكُنْتُمْ تَكْمِيسُونَ عَلَيْنَا

أى مادمتم ستأخذون ضعف العذاب مثلنا فقد تساوت الرءوس افذوقوا العذاب عاكنتم تكسبون المخرم نفسه ساعة يلتقى ويستقبل مجرماً مثله ، يقول له: اشرب من العذاب نفسه ، وليس ذلك تجنياً من الله ، ولابسلطة القهر لعباده ، ولكن بعدالة الحكم ؛ لأن ذلك إنما حدث بسبب ماكسبتم ،

ومعلوم أن التذوق في الطعوم ، فهل هم يأكلون العذاب ؟ . لا، إنّ الحق قد جعل كل جارحة فيهم تذوق العذاب، والحق حين يريد شمول العذاب للجسم يجعل لكل عضو في الجسم حساسية الذوق كائتي في اللسان.

ولذلك يقول الحق سبحانه:

WENT THE

@1\T.OO+OO+OO+OO+OO+O

وهذه هي الإذاقة ، كأنها صارت لباساً من الجوع يشمل الجسد كله ، والإذاقة أشد الإدراكات تاثيراً، واللباس أشمل للجسد . (فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون).

ولم يقل الحق: بما كنتم تكتسبون ؛ لأن اكتسابهم للسيئات لم يعد فيه افتعال ، بل صار أمراً طبيعياً بالنسبة لهم ، وعلى الرغم من أن الأمر الطبيعى في التكوين أن بصنع الإنسان الحسنة دون تكلف ولاتصنع ، وفي السيئات يجاهد نفسه ؛ لأن ذلك يحدث على غير ماطبع عليه ، ولكن هؤلاء من فرط إدمانهم للسيئات فسدت فطرتهم ولم تعد ملكاتهم تتضارب عند فعل السيئات ، بل صاروا يرتكبون الإئم كأمر طبيعى ، وهذا هو الخطر الذي يحيق بالمسرفين على أنفسهم ؛ لأن الواحد منهم يغرح بعمل السيئات .

ويقول الحق بعد ذلك:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِيكَ كَذَّبُواْ بِتَا يَكِينَا وَٱسْتَكَبُرُواْ عَنْهَا لَانْفَتَحُ لَكُمْ آبُونِ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَقَى يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِي سَيِّر ٱلِيُنَاظِّ وَكَذَالِكَ نَجْزِى ٱلْمُجْرِمِينَ * الْجَالِلُ وَكَذَالِكَ نَجْزِى ٱلْمُجْرِمِينَ * الْجَالِلُ وَكَذَالِكَ نَجْزِى ٱلْمُجْرِمِينَ * الْجَالِلُ وَكَذَالِكَ نَجْزِى ٱلْمُجْرِمِينَ * اللهُ الل

والحن يريد أن يعطى حكماً جديداً ويحدد من هو المحكوم عليه ليعرف بجريمته، وهى جريمة غير معطوفة على سابقة لها ، وليعرف كل إنسان أن هذه جريمة ، وأن من يرتكبها يلقى حكماً وعقاباً. (إن الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها).

وقد عرفنا من قبل معنى الآيات ، وأنها ايات القرآن المعجزة أو الآيات الكونية ، وأى إنسان يظن نفسه أكبر من أن يكون تابعاً لمنهج جاء به رسول عرف بين قومه بأمانته ، وهذا الانسان يستحق العقاب الشديد. قصحيح أن محمداً الله لم يكن له من الجاه و لا سلطان ماينافس به سادة وكبراء قريش ، ولذلك وجدنا من يقول:

﴿ وَقَالُوا لُولًا نُزِلَ هَذَا الْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ (١٦) ﴾ [سورة الزخرف]

们的成功

إنهم يعترفون بعلو القرآن ، لكنهم تمنوا لو أن القرآن قد نزل على إنسان غيره بشرط أن يكون من العظماء بمعاييرهم وموازينهم المادية.

ومن يكذب الايات ويستكبر عن اتباع الرسول لاتفتح له الأبواب السماء.

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَـٰ بِنَنَا وَاسْتَكُبْرُوا عَنْهَا لا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْزُبُ السَّمَاءِ وَلا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةُ حَتَّىٰ يَلِحَ الْجَمَلُ فِي سَمَّ الْخِياطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ ۞ ﴾ [سورة الاعراف]

وبذلك نعرف من هم الذبن لاتفتح لهم أبواب السماء ، وبطبيعة الحال نعرف أن المقابلين لهم هم الذبن تفتح لهم أبواب السماء . . إنهم المؤمنون ، وحين تصعد أرواحهم إلى الملأ الأعلى تجد أعمالهم الصالحة تصعد وترتفع بهم إلى أعلى . أما المكذبون فهم لايترقون بل بهبطون ولا يدخلون الجنة ، وقد علق سبحانه دخول الجنة بمستحيل عقلاً وعادة وطبعاً: (ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط).

وقسم الخياط، هو ثقب الإبرة ، أى الذى تدخل فيه فتلة الخيط ، ولا تدخل فتلة الخيط المنافقة من الخيط فى الشقب إلا أن يكون قطر الفتلة أقل من قطرالشقب ، وأن تكون الفتلة من الصلابة بحيث تنفذ ، وأن تكون الفتلة غير مستوية الطرف ؛ لأنها إن كانت مقصوصة وأطرافها مستوية فهى لا تدخل فى الثقب ؛ لذلك نجد الخياط يجعل للفتلة سناً ليدخلها فى ثقب الإبرة.

وحين تأتي بالجمل ونقول له: ادخل في سم الخياط ، فهل يستطيع ؟ طبعاً لا ؟ لذلك نجد الحق سبحانه قد علق دخول هؤلاء الجنة على مستحيل.

بعض الناس قالوا: وماعلاقة الجمل سم الخياط؟

نقول: إن الجمل يطلق أيضاً على الحبل الغليظ الفتول من حبال ، مثل حبال المركب إننا نجده سميكاً مجدولاً.

وأخذ الشعراء هذه المسألة ؛ ونجد واحداً منهم يصف انشغاله بالحبيب وشوفه إليه وصبابته به حتى يهزل ويستبد به الضعف فيقول:

ولو أن ما بنى من جنوى وصبيابة على جميل لم يدخيل النيار كافير

لأن الجوى والصبابة التي يعاني منهما هذا الشاعر ، لو أصيب بهما الجمل فلسوف يتحف ويتحف ويهزل ، إلى أن يدخل في سم الخياط ، وهنا يوضح ربنا : إن دخل الجمل في سم الخياط فسوف أدخلهم الجنة .

﴿ حَنَّىٰ يَلِمَ الْحَمَلُ فِي مَمِّ الْحِبَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ ﴾

(من الآية ١٠ سورة الأعراف)

وهم يستحقون هذا الجزاء بما أجرموا. ويقول البحق بعد ذلك:

المهاد هو القراش ، ومنه مهد الطفل ، والغاشية هي الغطاء ، أي أن قرش هذا المهاد وغطاء، جهنم . وفي آية أخرى يقول الحق صبحانه وتعالى :

﴿ فَمُ مِن فَوْقِهِم ظُلُلٌ مِنَ النَّادِ وَمِن تَعْيَمِم ظُلُلٌ ﴾

(من الآية ١٦ سورة الزمر)

إذن الظلل والغواشي تغطى جهتين في التكوين البعدى للإنسان ، والأبعاد سنة وهي : الأمام والخلف ، واليمين والشمال ، والفوق والتحت ، والمهاد يشير إلى التحتية ، والغواشي تشير إلى الفوقية ، وكذلك الظلل من النار ، ولكن الحق شاء أن يجعل جهنم تحيط بأبعاد الكافر السنة فيقول سبحانه :

﴿ إِنَّ أَعْنَدْنَا لِلظَّلِلِينَ نَارًا أَحَاطَ رِيمٍ سُرَادِقُهَا ﴾

(من الآية ٢٩ سورة الكهف)

00+00+00+00+00+0(1740

وهذا يعنى شمول العذاب لجميع اتجاهات الظالمين.

وجهنم مأخوذة من الجهومة وهى الشيء المخوف العابس الكريه الوجه، ثم يأتى بالمقابل لبشحن النفس المقابل لمثل هذا الموقف، ويحبب إلى النفس المقابل لمثل هذا الموقف، فيقول سبحانه:

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّنلِحَنتِ لَانْكُلِفُ نَفْسًا إِلَّاوُسْعَهَا أَوْلَتِهِكَ أَصْعَلْتُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِهَا خَلِدُونَ ﴿ أَصْعَلْتُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِهَا

وبهذا يخبرنا الحق أن الذين آمنوا وعملوا الصالحات هم أصحاب البعنة وهم فيها خالدون ، ويضع لنا الحق تنبيها بين مقدمة الآية وتذبيلها ولا تكلف نفساً إلا وسمها و وان لنفهم أن المسرفين على أنفسهم بالكفر وتكذيب الآيات لم يفهموا حقيقة الإيمان ، وأن حبس النفس عن كثير من شهواتها هو في مقدور النفس وليس قوق طاقتها ؛ لذلك أوضع لنا سبحانه أنه كلف بدو افعل ولا تفعل و وذلك في حدود وسع المكلف .

وحين نستعرض الصورة إجمالاً للمقارنة والموازنة بين أهل النار وأهل الجنة نجد الحق قد قال في أهل النار:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِعَا يَنْتِنَا وَاسْتَكْبُرُواْ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَمُمْ أَبُوبُ السَّمَاءَ وَلَا يَدَّخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِحَ الْجُمَلُ فِي مَيْمَ آيِلْمِيَاطِ وَكَذَالِكَ نَجْزِى الْمُجْرِمِينَ ۞﴾

(سورة الأعراف)

فهم لن يدخلوا الجنة ، وعلى ذلك فقد سلب منهم نفعاً ، ولا يتوقف الأمر على ذلك ، ولكنهم يدخلون النار ، إذن فهنا أمران : سلب النافع وهو دخولهم الجنة ، إنه سبحانه حرمهم ومنعهم ذلك النعيم ، وذلك جزاء إجرامهم . وبعد ذلك كان إدخالهم النار ، وهذا جزاء آخر ؛ فقال الحق :

WE NIGH

﴿ لَهُم مِن جَهَنُم مِهَادٌ وَمِن فُو قِهِم غُواش و كَذَلِكُ نَجْزِى الطُّسُلِمِينَ () ﴿ اسورة الأعراف] في الأولى قال: - سبحانه - (وكذلك نجزى المجرمين).

وفي الثانية قال: (وكذلك نجزي الظالمين).

فكأن الإجرام كان سبباً في ألا يدخلوا الجنة ، والظلم كان سبباً في أن يكون من فوقهم غواش ، لهم من جهنم مهاد ، وهم في النار يحيطهم سرادقها.

ومن المناسب بعد تلك الشحنة التي تكرهنا في أصحاب النار وفي سوء تصرفهم قيما كلفوابه أولاً، وسبب بشاعة جزائهم ثانياً ؛ أن نتلهف على المقابل. فقال سبحانه:

﴿ وَاللَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّلِحَسَتِ لا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا أُولْسَيْكَ أَصْحَسَبُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَسْلِدُونَ ﴿ ٢٠ ﴾ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَسْلِدُونَ ﴿ ٢٠ ﴾

وقول الحق سبحانه وتعالى: «لانكلف نفساً إلاوسعها الجوبين المبتدا والخبر ، ككلام اعتراضى ؛ لأن أسلوب يقتضى إبلاغنا أن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم الخلود في الجنة ، وجاهت «لانكلف نفساً إلا وسعها ابين العمدتين وهما المبتدأ والخبر ؛ لأننا حينما نسمع «والذين آمنوا افهذا عمل قلبي ، ونسمع بعده وعملوا الصالحات وهذا عمل الجوارح ، ويذلك أي بعمل القلب مععمل الجوارح يتحقق من السلوك مايتفق مع العقيدة . والاعتقاد هو يسهل دائما السلوك الإيماني ويجعل مشاق التكاليف في الأعمال الصالحة مقبولة وهينة ، ولذلك أوضح سبحانه : إياكم أن تظنوا أنى قد كلفتكم فوق طاقتكم ، لا ؛ فأنا لا أكلف إلا مافي الوسع ، وإياكم أن تفهموا قولى : «والذين آمنوا وعملوا الصالحات هو رغبة في إرهاق نفوسكم ، ولكن ذلك في قدرتكم لأنني المشرع ، والمشرع إنما يضع التكليف في وسع المكلّف .

ونحن في حياتنا العملية نصنع ذلك؛ فنجد المهندس الذي يصمم آلة يخبرنا عن مدى قدراتها ، فلا يحملها فوق طاقتها وإلا تفسد ، وإذا كان الصانع من البشر لا يكلف الآلة الصماء فوق ماتطيق ، أيكلف الذي خلق البشر فوق مايطيقون ؟ محال أن يكون ذلك .

明学派

إذن فيجب أن نوصد الباب أمام الذين يحاولون أن يتحللوا من التزامات التكليف عليهم ، فلا تعلق الحكم على وسعك الخائر الجائر ، ولكن غلق الوسع على تكليف الله ، فإن كان قد كلف فأحكم بأن ذلك في الوسع ؛ والدليل على كذب من يريد الافلات من الحكم هو محاولته إخضاع الحكم لوسعه هو ؛ أن غيره يفعل مالايريد أن يفعله . فحين ينهى الحق عن شرب الخمر تجد غيرك لايشرب الخمر امتثالاً لأمر الله ، وكذلك تجد من يمتنع عن الزنا أو أكل الربا ؛ فإذا كان مثبلك وهو فرد من نوعك قادراً على هذا العمل فيمن لايستنع عن مثل هذه المحرمات هو المذنب لالصعوبة التكليف .

فائتكليف هو أمر الشارع الحكيم بدفعل و «لاتفعل» وسبحانه لا يكلف الإنسان إلا إذا كان قادراً على أن يؤدى مطلوبات الشرع ؛ لأن الله لا يكلف إلا على قدر الطاقة ، واستبقاء الطاقة يحتاج إلى قوت ، طعام ، شراب ، لباس ، وغير ذلك عاتحتاج إليه الحياة ، لذلك أوضع سبحانه أنه يوفر للإنسان كل ماديات الحياة الأساسية ، وإياكم أن تظنوا أن الله حين يكلف الإنسان يكلفه شططاً ، ولكن الإنسان هو الذي يضع في موضع الشطط. فقال:

﴿ وَمَن قُدْرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ . . ٧٠ ﴾

اقدر على رزقه اأى ضيق عليه قليلاً.

ويقول سبحانه:

﴿ فَلْيُنفِقُ مِمَّا ءَاتُكُ اللَّهُ لا يُكَلِّفُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ لا يُكَلِّفُ اللَّهُ لا يُكَلِّفُ اللَّهُ لا يُكَلِّفُ اللَّهُ اللَّهُ لا يُكَلِّفُ اللَّهُ لا يُكَالِّقَ]

إذن لا تفترض ونقدر أنت تكاليف المعيشة ثم تحاول إخصاع وارداتك إلى هذا التصور ، بل انظر إلى الوارد إليك وعش في حيز وإطار هذا الوارد ، فإن كان دخلك مائة جنيه فرتب حياتك على أن يكون مصروفك يساوى دخلك ؛ لأن الله لايكلفك إلا ما آتاك .

ولننظر إلى ماآتانا الله؛ لذلك لاتدخل في حساب الرزق إلا ماشرع الله، فلا تسرق.

0.818100+00+00+00+00+00+0

ولا تنهب ولا تختلس ولا ترتش ثم تقول: هذا ما آتانى الله ، لا ، عليك ألا تاخذ ولا تنتفع إلا بما أحل الله لك ، فإن عشت في نطاق ما أحل الله يعينك الله على كل أمرك وكل حاجاتك ، لأنك تحيا بمنهج الله ، فيصرف عنك الحق مهمات الحياة التي تتعلب أن تزيد على ما آتاك الله ، فلا تخطر على بالك أو على بال أولادك . وتجد نفسك على مبيل المثال وأنت تدخل السوق وآتاك الله قدراً محدوداً من المال ، وترى الكثير من الخيرات ، لكن الحق يجملك لا تنظر إلا في حدود ما في طاقتك ، وكذلك بحسن لك الله ما في طاقتك ويبعد عنك ما فوق طاقتك ؛ لأن الله لا يكنف نفساً إلا ما آتاها ، ولا يحرك شهوات النفس إلا في حدود ذلك .

ولذلك قال الحق:

﴿ وَالَّذِينَ وَامْنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّنْلِحَاتِ لَا نُحَكِلِفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أَوْلَا إِنَّ أَصْحَابُ الْهَنْدَةِ مُسْمُ نِيهَا خَلِدُونَ ﴿ ﴾

(سورة الأعراف)

وأصحاب الجنة هم الذين لا يفارقونها مثلما يحب الصاحب صاحبه ؛ فالجنة تتطلبهم ، وهم يتطلبون الجنة ، والحياة فيها بخلود وما فاتك من متع الدنيا لم يكن له خلود ، وأنت في الدنيا تخاف أن تموت وتفوت النعمة ، وإن لم تمت تخاف أن تتركك النعمة ؛ لأن الدنيا أغيار ، وفي ذلك لفت لقضايا الله في كونه ، تجد الصحيح قد صار مريضاً ، والغني قد صار فقيراً ، فلا شيء لذاتية الإنسان . وبهذا يعدل الله ميزان الناس فياتي إلى الحالة الاقتصادية ويوزعها على الخلق ، ونجد الذي لا يتأبي على قدر الله في رزقه وفي عمله يجعل الله له بعد العسر يسراً . وفي الجنة يُخلى الله أهلها من الأغيار . ولذلك يقول الحق سبحانه :

وَنَزَعْنَامَافِي صُدُودِهِم مِّنْ غِلِّ جَعْرِي مِن تَعْلِمِمُ ٱلْأَنْهَارُ وَقَالُواْ ٱلْحَمَّدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي هَدَ نِنَالِهَاذَا وَمَاكُنَا لِنَهْ تَدِي لَوْلَا أَنْ هَدَ لِنَا ٱللَّهُ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِنَا بِٱلْحَقِّ

وَنُودُوا أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثُتُمُوهَا بِمَا كُنتُمُ وَنُودُوا أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثُتُمُوهَا بِمَا كُنتُمُ تَعَمَّلُونَ اللهِ اللهِ اللهُ الل

وقوله الحق: و ونزعنا ما في صدورهم من غل ه ينطبق ـ أيضا ـ على أهل الاجتهاد الذين اجتهد كل منهم في الدنيا ، واختلفوا ، هؤلاء يبعثون يوم القيامة وليس في صدر أحدهم غل ولا حقد . ولذلك تجد سيدنا الإمام عليًا ـ كرم الله وجهه ـ حين يقرأ هذه الآية يقول : ه اللهم اجعلني أنا وعثمان وطلحة والزبير من هؤلاء » . لأن هؤلاء هم الذين وقع بينهم الخلاف في مسألة الخلافة ، وكل منهم صحابي وميشر بالجنة ، فإن كانت النفوس قد دخلت فيها أغيار ، فإياكم أن تظنوا أن هذه الأغيار سوف تصحبكم في دار الجزاء في الأخرة ؛ لأن الله يقول : (ونزعنا ما في صدورهم من غلي) .

إن الخلاف كان خلافاً اجتهادياً بين المؤمنين وهم قد عملوا الصالحات وكل منهم أراد الحسن من الأعمال ، ونشأ عن ذلك في أغيار الدنيا شيء من عمل القلب ، فأوضح مبحانه : إياكم أن تفهموا أن ذلك سوف يستمر معهم في الآخرة ؛ لأنهم جميعاً حينما اختلفوا كانوا يعيشون باجتهادات الله ، وفي الآخرة لا اجتهاد لأحد . ويريد الحق أن يجعل هذا الأمر قضية كونية ، ومثال ذلك تجد رجلاً قد تزوج امرأة بمقايس غير مقايس الله في الزواج ؛ تزوجها لأنها جميلة مثلاً ، أو لأن والدها له جاه أو غني ، وبعد الزواج لم يعطه والدها الغني شيئاً من ماله فيقول : غشني وزوجني ابنته ، أو كانت جميلة ، ثم لم يعطه والدها الغني شيئاً من ماله فيقول : غشني وزوجني ابنته ، أو كانت جميلة ، ثم لم يعطه والدها الغني شيئاً من ماله فيقول : غشني وزوجني ابنته ، أو كانت جميلة ، ثم لم يعطه والدها الغني شيئاً من ماله فيقول . فاقول لمثل هذا الرجل : مادمت لم تأخذها بمقايس الله فعليك أن تنال جزاء الاختيار .

ولكن من تزوج امرأة على دين الله ، ووجد منها قبحاً ، فلن يصحبه هذا القبع في الأخرة ، ولذلك نجد المحق قد جاء بهذه القضية بالذات ، ولم يأت بها في الأبناء أو في البنات ، بل في الزوج والزوجة لأنهما عماد الأسرة . فبين للرجل : إياك أن تتخيل أن المرأة التي غاظتك أو أتعبتك أو كدرت عليك بخصلة سيئة فيها ، إياك أن تظن أن هذه المخصلة السيئة ستصاحبها في الأخرة ، ولذلك قال سبحانه :

O111100+00+00+00+00+0

﴿ وَأَزُورِجُ مَطَهُمُونَ ﴾

(من الأية 10 سورة آل عمران)

وأزواج مطهرة من الأشباء التي كنت تغضب منها وستكون مطهرة بتطهير. الله لها .

﴿ وَتَزْعَنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِنْ غِلِّ تَجْرِي مِن تَحْتِيمُ ٱلأَنْهَارُ ﴾

(من الآية ٤٣ سورة الأهراف)

ونجد الحق يقول مرة: و تجرى تحتها الأنهار و ومرة يقول: و تجرى من تحتهم الأنهار و ، ونجد و من و فارقاً بين القولين . إننا نرى من يستقر فى قصر ونجد الماء مناباً حوله وتحته يسر العيون ، وماء الأخرة هو ماء غير آسن ، وليس فيه أكدار الدنيا ، وكما أننا نسر بالماء فى الدنيا سنسر به أضعاف ذلك فى الأخرة . وقد تجرى المياه تحت القصر ولكن نبعها من مكان بعيد فيخاف صاحب القصر أن يقطعها آخر عنه ، ويطمئن الحق عباده الصالحين : ستجرى من تحت جنانكم الأنهار وكل المياه ستكون ذاتيتها من موقع كل مكون أنت فيه ولن يتحكم فيك أحد ، ولن يسد أحد عنك منبع المياه ومسرى أنهار الأخرة بلا شطآن ؛ لأن كل شيء ممسوك لا بالأسباب كما فى الدنيا ، ولكن بدوكن » التي هى نك . ولذلك يقول العباد فى جنة الأخرة :

﴿ الْمُمَدُّ لِلَّهِ الَّذِي مَدَنا لِمَنذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْنَدِي لُولًا أَنْ مَدَنا اللَّهُ ﴾

(من الآية ٤٣ سورة الأعراف)

إنهم يقولون الحمد لله لأنه جل وعلا قد جمعهم ودلهم وأرشدهم إلى النواب والنعيم دون منفصات ، والحمد لله هي عبادة يقولها المؤمنون في الأخرة ؛ لأنهم أدوا حق الله في تكاليفه في الدنيا ويعطيهم الله فوق ما يتوقعون في الأخرة . ونعيم الأخرة لا قيد عليه ، ولن يستطيع بشر مهما ارتقى بالابتكار أن يصل إلى ما في الجنة ؛ لأن الشيء يتحقق لك من فور أن يخطر ببالك . (وقالوا الحمد لله) . .

وهذا الحمد لله كان في الدنيا عبادة تكليف ، أمّا في الآخرة فهو « عبادة غبطة وسرور وتللذ . ﴿ وَقَالُوا الْحَمَدُ للهُ الذِي هَدَانَا لَهُ اللهِ .

يقولها المؤمن ؛ لأن الله لو لم ينزل منهجاً سماوياً يحدد له حركة حياته استقامة وينذره

00+00+00+00+00+00!!!!

وبخوفه من المعاصى لما وصل إلى الجنة . والهداية - كما قلنا - هى الدلالة على الطريق الموصل للغاية ، إذن لابد أن تعرف الغاية أولاً ثم تضع الطريق الموصل لها ، بحيث لا يكون معوجاً ولا يعترضك فيه ما يطيل عليك المسافة ، وقوله الحق : « وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله » يمنع أن يضع البشر للبشر قوانين تهديهم إلى الغاية ؛ لأن البشر أنفسهم لا يعرفون الغاية ؛ لذلك يوضحها لهم خالقهم بمنهجه المنزل على رسوله .

ومادامت الهداية من الله فسبحانه لن يخاطب كل إنسان مباشرة ، لكنه سبحانه ينزل الرسل يتلون علينا آيات الله ويوضحون لنا المنهج ؛ لذلك يأتى الحق في الآية نفسها بقوله الحكيم :

﴿ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِنَا بِالْمُقِيِّ وَنُودُواْ أَنْ تِلْكُرُ الْجَنَةُ أُورِ تُشُومًا بِمَا كُنتُم تَعْمَلُونَ ﴾

(من الآية ٤٣ سورة الأعراف)

أنت في الحياة الدنيا حين تجد من يقول لك : إن أردت أن ترتاح فأنا أنصحك أن نمشى إلى المكان الفلاني واذهب إليه عن الطريق الفلاني ، وستجدك سعيداً مرتاح البال ، ثم صدقته ونفذت ما قال ، ووجدت الرجل صادقاً . ألا تشعر بالسعادة ؟ ، وإذا كان الحق قد أرسل الرسل بالبينات والأيات والمنهج الصحيح ، وسار عليه المؤمنون ثم وجدوا الجنة والنعيم ؛ لذلك كان لابد أن يشكروا الله وأن يقولوا : (لقد جاءت رسل ربنا بالحق) . ولأن الرسل لم يكذبوهم بل جاءوا بالخير لهم . (ونودوا أن تلكم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون) .

وكأن الحق يوضع لنا ونحن في دار التكليف أن نستقبل المنهج على هذا الأماس ، وعلى كل واحد أن يحدد مكانه من الجنة ؛ بقربه من منهج الله أو بعده عنه ؛ لأن دخول الجنة هو جزاء العمل طبقاً لمنهج الحق . ووقف العلماء هنا ـ جزاهم الله خيراً ـ وقالوا : كيف نوفق بين هذه الآية :

﴿ وَنُودُوا أَنْ يُلْكُرُ الْجُنَّةُ أُورِثُتُمُومًا بِمَا كُنتُم تَعْمَلُونَ ﴾

(من الآية ٤٣ سورة الأعراف)

وبين قول الرسول صلى الله عليه وسلم:

O!\!:OO+OO+OO+OO+O

(لن يُدخل أحداً عمله الجنة

قالوا: ولا أنت يارسول الله ؟

قال: ولا أنا إلا أن يتغمدني الله بفضل ورحمة (١٠).

وأقول: ليس هناك تناقض بين قول الله سبحانه وتعالى وقول الصادق المصدوق علم الذي بلغ عن الله سبحانه، بل بينهما تأييد؛ فالحق ساعة ماشرع أوضح أن من يعمل العمل الصالح سيدخل الجنة، وهذا التشريع لم يجبر أحد الله عليه، بل هو الذي يعطيه لنا فضلا منه؛ فليس لأحدحق على الله ؛ لأنه لا يوجد عمل يعود بفائدة على الله ، واتباع المنهج إنما يعود على العبد بالمنفعة والخير، فإن دخلت الجنة فهذا أيضاً بالفضل من الله. وينبهنا القرآن إلى الجمع بين هذه الآيات وأنه لاتعارض بين غص حديثي ونص قرآني . يقول:

﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفُرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ۞

[سررة يرنس]

فبجزاء كل عمل عائد على الإنسان لأنه يأخذ مكافأته على فعله ، فإن كانت المكأفاة أكبر من جزاء الفعل فهي من الفضل ؛ لأن الحق هو القائل :

﴿ . كُلُّ امْرِئَ بِمَا كُسَبَ رَهِينَ ١٦ ﴾

وسبحانه أيضاً هو القائل:

﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلإِنسَلْنِ إِلاَّ مَا سَعَىٰ (٣٠ ﴾

إن فهمت اللغة وكنت صاحب ملكة ناضحة تقول: هذه «اللام» للملك. وتفيد أنه لاحق لك على الله إلا بسعيك على وفق منهج الله ، وأن هذه الآية قد حددت العدل ولم تحدد الفضل.

⁽۱) رواه البخاري في الرقاق والمرضى ومسلم في صفات المنافقين والترمذي في الجنائز وأبو داود في الجنائز ، وابن ماجه في الزهد ، وأحمد في مسنده ٦/ ١٢٥ .

研究原

OC100+00+00+00+0110

﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِلَاكَ فَلْيَفْرَحُوا . . (الله وَبِرَحْمَتِهِ فَبِلَاكَ فَلْيَفْرَحُوا . . (الله وَبِرَحْمَتِهِ فَبِلَاكَ فَلْيَفْرَحُوا

والمثال على ذلك أننا كمسلمين نصلى على الميت المسلم ، وقد أمرنا التشريع بذلك ، وأن ندعو الله أن يتجاوز عن سيئاته . فهل تضيف هذه الصلاة إلى الميت شيئا زائداً عن عمله ؟ لو لم تكن صلاة تضيف شيئاً لما أمر التشريع بها . فهى صلاة على ميت مسلم ، وأسلامه من عمله ، وتجد الحق يقول:

﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعْتُهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَنِينَ . . (٢٦ ﴾ [سورة العلور]

أى أن الأباء والأبناء يشتركون معاً في الإيمان وفي العمل ، قوله تعالى:

﴿ الْحَقْنَا بِهِم ذُرِيْتُهُم . . (17)

هذا الإلحاق يفيد أن منزلة الذرية كانت أقل من منزلة الآباء ، لكن الحق يرفع من منزلتهم إكراماً للآباء . وهذا الإلحاق جزاء للذرية ، وقد يكون أيضاً جزاء للآباء ؛ فيحضر لهم أولادهم معهم مادام الكل قد اشتركوا في الإيمان ، وكان الاباء يتحرون الحلال في إطعام الأبناء ولا يربونهم إلا على منهج الله . وقد يرى الأب أبناء جار له يلبسون الملابس الفاخرة ويأكلون الأكل الطيب ، ويتحمل الأبناء ويعشبون عيش الكفاف مع هذا الأب الملتزم بالعمل الصالح والأجر الحلال ، وينال الأبناء الجنة مع الأب لأنهم تحملوا معه مشاق الالتزام بالحلال .

وهكذا نجد كل إنسان مؤمن قد أخذ نتيجة عمله وزيادة .

﴿ . . وَنُودُوا أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (١٣) ﴾ [سورة الأعراف]

و «أرثتموها» من «الإرث» وتدل على أن هناك شيئاً آل إلى الغير. ونعلم أن الله، علم أزلا كيف سيسلك كل مخلوق وماسيفعله من كفر وإيمان وطاعة ومعصية، وعلى رغم ذلك أعد سبحانه لكل واحد من خلقه مكانه في الجنة على أنه مؤمن، وأعد لكل

O+OO+OO+OO+OO+OO+O

واحد من خلفه مكاناً في النار على أساس أنه سيكفر.

إذن فقد أعد سبحانه جناناً بعدد خلقه ، وأعد أماكن في الجحيم بعددهم ، فليست هناك أزمة أماكن عند إله قادر مقتدر . فإن آمنا كلنا فلن يضيق بنا واسع الجنة ، و والعياذ بالله وإن كفر الخلق جميعاً فلن تضيق بهم النار . فإذا كانوا جماعة من خلق سيدخلون الجنة بالعمل ، فأين تذهب أماكن أهل النار ؟ إن الحق بقضل منه بمنحها المؤمنين . إذن فقد ورثوا الذين لم يستحقوا الجنة بسبب الكفر .

وبعد الكلام في البجنة والجزاء وفي حمد التلذذ والسرور والغبطة وفي عهد الجنة ، بعد ذلك كان من المناسب أن يتكلم الحق سبحانه وتعالى عن موقف أهل الجنة من أهل النار ؛ فيقول سبحانه :

﴿ وَنَادَىٰ أَصْعَابُ ٱلجُنَّةِ أَصْعَابُ ٱلْخَنَةِ أَصْعَابُ ٱلنَّارِ أَن قَدْوَجَدْنَا مَاوَعَدُنَارَبُنَاحَقًا فَهَلْ وَجَدَثُم مَّاوَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًا قَالُوا نَعَدَّ فَأَذَنَ مُؤَذِنَ بَيْنَهُمْ أَن لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّلِمِينَ عَلَى الْظَلِمِينَ عَلَى الْطَلِمِينَ عَلَى اللّهِ عَلَى الْطَلِمِينَ عَلَيْ الْطَلْمِينَ عَلَى الْطَلْمِينَ عَلَى الْطَلْمِينَ عَلَى اللّهِ عَلَى اللّهِ عَلَى الْطَلْمِينَ عَلَى الْطَلْمِينَ عَلَيْ الْطَلْمِينَ عَلَيْ اللّهِ عَلَى اللّهِ عَلَى اللّهِ عَلَى اللّهِ عَلَى اللّهُ اللّهِ عَلَى السَّمِينَ عَلَى الْعَلْمِينَ عَلَيْ الْطَلْمِينَ عَلَيْ الْطَلْمِينَ عَلَيْ اللّهُ عَلَيْ اللّهُ عَلَيْهِ عَلَى السَّمِينَ عَلَيْ الْمُعَلِمُ الْمُعَلِمُ الْعَلَمُ عَلَيْ الْعَلْمُ الْعَلْمِينَ عَلَيْ الْمُعْلِمُ الْعَلْمُ الْعَلَمُ الْعَلْمُ عَلَيْمُ الْمُعَلِمُ اللّهُ عَلَيْلُمُ الْمُعْلِمُ الْعَلَمُ الْمُؤْلِمِينَ عَلَى الْعَلْمُ اللّهِ عَلَى الْعَلْمِينَ عَلَى الْعَلْمُ الْعَلَمُ الْعَلْمُ الْعَلْمُ الْعَلِمُ الْعَلْمُ الْعَلْمُ الْعَلِمُ الْعَلْمُ الْعَلْمُ الْعَلْمُ عَلَى الْعَلْمُ الْعَلْمُ الْعَلْمُ الْعَلْمُ الْعَلْمُ الْعَلْمُ الْعَلِمُ الْعَلْمُ الْعَلْمُ الْعَلْمُ الْعَلْمِ الْعَلْمُ الْعَلِمِينَ الْعَلْمُ الْعَلْمُ الْعَلِمُ الْعَلْمُ الْعَلْمُ الْعَلْمُ الْعَلْمُ الْعَلْمُ الْعَلِمُ الْعَلْمُ الْعَلِمُ الْعَلِمُ الْعَلِمُ الْعَلِمُ الْعَلْمُ الْعَلْمُ الْعَلْمُ الْعَلْمُ الْعَلِمُ الْعَلْمُ الْعَلْمُ الْعَلْمُ الْعَلْمُ الْعَلِمُ الْعَلْمُ الْعَلْمُ الْعَلْمُ الْعَلِمُ عَلَى الْعَلْمُ الْعَلْمُ الْعَلْمُ الْعَلِمُ الْعَلْمُ الْعَلْمُ الْعَلِمُ الْعَلْمُ الْعَلِمُ الْعَلِمُ الْعَلْمُ الْعَلِمُ الْعَلْمُ الْعَلْمُ الْعَلِمُ الْعَلْمُ الْعَلِمُ الْعَلْمُ الْعَلْمُ الْعَلْمُ الْعَلِمُ الْعَلْمُ الْعَلْمُ الْعَلْمُ الْعَلْمُ الْعَلْمُ الْعَلْمُ الْعَلْمُ الْعَ

وهكذا نرى التبكيت ، وتصور لنا الآية كيف يرى أهل الجنة أهل النار ، وهذا الترائى من ضمن النعيم ومن ضمن العذاب الأليم ، فحين يرى المؤمن بمنهج الله من عاداه وقهره وآذاه وهو في النار فهذا من تمام اللذة ، والأخر حين يرى مخالفه في الجنة فهذا أيضاً من تمام العذاب ، إذن لابد أن يتراءوا ، ولذلك يحدث الحوار ، وينادى أصحاب الجنة أصحاب النار معترفين بأنهم وجدوا ما وعدهم به الله حقاً وصدقاً ، وأن الحق قد وهبهم هذه الجنة . فهل يا أهل النار .. وجدتم ما وعد ربكم حقاً ؟

ونلاحظ أن هناك خلافاً بين الأسلوبين مع أن السياق المنطقى واحد ؛ فأهل الجنة يقولون : « قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً » ، ولم يأت بالكاف في كلمة ماوعد (الثانية) بل قال : « فهل وجدتم ماوعد ربكم حقاً » ؟

00+00+00+00+00+00+0!\!A0

إنه قال سبحانه : وما وعد و فقط ، ولم يقل ما وعدكم كما قال : (ما وعدنا) لأن المراد أن يلفتهم إلى مطلق الوعد ، وليس الخاص بهم فقط ، بل وأيضا الخاص بالمقابل ، وهكذا يتحقق الوعد المطلق الله . فأهل الجنة بإيمانهم وأعمالهم في الجنة فضلاً من الله ، وأهل النار في النار بكفرهم وعصيانهم عقاباً من الله . وهنا يجيب أهل النار : (قالوا نعم) .

وهذا إقرار منهم بالواقع المشهدى الذي عاشوه واقعاً بعد أن كان وعيداً ، وهم لم يكابروا لأن المكابرة إنما تحدث بين الخصمين في غير مشهد ، وهم في الدنيا قبل أن يوجد المشهد كانوا يكذبون اليلاغ عن الله ، وصارت الدار الآخرة واقعاً ، وتحقق وجودهم في النار .

﴿ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنُ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ اللَّهِ عَلَى ٱلظَّلْلِينِ ﴾

(من الآية \$\$ صورة الأعراف)

أى فينادى مناد من الملالكة يُسمع أهلَ الجنَّة وأهل النار بأن الطرد من رحمة الله على الظالمين الذين ظلموا أنفسهم ؛ بعدم الإيمان وبالتكذيب باليوم الآخر . ويقول المحق بعد ذلك :

﴿ اللَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنسَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجَا وَهُم

والذي يصد عن سبيل الله هو من امتنع عن سبيل الله ، وصد غيره ، أي ضلّ في ذاته ثم أضل غيره ، وهؤلاء هم الذين يطلبون منهج الله معوجاً ، ويذمونه ولا يؤمنون به فيعترضون على إقامة الحدود والقصاص ، وينفرون الناس عن منهج الله ؛ لينصرف الناس عن الدين . هم إذن قد صدوا عن سبيل الله وطلبوا العوج فيما شرع الله لينفروا الناس عمّا شرع الله ، ولم يقتصر الأمر على ذلك ، بل هم بالأخرة كافرون ، ولو كان الواحد منهم مؤمناً بالأخرة ويعلم أن له مرجعاً ومرداً إلى الله لما فعل ذلك .

کاللاقالی کاللا

﴿ وَبَيْنَهُمَا جِعَابُ وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًا بِسِيمَاهُمُّ وَنَادُوا أَصْعَلَبَ ٱلْجَنَّةِ أَن سَلَكُمُّ عَلَيْكُمُّ لَرِيدُخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ اللَّهِ اللَّهُ عَلَيْكُمُّ

الحجاب موجود بين أصحاب الجنة وأصحاب النار ، وهم يتراءون من خلاله ، وبيَّنه الحق سبحانه فقال :

﴿ يَوْمَ بَقُولُ الْمُنْفِقُونَ وَالْمُنْفِقَاتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن تُورِكُمُ قِيلَ ارْجِعُواْ وَرَآءَكُمْ فَالْتَمِسُواْ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَهُ بَابُ بَاطِئُهُ فِيهِ الرَّهَةُ وَظَانِورُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَدَابُ ﴿ ﴾

(مورة الحديد)

باطن هذا الحجاب الرحمة من ناحية أهل الجنة ، وظاهره المواجه لأهل النارفيه المذاب ، والحق هو القادر على كل شيء ؛ لذلك لا ينال أهل الجنة شيء من شقاء أهل النار ، ولا ينال أهل النار شيء من نعيم أهل الجنة ، ويسمع أهل النار رداً على طمعهم في أن ينالهم بعض من نور أهل الجنة ، إنكم تلتمسون الهدى في غير موطن الهدى ؛ فرمن التكليف قد انتهى ، ومن كان يرغب في نور الأخرة كان عليه أن يعمل من أجله في الدنيا ، فهذا النور ليس هبة من خلق لخلق ، وإنما هو هبة من خالق لمخلوق آمن به . وأنتم تقولون : انظرونا نقتبس من نوركم ، وليس في مقدور أهل الجنة أن يعطوا شيئاً من نور أهل الجنة فالعطاء حينئذ نله .

﴿ وَبَيْنَهُما جِمَالٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلَّا إِسِيمَهُم ﴾

(من الآية ٤٦ صورة الأهراف) و دكلًا ، المعنى بها أصحاب الجنة وأصحاب النار ، فقد تقدم عندنا فريقان ؛

WALL THE STREET

أصحاب الجنة ، وأصحاب النار وهناك فريق ثالث هم الذين على الأعراف ، وه الأعراف ، وه الأعراف ، وكذلك وه وأعلى شيء فيه ، وكذلك عرف الفرس . كأن بين الجنة مكانا مرتفعاً كالعرف يقف عليه أناس يعرفون أصحاب النار بسيماهم ، ويعرفون أصحاب الجنة بسيماهم فكأن من ضمن السمات والعلامات ما يميز أهل النار عن أهل الجنة .

وكيف توجد هذه السمات ؟ يقال إن الإنسان ساعة يؤمن يصير أهلا لاستقبال سمات الإيمان ، وكلما دخل في منهج الله طاعة واستجابة أعطاه الله سمة جمالية تصير أصيلة فيه تلازمه و لاتفارقه . وبالعكس من ذلك أصحاب النار فتبتعد عنهم سمات الجلال والجمال وتحل محلها سمات القبح والشناعة والبشاعة .

وإذا ما رأى أهل الأعراف أصحاب الجنة يقولون: سلام عليكم ؛ لأن الأدنى منزلة - أصحاب الجنة - سلام عليكم.

وجماعة الأعراف هم من تساوت سيئاتهم مع حسناتهم في ميزان العدل الإلهي الذي لايظلم أحداً مثقال ذرة.

﴿ فَأَمَّا مَن ثَقَلَتْ مَوْزِينَهُ ۞ فَهُو فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ۞ وَأَمَّا مَنْ خَفْتُ مَوْزِينَهُ ﴿

ويارب لقد ذكرت الميزان ، وحين قدرت الموزون لهم لم تذكر لنا إلا فريقين اثنين . . فريق ثقلت موازينه ، وفريقا خفت موازينه ، ومنتهى المنطق في القياس الموازيني أن يوجد فريق ثالث هم الذين الذين تتساوى سيئاتهم مع حسناتهم ، فلم تثقل موازينهم فيدخلوا النار ، وهؤلاء هم من تعرض أعمالهم على الجنة الرحمة افيجلسون على الأعراف . ومن العجيب أنهم حين يشاهدون أهل الجنة يقولون لهم سلام عليكم على الرغم من أنهم لم يدخلوا ، لكنهم يطمعون في أن يدخلوا ، لأن رحمة الله سبقت غضبه .

O+00+00+00+00+00+0

﴿ . . وَنَادُواْ أَصْحَلْبَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلَّمٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدُخْلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ 3 ﴾

[سورة الأعراف]

وبطبيعة الحال ليس في هذا المكان غش ولاخداع.

وماذا حين ينظرون إلى أهل النار؟

﴿ وَإِذَاصُرِفَتَ أَبْصَنُرُهُمْ لِلْقَاءَ أَصَعَنِ النَّارِقَالُواْرَبَنَا لَا يَجْعَلْنَامَعُ الْقَوْمِ الظَّلِامِينَ اللَّهِ الْمُعَالَقُومِ الظَّلِامِينَ اللَّهِ الْمُعَالَقُومِ الظَّلِامِينَ اللهُ اللهِ اللهُ ا

انظر إلى التعبير القرآني ٥ صرفت أبصارهم ٥ أى لم يصرفوا أبصارهم الأن المسألة ليست اختيارية ١ الأنهم يكرهون أن ينظروا لهم الأنهم ملعونون ، وكأن في اصرفت أبصارهم الونا من التوبيخ الأهل النار .

وقوله الحق: «وإذا صرفت أبصارهم تلقاء اأي جهة أصحاب الناريقولون: (ربنا لاتجعلنا مع القوم الظالمين).

هنا يدعو أهل الأعراف: يارب جنبنا أن نكون معهم . إنهم حين يرون بشاعة العذاب يسألون الله ويستعيذون به ألا يدخلهم معهم .

ويقول الحق سبحانه:

﴿ وَنَادَىٰ أَصْلَبُ ٱلْآَعْمَ افِ رِجَا لَا يَعْمِ فُونَهُم بِسِيمَاهُمُ وَلَا اللَّهُمُ اللَّهُمُ وَلَا اللَّهُمُ وَلَا اللَّهُمُ اللَّهُمُ وَلَا اللَّهُمُ اللّهُمُ اللَّهُمُ اللَّهُمُمُ اللَّهُمُ اللَّهُمُ اللَّهُمُ اللَّهُمُ اللَّهُمُ اللَّهُمُمُ اللَّهُمُ اللَّاللَّهُمُ اللَّهُمُ اللَّهُمُ اللَّهُمُ اللَّهُمُ اللَّهُمُ اللّهُمُ اللَّهُمُ اللَّهُمُ اللَّهُمُ اللَّهُمُ اللَّهُمُ اللَّهُمُمُ اللَّهُمُ اللَّهُم

WENT THE

وكأن أصحاب الأعراف قد صرفت أنظارهم لأصحاب النار ويرون فيهم طبقات من المعذبين، فهذا أبو جهل، وذاك الوليد، ومعه أمية بن خلف وغيرهم عن كانوا يظنون أن قيادتهم لمجتمعهم وسيادتهم على غيرهم تعطيهم كل سلطان وكبان، وكانوا يسخرون من السابقين إلى الإسلام كممار وبلال وصهيب وحباب، وغيرهم عن عاشوا للحق ومع الحق، فيقول أهل الأعراف لهؤلاه: (ماأغنى عنكم جمعكم وماكنتم تستكبرون).

وكأنهم يقولون لهم: إن اجتماعكم على الضلال في الدنيا لم ينفعكم بشيء . . شياطينكم ، والأوثان ، والأصنام والسلطان لم ينفعوكم وكذلك استكباركم على الدعوة إلى الإيمان هل أغنى ذلك عنكم شيئاً ؟ لا . لم يغن عنكم شيئاً .

ويقول الحق بعد ذلك:

﴿ أَهَ تُولَا إِلَيْهِ اللَّهِ مِنْ أَفْسَمْتُ لَا يَسَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةً اللَّهُ اللَّهُ بِرَحْمَةً الدَّخُولُ عَلَيْكُو وَلَا أَنتُ مُعَرِّنُونَ فَ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ اللَّ

ويشير أهل الأعراف إلى المؤمنين الصادقين من أمثال بلال وخباب ويقولون لأهل النار من أمثال أبى جهل والوليد بن المغيرة: أهؤلاء الأبرار من أهل الجنة الذين تقولون إنهم لن ينالوا رحمة الله ؟ هم إذن-أهل الأعراف-قد عقدوا المقارنة والموازنة بين أهل الجنة وأهل النار ، وكأنهم نسوا حالهم أن يقفوا في انتظار الفرج وفرحوا بأصحاب الجنة ووبخوا أهل النار ، ولم يشغلهم حالهم أن يقفوا موقف الفصل في هذه المسألة ، وهنا يدخل الحق سبحانه أصحاب الأعراف جنته لفرحهم بأصحاب الجنة ، وتوبيخهم أهل النار ويقول لهم:

﴿ . . ادْخُلُوا الْجَنَّةُ لا خُولْكُ عَلَيْكُمْ وَلا أَنتُمْ تُحْزِّنُونَ (1) ﴾

وهؤلاء-كما قلنا-هم الذين تساوت حسناتهم وسيئاتهم؛ هي الطائفة التي جلست على الأعراف، فلم تثقل حسناتهم لتدخلهم الجنة، لم تثقل سيئاتهم ليدخلوا النار.

الْغَالَانُونَ الْحَقُ بعد ذلك :

حَيْثُ وَنَادَى أَصْحَبُ النَّارِ أَصْحَبُ الْخَنَّةِ أَنَّ أَفِيضُواْ عَلَيْنَا مِنَ الْمَآءِ أَوْمِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُواْ إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُ مَاعَلَى الْكَيفِرِينَ اللَّهَ حَرَّمَهُ مَاعَلَى الْكَيفِرِينَ الْكَيفِرِينَ اللَّهِ اللَّ

وينادى أصحاب النار أصحاب الجنة مستغيثين طالبين أن يعطوهم ويفيضوا عليهم من الماء أو من رزق الله لهم في الجنة ، فيقول أهل الجنة : نحن مربوطون الآن بدد كن ٥ ، ولم يعد لنا الاختيار ، وقد حرم الله عليكم أى شيء من الجنة ومنعه عنكم ، فأنتم يا أهل النار ممنوعون أو هذه المتع ممنوعة عنكم . رحين يطلب أهل النار الماء ، فهم يطلبون أوليات الوجود ، في نار أحاطت بهم صرادقها وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوى الوجود ،

ولذلك يقول الحق بعد ذلك عن الكافرين الذين حرم عليهم خير الجنة:

﴿ اللَّهِ اللَّهُ الل

وهكذا يبين لنا الحق سبحانه وتعالى في هذه الآية من هم الكافرون الذين حرّم عليهم الجنة ؛ إنهم من اتخذوا دينهم لهوا ولعبا ، وأول مرحلة تمر على الإنسان هي اللعب ثم تأتي له مرحلة اللهو . ونعلم أن كل فعل تُوجّه إليه طاقة فاعلة ، وقبل أن تُوجّه إليه الطاقة الفاعلة يمر هذا الفعل على الذهن كي يحدد الغاية من الجهد . وهذا المقصود له حدود ؛ إما أن يجلب له نفعا ، وإما أن يدفع عنه ضُرّاً . وكل مقصد لا يجلب نفعاً ولا يدفع ضراً ، فهو لعب .

إذن فتعريف اللعب: هو فعل لم يقصد صاحبه به قصداً صحيحاً لدفع ضر أو جلب نفع. كما يلعب الأطفال بلعبهم ، فالطفل ساعة يمسك بالمدفع اللعبة أو السيارة اللعبة ، هل له مقصد صحيح ليوجه طاقته له ؟ . لا ؛ لأنه لو كان المقصد صحيحاً لما حطم الطفل لُعَبّة . والطفل غائباً ما يكسر لعبته بعد قليل ، وهذا دليل على أنه يوجه الطاقة إلى غير قصد صحيح ولا يجلب لنفسه نفعاً ولا يدفع عنها مضرة .

ولكن حين تُوجُّه الطاقة إلى ما هو أدنى من المهم فهذا هو اللهو ، كأن يكون المطلوب منك شيئا وأنت توجه الطاقة إلى شيء آخر . والذي يعاقب عليه الله هو اللهو . أما اللعب فلا .

ولذلك نجد النبى الله يطلب من الأهل أن يدربوا الأبناء على شيء قد يفيد الأمة كالسباحة والرماية وركوب الخيل ، ولكن خية البشر في زماننا أنهم جعلوا اللعب غاية لذاته . ومن العجيب أن اللعب صار له قانون الجد ولا يمكن أن يخرقه أحد دون أن يُعاقب ؛ لأن الحكم يرقب المباراة ، وإذا ما تناسى الحكم أمراً أو أخطأ هاج الجمهور . وأتاءل : لقد نقلتم قانون الجد إلى اللعب ، فلماذا تركتم الجد بلا قانون ؟

وكذلك تجد أن خيبة اللهو ثقيلة ؛ لأن الإنسان اللاهي يترك الأمر المهم ويذهب إلى الأمر غير المهم . فيجلس إلى لعبة النرد وهي الطاولة ويترك الشغل الذي ينتح له الرزق ، وليت هذا اللهو مقصور على اللاهي ، ولكنه يجذب أنظار غير اللاهي ويأخذ وقته ، هذا الوقت الذي كان يجب أن يُستغل في طاقة نافعة . وفساد المجتمعات كلها إنما يأتي من أن بعضاً من أفرادها يستغلون طاقاتهم فيما لا يعود على ذواتهم ولا على أمتهم بالخير . إذن فائلهو طاقة معطلة . (اتخذوا دينهم لهواً ولعباً وغرتهم الحياة الدنيا) .

وغرورهم بالحياة الدنيا إنما يأتى من الأسباب التي خلقها الله مستجيبة لهم فظن كل منهم أنه السيد المسيطر. وحين غرتهم الحياة الدنيا نسوا الجد الذي يوصلهم إلى الغاية النافعة الخالدة ، ويكون عقابهم هو قول الله سبحانه:

﴿ فَأَلْيَدُمْ نَنسَلُهُمْ كَمَا نُسُوا لِفَاءَ يَوْمِهُمْ هَلْذَا وَمَا كَانُواْ بِعَايَلْتِنَا يَجْعَدُونَ ﴾

(من الآية ١١ سورة الأعراف)

فهل يعني قوله عز وجل: ونساهم و أنه يتركهم لما يفعلون ؟ . لا ، بل تأخذهم

جهتم اتشویهم ، ونسیانهم هنا هو أنه _ سبحانه _ لا یشملهم بمظاهر فضله ولطفه ورحمته ویترکهم للنار تلفح وجوههم وتنضج جلودهم .

وهائذا بتأكد من جديد أن الدنيا هي المكان الذي يعد فيه الإنسان مكانه في الأخرة ، فإن أراد مكاناً في عليين فعليه أن يؤدي التكليف الذي يعطيه مكانه في عليين . وإذا أراد مكانه أقل من ذلك فعليه أن يؤدي العمل الأقل . كأن الإنسان بعمله هو الذي يحدد مكانه في الأخرة ؛ لأن الحق لا يجازي الخلق استبدادا بهم و افتياتاً أو ظلماً ، ولكنه يجازي الإنسان حسب العمل ؛ لذلك فهناك أصحاب الجنة ، وهناك أصحاب النار ، وهناك أصحاب الأعراف . وهذا العلم الذي يُنزله لنا الحق قرآناً ينذرنا ويبشرنا هو دليل لكل مسلم حتى نتنافس على أن تكون مواقعنا في الأخرة مواقع مشرفة .

﴿ الَّذِينَ الْخَذُواْ دِينَهُ مُ لَمُوا وَلَعِبًا وَعَرَبْهُمُ الْمُيَوَةُ الدُّنْيَا فَالْبَوْمَ نَنسَلُهُم كَا تَسُواْ لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَنذَا وَمَا كَانُواْ بِعَابَنتِنَا يَجْعَدُونَ ﴿ ﴾

(سورة الأعراف)

وحبن يقول الحق سبحانه : و وما كانوا بأياتنا يجحدون ، فالآيات إما آيات كونية :

﴿ وَمِنْ وَالنَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ وَالنَّمْسُ وَالْقَمْرُ ﴾

(من الآية ٢٧ سررة فصلت)

وإما أيات قرآنية كقوله سبحانه :

﴿ كِنَتْ نُعِلَتْ عَالَتْهُ ﴾

(من الآية ٣ سررة فصلت)

وإما أن تكون آيات معجزات لإثبات النبوة كقوله سيحانه :

﴿ وَمَا مَنْعَنَا أَنْ تُرسِلَ بِالْآيَدِينِ إِلَّا أَنْ كُذَّبَ بِمَا الْأُولُونَ ﴾

(من الآية ٥٩ سورة الإسراء) هم إذن جعدوا الآيات كلها، وكان أول جعود هو جعود بالآيات الكونية التي

OC+00+00+00+00+0+0!\oldot

شاهدوها قبل أن يأتي التكليف، فهم عاشوا الليل والنهار. وتنفسوا الهواء، واستمتعوا بدف الشمس، وروى المطر أراضيهم ووجدوا الكون مرتباً منظماً يعطى الإنسان قبل أن يكون للإنسان إدراك أو طاقة ، وكان يجب أن تلفتهم هذه الآيات إلى أن لهم خالقاً هو الحق الأعلى . وحين جاء لهم الموكب الرسالي جحدوا آيات المعجزات التي تدل على صدق الرسل . وحين جاء القرآن معجزاً جحدوا الآيات التفصيلية التي تحمل المنهج . إذن فلا عذر لهم في شيء من ذلك لأن الحق يقول:

﴿ وَلَقَدَّ جِثْنَاهُم بِكِنَابِ فَصَّلْنَاهُ عَلَى عِلْمِ هُدُى وَرَحْتَةُ لِغَوْمِ يُؤْمِنُونَ ۞ ﴿

أى لاعذر لهم في شيء من هذا الجحود؛ لأن الكتاب مفصل، وقد يقولون: إن الكتاب طارى، علينا، وكذلك الرسول الذي جاء به. إذن فما موقفهم من الآيات الكونية الثابتة؟ لقد جحدوها أيضاً. (ولقد جثناهم بكتاب فصلنا، على علم).

وا فصلناه الى أنه سبحانه لم ينزل كلاما مجملاً أو مبهماً ، لا ، بل فيه تفصيل العليم الحكيم ، أنه فصل أحكامه ومعانيه ومواعظه وقصصه حتى جاء قيما غير ذى عوج ، وسبحانه هو القادر أن ينزل المنهج المناسب لقياس ومقام كل إنسان .

إنه حينما يأتي إلينا من يستفتينا في أي أمر ويحاول أن يلوي في الكلام لنأتي له بفتوى تبرر له مايفعله، فنحن نقول له: ليس لدينا فتوى مفصلة؛ لأن الفتاوي التي عندنا كلها جاهزة، ولك أن تدخل بمسألتك في أي فتوى .

﴿ فَصَلْنَكُ عَلَىٰ عِلْمِ هُدَّى وَرَحْمَةً لِقُومٍ يُؤْمِنُونَ ﴿ ٢٠ ﴾ [سورة الأعراف]

وهناك أناس مسمعوا القرآن ورأوا الآيات واهتدوا، فلماذا اهتدى هؤلاء وضل هؤلاء؟ لقد آمن من صدق بالوجود الأعلى كما قلنا في سورة البقرة:

WENT OF

@11+V@@+@@+@@+@@+@@+@

﴿ ذَا لِكَ الْكَتَلَبُ لا رَبِّ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ ٢٠ ﴾

إذن فقد أمن بالقرآن من اهتدى إلى الحق ، ومنهم من أوضح الحق عنهم: أنهم حين يستمعون القرآن تفيض أعينهم من الدمع. وأيضاً هناك من لا يلمس الإيمان قلوبهم حين يستمعون إلى القرآن.

﴿ وَمِنْهُم مِنْ يَسْتَمِعُ إِنْيْكَ حَتَىٰ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِندِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعَلْمَ مَاذَا قَالُ آنِفًا .. (1) ﴾

وهؤلاه هم الذين غلظت قلوبهم فلم يتخللها أو يدخلهاويخالطها نور القرآن ، لذلك تجد الحق يرد عليهم بقوله سبحانه:

﴿ . . أُولَنْ عِلَىٰ اللَّهِ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهُواءَهُمْ () ﴾ [سررة محمد] ويقول سبحانه:

﴿ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقُرُّ وَهُو عَلَيْهِمْ عَمّى .. (1) ﴾

سبق أن ضربنا المثل بأن الفعل في بعض الحالات واحد ، لكن القابل للفعل مختلف ، لذلك تكون النتيجة مختلفة . وعلى سببل المثال : إذا كنت في الشتاه ، وخرجت ووجدت الجو باردا ، وشعرت أن أطراف أصابعك تكاد تتجمد من البرد ، فتضم قبضتيك معاً وتنفخ فيهما ، وقد تفعل ذلك بلا إرادة من كل تدفى ء يديك . وكذلك حين يأتي لك كوب من الشاى الساخن جدا ، وتحب أن تشرب منه ، فأنت تنفخ فيه لتأتي له بالبرودة . والنفخة من فمك واحدة ؛ تأتي بحرارة ليديك ، وتأتي بالبرودة لكوب الشاى ، وهكذا فالفعل واحد لكن القابل مختلف . وكذلك القرآن فمن كان عنده استعداد للإيمان فهو يهتدى به ، ومن لايملك الاستعداد نقله عن الإيمان .

وموقف هؤلاء العاجزين عن استقبال الرحمة موقف غير طبيعى، وماذا ينتظرون بعد هذا الكفر، وبعد الافتئات وبعد الاستكبار وبعد النأبي وبعد اتخاذ الدين لهواً ولعباً، ماذا ينتظرون ؟

ها هو ذا الحق سبحانه يوضح لهم العاقبة :

﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلُهُ ، يَوْمَ يَا آِي تَأْوِيلُهُ ، يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآةَ تَ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا آؤنُرَدُ فَنَعْمَلُ غَيْرً الَّذِي كُنَا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَاكَانُوا يَفْتَرُونَ ثَنَ الْمُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم

وما معنى التأويل ؟ . . التأويل هو ما يؤول إليه الشيء ، هو العاقبة التي بعدها الحق ، فالرحمة والجنة لمن آمن ، والنار لمن كفر ، والحق هو من يقول ويملك قوله لأن الكون كله بيده .

وهنا يقول سبحانه وتعالى : (هل ينظرون إلا تأويله).

أى هل ينتظرون إلا المرجع الذي يؤول إليه عملهم ؟ إن مرجعهم الأخير هو العذاب بعد الحساب يوم يأتي تأويل وغاية وعاقبة ما عملوا .

وحين يأتى يوم القيامة ويتضح الحق ويظهر صدق ما جاء به الرسول من الوعد والوعيد ماذا سيكون قولهم ؟ . . سيقولون ما أورده سبحانه على السنتهم : (يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق) .

أى أنهم سيملنون التصديق حين لا ينفع هذا التصديق ؛ لأنهم لن يكونوا في دار التكليف ، سيقرون بالإيمان لحظة لا ينفعهم ذلك .

﴿ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِنَا بِالْحَقِّ فَهَلَ لَنَا مِن شُفَعَلَة فَيَلُ اللَّهِ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِنَا بِالْحَقِّ فَهَلَ لَنَا مِن شُفَعَلَة فَيَدُ اللَّهِ مَن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِنَا بِالْحَقِّ فَهَلَ لَنَا مِن شُفَعَلَة فَيَالُ اللَّهِ مَن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِنَا بِالْحَقِ فَهَلَ لَنَا مِن شُفَعَلَة فَيَالُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ مَا اللَّهُ اللّهُ اللَّهُ اللَّاللَّهُ اللَّهُ اللَّالَةُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّاللَّاللَّهُ اللّ

(من الآية ٥٣ صورة الأعراف)

هم إذن يقرون بأن الرسل حملت المنهج الحق ويتساءلون عن الشفيع ، ونعلم أن الشفيع لابد أن يكون محبوباً عند من يشفع عنده ، ونحن في الدنيا نجد من يبحث لنفسه عمن يشفع له عند صاحب جاه يكون أثيرا وعزيزا لديه ، أو يكون له كلمة وفضل عليه فلا يرد عليه كلمته . فمن يأتي يوم القيامة بالشفاعة لهؤلاء ؟ . . لا أحد ، وسنجدهم يتخذون الشفعاء من الذين اتخذوهم أنذاذاً لله . وسيعلن هؤلاء أيضاً الكراهية لهم ، ولو مكنهم الله من الشفاعة ما أعظوها للكافرين المشركين ؛ ففي الدنيا كان هؤلاء مؤتمرين بأمر البشر وضلالاتهم . أما يوم الحساب فلا أحد خاضع لإرادة أحد ، حتى الجوارح لا تخضع لإرادة صاحبها ، بل هي خاضعة للحق الأعلى . وفي الأخرة لا مرادات لأحد .

وقد ضربنا من قبل المثل وقلنا: هب أن سربة في جيش ما وعليها قائد صغير برئبة ضابط، ومفروض في جنود السربة أن ينفذوا كلامه، ثم راحوا لموقعة وأعطاهم الضابط الصغير أوامر خاطئة بما له من فرض ارادة عليهم فنفذوا ما أمروا به. ولحظة أن يعودوا ويحاسبهم القائد الأعلى فسيقولون: لقد فعلنا ما أمرنا به الضابط المكلف بقيادتنا، وكذلك ستأنى الجوارح في الأخرة: تشهد عليهم أيديهم وأرجلهم وألسنتهم وجلودهم.

إذن فالأبعاض سترفع شكواها إلى الله يوم ألا يكون لأحد من ملك سواه، ويومئذ سيقول المكذبون الصدق الذي لن ينفهم.

﴿ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِي ﴾

(من الآية ٩٣ سورة الأعراف)

وسوف يبحثون عن شفاعة ، لكنهم لن يجدوا ، بل إن أول من يسخر من الذين عبدوا غير الله هم المعبودون أنفسهم ،

00+00+00+00+00+00!\1.0

ولذلك نجد قوله الحق سبحانه:

﴿ إِنَّكُرْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَّبُ جَهَنَّمَ أَنَّمَ لَمَا وَارِدُونَ ١٠٥٠ ﴾

(سررة الأنباء)

وما ذنب المعبود؟ . . إن الأصنام لا ذنب لها ، بل كل منها يربد أن يشفى نفسه بأن يكون أداة تعذيب لمن أعطوه غير حقه . ولذلك نجد أن الأحجار التي عُبدت تقول : عبدونا ونحن أعبد لله من انقائمين بالأسحار ؛ لأن القائم في الأسحار من الأغبار قد يختار أمراً غير هذا ، ولكنا كنا مقهورين على الطاعة ، وقد اتخذوا صمتنا علينا دليلاً .

إن الأحجار تعلن أنها لم تكن تملك قدرة رفض أن يعبدها أحد أو أن تبعده عنها وتعلن له غباءه .

والشاعر يقول:

قد تجنوا جهلا كما قد تجنوا على ابن مريم والحوارى للمغالى جراؤه والمعنائي فيه تنجيه رحمة الغفار وهكذا يأتهم الحق واضحاً يوم القيامة.

إنهم سيطلبون العودة إلى الدنيا، وهذا من الخيبة ؛ لأن مثل هذا الإقوار ليس من الإيمان، فالإيمان يكون بالغيب لا في المشهد. وحتى ولو عادوا، فلن يؤمنوا!. والحق هو القائل:

﴿ وَلَوْ رُدُواْ لَعَادُواْ لِمَا أَبُواْ عَنَّهُ ﴾

(من الآية ٢٨ سورة الأنعام)

وكأنهم نسوا لحظة إقرارهم أنهم من الأغيار ، وأتى فيهم القول الفصل من الله .

﴿ قَدْ خَسِرُواْ أَنْفُسُهُمْ وَضَلَ عَنْهُمْ مَا كَانُواْ يَفْتُرُونَ ﴾

(من الآية ٩٣ سورة الأعراف)

لقد جاء لهم الخسران بعد أن غاب عنهم ما كانوا يفترون على الله في الدنيا ، إنهم

WILL WILL

رفضوا عبادته-سبحانه-وعبدوا غيره أصناماً صارت وقوداً للنار التي سيصلونها.

ويقول الحق بعد ذلك:

عَنْ إِنَ رَبَّكُمُ اللهُ الّذِي خَلَقَ السَّمَوَتِ وَالْأَرْضَ فِي سِنَّةِ أَيّنَامِ ثُمَّ السَّوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِى الَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ مُحَيْثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنَّجُومَ مُسَخَّرَتِ بِأَمْرِهِ * أَلَا لَهُ الْخَالَىٰ وَالْآمَرُ مُبَارِكَ اللّهُ رَبُ الْعَالَمِينَ بِأَمْرِهِ * أَلَا لَهُ الْخَالَىٰ وَالْآمَرُ مُبَارِكَ اللّهُ رَبُ الْعَالَمِينَ

هنا ربوبية ، وهنا ألوهية: اربكم الله اولا أحد يختلف في مسألة الربوبية لأن الحق يقول على ألسنة الكافرين والمشركين:

﴿ وَلَئِن سَأَلْتُهُم مِّنْ خَلَقَ السَّمَـٰوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ . . ٢٠٠ ﴾ [سورة الزمر]

وكذلك إن سألتهم من خلقهم ؟ سيقولون: الله ، ولم يدّع أحد نفسه مسألة الربوبية ، لأن الربوبية جاءت بنفع لهم ، لكن الألوهية دخلت بمنهج هو: «افعل ولاتفعل ؛ لأن التكليف من الإله الرب ، والتكليف نعمة منه وهو لمصلحتكم أنتم، فلاشيء في التكليف يعود على الله . وفعلكم الحسن أو السبيء لن يعطى لله صفة لم تكن له ؛ لأن صفات الكمال أوجدكم . وإن كنتم أنتم في شك في هذه الربوبية فربكم هو الله -وفله المثل الأعلى -منزه عن التشبيه ، كأن تقول الأم فلولد: قال لك أبوك لاتسهر خارج المنزل فيلاً ، فيتأبى الولد. وتنبه الأم ولدها: إن أباك هو الذي يأتي لك بالأكل والشرب ، والملابس ويعطيك مصروف اليد . . إلخ .

وقد ضربت هذا المثل لأشرح كيف أن المكلف هو الرزاق ولا أحد سواه يرزق ، لذلك كان يجب أن تقبل تكاليفه لأنه سبق لك بالفضل بأن أعطى لك وسخر لك الدنيا .

ومن قبل فصل الحق سبحانه لنا خلق الإنسان ، ويفصل لنا هنا خلق السماء والأرض لأن ظرف وجود الإنسان هو السماء والأرض ، وكل الخيرات تأتى له من السماء ومن الأرض ، وإذا كان الله قد علمنا كيف خلقنا ، فهو هنا يعلمنا كيف خلق السموات والأرض مسألتان خلق السموات والأرض مسألتان ينشغل بهما العلم الحديث ، فمن العلماء من قال: إن الأرض انفصلت عن الشمس، ومنهم من افترض نظرياً أن الإنسان أصله قرد ، ولهؤلاء نقول: هذا حكم منكم لايقبل ؛ لأنكم لم تشهدوا الخلق ، ولذلك فعليكم أن تسمعوا ممن خلق الخلق ليقول لكم كيف خلق الخلق .

هو سبحانه يقول:

﴿ إِنَّ رَبُكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمْسُواتِ وَالأَرْضَ فِي سَتَّةَ أَيَّامِ ثُمُّ امْتُوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ
يُغْشَى اللَّيْلَ النَّهَارِ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرُ وَالنَّجُومَ مَسَخُّرَت بِأَمْرِهِ أَلا لَهُ الْخَلْقُ
وَالأَمْرُ تَبَارِكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَسْلَمِينَ () ﴾

والآية تتعرض للخلق الأول وهو السموات والأرض-كما أوضحت-وهو الظرف الوجودى للإنسان الخليفة وطرأ الإنسان على هذا الكون بكل مافيه من قوى ونواميس ، فكأن الله أعد الكون للخليفة قبل أن يُخلق الخليفة ليجىء الخليفة فيجد كوناً مسخراً له ؛ ولايستطيع أى كائن منه أن يخرج عن مراد الله في شيء (إن ربكم الله الذي خلق).

ومعنى اخلق الى أوجد شيئاً كان معدوماً وبرأه على غير مثال سبقه . فربنا سبحانه قدر كل شيء بنظام دقيق غير مسبوق ، هذا هو معنى الخلق ، وكلمة الخلق امادتها الفاعلة هي : خالق ، وسبحانه وتعالى يجمعها مع أنه الخالق الوحيد فيقول :

﴿ .. فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ اللَّحَسَلُ اللَّهُ أَحْسَنُ اللَّهُ أَحْسَنُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهِ اللَّه

إذن فهناك الخالق الأعلى وهو الله ، ولكنه سبحانه أيضاً أشرك خالقاً غيره معه فقال

0111700+00+00+00+00+00+0

جل وعلا: (فتبارك الله أحسن الخالفين). كيف ؟ ؛ لأن المخلق إبجاد شيء معدوم، والذي صنع الميكرفون يقال خلقه، والذي صنع الكوب يقال خلقه، والذي صنع المصباح يقال خلقه، لأنه كان شيئاً معدوماً بذاته، فأوجده. لكن الفارق أن المخالق من البشر يوجد معدوماً من موجود ولا يأتي بمادة جديدة ؛ فمن أخذ المواد الموجودة في الكون وصمم منها المصباح وصهر الرمل وفرغ الهواء داخل الزجاج يقال له : خلق المصباح وأوجد معدوماً من موجود.

لكن الخالق هو خير الخالقين لأنه يخلق من عدم ولم يحرم خلقه حين يوجدون شيئا معدوماً من أن يوصف الواحد منهم بأنه خائق ، وسبحانه حين خلق خلق من لا شيء ، وأيضاً فإنكم حين تخلقون أي صنعة تظل جامدة على هيئة صناعتها ، فمن صنع الكوب من الرمل المصهور يظل الكوب هكذا ، ولا نستطيع - كما سبق أن قلت قديماً - أن نأتى بكوب ذكر ، وكوب أنش ، ونضعهما معاً في مكان ونقول لهما : أنجيا لنا أكواباً صغيرة .

لكن ما يخلفه ربنا يعطى له سر الحياة ويجعله بالقانون ينتج غيره وينمو ويكبر . إذن فهو أحسن الخالةين .

والله سبحانه وتعالى يعطينا خبر خلقه السموات والأرض. وأوضح سبحانه أن السموات سبع وقد جاءت مجموعة. أما الأرض فجاء يها مفردة. لكنه جل وعلا قال في آبة أخرى:

﴿ اللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَّوْتِ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلُهُنَّ ﴾

(من الآية ١٣ سورة الطلاق)

فكما خلق سبع سموات خلق سبع أراضين ، ولماذا جاء بالسماء بالجمع وترك لفظ الأرض مفرداً ؟ . . لماذا لم يقل : سبع أراضين ؟ ؛ لأن كلمة ، أراضين ، ثقيلة على اللسان فتركها لثقلها وأتى بالسموات مجموعة لخفتها ويسر نطقها .

والسماء هي كل ما علاك فأظلك ، هذا معنى السماء في اللغة . لكن هل السماء التي يريدها الله هي كل ما علاك ؟ . . إن النجم هو ما علاك ؛ وقد يقال : إن الشمس علتك ، والقمر علانا جميعاً . ونلفت الانتباه هنا ونقول للناس الذين أحبوا أن يجعلوا

00+00+00+00+00+C(17(0

السموات هي الكواكب إنها ليست دائما ما علانا ؛ فالشمس تعلو وقتا وتنخفض وقتاً أخر. وكذلك القمر.

إذن فالوصف منحسر عن الشمس أو القمر بعض الوقت ، ولا يصبح أن يوصف أي منهما بأنه سماء دائما . وشيء آخر وهو أنهم حينما قالوا على الكواكب التي كانت معروقة بأنها كواكب سبعة وقالوا : إن هذه هي السماء ، إنهم يقولهم هذا قد وقعوا في خطأ . وأوضح الحق لنا بالعلم أن للشمس توابع أخرى . فمرة رأى العلماء ثمانية توابع ، ومرة تسعة ، وأخرى عشرة توابع ، وهكذا انهدمت فكرة أن التوابع هي السماء ، وبقيت السماء هي ما قوق هذا كله ، والحق هو القاتل :

﴿ إِنَّا زَيَّنَا ٱلسَّمَاءَ ٱلدُّنْيَ بِزِينَةٍ ٱلْكُواكِ ٢٠

(صورة العناقات)

هذه ـ إذن ـ زينة للسماء الدنيا ، والسماء التي يقصدها ربنا ليست هي التي يقولون عليها ، بل السماء خلق آخر لا يمكن لأحد أن يصل إليه ، وكان الجن قديماً يقعدون منها مقاعد للسمع و فمن يستمع الآن يجد له شهاباً رصدا و . وحدث هذا بعد بعثته والحق هو من قال لنا ذلك . ولم يوضح الحق لنا حقيقة هذه السماء ونظامها ، أي أن ربنا يريد لعقولنا أن تفهم هذا القدر فحسب ، وسبحانه خالق السماء التي فوقنا ، وهو جل وعلا خالق أراضين ، وأين هي هذه الأراضين ؟ . . أهي أراضين مبعثرة ؟

ولقد أثبت العلم أن كل مجرّة من المجرّات فيها مليون مجموعة شمسية ، وكل مجموعة شمسية ، وكل مجموعة شمسية فيها أرض ، إذن فهناك أراض عديدة ، ونلحفا أن الحق سحانه حين يتكلم عن الأرض فكل مخاطب بالأرض التي هو فيها ، ولذلك قال بعض العلماء : إن في هذا العالم العالى توجد أراض ، وكل أرض أرسل لهم الحق رسولاً . والحق هو القائل :

﴿ وَمِنْ وَايَنتِهِ عَنْقُ السَّمَنُوْتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَ فِيهِماً مِن دَاّبَةً وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِم إذا

明新

O+COC+CO+CO+CO+C

ويعطينا العلم كل يوم مزيداً من الاكتشافات. وهكذا تكون السماء هى كل ماعلاك والأرض كل ماأقلك. ومادامت سبع سموات والسماء الأولى فراغ كبير وفضاء، وتأتى بعدها السماء الثانية تُظل السماء الأولى، وكل سماء فيها أرض وفيها سماء أخرى. ونحن غير مكلفين بهذا، نحن مكلفون بأن نعلم أن الأرض التى تحن عليها مخلوقة لله.

والحق يقول:

وقوله: «في ستة أيام «هو ظرف للخلق. واليوم نعرف أنه المدة من طلوع الشمس إلى الغروب ثم إلى الشروق ومدته أربع وعشرون ساعة. لكن لابد لنا أن نعرف بعضاً من اصطلاحات الحق القرآنية.

فهو يقول سبحاته وتعالى:

أى هناك ليل وهناك يوم ، إذن فاليوم عند الحق غير اليوم عندنا ؛ لأننا نطلق على المدة الزمنية من طلوع الشمس إلى غروبها وشروقها من جديد. هكذا يكون اليوم في العسرف الفلكي: من شسروق إلى شسروق ، أو من غسروب إلى غسروب، وقسول الحق: ﴿ سِيرُوا فِيهَا لَيَّالِي وَأَيَّامًا آمِينَ ﴾ .

يعنى أنه سبحانه قد جعل الليل قسماً والنهار قسماً ، وهل كان هناك من عرف اليوم إلا بعد أن وجدت الشمس ؟ . . وإذا كانت الشمس هي التي تحدد اليوم فكيف عرف اليوم قبلها وخصوصاً أن السماء والأرض حينما خلقتا لم تكن هناك شمس أو كواكب ؟ . . وعلينا هنا أن نعرف أن هذا هو تقديره سبحانه وقد خاطبنا به بعد أن عرفنا مدة اليوم . ألم تقرأ قول الله سبحانه :

﴿ . . وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعُشِيًّا (١٠) ﴾

وليس في الأخرة بكرة ولاعمشي، إذن سبسحانه قمد قمد البكرة وقمدر

00+00+00+00+00+0!

العشى، وكذلك «في سنة أيام وتلك هي الآيات المحكمات في القرآن بالنسبة لزمن الخلق ؛ سنة أيام ، ولكن آية التفصيل للخلق ، جاءت في ظاهر الأمر أنها ثمانية أيام. اقرأ معي:

﴿ قُلْ أَنْنَكُمْ لَنَكُفُرُونَ بِالَّذِى خَلَقَ الأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَلِك رَبُ الْعَسْلَمِينَ (١) وَجَعَلَ فِيهَا رَوْسَى مِن فَوْقِهَا وَبَسْرِكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقُوْتُهَا فِي أَرْبَعَةَ أَيَّامِ الْعَسْلَمِينَ (١) وَجَعَلَ فِيهَا رَوْسَى مِن فَوْقِهَا وَبَسْرِكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقُوْتُهَا فِي أَرْبَعَةَ أَيَّامِ سَوَاءً لَلسَّالَلِينَ (١) ثُمَّ اسْتُوى إِنِّي السَّمَاءِ وَهِي دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ النِّيا طَوْعًا أَوْ كُرُهًا قَالَتَا أَنْيِنَا طَائِعِينَ (١) فَقَضَسُهُنَ سَبْعَ سَمَسُواتٍ فِي يَوْمَيْنِ . . (١) ﴾ [سورة نصلت]

والظاهر من آية التفصيل أنها ثمانية أيام ، أما آيات الإجمال فكلها تقول: إنها أيام ، ومن النقطة دخل المستشرقون ، وادعوا زوراً أن القرآن فيه اختلاف ، وحالوا أن يجعلوها ضجة عالية . ونقول: إنه - سبحانه - خلق الأرض ومافيها في أربعة أيام كاملة بلا زيادة ولانقصان ، فالمراد أن ذلك حصل وتم في تتمة أربعة أيام ويضم إليها خلق السموات في يومين فيكون عدد الأيام التي تم فيها خلق السموات والإرض ستة أيام أو نحمل المفصل على المجمل ، فحين يقول الحق:

﴿ إِنَّ رَبُّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلْقَ السَّمَـٰ وَالْأَرْضَ فِي سِنَّةَ أَيَّامٍ . . 3 ﴾

[سورة الأعراف]

فهل خلق الله يحتاج إلى علاج حتى يتطلب الزمن الممتد؟ . . إن ربنا يخلق بها بدكن ، ونحن البشر نمالج على حسب قدرتنا لنخلق شيئاً ، وكل عملية نقوم بها تأخذ زمناً ، لكن من يخلق بكلمة «كن و فالأمر بالنسبة له هين جداً - سبحانه وتعالى - لكن لماذا جاء بخبر الخلق في ستة أيام ؟

نعلم أن هناك فرقاً بين ميلاد الشيء وبين تهيئته للميلاد. وكنا قد ضربنا المثل سابقا- ولله المثل الأعلى-بصانع الزبادي، الذي يأتي بأكواب اللبن الدافيء، ثم يضع

WANT OF THE PARTY OF THE PARTY

فى كل منها جزءا من خميرة الزبادى ، ويضع تلك الأكواب فى الجو المناسب. فهل يؤدى هذا الرجل عملاً لمدة أثنتى عشرة ساعة فى كل كوب ، وهى المدة اللازمة لتخمر الكوب؟ . . طبعاًلا ، فقد اكتفى بأن فى كل كوب عناصر التخمر لتتفاعل بذاتها إلى أن تنضع.

ولنظر إلى خلق الجنين من تزاوج بويضة وحيوان منوى. ويأخذ الأمر تسعة شهور وسبحانه جل جلاله لايعمل في خلق الجنين تسعة شهور ، لكنه يترك الأمر ليأخذ مراحل تفاعلاته.

إذن فخلق الله السموات والأرض في ستة أيام لا يعنى أن الستة أيام كلها كانت مشغولة بالخلق ، بل قال سبحانه: اكن وبعد ذلك ترك مكونات السموات والأرض لتأخذ قدرها ومراحلها ؟ لأن ميلادها سيكون بعد ستة أيام . وفي القرآن آية من الآيات أعطتنا لمحة عن هذه المسألة ، فقال سبحانه:

﴿ وَلَقَدْ خَلَقَتْنَا السَّمَتُوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَةِ أَيِّنَامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لَغُوبِ (الله عَلَيْ الله عَلَيْ الله عَلَيْ الله عَلَيْ الله عَلَيْ الله عَلَيْ الله عَلَيْهِ عَلَيْهِ الله عَلَيْ الله عَلَيْ الله عَلَيْ الله عَلَيْهِ الله عَلَيْهِ الله عَلَيْهِ عَلَيْهِ الله عَلَيْهِ الله عَلَيْهِ عَلَيْهِ الله عَلَيْهِ عَلَيْهِ الله عَلَيْهِ الله عَلَيْهِ عَلَيْهِ الله عَلَيْهِ عَلَيْهُ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْ

أى خلق سبحانه السموات والأرض دون تعب ؛ لأنه لا يعالج مسألة الخلق ، بل إنما يحدث ذلك بأصر «كن « فكانت السموات والأرض. والآية التي بعدها فوراً تقول: (فاصبر على ما يقولون).

وكأن قوله سبحانه هنا جاه لتسلية الرسول على موضحاً له: إنهم يكذبونك وقد ترغب في أن نأخذهم أخذ عزيز مقتدر . لكن الحق جعل لكل مسألة كتاباً ، فهو قد خلق السماء والأرض في ستة أيام . ونحن في حياتنا نقول لمن يتعجل أمراً : يا سيدي إن ربنا خلق السماء والأرض في ستة أيام . قلا تتعجل الأمور .

إذن كان ربنا هو القادر على أن ينجز خلق السماء والأرض في لحظة ، لكنه أمر «بكن» وترك المواد تتفاعل لستة أيام . ولماذا لا نقول : جاء بكل ذلك ليعلمنا التأني ، وألانت عجل الأشياء ؟ لأنه وهو القادر على إبراز السموات والأرض في لحظة ، خلقها في ستة أيام ، لذلك قال سبحانه :

明为原务

OC+00+00+00+00+0+0+0

[سورةق]

﴿ فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ . . (الله)

أى لاترهق نفسك لأنه سبحانه خلق السماء والأرض في ستة أيام ، وسيأتي لهؤلاء الجاحدين يومهم الذي يؤاخذون فيه بسوء أعمالهم وسوف يأتي حتماً.

وهناك من يتساءل: كيف خلق الكون بمافيه من الرواسي والكائنات؟ . . ونقول: إنه الإنجاز الذي أخبر به سبحانه مرة واحدة ، وانفعلت الكائنات للقدرة مرة واحدة ، وتعددت استدامة انفعالات السامع لقدرة الله ، في كل جزئية من جزئيات الفعل ، وأخذ الأمر ستة أيام . واستقر الأمر بعد ذلك واستتب ، وسبحانه يقول:

[سورة الأعراف]

﴿ ثُمُّ اسْتُوكَىٰ عَلَى الْعَرَّشِ . . (1)

ولابدأن نعرف العرش ماهو . وسبحانه يقول في ملكة سبأ :

[صورة النمل]

﴿ . . وَلَهَا عُرْشٌ عَظِيمٌ 1 ﴾

فالعرش إذن هو سرير الملك ؛ لأن الملك لايجلس على العرش إلا بعد إن تستقر الأمور.

فكأن قبوله: «استوى على العرش»كناية عن تمام الأمور ؛ وخلقها وانتهت المسألة. لكن العلماء حين جاءوا في «استوى» ، اختلفوا في فهمها ؛ لأن العرش لو كان كرسياً يجلس عليه الله ، لكان في ذلك تحييز لله ووضعه وضمه في جرم ما . وسبحانه منزه عن أن يحيزه شيه . ولذلك أخذ العلماء يتلمسون معاني لكلمة «استوى» منهم من قال: إن معناها هو قصد إليها بخلقه واختراعه ، ومنهم من قال: المقصود بها أنه استعلى وارتفع أمره ، ومنهم من قال: «صعد»أمره إلى السماء واستند إلى قوله الحق:

﴿ ثُمُّ اسْتُوكِي إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ . . (11) ﴾

[نصلت]

O1110O+OO+OO+OO+OO+O

وكلها معانٍ متقاربة . وجماعة من العلماء أرادوا أن يخرجوا من التشبيهات ؛ فقالوا : المقصود بـ و استوى ۽ أنه استولى على الوجود ، ولذلك رأوا أن وجود العرش والجلوس عليه هو سمة لاستقرار الملك . وحتى لا ندخل في متاهات التشبيهات ، أو متاهات التعطيل نقول : علينا أن تأخذ كل شيء منسوب إلى الله في إطار :

﴿ لَبْسَ كَمِثْلِهِ عَنْيَ ﴾

(من الآية ١١ سورة الشوري)

فحين يقول سبحانه:

عُو يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾

(من الآية ١٠ سورة الفتح)

ونحن نفهم أن لليد مدلولاً ، والقرآن لغة عربية يخاطبنا بها سبحانه ، فالقول أن نله يداً فهذا دليل على قدرته . واستخدام الحق كلمة اليد هنا كناية عن القدرة . والإنسان عليه أن يأخذ كل شيء منسوب إلى الله مما يوجد مثله في البشر ، في إطار وليس كمثله شيء ، فنقول : سبحانه له يد ليست كيد البشر ، وله وجود لكنه ليس كوجود البشر ، وله عين ليست كعيون البشر . وله وجه ليس كوجه أحد من البشر . ولذلك حينما سئل سيدنا الإمام مالك عن هذه المسألة قال لمن سأله : و الاستواء معلوم والكيف مجهول والسؤال عنه بدعة و وأراك رجل سوء ! أخرجوه . نعم السؤال عنه بدعة لأنه يدخل بنا في متاهة التشبيه ومتاهة التعطيل ، وهل سأل أحد من صحابة رسول الله عن معنى الاستواء ؟ . . لا ؛ لأنهم فهموا المعنى ، ولم يعلق شيء من معناها في أذهانهم حتى يسألوا عنها رسول الله تله أله المام ماليق يسألوا عنها رسول الله تلهم فهموها بفطرتهم التي قطرهم الله عليها في إطار ما يليق يجلال الله وكماله .

وإن قال قائل: أرسول الله كان يعلم المعنى أم لا يعلم ؟ . . إن كان يعلم لأخبرنا بها ، وإن لم يخبرنا فقد أراد أن يكتمها . وإن لم يكن قد علم الأمر . . فهل تطلب لنفسك أن تعلم ما لم يعلمه ﷺ ؟

او أنَّه ﷺ ترك لكل واحد أن يفهم ما يريد ولكن في إطار و ليس كمثله شيء ، والذين

O-V/3 O+OO+OO+OO+OO+OO+O

يمنعون التأويل يقولون : إياك أن تؤول اليد بالقدرة ؛ لأنه إن قال : إن له يداً ، فقل ليست كأيدينا في إطار ه ليس كمثله شيء ؛ لأنه سبحانه له حياة ، وأنت لك حياة ، أحياته كحياتك ؟ . لا ، فلماذا إذن تجعل يده مثل يدك ؟ . . إذن لابد أن ندخل على كل صفة لله فتنفى عنها التعطيل وننفى عنها التشبيه . ثم إن من يمنعون التأويل نقول لكل منهم : أنت ستضطر أخيراً إلى أن تؤول ؛ لأن الحق يقول :

﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكُ إِلَّا رَجْهَهُ ﴾

(من الآية ٨٨ سورة القصص)

ومادام ، كل شيء هالك إلا وجهه ، فكل ما يطلق عليه شيء يهنك ، ويبقى وجهه سبحانه فقط ، فلو أنت قلت الوجه هو هذا الوجه ، فكأن يده تهلك ورجله تهلك وصدره يهلك ، وحاشا لله أن يحدث ذلك . وتكون قد دخلت في متاهة ما لها من آخر . لذلك نقول : لنأخذ النص وندخله في إطار د ليس كمثله شيء ، وآية الاستواء على العرش هذه ، مذكورة في سور كثيرة ، وهي تحديداً في ، سبعة مواضع ، في سورة الأعراف التي نحن بصددها ، وسورة يونس ، وسورة الرعد ، وسورة طه ، وسورة الفرقان ، وسورة السجدة ، وسورة الحديد .

وهنا يغول الحق بعد الحديث عن الاستواء على العرش : (يغشى الليل النهار) .

الله _ سبحانه _ قد خلق السماء والأرض للخليفة في الأرض وهيأ له فيها أصول الحياة المضرورية ودله على ما يحتاج إليه ، فماذا سيفعل هذا الخليفة ؟ . . لابد أن يقوم بكل مقومات الحياة ، وإذا ما عمل فسيبذل جهداً ، والجهد يقتضى راحة . ومن يشتغل ساعة لابد أن يرتاح ساعة ، وإن اشتغل ساعتين ولم يسترح ساعة غُلب على نفسه .

ونحن نرى فى الآلة التى تعمل ثلاث ورديات يومياً أى التى تعمل لمدة الأربع والعشرين ساعة دون توقف أنها تستهلك أكثر من الآلة التى تعمل ورديتين ، والآلة التى تعمل وردية واحدة أى لمدة ثمانى ساعات يطول عمرها أكثر . وكل إنسان يحتاج إلى الراحة . فشاء الحق سبحانه وتعالى أن يبين لنا أن الليل والنهار متعاقبان من أجل هذا الهدف :

研究证验

O1/1/00+00+00+00+00+00+0

﴿ وَمِن رَّحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلَتَبْتَغُوا مِن فَضَّلِه . . (٧٣) ﴾

[سورة القصص]

أى لتسكنوا في الليل ، وتبتغوا الفضل في النهار ، فإن كنت لم تسترح بالليل فلن تقدر أن تعمل بالنهار ، فمن ضروريات حركة الخلافة في الأرض أن يوجد وقت للراحة ووقت للعمل. لذلك أوضع سبحانه لنا: أنا خلقت الليل والنهار ، وجعلت الليل سكناً أي للراحة والبعد عن الحركة ، والحق يقول هنا:

﴿ يُغْشِى اللَّيْلَ النَّهَارَ . . ((ق))

ويكون المعنى هنا أن النهار يغشى الليل ، ولذلك تحدثنا من قبل عن تتابع الليل والنهار لنستنبط منها الدليل على أن الأرض كرة.

﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارَ خَلْفَةً لَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذْكُرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴿ ٦٠ ﴾

[سورة الفرقان]

والليل يخلف النهار ، والنهار يخلف الليل ، وفي مصر نكون في نهار مثلا ، ويكون هذا الوقت في بلد آخر ليلاً ، وإذا سلسلتها إلى أول ليل وإلى أول نهار ، وأيهما الذي كان خلفه للثاني ؟ فلن تجد ؛ لأن كلا الاثنين خلقا معاً. ولو كانت الأرض مخلوقة على هيئة التسطيح وكانت الشمس قد خلقت مواجهة لسطح الأرض لكان النهار قدخلق أولاً ثم يعقبه الليل ، ولو كانت الشمس قد خلقت غير مواجهة للسطح كان الليل سيأتي أولاً ثم تطلع الشمس على السطح ليوجد النهار . والحق سبحانه أراد من الليل والنهار أن يكون كلاهما خلفة للآخرة ، ولايمكن أن يكون ذلك إلا إذا كان الله مبحانه خلق الليل والنهار دفعة واحدة . كان لابد أن تكون الأرض كرة ؛ ليغشي النهار الجزء المواجه للشمس ، وليغشي الليل الجزء غير المواجه للشمس ، وحين تدور الأرض يأتي النهار خلفة لليل ، ويكون الليل خلفة لليل ، ويكون

﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خَلْفَةً لَمَنْ أَرَادُ أَنْ يَذَكُّرُ أَوْ أَرَادُ شُكُورًا 📧 ﴾

WAY TO SHARE

(بغشى الليل النهار)ويغشى النهار الليل وحذفت للاعتماد على الآيات السابقة التي منها قول الحق سبحانه:

﴿ وَلا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَادِ . . (1) ﴾

أى أن الليل لايسبق النهار وكذلك النهار لايسبق الليل ، وهذا دليل على أنهما خُلقاً دفعة واحدة.

والحق يقول هنا: (والشمس والقمروالنجوم مسخرات بأمره ألا له الخلق والأمر)

فلا أحد من هذه الكائنات له اختيار أن يعمل أو لا يعمل ، بل كلها مسخرة ، ولذلك تجد النواميس الكونية التي لادخل للإنسان فيها ولا لاختياراته دخل في أمورها تسير بنظام دقيق ، ففي الوقت الفلاني ستأتي الأرض بين الشمس والقمر ، وفي الوقت الفلاني سيقع القمر بين الأرض والشمس ، وسيحدث للشمس خسوف، وكل أمر من هذا له حساب دقيق ،

﴿ يُعْشِى اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَتِيتًا وَالشَّمْسَ وَالْفَمْرَ وَالنَّجُومَ مُسَخُرْتِ بِأَمْرِهِ أَلا لَهُ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَتِيتًا وَالشَّمْسَ وَالْفَمْرَ وَالنَّجُومَ مُسَخُرْتِ بِأَمْرِهِ أَلا لَهُ النَّهَارَ وَالنَّمْرُ . . (12) ﴾ [سورة الأعراف]

والخلق إيجاد الأشياء من عدم ، فبعد أن خلق الله الكون لم يترك شؤون الكون لاحد ، بل- سبحانه - له الأمر بعد ذلك . وقيوميته ؛ لأنه لم يزاول سلطانه في ملكه ساعة الخلق ثم ترك النواميس تعمل ، لا ، فيأمره يُعطل النواميس أحياناً ، ولذلك شاء الحق أن تكون معجزات الأنبياء لتعطيل النواميس ؛ لنفهم أن الكون لايسير بالطبع أو بالعلة . لذلك يقول: (ألا له الخلق والأمر) .

وإذا نظرت إلى كلمة «الأمر» تجد الحق يقول:

﴿ قُلْ إِنَّ الْأَمْرِ كُلَّهُ لِلَّهِ . . (١٥١) ﴾

[صورة أل عمران]

والمقصود هو الأمر الكوني ، أما الأمور الاختيارية فلله فيها أمر يتمثل في المنهج ،

@11VYD@+@@+@@+@@+@@+@

وأنت لك فيها أمر إما أن تطبع وإما أن تعصى ، وأنت حر .

﴿ أَلَا لَهُ ٱلْكَالُ اللَّهُ مَا لَأُمْرُ مَبَ اللَّهُ وَالْأَمْرُ مَبَ الْعَالَمِينَ ﴾

(من الآية ؛ ه سورة الأعراف)

وحين يقول سبحانه : و تبارك الله ، وقال من قبل : « أحسن الخالفين » ، فكل لفظ له معنى ، ففى خلقه من البشر مواهب تُخلق ولكن من موجود وأوضحنا ذلك . وفي قول آخر يصف الحق نفسه :

﴿ وَهُوَ أَسْرَعُ الْمُنْسِينَ ﴾

(من الآية ٦٣ سورة الأنعام)

والناس تتعلم الحساب وخلقوا آلات حاسبة ، وهي آلات تتم و برمجتها » وإعدادها وتهيئتها للجمع والطرح والضرب والقسمة ، وكل حدث من الحساب يأخذ مدة . لكن الحق يحسب لكل البشر دفعة واحدة . لذلك فهو أصرع الحاسبين ؛ لأنه ليس هناك حساب واحد ، فأنت لك حساب مع الله ، والآخر له حساب مع الله ، والحساب مع الله متعدد بتعدد أفراد المحاسبين ، وحساب الحق للخلق لا يحتاج إلى علاج ، بل ينطبق عليها ما ينطبق على الرزق ، ولذلك حينما سئل على كرم الله وجهه : ايحاسب الله خلقه في وقت واحد ؟

قال : وما العجب في ذلك ألم يرزقهم في وقت واحد ؟

وانظر إلى القرآن تجد الحق و أسرع الحاسبين » و و أحسن الخالقين » ، و و أرحم الراحمين » و و خير الوارثين » . وهذه هي الألفاظ التي وردت ، ولله فيها مع خلفه صفة ، لكن صفة الله دائما في إطار و ليس كمثله شيء » . (تبارك الله زب العالمين) .

وه تبارك الله ع أي أنه - تعالى - تنزّه ؛ لأن هناك فرقاً بين القدرة المطلقة - وهي قدرة الله - والانفعال للقدرة المطلقة بالإرادة وبه كن » وهذا هو الانفعال والانقياد وللإرادة والأمر .

ويقول الحق سبحانه وتعالى بعد ذلك :

المعتدين 🔘 🗱

والدعاء إنما بكون من عاجز يدعو قادراً على إنجاز وتحقيق ما عجز عنه أو يعينه عليه .
وعندما تشعر أنك عاجز فأنت ترتكن إلى من له مطئق القدرة ؛ لأن قدرتك محدودة . إذن فإن كنت تطغى أو تتكبر فاعرف مكانتك ومنزلتك جيداً وتراجع عن ذلك لأنك عرض زائل ، والدعاء هو تضرع ، وذلة ، وخشوع ، وإقرار منك بأنك عاجز ، وتطلب من ربك المعد والعون . واستحضار عجزك وقدرة ربك نمثل لك استدامة البقين الإيماني . وما جعل ربنا للناس حاجات إلا من أجل ذلك ؛ لأن الإنسان إذا ما رأى الأشباء تنفعل له ، ويتكر ويخترع فقد يأخذه الغرور ، فيأتي له بحاجة تعز وتعجز فيها الأسباب ، فيقف ليدعو . ومن كان متكبراً وعنده صلف وغطرسة يذهب إلى رجل ه غلبان ه زاهد تجرد من الجاه والسلطان منقطع لعبادة الله ويقول له : أستحلفك برسول الله أن تدعو لى الأني في أزمة والذي يسأل الغلبان الزاهد هو رجل عزيز في قومه لكنه يظن أن الغلبان الزاهد أقرب إلى الله منه .

إذن الدعاء هو الضراعة وإظهار الذلة والخشوع لله ؛ لكي يستديم اليقين الإيماني .

﴿ أَدْعُواْ رَبُّكُمْ تَضَرَّعا وَخُفَيةً ﴾

(من الآية ٥٥ سورة الأعراف)

وإياك أن تدعو وفي بالك أن تقضى حاجتك بالدعاء ، عليك بالدعاء فقط لقصد إظهار الضراعة والذلة والخشوع ، ولأنك لولم تدع فستسير أمورك كما قُدر لها ، والدعاء هو إظهار للخشوع ، وإياك أن تفهم أنك تدعو الله ليحقق لك مطالبك ؛ لأنه سبحانه منزه أن يكون موظفاً عندك ، وهناك نظام وضعه سبحانه لتحقيق مطالب العباد . ومن الناس من يطلب بالدعاء أشياء ضارة .

﴿ وَبَدَّعُ ٱلْإِنْسَانُ بِٱلشِّرِ دُعَاءً وُ بِٱلْخَسِيرِ وَكَانَ ٱلْإِنْسَانُ عَجُولًا ١٠ ﴾

(صورة الإسراه) والإنسان قد يتعلق قلبه بأماني قد تضره ؛ لذلك نقول : لا تتعجل بالدعاء طلباً

لأمنيات قد تكون شراً عليك ، والحق العليم ينظم لنا أمورنا ، وإياك أيضاً أن نياس حين لا تجاب دعوتك التي في بالك ؛ لأن الله يحقق الخير لعباده . ولوحقق لك بعضاً مما تدعو فقد يأتي منها الشر ، ويترك الله لأقضيتك أموراً تبين لك هذا ، وتقول : إن الشيء الفلاني الذي كنت أتمناه تحقق وجاء شراً على . مثال ذلك قد تحجز لطائرة لكنك لا تلحق بها فقد أقلعت قبل أن تصل إليها وحزنت لأن بعضاً من مصالحك قد فاتك ولم يتحقق وتفاجاً بأن هذه الطائرة سقطت في البحر .

إذن ، اجعل حظك من الذعاء هو الخشوع والتذلل والضراعة له سبحانه لا إجابتك إلى ما تدعو إليه ، إنك دعوت لتطلب الخير ، فدع الحق بقيوميته وعلمه يحقق لك المخير . واسمع قول الله :

﴿ وَ بَدَّعُ الْإِنسَانُ بِاللَّهِ دُعَاءً وَ إِنكَ بِاللَّهِ وَكَانَ الْإِنسَانُ عَمُولًا ١٠٠٠ ﴾

(سورة الإسراء)

إذن فحين يقول الحق : و ادعوا ربكم تضرعا وخفية و فسبحانه يطلب منا أن ندعوه لأننا سنواجه لحظات متعددة نعجز فيها عن أشياء ، فبدلاً من أن نظل مقهوراً بصفة العجز عن الشيء اذكر أن لك رباً قويا مقتدراً ، وساعة تذكر ذلك لن تأخذك الأسباب من حظيرة الإيمان . وقلنا من قبل : من له أب لا يحمل هما للحياة ، فإذا كان الذي له أب لا يحمل هما للحياة ، فإذا كان الذي له أب لا يحمل هما لمطلوبات الحياة فمن له رب عليه أن يستحى ويعرف أن ربه سيوفر له الخير ؛ لذلك يوضع سبحانه : إذا أعجزتكم الأسباب فاذكروا أن لكم رباً . وقد طلب منكم أن تدعوه ، ولا تظن أن حظك من الدعاء أن نجاب إلى ما طلبت ، بل ليكن حظك من الدعاء إظهار التذلل والخشوع لله ؛ فقد يكون ما حدث لك نتيجة أنك قد اغتررت بنفسك . وقد مبق و قارون و إلى الغرور ، فماذا حدث له ؟ . . لقد هزمه الحق وأنزل به شرّ العقاب . وقد يجعل الحق من تأتي الأسباب وامتناعها عليك مغزى لتلتفت إلى الله ، لكن لفتك لله الساس لفتتك لك لكن لفتتك لله والخشوع والخشوع ؛ ليعطيك ما لم يكن في بالك حين تدعو .

﴿ أَذْعُواْ رَبُّكُمْ تَعَمُّرُعًا وَخُفْيةً ﴾

خُفية لها معنى وهو أن يكون الدعاء دعاء مستوراً مختبثاً ، ولها معنى آخر وهو أن تكون من الخوف أى أدعو ربكم خوفاً من متعلقات صفات الجلال كالجبار والقهار

أو خوفًا من أن يردها الله عليك فلا يقبلها منك .

ادعوا ربكم تضرعاً بذلة وانكسار وخضوع خفية بينك وبين ربك ، فلا تجهر بالدعاء وتجعله عملك الوحيد لأن النبى صلى الله عليه وسلم علمنا حينما كان في غزوة غزاها فنزل أصحابه وادياً ، فلما نزلوا الوادى صاحوا بالتهليل والتكبير ، فقال :

(أيها الناس اربعوا على أنفسكم ، إنكم ليس تدعون أصمُّ ولا غائبا ، إنكم تدعون سميعا قريبا وهو معكم)(١)

والدعاء إلى الله خُفية يبتمد بك عن الرياء وهو أستر لك في مطلوباتك من ربك لأنه حين يوضح لك : ادعني في سرّك لأنني سميع عليم ؛ أعلم كل ما ظِهر منك وما بطن ، ادع بالخضوع والخشوع والتذلل لتنكسر فيك شهوة الكبرياء ، وشهوة الغطرسة ، وشهوة الجبروت .

وإذا ما نظرت إلى هذا تجد أن كثيراً من العلماء يقولون:

— نعرف قوماً يقرأون القرآن في محضرنا وما عرفنا لشفاههم حركة ، وعرفنا قوماً
يستنبطون الأحكام من كلام الله وما رأينا منهم انفعالاً يصرفهم عناً . إذن فالمسألة تعبر
عن شغل باطنى داخلى .

ويريد الحق سبحانه وتعانى أن يبعدنا عن الرياء ويريد أن يستر علينا مطلوباتنا ؛ لأن الإنسان قد يطلب من الله سبحانه وتعالى ما يستحى أن يسمعه آخر .

﴿ أَدْعُواْ رَبُّكُ تَضَرُّعا وَخُفِّيةً ﴾

(من الآية ٥٥ سورة الأعراف) ولو نظرت إلى هذه الآية لوجدت أن كثيراً من الناس يخالفونها مخالفات جماعية ؛ في

(١) رواه مسلم بهذا اللفظ ورواه البخاري ، ومعنى : (اربعوا) ارفقوا بأنفسكم واخفضوا أصواتكم .

WANTED THE PROPERTY OF THE PRO

O+OO+OO+OO+OO+OO+O

الليل مثلاً تجد من يصعدون على المآذن أو يصيحون في مكبرات الصوت التي أغنتهم عن صعود المآذن، ويكون الواحد من هؤلاء نائما طول النهار لأن رفع الأذان هو عمله ليس غير، وبعد ذلك يظل يصرخ ويستغيث ويقول: «أن هذه ابتهالات». بينما من الناس من هو نائم ليأخذ قسطه من الراحة ليؤدى عمله نهاراً، ولا أحد يطلب من هذا النائم إلا أنه وإذا جاء الفجر يستيقيظ ويؤدى الصلاة. فلماذا نقلق الناس بهذا ؟ إننا لابد أن ننبه هؤلاء الذين يظنون أنهم يذكرون الناس بدين الله ، إنهم بعملهم هذا لايسلكون الطريق الصحيح ؟ لأننا لا يمكن أن نذكر الناس بالله ونصنع مخالفة أو نؤذى أحداً ؛ فسبحانه يقول: (ادعوا ربكم تضرعاً وخفية).

والتضرع والخُفية تقتضى ألا أقلق الناس، أو أن أعلن الأمور التى أريدها لنفسى خاصة بصوت عال مثل من يأتى فى ختام الصلاة ويقول دعاء بصوت عال وهو رافع يديه، ولمثل هذا أقول: إن الله سبحانه وتعالى جعل لنا القنوت لندعو فيه، وترك كل مسلم أن يدعو بما ينفعل له. وأنت حين تدعو فى ختام الصلاة قد يوجد مصل مسبوق لحق الصلاة بعد أن سبقه الإمام بركعة أو باثنين أو بثلاث ويريد أن يكمل صلاته، وأنت حين ترفع صوتك بالدعاء حين تختم صلاتك إنما تفسد عليه إتمام صلاته. وتشغله بمنطوق من عندك وبكلام من عندك عن شىء واجب عليه، ومن يفعل ذلك إنما يفعله عن حسن نية، لكنه يسىء إلى عبادة آخر.

إذن فلا بدأن ننتبه إلى أن الله سبحانه وتعالى له مطلوبات، هذه المطلوبات قد تخالفها النفس لغرض ترى أنه حسن، لكن خذها في إطار:

﴿ قُلْ هَلْ ثَنَيْنَكُم بِالأَحْسَرِينَ أَعْمَسُلا ﴿ ﴿ اللَّيْنَ طَلَّ سَعْيَهُمْ فِي الْحَيَوْةِ الدُّنَّيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَهُ أَنَّهُمْ إِنَّا أَنْكُمُ عَلَيْ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فِي الْعَيْفَ إِنَّا اللَّهُمْ يَعْسَبُونَ أَنْهُمْ يَعْسَبُونَهُ أَنَّهُمْ إِنَّا أَنْهُمْ يَعْسَبُونَهُ أَنَّهُمْ إِنَّا أَنْهُمْ عَلَيْكُمُ مِنْ أَنْ أَنْهُمْ أَنْهُمْ أَنْ أَنْهُمْ أَنْ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فِي الْعَلَيْكُمُ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فِي الْعَلَيْكُمُ مِنْ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فِي اللَّهُمْ عَلَيْكُمْ أَنْ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فِي اللَّهُ عَلَيْكُونَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فِي الْعَلَيْكُمُ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فِي اللَّهُ عَلَيْكُمْ فِي اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّهُ عَلَيْكُمُ مِنْ اللَّهُ عَلَيْكُمُ عَلَيْكُمُ اللَّهُ عَلَيْكُمْ إِنْ اللَّهُ عَلَيْكُمْ عَلَيْكُمْ اللَّهُ عَلَيْكُمْ إِنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ أَنْكُمْ عَلَيْكُونَا اللَّهُ عَلَيْكُمُ مِنْ اللَّهُ عَلَيْكُ عَلَيْكُمْ عَلَيْكُمْ عَلَيْكُمُ اللَّهُ عَلَيْكُمْ عَلَيْكُمْ عَلَيْكُمْ عَلَيْكُمْ عَلَيْكُمْ عَلَيْكُمْ عَلَيْكُمْ عَلَيْكُمْ اللَّهُ عَلَيْكُمْ عَلَيْكُ عِلْكُمْ عَلَيْكُمْ عَلَيْكُمْ عَلَيْكُمْ عَلَيْكُمْ عَلَيْكُمْ عَلَيْكُمْ عَلِيكُمْ عَلَيْكُمْ عَلِيكُمْ عَلِي الْعُلْمُ عَلَيْكُمْ عَلَيْكُمْ عَلَيْكُمْ عَلَيْكُمْ عَلَيْكُمْ عَلَيْكُمْ عَلَيْكُمْ عَلِيكُمْ عَلِيكُمْ عَلَيْكُمْ عَلِيكُمْ عَلَيْكُمْ عَلَيْكُمْ عَلَيْكُمْ عَلَيْكُمْ

فلابد أن نتنبه إلى مثل هذه المسائل، وعلينا أن نوفر الراحة لمن ينام ليقوم ويصلى الصبح ويذهب إلى عمله ؛ لذلك لاداعي أن يفتح إنسان «الميكر وفون» ويعلو صوته بالدعاء، ومن يفعل ذلك يظن أنه يحرص على أمر مطلوب فيزعج النائم، بل ويزعج من يصلى بالليل أو «يشوش» على من يقرأ القرآن أو يستذكر بعضاً من العلم. إن على من

00+00+00+00+00+00+00!\%0

يفعل ذلك أن يترك كل إنسان لانفعالاته ، وأن يكون ملك نفسه وملك اختياره . ويعطينا الحق سبحانه وتعالى صوراً كهذه فيقول :

﴿ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ, نِدَآءٌ خَفِينًا ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَمَنَ ٱلْمَظُمُ مِنِي وَٱشْتَعَلَ ٱزْأَسُ مَنْكَ الْمَأْسُ

(الآية ٣ ومن الآية ٤ صورة مربم)

إذن كلمة وخفي، موجودة في القرآن، ولابد أن نتنبه إلى الدعاء الخفي.

﴿ آدْعُواْ رَبُّكُمْ تَضَرُّعَا وَخُفِيةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ١ ﴾

(من الآية هه سورة الأعراف)

إذن إن لم يكن تضرعاً وخفية فهو اعتداء في الدعاء ؛ لأنك مكلف والله هو المُكلَف ، وهو يقول لك : ادعوني تضرعاً وخفية . فإن فعلت غير هذا تكن معتدياً ، وعلى كل هؤلاء أن يفهموا أنهم معتدون فإما أن يكون الاعتداء في أسلوب الطلب وإما أن يكون الاعتداء في المطلوب .

لأن المحق حدد أسلوب الطلب فأوضح: ادعونى بخفاء، فإن دعوت في غير الخفاء تكن معتدياً على منهج الله . وكذلك قد يكون الاعتداء في المطلوب فلا يصح مثلاً أن تقول: إننى أدعوك يارب أن تجملنى نبياً . إن ذلك لا يصح وربنا سبحانه وتعالى علمنا فيما سرده عن نوح . فقال:

﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَبُّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ أَبْنِي مِنْ أَهْلِي وَ إِنَّ وَعَلَكَ ٱلْحَبُّ وَأَنتَ أَحْكُمُ ٱلْحَاكِمِينَ

﴿ قَالَ بَنْنُوحُ إِنَّهُ لَبْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلُ غَيْرُ سَنِلْجَ فَلَا تَسْتَلْنِ مَالَبْسَ لَكَ بِدِيم عِلْمُ إِنْ أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ ٱلْخَلِيلِينَ ۞ ﴾

(سورة هرد)

وهنا لبه الحق نوحاً إلى الاعتداء في المطلوب فقال الحق:

﴿ فَلَا تَسْعَلَنِ مَالَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمُ ﴾

(من الآية ٤٦ سورة هود)

O1V1OO+OO+OO+OO+OO+O

ولذلك نجد نوحاً يستغفر لأنه سأل ودعا الله هذا الدعاء عن غير علم ، فلما عرف ذنبه استغفر الله وقال :

﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُودُ بِكَ أَنْ أَسْعَلَكَ مَالَبُسَ لِي بِهِ عِلْمٌ ﴾

(من الآية ١٧ سورة هود)

وقال له الحق سبحانه:

﴿ أَهْبِطُ بِسَلْمِ مِنَّا وَبَرْكُتِ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ أُمْرِ مِمْن مَعَكَ ﴾

(من الأبة ٨٤ سورة هود)

إذن فالذي لا يسمع منهج الله أو لا يطبقه في الدعاء يكون معتدياً على الحق سبحانه وتعالى ، وسبحانه لا يحب المعتدين .

ويقول الحق بعد ذلك :

﴿ وَلَانُفُسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خُوفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلمُحْسِنِينَ ۞ ﴿

الأرض هي مكان الخليفة وهو الإنسان ، وفيها الأسباب الأصيلة لاستبقاء الحياة والسماء والأرض والشمس والهواء كلَّ مسخر لك . ولا تحتاج إلى تكليف فيه ، فلا أنت تقول : « يا شمس أشرقي » أو « يا هواء هب » فكل ذلك مسخر لك . وأنت مطالب ألا تفسد فيما لك فيه اختيار ؛ لأنك لا تستطيع أن تفسد قوانين الكون العليا ، لا تستطيع أن تغير مسار الشمس ولا مسار القمر ولا مسار الربح ، وأنت لن تستطيع إصلاح مالا يمكن أن تقترب من إفساده ، لأن أمره ليس بيلك لأنه لا اختيار لك فيه . وإنما يأتي الإفساد من ملكات الاختيار الموجودة فيك ، ولم يتركنا الله أحراراً فيها ، بل حددها بمنهج يحمى حركة الحياة بد « افعل » و « لا تفعل » ، فإذا كان سبحانه قد أنزل قرآناً ،

والفران فيه منهج يحمى اختيارك إذن فقد أعطاك عناصر الإصلاح ولذلك يقول لك :

﴿ وَلَا تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَنِحِهَا وَالْمُعُوهُ خُوفًا وَطَمَعًا ﴾

(من الآية ٥٦ سورة الأعراف)

وهنا يعود الحق مرة أخرى للحديث عن الدعاء ، فأولاً جاء بالأمر أن يكون الدعاء تضرعاً وخفية ، وهنا يوضح الحق سببلاً ثانيا للدعاء : (وادعوه خوفاً وطمعاً) . خوفاً من صفات جبروته وقهره ، وطمعا في صفات غفرانه ورحمته ؛ لأن الله صفات جمال وصفات جلال ، وادعوه خوفاً من متعلقات صفات الجلال ، وطمعاً في متعلقات صفات الجمال ، وخوفاً من أن ترد وطمعاً فيما أنت ترجو .

﴿ وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْيِنِينَ ﴾

(من الأبة ٥١ سورة الأعراف)

إذن من الذى يحدد قرب الرحمة منه ؟ إنه الإنسان فإذا أحسن قربت منه الرحمة والزمام في يد الإنسان ؛ لأن الله لا يفتئت ولا يستبد بأحد فإن كنت تريد أن تقرب منك رحمة الله فعليك بالإحسان . (إن رحمة الله قريب من المحسنين).

ولذلك قلنا إن الحق سبحانه وتعالى يقول:

(لا أملُ حتى تملُّوا).

(من حديث قدسي)

وأنت تدخل بيوت الله تصلى في أى وقت ، وتقف في أى مكان لتؤدي الصلاة ، إذن فاستحضارك أمام ربك في يدك أنت ، وسبحانه حدد لك خمسة أوقات ، ولكن بقية الأوقات كلها في يدك ، وتستطيع أن تقف بين يدى الله في أى لحظة , وسبحانه يقول : (ومن جاءني يمشي أتيته هرولة) .

(من حديث قدمي)

وهو جل وعلا يوضح لك : استرح أنت وسآتى لك أنا ؛ لأن الجرى قد يتعبك لكني لا يعترينى تعب ولا عى ولا عجز . وكأن الحق لا يطلب من العبد إلا أن يملك شعوراً بأنه يريد لقاء ربه . إذن فالمسألة كلها في يدك ، ويقول سبحانه :

ر من ذکرنی فی نفسه ذکرته فی نفسی ، ومن ذکرنی فی ملأ ذکرته فی ملأ خیر منه) . (من حدیث قدسی)

وهكذا يؤكد لك سبحانه أن رحمته في يدك أنت وقد أعطاها لك ، وعندما تسلسلها تجدها تفضلًا من الله ، ولكن في يدك أنت . (إن رحمة الله قريب من المحسنين) . ا

ونعلم أن فيه صفات الله وفيه ذات ، فالذات (الله) وهو واهب الوجود ، وله كل صفات الكمال وكل صفة لها متعلق ؛ الرحمة لها متعلق ، والبعث له متعلق فمن أسمائه سبحانه و الباعث و وإياك أن تغيب عن الذات ، اجعل نفسك مسبحاً لذاته العلية دائماً . وقد تقول : يارب أريد أن ترحمنى في كذا ، وقد لا ينفذ لك ما طلبت ، لكن ذلك لا يجعلك تبتعد عن التسبيح للذات ، لأن عدم تحقيق ما طلبت هو في مصلحتك وخير لك .

وقد وقف العلماء عند كلمة « قريب » هذه ، وتساءل بعضهم عن سرّ عدم مجى » تاء التأنيث بعد لفظ الجلالة ؟ ونعلم أن القرآن قد نزل بلغة العرب ، وعند العرب ألفاظ يستوى فيها التذكير والتأنيث ، وما يقال للمذكر مثلما يقال للمؤنث ، فنقول : « رجل صبور » ، و « امرأة صبور » ، ولا نقول : صبورة ونقول : « رجل معطار » أى يكثر استخدام العطر ، و « امرأة معطار » أى تكثر استخدام العطر . ونقول : قريب مثلما نقول : قتيل بمعنى مقتول ، فيقال : « رجل قتيل » و « امرأة قتيل » ، ولا يقال : « تتيلة » إلا إذا لم يذكر معها كلمة امرأة أو مايدل على التأنيث ، لأن القتيل للذكر وللأنش .

هذه هي ألفاظ صحيح اللغة . وقد صنعت اللغة ذلك بأسانيد ، فأنت حين تقول : ورجل صبور ، أو « امرأة صبور » فالصبر يقتضي الجلد والعزم والشدة ؛ لذلك لا نقول : امرأة صبورة » بل تأتي بالوصف المناسب للجَلَد والشدة . وإباك أن تضعفها بحكاية التأنيث ، وكذلك « رجل معطار » و « امرأة معطار » ، والرجل المعطار هو من تعرفه الناس من نفاذ رائحة عطره ، والمرأة مبنية على الستر . فإن تعطرت فهي قد تشبهت بالرجل ويقال لها : « امرأة معطار » ، وحين ننظر إلى كلمة « قريب » فهي من صيغة بالرجل ويقال لها : « امرأة معطار » ، وحين ننظر إلى كلمة « قريب » فهي من صيغة بالرجل ويقال لها : « امرأة معطار » ، وحين ننظر إلى كلمة « قريب » فهي من صيغة بالرجل ويقال لها : « امرأة معطار » ، وحين ننظر إلى كلمة « قريب » فهي من صيغة بالرجل ويقال لها : « امرأة معطار » ، وحين ننظر إلى كلمة « قريب » فهي من صيغة بالرجل ويقال لها : « امرأة معطار » ، وحين ننظر إلى كلمة « قريب » فهي من صيغة بالرجل ويقال لها : « امرأة معطار » ، وحين ننظر إلى كلمة « قريب » فهي من صيغة بالرجل ويقال لها : « امرأة معطار » ، وحين ننظر إلى كلمة « قريب » فهي من صيغة بالرجل ويقال لها : « امرأة معطار » ، وحين ننظر إلى كلمة « قريب » فهي من صيغة بالرجل ويقال لها : « امرأة معطار » ، وحين ننظر إلى كلمة « قريب » فهي من صيغة بالرجل ويقال لها : « امرأة معطار » ، وحين ننظر إلى كلمة « قريب » فهي من صيغة بالرجل ويقال بالربي يستوى فيها المذكر والمؤنث ؛ بدئيل أن الله قال :

﴿ وَإِن تَظَاهُرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهُ هُو مَوْلَنَّهُ وَجِيْرِيلٌ وَصَالِحٌ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمَلْكَيكَةُ بَعْدً

ذَلِكَ ظَهِيرٌ ﴾

WE WILL

والملائكة لفظها لفظ مؤنث، ولم يقل الحق اظهميرة، لأن اظهمير ، يعنى مُعين، والمعونة تتطلب القوة والعزم والمدد؛ لذلك جاء لها باللفظ المناسب الذي يدل على القوة وهو اظهر ، وكذلك قوله الحق:

﴿ . . إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ المُحْسِنِينَ () المُحسِنِينَ () المُحسِنِينَ المِحسِنِينَ المُحسِنِينَ المِحسِنِينَ المِحسِنِينَ المُحسِنِينَ المُحسِنِينَ المِحسِنِينَ المُحسِنِينَ المُحسِنِينَ المِحسِنِينَ المُحسِنِينَ المِحسِنِينَ المُحسِنِينَ المِحسِنِينَ المُحسِنِينَ المَحْسِنِينَ المُحسِنِينَ المُحسِنِينَ المُحسِنِينَ المُحسِنِينَ المُ

و «قريب» و زن «فعيل» بعنى مفعول ، ولعل بعض الناس يفهم أن «قريب» بعنى فساعل أى قسارب ، مسئل رحسم وراحم . أى أن رحسمة الله هى التى تقسرب من المحسنين ، والأمر ليس كذلك ، فإن الرحمة هى المقروبة ، والإحسان هو الذى يقرب إليها فيكون فعيل هنا بمعنى مفعول الذى يستوى فيه المذكر والمؤنث ، أن يكون جاءت كذلك على تأويل الرحمة بالرحم أو الترحم ، أو لأنه صفة لموصوف محذوف أى شيء قريب ، أو لأن تأنيث الرحمة غير حقيقى ، أو أن الرحمة مصدر ، وحق المصدر التذكير .

ويقول الحق بعد ذلك:

﴿ وَهُوَ الَّذِي بُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشَرُّا بَيْنَ يَدَى مَرَّمَتِهِ وَهُوَ الَّذِي الْمَا الْمُلَاسُفَنَا لُهُ لِلَهِ مَنْ عُلِي اللَّهُ لِللَهِ مَنْ كُلِّ الشَّفْنَا لُهُ لِللَهِ مَنْ كُلِّ الشَّمَرَاتِ مَنْ كُلُ الشَّمَرَاتِ مَنْ كُلُولُكُمْ مَنْ السَّلِي السَّمَرَاتِ السَّلَاسُ السَّلَالِي السَّلَاسُ السَلَاسُ السَّلَاسُ السَلَاسُ السَّلَاسُ السَلَاسُ السَّلَاسُ السَلَّاسُ ا

وتصريف الرياح إهاجة للهواء في الكون، والإهاجة للهواء في الكون تأتى منها فوائد كثيرة للغاية، ونحن حين نجلس في مكان مكتظ وعتلىء بالأنفاس نقول لمن يجلس بجوار النافذة: «لنهوى الغرفة قليلاً. وإن لم يكف هواء النافذة تأت بمروحة

لتأخذ من طبقات الجو طبقة هواء جديدة فيها أوكسجين كثير. إذن فإرسال الرياح ضرورة حتى لايظل الهواء راكداً. ويتلوث الجو بهذا الركود، ولو أن كل إنسان سيستقر في مكان مكتوم الهواء لامتلأ المكان بثاني أكسيد الكربون الخارج من تنفسه، ثم لايلبث أن يختنق، ولذلك أراد الله حركة الرياح رحمة عامة مستمرة في كل شيء، وهي أيضاً رحمة تتعلق بالقوت كما تعلقت بمقومات الحياة من نفس وماء وطعام، وتصريف الرياح من أجل تجديد الهواء الذي نتنفسة ، وكذلك تكوين الماء . لأنة سبحانه القائل عن الرباح .

﴿ حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَتْ سَحَابًا ثِقَالاً سُقَّنَتْ لِبَلْدِ مَّيِّت . . (الله عراف]

والرياح هى التى تساعد فى تكوين الأمطار التى تنزل على الأرض فتروى التربة التى نحرثها ، هكذا تكون الرياح بشرى فى ثلاثة أشياء: الشىء الأول تحريك طبقات الهواء وإلا لفسد الجو فى الماء، لأن الرياح هى التى تحمل السحاب وتحركه وتنزل به هناك فرقاً بين بشرى، وبشراً؛ فالبشرى مفرد، وقد وردت فى قوله الحق:

﴿ وَلَقَدْ جَاءَتُ رُسُلُنَا إِبْرَهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ . . (3)

أى التبشير . لكن بشراً جمع بشير وهي كلمة مخففة ، والأصل فيها بشر . والحق يقول : ﴿ فَلَمَا أَنْ جَاءَ البشير ﴾ .

وجمع البشير « بُشُر امثل: « نذير اا و « نُذُره، بضم الشين فسكنت تخفيفا، فتنطق بُشْراً وبُشُراً . (بشراً بين يدي رحمته).

هى بين يدى رحمته لأنها ستأتى لنا بالماء، وهو الرحمة فى ذاته، وبواستطه يعطينا رى الأرض، ونحن نرتوى منه مباشرة أيضاً. ونلحظ كلمة الرياح إذا أطلقت بالجمع فهى تأتى للخير، أما حين يكون فيها شر فيأتى بكلمة الريح المفردة، مثل قوله:

﴿ . بريح صرصر عاتية ١٠٠)

[سورة أحاقاً]

فإذن عندما ترى كلمة « رياح » فاعلم أنها خبر ، أما كلمة « ربح » فاعلم أنها شر لماذا ؟ أنت إذا كنت قاعداً في حجرة فيها فتحة نافذة يأتي منها الهواه ، ويتسلط التيار على إنسان ، فالإنسان يصاب بالتعب ؛ لأن الهواء يأتي من مكان واحد ، لكن حبن تجلس في الخلاء ويهب الهواء فأنت لا تتعب ؛ لأن الرياح متعددة . ولكن الربح تأتي كالصاروخ .

الرياح إذن يرسلها الحق بين يدى رحمته ؛ حتى إذا أقلت أي حملت يقال : و أقل فلان الحقل و أي رفعه من على الأرض وحمله لأنه أقل من طاقته ، لأنه لو كان أكثر من طاقته لما استطاع أن يرفعه عن الأرض ، وما دام قد أقله فالحمل أقل بالنسبة لطاقته وبالنسبة لجهده ، أقلت أي حملت ، وما دامت قد حملت فجهدها فوق ما حملته ، وإذا كان الجهد أقل من الذي حملته لابد أن ينزل إلى الأرض . وأقلت سحاباً أي حملت سحاباً . نعرف أن السحاب هو الأبخرة الطالعة والصاعدة من الأرض ثم تتجمع وتصعد إلى طبقات الجو العليا ، وتضربها الرياح إلى أن تصادف منطقة باردة فيحدث تكثيف للسحاب فينزل المطر ؛ وترى ذلك في الماء المقطر الذي يصنعونه في الصيدلية ؛ فيأتي الصيدلي بموقد وفوقه إناء فيه ماء ويغلى الماء فيخرج البخار ليسير في الأنابيب التي تعرفي ثيار بارد فيتكثف البخار ليصير ماء . (حتى إذا أقلت سحاباً ثقالاً سقناه لبلد ميت) .

وقال الحق: « سقناه » بضمير المذكر ؛ لأنه نظر إلى السحاب في اسم جنسه » أو نظر إلى لفظه ، وجاء بالوصف مجموعاً فقال: « ثقالا » نظراً إلى أن السحاب جمع سحابة فرق بينه وبين واحدة بالناء ، وما دامت السحب كلها داخلة في السوق فليس لها تعددات فكأنها شيء واحد .

﴿ حَنَّىٰ إِذَآ أَمَّلُتْ سَعَابًا ثِقَالًا سُفْنَهُ لِبَلَدِ مَيْتٍ ﴾

(من الآية ٥٧ سورة الأعراف)

السحاب لا يتجه إلى مكان واحد، بل يتجه لأماكن متعددة، إذن فالحق يوجه السحاب الثقال لأكثر من مكان. لكن الحق سبحانه وتعالى يقول: (سقناه لبلد ميت).

والميت هو الذي لا حراك فيه وانتهى اختياره في الحركة ، كذلك الأرض ، فالماء

ينزل من السماء دلمي الأرض وهي هامدة ليس بها حركة حياة أي أن الله يرسل السحاب ويزجيه إلى البلد المبت في أي مكان من الأرض.

﴿ فَإِذَا أَرْلُنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ أَهْتَزْتُ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴾

(من الآية ٥ صورة الحج)

إذن فالأرض التي لا يأتيها الماء تظل هامدة أي ليس بها حركة حياة مثل الميت .

(من الآية ٧٥ صورة الأعراف)

وأراد الحق سبحانه وتعالى أن يلغتنا وينبهنا إلى القضية البومية التي نراها دائما في صور شتى ، وهي أن الأرض تكون في بعض الأحيان جدباً ، ثم يهبط عليها بعض المطر، وبمجرد أن ينزل المطر على الجبل، وبعد يومين من نزول المطر نجد الجبل في اليوم الثالث وهو مخضر ، فمن الذي بذر البذرة للنبات هذا اليوم ؟ إذن فالنبات كان ينتظر هذه المياه . وبمجرد أن تنزل المياه يخرج النبات دون أن يبذر أحد بذوراً ، وهذا دليل على أن كل منطقة في الأرض فيها مقومات الحياة.

(من الأية ٥٧ سورة الأعراف)

فالماء الذي ينزل على الأرض المينة يحيى الأرض ؛ لأنه سبحانه يخرج الحياة كل يوم ، وحين يوضح لنا سبحانه أنه سببعثنا من جديد فليس في هذا أمر عجيب ، وهكذا جعل الله القضية الكونية مرثية وواضحة لكل واحد ولا يستطيع أحد أن يكابر ويعاند فيها؛ لأنها أمر حسى مشاهد، ومنها نستنبط صدق القضية وصدق الرس.

ويقول الحق بعد ذلك:

﴿ وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيْبُ يَغُرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَٱلَّذِي

©©+CC+CC+CC+C £1A1C

خَبُثَ لَا يَخْرُهُ إِلَّا نَكِدُاً كَذَالِكَ نُصَرِّفُ ٱلْآينَتِ لِمَنْ لَكُ نُصَرِّفُ ٱلْآينَتِ لِيَعْدُرُونَ ٢٠٠٠ اللَّهِ اللَّهُ اللَّالِمُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّا

إذن الأية السابقة عالجت قضية البعث بضرب المثل بالأية الكونية الموجودة ؛ فالرياح التي تحمل السحاب ، والسحاب يساق إلى بلد ميت وينزل منه الماء فيخرج به الزرع ، والأرض كانت ميتة ويحييها الله بالمطر وهكذا الإخراج بالبعث وهذه قضية دينية ، ويأتي في هذه الآية بقضية دينية أيضا : (والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه والذي خبث لا يخرج إلا تكداً) .

والبلد الطيب هو البلد الخصب الذي لا يحتاج إلا إلى المياه فيخرج منه الزرع ، اما الذي خبث ، فمهما نزل عليه الماء فلن يخرج نباته إلا بعد عناء ومشقة وهو مع ذلك قليل وعديم النقع . وهنا يخدم الحق قضية دينية مثلما خدم القضية الدينية في البعث أولاً . وقال النبي صلى الله عليه وسلم :

و مثل ما بعثنى الله يه من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضاً فكانت منها طائفة طية ؛ قبلت الماء وأنبتت الكلأ والعشب الكثير ، وكان منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس ، فشربوا منها وسقوا وزرعوا ، وأصاب طائفة أخرى منها ، إنما هى قيمان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ ، فذلك مثل من فقه في دين الله تعالى ، ونفعه ما بعثنى الله به ، فعلم وعلم ، ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به ه(١)

إذن فالمنهج ينزل إلى الناس وهم ثلاثة أقسام ؛ قسم يسمع فينفع نفسه وينقل ما عنده إلى الغير فينفع غيره مثل الأرض الخصبة شربت الماء وقبلته ، وأنبتت الزرع ، وقسم يحملون المنهج ويبلغونه للناس ولا يعملون به وينطبق عليهم قوله الحق :

﴿ لِمَ تَقُولُونَ مَالًا تَفْعَلُونَ ﴾

(من الآية ٣ سورة العبف)

⁽¹⁾ رواه البخاري ومسلم.

صحيح سينتفع الناس من المنهج ، ولذلك قال الشاعر : خذ بعلمي ولا تركن إلى عملي واجن الثمار وخيل العود للنار

ويتول صلى الله عليه وصلم ; (من ستر مسلما ستره الله في الدنيا والأخرة)(١٠ .

قد تر المؤمن على المؤمن مطلوب وستر المؤمن على العالم آكد وأشد طلبا ؛ لأن العالم غير معصوم وله فلتات ، وساعة ترى زئته وسقطته لأتُذِعْها لأن الناس سينتفعون بعلمه . فلا تشككهم فيه ، والقسم الثالث هو من لا يشرب الماء ولا يسقيه لغيره أى الذي لا ينتفع هو ، ولا ينفع غيره .

﴿ وَالْبَلَدُ الطَّيْبُ يَعْرُجُ نَبَاتُهُ, بِإِذْنِ رَبِّهِ ، وَالَّذِى خَبُثَ لَا يَعْرُجُ إِلَّا نَكِداً كَذَالِكَ الْمَالِبُ الطَّيْبُ يَعْرُجُ إِلَّا نَكِداً كَذَالِكَ الْمَالِدُ اللَّالِيَةِ لِقَوْرِ يَشْكُرُونَ ﴿ ﴾ الْفَرْرِ يَشْكُرُونَ ﴿ ﴾

(الآية ٨٨ سورة الأعراف)

إذن منهج الله مثله مثل المطر تماماً ؛ فالمطر ينزل على الأرض ليرويها وتخرج النبات وهناك أرض أخرى لا تنتفع منه ولكنها تمسكه فينتفع غيره ، وهناك من لا ينتفع ولا ينفع ، فكذلك العلم الذي ينزله الله على لسان رسوله . (والذي خبث لا يخرج إلا نكداً كذلك نصرف الآيات) .

قلما من قبل : إن الآيات تطلق على معانٍ ثلاثة : الآيات الكونية التي نراها واقعة في الكون مثل قوله الحق :

﴿ وَمِنْ وَالنَّهِ الَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالنَّمْسُ وَالْقَمْرُ ﴾

(من الآية ٢٧ سورة فصلت)

وآيات هي آيات القرآن، والأيات التي تكون هي المعجزات للأنبياء.

﴿ كَذَالِكَ نُمِّرِفُ ٱلْآيَتِ ﴾

(من الآية ٥٨ سورة الأعراف)

(1) رواء مسلم وأبو داود والترمذي والتساتي وابن ماجه وابن حبان في صحيحه والحاكم وقال صحيح على شرطهما .

الآيات هنا في الكونية كالماء الذي ينزل ، إنة مثل المنهج . من أخذ به فاز ونجا ، ومن تركه وغوى وكل آيات الله تقتضي أن نشكر الله عليها ويقول الحق بعد ذلك :

﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ ، فَقَالَ يَنَوْمِ أَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَالَكُم مِنَ إِلَهِ غَيْرُهُ وَإِنِي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمِ عَظِيمِ شَيْ ﴿ فَيَ الْحَيْثِ مَا اللَّهِ عَظِيمِ مِنْ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللهُ ال

بعد أن تكلم الحق سبحانه وتعالى عن الطائعين وعن العاصين في الدنيا ، وتكلم عن مواقف الآخرة الجزائية في أصحاب الجنة ، وأصحاب النار والاعراف أراد أن يبين بعد ذلك أن كل دعوة من دعوات الله سبحانه أهل الأرض لابد أن تلقى عنتا وتضييفا، وتلقى إعراضاً ، وتلقى إيذاء ، إنه - سبحانه - يريد أن يعطى المناعة لرسول وتضييفا، فيوضح له : لست أنت بدعاً من الرسل ؟ لأن كل رسول جاء إلى قومه قوبل بالاضطهاد ، وقوبل بالتكذيب ، وقوبل بالنكرات ، وقوبل بالإيذاء ، وإذا كان كل رسول قد أخذ من هذا على قدر مهمته الرسالية زماناً محدواً ، ومكاناً محصوراً فأنت يا رسول الله أخذت الدنيا كلها زماناً ومكاناً ، فلا بدأن تكون مواجهاً لمصاعب تناسب مهمتك ورسالتك ؛ فأنت في قمة الرسل ، وستكون الإيذاءات التي تنالك وتصيبك قمة في الإيذاء ، فلست بدعاً من الرسل ، فوطن نفسك على ذلك . وحين توطن نفسك على ذلك ستلقى كل إيذاء وكل اضطهاد بصبر واحتمال في الله ، وقص الحق قصص الرسل على رسول الله ، وعبر الله بالهدف من قص القصص بقول:

﴿ وَكُلاَّ نَقُصُ عَلَيْكَ مِنْ أَنَبَاءِ الرُّسُلِ مَا نَقَبِتُ بِهِ فُوَّادُكُ . (١٤٠) ﴾ [سورة مود] فكأنا القصص تثبيت لفؤاده عَلَيْه ، فكلما أهاجه نكران ، أو كلما أهاجه جحود، قص عليه الحق سبحانه قصة رسول قوبل بالنكران وقوبل بالمحود ليثبت به فؤاده عَلِيّه وفؤاد أتباعه لعلهم يعرفون كل شيء ويوطنون أنفسهم

@1\\\\@@+@@+@@+@@+@@+@

على هذا العنت ؛ فلم يقل الحق لأتباع محمد : إنكم مفبلون على أمر والأرص يمروشة لكم بالورود ، لا . إنما هي متاعب لتجابهوا شر الشيطان في الأرض . والقصص له أكثر من هدى يثبت به فؤاد الرسول صلى الله عليه وسلم ويبين له أنه ليس بدعاً من الرسل ، ويقوى نفوس أتباعه ، لأنهم حينما يرون أن أهل الحق مع الأنبياء النصروا ، وهزم الجمع وولى الدبر ، وأنهم منصورون دائما فهذا يقوى يقين المؤمنين ، ويكسر من جهة أخوى نفوس الكافرين مثلما قال الحق عن واحد من أكابر قريش . (سنسمه على الخرطوم) ،

قال الحق لهم ذلك عن واحد من أكابر قريش وهم لا يقدرون حينئذ أن يدافعوا أو يذودوا عن أنفسهم ، وذهبوا وهاجروا إلى الحبشة حماية لأنفسهم من بطش هؤلاء الأكابر ، وكل مؤمن يبحث له عمن يحميه ، وينزل قوله الحق بعد ذلك في الوليد بن المغيرة وسنسمه على الخرطوم ، والوليد بن المغيرة سيد في قومه ، ويأتي يوم بدر فيوجد أنفه وقد ضرب وخطم ويتحقق قول الله :

(صورة القلم)

فمن _إذن _ يحدد ضربة قتال بسيف في يد مقاتل قبل أن يبدأ القتال؟ لقد حددها الأعلم بما يكون عليه الأمر.

وأيضا فقصص الرسل إنما جيء بها ليثبت للمعاصرين له أنه تلقى القرآن من الله ؟ لأنه رسول أمي ؛ والأمة أمية ، ولم يدّع أحد من خصومه أنه جلس إلى معلم ، أو قرأ كتاباً ، قمن أين جاءته هذه الأخبار إذن ؟

واسمع قول المحق سبحانه وتعالى في الأيات التي يأتي فيها : 1 ما كنت ع مثل قوله المحق :

﴿ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى ٱلْأَمْرَ ﴾

(من الآية \$\$ سورة القصص)

ومثل قوله الحق :

﴿ وَمَا كُنتَ نَتْلُواْ مِن قَبْلِهِ مِن كِنَتْبِ وَلَا تَخْطُهُ بِيَسِنِكَ إِذَا لَا رُقَابَ ٱلمُبْطِلُونَ ﴿

(سورة العنكبوت)

ومثل قوله :

﴿ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقَلْمَهُمْ أَيْهُمْ يَكُفُلُ مَرْيَمَ ﴾

(من الآية 12 سورة آل عمران)

فمن أين جاءت هذه الأخبار إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يعلمون أنه لم يجلس إلى معلم ولم يقرأ كتاباً ؟ لقد جاءت كلها من الحق سبحانه وتعالى ، وهذا دليل آخر على صدق رسالته .

وقصة ميدنا نوح من القصص التي وردت كثيراً في القرآن الكريم مثل قصة موسى عليه السلام ، ومن العجيب أن لقطات القصة تنتشر في بعض السور ، لكن السورة التي سميت بسورة نوح ليس فيها من المواقف التي تعتبر من عبون القصة ، إنها تعالج لقطات أخرى ؛ تعالج إلحاحه في دعوة قومه ، وأنه ما قصّر في دعوتهم ليلا ونهاراً ، وسراً وعلائية ، كلما دعاهم ابتعدوا ، ولم تأت قصة المركب في سورة نوح ، ولا قصة الطوفان ، وهذه لقطات من عيون القصة ، وكذلك لم تأت فيها قصته مع ابنه ، بل جاء بها في سورة هود .

إذن كل لقطة جاءت لوضع مقصود ، ولهذا رأينا قصة نوح في سورة ، نوح ، وقد خلت من عناصر مهمة في القصة ، وجاءت هذه العناصر في سورة ، هود ، أو في سورة ، الأعراف ، التي نتناولها الآن بالخواطر الإيمائية .

إذن ، كل قصة من القصض القرآنى تجدها قد جاءت تخدم فكرة ، ومجموعها يعطى كل القصة ؛ لأن الحق حين يورد القصص فهر يأتى بلقطة فى سورة لتخدم موقفاً ، ولقطة أخرى تخدم موقفاً آخر وهكذا . وحين شاء أن يرسل لنا قصة محبوكة تماماً ، جاء بقصة ويوسف ، فى سورة يوسف ولم يكررها فى القرآن ، لأنها مستوفية فى سورة يوسف ، اللهم إلا فى آية واحدة :

﴿ وَلَقَدْ جَآءَ كُرْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ وِالْبَيْنَاتِ أَمَا زِلْتُمْ فِي شَالِيَّ مِّمَا جَآءَ كُم يِهِ عَلَى إِذَا هَلَكَ

وْ فُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثُ الْقَدُ مِنْ بَعْدِهِ ، رَسُولًا ﴾ (من الآبة ٣٤)

(من الآية ٣٤ سورة غافر)

راجع أصله وخرج أحاديثه الدكتور أحمد همر هاشم نائب رئيس جامعة الأزهر.

C1/1/ DC+CC+CC+CC+CC+C

لقد وردت في سورة يوسف حياة يوسف منذ أن كان طفلا حتى أصبح عزيز مصر ، وهكذا نرى أن الحق حين يشاء أن يأتي بالقصة كتاريخ يأتي بها محبوكة ، وحين يريد أن يلفتنا إلى أمور فيها مواقف وعظات ، يوزع لقطات القصة على مواقع متعددة تتناسب وتتوانق مع تلك المواقع لتأكيد وخدمة هدف .

﴿ لَقُدُ أَرْسَلُنَا نُوحًا إِنَّ قَوْمِهِ عَمَّالَ يَنْقُومٍ ﴾

(من الآية ٥٩ سورة الأعراف)

وساعة ترى « اللام » و « قد » فاعرف أن هذا قسم ، وكأن الحق يقول : وعزتى وجلالي لقد أرسلت توحاً . وهو بهذا يؤكد المقسم عليه .

والقوم كاهم الرجال خاصة من المعشر؛ لأن القوم عادة هم المواجهون للرسالة ، والمرأة محتجبة ؛ تسمع من أبيها أو من أخيها أو من زوجها ، ولذلك قالت النساء للنبي : غلبنا عليك الرجال .

أى أننا لا نجد وسيلة لنقعد معك ونسألك ، فاجعل لنا يوماً من أيامك تعظنا فيه ، فجعل لهن يوماً ؛ لأن المفروض أن تكون المرأة في ستر ، وبعد ذلك ينقل لها الزوج المنهج . إن سمع من الرسول شيئاً ، وكذلك الأب يقول لابنته ، والأخ يقول لأخته .

فإذا تكلم الرسول يقال: إن الرسول واجه القوم ، من قولهم هو قائم على كذا . وقيم على كذا . وقيم على كذا . وليم على كذا . ولذلك الشاعر العربي يقول:

وما أدرى ولست أخال أدرى أقسوم آل حسسن أم نساء

وجاء هنا بالقوم ، والمراد بهم الرجال ، والقرآن يقول :

﴿ لَا يَسْخُرُ قُومٌ مِن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَدِرا مِنْهُم وَلَا نِسَآهُ مِن لِسَآهُ عَسَىٰ أَن

يَكُنْ خَيْراً مِنْهُنْ ﴾

(من الآية 11 سورة الحجرات)

إذن فالنساء لا تدخل في القوم ؛ فالقوم هم المواجهون للرسول ومنهم ثأن المتاعب والتصلب في الرأى ، ويكون الإنكار والجمعود والحرب منهم .

会議員

وسيدنا نوح عليه السلام دعا قومه ونبههم إلى ثلاثة أشياه : عبادة الله ، فقال : « ياقوم اعبدوا الله » ، وبين لهم أنه ليس هناك إله سواه فقال : « مالكم من إله غيره » ، وأظهر لهم حرصه وإشفاقه عليهم إذا خالفوا وعصوا فقال : « إنى أخاف عليكم عذاب يوم عظيم » ،

وهكذا تكلم عن العقيدة في الإله الواحد المستحق للعبادة ، وليس آلمة متعددة ، ونعبده أى نطيع أمره ونهيه ، ولأنهم إن لم يفعلوا ذلك فهو يخاف عليهم من عذاب يوم عظيم ، وهو عذاب يوم القيامة . أو أنّ الله كان قد أوحى له بأنه سيأخذهم أخذ عزيز مقتدر ، وعذاب يوم عظيم أى يوم الإغراق ، و « الخوف » مسألة تتعب تفكير من يستقبلها ويخاف أن يلقاها . فمن الذي يفزع بهذا ؟

إن الذي يغزع هم العلغاة والجبابرة والسادة والأعيان ووجوه القوم ، وكانوا قد جعلوا من أنفسهم صادة ، أما سائر الناس وعامتهم فهم العبيد والمستضعفون . والذي يهاج بهذه الدعوة هم السادة لأنه ليس هناك إلا إله واحد ، والأمر لواحد والنهي لواحد والعبادة والخضوع لواحد ، ومن هنا قسوف تذهب عنهم سلطتهم الزمنية ، لذلك يوضح الحق لنا موقف هؤلاء من الدعوة حين يقول :

﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ عِإِنَّا لَنَرَعَكَ فِي ضَلَالِ مُبِينِ ۞ ﴿ ﴿ مُنِينِ مَنْ مُنِينِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللّ

والملأ هم سادة الغوم وأعيانهم وأشرافهم ، أو الذين ؛ يملأون ، العين هيئة ويملأون الغلوب هيبة ، ويملأون صدور المجالس بنية .

إنهم خائفون أن تكون دعوة نوح هي الدعوة إلى الطريق المستقيم وكلامه هو الهداية ؛ فيمنّوا أنفسهم بأن هذا ضلال وخروج عن المنهج الحق : (إنا لنراك في ضلال مبين) .

CHENION -

O11/700+00+00+00+00+0

أى غيبة عن الحق ، أو في تيه عن الحق ، و د مبين الى محيط بصورة لا يمكن النفاذ منها .

ويردنوح ﷺ:

﴿ قَالَ يَنفُومِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِكِنِي رَسُولُ يِن رَّبِ ٱلْعَالَمِينَ ﴿ الْعَالَمِينَ الْعَالَمِينَ الْعَالَمِينَ الْعَالَمِينَ الْعَالَمِينَ الْعَالَمِينَ

هم قالوا له: اإنا لنراك قي ضلال مبين ا، المتبادر أن يكون الرد: ليس في أمرى ضلال ، لكنه قال هنا: اليس بي ضلالة ، أقول ذلك لنعرف أن كل حرف في القرآن موزون لموضعه ، هم قالوا له: إنا لنراك في اضلال ، فيرد عليهم : ليس بي ضلالة ؛ لأن الضلال جنس يشمل الضلالات الكثيرة ، وقوله يؤكد أنه ليس عنده ضلالة واحدة ، وعادة نفي الأقل يلزم منه نفي الأكثر ، مثلاً عندما يقول لك صديق : عندك تمر من المدينة المنورة ؟ تقول له : ليس عندى ولا تمرة واحدة . أنت بذلك نفيت الأقل ، وهذا أيضاً نفي للأكثر . (قال يا قوم ليس بي ضلالة) .

وحين ينفى نوح عن نفسه وجود أدنى ضلالة فذلك لأنه يعرف أنه لم يأت من عنده بذلك ، ولو كان الأمر كذلك لأتهم نفسه بأن هواه قد غلبه ، لكنه مرسل من عند إله حق .

﴿ .. وَلَنْكُنِّي رَسُولٌ مِّن رُّبِّ الْعَسْلَمِينَ ١٦٥ ﴾

وقوله: ﴿ ولكني استدراك فلا تقولوا: أنا في ضلال ؛ فليس في ضلالة واحدة، لكن أنا رسول يبلغ عن الله ، والله لا يعطى غير الهدى .

(رسول من رب العالمين) أى من سيد العالمين ومن متولى تربية العالمين ، ومن يتولى التربية لا يُنزل منهجاً يضل به من يربيهم ، بل ينزل منهجاً ليصلح من يربيهم ، وسبحانه قبل أن يأتى بهم إلى الوجود سخر لهم كل هذا الكون ، وأمدهم بالأرزاق حتى الكافرين منهم ، ومن يعمل كل ذلك لن يرسل لهم من يضلهم ،

الرَّغُولَةِ الرَّغُولَةِ الْمُؤَالِدُ الْمُؤْلِقِةِ الْمُؤْلِقِةِ الْمُؤْلِقِةِ الْمُؤْلِقِةِ الْمُؤْلِدِةِ الْمُؤْمِدِ الْمِئْدِةُ الْمُؤْمِدِ الْمُؤْمِدِينِ الْمُؤْمِدِ الْمِنِينِ الْمُؤْمِدِ الْمُؤْمِدِ الْمُؤْمِدِي الْمُؤْمِدِي الْمُؤْمِدِي الْمُؤْمِدِ الْمُؤْمِدِ الْمُؤْمِدِي الْمُؤْمِدِ الْمُؤْمِ

﴿ أُبَلِغُكُمْ رِسَلَاتِ رَبِي وَأَنصَحُ لَكُوْ وَأَعْلَمُ الْمُونَ مَا لَائعًا لَهُ وَأَعْلَمُ اللهِ مَا لَانعًا لَهُونَ اللهِ مَا لَائعًا لَهُ وَاللهِ مَا لَائعًا لَهُ وَاللهِ اللهِ مَا لَائعًا لَهُ وَاللهِ اللهُ الله

والبلاغ هو إنهاء الأمر إلى صاحبه ؛ فيقال : بلغت المكان الفلاني . . أى انتهيت إليه . و البلاغة ، هى النهاية في أداء العبارة الجميلة ، و « أبلغكم ، أى أنهى إليكم ما حملنيه الحتى من منهج هداية لحركة حياتكم . (أبلغكم رسالات ربي) .

وكان يكفى أن يقول: ورسالة ربى و إلا أنّه قال: (رسالات ربى) لأن أى رسول يأتى بالمنهج الثابت كها جاءت به الرسالات السابقة حتى لا يقول أحد: إنه جاء ليناقض ما جاء به الرسل السابقون، فها قاله وجاء به أى رسول سابق يقوله، ونعلم أنه كانت هناك صحف لشيت ولإدريس. فقال: إنه يبلغ رسالته المتضمنة للرسالات السابقة سواء رسالة إدريس وهو اخنوخ، وكذلك شيت وغيره من الرسل.

أى أبلغكم كل ما جعله الله منهجاً لأهل الأرض من الأمور المستقيمة الثابتة ، مثلها قال مسحانه :

﴿ شُرَعَ لَـكُمْ مِنَ ٱلدِّينِ مَاوَصَىٰ بِهِ ع نُوجًا وَٱلَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ﴾

(من الآية ١٣ سورة الشورى)

وهو الأمور المستقرة الثابتة العقدية ، والأحكام التي لا تتغير . أو ه رسالات ربى ، ، لانه كرسول يتلقى كل يوم قسطاً من الرسالة ؛ فاليوم جاءت له رسالة يبلغها ، وغداً تأتى له رسالة يبلغها ، ولو قال : ه الرسالة ه لكان عليه أن ينتظر حتى تكتمل البلاغات من الله له ثم يقولها ، ولكن نوح كان يبلغ كل رسالة تأتيه في وقت إبلاغه بها ؛ لذلك فهى ه وسالات » . أو لأن موضوع الرسالات أمر متشعب تشعباً يماثل ما تحتاج إليه الحياة من مصالح ؛ فهناك رسالة للأوامر ، ورسالة للنواهي ، ورسالة للوعظ ، ورسالة للزجر ،

ورسالة للتبشير، ورسالة للإنذار، ورسالة للقصص، وهكذا تكون رسالات.

او أن كل نجم ـ أى جزء من القرآن وقسط منه ـ يعتبر رسالة ، فيا يرسله الله في يوم هو وسالة للنبي ، وغداً له رسالة أخرى وهكذا ،

وقوله: « انصح لكم » لأن البلاغ يقتضى أن يقول لهم منهج الله ، ثم يدعو القوم لأتباع هذا المنهج بأن يرقق قلوبهم ويخاطبهم بالأسلوب الهادى، وينصحهم ، والنصح أمر خارج عن بلاغ الرسالة .

ولنلتفت إلى فهم العبارة القرآنية . (وأنصح لكم) .

والنصح أن توضع للإنسان المصلحة في العمل ، وتجرد نيتك عما يشوهه . وهل أنت تنصح آخر بأمر يعود نفعه عليك ؟ إنك إن فعلت ذلك تكون النصيحة متهمة ، وإن نصحته بأمر يعود عليه وعليك فهذه نصيحة لك وله ، ولكن حينها تقول : « نصحت لك » أي أن النصيحة ليس فيها مسألة خاصة بك ، بل كل ما فيها لصالح من تبلغه فقط ، وبذلك يتضح الفارق بين « نصحت » و « نصحت لك » .

﴿ وَأَنْصَحُ لَـكُو وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَالًا تَعْلَمُونَ ﴾

(من الآية ٦٣ سورة الأعراف)

وكأن سيدنا نوحاً بخاطب قومه : إياكم أن تظنوا أن ما أقوله لكم الأن هو كل العلم من الله ، ولا كل علم الله ، ولا كل ما علمنى الله ، بل أنا عندى مسائل أخرى سوف أقولها لكم إن اتقيتم الله وامتلكتم الاستعداد الإيمان ، وهنا سأعطيكم منها جرعات . أو قوله : وواعلم من الله ما لا تعلمون ، يعنى أنه سيحدث لكم أمر في الدنيا لم يحصل للأمم السابقة عليكم وهو أن من يُكذب الرسول يأخذه الله بذنبه . وتلك التجربة لم تحدث مع قوم شيت أو إدريس .

﴿ فَكُلَّا أَخَذْنَا بِذَنِياء فَيْهُم مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَنْ أَخَذَتُهُ الصَّبْحَة وَمِنْهُم مَنْ خَصَّفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُم مَنْ أَغَرَقْنَا ﴾ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُم مَنْ أَغْرَقْنَا ﴾

(من الآية ١٠ سورة العنكبوت)

00+00+00+00+00+001110

ولم يحدث مثل هذا العقاب قبل نوح ، وقد بين لهم نوح : أنا أعلم أن ربنا قد دبر لكم أن من يُكَذَّبُ سياخذه أخذ عزيز مقتدر .

أو و وأعلم من الله ما لا تعلمون ، ، أى أن الله أعلمنى لا على قدر ما قلت لكم من الخبر ، لكنه سبحانه قد علمنى أن لكل إخبار بالخبر ميلاداً وميعاداً . ويقول سبحانه بعد ذلك :

﴿ أُوعِبَتُمْ أَن جَاءَكُو ذِكُرُ مِن زَيِكُوعَان رَجُلٍ مِنكُو لِيُسْذِرَكُمْ وَلِسَنَّقُواْ وَلَعَلَكُو نُرْحَمُونَ ٢٠٠٠ اللهِ

و أوعجبتم ، وكان من المكن أن يقول: و أعجبتم ، لكن ساعة أن يجيء بهمزة الاستفهام ويأتى بعدها بحرف عطف . فاعرف أن هناك عطفاً على جملة ؛ أى أنه يقول : اكذَّبتُم بى ، وعجبتم من أن الله أرسل على لسانى و ذكر من ربكم ، والذكر ضد النسيان ، وأن الشىء يكون على البال ، ومرة يتجاوز البال ويجرى على اللسان .

وقد وردت معانٍ كثيرة للذكر في القرآن ، وأول هذه المعاني وقمتها أن الذكر حين يطلق يراد به القرآن :

﴿ ذَالِكَ نَتْلُوهُ ظَلْبُكَ مِنَ ٱلْآبَنتِ وَالذِّرْ ٱلْحَكِيمِ ٥

(سورة أل عمران)

وكذلك في قوله الحق:

﴿ إِنَّا تَعْنُ زَنَّكَ ٱلَّذِي ۚ وَإِنَّا لَهُ إِخْمَا فِطُونَ ۞

(سورة الحجر)

إذن يطلق الذُّكر ويراد به القرآن ، ومرة يطلق الذكر ويراد به الصيت أي الشهرة الإعلامية الواسعة . وقد قال الحق لرسوله عن القرآن :

﴿ وَإِنَّهُ لَذِ كُرُّ أَكَ وَلِقُومِكَ ﴾

(من الآية \$\$ شورة الزخرف)

أى أن القرآن شرف كبير لك ولأمتك وسيجعل لكم به صيتاً إلى يوم القيامة و لأن الناس سترى في القرآن على تعاقب العصور كل عجيبة من العجائب ، وسيعلمون كيف أن الكون يصدق القرآن ، إذن بفضل القرآن و العرب ، سيظل اسم العرب ملتصقا ومرتبطا بالقرآن ، وكل شرف للقرآن ينال معه العرب شرفا جديدا .

أى إن القرآن شرف لكم . ويقول سبحانه :

﴿ لَقَدُ أَرُلْنَا إِلَيْكُرُ كِنَابًا نِهِ ذِكُكُ ﴾

(من الأية ١٠ سورة الأنبياء)

أى فيه شرفكم ، وفيه صيتكم ، وفيه تاريخكم ، ويأتى الإسلام الذى ينسخ القوميات والأجناس ، ويجعل الناس كلهم سواسية كأسنان المشط .

﴿ يَنَا يُهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَنَكُمُ مِنْ ذَكُرٍ وَأَنْثَىٰ وَجَعَلْنَكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآبِلَ لِتَعَارَفُوا ﴾ ﴿ يَنَا يَهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَنَكُمُ مِنْ ذَكُرٍ وَأَنْثَىٰ وَجَعَلْنَكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآبِلَ لِتَعَارَفُوا ﴾ (من الآية ١٣ سورة الحجرات)

والرسول صلى الله عليه وسلم يقول:

(لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوي).

وسيظل القرآن عربياً ، وهو معجزة في لغة العرب ، وبه ستظل كلمة العرب موجودة في هذه الدنيا . إذن فشرف القوم يجيء من شرف القرآن ، ومن صيت القرآن . والحق يقول :

(سورة ص)

أى أن شرفه دائم أبداً. حين يأى إلى الدنيا سبق علمى ، نجد من يذهب إلى البحث عن أصول السبق العلمى في الفرآن ، ونجد غير المسلمين يعتنون بالقرآن ويعلبعونه في صفحة واحدة ، وعلى ورق فاخر قد لا يستعملونه في كتبهم . هذا هو القرآن ذو الذكر على الرغم من أن بعض المسلمين ينحرفون قليلاً عن المنهج ، وقد يتناساه بعضهم ، لكن في

مسألة القرآن نجد الكل يتنبه . وكما قلت من قبل : قد تجد امرأة كاشفة للوجه وتضع مصحفاً كبيراً على صدرها ، وقد تجد من لا يصلى ويركب سيارة يضع فيها المصحف ، وكل هذا ذكر . وتجد القرآن يُقرأ مرتلاً ، ويُقرأ مجوداً ، ومجوداً بالعشرة ثم يسجل بمسجلات يصنعها من لا يؤمنون بالقرآن . وكل هذا ذكر وشرف كبير ،

عرفنا أن « الذكر» قد ورد أو لا بمعنى القرآن ، وورد باسم الصيت والشرف : ويطلق الذكر ويراد به ما نزل على جميع الرسل ؛ فالحق سبحانه يقول :

﴿ اقْتُرَبُ لِلنَّاسِ حَسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةً مُعْرِضُونَ ۞ مَا يَأْتِيهِم مِن ذِكْرِ مِن رَبِّهِم مُحْدَث إِلاَّ اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ۞ ﴾

أى أن كل ما نزل على الرسل ذكر.

ويقول سبحانه :

﴿ وَلَقَدُ آتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَـُـرُونَ الْفُرُقَانَ وَضِياءً وَذِكْرًا لِلْمُتَقِينَ (١٨) ﴾ [سورة الانبياه] إذن فالمراد بالذكر - أيضاً - كل ما نزل على الرسل من منهج الله .

ومرة يُطلق الذكر ويراد به معنى الاعتبار . والتذكير ، والتذكر فيقول سبحانه :

﴿ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلُ مُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَ نِ فَاجْتَنِهُ وَ لَعَلَّكُمْ تُقْلِحُونَ (١٠) إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَ نَ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَوَةَ وَالْبَغْضَاء فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ . . (١٠) ﴾

والمراد هنا بالذكر: الاعتبار والتذكر وأن تعيش كمسلم في منهج الله . ومرة يراد بالذكر: التسبيح ، والتحميد . انظر إلى قول الحق سبحانه وتعالى :

﴿ فِي بُيُوتِ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُو وَالآصَالِ (٣٦)

WILL WILL

011100+00+00+00+00+0

رِجَالٌ لاَ تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِينَاءِ الزُّكُوةِ . . (٣٠) ﴾ [سورة النور]

وهو ذكر لأن هناك من يسبح له فيها بالغدو والأصال وهم رجال موصوفون بأنهم لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله .

وقد يُطلق الذكر ويراد منه خير الله على عبادة ويراد به كذلك ذكر عبادتهم له بالطاعة ؛ فسبحانه يذكرهم بالخير وهم يذكرونه بالطاعة ، اقرأ إن شئت قول الحق سبحانه وتعالى :

﴿ . . وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكُرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَكُمْ تَذَكُّرُونِ ۞ ﴾[مورة النحل] وفي آية أخرى :

﴿ . . إِنَّ الصَّلَوْةَ تَنْسَهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَذَكُرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿ وَلَذَكُرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿ وَلَا لَكُونَ اللّهِ عَلَيْهُ مَا اللّهِ عَلَمُ مَا اللّهِ اللّهِ عَلَيْهُ وَاللّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾

وما دام قد قال جل وعلا: « ولذكر الله أكبر » أى ذكر الله لهم بالنعم والخيرات ، فذكره فضل وإحسان وهو الكبير المتعال . فهناك إذن ذكر ثان ، ذكر أقل منه ، وهو العبادة لربهم بالطاعة ، هنا يقول الحق :

﴿ أَوْ عَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكُرٌّ مِن رَبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلِ مِنكُمْ لِيُنذِرْكُمْ وَلِنَتْقُوا وَلَعَلْكُمْ تُرْحَمُونَ (١٣) ﴾

ما وجه العجب هنا ؟ نعلم أن العجب هو إظهار الدهشة وانفعال النفس من حصول شيء علي غير ما تقتضيه مواقع الأمور ومقدماتها ، إذن تظهر الدهشة ونتساءل كيف حدث هذا ؟ ولو كان الأمر طبيعياً ورتيباً لما حدثت تلك الدهشة وذلك العجب .

وعجبتم لماذا ؟ اقرأ - إذن - قول الحق سبحانه وتعالى :

﴿ قَ وَالْقُرْآنِ الْمُجِيدِ ٢٠ بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُم مُنذِرٌ مُنْهُمٌ . . ٢٠ ﴾ [سورة ق]

00100100100100100100100100100100

موضع العجب هنا أن جاء لهم منذر ورسول من جنسهم ؛ فمن أى جنس كانوا يريدون الرسول ؟ كان من غبائهم أنهم أرادوا الرسول مُلَكاً .

﴿ بَلْ عَِبُواْ أَنْ جَاءَهُم مُنذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَنغِرُونَ مَنذَا شَيْءٌ عَجِبُ ١

(سورة ق)

وجاء العجب أيضاً في البعث . فتساءل الكافرون هل بعد أن ذهبنا وغبنا في الأرض وصرنا تراباً بعد الموت مجمعنا البعث مرة ثانية ؟!

إذن فالعجب معناه إظهار الدهشة من أمر لا تدعو إليه المقدمات أو من أمو يخالف المقدمات.

المعجب عندهم في الآية التي نحن بصدد خواطرنا عنها لأن نوحاً عليه السلام يويد منهم أن يبحثوا في الإيمان بوجود إله وكان المنطق يقتضى أنه إذا رأوا شيئاً هندسته بديمة ، وحكيمة ، وطرأ عليها هذا المخلوق وهو الإنسان ليجد الكون منسقاً موجوداً من قبله ، كان المنطق أن يبحث هذا الإنسان عمن خلق هذا الكون وأن يلع في أن يعرف من صنع الكون ، وحين يأتي الرسول ليقول لكم من صنع هذا الكون ، تتعجبون ١٢

كان القياس أن تتلهفوا على من يخبركم بهذه الحقيقة ؛ لأن الكون وأجناسه من النبات والجماد والحيوان في خدمتك أيها الإنسان. لا بقوتك خلقت هذا الكون ولا تلك الأجناس ، بل أنت طارى على الكون والأجناس ، ألم يدر بخلدك أن تتساءل من صنع لك ذلك ؟

إذن فالكلام عن الإيمان كان يجب أن يكون عمل العقل ، وقلت قديماً : هب أن إنساناً وقعت به طائرة في مكان ، وهذا المكان ليس به من وسائل الحياة شيء أبداً ، ثم جاع ، ولم يجد طعاماً ، وقهره التعب ، فنام ، ثم أفاق من هذه الإغفاءة ؛ وفوجيء بمائدة أمامه عليها أطايب الطعام والشراب وهو لا يعرف أحداً في المكان ، بالله قبل أن يأكل ألا يتساءل عمن أحضرها ؟!! كان الواجب يقتضى ذلك .

إذن أنتم تتعجبون من شيء تقتضي الفطرة أن نبحث عنه ، وأن نؤمن به وهو الإله

0.17.100+00+00+00+00+0

الذى لا ينتفع بطاعتنا أو بعبادتنا ، ولا تعود عليه العبادة بشىء ، بل تعود علينا ، والعبادة فيها مشقات لأنها تلجم الشهوات وتعقل وتمنع من المعاصى والمحرمات ، ولكن يُقابِل ذلك الثوابُ في الأخرة .

وهناك من قال : ولماذا لا يعطينا الثواب بدون متاعب التكليف؟ مادام لا يستفيد . إنَّ العقل كاف ليدلنا _ دون منهج ـ إلى ما هو حسن فنفعله ، وما نراه سيئاً فلا نفعله ، والذي لا نعرفه أهو حسن أم سيء . ونضطر له نفعله ، وإن لم نكن في حاجة له لا نفعله .

ونقول لهذا القاتل: لكن من الذي أخبرك أن العقل كاف ليدلنا إلى الأمر الحسن ، هل حسن لك وحدك أم لك وللآخرين ؟ فقد يكون الحسن بالنسبة لك هو السوء بالنسبة لغيرك لأنك لست وحدك في الكون . ولنفترض أن هناك قطعة قماش واحدة ، الحسن عندك أن تأخذها ، والحسن عند غيرك أن يأخذها . لكن الحسن الحقيقي أن يفصل في مسألة ملكية هذه القطعة من القماش من يعدل بينك وبين غيرك دون هوى . وألا يكون واحد أولى عنده من الأخر ، إذن لابد أن يوجد إله يعصمنا من أهوائنا بمنهج ينزله يبين لنا الحسن من السيء ؛ لأن الحسن بالمنطق البشرى ستصطدم فيها أهواؤنا .

ومثال آخر: افرض أننا دخلنا مدينة ما ، ورأينا مسكنا جميلا فاخرا وكل منا يريد أن يسكن فيه وكل واحد يريد أن يأخذه ؛ لأن ذلك هو الحسن بالنسبة له ، لكن ليس كذلك بالنسبة لغيره ، إذن فالحسن عندك قد يكون قبيحاً عند الغير . فالحسن عند بعض الرجال إذا ما رأى امرأة أن ينظر إليها ويتكلم معها ، لكن هل هذا حسن عند أهلها أو أبيها أو زوجها ؟ . لا .

إِنَّ الذَى تَعجبتُم منه كان يجب أَن تَأْخَذُوه على أَنْه هو الأمر الطبيعي الفطرى الذي تستلزمه المقدمات . فقد جاءكم البلاغ على لسان رجل منكم . ولماذا لم يقل الحق : لسان رجل ؟ إننا نعلم أَنْ هناك آية ثانية يقول فيها الحق :

﴿ رَبُّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدَّنَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ ﴾

OO+0O+0O+0O+0O+C {7.70

كأنه يقول لهم: إن الوعد الذي وعده الحق لكم قد جاء لكم بالمنهج الذي نزل على الرسل. ومهمة الرسل صعبة ؛ فليست مقصورة على التبليغ باللسان لأن مشقاتها كلها على كاهل كل رسول ، ولا تظنوا أن ربنا حين اختار رسولاً قد اختاره ليدلله على رقاب الناس ، لا . لقد اختاره وهو يعلم أن المهمة صعبة ، والرسول صلى الله عليه وسلم - كما تعلمون - لم يشبع من خبز شعير قط ، وأولاده وأهله - على سبيل المثال - لا يأخذون من الزكاة ، والرسل لا تورث فجميع ماتركوه صدقة ، وكل تبعات الدعوة على الرسول ، وهذه هي الفائدة في أنه لم يقل على لسان رسول ، لأن الأمر لو كان على لسان الرسول فقط لأعطى البلاغ فقط ، إنما على رجل منكم بر تعطى البلاغ ومسئولية البلاغ على هذا الرجل .

﴿ أُوعَجِبْتُمْ أَنْ جَآءَكُمْ ذِكُرُّمِن رَّبِيكُمْ عَلَى رَجُلِ مِنكُمْ

(من الآية ٦٣ سورة الأعراف)

ماهو العجب ؟ لقد كان العجب أن تردوا الألوهية والنبوة .

وبعضهم لم يرد الألوهية ورد فكرة النبوة على الإنسان . وطالب أن يكون الرسول من الملائكة ؛ لأن الملائكة لم تعص ولها هيبة ولا يُعرف عنها الكذب . لكن كيف يصبح الرسول ملكاً ؟ وهل أنت ترى الملك ؟ إن البلاغ عن الله يقتضى المواجهة ، ولابد أن يراه الغوم ويكلموه ، والملك أنت لن تراه . إذن فلسوف يتشكل على هيئة وجل كها تشكل جبريل بهيئة وجل . إذن أنتم تستعجبون من شيء كان المنطق يقتضى الأيكون .

﴿ وَمَا مَنَّ النَّاسُ أَن يُوْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْمُدَى إِلَّا أَن قَالُوا أَبُعَثَ اللَّهُ بَشُرًا رَسُولًا ١٠٠

(سورة الإسواه)

وقولهم هذا في قمة الغباء. فقد كان عليهم أن يتهافتوا ويقبلوا على الإيمان الأن الرسول منهم. وقد عرفوا ماضيه من قبل ، وكذلك أنسوا به ، ولو كانت له انحرافات قبل أن يكون رسولاً لحزى واستحيا أن يقول لهم: استقيموا . ومادام هو منكم وتعرفون تاريخه وسلوكه حين دعاكم للاستقامة كان من الواجب أن تقولوا لأنفسكم : إنه لم يكذب في أمور الدنيا فكيف يكذب على خلق الله فكيف يكذب على الله فكيف يكذب على الله و ولأنه منكم فلابد أن يكون إنساناً ولذلك قال الحق :

﴿ وَلَوْجَعَلْتُ مُلَكًا لِحَعَلْتُ رَجُلًا وَلَلْبَنَا عَلَيْمٍ مَّا يَلْبِدُونَ ٢٠٠

O11.10O+OO+OO+OO+OO+O

وهنا في الآية التي نحن بصددها يقول الحق: (على رجل منكم لينذركم ولتتقوا ولعلكم ترحمون).

إذن فمهمته أن ينذر ، والأنذار لقصد التقوى ، والتقوى غايتها الرحمة ، وبذلك نجد هنا مراحل: الإنذار وهو إخبار بما يسوؤك ولم يأت زمنه بعد وذلك لتستعدله ، وتكف لأنه سيتبعك ويضايقك. والبشارة ضد الإنذار ، لأنها تخبر بشيء سار زمنه لم يأت ، وفائدة ذلك أن يجند الإنسان كل قوته ليستقبل الخير القادم. وأن يبتعد عن الشيء المخيف.

و هكذا يكون التبشير والإنذار لتنقى الشرور وتأخذ الخير، وبذلك يحيا الإنسان في النقوى التي تؤدى إلى الرحمة.

إذن فمواطن تعجبهم من أن يجيئهم رسول مردودة ؛ لأن مواطن التعجب هذه كان يجب أن يلح عليها فطرياً ، وأن تنعطف النفس إليها لا أن يتعجب أحد لأنها جاءت ، فقد جاءت الرسالة موافقة للمقدمات ، وقد جاء الرسول ولم يأت ملكاً ليكون قدوة.

وكذلك لم يرسله الله من أهل الجاه ومن الأعيان ومن صاحب الأتباع ؟ حتى لايقال إن الرسالة قد انتشرت بقهر العزوة ، إن الأتباع كانوا موافقين على الباطل بتسلط الكبراه والسادة ، فمخافة أن يقال: إن كل تشريع من الله آزره المبطلون بأتباعهم جاءت الدعوة على أيدى الذين ليس لهم أتباع ولاهم من أصحاب الجاه والسلطان. ولقد تمني أهل الشرك ذلك ويقول القرآن على لسانهم:

﴿ وَقَالُوا لُولًا نُزُلُ هَمْ فَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُل مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ٣٠ ﴾ [سورة الزخرف]

ولقد كان تمنيهم أن ينزل القرآن على رجل عظيم بمعاييرهم ، وهذه شهادة منهم بأن القرآن في ذاته منهج ومعجزة. ولم يتساءلوا: وهل القرآن يشرف بمحمد أو محمد هو الذي يشرف بالقرآن ؟ إن محمداً يشرف بالقرآن ؛ لذلك يقول الحق:

﴿ مَا نَرِ الْكَ إِلاَّ بَشُوا مَنْ الدَّالْمُ مَا نَرَ الدَّالَّذِينَ هُمْ أَرَا ذِلْنَا بَادِي الرَّأْي . (١٧ ﴾ [سورة مود]

00+00+00+00+00+0+0+1-10

وهذه هى العظمة ؛ لأن أتباع محمد على لم يكونوا من الذين يفرض عليهم الواقع أن يحافظوا على جاههم ويعملوا بسطوتهم وبطشهم وبقوتهم ، ويفرضوا الدين بقوة سلطانهم ، لا ، بل يمر على أتباع رسول الله فترة ضعاف مضطهدون ، ويؤذون ويهاجرون ، فالمهمة في البلاغ عن الله تأتي لينذر الرسول ، ويتقى الأتباع لتنالهم الرحمة نتيجة التقوى ، والتقوى جاءت نتيجة الإنذار .

ويقول الحق بعد ذلك:

﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَجْمِنْنَهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَلَّبُواْ بِثَايَنْنِنَا إِنَّهُمْ كَانُواْ فَوَمَا عَمِينَ ﴿ إِنَّا يَنْنِنَا إِنَّهُمْ كَانُواْ

وهنا يتكلم الحق عن حكاية الإنجاء ، ونعلم المقدمة الطويلة التي سبقت إعداد سيدنا نوح على للرسالة ، فقد أراد له الله أن يتعلم النجارة ، وأن يصنع السفينة.

﴿ وَكُلُّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلاٌّ مِن قُومِهِ سَخِرُوا مِنْهُ . . (٣٨) ﴾

ولم يجيء الحق هنا بسيرة الطوفان التي قال فيها في موضع آخر من القرآن:

﴿ فَفَتَحْنَا أَبْرُبُ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُّنْهُمِرٍ ١٠٠ ﴾

وجاء الحق هنا بالنتيجة وهي أنهم كذبوه.

﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَنْجُينَكُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفَلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَكِتِنا . . (11) إِنهِ

[سورة الأعراف]

وكانت هذه أول حدث عقابي في تاريخ الديانات ؛ لأن رسالة نوح عليه مي أول رسالة تعرضت إلى مثل هذا التكذيب ومثل هذا العناد ، وكان الرسل السابقون لنوح عليهم البلاغ فقط ، ولم يكن عليهم أن يدخلوا في حرب أو صراع ، والسماء هي التي

O17-4 DO+OO+OO+OO+OO+O

تؤدب ، فحينها علم الحق سبحانه وتعالى أنه بإرسال رسوله صلى الله عليه وسلم ستبلغ الإنسانية رشدها صار أتباع محمد مأمونين على أن يؤدبوا الكافرين . وفي تكذيب نوح عليه السلام يأتينا الحق هنا بالنتيجة .

(فأنجيناه والذين معه) ولم يقل الحق : كيف أنجاه ولم يأت بسيرة الفلك ، بل أخبر بمصير من كذبوه ، ويأتي بالعقاب من جنس الطوفان .

﴿ وَأَغْرَ فَنَا الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِعَائِلَيَّنَّا إِنَّهُمْ كَانُواْ قُومًا عَمِينَ ﴾

(من الآية ٦٤ مورة الأعراف)

هناك و أعمى و لمن ذهب بصره كله من عينيه كلتيهما ، وهناك أيضا عَبِه وأَعْمَهُ ، والعَمَةُ في البصيرة كالعمى في البصر . . أي ذهبت بصيرته ولم يهتد إلى خير ،

ثم انتقل الحق إلى رسول آخر . ليعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم الأسوة فيه أيضاً . فبعد أن جاء بنوح يأت بهود .

وساعة ما تسمع : (وإلى عاد الخاهم هوداً) أي أرسلنا إلى عاد أخاهم هوداً ، و الخاهم عموقهها الإعراب و مفعول به و ويدلنا على ذلك قوله في الآية السابقة : (أرسلنا نوحا) ، وكذلك أرسلنا إلى عاد أخاهم هودا وكلمة و أخاهم و تُشعرُ بأشياء كثيرة ؛ إنه من جنسهم ، ولغته لغتهم ، وأنسهم به ، ويعرفون كل شيء وكل تاريخ عنه ، وكل ذلك إشارات تعملي الأنس بالرسول ؛ فلم يأت لهم برسول أجنبي عاش بعيداً عنهم حتى لا يقولوا : لقد جاء ليصنع لنفسه سيادة علينا . بل جاء لهم بواحد منهم وأرسل إليهم و أخاهم و وهذا الكلام عن وهود و .

إذن كان هود من قوم عاد ، ولكن هناك رأى يقول : إن هودا لم يكن من قوم عاد ، ولأنَّ

01:10+00+00+00+00+00+0

الأخوة نوعان: أخوَّة فى الأب القريب، أو أخوَّة فى الأب البعيد، أى من جنسكم، من آدم؛ فهو إما أخ من الأب القريب، وإمّا أخ من الأب البعيد. وقد قلنا من قبل: إن سيدنا معاوية كان يجلس لم دخل عليه الحاجب فقال؛ يا أمير المؤمنين، رجل بالباب يقول إنه أخوك، فتساءلت ملامح معاوية وتعجب وكأنه يقول لحاجبه: ألا تعرف إخرة أمير المؤمنين؟ وقال له: أدخله، فأدخله، قال معاوية للرجل: أى إخوق أنت؟!

قال له : أخوك من آدم .

فقال معاوية : رحم مقطوعة _ أي أن الناس لا تتنبه إلى هذه الأخوة ـ والله لأكونن أول من وصلها .

﴿ وَ إِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَنْقُومِ أَعَبُدُواْ اللَّهُ مَالَكُمْ مِنْ إِلَيْهِ غَيْرِهُ وَ أَفَلَا لَتَقُونَ ﴿ ﴾ ﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَنْقُومِ أَعَبُدُواْ اللَّهُ مَالَكُمْ مِنْ إِلَيْهِ غَيْرِهُ وَ أَفَلَا لَتَقُونَ ﴿ ﴾ (صورة الأعراف)

وتلحظ أن الحق قال على لسان سيدنا نوح لقومه :

﴿ فَقَالَ يَنْقُومِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهُ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَيْهِ غَيْرُهُۥ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ (من الآية ٥٩ سورة الأدراف)

وأرسل الحق هوداً إلى عاد ، لكن قول هود لقوم عاد يأتى : (قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره أفلا تتقون).

وهنا وهنا وقال وفقط من غير الفاء ؛ وجاء في قول نوح: وفقال و . وهذه دقة الأداء لنتبه ؛ لأن الذي يتكلم إله ورب ، فتأتي مرة بـ وقاء و وقاتي مرة بغير وفاء و رغم أن السياق واحد ، والمعنى واحد والرسول رسول ، والجماعة هم قوم الرسول . ونعلم أن والفاء و تقتضى التعقيب ، وتفيد الإلحاح عليهم ، وهذا توضحه سورة نوح ؛ لأن الحق يقول فيها :

﴿ قَالَ رَبِ إِنِي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءَى إِلَّا فِرَارًا ﴿ وَإِلَّ وَإِلَّا فَرَارًا ﴾ وَإِنَّى كُلُّما دَعَوْتُهُمْ لِنَعْفِرَ لَهُمْ جَعَلُواْ أَصَنْبِعَهُمْ فِي عَاذَانِهِمْ وَاسْتُغْشُواْ ثِيابَهُمْ وَأَصَرُواْ كُلَّما دَعَوْتُهُمْ لِنَعْفِرَ لَهُمْ جَعَلُواْ أَصَنْبِعَهُمْ فِي عَاذَانِهِمْ وَاسْتُغْشُواْ ثِيابَهُمْ وَأَصَرُواْ

€∭€∭ >£7.4**©0+©0+©0+©0+©**0.73

وَاسْتَكْبُرُواْ اَسْتِكْبَارًا ﴿ ثُمُ إِنِي دَعَوْبُهُمْ جِهَارًا ۞ ثُمَّ إِنِّ أَعْلَنْتُ لَمُهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَمُهُمْ إِسْرَادًا ۞ فَقُلْتُ اَسْتَغْفِرُواْ رَبِّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَارًا ۞ ﴾

(سررة نوح)

إذن فالفاء مناسبة هنا ، لكن في مسألة قوم هود نجد أن سيدنا هوداً قال لهم مرة أو اثنتين الوثلاث مرات ، لكن بلا استمرار وإلحاح ، وهذا يوضح لنا أن إلحاح نوح على قومه يقتضى أن يأتي في سياق الحديث عنه بـ : و فقال ، وألا تأتي في الحديث عن دعوة سيدنا هود . وقد يتعجب الإنسان لأن مدة هود مع عاد لا تساوى مدة نوح مع قومه ، وقد جاء الإيضاح بزمن وسالة سيدنا نوح في قوله الحق :

﴿ فَلَيْثَ فِيهِمْ أَلْفَ مَنَةٍ إِلَّا تَعْمِينَ عَامًا ﴾

(من الآية ١٤ سورة العنكبوت)

ظل سيدنا نوح قُرابة ألف سنة يدعو قومه ليلاً ونهاراً سرًا وعلانية ، لكنهم كانوا يفرون من الإيمان ، لذلك يأتي الحق في أمر دعوة نوح بالفاء التي تدل على المتابعة . أما قوم عاد فلم يأت لهم « بالفاء » . بل جاء بـ « قال » :

﴿ وَإِلَّ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَنقُومِ أَعْبُدُواْ اللَّهُ مَالَكُمْ مِنْ إِلَنْهِ غَيْرُهُ ﴿

(من الآية عام سورة الأعراف)

؛ وقال نوح من قبل :

﴿ يَغَوْمِ أَعْبُدُواْ ٱللَّهُ مَالَكُمْ مِنْ إِلَا مِعْرِهُ } إِنِّنَ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يُومِ عَظِيمٍ ﴾

(من الآية ٥٩ سورة الأعراف)

وفي مسألة قوم عاد قال: (يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره أفلا تتقون) .

ومع أن الأسلوب واحد والمعانى واحدة ، وكان ذلك يقتضى الإنذار ، لكن لم يقل الحق ذلك ؛ لأن نوحاً كان عنده علم بالعذاب الذى سوف ينزل ؛ لأنها كانت أول تجربة ، لكن ميدنا هود لم يكن عنده علم بالعذاب .

00+00+00+00+00+001+A0

العملية التى حدثت لنوح مع قومه وإهلاكهم بالغرق كانت أولية بالنسبة له ؛ فالله سبق أن أعلمه بها ، وحين ذهب هود إلى قوم عاد كانت هناك سابقة أمامه ، وأخذ ربنا المكذبين لنوح بالعذاب ، لذلك ألمح سيدنا هود فقط إلى احتمال العذاب حين قال : ﴿ أفلا تتقون ﴾ .

أى أن العذاب قد ينتظركم وينالكم مثل قوم نوح . ويقول الحق بعد ذلك :

﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قُوْمِهِ قِ إِنَّالَنَرَىٰكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّالَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَذِبِينَ ﴿ اللهِ اللهُ اللّهُ اللهُ اللهُ

فى هذه الآية جاء قوله: ﴿ الذين كفروا ﴾ ، وفى قصة نوح قال سبحانه: ﴿ قال الملأ من قومه ﴾ ولم يأت فيها بالذين كفروا ، لأن قوم نوح لم يكن فيهم من آمن وكتم إيمانه وأخفاه ، بخلاف عاد قوم هود فإنه كان فيهم رجل اسمه مرثد بن سعد آمن وكتم وستر إيمانه ، فيكون قوله تعالى فى شأنهم : ﴿ الذين كفروا ﴾ قد جاء مناسبا للمقام ، لأن فيهم مؤمنا لم يقل ما قالوا من رميهم لسيدنا هود بالسفاهة حيث قالوا ما حكاه الله عنهم بقوله :

﴿ إِنَّا لَنُوَكُ فِي سَفَاهُمْ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكُلْدِينَ ﴾

(من الآية ٦٦ سورة الأعراف)

أما قوم نوح فقد قالوا :

﴿ إِنَّا لَنَزَنْكَ فِي ضَلَنِلٍ مُّبِينٍ ﴾

(من الآية ٦٠ سورة الأعراف)

فقال لهم نوح عليه السلام:

(من الآية ٦١ سورة الأعراف)

ما الفرق بين الضلال والسفاهة ؟

الضلال هو مجانبة حق ، والسفاهة طيش وخفة وسخافة عقل ، وأضافت عاد اتهاماً آخر لسيدنا هود : ﴿ وإنا لنظنك من الكاذبين ﴾ .

والظن رجحان الأمر بدون يقين ، فهناك راجح ، ومرجوح ، أو أن الظن هنا هو التيقن . على حد قوله سبحانه :

﴿ اللَّذِينَ يَظُنُونَ أَنَّهُم مُلَّنقُواْ رَبِّهِم ﴾

(من الآية ٦٦ صورة البقرة)

أى يتيقنون ، وجاء بالرد من سيدنا هود :

﴿ قَالَ يَنَقُومِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَنَكِيِّي رَسُولٌ مِن وَلَيْ مِن وَلَيْ مِن وَلَيْ مِن وَلَيْ مِن وَلَيْ مِن وَلَيْ مِن وَلِي مِن وَيَّ مِن وَلِي مِن وَيْ الْعَالَمِينَ وَلَيْ فَيْ الْعَالَمِينَ وَلَيْ فَي الْعَالَمِينَ وَلَيْ فَي الْعَالَمِينَ وَلَيْ فَي اللَّهِ فَي اللَّهُ فَي أَنْ اللَّهُ فَي أَنْ اللَّهُ فَي اللَّهُ اللَّهُ فَي اللَّهُ اللَّهُ فَي اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ فِي اللَّهُ اللّهُ فَي اللَّهُ اللَّا اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الل

وفي هذا القول نفى للاتهام بالسفاهة ، وإبلاغ لهم بأنه مبلّغ عن الله بمنهج تؤديه الآية التالية وهي قوله الحق :

﴿ أُبَلِّغُكُمْ رِسَلَنتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُونَا صِحُ أَمِينُ ﴿ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ اللّلْمُ اللَّهُ اللَّالِمُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ

وسبق أن قال سبحانه على لسان نوح : ﴿ أَبَلُوْنُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّى وَأَنْصَحُ لَـكُمْ ﴾

(من الآية ٩٣ سورة الأعراف)

فلماذا قال في قوم نوح : ﴿ أنصح لكم ﴾ ، وقال هنا في عاد : ﴿ وأنا لكم ناصح أمين ﴾ ؟

لقد قال الحق : ﴿ أنصح لكم ﴾ في قوم نوح لأن الفعل دائماً يدل على التجدد ، بينما يدل الاسم على الثبوت . ونظراً إلى أن نوحاً عليه السلام كان يلع على قومه ليلاً ونهاراً ، وإعلاناً وسراً ، لذلك جاء الحق بالفعل : ﴿ أنصح لكم ﴾ ليفيد التجدد ، ولكن في حالة قوم هود جاء سبحانه بما يفيد الثبوت وهو قوله : ﴿ ناصح أمين ﴾ ؛ لأن هوداً عليه السلام لم يلح ويكرر على قومه في دعوتهم إلى الإيمان كماكان يفعل نوح عليه السلام .

ويقول سبحانه على لسان سيدنا هود:

جاء الحق هنا بالذكر للإنذار فقال: ﴿ لينذركم ﴾ فقط، وليس كما قال في قوم نوح: ﴿ ولتتقوا ولعلكم ترحمون ﴾ لأن الإنذار لم يأت لمجرد الإنذار، بل لنرتدع ونتقى، لكى نُرحم، إذن قحين يأتى بأول الحلقة وأول الخيط وهو الإنذار فنحن نستنتج الباقى وهو التقوى لنصل إلى الرحمة: ﴿ واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح ﴾.

وهذا كلام جديد ؛ لأن قوم نوح هم أول قوم عُذَّبوا حين لم يؤمنوا ، وجاء سيدنا هود إلى عاد بعد ذلك ، يبلّغهم وينذرهم ليأخذوا العبرة من نوح وقومه :

﴿ وَاذْ كُرُواْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمٍ نُوجِ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَصْطَةً فَاذْكُرُواْ ا

(من الآية ٦٩ صورة الأعراف)

ويذكرهم سيدنا هود أن الحق قد أعطى لهم أجساماً فارعة فيها بسطة وطول ، ويقال : إن الطويل منهم كان يبلغ طوله مائة ذراع ، والقصير منهم كان يبلغ طوله متين ذراعاً ، ويأمرهم سيدنا هود أن يذكروا آلاء الله ، أى نعمه عليهم ، وأول النعم أن أرسل إليهم رسولاً يأخذ بأيديهم إلى مناطق الخير .

فماذا كان ردهم ؟

بقول الحق:

﴿ قَالُوٓا أَجِمْتُنَا لِنَعْبُدَ ٱللهُ وَحَدَهُ، وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأَيْنَا بِمَاتَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّدِقِينَ ﴿ اللهِ اللهِ اللهِ عَنَا اللهِ اللهُ الله

كان المنطق أن يعبدوا الله وحده لا أن يعبدوا الشركاء الذين لا ينفعونهم ولا يضرونهم ، ولا يسمعونهم . بل إن الواحد منهم كان يرى الهواء يهب على الصنم ، فيميل الصنم ويقع على الأرض وتنكسر رقبته ، فيذهب إلى الحداد ليعبد تركيب رأس جديد للصنم ، فكيف يعبد مثل هذا الصنم ؟ لكنهم قالوا لهود : نحن نقلد آباءنا ولا يمكن أن نترك ما كان يعبد آباؤنا لأننا على آثارهم نسير . وإن كان إلهك ينذرنا بعذاب فأتنا به إن كنت من الصادقين . وهكذا وضح أنه لا أمل في اقتناعهم بالدعوة إلى الإيمان .

فماذا يقول الحق بعد ذلك؟

يجيء القول الفصل على لسان سيدنا هود:

﴿ قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِن رَّبِكُمْ رِجْسُ وَغَضَبُ أَتَجَدِلُونَنِي فِي أَسْمَاءِ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُدُ وَءَابَا قُكُم مَانَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلُطُنِ فَأَنظِرُو الإِنِي مَعَكُم مِن الْمُنتَظِرِين ﴿ فَاللَّهُ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ اللْمُعْمِينَ اللْمُنِولُولُ اللَّهُ اللْمُعَالَ

لقد كان يكلمهم ويكلمونه ، قالوا له : اثنا بالعدّاب ، فقال لهم : ﴿ قد وقع عليكم من ربكم رجس وغضب ﴾ ، فكيف يقول وقع ؟ لقد قال ذلك لأنه يخبر عن الله . و و وقع ، فعل ماض ، لكنا نعلم أن كلام الله مجرد عن الزمان ماضيا كان أو حاضرا ، أو مستقبلا ، لقد قال سيدنا هود : وقع ، والعدّاب لم يقع بعد ، لكن لما كان قوله بلاغاً عن الله فإنه يؤكد وقوع العذاب حتماً ؛ لأن الذي أخبر به قادر على إنفاذه في أي وقت ، ولا إله آخر ولا قوة أخرى قادرة على أن تمنع ذلك . والذي وقع عليهم هو الرجس ، والرجس أي التقذير ، ضد التزكية والتطهير . وغضب الله الواقع لم تحدده هذه الأية . لكن لابد أن له شكيلًا سيقع به .

ويسائلهم هو ساخراً: ﴿ التجادلونني في أسماه سميتموها أنتم وآباؤكم ﴾ ، وكل اسم يكون له مسمى ، وهذه الأسماء أنتم أطلقتموها على هذه الألهة ، وهل لها مسميات حقيقية لِتُعبد ؟ . لا ، بل أنتم خلعتم على ما ليس بإله أنه إله ، وهذه أسماء بلا مسميات ، وأنتم في حقيقة الأمر مقلدون لآبائكم . وما تعبدونه أسماء بلا سلطان من الإله الحق .

﴿ مَّا رَّزُلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانِ ﴾

(من الآية ٧١ سورة الأعراف)

أى ليس لهذه الأسماء من حجة على ما تقولون ، بدليل أنهم كانوا يسمون فى الجاهلية إلها باسم و العزى وعندما يكسرونه لا يجدون عزاً ولا شيئاً ؛ لأن هذا الإله المزعوم لم يدفع عن نفسه ، فكيف يكون إلها وقيوما على غيره ؟ وكذلك سموا و اللات و أى الله ومضاف له التاء ، وعندما يكسرونه لا يجدون له قوة أو جبروتا أو طغياناً .

O (Y) Y O O + O

ويقول هود لقومه ما يؤكد وقوع العذاب:

﴿ فَأَنْتَظِرُوا إِلِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴾

(من الآية ٧١ سورة الأعراف)

وقوله : ﴿ فَانْتَظُرُوا ﴾ ، جملنا نفهم قوله السابق : ﴿ قد وقع عليكم من ربكم رجس وغضب ﴾ بأن الرجس والغضب قادمان لا محالة . صحيح أنه عبر عن ذلك بالفعل الماضى ، ولكن لنقرأ قوله الحق :

﴿ أَنَّ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تُسْتَعْجِلُوهُ ﴾

(من الآية ١ سورة النحل)

ود أتى ، فعل ماض ، وفي الظاهر أنه يناقض قوله :﴿ فلا تستعجلوه ﴾ لأن الاستعجال يدل على أن الحدث لم يأت زمنه بعد . ولكن لنا أن نعلم أن الذي أخبر هو الله ، ولا توجد قوة ثانية تغير مرادات الله أن تكون أو لا تكون .

يقول الحق بعد ذلك :

﴿ فَأَنِحَيْنَهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةِ مِنَا وَقَطَمْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَّبُواْبِنَا يَنْذِنَا وَمَا كَانُواْ مُؤْمِنِينَ ۞ ﴾

ونلحظ أن الحق قد بين وسيلة نجاة سيدنا نوح: ﴿ فَكَذَبُوهُ فَأَنْجِينَاهُ وَالدِّينَ مَعَهُ فَى الْفَلْكُ وَأَغْرِقْنَا اللَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنا ﴾ .

أما هنا في مسألة عاد فلم يوضح لنا وسيلة النجاة ، بل قال سبحانه:

﴿ فَأَنْجُبُنَنَّهُ وَالَّذِينَ مُعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَقَطَّمْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كُذَّبُواْ بِعَالِمُنِّنَا وَمَا كَانُواْ مُؤْمِنِينَ ﴿ ﴾
﴿ فَأَنْجُبُننَهُ وَالَّذِينَ مُعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَقَطَّمْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كُذَّبُواْ بِعَالِمُنَّا وَمَا كَانُواْ مُؤْمِنِينَ ﴿ ﴾
(سورة الأعراف)

00+00+00+00+00+0[11][0

وقوله : ﴿ فَانْجِينَاه ﴾ تدل على أن عذاباً عاماً وقع ، إلا أن ربنا أوحى لسيدنا هود أن يذهب بعيداً عن المكان هو والذين معه قبل أن يقع هذا العذاب. وكان العرب قديماً إذا حزبهم أمر، أو دعتهم ضرورة إلى شيء خرج عن أسبابهم يذهبون إلى بيت الله ؛ ليضرعوا إلى الله أن يخلصهم منه ، حتى الكفرة منهم كانوا يفعلون ذلك . كما حدث من عاد حين أرسل الله إليهم سيدنا هودا نبيًا فكذبوه وازدادوا عتوا وتجبرأ فأصابهم جدب وظل ثلاث سنوات فماكان منهم ألا أن فزعوا إلى الكعبة لكي يدعوا ربهم أن يخفف عنهم العذاب ، وذهب واحد منهم اسمه قبل بن عنز ، وآخر اسمه ، موثد بن سعد ، الذي كان يكتم إسلامه على رأس جماعة منهم إلى مكة ، وكان لهم بها أخوال من العماليق ؛ من أولاد عمليق بن لاوث بن سام بن نوح ، وكانوا هم الذين يحكمون مكة في هذا الوقت ، وعلى رأسهم واحد اسمه و معاوية بن بكرى، فنزلوا عنده، وأكرم وفادتهم على طريقة العرب، واستضافهم ضيافة ملوك وأمراء، وجاء لهم بالقيان والأكل والشراب، فاستمرأوا الأمر ، وظلوا شهراً ، فقال معاوية بن بكر : لقد جاءوا لينقذوا قومهم من الجلب ومافكروا أن يذهبوا إلى الكعبة، ولافكروا في أن يدعوا ربنا وأخاف أن أقول لهم ذلك فيقولوا إنه ضاق بنا . وتكون سبَّة في . وأخذ يفكر في الأمر . وكان عنده مغنيتان اسمهما و الجرادتان ، فقالت المغنيتان : قل في ذلك شعراً ، ونحن نغنيه لهم ، فقال معاوية :

الا يا قبل ويحك قم فهينم لعسل الله يمطرنا غماماً فيسقى أرض عاد إن عادا قد أمسوا لا يبينون الكلاما

فلما غتا ، والغناء فيه ترديد وخصوصاً إذا كان غناءً موجهاً و ألا يا قيل ويحك قم فهينم » وهينم :أى ادعو الله ، ألم تحضر من أجل الدعاء لعل الله يمعلونا الغمام على أرض عاد ، وينتهى الجدب ، وقد بلغ منهم الجهد أنهم لا يبينون الكلام ، فتنبه القيل ، وتنبه مرثد بن سعد ، وكان قد نمى إلى علم و القيل ، أن مرثد بن سعد مؤمن بهود عليه السلام ، فرفض أن يصحبه معه ، وبالفعل ذهب قبل وأخذ يدعو الله ، فسمع هاتفاً يقول له : واختر لقومك ، وقد رأى سحابة سوداء وسحابة وسحابة حمراء وسحابة بيضاء ، ونبهه الهاتف أن يختار سحابة تذهب لقومه من بين الثلاثة ، فاختار السحاب ماء ، وهو على قدر اجتهاده

اختار السحابة السوداء ، وعادوا لبلادهم ليجدوا السحابة السوداء فقال لهم : أنا اخترت السحابة السوداء لأنها توحى بماء كثير منهمر ، وقال الحق في هذا الأمر :

﴿ فَلَتُ رَأُوهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْ دِيتِهِمْ قَالُواْ هَنذَا عَارِضٌ مُعْطِرُنَا ﴾

(من الآية ٢٤ سورة الأحقاف)

أى أن هذه هي السحابة التي قال عليها: وقيل ، سوف تعطينا المطر.

فيرد الحق عليهم ويقول لهم:

﴿ بَلْ هُوَ مَا اسْنَعْجَلْتُمْ بِهِ مِ رِجْ فِيهَا عَذَابُ أَلِيمٌ ﴿ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْمٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُواْ لَا يُرَى لَا يُمَنِي إِلَّا مَسْكِئُهُمْ ﴾ لَا يُرَى إِلَّا مَسْكِئُهُمْ ﴾

(من الآية ٢٤ ومن الآية ٢٥ سورة الأحتاف)

إذن فقولهم السابق لسيدنا هود الذي أورده الحق هنا في سورة الأعراف:

﴿ فَأَيِّنَا بِمَا تَمِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾

(من الآية ٧٠ سورة الأعراف)

أى أن عذابهم يتأكد بالمطر والربح الذي جاء به قول سيدنا هود هنا في سورة الأعراف : ﴿ قد وقع عليكم من ربكم رجس وغضب ﴾ .

ولم يقلت من العذاب إلا من آمن مصداقاً لقوله الحق:

﴿ فَأَنْجَيْنَهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَا وَقَطَعْنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ بِعَايَنَتِنَا وَمَا كَانُواْ مُؤْمِنِينَ ۞ ﴾ (سورة الاعراف)

لقد يسر الحق الانقاذ لسيدنا هود ومن آمن معه ليهجروا المكان لحظة ظهور السحاب ، فقد سمع هود هاتفاً يؤكد له أن في هذا السحاب العذاب الشديد ، فأخذ الجماعة الذين آمنوا معه وهرب إلى مكة ، وتم إهلاك الذين ظلموا أنفسهم بتكذيب رسولهم ورفضهم الإيمان بربهم .

فَيُونَّ الْحَقَ بعد ذلك :

﴿ إِلَىٰ تَمُودَ أَخَاهُمْ صَلِحُأْقَالَ بَعَوْمِ أَعْبُدُوا اللهَ مَالَكُمْ مِنْ إِلَهِ عَدُرُهُ فَدْ جَاءَ تُحَكَّم بَيِّنَةٌ مِنْ اللهِ عَدُرُهُ فَدْ جَاءَ تُحَكَّم بَيِّنَةٌ مِنْ اللهِ عَدُرُهُ فَدْ جَاءَ تُحَكُم بَيِّنَةٌ مِنْ اللهِ عَدُرُهُ فَدَرُوهَا تَأْكُلُ رَبِي اللهِ وَلَكُمْ عَدَابُ اللهِ وَلَكُمْ عَذَابُ اللهِ وَلَاتَمَسُوهَا بِسُومِ فَيَا خُذَكُمْ عَذَابُ اللهِ وَلَاتُ اللهِ اللهِ وَلَا تَمَسُوهَا بِسُومِ فَيَا خُذَكُمْ عَذَابُ اللهِ وَلَا لَهُ اللهِ اللهُ وَلَا اللهُ اللهُ وَلَا اللهُ اللهِ اللهُ وَاللّهُ اللهُ اللّهُ اللهُ اللهُ اللّهُ اللهُ اللهُ اللّهُ اللّهُ اللهُ اللّهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ

لقد قال سيدنا صالح لثمود مثلما قال سيدنا هود لعاد ، وحمل لهم الإنذار ليتقوا فيرحموا ، قال سيدنا صالح : ﴿ يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ﴾ .

إذن فالإندار للتقوى وللوصول إلى الرحمة والفلاح ، ولذلك أقول دائماً : إن القرآن حينما يتعرض لأمر قد لا يأتي به مفصلا ولكن سياقه يوحى بالمراد منه ، ولا يكرر وذلك ليربى فينا ملكة الاستيقاظ إلى استقبال المعائى . والمثال على ذلك في قصة الهدهد مع سيدنا سليمان ، يقول القرآن على لسان سيدنا سليمان :

﴿ وَتَغَفَّدُ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَالِي لَآ أَرَى ٱلْمُدْهُدُ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْفَآمِدِينَ ﴿ ﴾ (سورة النمل)

ويهدد سيدنا سليمان الهدهد قائلًا:

﴿ لَأُعَذِّبَتُهُ مَذَابًا شَدِيدًا أَرْ لَأَاذَ بَعَنْهُ - ﴾

(من الآية ٢١ سورة النمل)

ثم جاء الهدهد ليقول:

﴿ وَجِنْنُكَ مِن سَبَلِي بِنَبَالٍ يَقِينٍ ﴾

(من الآية ٢٣ صورة النمل)

ثم أرسل سيدنا سليمان الهدهد إلى قوم سبأ قائلاً:

﴿ اَذْهَب بِكِنتْنِي هَاذَا فَأَقِيهُ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تُولَ عَنْهُمْ فَالظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ١

(صورة النمل)

وبعد هذه الأية مباشرة قال الفرأن :

﴿ قَالَتْ يِكَأَيُّكَ الْمَلُوا إِنِّ أَلْنِي إِلَّ كِتَنْبُ كُرِيمُ ١٠٠٠ ﴿

(سورة النمل)

وكأن الهدهد قد ذهب بالكتاب، ورماه إلى ملكة سبأ، وقالت هي الرد مباشرة . إذن لم يكرر القرآن ما حدث ، بل جعل بعضاً من الأحداث متروكاً للفهم من السياق .

وكذلك هنا في قوله الحق:

﴿ وَإِنَّ ثُمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا ﴾

(من الآية ٧٣ سورة الأعراف)

وكلمة وأخاهم أنه هنا تؤكد أن سيدنا صالحاً كان مأنوساً به عند ثمود ، ومعروف التاريخ لديهم ، وسوابقه في القيم والأخلاق معروفة لهم تماماً وأضيفت ثمود له لأنه أخوهم . وقد جاءت دعوته مطابقة لدعوة نوح وهود .

﴿ قَالَ يَنْفُومِ أَعْبُدُواْ اللَّهُ مَالَكُمْ مِنْ إِلَهِ غَيْرُهُ قَدْ جَآءَتُكُمْ بَيْنَةٌ مِن رَبِّكُمْ هَنذِهِ ، نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ ءَا يَةً فَذَرُهِ هَا تَأْكُلُ فِي أُرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوو فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ أَلِيمٌ ﴾

(من الآية ٧٣ سورة الأعراف)

والبينة هى الدليل على الصدق فى البلاغ عن الله ، وهى الناقة . فما قصة الناقة ؟ هل خرج لهم بناقة ونسب ملكيتها تله ؟ بطبيعة الحال ، لا ، بل لابد أن تكون لها قصة بحيث يعلمون أن هذه الناقة ليست لأحد من البشر . وحين قام ميدنا صالح بدعوته ، تحداه السادة من قومه ، وقالوا : نقف نحن وأنت ، نستنجد نحن بآلهتنا ، وأنت تستنجد بإلهك ، وإن غلب آلهتنا تتبعنا ، وإن غلب إلهك

QQ+QQ+QQ+QQ+QQ+QEYIAQ

نتبعث ، وجلسوا يدعون آلهتهم ، فلم يحدث شيء من تلك الآلهة ، وهنا قالوا لسيدنا صالح : إن كنت صادقاً في دعوتك ، هذه صخرة منفردة أمامك في الجبل اسمها و الكاثبة و فليخرج ربك لنا من هذه الصخرة ناقة هي عشراء كالبخت الحسن أنواع الإبل - ، فدعا الله سبحانه وتعالى ، وانشقت الصخرة عن الناقة ، وخروج الناقة من الصخرة لا يدع مجالاً من الشك في أنها آية من الله ظهرت أمامهم . إنها البينة الواضحة . لقد انشقت الصخرة عن الناقة ووجدوها ناقة عشراء ، وُبْرًاء - أي كثيرة الوَبر - يتحرك جنينها بين جنبيها ثم أخذها المخاض فولدت فصيلا ، وهكذا تتأكد الآية الإلهية دون أن يجرؤ أحد على التشكيك فيها ، وهي ناقة من الله وهو القائل :

﴿ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُفْبَنَهَا ﴾

(من الآية ١٣ صورة الشمس)

وأوضح لهم سيدنا صالح أأنها ناقة الله ، وترونها رؤية مشهدية وهذه الناقة لها يوم في الماء لتشرب منه ، ويوم تشربون أنتم فيه . وكان الماء قليلًا عندهم في الأبار .

﴿ لَمَا شِرْبُ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمِ مَعْلُومٍ ﴾

(من الآية ١٥٥ سورة الشعراء)

أى لابد من تخصيص يوم لتشرب فيه هذه الناقة ، ولكم أنتم وإبلكم وحيواناتكم يوم آخر ، وكان من عجائب هذه الناقة أن تقف على العين وتشرب فلا تدع فيها ماء ، وهي كمية من المياه كانت تكفى كل الإبل ، وبعد ذلك تتحول كل المياه التي شربتها في ضرعها لبناً ، فيأخذون هذا اللبن .

صحيح أن الناقة منعتهم المياه لكنهم أخذوا منها اللبن الذي يطعمونه ، ولأنها ناقة الله كان لابد أن تأخذ هيكلاً وحجماً يناسبها وكمية من الطعام والشراب مناسبة لتقيم بها حياتها ، وكمية إدرار اللبن مناسبة لشربها وطعامها وحجمها ، فمادامت منسوبة لله فلابد أن فيها مواصفات إعجازية ، وكان الفصيل الذي ولدته معها ، وكان إذا ما جاء الحر في الصيف تسكن الناقة في المشارف العالية ، وبقية النرق تنزل في الأرض الوطيئة ، وحين يأتي الشتاء تنزل إلى المناطق المنخفضة .

OK20400400400+0CK0

والمعروف أن مدائن صالح كانت منطقة شديدة الحرارة ، ويمكن لمن يزور المدينة أو و أبوك ، أن يمر عليها .

كانت الناقة حرة في اختيار المكان الذي تعيش فيه صيفاً أو شتاة فلا أحد بقادر أن يسها بسوء. وكانت هناك امرأتان لها نياق. وناقة الله تغلب نياق المرأتين في المراعى والماه. فأحضرت المرأتان رجلاً يطلق عليه: وأخيمر ثمود: واسمه قدار بن سالف اليقتلها، فقتل الناقة ، فلما قتلت الناقة ، طلع ابنها الفصيل على جبل يسمى و قارة الاقت أصوات ، فنادى سبدنا صالح: يا قوم أدركوا هذا الفصيل ، لعل الله بسبب إدراككم له يرفع عنكم العذاب ، فراحوا يتلمسونه فلم يجدوه وأعلم الله صالحاً النبي أن العذاب قادم ، ففي اليوم الأول تكون فلم يجدوه وأعلم الله صالحاً النبي أن العذاب قادم ، ففي اليوم الأول تكون مجمرة ، وفي اليوم الثالث تكون محمرة ، وفي اليوم الثالث تكون مسودة ، فقد كانت الناقة هي ناقة الله المنسوبة له سبحانه ، وقد تأكدوا بالأمر المشهدي من ذلك ، وكان من الواجب عليهم ساعة أن وجدوا الآية الكونية المشهودة أن يأخذوا منها العبرة ، وأنها مقدمة للشيء الموعود به . لكن الغباء أنساهم أنها ناقة الله .

﴿ هَنذِهِ - نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ وَابَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلُ فِي أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوَو فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ إَلِيمٌ ﴾

(من الآية ٧٣ سورة الأعراف)

وبالفعل حدث العذاب بعد أن قتل أحيمر ثمود الناقة . ويقول الحق بعد ذلك :

﴿ وَاذْ كُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ مُلْفَاءَ مِنْ بَعَدِ عَادٍ وَبَوَّا كُمْ فِي ٱلْأَرْضِ تَنَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَنَنْجِنُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْ كُرُوا ءَا لَآءً

ٱللَّهِ وَلَانَعْتُواْفِي ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿ فَاللَّهِ وَلَانَعْتُواْفِي ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ

ومن قبل قال الحق لقبيلة عاد:

﴿ وَاذْ كُونَا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاتَ مِنْ بَعْدِ قَوْمٍ نُوجٍ ﴾

(من الآية ٩٩ سورة الأهراف)

وهنا قال الحق : ﴿ واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد عاد ﴾ .

لأن عاداً هم الخلفاء الأقرباء منهم، وقصتهم مازالت معروفة ومعالمها واضحة، أما قصة عاد. `

ويذكرهم الحق أيضاً أنه جعل لهم في الأرض منازل يسكنونها ، فاتخذوا من سهولها قصوراً ، والسهل هو المكان المنبسط الذي لا توجد به تلال أو صخور أو جبال ، وكانوا ينحتون من الجبال بيوتاً ، وكان عمر الإنسان منهم يطول لدرجة أن البيت ينهدم مرتين في العمر الواحد للإنسان . ولذلك قرروا أن يتخذوا من الجبال بيوتاً لنظل آمنة ، وحين يرى الإنسان مدائن صالح منحوتة في الجبل فهي فرصة لأن يتأمل عظمة الحق في تنبيه الخلق إلى ما يفيدهم وهي بالفعل من نعم الله ، ويقول سبحانه :

﴿ فَأَذْ كُرُواْ وَالْآءَ اللَّهِ وَلَا تَعْثُواْ فِي ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾

(من الآية ٧٤ سورة الأعراف) وآلاء الله .. كما عرفنا .. هي نعمه التي لا تحصى ، وينبههم إلى عدم نشرالفساد في الأرض .

ويقول سبحانه بعد ذلك:

﴿ قَالَ ٱلْمَلَا ٱلَّذِينَ ٱسْتَكَبُّرُواْ مِن قَوْمِهِ،

لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ اللَّهِ عَلَيْهُ إِنَّا بِمَا أَنْ مِسَلِّ مِنْ رَبِّهِ عَلَيْهُ وَلَى اللَّهُ اللللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللللْمُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللِّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللِهُ اللللِهُ اللَّهُ الللِّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللِّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللللَّهُ اللَّهُ الللللِّهُ اللللْمُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ الللللْمُ اللللللْمُ الللللْمُ الللللللللللْمُ اللللللللللْمُ الللللْمُ الللللللْمُ الللللْمُ اللللْمُ اللللْمُ الللللْمُ الللللْمُ الللللْمُ اللللْمُ الللللْمُ الللللْمُ اللللْمُ الللللْمُ اللَّهُ اللللْمُ اللللْمُ اللللْمُ الللللْمُ الللللْمُ الللللِمُ ال

ونعرف أن هناك سادة ، وهناك أتباعاً . ومن قبل قال الحق :

﴿ إِذْ تَبَرَّأُ الَّذِينَ الَّهِ عُوا مِنَ الَّذِينَ الَّهَ عُواْ ﴾

(من الآية ١٦٦ سورة البقرة)

وهنا في الآية التي نحن بصدد خواطرنا عنها حوار بين السادة وبين المستضعفين الله لا جاه لهم ولا جبروت يُحافظ عليه ، ورأوا دعوة الإيمان ووجدوا فيها النفع لهم فأقبلوا عليها ، أما الملا وهم السادة الأشراف الأعيان الذين يملأون العين هيبة ، والقلوب مهابة فقد قالوا لمن آمن من المستضعفين ـ لأن هناك مستضعفين ظلوا على ولائهم للكفر ـ قال هؤلاء الملا من المستكبرين لمتن آمن من المستضعفين :

﴿ أَتَعَلَّمُونَ أَنْ صَلْلِمُ مُرْسَلٌ مِن رَبِهِ عَالُوا إِنَا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُوْمِنُونَ ﴾

(من الآية ٧٥ سورة الأعراف)

وعندما سمع المستكبرون قول المؤمنين من المستضعفين . فماذا قال الملأ المستكبرون ؟

يقول الحق:

﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكَبُرُوۤ أَإِنَّا بِالَّذِينَ ءَامَنتُم بِهِ عَكَيْفِرُونَ ۞ ﴿ اللَّهِ

إذن فقد أعلنوا الكفر بالقول وضموا إليه بالعمل وهو قتل الناقة ، ويقول الحق:

﴿ فَعَقُرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْاعَنْ أَمْرِدَيِّهِمْ وَقَالُوا يَنْصَلِحُ اَثْنِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللّ

والعقر: هو الذبح بالنسبة للنوق .

وهم هنا يقولون أيضاً مثلما قال السابقون لهم :

﴿ . . اثْنِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ (٧٧) ﴾

[سورة الأعراف]

و الصادقين " تؤول أيضاً إلى المرسلين . لقد اتهموا صالحاً عليه بالكذب كنبى مرسل لهم برغم حدوث الآية الواضحة وهي خروج الناقة من الجبل ، لذلك يحل عليهم غضب الله المتمثل في قوله الحق:

﴿ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَكَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دَارِهِمْ جَنشِينَ ۞ ﴿ اللهِ عَلَيْهِ اللهِ عَنْهِ اللهِ عَنْهِ اللهِ عَنْهِ اللهِ عَنْهِ اللهِ عَنْهِ اللهِ عَنْهِ اللهِ

والرجفة هي الهُزة التي تحدث رجة في المهزوز . ويسميها القرآن مرة بالطاغية . في قوله الحق :

O1777OO+OO+OO+OO+OO+O

[سررة الحانة]

والتى أصبحوا من بعدها وجاثمين، وهو التعبير الدقيق الذى يدل على أن الواحد منهم إن كان واقفاً ظل على وقوفه ، وإن كان قاعداً ظل على قعوده ، وإن كان نائماً ظل على نومه . أو كما نقول: النسخطوا على هيئاتهم .

«فالجاثم» هو من لزم مكانه فلم يبرح أو لصق بالأرض.

وبعد أن أخذهم بالرجفة يقول الحق:

﴿ فَتُولِّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَنْقُومِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةً رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِكُن لَا يَجُبُّونَ النَّاصِحِينَ ۞ ﴿ الْمَالِي النَّاصِحِينَ ﴾

فهل كان سيدنا صالح يخاطبهم وهم موتى ؟ . نعم يخاطبهم إنصافاً لنفسه وإبراء لذمته ، مثلما يقع واحد في ورطة فيقول له صديقه: لاأملك لك شيئاً الآن: فقد نصحتك من قبل ، أو أن شريراً قد قتل ، فتقول له: «ياما نصحتك» . وأنت تتكلم لكى تعطى لنفسك براءة العذر ، أو كما فعل على مع قتلى بدر وناداهم واحداً واحداً يعد أن ألقوا جثثهم في قليب بدر ، وقال على : ياأهل القليب، يافلان ، يافلان ، يافلان ، على وجدت ماوعدني ربي حقاً ، فقال الصحابة:

- أوتكلمهم بارسول الله وقد جيَّفوا. قال: والله ماأنتم بأسمع لما أقول منهم ولكنهم لايستطيعون أن يجيبوني .

00+00+00+00+00+0EITTEO

وكأن سيدنا صالح قال ذلك ليتذكروا كيف أبلغهم رسالات الله ومنهجه ونصح لهم وتحنن عليهم أن يلتزموا بمنهج الله ، لكنهم لم يستمعوا للنصح . ولم يحبوا الناصحين ؛ لأن الناصح يريد أن يُخرج المنصوح عما ألفه من الشر ، وعندما ينصحه أحد يغضب عليه .

وبعد أن انتهى من قصة ثمود مع نبيهم يقول سبحانه :

﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ الْتَأْتُونَ ٱلْفَحِشَةَ مَاسَبَقَكُمْ بِهَامِنْ أَحَدِمِنَ ٱلْعَنكِمِينَ ۞ ﴿ مَاسَبَقَكُمْ بِهَامِنْ أَحَدِمِنَ الْعَنكِمِينَ ﴿ الْعَن

وكيا قال الحق : ﴿ لقد أرسلنا نوحاً ﴾ وقال : ﴿ وإلى عاد أخاهم هوداً ﴾ ، ﴿ وإلى ثمود أخاهم صالحاً ﴾ فهو هنا يأتي باسم « لوط » منصوباً لأنه معطوف على من سبقه من أصحاب الرسالات ،

وما هو زمان الإرسال؟ إن قوله الحق: ﴿ إذ قال لقومه ﴾ يفيد أن زمن القول كان وقت الإرسال. وهي الإشارة القرآنية ذات الدلالة الواضحة على أن الرسول حين يبعث ويرسل إليه ويبلغ الرسالة لا يتواني لحظة في أداء المهمة ، فكأن تبليغ الرسالة تزامن مع قوله: ﴿ يا قوم ﴾ . والأسلوب يريد أن يبين لك أنه بمجرد أن يقال له: و بلغ ع فهو يبلغ الرسالة على الفور ، وكأن الرسالة جاءت ساعة التبليغ فلا فاصل بينهما .

﴿ وَلُومًا إِذْ قَالَ لِقُومِهِ يَ ﴾

(من الآية ٨٠ صورة الأعراف) "

وكلمة وقومه و تعنى أنه منهم ، ولماذا لم يقل : وأخاهم لوطاً و وهذه لها معنى يفيد أن السابقين من الرسل كانوا من بيئة الأقوام الذين أرسلوا إليهم ؛ فعاد كان وهود و من بيئتهم ، و و ثمود و كان صالح من بيئتهم . وإذا كان الحق لم يقل و أخاهم لوطاً و فلنلحظ أنه أوضح أنه قد أرسله إلى قومه ، وهذه تنبهنا إلى أن لوطاً

O 1770 D C + C C +

لم يكن من هذا المكان ، لأن لوطاً وإبراهيم عليهما السلام كانا من مدينة بعيدة ، وجاء إلى هذا المكان فراراً من الاضطهاد هو وإبراهيم عليهما السلام ، وهذا يبين لنا أن لوطاً طارىء على هذا المكان ، ولم يكن أخاهم المقيم معهم في البيئة نفسها . ولكنهم د قومه ۽ لأنه عاش معهم فترة فعرف بعضهم بعضاً ، وعرفوا بعضاً من صفاته ، وأنسوا به ،

أقول ذلك لنتبه إلى دقة أداء القرآن ، فمع أن القصص واحد فسبحانه يضع لنا التمييز الدقيق ، ولم يقل لهم لوط : إن ربى نهاكم عن هذه العملية القذرة وهى إتيان الرجال . بل أراد أن يستفهم منهم استفهاماً قد يردعهم عن العملية ويقبحها .

وكان استفهام سيدنا لوط هو استفهام تقريع ، واستفهام إنكار ، فلم يقل لهم : إن ربنا يقول لكم امتنعوا عن هذا الفعل ، بل يستنكر الفعل كعمل مضاد للفطرة ، واستنكار فطرى .

﴿ أَتَأْتُونَ ٱلْفَنْجِنَّةَ مَاسَبَقَكُم بِكَ مِنْ أَحَدِمِنَ ٱلْعَنلِينَ ﴾

(من الآية ٨٠ سورة الأعراف)

وهذا بدل على أنه يريد أن يسألهم سؤالًا إنكاريًا ليحرجهم ، لأن العقل الفطرى يأبي هذه العملية : ﴿ أَتَاتُونَ الفَاحِشَةُ مَا سَبِقَكُم بِهَا مِنْ أَحِدُ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴾ .

اى أن هذه المسألة لم تحدث من قبل لأنها عملية مستقدرة ؛ لأن الرجل إنما يأتى الرجل في محل القدارة ، لكنهم فعلوها ، وهذا الفعل يدل على أنها مسألة قد تشتهيها النفس غير السوية . ولكنها عملية قدرة تأباها الفطرة السليمة .

وكلمة « فاحشة » تعطينا معنى النزيد في القبح ؛ فهى ليست قبحاً فقط ، بل تُزَيِّدُ وإيغال وتعمق في القبح ومبالغة فيه ؛ لأن الفاحشة تكون أيضاً إذا ما أتي الرجل أنثى معدة لهذه العملية لأنه لم يعقد عليها ، ولم يتخذها زوجا ، وعندما يتزوجها تصير حِلاً له ، لكن إتيان الذكر للذكر هو تزيد في الفحش . وإذا كان هذا الأمر محرماً في الأنثى التي ليست حلالاً له ويعد فاحشة ، فالرجل غير مخلوق

会員を対象

OO+OO+OO+OO+OO+O!**!O

لمثل هذا الفعل ولايمكن أن يصير حلالًا ، يكون إتيانه فاحشة بمعني مركّب.

﴿ . . أَتَأْتُونَ الْفُسُحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَد مِنَ الْعَسْلَمِينَ ۞ ﴾ [سورة الأعراف]

وقلنا من قبل: إن امن قد تأتى مرة زائدة ، ويمكنك أن تقول إنها زائدة في كلام الإنسان ، لكن من العيب أن تقول ذلك في كلام ربنا. وقوله: ﴿ مَا سَبِقَكُم بِهَا مِنْ أَخْدِ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴾ .

أى ماسبقكم أحد من العالمين ، و «أحد»هى الفاعل ، وجاءت «من التوضح لنا أنه لم يأت بها أحد ابتداءً ، مثلما قلنا قديماً ، حين تأتى لواحد لتقول له: «ماعندى مال». فأنت قد نفيت أن يكون عندك مال يعند به. وقد يكون معك من بداية مايقال له أنه مال ، وقوله الحق:

﴿ . . مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدِ مِنَ الْعَسْلَمِينَ ١٠٠٠ ﴾

يعنى أنه لم يسبقكم أى أحد من بداية مايقال له أحد ، وسبحانه يريد بذلك أن ينفيها أكثر ، والمن التى فى قوله: ﴿ مِن الْعَلْمِينَ ﴾ هى تبعيضية أى ماسبقكم بها أحدامن بعض العالمين . فما هذا الأمر ؟ لقد سماها فاحشة ، وهى تزيد فى القبع ورصفة لها بأنها لم يأتها أحدمن العالمين جعلها مسألة فظيعة للغاية .

لأننا حين نبحث هذه المسألة بحثاً عقلياً نجد أن الإنسان مخلوق كخليفة في الأرض وعليه استبقاء نوعه ؛ لأن كل فرد له عمر محدود ، ويخلف الناس بعضهم بعضاً ، ولابد من بقاء النوع ، وقد ضمن الله للإنسان الأقوات التي تبقيه ، وحلل له الزواج وسيلة لإبقاء النوع ، ومهمة الخانة تفرض أن يخلف بعضنا بعضاً .

وكل خليفة يحتاج إلى اقتيات وإلى إنجاب. و«الاقتيات» خلقه الله في الأرض التي قدر فيها أقواتها.

والنوع البشرى جعل منه سبحانه الذكر والأنثى ومنهما يأتى الإنجاب الخلافي ؟ فهو محمول أولاً في ظهر أبيه نطفة ، ثم في أمه جنيناً ثم تضعه لترعاه مع والده ويربيه الاثنان حتى يبلغ رشده . وهذه خمس مراحل ، وكل مرحلة منها شاقة ،

金属

فحمل الأم في الطفل تسعة شهور هو أمر شاق ؛ لأن الإنسان منا إن حمل شيئاً طوال النهار سيصاب بالتعب ، لكن الأم تحمل الجنين تسعة أشهر ، وأراد الله أن يكون الحمل انسيابياً بمعنى أن الجنين في نشأته الأولى لايبلغ وزنه إلا أقل القليل ، ثم يكبر بهدوء وبطء لمدة تسة شهور حتى بكتمل غوه ،

وهذا الجنين كان صغيراً في بدء تكوينه ، ثم صار وزنه هائباً ثلاثة كيلو جرام في يوم ولادته ، وبين بدء تكوينه إلى لحظة ميلاده هناك فترة زمنية ينمو فيها هذا الجنين تدريجياً ، وبشكل انسيابي ، فهو لايزيد في الوزن كل ساعة ، بل ينمو في كل جزء من المليون من الثانية بقدار يناسب هذا الجزء من الثانية ، وهذا يعنى أن الجنين ينمو انسيابيا بما يناسب الزمن .

نلحظ ذلك أيضاً في أثناء التدريب على رياضة حمل الأثفال أنهم لايدربون اللاعب الناشيء على حمل مائة كيلو جرام من أول مرة بل يدربونه على حمل عشرين كيلو جراماً في البداية ، ثم يزاد الحمل تباعاً بمالا يجعل حامل الأثقال في عنت ، ويسمون ذلك: انسياب التدريب ؛ لأن حمل هذه الأثقال يحتاج إلى تعود ، ولهذا لايتم تدريبه على حمل الأثقال فجأة ، بل بانسياب بحيث لايدرك الزمن مع الحركة ، كذلك النمو ، فأنت إذا نظرت إلى طفلك الوليد ساعة تلده أمه ، وسأقدر جدلاً أنك ظللت تنظر إليه دائماً ، فهو لايكبر في نظرك أبداً ؛ لأنه ينمو بطريقة غير محسوسة لديك ، لكنك لو غبت شهراً عنه وتعود لرؤيته ستدرك نموه ، وهذا النمو الزائد قد تجمع في الزمن الفاصل بين آخر مرة رأيته فيها قبل غيابك وأول مرة تراه بعد عودتك .

ومن لطف الله -إذن-في الحمل أن الجنين ينمو انسيابياً ، ولذلك يزداد الرحم كل يوم من بدء الحمل إلى آخر يوم فيه ، وترى الأم الحامل ، وهي تسبر بوهن وتبطىء في حركتها ، ثم يأتي المبلاد مصحوباً بمتاعب الولادة وآلامها ، وبعد أن يولد المولود تستقبله رعاية أمه وأبيه ، ويأخذ سنوات إلى أن يبلغ الرشد. ونعلم أن أطول الأجناس طفولة هو الإنسان ، ولذلك نجد الأب الذي يريد الإنجاب يتحمل

مع الأم متاعب التربية ، وقد قرن الله هذا الأمر بشهوة ، وهي أعنف شهوة تأتى من الإنسان ، وبعد ميلاد الطفل نجد المرأة تقول : لن أحمل مرة أخرى ، ولكنها تحمل بعد ذلك .

إذن كأن الشهوة هي الطعم الموضوع في المصيدة ليأتي بالصيد وهو الإنجاب الذلك قرن الحق الإنجاب بالشهوة لنقبل عليها ، وبعد أن نقبل عليها ، ونتورط فيها نتوفر ونبذل الجهد لنربي الأولاد ، فإذا أنت عزلت هذه الشهوة عن الإنجاب والامتداد تكون قد أخللت وملت عن سنة الكون ، لأنك ستأخذ اللذة بدون الإنجاب ، وإذا تعطل الإنجاب تعطلت خلافة الأرض ، والشيء الأخر أن الرجل في الجماع يلعب دور الفاعل ، وفي الشذوذ وهو العملية المضادة التي فعلها قوم لوط ينقلب الرجل إلى منفعل بعد أن كان فاعلاً .

﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ مَا أَنَا أَتُونَ الْفَنْحِشَةَ مَاسَبَقَكُم بِهَا مِنْ أُحَدِمِنَ الْعَلْمِينَ ﴿ ﴾ ﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ مَا أَنَا أَتُونَ الْفَرَافِ ﴾ ﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ مَا أَنَا أَتُونَ الْفَرَافِ ﴾

والفاحشة هي العملية الجنسية الشاذة ، ولم يحددها سبحانه من البداية كدليل على أنها أمر معلوم بالفطرة ، فساعة يقول : ﴿ أَتَاتُونَ الفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مَن أَحِد مِن الْعَالَمِينَ ﴾ يعرفون ما فعلوا ، وإن افترضنا أن هناك أغبياء أو من يدعون الغباء ويرفضون الفهم ، فقد جاء بعدها بالقول الواضع :

﴿ إِنَّ كُمْ لَنَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَمْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَاتَّءِ بَلَ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿ أَنْ الْكَالَةُ مَالَّالِمُ الْكَالِمُ الْكَالِمُ الْكَالِمُ

والإسراف هو تجاوز الحد ، والله قد جعل للشهوة لديك مصرفاً طبيعياً منجبا ، وحيت تأخذ أكثر من ذلك تكون قد تجاوزت الحد ، ولقد جعل الله للرجل امرأة من جنس البشر وجعلها وعاء للإنجاب ، وتعطيك الشهوة وتعطيها أنت الشهوة ، وتعطيك الإنجاب ، وتشتركان من بعد ذلك في رعاية الأولاد . وأى خروج

WENT SE

@1771@@#@@#@@#@@#@@#@

عما حدده الله يكون الدافع إليه هو الشهوه فحسب لكى ينبغى أن يكون الدافع إلى هذه العملية مع الأنثى هو الشهوة والإنجاب معا ؛ لبقاء النوع ، ولذلك وصف الحق فعل قوم لرط : ﴿ . . بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ () ﴾ . ويأتى الحق سبحانه بما أجابوا به عن سؤال سيدنا لوط :

﴿ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ الْآَأَن قَالُوٓ أَأَخْرِجُوهُم مَا كَانَ عَالُوٓ أَخْرِجُوهُم مَا كَانَ مَا لُوٓ أَنْ اللهُ مَا أَنَا اللهُ يَنْظَهُ رُونَ اللهُ اللهُ

وبذلك تمادى هؤلاء القوم رافضين أن يقبح أحد لهم الشذوذ ؛ لذلك قالوا: ﴿ أَخْرِجُوهُم مِن قُرْيَتِكُمْ . . (()) .

وما هي الحجة التي من أجلها إخراج لوط والذين آمنو معه من القرية ؟ ﴿ . . أَخْرِجُوهُم مِن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَتَطَهُرُونَ (A) ﴾ [سورة الأعراف]

نهل التطهر عيب! لا، لكنهم عاشوا في النجاسة وألفوها، ويرفضون الخروج منها، لذلك كرهوا التطهر. والمثال على ذلك حين نجد شاباً يريد أن ينضم إلى صداقة جماعة في مثل عمره، لكنه وجدهم يشربون الخمور، فنصحهم بالابتعاد عنه، ووجدهم يغازلون النساء فحدرهم من مغبة الخوض في أعراض الناس، لكن جماعة الأصدقاء كرهت وجوده بينهم لأنه لم يألف الفساد فيقولون: لنبتعد عن هذا المستقيم المتزهد المتقشف، وكأن هذه الصفات صارت سبة في نظر أصحاب المزاج المنحرف، مثلهم مثل الحيوان الذي يحيا في القذارة، وإن خرج إلى النظافة يموت.

ريقول الحق بعد ذلك:

﴿ فَأَنْجَيْنَهُ وَأَهْلَهُ وَ إِلَّا أَمْرَأَتُهُ وَكَانَتُ مِنَ ٱلْنَايِرِينَ 🛈 🚓

وهم حين أرادو طرد لوط وأهله ، إنما كانوا يجازفون.

إنهم بذلك قد تعجلوا العقاب ، وجاءهم العقاب وأنجى الحق سبحانه لوطأ وأهله بتدبير حكيم لايحتاج فيه سبحانه إلى حد ، وإذا تساءل أحد: ومن هم أهل لوط الذين أنجاهم الله معه ؟ أهم أهل النسب أم أهل التدين والتبعية ؟ . إن كان أهله بالنسب فالحق يستثني منهم (إمرأته) ، وهذا دليل على أن أهل البيت آمنوا بما قاله لوط وكذلك الأتباع أيضاً: ﴿ فَأَنْجَيَّنَاهُ وَأَهْلُهُ إِلَّا امْرَأَتُهُ كَانَتُ مِنْ الْغَابِرِينَ ﴾ .

إذن كان مع لوط أيضاً بعض من أهله وبعض من الأتباع ، وكانوا من المتطهرين ، والتطهر هو أن يترفع الإنسان عن الرجس والسوء. ولذلك نجد سيدنا شعيباً حين ينصح قومه:

﴿ فَأُولُوا الْكُيْلُ وَالْمِيزَانَ وَلا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ . . (٥٠٠) [سورة الأعراف] ويتعجب القوم سائلين شعيباً:

﴿ أَصَلَوْتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نُتُرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا . . (٨٧) ﴾ [سورة هود]

إنهم يتعجبون من أن الصلاة تنهي عن ذلك ، لقد أعمى ضلالهم بصيرتهم ، فلم يعرفوا أن الصلاة تنهي عن كل شيء. وكذلك فعل بعض من الكافرين حين أتهموا سيدنا رسول الله بأنه مجنون:

﴿ وَقَالُوا يَسْأَيُّهَا الَّذِي نُزَلَ عَلَيْهِ الذُّكُرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ٦٠ ﴾

[سورة الحجر]

WE NIGH

O!17/00+00+00+00+00+0

ومن قولهم يتأكد غباء تفكيرهم ، فماداموا قد قالوا: ﴿ نُزِلُ عَلَيْهِ اللّهِ كُرُ ﴾ قمن الذي نزل هذا الذكر؟ ، والذكر هو القرآن، والذي نزله هو الله - سبحانه وتعالى فكيف يعترفون بالقرآن كذكر، ثم يتهمون الرسول بأنه امجنون ؟ ، لأنهم مادموا قد قالوا عن القرآن إنه ذكر، وإنه قد نزل عليه ، ولم يأت به من عنده ، فكيف يكون مجنون ؟ إنهم هم الكاذبون ، وقولهم يؤكد أن فكرهم نازل هابط.

وفي الآية التي نحن بصدد خواطرنا عنها نجد الحق يقول سبحانه:

﴿ فَأَنْجُينَكُ وَأَهْلُهُ إِلَّا امْرَأَتُهُ كَانَتُ مِنَ الْفَسِرِينَ (١٤) ﴾ [سورة الأعراف]

إن إمراة سيدنا لوط لم تدخل في الإنجاء لأنها من الغابرين ، واغبرا تأتي لمعان متعددة ، فهي تعنى إقامة ومكثا بالمكان ، أو تعنى أي شيء مضى ، كما يقال: هذا الشيء غبرت أيامه ؛ أي مضت أيامه ، ولسائل أن يقول: كيف تأتي الكلمة الواحدة للمعنى ونقيضه ؟ فغبر تعنى بقي ، وغبر أيضاً تعنى مضى وانتهى . نقول: إن المعنى ملتق هنا في هذه الآية ، فما دام الحق ينجيه من العذاب الذي نزل على قوم لوط في القرية فنجد زوجته لم تخرج معه ، بل بقيت في المكان الذي نزل فيه العذاب ، وبقيت في المكان الذي نزل فيه العذاب ، العذاب في هذا صحيح وإن قلت إنها صارت تاريخاً مضى فهذا صحيح أيضاً: العذاب فهذا صحيح أيضاً:

ونحن لاندخل في تفاصل لماذا كانت امراته من الغابرين ؛ لأن البعض تكلم في حقها عالا بقال ، وكأن الله يدلس على نبى من أنبيائه ، لا ، نحن لانأخذ إلا ماقاله الحق بأنها كانت مخالفة لمنهجه وغير مؤمنة به .

ونلحظ أيضاً أن الحق تحدث عن امرأة نوح وامرأة لوط في مسألة الكفر ؟ فقال: ﴿ ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ
عَبَادِنَا صَلْلَحَيْنَ فَخَانَتَاهُمُ . . (1) ﴾

00+00+00+00+00+00+0EYTYO

ودقق النظر في كلمة ﴿ تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما ﴾ وتساءل البعض عن معنى الخيانة وهل المقصود بهاالزنا؟ . ونقول : ربنا لا يدلس على نبي له ، لكن أن تؤمن الزوجة أو تكفر ، فهذه مسألة اختيارية . وكأن الله سبحانه يوضح لنا أن الرسول مع أنه رسول من الله إلا أنه لا يستطيع أن يفرض إيماناً على امرأته ؛ فالمسألة هي حرية الاعتقاد . وانظر إلى التعبير القرآني : ﴿ ضرب الله مثلاً للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط ﴾ .

إياك أن تظن أن أبًا منهما كانت متكبرة على زوجها ؛ لأن الحق يقول : ﴿ كانتا تحت عبدين من عبادنا ﴾ أى أن إمرة وقوامة الرجل مؤكدة عليها ، يشير إلى ذلك قوله : ﴿ كانتا تحت عبدين ﴾ لكن الإيمان هو مسألة اختيار ، وهذا الاختيار متروك لكل إنسان ، وأكد الحق ذلك في مسألة ابن مبيدنا نوح :

﴿ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ﴾

(من الآية 11 سورة هود)

وحاول البعض أن يلصق تهمة الزنا بامرأة نوح وامرأة لوط، وهم في ذلك بجانبون الصدق ، إنه محض افتراء ، وقد نبهنا الحق إلى ذلك فقال عن امرأة نوح وامرأة لوط :

﴿ كَانْتَاغَتْ عَبْدُيْنِ مِنْ عِبَادِنَا ﴾

(من الآية ١٠ سورة التحريم)

ولنفهم أن الاختيار في العقيدة هو الذي جعلهما من الكافرين ، وأن الرسولين نوحاً ولوطاً لم يستطيعا إدخال الإيمان في قلبي الزوجتين ؛ حتى يتأكد لدينا أن العقيدة لا يقدر عليها إلا الإنسان نفسه ، ولذلك ضرب سبحانه لنا مثلاً آخر :

﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ وَامْنُواْ أَمْرَاتَ فِرْعُونَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ آبْنِ لِي عِندِكَ بَيْنَا فِي آجْنَةٍ

وَغَيْنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَتَجَيْنِي مِنَ ٱلْفَوْمِ ٱلظَّيْلِينَ ١٠٠٠

(سورة التحريم)

فهذه زوجة فرعون المتجبر ؛ الذي ، ادّعي الألومية ، ، لكنه لا يقدر أن يمنع

O+00+00+00+00+00+00+0

امرأته من أن تؤمن بالله ، وهكذا نجد نبيًا لا يقدر أن يقنع امرأته بالإيمان ، ونجد مدّعى الألوهية عاجزاً عن أن يجعل امرأته كافرة مثله ، وهذا يدل على أن العقيدة أمر اختيارى محمى بكل أنواع الحماية ؛ حتى لا يختار الإنسان دينه إلا على أساس من اقتناعه لا على أساس قهره .

وضرب الله مثلًا آخر :

(من الأية ١٢ سورة التحريم)

ونلاحظ أن المحق لم يأت بأسماء زوجتى نوح ولوط ، وكذلك لم يأت باسم امرأة فرعون ، لكنه أورد لنا اسم مريم واسم والدها . فلماذا كان الإبهام أولاً ؟ لنعلم أنه من الجائز جدًّا أن يحصل مثل هذا الأمر لأى امرأة ، فقد تكون تحت جبار وكافر ، وتكون هي مؤمنة ، وقد تكون تحت عبد مؤمن ولا يلمس الإيمان قلبها .

﴿ فَأَخِينَهُ وَأَهْلُهُ إِلَّا أَمْرَأَتُهُمْ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَنبِرِينَ ٢٠٠٠

(سورة الأعراف)

فكلمة «أنجينا » تشير إلى أن عذاباً سبقع في المكان الذي فيه قوم لوط ، ولأنه سبحانه شاء أن يعذب جماعة ولا يعذب جماعة أخرى ، فلابد أن يدفع الجماعة التي كتب لها النجاة إلى الخروج . وهذا الخروج أراده لهم من يكرهونهم ، فقد قالوا :

و أخرِجوهم مِن قريتِكم إنهم أناس يتطهرون ﴾

(من الآية ٨٦ سورة الأعراف)

لكن ربنا هو الذي أخرجهم ، والإخراج كان من العذاب الذي نزل بهؤلاء المجرمين ؛ إنه كان لإنجاء لوط وأهله بما نزل بهؤلاء الفجرة .

ويأتى العذاب من الحق:

WENT THE

OC+OC+OC+OC+OC+O-!TTEO

﴿ وَأَمْطُرْنَاعَلَيْهِم مَّطَرُّا فَأَنْظُرْكَيْفَكَانَ عَنِقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿ فَانْظُرْكَيْفَكَانَ

فهل كان ذلك المطر مثل المطر الذي ينزل عادة ؟ لا ، بل هو مطر من نوع أخر. فسبحانه يقول:

﴿ لِنُوسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِن طِينِ ٣٦ مُسَوِّمَةً عِندُ رَبِّكُ لِلْمُسْرِفِينَ ٢٦ ﴾

[صورة الذاريات]

يقول الحق: إنه سيعذبهم بالمطر ، فلننتبه أنه ليس المطر التقليدي ، بل إنه يعذبهم ويستأصلهم ينوع آخر من المطر.

وقوله: "فانظر "أى فاعتبر يامن تسمع هذا النص ، وهذه القصة تبين وتوضح أن الله لايدع المجرمين يصادمون دعوة الله على لسان رسله دون عقاب.

ويقول سبحانه:

到到

والمدين هو ابن من أبناء سيدنا إبراهيم جاء واستقر في هذا المكان ، فهو علم على شخصه ، وعلم على المكان الذي أقام فيه وسمى المكان باسمه ، فلما تكاثر أبناؤه وصاروا قبيلة أخذت القبيلة اسمه . إذن فالمدين اسم عَلَمٌ على ابن إبراهيم ، وأطلق على المكان الذي استقر فيه من طور سيناء إلى القرات ، وأطلق على القبيلة : ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيا ﴾ .

الحق سبحانه وتعالى هنا يكرر «أخ» ليبين لك ؛ أنه إن قسا عليهم مرة فسيحنو عليهم مرة أخرى ؛ لأنهم إخوة له ومأنوس بهم ، وفيهم عاش ويعرفون عنه كل شيء ، وكان مدين قد تزوج من رقبة ابنة سيدنا لوط ، وحين تكاثر الاثنان صاروا قبيلة ، ويبلغهم سيدنا شعيب بالقضية العقدية التي يبلغها كل رسول:

﴿ يَا قُومُ اعْبُدُوا اللَّهُ مَا لَكُم مِنْ إِنَّه غَيْرُهُ ﴾.

والعبادة هي الطاعة للأمر والطاعة للنهى ، وأنت لا تطبع أمر آمر ولانهى ناه إلا إذا كان أعلى منك ، لأنه إن كان مساويا لك ، فبعد أن يقول لك: "افعل كذا استسأله أنت: لماذا ؟ ، وبعد أن ينهاك عن شيء ستسأله أيضاً: لماذا ؟ . لكن الأب حينما يقول لطفله: لا تفعل الشيء الفلاني ، فالابن لا يناقش ؛ لأنه يعرف أن أباه هو من يطعمه ويشربه ويكسوه ، وحين يكبر الطفل فهو يناقش ؛ لأن ذاتيته تتكون، ويريد أن يعرف الأمر الذي سيقدم عليه .

﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَـقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـه غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتُكُم بَيْنَةٌ مِّن رَبِّكُمْ .. (٥٠٠ ﴾

ومادام قد قال لهم: ﴿ اعْبُدُوا اللَّهُ مَا لَكُم مِنْ إِلَه غَيْرُهُ ﴾ فهو رسول قادم ومرسل من الله ، ولابد أن تكون معجزة يثبتها ، إلا أن شعيباً لم يأت لنا بالمعجزة ، إنما جاء بالبيئة ،

﴿ قَدْ جَاءَتْكُم بَيَّنَةً مِّن رُبِّكُمْ فَأُوفُوا الْكَيْلُ وَالْمِيزَانَ . . (هَ فَ) ﴾

WE NEW

00+00+00+00+00+0+0

لأن كل المعاصى والكفر تدفع إلى الإخلال في الكيل والميزان ، وإذا كان شعيب قد قال ذلك لقومه فلابد أن الإخلال في الكيل والميزان كان هو الأمر الشائع فيهم ، فيأني ليعالج الأمر الشائع ، وهم كانوا يبخسون الكيل والميزان .

ويظن الناس في ظاهر الأمر أنها عملية سهلة ، وأن القبح فيها قليل ، والاختلاس فيها هين يسير ، فحين يبخس في الميزان ولو بجزء قليل ، إنما يأخذ لنفسه في آخر الأمر جزءاً كبيراً. وأنت ساعة تكيل وتزن وتطفف فأنت تفعل ذلك في من يشترى . وستذهب أنت بعد ذلك لتشترى من أناس كثيرين سيفعلون مثلما فعلت ، فإذا ماوفيت الكيل والميزان ، فأنت تفعل ماهو في مصلحتك ، لأنك تنشر العدل السلوكي بين الناس بادئاً بنفسك ، ومصالحك كلها مع الآخرين .

إنك حين تبيع أى سلعة ولو كانت بلحاً وتنقص في الميزان ، ستحقق لنفسك ربحاً ليس لك فيه حق ، وإن كنت تكيل قمحاً لتبيعه وأنقصت الكيل ، فأنت تأخذ ماليس لك ، والقمح والبلح هما بعض من مقومات حياتك ؛ لأنك تحتاج إلى سلع كثيرة عند من يزن ، وعند من يكيل ، فإن أنقصت الميزان أو الكيل فلسوف يفعلون مثلما فعلت فيما يملكون لك ، وبذلك تخسر أنت ويصبح الخسران عاماً.

﴿ فَأُولُوا الْكَيْلُ وَالْمِيزَانَ وَلا تَبْخُسُوا النَّاسُ أَشْيَاءُهُمْ . . ﴿ ٥٠ ﴾ [سورة الاعراف]

وإذا كانت الخسارة في الكيل والميزان طفيفة ومحتملة ، فمن باب أولى ألا نبخس الناس أشياءهم فلا نظلمهم بأخذ أموالهم والاستيلاء على حقوقهم ، فلا نسرف لأن السارق يأخذ ماتصل إليه يده ، ولا نغضب ، ولانختلس ، ولانرتشى ، لأنه إذا كان وفاء الكيل هو أول مطلوب الله منكم مع أن الخسارة فيه طفيفة ، إذن قبخس الناس أشياءهم يكون من باب أولى .

ويتابع سبحانه:

﴿ وَلا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدُ إصْلُحِهَا . . ٢٠٠٠ ﴾

وبذلك نكون أمام أكثر من أمر جاء بها نبى الله شعيب: ﴿ اعْبَدُوا اللهُ مَا لَكُم مَنْ إِلّٰهِ عَيْرُهُ ﴾ وهذه العبادة لتربى فيسهم مهابة وتزيدهم حباً واحترام للآمر الأعلى ،

O 1777 DO+OO+OO+OO+OO+O

وكذلك ليخافوا من جبروته سبحانه . وبعد ذلك ضرورة يكون الأمر بالوفاء بالكيل والميزان ، والزجر عن أن يبخسوا الناس أشياءهم ، ثم النهى والتحذير من الإفساد في الأرض ﴿ ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها ﴾ ، والإصلاح الذي يطلبه الله منا أن نستديمه أو ترقيه إنما يتأتى بإيجاد مقومات الحياة على وجه جميل .

مثال ذلك الهواء وهو العنصر الأول في الحياة المسخرة لك ؛ يصرفه سبحانه حتى لا يفسد . والنعيم الثاني في الحياة وهو الشراب ؛ إنه سبحانه ينزل لك الماء من السماء ، ثم القوت الذي يخرجه لك من الأرض . والمواشى التي تأخذ منها اللبن ، والأوبار ، والأصواف ، والجلود ، كل ذلك سخره الله لك ، وهذا إصلاح في الأرض ، لكن هل هذه كل المقومات الأساسية ؟ لا ؛ لأنه إن وجدت كل هذه المقومات الأساسية ، والرشوة ، والاختلاس ، فسيفسد كل شيء ، ولا يعدل كل ذلك ويقيمه ويجعله سويا إلا الدين ؛ لأنه فسيفسد كل شيء ، ولا يعدل كل ذلك ويقيمه ويجعله سويا إلا الدين ؛ لأنه كمنهج يمنع الإفساد في الأرض ،

﴿ قَدْ جَآءَ ثُنَّمُ بَيِّنَةً مِن رَّبِكُرُ فَأُوفُواْ ٱلْكَيْلُ وَالْمِيزَانَ وَلا تَبْخَسُواْ النَّاسَ أَشْيَآءَهُم

وَلا تُفْسِدُواْ فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ﴾

(من الآية ٨٥ سورة الأعراف)

إذن فهذه الأشياء التي هي إيفاء الكيل والعيزان يأتي الأمر بها، ثم يتبعها بما ينهي عنه وهو ألا نبخس الناس أشياءهم وألا نفسد في الأرض بعد إصلاحها ، كل ذلك يجمع المنهج . أوامر ونواهي ، وقد يبدو في ظاهر الأمر أنها مسائل تقيد حرية الإنسان ، فنقول : لا تنظر إلى نفسك أيها الإنسان وأنت بمعزل عن المجتمع الواسع ، فأنت لا تملك من مصالحك إلا أمراً واحداً ، وهذا الأمر الذي تملكه أنت من مصالحك يكون أقل الأشياء عندك ، ولكن الأمور الأخرى التي تحتاج إليها هي بيد غيرك ، فإن أنت وفيت الكيل والميزان . فذلك خير لك ؛ فالذي يقيس لك القماش لا يغشك ، والذي يزن لك ما ليس عندك لا يغشك ، والذي يكيل لك الذي ليس عندك لا يغشك ، إذن فأنت واحد منهي عن أن تفعل ذلك ، وجميع الناس منهيون أن يفعلوا ذلك معك ، وبذلك تكون أنت الكاسب .

وإذا جئت إلى قوله تعالى: ﴿ وَلا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْبَاءَهُمْ ﴾ ، فأنت مآمور ألا تبخسوك شيئاً ، وإذا أفسدت في تبخس الناس أشياءهم ، وكل الناس مأمورون أيضاً ألا يفسدوا هذه الأرض وبذلك تكون الأرض بعد إصلاحها فالناس مأمورون أيضاً ألا يفسدوا هذه الأرض وبذلك تكون احظ منهم في كل شيء ولذلك يجب على كل مكلف حين يستقبل تكليفاً قد يكون شاقاً على نفسه أن يتأمل هذا التكليف وأن يقول لنفسه : إياك أن تنظر إلى مشقة التكليف على نفسك ، ولكن انظر إلى مايؤديه لنفسه : إياك أن تنظر إلى النكليف لك : لا تنظر إلى محارم غيرك ، فقد أمر غيرك ألا ينظر محارمك ، وفي هذا عزة لك . وإذا أمرك التكليف ألا تضع يلك في جيب غيرك وتسرق ، فقد أمر كل الناس ألا يضعوا أيديهم في جيوبك ليسرقوك ، وبهذا نعيش في أمان .

وإذا طلب التكليف منك وأنت غنى أن تخرج زكاة مالك إياك أن تقول: مالى وتعبى وعرقى ؛ لأن المال مال الله ، وأنت كإنسان مخلوق ليس لك إلا توجيه الحركة ، والحركة نكون بطاقة مخلوقة لله ، والعقل الذى خطط مخلوق لله ، والانفسال الذى انفعل لك فى الأرض من خلق الله ، ولكن الحق احترم عملك والانفسال الذى انفعل لك فى الأرض من خلق الله ، ولكن الحق احترم عملك وناتجه وفرض عليك أن تخرج منه زكاة مقدرة . فإياك أن تقول: إنه يأخذ منى . لماذا؟ لأن عالم الأغيار باد وظاهر أمامك ، وكم رأيت من قوى ضعف ، ومن غنى افتقر ، فإذا كان سبحانه قد طلب منك أن تعطى الفقير وتقويه ، فإن افتقرت فسيفمل لك فإذا كان سبحانه قد طلب منك أن تعطى الفقير وتقويه ، فإن افتقرت فسيفمل لك ذلك ، وفي ذلك تأمين حياتك ؛ لأنك تعيش في مجتمع فلا تأس على نفسك إن مرت بك الأغيار لأن مجتمعك الإيماني لن يتركك ، أنت أو أولادك ، ويقول الحق:

﴿ وَلْيَخْشُ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِيَّةٌ ضِعَلْفًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتْقُوا اللَّهَ وَلَيْقُولُوا فَوْلاً سَدِيدًا ۞ ﴾ [مورة النساه]

فإن أردت أن تطمئن على أولادك الصغار بعد موتك فانظر للأيتام في مجتمعك وكن أبالهم ، وحين تصير أنت أبالهم ، وهذا أب لهم، وذلك أب لهم ، سيشعر البتيم أنه فقد أبا واحداً ، لكنه يحيا في مجتمع إيماني أوجد له من كل المؤمنين

MENIO

@!TT1@@+@@+@@+@@+@

آباء، فلا يحزن ، وكذلك لن تخاف أنت على أولادك إن صاروا أيساماً بعد أن غادرتهم إلى لقاء ربك ؛ لأنك رعيت البتامي وعشت في مجتمع يرعاهم. ولكنك تحزن عندما ترى يتيماً مضيعاً في مجتمع لايقوم على شأنه وتقول لنفسك: أنا إن مت سيضيع أبنائي هكذا.

وهكذا تكون تكاليف الإيمان هى تأميناً للحياة. ومشال ذلك حين نقول للمرآة: تحجبى ، ولا تبدى زينتك لغير محارمك ، قد نظن المرأة فى ظاهر الأمر أننا ضيقنا على حريتها ، لأنها تنسى أن المنهج يؤمن لها قبح الشيخوخة ، لأنها حين تتزوج صغيرة ، ثم يصل عمرها فوق الأربعين ويتغير شكلها من مناعب الحمل وتربية الأبناء ، ثم يرى زوجها فتاة فى العشرين وغير محتشمة قد تفتنه وتصرفه عن زوجته ، وينظر إلى زوجته نظر غير المكترث بها ، وغير الراغب فيها . فالشرع قد أمر بالحجاب للمرأة وهى صغيرة ؛ ليصون لها زوجها إن صارت كبيرة غير مرغوب فيها . فإن منعها وهى صغيرة نقد منع عنها وهى كبيرة ؛ كل ذلك إذن من تأمينات المنهج للحياة .

إذن فإيفاء الكيل ، وعدم إبخاس الناس أشياءهم وعدم الإفساد في الأرض بعد إصلاحها خير للجميع في الدنيا ، بالإضافة إلى خير الآخرة ، ولذلك يذيل الحق الآية الكريمة بقوله :

﴿ . . ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُؤْمِنِينَ (١٠٠٠)

و «ذلكم» إشارة إلى ماسبق من الأمر بعبادة الله فلا إله غيره وإلى الأمر باستيفاء الكيل والميزان، وألا نبخس الناس أشياء هم، وألا نفسد في الأرض بعد إصلاحها، ووضع الحق ذلك في إطار ﴿ إِن كُنتُم مُؤْمِنِين ﴾ على الرغم من أن الحير سيأتي أيضاً لغير المؤمن، وهكذا تكون كلمة الخيرة تشمل خيراً في الدنيا، وخيراً في الأخرة للمؤمن فقط . أما الكافر فسيأخذ الخير في الدنيا فقط ، ولاخير له في الأخرة ، فإن كنتم مؤمنين فسيتضاعف الخير لكم ليصير خيراً دائماً في الدينا والأخرة .

ويقول الحق بعد ذلك:

﴿ وَلَا نَفْعُدُوا بِكُلِ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُونَ عَن سَكِيلِ اللّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِ ، وَتَسَبَعُونَهَ عَوجَاً وَاذَكُرُوا إِذَكُنتُمْ قَيلًا فَكُنَّرَكُمْ وَانظُرُوا كَيْفَكُانَ عَنِقِبُ أَلْمُفْسِدِينَ ﴿ الْمُفْسِدِينَ ﴿ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللّهُ الللَّالِ الللَّالِ الللللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّا

وقوله : ﴿ ولا تقعدوا بكل صراط ﴾ أى لا تقعدوا على كل طريق ، لأن من يقعد على الطريق قد يمنع من يحاول الذهاب ناحية الرسول . والشيطان قد قال :

﴿ لَا قُعُدُنَّ مَهُمْ مِيرَ طَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾

(من الآية ١٦ سورة الأعراف)

فحين تقعدون على كل صراط يصير كل منكم شيطاناً والعياذ بالله ؛ لأن الشيطان قال لربنا : ﴿ لأقعدن لهم صراطك المستقيم ﴾ ، وهنا ينهى الحق عن القعود بكل صراط ؛ لأن الصراط سبيل ، وحين يجمع الحق السبل لينهى عنها ، إنما ليذكرنا أن له صراطاً مستقيماً واحداً ، وسبيلًا واحداً يجب علينا أن نتبعه . ولذلك يقول :

﴿ فَأَنَّهِمُوهُ وَلَا تَتَّهِمُواْ ٱلسُّبُلِّ فَنَغَرَّقَ بِكُرْ عَن سَيِيلِهِ ﴾

(من الآية ١٥٣ سورة الأنعام)

إذن فللشيطان سبل متعددة وسبيل الاستقامة واحد، لأن للطرق المتعددة غوايات منوعة، فهذا طريق يغوى بالمال، وذلك يغوى بالمرأة، وذاك يغوى بالجاه. إذن فالغوايات متعددة.

أو أن الهداية التي يدعو إليها كل رسول شائعة في كل ما حوله ؛ فمن يأتي ناحية أي هداية يجد من يصده . ومن يطلب هداية الرسول يلقى التهديد والوعيد ، والمنع عن سبيل الحق . ولماذا يفعلون ذلك ؟ تأتي إجابة الحق : ﴿ وتبغونها عوجاً ﴾ .

إنهم يبغون ويودون شريعة الله معوجة وماثلة وزائغة عن الاستقامة ، أو تصفونها بأنها غير مستقيمة لتصدوا الناس عن الدخول فيها ، ولتغروا منها ، مثال ذلك السخرية من تحريم الخمر والادعاء بأنها تعطى النفس السرور والانسجام . إن الواحد من هؤلاء إنما ينفر من شريعة الله ، ويدعى أنها شريعة معوجة ، فنجد من يحلل الربا ؛ لأن تحريم الربا في رأيهم السقيم المنحرف يضيق على الناس فرصهم . إنهم يبغون شريعة الله معوجة ليستفيلوا هم من اعوجاجها ، وينفروا الناس منها .

﴿ وَاذْ كُرُوا إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَرَكُمْ وَانظُرُواْ كَيْفَكَانَ عَنقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴾

(من الآية ٨٦ سورة الأعراف)

نعلم أن كل ردع ، وكل توجيه يهدف إلى أمرين اثنين : ترغيب رترهيب ، وعلى سبيل المثال نجد المدرس يقول للتلاميذ : من يجتهد فسنعطيه جائزة ، وهذا ترغيب ، ويضيف الأستاذ قائلًا للتلاميذ : ومن يقصر في دروسه فسنفصله من المدرسة ؛ وهذا ترهيب . وما دام الناس صالحين لعمل الخير ولعمل الشر بحكم الاختيار المخلوق قيهم لله فلا بد من مواجهتهم بالأمرين بالترغيب في الخير والترهيب من الشر .

والحق هنا يقول في الترغيب : ﴿ وَاذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَالِلًا فَكُثْرُكُمْ ﴾ .

وكانه يطالبهم بأن يكونوا أصحاب ذوق وأدب ، فنحن نعلم أن مدين تزوج وأنجب عدداً من الذرية وكانوا قلة في العدد فكثرهم حتى صاروا قبيلة ، وكانوا ضعافاً فقواهم ، وكانوا فقراء فأغناهم ، فمن صنع فيكم ولكم كل هذه المسائل ألا يصع أن تطيعوا أوامره . وهذا ترغيب وتحنين .

ونعلم أن شعيباً هو خامس نبى جاء بعد نوح ، وهود ، وصالح ، ولوط . لذلك يذكرهم الحق بما حدث لمن كذبوا الأنبياء الأربعة السابقين . وقد يكون قوم نوح معذورين لأنهم كانوا البداية ، فلم يسبقهم من أخذ بالعذاب لتكذيب رسلهم ، ثم صارت من بعد ذلك قاعدة هي أن من يكذب الرسل يلقى العذاب ، مصداقا لقوله الحق :

[سورة العنكبوت]

﴿ فَكُلاُّ أَخَذُنَّا بِذَنَّهِ

فإذا كان شعيب ينذرهم بإن ينظروا كيف كان عاقبة المفسدين بمن سبقوهم فهذا تذكير بمن أغرقهم ومن أخذتهم الصحية ، ومن كفأ وقلب ودمر ديارهم ، ومن جاء لهم بمطر من سجيل ، فإن لم يعرفوا واجبهم نحو الله الذي أنعم عليهم بإن كانوا قليلاً فكثرهم ، فعليهم أن يخافوا عاقبة المفسدين. إذن فقد جمع لهم بين الترغيب والترهيب.

ويقول الحق بعد ذلك:

﴿ وَإِن كَانَ طَآبِفَ أَهُ مِن كُمُ مَا مَثُواْ بِاللَّذِي الْمَثُواْ بِاللَّذِي الْمَثُواْ بِاللَّذِي الْمُثَوا فَاصْبِرُواْ حَتَى يَعْكُمُ الرَّسِلْتُ بِهِ وَطَآبِفَ أُلَّا يُؤْمِنُواْ فَاصْبِرُواْ حَتَى يَعْكُمُ الرُّسِلْتُ بِهِ وَطَآبِفَ أَلَا يُوَمِنُواْ فَاصْبِرُواْ حَتَى يَعْكُمُ اللَّهُ بَيْنَا فَا هُوَ خَيْرًا لَحَاكِمِينَ عَلَى اللَّهُ بَيْنَا أُوهُ وَخَيْرًا لَحَاكِمِينَ عَلَى اللَّهُ بَيْنَا أُوهُ وَخَيْرًا لَحَاكِمِينَ عَلَى اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ ال

وهذا القرل يوضح لنا أن طائفة آمنت ، وطائفة لم تؤمن ، ثم جاء الأمر للطائفتين ، فأمر المؤمنين بالصبر تأنيس لهم ، وأمر الكافرين بالصبر تهديد لهم .

وهذه دقة القرآن في الأداء وعظمة البيان والبلاغة . إذن ، فكلمة : اصبروا نقعت في التعبير عن الأمر بالصبر للذين آمنوا ، ونفعت في كشف المصير الذي ينتظر الذين لم يؤمنوا ، فصبر الكافرين مآله وعاقبته ، إما أن يخجلوا من أنفسهم فيؤمنوا ، وإما أن يجدوا العذاب ، وصبر المؤمنين يقودهم إلى الجنة ، وأن الذي يحكم هو الله وهو خير الحاكمين ؟ لأن المحكوم عليهم بالنسبة له سواه ، فلا أحد منهم له أفضلية على أحد . ولا أحد منهم قريبه ، وإلا قرابة القربي والزلفي إليه ، وسبحانه هو العادل عطلق العدل ، ولا يظلم أحداً .

ويقول الحق بعد ذلك:

WE YELD

O111100+00+00+00+00+0

علمنا من قبل أن الملأهم السادة، والأعيان الذين يملأون العيون هببة، ويملأون القلوب هببة، ويملأون الأماكن تحيزاً. وقد استكبر الملأ من قوم شعيب عن الإيمان به، وطغوا وهددوه بأن يخرجوه من أرضهم. وقالوا مثلما قال من سبقوهم. فقد نادى بعض من قوم لوط بأن يخرجوا لوطاً ومن آمن معه من قريتهم. قال تعالى:

﴿ فَمَا كَانَ جَوَابَ قُومِهِ إِلاَّ أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِن أَمَرْيَتُكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَتَطَهُّرُونَ ۞ ﴾

وكلمة اقرية الخذ في حياتنا وضعاً غير وضعها الحقيقي الله الآن هي الموقع الأقل من المدينة الصغيرة. لكنها كانت قديماً البلد اللي توجد قيه كل متطلبات الحياة ابدليل أنهم كانوا يقولوا عن مكة أم القري، وقد وضع الملأ شعيباً ومن آمن معه بين أمرين: إما أن يخرجوهم حتى لايفسدوا من لم يؤمن فيؤمن، وإما أن يعودوا إلى الملة.

وهنا الفتة لفظية الحب أن تنتبهوا إليها في قوله: ﴿ أَوْ لَتَعُودُنَ فِي مِلْتِنَا ﴾ لأن العود يقتضي وجوداً سابقاً خرج عنه ، ونريد أن نعود إلى الأصل ، فهل كان شعيب والذين آمنوا معه على ملتهم ثم آمنوا والمطلوب منه الآن أنهم يعودون؟

علينا أن نتبه إلى أن الخطاب هنا يضم شعيباً والذين معه. وقد يصدق أمر العردة إلى الملة القديمة على الذين مع شعيب ، ولكنها لاتصدق على شعيب لأنه نبى مرسل، وهنا نتبه أيضاً إلى أن الذي يتكلم هنا هم الملاً من قوم مدين، ووضعوا شعيباً والذين آمنوا معه أمام اختيارين: إما العودة إلى الملة، وإمّا

الخروج ، ونسوا أن الحق قد يشاء تقسيماً آخر غير هذين القسمين . فقد يوجد ويريد سبحاته أمراً ثالثاً لا يخرج فيه شعيب والذين آمنوا معه ، وأيضاً لا يعودون إلى ملة الكفر ، كأن تأتى كارثة تمنع ذلك .

لقد عزل الملأ من قوم شعيب أنفسهم عن المقادير العليا ، لأن الله قد يشاء غير هذين الأمرين ، فقد يمنعكم أمر فوق طاقتكم أن تُخرِجوا ؛ شعيباً ومن آمن معه ؛ بأن يصيبكم ضعف لا تستطيعون معه أن تخرجوهم ، أو أن يسلط الله عليكم أمرا يغنيكم وينجى شعيباً والذين آمنوا معه . إذن أنت أبها الإنسان الحادث ، العاجز لا تفتئت ولا تفترى وتختلق على القوة العليا في أنك تخير بين أمرين قد يكون لله أمر ثالث لا تعلمه ، ويأتى الرد على لسان من آمنوا مع شعيب :

﴿ قَالَ أُولَوْ كُنَّا كُنرِهِينَ ﴾

(من الآية ٨٨ سورة الأهراف)

لقد سأل شعيب والذين معه : أيمكن أن يتم قهر أحد على أن يترك الإيمان إلى الكفر ، كأن الكافرين قد تناسوا أن التكليف مطمور في الاختيار ، فالإنسان بختار بين سبيل الإيمان وسبيل الكفر .

ويتتابع القول من شعيب والذين آمنوا معه :

﴿ قَدِ اَفْتَرَيْنَاعَلَ اللّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّذِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَنَّنَا اللّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَن نَعُودَ فِيهَا إِلّا أَن يَشَاءَ اللّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللّهِ تَوكَلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ وَرَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ وَرَبِّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ وَرَبِّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ وَرَبِّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ وَمُنَا بِالْحَقِي وَأَنتَ خَيْرُ الْفَلْيْدِينَ اللهِ فَوَمِنَا بِالْحَقِي وَأَنتَ خَيْرُ الْفَلْيْدِينَ اللهِ فَي اللّهِ عَلَيْمُ الْفَلْيْدِينَ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللللّهُ اللّهُ اللّهُ اللللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّ

وقولهم : ﴿ قد افترينا على الله كذباً إن عدنا في ملتكم ﴾ أي أنهم يعلمون أن

العودة إلى مثل هذه الملة لون من الكذب المتعمد على الله . لأن الكذب أن تقول كلاماً غير واقع ، وتعلن قضية غير حقيقية إن أنت قلتها على مقتضى علمك فهذا مطلق كذب . لكن إن كنت عارفاً بالحقيقة ثم قلت غيرها فهذا افتراء واختلاق وكذب . والذين آمنوا مع شعيب عليه السلام يعلمون أن الملة القديمة ملة باطلة ، وهم قد شهدوا مع شعيب حلاوة الإيمان بالله ؛ لذلك رفضوا الكذب المتعمد على الله . ويقولون بعد ذلك :

﴿ بَعْدَ إِذْ نَجْنَا اللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَحْكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَثَاءَ اللَّهُ ﴾

(من الآية ٨٩ سورة الأعراف)

قد عرفوا أن التكليف اختيار وهم قد اختاروا الإيمان ، وأقروا وأكدوا إيمانهم بأنه مبحانه له طلاقة القدرة ، فقالوا : ﴿ إِلاَ أَنْ يِشَاءُ الله ﴾ . فمشيئته سبحانه فوق كل مشيئة . ألم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم : و إِنْ قلوب بنى آدم كلها بين أصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه حيث شاء ه(١) .

وألم يقل سيدنا إبراهيم وهو أبو الأنبياء والرسل:

﴿ وَأَجْنُبُنِي وَبَنِي أَنْ نَعْبُدُ ٱلْأَصْنَامَ ﴾

(من الآية ٣٥ سورة إبراهيم)

لم يقل: واجنبنا. بل قالها واضحة ودعا ربّه أن يبعده وينأى به وببنيه أن يعبدوا الأصنام، لأنه يعلم طلاقة قدرته سبحانه. إذن فمن آمنوا مع شعيب احترموا طلاقة القدرة في الحق ؛ لذلك قالوا:

﴿ وَمَا يَحْكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا ﴾

(من الآية ٨٩ سورة الأعراف)

ولكن الله لا يشاء لمعصوم أن يعود ، وسبحانه يهدى من آمن بهداية الدلالة ويمده بالمزيد من هداية المعونة إلى الطريق المستقيم .

⁽ ١) رواه أخد ، ورواه مسلم عن ابن عمر .

ويتابع أهل الإيمان مع شعيب .

﴿ وَسِعَ رَبُنَا كُلُّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللّهِ تَوْكُلْنَا رَبُنَا افْتَحْ بَيْنَا وَبَيْنَ قُومِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفُلْتِحِينَ (٨٠) ﴾

جاء قوله ، ﴿ عَلَى اللّهِ تَو كُلْنا ﴾ لأن خصومهم من الملا بقوتهم ويجبرونهم قالوا لهم: أنتم بين أمرين اثنين: إما أن تخرجوا من القرية، وإما أن تعودوا في ملتنا. وأعلن المؤمنون برسولهم شعيب: أن العود في الملة لايكون إلا بالاختيار وقد اخترنا ألا نعود. إذن قليس أسامهم إلا الإخراج بالإجبار؛ لذلك توكل المؤمنون على الله ليتولاهم، ويمنع عنهم تسلط هؤلاء الكافرين.

﴿ عَلَى اللَّهِ تُوكِّكُلْنَا رَبُنَا الْتَحْ بَيْنَا وَبَيْنَ قُوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ الْفُسَتِحِينَ (١٠٠ ﴾ [سورة الأعراف]

وساعة نسمع كلمة «افتح» أو «فتّح» أو «فتّح» نفهم أن هناك شيئاً مغلقاً أو مشكلاً، فإن كان من المُحسّات يكون الشيء مغلقاً والفتح يكون بإزالة الأغلاق وهي الأقفال، وإن كان في المعنوبات فيكون الفتح هو إزالة الإشكال، والفتح الحسى له نظير في القرآن، وحين نقراً سورة يوسف نجد قوله الحق:

﴿ وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَنَعَهُمُ وَجَدُوا بِطَنَعَتَهُمْ رُدُتُ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَسْأَبَانَا مَا نَبْغِي هَذِهِ بِطَنْعَتُنَا رُدُتُ إِلَيْنَا .. (10) ﴾

وكلمة ﴿ وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَمْعَهُم ﴾ تعنى أن المتاع الذي معهم كان مغلقاً واحتاج إلى فتح حسى ليجدوا بضاعتهم كماهي. وأيضاً يقول الحق سبحانه وتعالى:

﴿ رُسِينَ الَّذِينَ انْقُواْ رَبُّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتَّ أَبْزَبُهَا . . (٧٧) ﴾

[سورة الزمر]

明到此

ومادام هناك أبواب تفتح فهذا فتح حسى. وقد يكون الفتح فتح علم مثلما نقول: ربنا فتح علينا بالإيمان والعلم، ويقول الحق:

﴿ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُوكُم بِهِ عِندَ رَبِّكُمْ . . (٧٦) ﴾ [سورة البقرة]

فما دام ربنا قد علمهم من الكتاب الكثير فهذا فتح علمى. ويكون الفتح بسوق الخير والإمداد به. والمثال على ذلك قوله الحق:

﴿ مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رُحْمَةٍ قَلَا مُمْسِكَ لَهَا . . (٢) ﴾ [سورة ناطر] وكذلك قوله سبحانه:

﴿ وَلَوْ أَنْ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقُوا لَفَنَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ . . (٢٠٠ ﴾

والبركات من السماء كالمطروهو يأتي من أعلى، وهو سبب فيما يأتي من الأسفل أي من الأرض .

والفتح أيضاً بمعنى إزالة إشكال في قنضية بين خصمين، ففي اليمن حتى الآن، يسمون القاضى الذي يحكم في قضايا الناس «الفاتح» لأنه يزيل الإشكالات بين الناس. وقد يكون «الفتح» بمعنى «النصر»، مثل قوله الحق:

﴿ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يُسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا . . (١٠)

لقد كانوا ينتظرون النبي على لينتصروا به على الذين كفروا ، ومن الفتح أيضاً الفصل في الأمر من قوله الحق هنا في الآية التي نحن بصدد خواطرنا عنها:

﴿ رَبُّنَا الْفَتْحُ بَيْنَا وَبَيْنَ قُومُنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَلْسَجِينَ . . (الله على المورة الاعراف]

وهذا القول هو دعاء للحق : احكم با رب بيننا وبين قومنا بالحق بنصر الإيمان وهزيمة الكفر ، وأنت خير الفاتحين فليس لك هوى ضد أحد أو مع أحدٍ من مخلوقاتك .

ريقول الحق بعد ذلك:

﴿ وَقَالَ ٱلْكَاذُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْمِن قَوْمِهِ مَلَيِنِ ٱلَّبَعْتُم شُعَيْبًا إِنَّا لَكُو إِذَا لَخَسِرُونَ فَ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ الل

وهنا يقول الملأ من قوم مدين لمن آمنوا ولمن كان لديهم الاستعداد والتهيؤ للإيمان محذرين لهم من اتباع شعيب حتى لا يظل الملأ والكبراء وحدهم في الضلال:

وساعة نرى و اللام ، في و لئن ، نعلم أن هنا قَسَماً دلّت عليه هذه و اللام ، وهنا أيضاً و إن ، الشرطية ، والقسم يحتاج إلى جواب ، والشرط يحتاج كذلك إلى جواب ، فإذا اجتمع شرط و قسم اكتفينا بالإنيان بجواب المتقدم والسابق منهما ، مثل قولنا : و والله إن فعلت كذا ليكونن كذا ، : ﴿ لئن اتبعتم شعيباً إنكم إذاً لخاسرون ﴾ .

وماذا سيخسرون ؟ سيخسرون لأنهم كانوا سيأخذون أكثر من حقهم حين يطففون الكيل ويخسرون الميزان ، والقوي يأخذ من الضعيف ؛ فإذا ما ارتبطوا بالمنهج واتبعوه خسروا ما كانوا يأخذونه من تطفيف الكيل وبخس وخسران الميزان بمنهج . وهذه هي الخسارة في نظر المنحرف .

﴿ فَأَخَذَ مُهُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دَارِهِمَ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دَارِهِمَ اللهِ فَا فَالْمَا اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهُ

والرجفة هي الهزة العنيفة التي ترج الإنسان رجًا غير اختياري ، وصاروا بها جائمين أي قاعدين على ركبهم ؛ ولا حراك بهم ؛ ميتين ، وفي هيئة الذلة . وهذا يدل على أن كلا منهم ساعة أُجذ تذكر كل ما فعله من كفر وعصيان ، وأراد استدراك ما فاته من مخالفاته للرسول ، وأخذ يوبخ نفسه ويندم على ما فعل ، ولم تأخذه الأبهة والاستكبار ، لأن هناك لحظة تمر على الإنسان لا يقدر فيها أن يكذب على نفسه ، ولذلك نجد أن من ظلم وطغى وأخذ حقوق الغير ثم يأتيه الموت يحاول أن ينادى على كل من بغى عليه أو ظلمه ليعطيه حقه لكنه لا يجده . ولذلك يسمون ثلك اللحظة أنها التي يؤمن فيها الفاجر ، لكن هل ينفع إيمانه ؟ طبعاً لا . في هذه الحالة لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل .

ويتابع سبحانه وصف ماحدث لهم إثر الرجفة :

وغنى بالمكان: أقام به ؛ فحين صاروا جاثمين وخلت منهم الديار، كأنهم لم تكن لهم إقامة إذ استؤصلوا وأهلكوا إهلاكاً كاملا، وإذا كان هؤلاء المكذبون قد قالوا: ﴿ لئن اتبعتم شعيباً إنكم إذاً لخاسرون ﴾ فيكون مآلهم هو ما ذكره ربنا بقوله: ﴿ الذين كذبوا شعيباً كانوا هم الخاسرين ﴾ .

ويتتابع قوله الحق عن سيدنا شعيب :

واتولى عنهم الى تركهم وسار بعيداً عنهم ، وحدثهم متخيلاً إياهم ﴿ لَقَدُ الْلَغْتُكُمُ وَسَالات رَبِي وَنَصَحْتُ لَكُمْ ﴾ ، فكأن المنظر العاطفى الإنسانى حين رأى كيف أصبحوا ، وتعطف عليهم وأسى من أجلهم ، لكن يرد هذا التعاطف متسائلا متعجباً ﴿ فَكَيْفَ آمَىٰ عَلَىٰ قَوْم كَافِرِينَ ﴾ ؟ إنهم نوع من الناس لايحزن عليهم المؤمن . فما بالنا بنبي ورسول ؟ إنه يحدث نفسه وكأنه يقول : ماقصرت في مهمتى ، بل أبلختكم رسالاتي التي تلقيتها من الله ، والرسالات إذا جمعت فالمقصود منها رسالته ورسالة الرسل السابقين في الأمور التي لم يحدث فيها نسخ ولا تغيير ، أو رسالاته أي في كل أمر بلغ به ؛ لأنه كان كلما نزل عليه حكم يبلغه لهم . أو أن لكل خيررسالله ، ولكل شر رسالة ، وقد أبلغهم كل ماوصله من الله ، وفم يقتصر على البلاغ بل أضاف عليه النصح ، والنصح غير البلاغ ، فالبلاغ أن تقول ماوصلك وينتهى الأمر ، و «النصح اهو النصح عليه م في أن يثوبوا إلى رشدهم وأن يتبعوا نهج الله .

ويقول الحق بعد ذلك:

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْبَةِ مِّن نَّبِي إِلَّا أَخَذْ نَا أَهْلَهَا إِلَّا أَخَذْ نَا أَهْلَهَا بِأَلْبَأْسَاآهِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ﴿ الْحَالَمُ اللَّهُ مُ يَضَّرَّعُونَ ﴿ الْحَالَمُ اللَّهُ اللَّهُ مُ يَضَّرَّعُونَ ﴿ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللللْمُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّلِي اللللْمُ اللللْمُ اللللْمُ اللَّهُ اللللْمُ الللِيْلُولُ اللللْمُ اللللْمُ اللَّهُ اللللْمُ اللَّهُ اللللْمُ الللْمُ اللَّهُ اللللْمُ الللْمُ اللللْمُ اللَّهُ اللَّهُ الللْمُ اللَّهُ الللْمُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللْمُ اللَّلْمُ اللَّهُ اللَّهُ الللْمُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللْمُلْمُ الللْمُ الللْمُ اللَّهُ اللَّهُ الللْمُ اللَّهُ الللْمُ الللْمُ الللْمُ اللَّهُ اللللْمُ الللْمُ الللْمُ الللْمُ اللَّهُ الللْمُ اللللْمُ اللللْمُ الللْمُ الللْمُ اللْمُ اللَّهُ الللْمُ الللْمُ الللْمُ اللللْمُ الللْمُ الللْمُ الللْمُ اللْمُ الللْمُ اللْمُلْمُ اللْمُ اللْمُ اللْمُ الللْمُ الللْمُ اللْمُلْمُ اللَّلْمُ اللْمُ اللَّامُ الللْمُ اللْمُ الللْمُلْمُ الللْمُ الللْمُ الللْمُ اللْمُولُ اللْ

وعرفنا من قبل أن القرية هي البلد الجامع لكل مصالح سكانها في دنياهم.

والمقصود هنا أن القرية التي يرسل إليها الحق رسولاً ثم تُكذّب فسبحانه يأخذ أهلها بالبأساء والضراء. والبأساء هي المصيبة تصيب الإنسان في أمر خارج عن ذاته ؟ من مال يضيع ، أو تجارة تبور وتهلك ، أو بيت يهدم ، والضراء هي المصيبة التي تصيب الإنسان في ذاته ونفسه كالمرض ، ويصيبهم الحق بالبأساء والضراء لأنهم نسوا الله في الرخاء فأصابهم بالبأساء والضراء لعلهم يرجعون إلى ربهم ويتعرفون إليه ، ليكون معهم في السراء والضراء . والحق يقول:

O 170100+00+00+00+00+00+0

﴿ وَإِذَا مَسُ الإِنسَلْنَ الضُّرِّ دَعَانَا لِجَنْبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمًا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَوْ

و كان من الواجب على الإنسان أنه ساعة ماتمسه الضراء أن يتجه إلى خالقه ، ولقد جعل الله الضراء وسيلة تنبيه يتذكر بها الإنسان أن له ربا ، وفي هذه اللحظة يجيب الحق الإنسان المضطر ، ويغيثه مصداقاً لقوله الحق :

﴿ أَمَّن يُجِبِبُ الْمُضْطِرُ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الأَرْضِ أَءَكَ مُعَ اللهِ قَابِلاً مَّا تَذَكَرُونَ (١٦) ﴾

وإذا صنع الله مع المضطر هذا فقد يثوب إلى رشده ويقول: إن الإله الذي لم أجد لى مفزعاً إلا هو، لايصح أن أنساه.

وكأن الحق سبحانه وتعالى يذكرنا بطلاقة قدرته حين يقول:

﴿ فَلُولًا إِذْ جَاءَهُم بَأْسُنَا تَضَرُّعُوا . . (١٣) ﴾

وكأنه سبحانه يطلب مناحين تجىء البأساء أن نفزع إليه ولانعتقد أننا نعيش في الحياة وحدنا، بل نعيش في الحياة بالأسباب المخلوقة لله وبالمسبب وهو الله ، فالذي عزت عليه الأسباب وأتعبته يروح للمسبب، ولذلك يأخذ سبحانه أية قرية لاتصدق الرسل بالبأساء والضراء لعلهم يضرعون وذلك رحمة بهم.

ويقول:

﴿ وَلَـنَكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ . . 3 ﴾

فهل يتركهم الله في السراء والضراء دائماً؟ لا، فهو سبحانه يجيثهم ويبتليهم بالبأساء والضراء ليلفتهم إليه، فإذا لم يلتفتوا إلى الله ، فسبحانه يبدل مكان السبئة الحسنة، لذلك يقول:

﴿ أُمُّ بَدُّلْنَا مَكَانَ ٱلسَّيِنَةِ ٱلْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفُواْ وَقَالُواْ فَدَمَسَ ءَابَآءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ فَأَخَذَنَهُم بَعْنَةُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۞ ﴿ اللَّهِ الْمَالَةُ وَالْسَرَّاءُ فَأَخَذَنَهُم

ويعطى سبحانه بعد ذلك لهم الرزق ، والعافية ، والغنى ؛ لأن الحق إذا أراد أن يأخذ جباراً أخذ عزيز مقتدر فهو يمهله ، ويرخى له العنان ليتجبر - كفرعون - من أجل أن يأخذه بننة ، وكأنه يسقط من أعلى ، فيعليه ويعليه من أجل أن ينزل به - كما يقولون - على جذور رفبته : ﴿ ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة حتى عفوا ﴾ .

(عَفُوا) أَى كَثرُوا عدداً ومالاً وقوة أَى أنه ما أخذهم سبحانه بالبأساء والضراء إلا وكان القصد منها أن يلفتهم إليه ، فلم يلتفتوا ، فيمدهم ويعطى لهم العافية وما يسرّهم ، ثم يصيبهم بالعذاب بغتة .

﴿ ثُمْ بَذَلْكَ مَكَانَ السِّيْنَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّى عَفُواْ وْقَالُواْ قَدْ مَسْ وَابَاءَ نَا الضَّرَاءُ وَالسَّرَاءُ فَأَخَذْنَكُم بَغْنَةُ وَهُمْ لَا يَسْمُرُونَ ۞ ﴾

(سورة الأعراف)

ونلحظ أن الحق سبحانه وتعالى بعد أن تكلم على خلافة الإنسان فى الأرض ، وأنه أمنه بكل ما تقوم به حياته ، وأمده بالقيم بواسطة مناهج السماء ، وأنزل المنهج مبينا ما أحل ، وما حرم بعد أن كانوا يحلون ما حرم الله ، ويحرمون ما أحل الله ، فبين لهم الحق أن الذي خلق الخلق عالم بما يصلحهم فأحله ، وعالم بما يفسدهم فحرّمه ، فليس لكم أن تقترحوا على الله حلالا ، ولا حراما ، ولكن بعض المشككين في منهج الله قالوا _ ومازالوا يقولون _ : إذا كان الله قد أحل شيئا وحرم شيئاً فلماذا خلق ما حرم ؟ ونقول : لقد خلق سبحانه كل شيء لحكمة قد تكون لغير الطعام والشراب والكسوة ، فبعض الأشياء يكون مخلوقاً لمهمة وإن لم تكن ماشرة لك ؛ فالبترول مئلاً مخلوق لمهمة أن يوجد طاقة ، لذلك لا نشربه .

والخنزير مخلوق لحكمة لا نعلمها نحن ، وإنما يعلمها من خلق ، لأنه من

创新原

O+CO+CO+CO+CC+CC+C

الجائز أن يكون أداة لالتقاط الميكروبات التى تنشأ من عفن الأشياء التى يستعملها الناس فى حياتهم، إذن فكل شىء مخلوق لحكمة ، فلا تخرج أنت حكمة الأشياء من غير مراد خالقها ؛ لأن صانع الصنعة هو الذي يحدد الشىء الذى يوجد وينشىء القوة لها . ونحن نعلم - مثلاً - أن أنواع الوقودكثيرة ، فهناك «البنزين» النقى جداً ويرقمونه برقم (١) وهو مخصص للطائرة ، ووقود السيارة وهو «البنزين» رقم (٢) ، فإذا استخدمنا وقود ماكينة وآلة بدل ماكينة أخرى أفسدناها . كذلك خلق الله الإنسان وسخر له كل المخلوقات وأوضح : هذا يصلح لك مباشرة ، وهذا مخلوق ليخدمك خدمة غير مباشرة فدعه في مكانه .

وبعد أن عرض الحق سبحانه وتعالى مواقف الجنة ، ومواقف النار ، ومواقف أصمحاب الأعراف الذين استوت حسناتهم وسيئاتهم ؛ وبعد أن بين المنهج كله أراد أن يبين أن ذلك ليس نظريا ، وإنماهو واقع كوني أيضاً . فسفسرق بين الشيء يقسال نظرا ، والشيء يقع واقعاً ، فقص علينا قصص الأنبياء حين أرسلهم إلى أقوامهم ، فمن كلب بالرسل أخذه الله أخذ عزيز مقتدر بواقع يشهده الجميع ؛ فذكر نوحا مع قومه ، وذكر عاداً وأخاهم هوداً ، وذكر ثمود وأخاهم صالحاً ، ومدين وأخاهم شعيباً ، وقوم لوط وسيدنا لوطا ، وبين ماحدث للمؤمنين بالنجاة ، وماحدث للكافرين بالعطب والإذلال ، ويوضح الحق سبحانه وتعالى : أنني آخذ الناس بالباساه والضراء لعلهم يتضرعون ، لأن الإنسان مخلوق أفاض الله عليه من صفات جلاله ، ومن صفات معله الإنسان من قوته . والله غنى وأعطى الإنسان من غناه ، والله حكيم وأعطى الإنسان من علمه .

وإذا أردت أن تستوعب ما يقربك إلى كمال العلم في الله ، فانظر ماعلمه لكل خلق الله . ومع ذلك فعلمهم ناقص . ويردون إلى العلم الذاتي في الحق سبحانه وتعالى ، وربما غر الإنسان بالأسباب وهي تستجيب له ، فهو يحرث ويبذر ويروى ، وإذا بالأرض تعطيه أكلها . وهو يصنع الشيء فيستجيب له . كل ذلك قد يغريه بأن الأشياء استجابت لذاتيته فيذكره الله : أن اذكر من ذللها لك .

﴿ كَالَّ إِنَّ الإِنسَلْنَ لَيَطْغَىٰ ١٠ أَن رَّاهُ اسْتَغْنَىٰ ٧٠ ﴾

وساعة ما يجد الإنسان أن كل الأسباب مواتية له فعليه أن يذكر الله . إن الإنسان بمجرد إرادة أن يقوم من مكانه فهو يقوم . وبمجرد إرادة أن يصفع أحداً فهو يصفعه ؛ لأن الأبعاض التي في الإنسان خاضعة لمراده ، فإذا كانت أبعاضك خاضعة لمراداتك أنت ، وأنت مخلوق ، فكيف لا يكون الكون كله مراداً للحق بالإرادة ؟ فإذا استغنى الإنسان بالأسباب ، فالحق يلفته إليه . فالقادر الذي كان بفتوته يفعل . يسلب الله منه القدرة بالمرض ؛ فيمد يده ليساعده إنسان على القيام والذي اعتز بشيء يذله الله بأشياء . لماذا ؟ حتى يلفته إلى المسبّب ، فلا يُغتن بالأسباب .

ويدع لنا الحق سبحانه وتعالى فى كونه عجائب ، ونجد العالم وقد تقدم الآن تقدماً فضائيًا واسعاً ، واستطاع الإنسان أن يكتشف من أسرار كون الله ما شاء ، ولكن الحق يصنع لهم أحياناً أشياء تدلهم على أنهم لا يزالون عاجزين . فبعد أن تكتمل لهم صناعة الآلات المتقدمة يكتشفون خطأ واحداً يفسد الآلة ويحطمها ، ونهب زوبعة أو إعصار يدمر كل شيء ، أو يشتعل حربق هائل . فهل يريد الله بكونه فساداً وقد خلقه بالصلاح ؟ لا ، إنه يريد أن يلفتنا إلى ألا نغتر بما أوتينا من أسباب . فالذين عملوا « الرادار » لكي يبين لهم الحدث قبل أن يقع ، يفاجئهم ربنا _ أحياناً _ بأشياء تعطل عمل « الرادار » ، فيعرفون أنهم مازالوا ناقصى علم .

إذن فالأخذ بالباساء ، والأخذ بالضراء ، سنة كونية ليظل الإنسان فاهما وعالماً أنه خليفة في الأرض لله . وفساد الإنسان أن يعلم أنه أصيل في الكون ، فلوكنت أصيلاً في الكون فحافظ على نفسك في الكون ولا تفارقه بالموت . وإن كنت أصيلاً في الكون فذلل الكون لمراداتك . ولن تستطيع ؛ لأن هناك طبائع في الكون تتمرد عليك ، ولا تقدر عليها أبداً .

وترى أكثر من مفاعل ذرى ينفجر بعد إحكامه وضبطه لماذا ؟! ليدل على طلاقة القدرة وأن يد الله فوق أيديهم ، إذن فأخذ الناس بالباساء والضراء ، وبالشيء الذي نقول إنه شر إنما هو طلب اعتدال للإنسان الخليفة ، حتى إذا اغتر يرده الله سبحانه وتعالى من الأسباب إلى المسبّب . وحين يأخذ الله قوماً بالباساء التي تصيب الإنسان في غير ذاته : مال يضيع ، ولد يققد ، بيت يهدم ، أو يأخذهم بالضراء

وهى الأشياء التى تصيب الإنسان فى ذاته ، فذلك ليسلب منهم أبهة الكبرياء ، فلا يجدون ملجأ إلا أن يخضعوا لرب الأرض والسماء ، ولكى يتضرعوا إلى الله ، ومعنى التضرع ـ كما عرفنا ـ إظهار الذلة لله . وإذا لم يُجّد وينفع فيهم هذا ، وقالوا : لا ، إن البأساء والضراء مجرد سنن كونية ، وقد تأتى للناس فى أى زمان أو مكان . تقول لهم : صحيح البأساء والضراء سنن كونية من مكون أعلى من الكون ، فإذا لم يرتدعوا بالبأساء والضراء ويرجعوا إلى ربهم ويتوبوا إليه يبتليهم الله بالنعماء ، فهو القائل :

﴿ فَلَنَا نَسُواْ مَاذُ رُّواْ بِهِ عَنَاعَلَيْهِمُ أَبُوابُ كُلِّ مِّيْ وحَتَى إِذَا فَرِحُواْ بِمَا أُوتُواْ أَخَذْنَهُم بَغْنَةُ فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ﴿ ﴾

(سورة الأنعام)

فالمجتمعات حين تبتعد عن منهج السماء نجد الحق ينتقم منهم انتقاماً يناسب جرمهم ، ولو أنه أخذهم على حالهم المتواضع فلن تكون الضربة قوية ؛ لذلك يوسع عليهم في كل شيء حتى إذا ما سلب منهم وأخذهم بغنة وفجأة تكون الضربة قوية قاصمة ويصيبهم الياس والحسرة .

وقديماً قلنا تعبيراً ريفيًا هو : إن الإنسان إن أراد أن يوقع بآخر لا يوقعه من على حصيرة ، إنما يوقعه من مكان عال . وربنا يعطى للمنكرين الكثير ويمدهم في طغيانهم ثم يأخذهم أخذ عزيز مقتدر . وقد دلت وقائع الحياة على هذا ، ورأينا أكثر من ظالم وجبار في الأرض والحق يملى له في العلو ويمد له في هذه الأسباب ثم يأخذه أخذ عزيز مقتدر ، ولو بواسطة حارسه .

﴿ ثُمَّ بَدَلْكَ مَكَانَ السِّيْعَةِ الْحَسَنَةَ حَتَى عَفَواْ وَقَالُواْ قَدْ مَسْ وَابَاءَ لَا الضَّرَآءُ وَالسَّرَآءُ فَأَخَذْنَكُمُ مِغْنَةٌ وَهُمْ لَا يَسْعُرُونَ ﴿ ﴾

(صورة الأعراف)
وقد يضبط الإنسان أشياء تُعلمه بواقع الشر في مستقبله . مثلها مثل و الرادار ٤
الذي يكشف لنا أي خطر في الأفق قبل أن يأتي ، وحين يقول سبحانه : ﴿ وهم لا يشعرون ﴾ أي ليس عندهم حساب ولا مقاييس تدلهم على أن شرًا يحيق بهم .

@FeY3@+@@+@@+@@+@@1070

وأنت لو نظرت إلى هذه المسألة لوجدت الإنسان بعقله وفكره الذى لم يسلك فيه طريق الله بل سلك فيه السبيل غير المعنهج بمنهج الله ، وبينما لايلتفت الانسان إلى مجىء الكارثة ، ويتساءل : لماذا تجرى هذه الحيوانات ؟! إنه في هذه الحالة يكون أقل من الحيوانات ؛ لأن الحيوان من واقع الأحداث في بلد تحدث فيه الزلازل يكون أول خارج من منطقة الزلزال ، إن الله قد سلبه هذه المعرفة حتى تتمكن منه الضربة ، إننا نجد الحمار يجرى ليغادر مكان الزلزال ، بينما يظل الإنسان واقفاً حتى يحيق ويحيط به الخطر ، فأى إحساس وأى استشعار عند الحيوان ؟ إنه استشعار غريزى خلقه ربه فيه ؛ لأنه سلب منه التعقل فأعطاه حكمة الغرائز .

ومادام الحق قد نبه الإنسان بالبأساء فلم يلتفت ، وبالضراء فلم ينتبه إلى المنهج ؛ لذلك يأتى له الحق ويمد له بالطغيان . لكن أهل الإيمان أمرهم يختلف ، فيقول سبحانه :

﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَى ءَامَنُواْ وَٱتَفَوْا لَفَنَحْنَاعَلَيْهِم بَرَكُنتٍ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَكِكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذَ نَنهُم بِمَاكَانُواْ يَكْسِبُونَ ۞ ﴾

أى أنهم لو آمنوا بالموجود الأعلى ، واتقوا باتباع منهجه أمراً ونهيًا تسلم آلاتهم ، لأن الصانع من البشر حين يصنع آلة من الآلات ، يحدد ويبين الغاية من الآلة قبل أن يبتكرها ، ويصمم لها أسلوب استخدام معين ، وقانون صيانة خاصا لتؤدى مهمتها ، فمابالنا بمن خلق الإنسان ، إذن فالبشر إذا تركوا رب الإنسان يضع منهج صيانة الإنسان لعاش هذا الإنسان في كل خير ، وسبحانه وتعالى أوضح أنهم إن انقوا ، تأت لهم بركات من السماء والأرض ، فإن أردتها بركات مادية تجدها في المعلم الذي ينزل من أعلى ، وبركات من الأرض مثل النبات ، وكذلك كنوزها التي تستنبط منها الكماليات المرادة في الحياة .

C+CC+CC+CC+CC+CC+C

وما معنى البركة ؟ . البركة هي أن يعطى الموجود فوق ما يتطلبه حجمه ؛ كواحد مرتبه خمسون جنيها ونجده بعيش هو وأولاده في رضا وسعادة ، ودون ضيق ، فتساءل : كيف يعيش ؟ ويجيبك : إنها البركة . وللبركة تفسير كونى لأن الناس دائماً ـ كما قلنا سابقاً ـ بنظرون في وارداتهم إلى رزق الإيجاب ، ويغفلون رزق السلب . رزق الإيجاب أن يجعل سبحانه دخلك آلاف الجنيهات ولكنك قد تحتاج إلى أضعافهم ، ورزق السلب يجعل دخلك مائة جنيه ويسلب عنك مصارف كثيرة ، كان يمنحك العافية فلا تحتاج إلى أجر طبيب أو نفقة علاج .

إذن فقوله: ﴿ بركات من السماء والأرض ﴾ أى أن يعطى الحق سبحانه وتعالى من القليل الكثير في الرزق الحلال ، ويمحق الكثير الذي جاء من الحرام كالربا ، ولذلك سمى المال الذي نخرجه عن المال الزائد عن الحاجة سماه زكاة مع أن الزكاة في ظاهرها نقص ، فحين تملك مائة جنيه وتخرج منها جنيهين ونصف الجنيه يكون قد نقص مالك في الظاهر . وإن أقرضت أحداً بالربا مائة جنيه فأنت تاخذها منه مائة وعشرة ، لكن الحق سمى النقص في الأولى نماء وزكاة ، وسمى الزيادة في الثانية محقًا وسحتًا ، وسبحانه قابض باسط .

﴿ وَلُو أَنْ أَهْلَ الْقُرِيُّ وَامْنُواْ وَأَنْقُواْ لَقُنْحَنَّا عَلَيْهِم بَرَكُنِ مِنَ ٱلسَّمَاء وَالْأَرْضِ

وَلَنْكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذَنَّهُم عِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ١٠٠

(مبورة الأعراف)

إذن فلو أخذ الإنسان قانون صيانته من خالفه لاستقامت له كل الأمور ، لكن الإنسان قد لا يفعل ذلك . ويقول الحق : ﴿ ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون ﴾ .

وهكذا نعلم أن الأخذ ليس عملية جبروت من الخالق ، وإنما هي عدالة منه سبحانه ؛ لأن الحق لولم يؤاخذ المفسدين ، فماذا يقول غير المفسدين ؟ . سيقول الواحد منهم : مادمنا قد استوينا والمفسدين ، وحالة المفسدين تسير على ما يرام ، إذن فلأفسد أنا أيضاً . وذلك يغرى غير المفسد بأن يفسد ، ويعطى لنفسه راحتها وشهواتها ، لكن حين يأخذ الله المفسدين بما كانوا يكسبون ، يعلم غير المفسد أن سوء المصير للمفسد واضح ، فيحفظ نفسه من الزلل .

@KeY3@+@@+@@+@@+@@EYeK@

كان القياس أنه يقول سبحانه: بما كانوا يكتسبون ، لأن مسألة الحرام تتطلب انفعالات شتى ، وضربنا المثل من قبل بأن إنساناً يجلس مع زوجته ، وينظر إلى جمالها ويملأ عينيه منها ، لكن إن جلس مع أجنبية وأراد أن يغازلها ليتمتع بحسنها ، فهو يناور ويتحايل ، وتتضارب ملكاته بين انفعالات شتى ، وهو يختلف في ذلك عن صاحب الحلال الذي تتناسق ملكاته وهو يستمتع بما أحل له الله ، ولكن هؤلاء المفسدون تدربوا على الفساد فصار دربة تقرب من الملكة فقال فيهم الحق : إنهم يكسبون الفساد ، ولا يجدون في ارتكابه عنتا .

ويقول الحق بعد ذلك:

مَنْ أَفَأُمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰ أَن يَأْتِيهُم بَأْسُنَابَيَتُا وَهُمُّ نَايِمُونَ ۞ أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰ أَن يَأْتِيهُم بَأْسُنَا ضُحَى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ۞ أَهَا

ونلحظ وجود و همزة استفهام و و فاء تعقيب و في قوله الحق : ﴿ افامن ﴾ وهذا يعنى أن هناك معطوفاً ومعطوفاً عليه ، ثم دخل عليهما الاستفهام ، أى أنهم فعلوا وصنعوا من الكفر والعصيان فاخذناهم بغتة ، أبعد ذلك أمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا وعذابنا بياتا أو ضحى كما صنع بمن كان قبلهم من الأمم السابقة ؟ هم إذن لم يتذكروا ما حدث للأمم السابقة من العذاب والدمار .

ويوضح الحق أن الذين كذبوا من أهل القرى ، هل استطاعوا تأمين أنفسهم فلا يأتيهم العذاب بغتة كما أتى قوم نوح وقوم هود وقوم صالح وقوم لوط وقوم شعيب ؟ والبأس هو الشدة التى يؤاخذ بها الحق سبحانه الأمم حين يعزفون عن منهجه . وما الذى جعلهم يأمنون على أنفسهم أن تنزل بهم أهوال كالتى نزلت بمن سبقهم من الأمم .

وحين يتكلم الحق عن الأحداث فهو يتكلم عما تتطلبه الأحداث من زمان

0-17-1-10-0+0-0+0-0+0-0+0-0+0-0+0-0

ومكان؛ لأن كل حدث لابد له من زمن ولابد له من مكان، ولا يوجد حدث بلا زمان ولا مكان، والمكان هنا هو القرى التي يعيش فيها أهلها، والزمان هو ما سوف يأتي فيه البأس، وهو قد يأتي لهم بياتاً وهم ناثمون، أو يأتي لهم ضحى وهم يلعبون، وهذه تعابير إلهية، والإنسان إذا ما كان في مواجهة الشمس فالدنيا تكون بالنسبة له نهاراً. والمقابل له يكون الليل. وقد يجيء الباس على أهل قرية نهاراً، أو ليلا في أي وقت من دورة الزمن، ونعلم أن كل لحظة من اللحظات للشمس تكون لمكان ما في الأرض شروقاً، وتكون لمكان آخر غروباً، وفي كل لحظة من اللحظات يبدأ يوم ويبدأ ليل، إذن أنت لا تأمن يا صاحب النهار أن يأتي الباس ليلا أو نهاراً، وأنت يا صاحب الليل لا تأمن أن يكون الباس نهاراً أو ليلاً.

وأهل القرى هم الذين قال الله فيهم :

﴿ وَلَكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذُنَّكُم مِنَ كَانُواْ يَكْمِرُنَّ ﴾

(من الآية ٩٦ سورة الأعراف)

وماداموا قد كذبوا فمعنى ذلك أنهم لم يؤمنوا برسول مبلغ عن الله ، وتبعاً لذلك لم يؤمنوا بمنهج يحدد قانون حركتهم بده افعل ، و « لا تفعل » .

إذن فنهارهم هو حركة غير مجدية ، وغير نافعة ، بل هى لعب فى الحياة الدنيا ، وليلهم نوم وفقد للحركة ، أو عبث ومجون وانحراف ، وكل من يسير على غير منهج الله يقضى ليله نائماً أو لاهيًا عاصيًا ، ونهاره لاعبًا ؛ لأن عمله مهما عظم ، ليس له مقابل فى الأخرة من الجزاء الحسن .

ويقول الحق بعد ذلك :

﴿ أَفَ أَمِنُواْ مَحْكَرَاللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكَرَاللَّهِ اللَّهِ أَلْهُ مَكَرَاللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَدِيرُونَ ﴿ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ الْفَوْمُ الْخَدِيرُونَ ﴿ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ اللَّا اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّلْمُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّلْمُ اللَّهُ اللَّا اللل

و و الأمن ، هو الاطمئنان إلى قضيه لا شير مخاوف ولا متاعب ، ويقال:فلان

○-171 ○+○-0+○-0+○-0+○-(171 · ○

و آمن € ؛ أى لا يوجد ما يكدر حياته . والمحق يقول : ﴿ أَفَامَنُوا مَكُرُ اللَّهُ ﴾ ونحن نسم بعض الكلمات حين ينسبها الله لنفسه نستعظمها ، ونقول : وهل يمكر ربنا ؟ لأننا ننظر إلى المكر كعملية لا تليق . . وهنا نقول : انتبه إلى أن القرآن قد قال :

﴿ وَلَا يَحِينُ ٱلْمَكُرُ ٱلسِّي إِلَّا أَهْلِهِ ﴾

(من الآية ٤٣ سورة فاطر)

إذن ففيه مكر خير، ولذلك قال الحق:

﴿ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمُنْكِرِينَ ﴾

(من الآية ٤٥ سورة أل عمران)

والمكر أصله الالتفاف. وحين نذهب إلى حديقة أو غابة نجد الشجر ملتف الأغصان وكأنه مجدول بحيث لا تستطيع أن تنسب ورقة في أعلى إلى غصن معين ؛ لأن الأغصان ملفوفة بعضها على بعض ، وكذلك نرى هذا الالتفاف في النباتات المتسلقة ونجد أغصانها مجدولة كالحبل.

إذن فالمكر مؤداه أن تلف المسائل، فلا تجعلها واضحة. ولكى تتمكن من خصمك فأنت تبيت له أمراً لا يفطن إليه، وإذا كان الإنسان من البشر حين يبيت لأخيه شرًا، ويفتنه فتناً يُعمى عليه وجه الحق وليس عند الإنسان العلم الواسع القوى الذي يمكر به على كل من أمامه من خصوم لأنهم سيمكرون له أيضاً.

وإذا كان هناك مكر وتبييت لا يكتشفه أحد فهو مكر وتبييت الله لأهل الشر ، وهذا هو مكر الخير ؛ لأن الله يحمى الوجود من الشر وأهله بإهلاكهم .

﴿ أَفَامِنُواْ مَكُو اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكُو اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَلْيِرُونَ ١٠٥٠

(صورة الاعراف) وهناك من يسأل : هل أمن الأنبياء مكر الله ؟ نقول نعم . لقد أمنوا مكر الله باصطفائهم للرسالة ، وهناك من يسأل : كيف إذن لا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون ؟!

0+00+00+00+00+00+00+00

نقول: لقد جاء في منهج الرسل جميعاً أن الذي يأمن مكر الله هو الخاسر؛ لأن الله هو القادر، وهو الذي أنزل المنهج ليختار الإنسان به كسب الدنيا والأخرة إن عمل به، وإن لم يعمل به يخسر طمأنينة الإيمان في الدنيا وإن كسب فيها مالا أو جاها أو علماً، ويحسر الأخرة أيضاً.

ويتابع سبحانه :

﴿ أُولَةً يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا آنَ لَوْنَشَآءُ أَصَبْنَكُم بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُدُلايسَمُونَ ۞ ﴾

و و يهد على يبين للذين يرثون الأرض طريق الخير ، ومعنى ﴿ يرثون الأرض من بعد أهلها ﴾ أن الأرض كانت مملوكة لسواهم ، وهم جاءوا عقبهم ، وحين يستقرىء الإنسان الوجود الحضارى في الكون يجد أن كل حضارة جاءت على أنقاض حضارة ، وما في يدك وملكك جاء على أنقاض ملك غيرك ، والذي يأتى على أنقاض الغير يسمى إرثا ، ومادمتم قد رأيتم أنكم ورثتم عن غيركم كان يجب أن يظل في بالكم أن غيركم سيرتكم .

إذن فالمسألة دُولُ ، ويجب ألا يغتر الإنسان بموقع أو منصب ، وتحن نرى في حياتنا من يحتل منصباً كبيراً ، ثم يُقال ويعزل عن منصبه ، أو يحال إلى التقاعد ويأتى آخر من بعده . ولذلك يقال : لو دامت لغيرك ما وصلت إليك . فإن كنت صاحب مكانة وقد أحسنت الدخول إلى وضعك وإلى جاهك ، وإلى منصبك ؛ فيجب أن تقطن وتتذكر الخروج قبل الدخول إلى هذا المنصب حتى لا يعز عليك فراقه يوماً .

واحدر أن تحسن الدخول في أمر قبل أن تحاول أن تحسن الخروج

إن الأسيس هو الذي يُسمسى أميساً يوم عزل ان زال سلطان فضلة وحين يقول الحق: ﴿ أَوْ لَمْ يَهُدُ لَلَّذِينَ يُرْثُونَ الأَرْضَ ﴾ .

نلحظ أنه سبحانه لم يجعل المهديين هنا على وضع المفعول ، فلم يقل : أو لم يهد الذين ، بل قال : « يَهْد للذين » ، فما الحكمة في ذلك ؟ . نعرف أن « الهداية » هي الدلالة على الطريق الموصل للغاية ، وقد تعود فائدته عليك ، أي أنك قد هَدَيْت غيرك لصالحك . وقد تكون الهداية وهي الدلالة على فعل الخير لأمر يعود على الذي هَدَى وعلى المَهْدِيِّ معاً ، لكن إذا كانت الهداية لا تعود إلا لك أنت ، ولا تعود على من هداك ، أتشك في هدايته لك ؟ لا ، إن من حقك أن شك أنت ، ولا تعود على من هذا الأمر يعود على من هذى ، أو يعود أمرها على الأثنين ؛ ففي ذلك شبهة لمصلحة ، لكن إذا كان الأمر لا يعود على من يَهْدِى ويعود كله لمن يُهْدَى فليس في ذلك أدنى شك .

ولذلك يقول الحق سبحانه في حديثه القدسي:

١٠٠ يا عبادى لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب وجل واحد منكم مازاد ذلك فى ملكى شيئاً ، يا عبادى لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك من ملكى شيئاً ، يا عبادى لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا فى صعيد واحد فسألوني يا عبادى لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا فى صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل إنسان مسألته ما نقص ذلك مما عندى إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر ه(١).

إذن فحين يهديكم الحق إلى الصراط المستقيم فما الذي يعود عليه سبحانه من صفات الكمال بهذا العمل ؟ لقد خلقكم بصفات الكمال فيه ، فلن ينشىء خلقه

⁽١) رواه مسلم - واللفظ له - ورواه الترمذي .

@{Y1\r@@+@@+@@+@@+@@+@

لكم صفة من صفات الكمال زائدة على ما هوله ، وهكذا نرى أن كل هداية راجعة ، إلى المَهْدِي . وبذلك يتأكد قوله : ﴿ يهد للذين يوثون الأرض ﴾ ما هو مصلحتهم .

﴿ أُولَدُ بَهِدِ لِلَّذِينَ يَرِينُونَ ٱلْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا أَنْ لَوْنَسَاءُ أَصَبْنَنَهُم بِذُنُو بِهِمْ وَنَطْبِع

عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ٢

(سورة الأعراف)

والحق سبحانه وتعالى حين يتكلم عن المشيئة يقول: ﴿ لونشاء ﴾ ويحدد أسباب المشيئة وهو قوله: ﴿ أصبناهم بذنوبهم ﴾ ، وهكذا نعلم أن المشيئة ليست مشيئة ربنا فقط لا ، بل هي أيضاً مشيئة العباد الذين ميزهم بالاختيار ، وسبحانه يقول:

﴿ أَن تُو يُشَاءُ اللَّهُ لَمْ مُن النَّاسَ بَعِيمًا ﴾

(من الآية ٣١ سورة الرعد)

وما الذي يمنعه سبحانه أن يشاء هداية الناس جميعاً ؟ . لا أحد يمنع المخالق ، ولكنه سبحانه خلق خلقاً مهديين بطبيعتهم ، لا قدرة لهم على المعصية وهم الملائكة ، وجعل سائر أجناس الأرض مسخرة مسبحة ، وذلك يثبت صفة القدرة ، فلا يستطيع أحد أن يخرج عن مراد الله ، ولكن هذا لا يعطى صفة المحبوبية للمشرع الأعلى ، ثم إنه _ سبحانه _ خلق خلقاً لهم اختيار في أن يطبعوا وأن يعصوا .

فالمخلوق الذي اختصه سبحانه بقدرة الاختيار في أن يؤمن وأن يكفر ، وأن يطيع وأن يعصى ، ثم آمن يكون إيمانه دليلا على إثبات صفات المحبوبية للإله .

إذن المقهورون على الفعل أثبتوا القدرة ، والمختارون الفعل أثبتوا المحبوبية للمشروع الأعلى ، ويتابع سبحانه في الآية نفسها :

عَلَى اللهِ اللهِ اللهُ الاعراف)

ونلحظ أن الحق لم يقل أن لو نشاء أصبناهم لذنوبهم وذلك رحمة منه ، بل جعل العقاب بالذنوب التي يختارونها هم ، وكذلك جعل الطبع على القلوب نتيجة للاختيار . وسبق أن تكلمنا في أول سورة البقرة . عن كلمة « الطبع » ؛ وهو الختم :

﴿ خَتُمُ اللَّهُ عَلَى قُلُورِهِم ﴾

(من الآية ٧ سورة البقرة)

لأن القلوب وعاء اليقين الإيماني ؛ فحين يملأ إنسان وعاء اليقين بالكفر ، فهذا يعنى أنه عشق الكفر وجعله عقيدة عنده ؛ لذلك يساعده الله على مراده ، وكأنه يقول له : أنا سأكون على مرادك ، ولذلك أطبع على قلبك فلا يخرج ما فيه من الكفر ، ولا يدخل فيه ما خرج منه من الإيمان الفطرى الذي خلق الله الناس عليه . لأنك أنت قد سبقت ووضعت في قلبك قضية يقينية على غير إيمان ؛ لأن أصول الإيمان أن تُخرج ما في قلبك من أي اعتقاد ، ثم تستقبل الإيمان بالله ، ولكنك تستقبل الإيمان بالله ، ولكنك تستقبل الكفر وترجحه على الإيمان .

إن الله مبحانه لم يجعل لرجل من قلبين في جوفه: قلب يؤمن ، وقلب لا يؤمن ، بل جعل للإنسان قلباً واحداً ، والقلب الواحد حيز ، والحيز ـ كما قلنا ـ لا تداخل للمحيَّز فيه ؛ فحين نأتي بزجاجة فارغة ونقول: إنها ه فارغة ، فالذي يدل على كذب هذه الكلمة أننا حين نضع فيها المياه تخرج منها فقاقيع الهواء ، وخروج فقاقيع الهواء هو الذي يسمع بدخول المياه فيها ، لأن الزجاجة ليست فارغة ، بل يخيل لنا ذلك ؛ لأن الهواء غير مرئى لنا . ولو كانت الزجاجة مفرغة من الهواء دون إعداد دقيق في صناعتها لتلك المهمة لكان من الحتمى أن تنكسر . والقلب كذلك له حيز إن دخل فيه الإيمان بالله لا يسع الكفر ، وإن دخل فيه الكفر . والعياذ بالله لا يسع الكفر ، وإن دخل فيه الكفر . والعياذ بالله لا يسع الإيمان ، والعاقل هو من يطرح القضيتين خارج القلب ، ثم يدرس هذه ويدرس ثلك ، وما يراه مفيداً لحياته ولأخرته يسمع له بالدخول . يدرس هذه ويدرس ثلك ، وما يراه مفيداً لحياته ولأخرته يسمع له بالدخول .

﴿ أُوَلَرْ يَهُدِ لِلَّذِينَ يَرِ ثُونَ ٱلْأَرْضَ مِنْ يَعْدِ أَهْلِهَا أَنْ لَوْ نَسْآهُ أَصَبْنَنَهُم بِذُنُو بِهِمْ وَنَطْبَعُ

عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿ عَلَىٰ عَلَىٰ

(سورة الأعراف)

أى أو لم يتبين للذين يُستخلفون في الأرض من بعد إهلاك الذين سبقوهم بما فعلوا من المعاصى والكفر فسار هؤلاء القوم سيرة من سبقهم وعملوا أعمالهم وعصوا ربهم أن لونشاء فعلنا بهم من العذاب كما فعلنا بمن قبلهم وقوله : ﴿ فهم لا يسمعون ﴾ أى السماع المؤدى إلى الاعتبار والاتعاظ فكأنهم لم يسمعوا .

ويقول الحق بعد ذلك :

﴿ يَلْكَ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَآيِهَا وَلَقَدُ جَآءَ ثَهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوالِيُوْمِنُوا بِمَا كَذَبُوا مِن قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَيْفِينَ اللَّهِ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ ٱلْكَيْفِينَ اللَّهِ اللَّهِ عَلَى قُلُوبِ

هذا هو المراد في سرد القصص بالنسبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم الذي أوضعه الحق في موضع آخر من القرآن فقال:

﴿ وَكُلَّا نَقُصُ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَآء ٱلْرُسُلِ مَانُتَيِّتُ بِهِ ، فُؤَّادَكَ ﴾

(من الآية ١٢٠ سورة هود)

فإذا ما حدث لك من أمتك وقومك شيء من العناد والإصرار والمكابرة فاعلم أنك لست بدعاً من الرسل ؛ لأن كل رسول قد قابلته هذه الموجة الإلحادية من القوم الذين خاطبهم . وإذا كان كل رسول يأخذ حظه من البلاء بقدر ما في رسالته من العلو فلابد أن تأخذ أنت ابتلاءات تساوى ابتلاءات الرسل جميعاً .

﴿ يِلْكَ ٱلْفُرَىٰ نَقُصْ عَلَيْكَ مِنَ أَنْهَا إِهَا وَلَقَدْ جَآءَتُهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِنَاتِ فَ كَأَنُواْ لِيُؤْمِنُواْ

مِمَا كَذَابُواْ مِن قَبِلُ كَذَالِكَ يَطْبُعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَنْفِرِ بنَ ١٠٠٠

(سورة الأعراف)

والطبع ـ كما قلنا ـ هوالختم ؛ لأن قلوبهم ممتلئة بالضلال ؛ لذلك يعلنون التكذيب للرسول . وقد طبع الله على قلوبهم لا قهراً منه ، ولكن لاستبطان الكفر وإخفائه في قلوبهم .

ويقول الحق بعد ذلك :

﴿ وَمَاوَجَدُنَا لِأَحَٰثَرِهِم مِنْ عَهْدٍ وَإِن وَجَدُنَا الْأَحَٰثَرِهِم مِنْ عَهْدٍ وَإِن وَجَدُنَا اللهِ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهِ اللهُ اللّهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ ال

وهؤلاء الذين كذبوا الرسل ، وردوا منهج الله الذى أرسله على ألسنة رسله . كانت لهم عهود كثيرة . فما وفوا بعهد منها ، مثال ذلك : العهد الجامع لكل المخلق ، وهو العهد الذى أخذه الله على ذرية آدم من صلبه حين مسح الله على ظهر آدم ، وأخرج ذريته وقال :

﴿ أَلَسْتُ بِرَيْكُمْ قَالُواْ بَلَنَ ﴾

(من الآية ١٧٦ سورة الأعراف)

وقد يقف العقل في أخذ مثل هذا العهد على الذرية الموجودة في آدم ؛ لذلك نقول : إذا قال الله فقد صدق عَقِلْنا ذلك أو لم نعقله ، إنك لو نظرت إلى « آحاد البشر » ، أي إلي الأفراد الموجودين ، تجد نفسك وغيرك يجد نفسه نسلاً لأبائكم ، وهذا يدل على أن الإنسان وجد من حيوان منوى حي انتقل إلى بويضة حيّة من أمه فنشأ هذا الإنسان . ولو طوأ على الحيوان المنوى موت ، أو طوأ على البويضة موت امتنع الإنسال .

إذن فكل إنسان منا جزء من حياة أبيه ، وأبوه جزء من حياة والله ، ووالله جزء

0+00+00+00+00+00+00+0

من حياة أبيه ، وإن سلسلت ذلك فسنصل لأدم ، فكل واحد من ذرية آدم إلى أن تقوم الساعة فيه جزى، حى من آدم . ومادام فيه جزى، حى من آدم فقد شهد الخلق الأول ، ولذلك حين يسألهم الله سؤال التقرير ويقول : ﴿ الست بربكم ﴾ ؟ فيتولون : ﴿ بل ﴾ .

وضربنا المثل لنقرب وقلنا إن الذرة الشائعة في شيء تشيع في أضعاف الشيء وسبق أن قلنا : إننا إذا جئنا بعادة ملونة حمراء - مثلاً - في حجم سنتيمتر مكعب ، ثم أذبناها في قارورة ، وبذلك يصبح كل جزء في الفارورة فيه جزء من العادة الملونة ، وإن أخذت الفارورة وألقيتها في برميل واسع ، هنا تصير كل قطرة من البرميل فيها جزىء من العادة الحمراء ، وإن أخذت ماء البرميل وألقيته في البحر فكل ذرة في البحر الواسع يصير فيها جزىء من العادة العلونة ، وهكذا يقرب من ذهن كل منا أن في كل إنسان جزيئاً من آدم ، وقد شهد هذا الجزىء العهد الأول . ولقائل أن يسأل : كيف يخاطب الله الذر الذي كان موجوداً في ظهر آدم ؟ . نقول : كما خاطب الأرض وخاطب السماء ، فهو القائل :

﴿ ثُمُّ اَسْنَوَىٰ إِلَى السَّمَآءِ وَهِي دُخَانٌ فَقَالَ لَكَ وَلِلْأَرْضِ اثْتِبَا طَوْعًا أَوْ كُرُهُ عَالَنَا اللَّهُ الْمُعَامِينَ ﴾ أَنْبَنَا طُآبِعِينَ ﴿ ﴾

(سورة فصلت)

إذن فعدم إدراكنا لكيفية الخطاب بين رب ومربوب ، لا يقدح في أن هذه المسألة لها أصل ولها ونجود .

وهذا بالنسبة للعهد الأولى، وبعده العهد الثاني الذي أخذه الله على رسله، مصداقاً لقوله الحق:

﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِثِنَاقَ النَّبِيثِ لَمَا عَالَيْتُ مُ مِن كِنَابِ وَحِثْمَةٍ مُمْ جَآءَكُمْ رَسُولً مُصَدِقً لِمُ اللَّهِ مِن كَنَابِ وَحِثْمَةٍ مُمْ جَآءَكُمْ رَسُولًا مُصَدِقًا لِمُصَدِقًا لِمُ النَّهُ مُن السَّالِ عَالَمُ اللَّهُ مَا مَعَكُمْ مِنَ السَّلِهِ فِي اللَّهُ عَلَى ذَالِحَدُهُ إَصْرِى السَّالِ اللَّهُ مَا مَا فَاللَّهُ مُولًا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ السَّلِهِ فِي السَّالِ فِي اللَّهُ عَلَى ذَالِحَدُهُ اللَّهُ اللَّا اللَّهُ الللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللللَّال

(سورة آل عبران)

00+00+00+00+00+0(11140

ثم هناك عهود خاصة أنشأتها الأحداث الخاصة ، مثلما يقول الحق سبحانه وتعالى :

﴿ الْمُوالَّذِي الْبُسَيِّرُ كُرُ فِي الْبَرِ وَالْبَحْرِ حَتَى إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيجِ طَيْبَةِ وَفَرِحُواْ بِهَا جَآءَتُهَا دِبِعُ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ الْمُوْجُ مِن كُلِّ مَكَانِ وَظَنُّواْ أَنْهُمْ أَحِيطُ طَيِّبَةِ وَفَرِحُواْ بِهَا جَآءَتُهَا دِبعُ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ الْمُوْجُ مِن كُلِّ مَكَانِ وَظَنُّواْ أَنْهُمْ أَحِيطُ عَلِيبِهِ وَفَرَحُواْ بِهَا جَآءَتُهَا دِبعُ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ الْمُوجُ مِن كُلِّ مَكَانِ وَظَنُّواْ أَنْهُمْ أَحِيطُ وَلَيْ مِنَ الشَّكِرِينَ اللَّهِ مِن الشَّكِرِينَ اللَّهِ اللَّهِ عَلَيْهِم وَمَا اللَّهُ عَلْمِعِينَ لَهُ الدِينَ لَهِنَ أَعْبَيْتَنَا مِنْ هَلْفِهِهِ لَنَكُونُنَّ مِنَ الشَّكِرِينَ اللَّهُ عَلْمِعِينَ لَهُ الدِينَ لَهِنْ أَعْبَيْتَنَا مِنْ هَلْفِهِهِ لَنَكُونُنَّ مِنَ الشَّكِرِينَ اللَّهُ عَلْمِعِينَ لَهُ الدِينَ لَهِنْ أَعْبَيْتَنَا مِنْ هَلْفِهِهِ لَنَكُونُنَّ مِنَ الشَّكِرِينَ اللَّهُ عَلْمِعِينَ لَهُ الدِينَ لَهِنْ أَعْبَيْتَنَا مِنْ هَلْفِهِهِ لَنَكُونُنَّ مِنَ الشَّكِرِينَ اللَّهُ عَلَيْهِ مِنْ اللَّهُ عَلْمِعِينَ لَهُ الدِينَ لَيْنَ أَعْبَيْتَنَا مِنْ هَلْفِهِ فِي لَلْفُلْكِ وَمَا اللَّهُ عَلْمِعِينَ لَهُ الدِينَ لَيْنَ أَعْبَيْتَنَا مِنْ هَالِهُ مِنْ اللَّهُمُ اللَّهُ عَلَيْهِ مِنْ اللَّهُ عَلْمُ اللَّهُ عَلَيْهِ مِنْ اللَّهُ عَلَيْهِ مِنْ اللَّهُ عَلَيْهِ مِنْ عَلْمِعُ وَا اللَّهُ عَلْمُ مِن اللَّهُ مَا لَهُ مَا لَيْنِ الْمُعْتَوْمِ اللَّهُ عَلْمُ مِنْ الللَّهُ عَلَيْهِ مِنْ اللَّهُ عَلَيْهِ مِنْ الللْهُ عَلَيْهِ مِنْ مَا الللْهُ عَلَيْهِ مِنْ اللْعَلْمُ عَلَيْهِ مِنْ اللللْهُ عَلَيْهِ مِنْ الللْهُ عَلَيْهِ مِنْ الللْهُ عَلَيْهِ مِنْ اللللْهُ عَلَيْهِ مِنْ اللللْهُ اللْهُ الْعَلِيمِ عَلَيْ عَلَيْهِ مِنْ اللللْهُ مِنْ مِنْ الللّهُ عَلَيْهِ مِنْ اللللْهِينَا لَهُ اللللّهُ عَلَيْهِ مِنْ مِنْ مَا لِمِنْ مِنْ اللللّهُ مِنْ اللْمِنْ اللّهُ مُنْ اللّهُ مِنْ مِنْ اللّهُ مِنْ اللْهُ مُنْ اللّهُ مُنْ مُنْ اللّهُ مُنْ مُنْ اللّهُ مُنْ اللّهُ مُنْ مُنْ مِنْ الللللّهُ مِنْ اللّهُ مُنْ الللّهُ مُنْ اللللْهُ مُنْ الللّهُ مُنْ مُنْ اللّهُ مُنْ اللّهُ مُنْ اللّهُ مُنْ اللّهُ مُنْ اللّهُ مُنْ اللّهُ مُنْ مُنْ اللّهُ مُنْ الللّهُ مُنْ الللللْمُ مُو

إنهم لا يسلمون أنفسهم للعطب ، ولا يغترون بجاههم وبالأسباب التي عندهم لأنها قد امتنعت ، ولذلك لا يغشون أنفسهم بل يلجأون صاغرين إلى الله قائلين :

﴿ لَهِنَّ أَنْجَبَلْنَا مِنْ مَنفِهِ ، لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّنكِرِينَ ﴾

(من الآية ٢٦ سورة يونس)

هكذا نرى أنهم أعطوا العهد في حادثة ، فلما أنجاهم الله أعرضوا ، وفي ذلك يقول الحق سبحانه :

﴿ وَإِذَا مَسَ الْإِنْسَنَ الضَّرِ دَعَانَا لِجَنْبِهِ ۚ أَوْقَاعِدًا أَوْقَاتِمًا فَلَكَ كَثَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَنَّ كَأَنْ لَرْ يَدْعُنَا إِلَىٰ ضُرِ مَّسَارُ ﴾ كأن لَرْ يَدْعُنَا إِلَىٰ ضُرِ مَّسَارُ ﴾

(من الآية ١٢ صورة يونس)

إذن فالمهد إما أن يكون عهدا عاماً وإما أن يكون عهدا خاصًا .

والحق يقول: ﴿ وَإِنْ وَجَدَنَا أَكْثُرُهُمُ لَفَاسَقِينَ ﴾ .

أى أن حال وشأن أكثرهم ظل على الفسق ونقض العهد والخروج عنه ؛ لأن العهد إطار يحكم حركة المختار فيما أعطاه على نفسه من المواثيق ، وهو حر في أن يفعل أو لا يفعل ، لكنه إذا عاهد أن يفعل أصبح ملزماً ووجب عليه أن ينفذ العهد باختياره ، لأنه إذا قطع العهد على نفسه فعليه أن يحكم حركته في إطار هذا العهد ، فإن خرج بحركته عن إطار هذا العهد فهذا هو الفسق ، والأصل في الفسق

0171100+00+00+00+00+0

أنه خروج الرطبة من القشرة لأن الفشرة تصنع سياجاً على الثمرة بحيث لا تُدخل إلى الثمرة شيئاً مفسداً من الخارج ، ويقال: فسقت الرطبة أى خرجت عن قشرتها . كان ربنا جعل التكليف تغليفاً حماية للإنسان من العطب ، فإذا ما خرج عن الدين مثل خروج الرطبة عن الغطاء والقشرة صار عرضة للتلوث وللميكروبات ، فسمى الله الخارج على منهجه بالفاسق ، لأنه خرج عن الإطار الذى جعله الله له ليحميه من المفاسد ، ومن العطب الذى يقع عليه .

وبعد ذلك يقول الحق سبحانه :

مِيْنَ مُمَّ بَعَثْنَا مِنُ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِثَايَنَيْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْدِه فَظَلَمُوا بِهَا فَانظُرْكِيفَ كَاتَ عَنقِبَةُ المُفْسِدِينَ اللهُ

وبعد أن تكلم الحق عن نوح وهود وصالح ولوط وشعيب وما دار بينهم وبين أقوامهم ، وكيف أهلك سبحانه المكذبين وأنجى المؤمنين ، أراد أن يأتى بتاريخ رسول من أولى العزم من الرسل ، أى من الذين تعرضوا في رسالاتهم لأشياء لا يتحملها إلا جُلّد قوى . وأظن أنكم تعلمون أن علاج موسى لليهود أخذ قسطأ وافراً في القرآن ، بل إن قصة موسى مع قومه هى أطول قصص القرآن ؛ لأن الحرافاتهم ونزواتهم وتمردهم على أنبيائهم كانت كثيرة ، وكان أنبياؤهم كثيرين ، ولذلك فهم يفتخرون بأنهم كثيرو الانبياء ، وقالوا : نحن أكثر الامم أنبياء . وقلنا لهم : إن كثرة أنبيائكم تدل على ناصل دائكم ؛ لأن الأطباء لا يكثرون إلا حين يصبح علاج المريض أمراً شاقاً . إذن فكثرة أنبيائكم ، دليل على أن رسولاً واحداً لا يكفيكم ، بل لابد من أنبياء كثيرين .

وقوله الحق: ﴿ ثم بعثنا من بعدهم موسى ﴾ .

وكلمة و بعث ع كما نفهمها توحى وتشير إلى أنه سبحانه قد أرسل موسى رسولاً إلى قرعون ، واختيرت كلمة و بعث ، للرسالات لأن البعث يقتضى أن شيئاً

كان موجوداً ثم انظمر ثم بعثه الحق من جديد ، والإيمان يتمثل في عهد لفطرة كان موجوداً ثم انظمر ثم بعثه الحق من جديد ، والإيمان يتمثل في عهد لفطرة الأول الذي كان من آدم ؛ لأن الله خلفه بيديه خلقاً مباشراً وكلفه تكليفاً مباشراً ، فنقل آدم الصورة للذرية ، وهذه الصورة الأصلية هي التي تضم حقائق الإيمان التي كانت لأدم ، وحين يبعث الله رسولاً جديداً ، فهو لا ينشىء عقيدة جديدة ، بل يحيى ما كان موجوداً وانظمر ، وحين يطم الفساد يبعث الله الرسول ، فكان الحق يحيى ما كان موجوداً وانظمر ، وحين يطم الفساد يبعث الله الرسول ، فكان الحق مبحانه وتعالى حينما كلف آدم التكليف الأول طلب منه أن ينقل هذا التكليف إلى ذريته ، ولو أن الإنسان أخذ تكاليف الدين كما أخذ مقومات الحياة ممن سبقه لغلل الإيمان مسألة رتيبة في البشر .

إننا نأخذ الأشياء التى أورثها لنا أجدادنا وتنفعنا فى أمور الدنيا نحتفظ بها ونحرص عليها ، فلماذا لم نأخذ الدين منهم ؟ لأن الدين يحجر على حرية الحركة ويضعها فى إطارها الصحيح . والإنسان يريد أن ينفلت من تقييد حرية الحركة ، وحين يقول ربنا مرة إنه : « أرسل » الرسل ، ومرة أخرى إنه قد بعثهم ، فهذا يدل على أنه لم يجى بشىء جديد ، ولكنه جاء بشىء كان المفروض أن يظل فيكم كما ظلت فيكم الأشياء التى ورّثها لكم أسلافكم وتتفعون بها ؛ مثال ذلك : نحن كما ظلت فيكم الخبر وننتفع بخياطة الإبرة فلماذا انتفعنا بهذه الأشياء المادية ونسينا الأشياء المنهجية ؟ لأن الأشياء المادية قد تعين الإنسان على شهواته ، أما قيم الدين فهى تحارب الشهوات .

وَمُمْ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم مُوسَىٰ بِعَايَلَتِنَا إِلَىٰ فِرْعُونَ وَمَلَاثِهِ ﴾

(من الآية ١٠٣ سورة الأصراف)

والآيات ـ كما نعلم ـ جمع آية ، وهي الأمر العجيب الذي يقف العقل عنده مشدوها . وتُطلق الآيات ثلاث إطلاقات ؛ فهي تعلق على الآيات القرآنية لأنها عجيبة أسلوبيًا معبرة عن كل كمال يوجد في الوجود إلى أن تقوم الساعة ، وكل قارىء لها يأخذ منها على قدر ذهنه وقدر فهمه . والآيات الكونية موجودة في خلق الأرض والسماء وغير ذلك ، وكذلك تطلق الآيات على المعجزات الدالة على صدق الآنبياء . والبعث يقتضى مبعوثاً وهو موسى ، ويقتضى باعثاً وهو الله ، ومبعوثاً المهم . وهم قوم قرعون ، ومبعوثاً به وهو المنهج .

راجع أصله وخرج أحاديثه الدكتور أحمد عمر هاشم نائب رئيس جامعة الأزهر .

والآيات التي بعث الله بها موسى هي أدلة صدق النبوة ، وهي أيضاً الكلمات المعبرة عن المنهج ليشاهدها ويسمع لها فرعون وملؤه ، والملأ - كما عرفنا من قبل - هم القوم الذين يملأون العيون هيبة ، فلا يقال للناس الذين لا يلتقت إليهم أحد إنهم ملأ ، أو هم الأناس الذين يملأون صدور المجالس ، أي الأشراف والسادة . ولماذا حدد الحق هنا أن موسى قد بعث لفرعون وملئه فقط ؟ لأن الباقين من أتباعهم تكون هدايتهم سهلة إن اهتدى الكبار ، والغالب والعادة أن الذي يقف أمام منهج الخير هم المنتفعون بالشر ، وهم القادة أو من حولهم ، ولا يرغبون في منهج الخير لأنه يصادم أغراضهم ، وأهواءهم ، ولذلك يحاربونه ، أما بقية العامة فهم المغلوبون على أمرهم ، وساعة يرون أن واحداً قد جاء ووقف في وجه الذين عضوهم بمظالمهم وعضوهم بطغيانهم ، تصبح قلوبهم مع هذا المنقذ ا

﴿ ثُمَّ بَعَثَا مِنْ بَعْدِيهِمْ مُومَىٰ بِعَايَنْيَنَا إِلَىٰ فِرْعُونَ وَمَلَإِنَّهِ ﴾

(من الآية ١٠٣ صورة الأعراف)

وإن كانت الآيات هي الكلمات المؤدية للمنهج الموجودة في التوراة ، أو كانت الآيات هي المعجزات التي تدل على صدق موسى فقد كان ذلك يقتضى إيمانهم . ونعلم أن القرآن قد عدد الآيات المعجزات التي أرسلها الحق مع موسى :

﴿ وَلَقَدْ وَالَّذِي مُوسَىٰ تِسْعَ وَالَّذِي بَيْنَاتٍ ﴾

(من الآية ١٠١٠ سورة الإسراء)

ومن هذه الأيات العصا ، واليد يدخلها في الجيب أو تحت جناحه وإبطه وتخرج بيضاء من غير سوء أو علة ، وأخذ آل فرعون بالسنين ، وكلمة « سنين » تأتى للجدب الشديد الذي يستمر لفترة من الزمن بحيث يلفت الناس إلى حدث في زمان ، ولذلك نقول : كانت سنة عصيبة ؛ لأن السنة عضة من الأحداث ، تهدم ترف الحياة ، ثم تأتى لهم بما يهدم مقومات الحياة ، وأولها الطعام والشراب فيصيبهم بنقص الثمرات ، وهو الجدب والقحط ، وسمى الجدب سنة ، وجمعه سنين ، لأنه شيء يؤرخ به ، فماذا كان استقبال فرعون وملئه للآيات التي مع موسى عليه انسلام ؟ يقول الحق : ﴿ فظلموا بها ﴾ .

وهل كانت الآيات أداة للظلم أو ظلموا بسببها لأنهم رفضوها كمنهج حياتي ؟ .

نقد طلموا بها لأنهم رفضوا اتباع المنهج الحق ، وظلوا على فسادهم ، والمفسدون ـ كما نعلم ـ هم الذين يعمدون إلى الصالح في ذاته فيفسدونه ، برغم أن المطلوب من الإنسان أن يستقبل الوجود استقبال من يرى أن هناك أشياء فوق اختياراته ومراداته ، وأشباء باختياره ومراداته ، فإذا نظر الإنسان في الأشباء التي بها مقومات الحياة ، مما لايدخل في اختياره يجدها على منتهى الاستقامة .

إننا نجد الإنسان لا يتحكم في حركة الشمس أو حركة القمر، أو النجوم أو الربح أو المطر، فهذه الكائنات مستقيمة كما يريدها الله ، ولا يأتي الفساد إلا في الأمر الذي للإنسان مدخل فيه ، والناس لا تشكو من أزمة هواء على سبيل المثال له لا دخل في حركة الهواء لأحد ، لكنهم شَكَوًا من أزمة طعام لأن للبشر فيه دخلاً ، ونجد شكواهم من أزمة المياه أقل ؛ لأن مدخل الإنسان على الماء قليل .

إنه سبحانه وتعالى يجعل الأمر الذى يدير حركتك الوقودية لك فيه بعض من الدخل ، فيجعل من جسمك على سبيل المثال مخزناً للدهون ليعطيك لحظة الجوع ما كنزته فيه من طاقة . ومن العجيب أن الدهون هذه هى مادة واحدة وساعة نحتاج إلى التغذية منها تتحول المادة الواحدة إلى المواد الأخرى التى نحتاج إلى البها .

تحتاج مثلا إلى زلال ، فيتحول الدهن إلى زلال ، تحتاج إلى كربون ، يعطى لك الدهن الكربون ، تحتاج إلى مغنسيوم يعطيك الدهن المغنسيوم ، وهكذا فإذا كنا نصبر على الطعام بقدر المخزون في اجساما ، ونصبر على الماء أيضاً بقدر المخزون في هذه الأجساد ، فنحن لا نصبر على الهواء لأن التنفس شهيق وزفير ، ولو أن إنساناً ملك الهواء يعطيك إياه لحظة الرضا ، ويمنعه عنك لحظة الغضب ، لمت قبل أن يرضى عنك ، لكن إن منع عنك الماء فقد يحن قلب عدوك أو يأتي لك أحد بالماء أو قد تسعى أنت بحيلة ما لتصل إليه .

إذن فالأمر الذي لا دخل للإنسان فيه نجده على منتهى الاستقامة ، ولا يأتي

O ! YYT D C + C C C + C C C + C C C + C C

الفساد إلا من الأمر الذي للإنسان فيه دخل.

﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم مُوسَىٰ بِعَابَنْتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَابِهِ ، فَظَلَمُواْ بِهَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ

عَنْفِهُ ٱلْمُغْيِدِينَ ۞﴾

(سورة الأعراف)

أي أن آخر الأمر سيعاقب الله المفسدين.

وأراد سبحانه أن يُذَكّر سلسلة القصة لا من بدء سلسلتها ، بل يبدأ من نهايتها ، فسبحانه لا يدرس لنا التاريخ ، ولكن يضع أمامنا العظة ، واللقطة التي يريدها في هذا السياق ، ولذلك لم يتكلم سبحانه في هذه السورة عن ميلاد موسى وكيف أوحى لأمه أن تلقيه في البحر ، ولم ترد حادث ذهابه إلى مدين ومقابلته لسيدنا شعيب ، لكنه هنا يتكلم سبحانه عن مهمة سيدنا موسى مع فرعون .

ويقول سبحانه:

﴿ وَقَالَ مُوسَى يَلفِرْعَوْنُ إِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِ ٱلْعَالَمِينَ ﴿ اللهِ الله

ويشرح لنا القرآن أمر بلاغ موسى لفرعون وقومه بأن الله واحد أحد وهو رب العالمين ، وكان قوم فرعون يعتقدون بوجود إله للسماء وآخر للأرض ، لذلك يبلغهم موسى بأن الإله واحد :

﴿ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا يَبْنَهُمَا ۖ إِن كُنتُم مُوقِينِ ١٠٠٠ ﴾

(سورة الشعراء)

ونجد موسى يعدد كلمة الربوبية في آيات أخرى ؛ لبأتي بالمظهر الذي دُسّت فيه دسيسة الربوبية لفرعون ، وكانوا يعتقدون أن للسماء إلها ، وللأرض إلها آخر ، فقال موسى : إنني أتكلم عن الإله الواحد الذي هو رب السماء والأرض معا فلا إله إلا الله وحده . وكانوا يعتقدون أن للشرق إلها ، وللغرب إلها ، فأبلغهم موسى بأنه

[له واحد ، وكانوا يعتقدون أن للأحياء إلها ورباً ، وللأموات إلها ورباً ، فقال لهم موسى :

﴿ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ عَالِمَا مُكُمُّ الْأُولِينَ ٢٠٠٠ ﴾

(سورة الشعراء)

ريبلغ هنا موسى فرعونَ وقومَه : ﴿ إِنِّى رَسُولُ مِن رَّبِ ٱلْمَـٰلَمِينَ ﴾

(من الآبة ١٠٤ سورة الأعراف) وما دام موسى رصولا من رب العالمين ، فهو لا يقول إلا الحق ، لذلك يتابع الحق على لسان موسى :

﴿ حَقِيقٌ عَلَىٰ أَن لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ قَدْ جِثْنُ حَقِيقًا مَعِى بَنِيَ جِثْنُ حَمَّمَ فَأَرْسِلُ مَعِى بَنِيَ جِثْنُ حَمَّمُ فَأَرْسِلُ مَعِي بَنِيَ إِلَيْنَ فَي اللَّهِ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُولُولُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ اللللّهُ الللللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ اللللللّهُ ا

فأى هذه الأمور هو الذى يحتاج إلى بيئة ، هل البلاغ بأنه رسول من رب العالمين ؟ إن هذا القول يدلنا على أن موسى اختلف مع فرعون أولاً فى أن موسى رسول ، وأن للعالمين ربًا واحداً ، وأنه لا يبلغ إلا بالحق ، هذه _ إذن _ ثلاث قضايا خلافية بين موسى وفرعون . ولكن فرعون لم يختلف مع موسى إلا فى قضية واحدة هى : هل هو رسول مبلغ عن الله بالقول الحق ؟ فماذا طلب منه ؟ طلب الدليل على أنه رسول من رب العالمين . وهذا يوضح أن فرعون يعلم أن العائم له رب أعلى .

كذلك فإن فرعون لم يقف مع موسى في مسألة أن للعالمين ربًّا ، وأن هذا الرب

لا يستطيع كل إنسان أن يفهم مراده منه فلابد أن يرسل رسولًا ، بل وقف فرعون في مسألة : هل موسى رسول مبلغ عن الله أو لا ؟

ولذلك يقول موسى :

﴿ حَفِينًا عَلَىٰٓ أَن لَا أَقُولَ عَلَى آللَهِ إِلَّا الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِن رَبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِي اللَّهِ عِلَىٰ اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِن رَبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِي اللَّهِ عَلَىٰ اللَّهِ عَلَى اللّهِ إِلَّا الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِن رَبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِي

(سورة الأعراف)

كأن مهمة موسى عند فرعون أن يخلص بنى إسرائيل . ونعرف أن قصة بنى إسرائيل ناشئة من أيام نبى الله يعقوب وابنه يوسف حين كاد الإخوة لأخيهم يوسف ، وتشاوروا فى أمر قتله أو طرحه أرضاً أو إلقائه فى غيابة لجب ، لقد جاء الحق بقصة بنى إسرائيل على مراحل لنتدرج بالانفعال معها . نمراحل الانفعال النفسى أمام من تكره تأخذ صورتين اثنتين : صورة تدل على تصعيد الرحمة فى قلبك ، وصورة تدل على تصعيد الشر فى قلبك ، مثال ذلك : لنفترض أن لك خصماً وصنع فيك مكيدة ، وتحكى أنت لإخوانك ما فعله هذا الخصم ، وكيف أنك تريد الانتقام منه فتقول : أريد أن انتقم منه بضربه صفعتين ، ثم تصعد الشر فتقول : أنا أريد أن أقتله بالرصاص ، هذا شأن الشرير ، أما الخير فيقول : أنا أريد أن أقتله أو أصفعه أو أشتمه وأسبه فهذا تصعيد فى الخير . إذن . يختلف تصعيد الانتقام أو السماح حسب طاقة الخير أو الشر التى فى النفس . وهكذا نجد إخوة يوسف وهم يكيدون له ، فقالوا :

﴿ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُ إِلَّ أَيِبَ مِنَّا وَنَعَنْ عُصْبَةً ﴾

(من الآية ٨ سورة يوسف)

هم يعترفون أنهم قوة وعصبة ، ويحسدون يوسف وأخاه على محبة الأب لهما ، ويعترضون على ذلك ، ويظهرون البينة على أن يوسف وأخاه أحب إلى الأب منهم ، وذكر القرآن هذه البينة لنعرف أهميتها ، حتى لا يغفل أحد عنها . لقد كان قلب تبى الله يعقوب مع يوسف وأخيه لصغرهما وضعفهما ، بينما بقية أبنائه كبار أقوياء أشداء ؛ لأن الله سبحانه وتعالى وضع في قلب الأبوة والأمومة من الرحمة على قدر ضعف الوليد الصغير . فالصغير هو من يحتاج إلى رعاية وعناية ، ويكون

0 TY73 0 + 0

قلب الأم والأب مع الابن المريض أو الغائب. ولذلك حينما سئلت امرأة حكيمة: من أحب بنيك إليك ؟ قالت: الصغير حتى يكبر، والغائب حتى يعود، والمريض حتى يشفى.

إذن فقول إخوة يوسف : ﴿ ونحن عصبة ﴾ . هو بينة ضدهم . وكان المنطق يقتضى أن يعرفوا أنهم ماداموا عصبة فلابد أن يكون قلب أبيهم مع يوسف وأخيه فكلاهما كان صغيراً ويحتاج إلى رعاية ، وبطبيعة تكوين أبناء يعقوب كأسباط وذرية أنبياء ، نجدهم يصعدون الخير لا الشر ، فقد بدأوا بإعلان رغبة القتل ، ثم استبدلوا بها الطرح أرضاً بأن يلقوه في أرض بعبدة نائية ليستريحوا منه ويخلو لهم وجه أبيهم ، ثم استبدلوا بها إلقاءه في غياهب الجب ؛ بدأوا بالقتل في لحظة عنفوان الغضب ثم تنازلوا عن القتل بالطرح أرضاً ، أي أن يتركوه في مكان يكون فيه عرضة لأن يضل ، ثم تنازلوا عن ذلك واكتفوا بإلقائه في غيابة الجب يلتقطه بعض السيارة ، فهل كانوا يريدون أن يضروه ، أو كانوا يفكرون في نجاته ؟ . إذن فهذا تصعيد للخير .

وتوالت الأحداث مع سيدنا يوسف واستقر معه بنو إسرائيل في مصر وكثرت أعدادهم . وعندما نستقرىء التاريخ ، نجد أن الحق سبحانه وتعالى حينما تكلم عن ملوك مصر ، خص بعضهم باسم فرعون ، وخص بعضهم باسم ملك ، فهناك فرعون وهناك ملك .

فإذا ما نظرت إلى القديم نجد أن الحق يقول:

﴿ وَفِرْعُونَ ذِي ٱلْأُوتَادِ ٢

(سورة الفجر)

هكذا نجد الحق يسمى حاكم مصر و فرعون و وفي أيام سيدنا موسى أيضاً يسميه الحق فرعون ، بل سمّاه ملكاً :

﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ الْتُونِي بِهِ ﴾

(من الآية ٥٠ سررة يرسف)

وبعد أن اكتشف العالم الفرنسى شامبليون ـ حجر رشيد ـ عرفنا أن الفترة انتى دخل فيها سيدنا يوسف مصر ، لم يكن الفراعنة هم الذين يحكمون مصر ، بل كان الحكام هم ملوك الهكسوس الرعاة ، وطمر القرآن هذه الحقيقة التاريخية حين سمى حكام مصر قبل يوسف فراعين ، وفي الفترة التي جاء فيها سيدنا يوسف سماهم و الملوك ، وهؤلاء هم من أغاروا على مصر وحكموها وساعدهم بنو إسرائيل وخدموهم ، وقاموا على مصالحهم ، وبعد أن طرد المصريون الهكسوس التفت الفراعنة بالشر إلى من أعان الهكسوس ؛ فبدأوا في استذلال بني إسرائيل لمساعدتهم الهكسوس إبان حكمهم مصر . وأراد الله أن يخلصهم بواسطة موسى عليه السلام ، ولذلك يقول الحق على لسان موسى :

﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يَنفِرْعُونُ إِنِي رَسُولُ مِن رَبِّ الْعَلَمِينَ ﴿ حَقِيقٌ عَلَىٰ أَنْ لَآ أَقُولَ عَلَى اللهِ

(سورة الأعراف)

كأن موسى يريد أن يخلص بنى إسرائيل ، أما مسألة الألوهية وربوبية فرعون فقد جاءت عرضاً .

ويقول فرعون:

﴿ قَالَ إِن كُنتَ جِنْتَ بِثَايَةٍ فَأْتِ بِهَا إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّدِفِينَ ۞ ﴿ الصَّدِفِينَ اللهِ الله

وهكذا يواجه فرعون موسى سائلًا إياه أن يُظهر الآية إن كان من الصادقين ، إذن ففرعون يعتقد أن لله آيات تثبت صدق الرسول بدليل أنه قال له : هاتها إن كنت من الصادقين .

ويكشف موسى عليه السلام الآية :

﴿ فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَاهِى ثُعَبَانٌ مُّبِينٌ ﴿ إِنَّ اللَّهِ فَا لَكُ مُبِينٌ ﴿ اللَّهِ اللَّهِ

وهذا الإلقاء كان له سابق تجربة أخرى حينما خرج مع أهله من مدين ورأى ناراً وبعد ذلك قال لأهله:

﴿ أَنْكُنُواْ إِنِّي ءَانَتْتُ نَارًا ﴾

(من الآية ١٠ سورة طه)

ثم سمع خطاباً:

﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يُدُوسَىٰ ﴿ قَالَ فِي عَصَاى أَتَوَكُواْ عَلَيْهَا وَأَهُشْ بِهَا عَلَى غَنَمِى وَا وَلِيَ فِيهَا مَثَارِبُ أَنْرَىٰ ﴿ ﴾

(سورة طه)

وحين يقال له: ﴿ وما تلك بيمينك ياموسى ﴾ ، كان يكفى أن يقول فى الجواب: عصاى ، ولا داعى أن يقول: إنه الجواب: عصاى ، ولا داعى أن يقول: إنه يتوكأ عليها وأن له فيها مآرب أخرى ؛ لأن الحق لم يسأله ماذا تفعل بعصاك ، إذن فجواب موسى قد جاوز فى الخطاب قدر المطلوب ، ويظن البعض أنه كان من الواجب أن يعطى الجواب على قدر السؤال . لكن من يقول ذلك ينسى أنه لا يوجد من يزهد فى الأنس بخطاب الله . وحين قال موسى عليه السلام:

﴿ هِي عَصَاىَ أَنُو كُواْ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ رَبُّ عَلَى عَنْمِي ﴾

(من الأية ١٨ سورة طه)

ولقد شعر موسى عليه السلام واستدرك هيبة المخاطب فكان تهافته على المخطاب حبًا لانسه في الله ، لكنه حين شعر أنه قارب أن يتجاوز قال : ﴿ ولى فيها مآرب أخرى ﴾ كان من الممكن أن يقول استعمالات كثيرة للعصا . إذن فللعصا أكثر من إلقاء ، إلقاء الدربة والتمرين على لقاء فرعون حين أمره الحق :

﴿ قَالَ أَلْقِهَا يَنمُوسَين ١ فَأَلْقُلُهَا فَإِذَا هِي حَيَّةٌ تَسْعَن ٢

O1774OO+OO+OO+OO+OO+O

فماذا حدث ؟ قال له الله :

﴿ قَالَ خُذُهَا وَلَا تَعَفُّ سَنُعِيدُهَا سِيرَتُهَا ٱلْأُولَىٰ ١

(سورة طه)

فساعة خاف ، دل على أن ما حدث للعصا ليس من قبيل السحر ؛ لأن الساحر حين يلقى عصاه أو حبله يرى ذلك عصا أو حبلاً ، بينما يرى ذلك غيره حية ، ولذلك بقول الحق عن السحرة :

وسَعَرُواْ أَعْيِنَ ٱلنَّاسِ ﴾

(من الآية ١١٦ سورة الأعراف)

وهذا يدل على أن حقيقة الشيء في السحر تظل كما هي في نظر الساحر ، لكن موسى أوجس في نفسه خيفة ، فهذا يدل على أن العصا انتقلت من طبيعتها الخشبية وصارت حية .

وكان من الممكن أن تورق العصا وتخضر على الرغم من أنها كانت غصناً بابساً. ولوحدث ذلك فسيكون معجزة أيضاً ، ولكن نقلها الله نقلتين : نقلها من الجمادية ، وتعدى بها مرحلة النباتية إلى مرحلة الحيوانية .

وكان الحق العليم أزلاً يرد على من أراد اللغط في مسألة إلقاء العصا ، وقد ظن بعض الجاهلين أن ذلك تكرار في الكلام في قصة واحدة . ولم يلحظوا أن جهة الإلقاء للعصا كانت منفكة ، ففي القرآن ثلاثة إلقاءات للعصا : إلقاء التدريب حينما اصطفى الله موسى رسولاً وأعلمه بذلك في طور سيناء :

﴿ إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَّهُ إِلَّا أَنَّا فَأَعْبُدُنِي ﴾

(من الآية ١٤ سورة طه)

ويعد ذلك قال له:

﴿ وَمَا تِلْكَ بِيمِينِكَ يَلْمُومَىٰ ١٠٠ قَالَ هِي عَصَاى ﴾

وإلفاء التدريب على المهمة هدفه طمأنة موسى ، حتى إذا ما باشرها أمام فرعون باشرها وهو على يقين أن العصا ستسجيب له فتنقلب حية بمجرد إلقائها ، ولو أن الله قال له خبراً وإذا ذهبت إلى فرعون فألق العصا فستنقلب حية » ، فقد لا يطمئن قلبه إلى هذا الأمر . فأراد الله أن يدربه عليها تدريباً واقعياً ، ليعلم أن العصا ستسجيب له حين بلقيها فتنقلب حية ، وكان ذلك أول إلقاء لها ، أما الإلقاء الثاني فكان ساعة أن جاء لفرعون للإعلام بمهمته أنه رسول رب العالمين ، وإعلامة بالبينة ، وهو ما نحن بصدد الآن في هذه الآية التي نتكلم بخواطرنا الإيمانية فيها .

ثم هناك إلقاء ثالث وهو إلقاء التحدى للسحرة ، ولأن لكل إلقاء موقعاً فلا تقل أبداً: أن ذلك تكرار ، وإنما هو تأسيس لتعدد المواقف والملابسات ، فلكل موقف ما يتطلبه ، فلا تغنى لقطة هنا عن لقطة هناك .

﴿ فَأَلْنَى عَصَاهُ فَإِذَا مِي ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿ ﴾

(سورة الأعراف)

ومرَّة يقول عن العصا : ﴿ كَأَنْهَا جَانَ ﴾ .

ويقول المشككون في كلام الله من المستشرقين: كيف يقول مرة إنها ثعبان مبين. ثم مرة أخرى يقول: ﴿ فَإِذَا هِي حِية تَسْعِي ﴾ ، ومرة ثالثة يقول: ﴿ كَأَنها جَانَ ﴾ . ونقول: إن هناك فارقاً بين مختلفات تتناقض ، ومختلفات تتكامل ، فهي ثعبان مرة ، وهي حية مرة ثانية ، وهي جان ؛ لأن الثعبان هو الطويل الخفيف الحركة ، والحية هي الكتلة المخيفة بشكلها وهي متجمعة ، والجان هو الحية المرعبة الشكل . فكأنها تمثلت في كل مرة بمثال يرعب من يراه ، وكل مرة لها شكل ؛ فهي مرة ثعبان ، ومرة حية ، وثالثة جان ، أو تكون ثعباناً عند من يخيفه الجان ، الثعبان ، وتكون حية عند من تخيفه الحية ، وتكون جاناً عند من يخيفه الجان ، ولذلك تجد أن إشاعة الإبهام هو عين البيان للمبهم .

ومثال ذلك إبهام الحق لأمر الهموت ، فلا يحكمه سن ، ولا يحكمه سبب ، ولا يحكمه سبب ، ولا يحكمه زمان ، وفي هذا إبهام لزمانه وإبهام لسببه مما يجعله بياناً شائعاً تستقبله

Q17/1 DC+CO+CO+CO+CO+CO+C

بأى سبب في أى زمان أو في أى مكان، وهكذا يأتي الإبهام هنا لكى يعطينا الصور المتكاملة ، وقال بعض المستشرقين : إن المسلمين يستقبلون القرآن بالرهبة وبالانبهار . ولا يحركون عقولهم لكى يروا المتناقضات فيه ، لكن غير المسلم إن قرأ القرآن يتبين فيه أشياء مختلفة كثيرة ، قالوا بالنص: « أنتم تعلمون بقضايا اللغة أن التشبيه إنما يأتي لتُلْجِق مجهولاً بمعلوم ١١ ، فيقال : أنت تعرف فلاناً ، فنقول : لا والله لا أعرفه . فيقول لك : هو شكل فلان ؛ في الطول ، وفي العرض ، وفي الشكل ، إذن فقد ألحق مجهولاً بمعلوم ليُوضحه . فكيف يلحق القرآن مجهولاً بمعهولاً بمعهولاً ، إن هذا لا يعطى صورة مثلما تكلم القرآن عن شجرة الزقوم فقال :

﴿ إِنَّهَا شَجَرَهُ تَغُرُجُ فِي أَصْلِ الْجَبِيمِ ١ مُلْعُهَا كَأَنَّهُ رُهُوسُ الشَّيْطِينِ ١٠٠٠

(سررة الصافات)

فكيف توجد شجرة في الجحيم ، إنها أشياء متناقضة ؛ لأن الشجرة فيها خضرة ، وتحتاج إلى رى ، وماثية ، والجحيم نار وجفاف ، ثم إن الشيطان غير معلوم الصورة للبشر ، وشجرة الزقوم غير معلومة لأنها ستأتى في الآخرة ، فكيف يُشَبّه الله مجهولاً بمجهول . واستخدم المستشرقون ذلك كدليل على أن المسلمين يأخذون القرآن بانبهار ولا يبحثون فيه ، ونرد عليهم : أنتم لا تعلمون لغة العرب كملكة ، بل عرفتموها صناعة ، ولم تتفهموا حقيقة أن القرآن جاء على لغة العرب . وقد تخيلت لغة العرب أشياء رأت فيها البشاعة والقبح ؛ كأن قالوا : ومسنونة زرق كأنياب أغوال ، ، والغول كائن غير موجود ، لكنهم تخيلوا الغول المخيف وأن له أنياباً . . . إلخ .

إذن التشبيه قد يكون للأمر المُنتَخيَّل في أذهان الناس ، والأصل في التشبيه أن يلحق مجهولاً ليُعلم ، وشجرة الزقوم لا نعرفها ، ورءوس الشياطين لم نرها ، وهكذا الحق الله مجهولاً بمجهول ، ولماذا لم يأت بها في صورة معلومة ؟ . لأنه مسبحانه ـ يريد أن يشيع البيان ، ويعمم الفائدة ويرببها ؛ لأن الإخافة تتطلب مخيفاً ، والدخيف بختلف باختلاف الرائين ، فقد يوجد شيء يخيفك ، ولكنه لا يحقيف غيرك ، وقد تستقبح أنت شيئاً ، ولكن غيرك لا يستقبحه ، ولذلك ضربنا حسابقاً ـ مثلاً ، وقلنا : لو أننا أحضرنا مجموعة من كبار رسامي الكاريكاتور في

العالم ، وقلنا لهم : ارسموا لنا صورة الشيطان تخيلوا الشيطان وارسموه ، أيتفقون على شكل واحد فيه ؟ لا ؛ لأن كل رسام سيرسم الشيطان من وحى ما يخيفه هو . ولقد قال الله في صورة : شجرة الزقوم ﴿ طلعها كأنه رءوس الشياطين ﴾ ؛ ليتخيل كل سامع ما يخيفه من صورة الشيطان ، فتكون الفائدة عامة من التخويف من تلك الشجرة . لكنه لو قالها بصورة واحدة لأخاف قوماً ولم يخف الأخربن . ومثال ذلك أمر عصا موسى ، فهي مرة ثعبان ، ومرة جان ، ومرة حية ، وكلها صور لشيء واحد مخيف ، ويقول الحق هنا في سورة الأعراف : ﴿ فالقي عصاه فإذا هي ثعبان مبين ﴾ .

وقوله: ﴿ فَإِذَا هِمَ ﴾ يوضح الفجائية التي أذهلت فرعون ، فقد تحولت العصا إلى ثعبان ضخم في لمح البصر بمجرد إلقائها ، ومن فوائد تدريب سيدنا موسى على إلقاء العصا في طور سيناء أن موسى لن تأخذه المفاجأة حين يلقيها أمام فرعون ، بل ستأخذ المفاجأة فرعون . كأن التدريب أولاً لإقناع موسى وضمان عدم خوفه في لحظة التنفيذ ، وقد خاف منها موسى لحظة التدريب ؛ لأن العصا صارت ثعباناً وحية حقيقية ، ولو كانت من نوع السحر لظلت عصا في عين الساحر ولا يخاف منها ، إذن خوفه منها إبان التدريب دليل على أنها انقلبت حقيقة ، لا تخيلاً ، وتلك هي مخالفة المعجزة للسحر ، فالمعجزة حقيقة والسحر تخييل ، وهذا هو الذي سيجعل السحرة يعجرون ساجدين لأنهم قد ذهلوا مما حدث .

﴿ فَأَلْنَى عَصَاهُ فَإِذَا مِي ثُعْبَانٌ مَّبِينٌ ١

(سورة الأعراف)

و « مبين » أي بيّن ، وواضحة ملامحه المخيفة التي لا تخفى على أحد ، ويقدم موسى عليه السلام الآية الثانية ، فيقول الحق :

﴿ وَنَزَعَ يَدُهُ وَإِذَاهِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّظِرِينَ ٢٠٠٠ ﴿

وهذه آية معجزة أخرى . وقوله : « ونزع » تعنى إخراج اليد بعسر ، كأن هناك

O+00+00+00+00+00+00

شيئاً يقاوم إخراج اليد ؛ لأنه لوكان إخراج اليد سهلًا ، لما قال الحق : «ونزع يده ۽ لأن النزع يدل على أن شيئاً يقاوم ، ومثال ذلك قوله الحق :

﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلَّكِ تُوْتِي الْمُلْكَ مَن نَشَاتُهُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمْن نَشَاءُ ﴾

﴿ مِن الآية ٢٦ سورة أل عمران)

لأن نزع الملك لبس مسألة سهلة ؛ ففي الغالب يحاول صاحب الملك التشبث بملكه ، لكن الحق ينزعه من هذا الملك . كذلك قوله : « ونزع يده » ، وهذا يدل على أن يده لها وضع ، ونزع يده وإخراجها بشدة له وضع آخر ، كأنها كانت في مكن حريص عليها . إذن ففيه لقطة بينت الإدخال ، ولقطة بينت النزع ، وهما عمليتان اثنتان . وقال سبحانه في آية ثانية :

﴿ وَأَدْخِلْ مَدَكَ فِي جَنبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءً مِنْ غَبْرِ سُوو ﴾

(من الآية ١٢ سورة النعل)

و « الجيب » هو مكان دخول الرأس من الثوب ، وإن كنا نسمى « الجيب » فى أيامنا مطلق شىء نجعله وعاء لما نحب ، وكان الأصل أن الإنسان حسن يريك أن يحتفظ بشىء ، يضعه فى مكان أمامه وتحت يده ، ثم صنع الناس الجيوب فى الملابس ، قسميت الجيوب جيوباً لهذا .

والدين قال في موضع آخر:

﴿ وَاضْمُمْ بِدُكَ إِلَّ جَنَاجِكَ تَحْرَجُ بَيْضَاءً مِنْ غَيْرِسُوهِ ﴾

(من الآية ٢٢ سورة طه)

إذن ففيه إدخال وإخراج ، وكل آية جاءت بلقطة من اللقطات ؛ فآية أوضحت يخول اليد في الجيب ، وأخرى أوضحت ضم اليد إلى الجناح ، وثالثة أوضحت نزع اليد ، وهذه لقطات متعددة ، تكون كلها الصورة الكاملة ؛ لنفهم أن القصص في القرآن غير مكرر ، فالتكرير قد يكون في الجملة . لكن كل تكرير له لقطة تأميسية ، وحين نستعرضه نتبين أركان القصة كاملة . فكل هذه اللقطات تجمع لنا القصة . وقلنا قبل ذلك : إن الصراع بين فرعون وموسى لا ينشأ إلا عن عداوة ، وحتى يحتدم الصراع لابد أن تكون العداوة متبادلة ، فلو كان واحد عدوا

○○+○○+○○+○○+○○+○!!YA! ○

والثانى لا يشعر بالمدارة فلن يكون لديه لدد خصومة ، وقد يتسامح مع خصمه ويأخذ أمر الخلاف أخذاً هينا ويسامحه وتنفض المسألة . لكن الذي يجعل العداوة تستعر ، ويشتد ويعلو لهيبها أن تكون متبادلة . وتأتى لنا لقطة في القرآن تثبت لنا العداوة من موسى لفرعون ، العداوة من موسى لفرعون ، فالحق يقول :

﴿ يَأْمُونُ عَدُولِي وَعَدُولُهُ ﴿

(من الآية ٣٩ صورة طه)

هذه تثبت العداوة من فرعون لموسى.

ويقول الحق:

﴿ فَأَلْتَقَطَهُ مِ وَالَّهُ فِرْعُونَ لِيَكُونَ لَمُمْ عَدُواً وَحَزَنًا ﴾

(من الآبة ٨ سورة القصص)

وهذه تثبت أن موسى عدو لهم . وكلتا اللقطنين يُكمل بعضها بعضاً لتعطينا الصورة الكاملة .

والحق هنا يقول:

﴿ وَنَزَعَ بَدَّهُ فَإِذًا هِي بَيْضَآهُ لِلنَّفظِرِينَ ١٠٥٠

(سورة الأعراف)

ونعرف أن موسى كان أسمر اللون ، لذلك يكون البياض فى بده مخالفاً لبقية لون بشرته ، ويده صارت بيضاء بحيث ساعة يراها الناس يلفتهم ضوؤها ويجذب أنظارهم ، وهى ليست بيضاء ذلك البياض الذى يأتى فى سُمرة نتيجة البرص ، لا ؛ لأن الحق قال فى آية أخرى :

﴿ تَعْرُجُ يُنْفُآءُ مِنْ غَيْرِسُودٍ ﴾

(من الآية ٢٢ سورة طه)

وكل لقطة كما ترى تأتى لتؤكد وتكمل الصورة . إذن فقوله : ﴿ بيضاء للناظرين ﴾ يدل على أن ضوءها لامع وضيء ، يلفت نظر الناس جميعاً إليها ،

ولا يكون ذلك إلا إذا كان لها بريق ولمعان وسطوع ، وقوله : ﴿ بيضاء من غير موء ﴾ يؤكد أن هذا البياض ليس مرضاً .

ويتابع الحق سبحانه :

﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَلَذَا لَسَدِحُرُ عَلِيمٌ فَي اللهِ عَلِيمٌ اللهِ عَلِيمٌ اللهِ عَلِيمٌ اللهِ اللهِ عَلِيمٌ اللهِ عَلِيمٌ اللهِ عَلِيمٌ اللهِ عَل

عرفنا أن الملأ هم القوم الذين يتصدرون المجالس، ويملأونها أو الذين يملأون العيون هيبة، والقلوب مهابة وهم هنا المقربون من فرعون. وكأنهم يملكون فكرة وعلما عن السحر، وفي سورة الشعراء جاء القول الحق:

(صورة الشعراء)

إذن فهذه رواية جاءت بالقول من الملأ ، والآية الأخرى جاءت بالقول على لسان فرعون ، وليس في هذا أدنى تناقض ، ومن الجائز أن يقول فرعون : إنه ساحر ، وأيضاً أن يقول الملأ : إنه ساحر ، وتتوارد الخواطر في أمر معلوم متفق عليه . وقد حدث مثل هذا في القرآن حينما نزلت آيات في خلق الإنسان وتطوره بأن كان علقة فمضغة إلخ فقال كاتب الوحى بصوت مسموع :

﴿ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَلِقِينَ ﴾

(من الآية ١٤ سورة المؤمنون)

عن أنس رضى الله عنه قال : قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : وافقت ربى في أربع : نزلت هذه الآية : ﴿ ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ﴾ الآية قلت أنا : فتبارك الله أحسن الخالقين فنزلت : ﴿ فتبارك الله أحسن الخالقين فنزلت : ﴿ فتبارك الله أحسن الخالقين ﴾ (١) .

⁽ ۱) رواه ابن أبي حاتم .

وعن زيد بن ثابت الأنصارى قال: أملى على رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية: ﴿ ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ﴾ إلى قوله: ﴿ . . . خلقا آخر ﴾ فقال معاذ: ﴿ فتبارك الله أحسن الخالفين ﴾ فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له معاذ: مِم تضحك يارسول الله ؟ فقال: « بها ختمت فتبارك الله أحسن الخالفين » (١) .

لقد جاءت الخواطر في الحالة المهيجة لأحاسيس الإيمان لحظة نزول الوحى بمراحل خلق الإنسان .

فماالذى يمنع من توارد الخواطر فيجىء الخاطر عند فرعون وعند الملأ فيقول ويتولون ؟ أو يكون فرعون قد قالها وعلى عادة الأتباع والأذناب إذا قال سيدهم شيئاً كروؤه .

﴿ قَالَ الْمَلَا مِن قَوْمٍ فِرْعَوْنَ إِنَّ مَنذًا لَسَنْحِرُّ عَلِيمٌ ١٠٠٠ ﴾

(سورة الأعراف)

ولم يصفوا فعل سيدنا موسى بأنه ساحر فقط بل بالغوا في ذلك وقالوا: إنه ساحر عليم. وأضافوا ما جاء على السنتهم بالقرآن في هذه السورة.

﴿ يُرِيدُ أَن يُعْرِجَكُ مِّنَ أَرْضِكُمْ فَمَا ذَا نَأْمُنُ ون ﴿ ﴿ اللَّهِ اللَّهُ اللَّلَّ اللَّالِمُ اللَّلَّ اللَّاللَّا اللَّا اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّا ال

إنها نكبة جاءت لفرعون الذي يدعى الألوهية ، ونكبة لمن حوله من هؤلاء الذين يوافقونه ، فكيف بواجهها حتى يظل في هيئته وهيبته ؛ قال عن موسى : إنه ساحر ، لكى يصرف الناس الذين رأوا معجزات موسى عن الإيمان والاقتناع به ، وأنه رسول رب العالمين ، وبعد ذلك يهيج فرعون وطنيتهم ويهيج ويثير غيرتهم ويحرك انتماءهم إلى مكانهم فقال : ﴿ يريد أن يخرجكم من أرضكم فماذا تأمرون ﴾ .

⁽ ۱) رواه ابن أبي حاتم وأورده ابن كثير في تفسيره وقال : وفي إسناده جابر بن زيد الجعفي ضعيف جدا ، ونرى أن خبر سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه أصح .

017XY

اتهموا موسى عليه السلام بأنه يريد أن يخرج الناس بسحره من أرضهم ، وهذا القول من فرعون ومن معه له هدف هو تهييج الناس وإثارتهم ؛ لأن فرعون أقنع الناس أنه إله . وهاهى ذى الألوهية تكاد تنهدم فى لحظة ، فقال عن موسى إنه ساحر ، وبين قوم لهم إلف بالسحر ، وقوله : ﴿ فماذا تأمرون ﴾ على لسان الملأ من قوم فرعون تدل على أن القائل للعبارة أدنى من المقول لهم ، فالمفروض أن فرعون هو صاحب الأمر على الجميع ، ومجىء القول : ﴿ فماذا تأمرون ﴾ يدل على أن الذى يأمر فى مسائل مثل هذه هو فرعون ، وهذا يشعر بأن فرعون قد أدرك على أن مكانته قد انحطت وأنه نزل عن كبريائه وغطرسته . أو أن يكون ذلك من فرعون تطيباً لقلوب من حوله ، وأنه لا يقطع أمراً إلا بالمشورة ، فكيف تشاور الناس يا فرعون وأنت قد غرست فى الناس أنك إله ؟ وهل يشاور الإله مألوها ؟ . إن قولك هذا يحمل الخيبة فيك لأنك تدعى الألوهية ثم تريد أن تستعين بأمر المألوه .

ويقول الحق سبحانه:

﴿ قَالُوا أَرْجِهُ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي ٱلْمَدَآبِنِ حَشِرِينَ ١

و وارجه ، أي أخّره مثل قوله الحق :

﴿ وَوَالْمُرُونَ مُرْجُونَ مُ

(من الأية ١٠٦ سورة التوبة)

أى أنهم مؤخرون للحكم عليهم وهم الثلاثة الذين تخلفوا عن الغزو فخلفوا وأرجىء أمرهم حتى نزل فيهم قوله سبحانه : ﴿ وعلى الثلاثة الذين خلفوا ﴾ إلخ الآية .

وقولهم :

﴿ أَرْجِهُ وَأَخَاهُ ﴾

(من الأية ١١١ سورة الأهراف)

وهكذا كان طلب الإرجاء لأن المسألة أخطر من أن يُتَصَرُّف فيها تصرفاً سريعاً

OO+OO+OO+OO+O(1/MO

بل تحتاج إلى أن يؤخر الرأى فيها حتى يجتمع الملأ، ويرى الجميع كيفية مواجهتها، فهى مسألة ليست هيئة لأن فيها نقض ألوهية فرعون، وفي هذا دك لسلطان الفرعون وإنهاء لانتفاعهم هم من هذا السلطان. فإذا كان قد قال لهم: ﴿ فماذا تأمرون ﴾ .

فكأنه كان يطلب منهم الرأى فوراً ، لكنهم قالوا إن المسألة تحتاج إلى تمهل وبطء ، وأول درجات البطء والتمهل أن يُستدعى القوم الذين يفهمون في السحر . فمادمنا نقول عن موسى: إنه ساحر ، فلنواجهه بما عندنا من سحر : وقبول فرعون لهذه المشورة هدم الألوهيته ؛ لأنه يدعى أنه إله ويستعين بمألوه هم السحرة ، وقوله الحق على ألسنتهم :

﴿ وَأُرْسِلْ فِي ٱلْمُدَّآمِنِ خَيْسِرِينَ ﴾

(من الآية ١٩١ سورة الأهراف)

بدل على أن السحر كان منتشراً ، ومنبثاً في المدائن وقد أتبع سبحانه هذا القول على لسان الملا بقوله :

﴿ يَأْتُوكَ بِكُلِ سَاحِرِ عَلِيمِ ﴿ فَا اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ الله

ولأن المستشرقين يريدون أن يشككونا في القرآن قالوا: ولماذا قال في سورة الشعراء: ﴿ يأتوك بكل سحّار عليم ﴾ . وكأن هؤلاء المستشرقين يريدون أن يفرقوا بين ﴿ ساحر عليم ﴾ و ﴿ سحّار عليم ﴾ ؟ ولأنهم لا يعرفون اللغة لم يلتفتوا إلى أن وسحّار ، تفيد المبالغة من جهتين . فكلمة وساحر ، تعنى أنه يعمل بالسحر ، ودسحّار ، تعنى أنه يبالغ في إتقان السحر ، والمبالغات دائماً تأتى لضخامة الحدث ، أو تأتى لتكرر الحدث . فوسحّار ، تعنى أن سحره قوى جدًّا ، أو يسحر في كل حالة ، فمن ناحية التكرار هو قادر على السحر ، ومن ناحية الضخامة هو قادر أيضاً . ومادام القائلون متعددين . فواحد يقول : ساحر ، وآخر يقول : ساحر ، وآخر يقول : ساحر ، وأخر يقول : سحّار وهكذا . والقرآن يغطى كل اللقطات .

(基本) ○ 17/1 ○ ○ + ○ ○ ○ + ○ ○ + ○ ○ + ○ ○ + ○ ○ + ○ ○ + ○ ○ + ○ ○ ○ +

﴿ قَالُوٓ أَرْجِهُ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَ آيِنِ حَنْشِرِينَ ١ يَأْتُوكُ بِكُلِّ سَنِحٍ عَلِيمِ

(سورة الأعراف)

و 1 حاشرين 1 تعنى من يحشر لك السحرة ويجمعهم لا بإرادتهم ولكن بقوة فرعون وبطش جنده.

ويقول الحق سبحانه:

﴿ وَجَاءَ ٱلسَّحَرَهُ وَعُونَ قَالُوٓ إِنَ لَنَا لَأَجْرًا إِن كَنَا لَأَجْرًا إِن كَنَا لَأَجْرًا إِن كَنَا لَغَنْ الْعَالِمِينَ اللهِ اللهِ

وقوله : ﴿ وجاء السحرة فرعون ﴾ يدل على بطش الأمر ، أى أنه ساعة قال الكلمة هُرِع الجند بسرعة ليجمعوا السحرة . وقد ولغ بعض المستشرقين في هذه اللقطة أيضاً فتساءلوا : ولماذا جاء بقول مختلف في سورة أخرى حين قال :

﴿ أَنَّ لَنَا لَأُجِّرًا ﴾

(من الآية ١٤ سورة الشعراه)

لقد جاء بها بهمزة الاستفهام ، وفي سورة الأعراف جاء بها من غير همزة الاستفهام ، وهذه آية قرآنية ، وتلك آية قرآنية . وأصحاب هذا القول يتناشون أن كل ساحر من سحرة فرعون قد انفعل انفعالاً أدى به مطلوبه ؛ قالذى يستفهم من فرعون قال : وأإن ه ، والشجاع قال لفرعون : ﴿ إن لنا لأجراً ﴾ . وفي القضية الاستفهامية لا يتحتم الأجر لأنه من الجائز أن يرد الفرعون قائلا : أنَّ لا أجر لكم ، ولكن في القضية المخبرية وإن لنالاجراً » أي أن بعض السحرة قد حكموا بضرورة وجود الأجر ، وقد غطى القرآن هذا الاستفهام ، وهذا الخبر .

وتأتى إجابة فرعون على طلب السحرة للأجر:

﴿ قَالَ نَعَمُ وَإِنَّكُمْ لَيِنَ ٱلْمُقَرِّبِينَ ﴿ فَالْهَا مُعَالِمُ الْمُقَرِّبِينَ ﴿ فَالْهَا الْمُقَرِّبِينَ فَ اللَّهِ اللَّهُ اللَّا اللَّهُ اللَّهُ اللَّا اللَّهُ اللَّا اللّ

و « نعم » حرف جواب قائمة مقام جملة هي : لكم أجر ، وأضاف أيضاً ؛ ﴿ وَإِنكُم لَمِنَ الْمَقْرِبِينَ ﴾ .

وهذا دليل على أنه ينافقهم أويبالغ في مجاملتهم ؛ لأنه يحتاج إليهم أشد الحاجة . وهكذا نجد ألوهية فرعون قد خارت أمام المألوهين السحرة . وقوله : ﴿ لَمَنَ الْمَقْرِبِينَ ﴾ هذه تدل على فساد الحكم ؛ لأنه مادام حاكماً فعليه أن يكون كل المحكومين بالنبسة إليه سواه . لكن إذا ما كان هناك مقربون فالدائرة الأولى منهم تنهب على قدر قربها ، والدائرة الثانية تنهب أيضاً ، وكذلك الثالثة والرابعة ، فتجد كل الدوائر تمارس فسادها مادام الناس مصنفين عند الحاكم .

ولذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا ما جلس الصحابة يستمعون إليه كان يسوّى بين الناس جميعاً في نظره حتى يظن كل إنسان أنه أولى بنظر رسول الله ، ولا يدنى أحداً ويقربه من مجلسه إلامن شهد له الجميع بأنه مقرب . .

ويقول الحق سبحانه بعد ذلك:

﴿ قَالُواْ يَكُمُّوسَى إِمَّا أَن تُلْقِى وَإِمَّا أَن تُكُونَ عَكُونَ فَكُونَ عَالُواْ يَكُونَ فَكُونَ فَعَنُ الْمُلْقِينَ شَ ﴿ فَهُمُ الْمُلْقِينَ شَ فَهُمُ الْمُلْقِينَ مَنْ الْمُلْقِينَ مِنْ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهُ اللَّالِي اللَّهُ اللَّلَّا اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ ال

ونلحظ أنهم لم يؤكدوا لموسى رغبتهم في أن يلقى هو أولا عصاه . ولكنهم أكدوا رغبتهم في أن يكونوا هم أول الملقين . فجاءوا بضمير الفصل وهو (نحن) الذي يفيد التأكيد .

ونعلم أن مّن يعقُّب ويكون عمله تاليا لمن سبقه ، فإن فعله هو الذي سيترتب

01/1/100+00+00+00+00+00+0

عليه الحكم . ولابد أن يكون قوى الحجة . هم يريدون أن يكونوا هم المعقبين ، وأن موسى الذى يبدأ ، لكن عزتهم تفرض عليهم أن يبدأوا هم أولاً ؛ لذلك جاءوا بالعبارة التي تحمل المعنيين :

﴿ إِمَّا أَن تُلْقِي وَ إِمَّا أَن نَّكُونَ غَنُ الْمُلْقِينَ ﴾

(من الآية ١١٥ سورة الأعراف)

فعلم موسى أنهم حريصون ، على أن يبدأوا هم بالإلقاء فأتوا بكلمة (نحن) . وفكر موسى أن من صالحه أن يلقوا هم أولاً ؛ لأن عصاه ستلقف وتبتلع ما يلقون ؛ لذلك يأتى قوله سبحانه :

﴿ قَالَ القُواْ فَلَمَّا الْقُواْ سَحَرُواْ أَعْيَنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُ وبِسِحْرِ عَظِيمِ ﴿ إِلَيْ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ ا

هم _ إذن _ سحروا أعين الناس ، والسحر _ كما نعلم _ لطف حيلة يأتى بأعجوبة تشبه المعجزة . وكأنها تخرق القانون ، وهو غير الحيلة التي يقوم بها الحواة ؛ لأن الحواة يقومون بخفة حركة ، وخفة يد ، ليعموا الأمر على الناس . لكن و السحر ، شيء آخر ، ونعلم أن الحق سبحانه وتعالى خلق كل جنس بقانون ؛ خلق الإنس بقانون ، وخلق المجن بقانون ، وخلق الملائكة بقانونها :

﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا مُو ﴾

(من الآية ٣١ سورة المدشر)

وكل قانون له خصائصه ومميزاته التي تناسب عنصر تكوينه ، فالإنسان مثلاً لانه مخلوق من الطين له من الكثافة ما يمنعه من التسلل من خلال جدار ؛ لأنك لوكنت تجلس وهناك تفاحة وراء الجدار الذي تجلس بجواره فلن يتعدى ريحها ، ولا طعمها إلى فمك ؛ لأن الجدار يحول بينك وبين ذلك ، لكن لوكانت هناك جذوة من نار بجانب الجدار الذي تستند عليه لكان من الممكن أن يتعدى أثرها

00+00+00+00+00+00+0(1910

لك ؛ لأن للنار إشعاعات تنفذ من الأشياء ، ولأن الجن مخلوق من نار ، لذلك نجد له هذه الخاصية .

﴿ إِنَّهُ رَبُّ اللَّهُ هُو وَقَبِيلُهُ مِنْ حَبِثُ لَا رُونَهُمْ ﴾

(من الآية ٢٧ سورة الأعراف)

فإذا كان الجن له قانون والإنس له قانون ، فهل القانون هو الذي يسيطر ؟ لا ، بل رب القانون هو الذي يسيطر لأنه جل وعلا فوق القانون . فيأتي ألله للإنس ويُعلّم واحداً منهم بعضاً من أسرار كونه ليستذل الجن لخدمته ، برخم ما للجن من خفة حركة ، فسبحانه يوضح : لا تظن أيها الجن أنك قد أخذت خصوصيتك من العنصر الذي يكونك لأن هناك القادر الأعلى وهو المعنصر لك ولغيرك ، بدليل أن العنصر الذي يعنصر آخر يتحكم فيك بعد أن علمه الله بعضاً من أسرار كونه . ولنتبه دائماً أن العلم بأسرار تسخير الجن هو من ابتلاءات الحق للخلق ؛ لأنه مبحانه وتعالى يقول :

﴿ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أُحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولًا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ﴾

(من الآية ١٠٢ سورة البقرة)

فكأن هاروت وماروت وهما يعلمان الإنسان كيف يمارس السحر ، ينصحان الإنسان الذي يرغب في أن يتعلم السحر أولا ، ويوضحان له أنهما فتنة أي ابتلاء واختبار ويقولان له : ﴿ فلا تكفر ﴾ ، مما يدل على أن كل من يتعلم السحر ؛ إن قال لك : إني سأستعمله في الخير فهو كاذب ؛ لأنه يقول ذلك ساعة صفاء نفسه تجاه الخلق ، لكن ماذا إن غافله إنسان من أي ناحية وغلبه على بعض أمره وهو يملك بعضاً من أسرار السحر ؟ هل يقدر على نفسه ؟ لقد قال إنه أمين وقت التحمل ، لكن هل يظل أميناً وقت الأداء ؟ إن من يتعلم السحر قد يستخدمه في الانتقام من غيره ، وبذلك يضيع تكافؤ الفرص ، ونعلم أن تكافؤ الفرص هو الذي يحمى الناس ، وبعطى بعضهم الأمن من بعض ، وبلزم كل إنسان حدّه .

فإذا أخذ إنسان سلاحاً ليس عند غيره فقد يستخدمه ضد من لايملك مثله ، والإنسى الذي يأخذ سلاحاً لا يملكه أخوه

الإنسى ، وبذلك يكون قد أخذ فرصة أقوى من غيره وفي هذا ابتلاء ؛ لأن الإنسان قد ينجح فيه وقد يخفق فلا يظفر بما يطلبه ، وقوله سبحانه : ﴿ فلا تكفر ﴾ يدل على أنهما علما طبائع البشر في أنهم حين يأخذون فرصة أعلى قد يُضْمَنون وقت صفاء نفوسهم ، ولكنهم لا يُضْمَنون يوم تعكير نفوسهم .

﴿ فَيَنَعَلَمُونَ مِنْهُمَا مَايُفَرِقُونَ بِهِ عَبَيْنَ ٱلْمَرُهِ وَزَوْجِهِ ، وَمَا هُم بِضَآرِينَ بِهِ ، مِن أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾

(من الآية ١٠٢ سورة البقرة)

مادام الحق هو الذي أعطاهم هذه القدرة فهو سبحانه القادر على أن يسلبها منهم ، مثلما يمنح الله سبحانه وتعالى القدرة لإنسان ليكون غنبًا وقادرا على شراء سلاح نارى ، وأن يتدرب على إطلاق النار ، فهذا الرجل ساعة يغضب قد يتصور أن يحل خلافه مع غيره أو ينهى غضبه مع أى إنسان آخر بإطلاق الرصاص عليه . لكن لو لم يكن معه و مسدس ، فقد يتهى غضبه بكلمة طيبة يسمعها ، إذن فساعة ما يمنع الله أمراً فهو يريد أن يرحم ؛ لذلك يقول : ﴿ وما يعلمان من أحد حتى بقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر ﴾ .

وفي هذا تحذير لمن يتعلم مثل هذا الأمر ، ويريد سبحانه أن يحمى خلقه من هذه المسألة ، ويكفى أن نعلم أنه سبحانه قد قال : ﴿ وماهم بضارين به من أحد إلا بإذن الله ﴾ .

فلو أنك تتبعت هؤلاء لاستذلوك ، واستنزفوك ، ويتركك الله لهم لأنك اعتقدت فيهم ، أما إن قلت : و اللهم إنك قد أقدرت بعض خلقك على السحر والشر ، ولكنك احتفظت لنفسك بإذن الضر ، فإنى أعوذ بما احتفظت به مما أقدرت عليه ، بحق قولك ؛ ﴿ وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله ﴾ . هنا لن يمكنهم الله منك ، إنما إن استجبت وسرت معهم ، فهم يستنزفونك ، وأراد الله أن يفضح مثل هذه العملية فقال على ألسنة السحرة الذين استدعاهم فرعون :

﴿ أَنْ لَنَا لَأَجْرًا ﴾

00+00+00+00+00+00+01110

وكأنهم يعترفون بالنقص فيهم ، فعلى الرغم من ادعائهم القدرة على فعل المعجزات إلا أنهم عاجزون عن الكسب الذي يوفي حاجاتهم ؛ لذلك طلبوا الأجر من فرعون ، وهذا حال الذين يشتغلون بالسحر والشعوذة . هم يدعون القدرة ويعانون الفاقة والعوز . هكذا حكم الحق بضيق رزق من يعمل بالسحر ، ويفضحهم الحق دائماً ، وللعاقل أن يقول : ماداموا يَدَّعُون الفلاح فليفلحوا في إصلاح أحوالهم . ومادام الساحر يدعى أنه يعرف أماكن الكنوز المخبوءة فلماذا لا يعرف كنوزاً في الأرض التي ليست مملوكة لاحد وياخذها لنفسه ؟ هذا إن افترضنا أن الساحر أمين للغاية ولا يربد أن يأخذ من خزائن الناس .

ولذلك تجد كل العاملين بالسحر والشعوذة يموتون فقراء ، بشعى الهيئة ؛ مصابين في الذرية ؛ لأن الكائن منهم استغل فرصة لا توجد لكل واحدٍ من جنسه البشرى ، وذلك للإضرار بالناس . واقرأ قول الحق سبحانه وتعالى :

﴿ وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنِي يَعُودُونَ بِرِجَالٍ مِنَ ٱلَّذِي فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿ ﴾

(سورة الجن)

وهنا يقرر الحق أنهم سيعيشون في إرهاق وتعب. ولذلك يتحدد موقفنا من السحرة السحر بأننا لا ننكره مثلما ينكره آخرون. فقد قال بعض من العلماء: إن السحرة جاءوا بعصى وضعوا فيها رئبقاً ،وعند وجود الزئبق تحت أشعة الشمس تعطى له حرارة فتتلوى العصى ، لكن نحن لا تنكر السحر ، كما لا ننكر الجن لأنه لا يفوتنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

و إن عفريتا من الجن تفلّت على البارحة ليقطع على الصلاة فأمكنني الله تبارك وتعالى منه وأردت أن أربطه إلى سارية من سوارى المسجد حتى تصبحوا وتنظروا إليه كلكم فذكرت قول أخى سليمان عليه الصلاة والسلام : ﴿ رب اغفر لى وهب لى ملكاً لاينبغى لأحد من بعدى ﴾ و(١).

فمادام الحق قد قال: إنه خلق خلقاً لا تدركهم بإحساسك، فنحن نقر

⁽ ۱) رواه البخاري ، ومسلم والنسائي .

بما أبلغنا به الحق ؛ لأن وجود الشيء أمر وإدراك وجوده أمر آخر ، وكل مخلوق له قانونه ، فالعفريت من الجن قال لسيدنا سليمان عن عرش بلقيس :

﴿ أَنَا عَالِيكَ بِهِ عَبْسَلَ أَن تَقُومَ مِن مَقَامِكَ ﴾

(من الآية ٢٩ سورة النمل)

وكأن الجن يطلب زمناً ما ، فقد يجلس سليمان في مقامه معهم ساعة أو ساعتين أو ثلاثًا ، لكن الذي عنده علم من الكتاب يقول :

﴿ أَنَّا وَاتِيكَ بِهِ عَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ صَرْفُكَ ﴾

(من الآية ٥٤ سورة النمل)

ولابد أن يكون طرفه قد ارتد في أقل من ثانية بعد أن قال ذلك ، ولهذا نجد القرآن يورد ما حدث على القور فيقول : ﴿ فلما رآه مستقرأ عنده ﴾ .

مما يدل على أن الله قد خلق الأجناس ، وخلق لكل جنس قانوناً ، وقد يكون هناك قانون أقوى من قانون آخر ، لكن صاحب القانون مخلوق لذلك لا يحتفظ به ؛ لأن خالق القانون يبطله ، ويسلط أدنى على من هو أعلى منه . ولندقق فى التعبير القرآنى : ﴿ سحروا أعين الناس ﴾ .

ونحن أمام أشياء هي العصى والحبال . وجمع من البشر ينظر . ونفهم من قوله الحق : ﴿ سحروا أعين الناس ﴾ أن السحر ينصب على الرائي له ، لكن المرثى يظل على حالته ، فالعصى هي هي ، والحبال هي هي ، والذي يتغير هو رؤية الرائي . ولذلك قال سبحانه في آية ثانية :

﴿ يُخَيِّلُ إِلَيْهِ مِن سِعْرِ هِمْ أَنْهَا تُسْعَىٰ ﴾

(من الآية ٦٦ سورة طه)

إذن فالسحر لا يقلب الحقيقة ، بل تظل الحقيقة هي هي ويراها الساحر على طبيعتها . لكن الناس هي التي ترى الحقيقة مختلفة . إذن فالسحرة قد قاموا بعملهم وهو : ﴿ سحروا أعين الناس واسترهبوهم ﴾ .

واسترهبوهم أى أدخلوا الرهبة فى نفوس الناس من هذه العملية ، وظن السحرة أن موسى سيخاف مثل بقية الناس المسحورين ، ونسوا أن موسى لن ينخدع بسحرهم ؛ لأنه باصطفاء الله له وتأييده بالمعجزة صار منفذاً لقانون الذى أرسله فجعل عصاه حية ، وصاحب القانون هو الذى يتحكم . وهم قد جاءوا بسحر عظيم ، وهو أمر منطقى ؛ لأن العملية هى مباراة كبرى يترتب عليها هدم ألوهية فرعون أو بقاء ألوهيته ، لذلك لابد أن يأتوا بآخر وأعظم ما عندهم من السحر .

ويقول الحق:

﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُومَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكُ فَإِذَا هِى تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿ اللَّهِ اللَّهُ اللَّلَّاللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّلَّاللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّلَّاللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّلَّالِي اللَّهُ اللَّلَّ اللَّهُ اللَّهُ اللَّالَةُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللللَّا اللَّهُ اللللَّهُ ا

ولماذا احتاجت هذه المسألة إلى وحى جديد خصوصاً أنه قد سبق أن تم تدريب موسى على إلقاء العصا ؟ . ونقول : فيه فرق بين التعليم للإعداد لما يكون ، والتنفيذ ساعة يكون ، فساعة يأتى أمر التنفيذ يجيء الحق بأمر جديد ، فربما يكون قد دخل على بشرية موسى شيء من السحر العظيم ، والاسترهاب ، هذا ونعلم أن قصة موسى عليه السلام فيها عجائب كثيرة . فقد كان فرعون يقتل الذكران ، ويستحى النساء ، وأراد ربنا ألا يُقتل موسى فقال سبحانه :

﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَّ أَمْ مُومَىٰ أَنْ أَرْضِعِيمٌ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي ٱلْهَمْ ﴾

(من الآية ٧ سورة القصص)

وقوله سبحانه : ﴿ أرضعيه فإذا خفت عليه ﴾ يدل على أن العملية المخوفة لم تأت بعد ، بل ستأتى لاحقًا . وهات أيَّة امرأة وقبل لها : إن كنت خاتفة على ابنك من أمر ما فارميه في البحر . من المؤكد أنها لن تصدقك ، بل ستسخر منك ؛ لأنها ستتساءل : كيف أنجيه من موت مظنون إلى موت محقق ؟ . وهذا هو الأمر الطبيعي ، لكن نحن هنا أمام وارد من الله إلى خلق الله ، ووارد الله لا يصادمه شك . إذن فالخاطر والإلهام إذا جاء من الله لا يزاحمهما شيء قط . ولا يطلب

O111VOO+OO+OO+OO+OO+O

الإنسان عليه دليلًا لأن نفسه قد اطمأنت إليه ؛ لذلك ألقت أمام موسى برضيعها في البحر .

ويقدّر الله أنها أم فيقول:

﴿ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِيُّ إِنَّا رَآدُوهُ إِلَيْكِ ﴾

(من الآية ٧ سورة النصص)

ولن يرده إليها فقط، بل سيوكل إليه أمراً جللًا:

﴿ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾

(من الآية ٧ سورة القصص)

وكان الحق سبحانه يوضح لأم موسى أن ابنها لن يعيش من أجلها فقط ، بل إن له مهمة أخرى في الحياة فسيكون رسولاً من الله . فإذا لم تكن السماء ستحافظ عليه لأجل خاطر الأم وعواطفها ، فإن السماء ستحفظه لأن له مهمة أساسية في وجاعلوه من المرسلين ﴾ . وتلحظ أن الحق هنا لم يأت بسيرة التابوت لكنه في آية ثانية يقول :

﴿ إِذْ أُوحَبْنَا إِلَىٰ أُمِكَ مَا يُرحَىٰ ﴿ أَنِ الْفَيْفِيهِ فِي النَّابُوتِ فَا فَذِفِيهِ فِي الْبَيِّمِ فَ الْبَيِّمِ فَالْبَيْمِ بِالسَّامِلِ ﴾ فَلْبُلْفِهِ النَّابِمُ بِالسَّامِلِ ﴾

(صورة طه)

ولم يقل في هذه الآية: ﴿ ولا تخافي ولا تحزني ﴾ ؛ لأنه أوضح لها ما سوف يحدث من إلقاء اليم له بالساحل. وقوله في الأولى: ﴿ فإذا خفت عليه ﴾ . هو إعداد للحدث قبل أن يجيء ، وفي هذه الآية ﴿ إذ أوحينا إلى أمك ما يوحى . . ﴾ إلخ تجد اللقطات سريعة متتابعة لتعبر عن التصرف لحظة الخطر . لكن في الآية الأولى : ﴿ ولا تخافي ولا تحزني إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين ﴾ نجد البطء والهدوء والرتابة ؛ لأنها تحكي عن الإعداد . لما يكون .

إذن فالحق سبحانه وتعالى يعطى كل جنس قانوناً ، وكل قانون يجب أن يُحترم

○○+○○+○○+○○+○○+○○£Y¶¼ ○

فى نطاقه ، لأن تكافؤ الفرص بين الأجناس هو الذى يريده الله . وحينما أراد سبحانه وتعالى أن يبين لنا هذه المسألة أرضع أن على المؤمن أن ينظر إلى المعطيات من وراء التكاليف ، وفي آية الدين على سبيل المثال ـ نجد الحق يوصي المقترض و المدين ۽ وهو الضعيف ـ أن يكتب الدين ، ويعطى بذلك إقراراً للدائن وهو القوى القادر فيقول سبحانه :

﴿ وَلَا تُسْتَمُواْ أَنْ تَكُنُّبُوهُ صَنِيرًا أَوْكَبِيرًا إِلَّا أَجَلِهِ ﴾

(من الآية ٢٨٢ سورة البقرة)

والمسألة هنا في ظاهر الأمر أنه يحمى الدائن ونقوده ، لكن علينا أن ننتبه إلى أنه يحمى المدين من نفسه ؛ لأن الدُّيْن إن لم يكن موثقاً فالمدين لن يبذل الجهد الكافى للسداد ، وباجتهاد المدين نفيد الوجود بطاقة فاعلة . ولكن إن لم نوثق الدُّيْن ، وتكاسل المدين عن العمل والسداد فقد تشيع الفوضى في المجتمع ويرفض كل إنسان أن يقرض أحداً ما يحتاج إليه . وبذلك تفسد الأمور الاقتصادية .

إذن فسبحانه حين يأمر بتوثيق الدَّيْن ، وإن كان في ظاهر الأمر حماية للدائن . لكنه في باطن الأمر يحمى سبحانه المدين ، لأن هناك فرقاً بين ساعة التحمل للحكم ، وساعة أداء الحكم .

مثال ذلك حين يأتيك إنسان قائلاً: أنا عندى ألف جنبه وخائف أن يضيع منى فخذه أمانة عندك إلى أن أحتاج إليه ، وبذلك يكون هذا الإنسان قد استودعك أمانة ولا يوجد إيصال أو شهود ، والأمر مردود إلى أمانة المودّع عنده إن شاء أنكر ، وإن شاء أقر . ونجد من يقول لهذا الإنسان : هات ما عندك . يقول ذلك وفي ذمته ونيته أن صاحب الألف جنيه حين يأتي ليطلبه يعطيه له ، إنه يُمِدُّ ذلك ساعة التحمل ، لكنه لا يضمن نفسه ساعة الأداء ، فقد تأتي له ظروف صعبة ساعة الأداء فيتعلل بالحجج ليعد صاحب المال عنه .

إذن هناك فرق بين حالة واستعداد حامل الأمانة ساعة التحمل وساعة الأداء لهذه

@1111@#@@#@@#@@#@@#@@#@

الأمانة . والمؤمن الحق هو من يتذكر ساعة التحمل والأداء معاً ، إنَّ بعض الناس يرفض تحمل الأمانة ليزيل عن نفسه عبء الأداء .

والذى يتعلم شيئاً يناقض ناموس وجوده كتعلم السحر نقول له: احذر أن تُبتلى وتُفتن ، بل ابتعد واحفظ نفسك ولا تستعمل ذلك ، واحذر أن تقول أنا سأستعمل ما تعلمته من سحر في الخير ، ومن يأتي لى وهو في أزمة سوف أحلها له بالسحر . ونقول : لهذا الإنسان : أنت تتكلم عن وقت التحمل ، ولكنك لا تتكلم عن وقت الأداء .

ويقول الحق سبحانه :

﴿ وَأُوْحَيْثَ ۚ إِلَّىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْنِي عَصَاكُ فَإِذَا هِي تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿ ٢

(سورة الأعراف)

والإفك هو قلب الشيء على رجهه ، ومنه الكذب . وعلمنا من قبل أن كل شيء له نسبة كلامية وله نسبة واقعية ، فإذا قلت مثلاً « محمد مجتهد » فهذه نسبة كلامية ، لكن أبوجد واحد في الواقع اسمه محمد وموثوق في اجتهاده ؟ . إن كان الأمر كذلك فقد وافقت النسبة الكلامية النسبة الواقعية ، ويكون الكلام هو الصدق ، أما الكذب فهو أن تقول « محمد مجتهد » ولا يوجد إنسان اسمه محمد ، وإن كان موجوداً فهو غير مجتهد ، ويكون الكلام كذباً لأن النسبة الكلامية خالفت النسبة الواقعية ، وحين يكذب أحد فهو يقلب المسألة ونسمي ذلك كذباً ، وشدة الكذب تسمى إفكاً . أو الكذب ألا يكون هناك تطابق ، وإن لم تكن تعلم ، والإفك أن تتعمد الكذب ، وهذا أيضاً افتراء . ﴿ أن ألق عصاك فإذا هي تلقف ما يأفكون ﴾ .

وهنا يقول الحق سبحانه وتعالى : « فإذا » وهى تعبر عن الفجائية حيث ابتلعت عصا موسى _ بعد أن صارت حية _ ما أتى السحرة وجاءوا به من الكذب والإفك وسحروا به أعين الناس .

ويقول سبحانه بعد ذلك :

﴿ فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ١ ﴾

وقوله : ﴿ فوقع الحق ﴾ أى صار الحق النظرى واقعاً ملموساً ؛ لأن هناك فارقاً بين كلام يلقى نظريًا وكلام يؤيده الواقع ، والوقوع عادة يكون من أعلى بحيث يراه ويعرفه كل من يراه .

وقوله سبحانه : ﴿ فوقع الحق ﴾ أى ثبت الحق ، فبعد أن كان كلاماً خبريًا يصح أن يصدّق ويصح أن يُكذب ، صار بصدقه واقعاً . ﴿ فوقع الحق ويطل ما كانوا يعملون ﴾ .

والذي بطل هو ما كانوا يعملون من السحر . إن الحق جعل صدق موسى واقعاً مشهوداً . وبذلك غُلب السحرة .

ويقول النحق:

﴿ فَعُلِبُوا هُمَا لِكَ وَانقَلَبُوا صَغِرِينَ ١

ولم يغلب السحرة فقط ، بل غلب أيضاً فرعون وجماعته ، وعاش كل من هو ضد موسى في صَغَار ، صغار للمستدعى وصغار للمستدعى . لذلك ذيل الحق الآية بقوله : ﴿ وَانْقَلُبُوا صَاغَرِينَ ﴾ أي أذلاء .

ويقول الحق بعد ذلك :

﴿ وَأَلْقِي ٱلسَّحَرَةُ سَنجِدِينَ ١٠ ﴾

ولم يقل الحق : وسجد السحرة ، ولكنه قال : « وألقى ، مما يدل على أن

011-120+00+00+00+00+0

خرورهم للسجود ليس برأيهم ، ولكنه عملية انبهارية مما حصل أمامهم ، كأن شيئاً آخر القاهم ساجدين ، وهو الانبهار بالحق . فالساحر منهم كان يعتقد أنه هو الذى يسحر ، ثم يفاجاً مجموع السحرة أن موسى حين ألقى عصاه رأوها حية بالفعل فعرفوا أن المسألة ليست سحراً ، وحينما ألقوا عصيهم وحبالهم التى جاءوا بها من كل المدائن ، قبل إنها حملت على مبعين بعيراً وشاهدوا كيف أن العصا التى صارت حية أو ثعباناً لقفت كل هذا وابتلعته ! وحجم العصا هو حجم العصا مهما طالت ، وهكذا تيقن السحرة أن هذا لا يمكن أن يكون من فعل ساحر ، وانظر إلى الاستجابة منهم لمًا رأوا:

﴿ قَالُوٓا ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْمَكَلِّينَ ﴿ فَالْوَاءَ امْنَّا بِرَبِّ ٱلْمَكَلِّينَ ﴿

وهل هم سجدوا بعد الإيمان؟ أم آمنوا بعد السجود؟ النص هنا يظهر منه أنهم آمنوا بعد السجود، ولكن كان الأمر يقتضى ألا يسجد أحد إلا لأنه آمن، لكن نحن نعرف أن الإيمان عمل قلبى، والسجود عمل عضلى وسلوك عملى، فكل منهم آمن بقلبه فسجد.

وهناك فرق بين أن يؤمنوا فيسجدوا ثم يعلنوا إيمانهم ؛ فيقولوا : آمنا بوب العالمين ؛ لذلك نحن لا نرتب السجود على إيمان ، بل نرتب السجود مع القول بالإيمان وبإعلان الإيمان ؛ لأن إعلان الإيمان شيء ، والإيمان شيء آخر ، فكأنهم آمنوا فخروا ساجدين وبعد هذا قاموا بإعلان الإيمان ، وكأن الناس سألوهم : ما الذي جرى لكم ؟ فقالوا : ﴿ آمنا برب العالمين ﴾ .

إذن فمن يحاول أن يستدرك على النص فعليه أن يتبه إلى أن إخبارهم عن الإيمان يعنى وجود الإيمان أولاً ، والسحرة قد آمنوا فسجدوا ، فاستفرب منهم الناس هذا السجود ، وهنا قال السحرة : لا تستغربوا ولا تتعجبوا فنحن قد آمنا برب العالمين .

﴿ قَالُوٓ ا عَامَنًا بِرَبِّ الْعَلَمِينَ ﴿ ﴾

وقیل فی بعض التفاسیر: إن فرعون قال: أنا رب العالمین. لكن السحرة لم يتركوا قوله هذا فأعلنوا أن رب العالمین هو : ﴿ رب موسى وهارون ﴾ . وقال فرعون: لقد ربیت أنا موسى ، فقالوا: لكنك لم ترب هارون .

ولذلك أوضع الحق هنا أن رب العالمين هو:

﴿ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَدُرُونَ ﴿ وَ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهُ

ولأن السحرة أعلنوها واضحة بالإيمان برب العالمين رب موسى وهارون ، وكان لابد أن يغضب فرعون ، فيأتي القرآن بما جاء على لسانه :

وكأن فرعون مازال يحاول تأكيد سلطانه ، ونعلم أن بنى إسرائيل اختلطوا بالناس فى مصر ، ومنهم من تعلم السحر . ولذلك اتهم فرعون السحرة بأنهم قد اتفقوا مع موسى على هذه المسألة .

لقد كان فرعون في مأزق ويريد أن يخرج منه ؛ لأن الناس جميعاً قد شاهدوا المسألة ، وهو لا يريدهم أن يتشككوا في ألوهيته ، فينهدم الصرح الذي أقامه على الأكاذيب ؛ لذلك قال للسحرة : إن هذا لمكر مكرتموه في المدينة . . أي أنكم اتفقتم مع موسى ، وسيأتي ويقول : اتهاماً لموسى :

﴿ إِنَّهُ لُكِيرُكُ الَّذِي عَلَكُ السِّحْرَ ا

(من الآية ٧١ صورة طه)

ونتيجة لهذا المكر المتوهم بين بني إسرائيل وموسى يتوعدهم فرعون:

﴿ لَأُفَطِّعَنَّ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ ثُمَّ لَأُصَلِبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ هُ اللهِ

والوعيد ـ كما نراه ـ قاس وفظيع ، فتقطيع الأيدى والأرجل ثم الصلب كلها أمور تخيف ، فماذا يكون الرد ممن يتلقون هذا الوعيد ، وقد خالطت بشاشة الإيمان قلوبهم ؟ إنهم يقولون :

﴿ قَالُوٓ أَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ۞ ﴾

إنك قد عجلت لنا الخير لأننا سنكون في جوار ربنا ، فأنت بطيشك وحماقتك قد أسديت لنا معروفا وخيرا من حيث لا تدرى . ويزيدون في تقريع فرعون بما يجيء في القرآن على ألسنتهم :

﴿ وَمَالَنِقِمُ مِنَّا إِلَّا آَفْ ءَامَنَا بِثَايَتِ رَبِّنَا لَمَاجَآءَ ثَنَا رَبِّنَا آَفْرِغُ عَلَيْنَا صَبُرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ شَ اللهِ

ما الذي تكرهه منا لأن ﴿ تنقم ﴾ تعنى تكره ، وقولهم لفرعون : أليس الذي تكرهه منا أنّا آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا ؟ وهل الإيمان بآيات الإله حين تجيء عا يُكره ؟!! ويسمون ذلك في اللغة تأكيد المدح بما يشبه الذم ؛ كأن يقول إنسان : ماذا تكره في ؟ أصدتي ؟ أمانتي ؟ أجودي ؟ أعلمي ؟

00+00+00+00+00+0(1-1-0

كأنه يعدد أشياء يعرف كل الناس واقعاً أنها لا تُكره ، لكن الخطأ في مقاييس من يكره الصواب ، فهي أمور لا تستحق أن تُكره أو تعاب أو تُذم . لقد تيقنوا أن لقاء الله على جوار فرعون . وهذا الذي الله على الإيمان هو الخير وكلهم يفضل جوار الله على جوار فرعون . وهذا الذي يعتبره فرعون عقاباً إنما يثبت خيبته حتى في توقع العقوبة ؛ لأنه لو لم يهددهم بهذه الميتة فهم سيموثون ليرجعوا إلى الله ، وهذا أمر مقطوع به ، وكل مخلوق مصيره أن ينقلب إلى الله ، وكأنهم أبطلوا وعيد فرعون حين قال لهم :

﴿ لَأَقَطِعَنَ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلُكُمْ مِنْ خِلَافِ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿ ﴾

(سورة الأعراف)

ثم يتجهون إلى ربهم وخالقهم فيقولون : ﴿ رَبُّنَا أَفْرِغُ عَلَيْنَا صَبَّراً وتوفُّنَا مُسلِّمِينَ ﴾ .

و « الإفراغ ؛ أن ينصب شيء على شيء ليغمره ، وكأنهم يقولون : أعطنا يا رب كل الصبر ، وهم يحتاجون إلى الصبر لأن فرعون قد توعدهم بأن يقطع أيديهم وأرجلهم . ولذلك قال بعض العارفين بالله : عجبى لسحرة فرعون كانوا أول النهار كفرة سحرة وكانوا آخر النهار شهداء بررة .

ويقول سبحانه:

وَقَالَ ٱلْكَلَّأُمِن قُومِ فِرْعُونَ أَتَذَرُمُوسَىٰ وَقَوْمَهُ وَلَيْ فَوْمِ فِرْعُونَ أَتَذَرُمُوسَىٰ وَقَوْمَهُ وَلِيُفَسِدُوا فِي ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَ اللهَتَكُ قَالَ اللهُ فَاللَّهُ اللَّهُ وَلَا أَنْ أَنَّا أَهُمْ وَلِنَا فَوْقَهُمْ وَالنَّا فَالْتُولُولُولُهُمْ وَالنَّالَةُ فَا لَا لَا لَا لَا لَهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُمُ وَلَا لَهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُولُولُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ

وهكذا نعرف أن المقربين من فرعون هم أول من خافوا على سلطانهم ، ويدل

C17.0 DC+CC+CC+CC+CC+CC+C

هذا القول أيضاً على أن فرعون لم يتعرض لموسى بأى أذى ؛ لأنه مازال يعيش فى رهبة اليقين وصولة الحق مما جعله متوجساً وخائفاً من موسى ؛ لأن فرعون أول من يعلم أن مسألة ألوهيته كذب كلها ، ويعلم جيداً أن موسى على حق ، لكن إعلان انهزامه أمام الجمع ليس أمراً سهلاً على النفس البشرية ، وسأل الملاً من قوم فرعون الذين اهتز أمامهم سلطانه ومكانته ، قالوا لفرعون : أتترك موسى وقومه ليفسدوا في الأرض ؟ . أو فيما يبدو أن موسى وهارون تركا المكان بعد أن انتهيا من أمر السحرة ، ولم يقبض عليهما فرعون ؛ لذلك تساءل الملاً من قوم فرعون :

﴿ وَقَالَ ٱلْمَلَا مِن قُومٍ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكُ

وَءَالْمُثَاكَ ﴾

(من الآية ١٢٧ سورة الأعراف)

و ه يذرك ه أى يدعك ويتركك ، وكان فرعون يعتقد أن هناك آلهة علويين وآلهة سفليين ، وهو رب العالم السفلى كله . لذلك قالوا : « ويذرك وآلهتك » . وهناك قراءة أخرى « ويذرك إلاهتك أى عبادتك » . أى يتركك أنت ويترك عبادتك . ويقول فرعون : ﴿ قال سنقتل أبناءهم ونستحيى نساءهم ﴾ .

وحتى تلك اللحظة لم يتعرض فرعون لموسى ، ولا يزال خوفه من موسى يمنعه من الاقتراب أو الدنو منه أو الاتصال به ولو بكلمة ، إنه يأخذ الحذر من أن يقدم على شىء ضد موسى ، فيفاجئه موسى مفاجأة ثانية . ويقال إن الثعبان الذى ظهر ساعة ألقى موسى عصاه فتح شدقيه واتجه إلى فرعون ، فقال : كف عنى وأومن بما جئت به . وهو أمر محتمل ، لأن فرعون حتى هذه اللحظة لم يجرؤ على الاقتراب من موسى ، وجاء بخبر قتل الأبناء وسبى النساء ولم يأت بسيرة موسى .

﴿ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مَا اللَّهُ مَا وَنُسْتَحَيُّ فِسَاءَ هُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَنْهِرُونَ ﴾

(من الآية ١٢٧ سورة الأعراف) والقوى حين يملك القدرة على الضعيف لا يشد الخناق عليه شدًا ليفتك به ؟ لأنه يعرف ضعفه ، ويستطيع أن يناله في أي وقت ، لكن لوكان الخصم أمامك قويًا فأنت ترهبه بالقوة حتى يخضع لك . وهنا يقول فرعون : ﴿ وإنا فوقهم قاهرون ﴾ .

07.730+00+00+00+00+00+00

إن فرعون يؤكد لقومه أنهم مسيطرون وغالبون ، ولن يستطيع قوم موسى أن يفلتوا منهم . ويؤكد فرعون : سنقتل أبناءهم ونستحي نساءهم ؛ لأن الأبناء هم العدة ، والنساء عادة شأنهن مبنى على الحجاب ، وعلى الستر ، وفي إبقاء المرأة وقتل الرجل إذلال للرجال ؛ لأن التعب سيكون من نصيب النساء . ولذلك كان العرب حين يغيرون على عدو ، يصحبون نساءهم لمتزيد الحمية ولا يخور ولا يجبن واحد وتراه زوجه أو أخته أو ابنته وهو على هذا الحال ، وكذلك كان العرب يخافون الانهزام حتى لا يمسك العدو نساءهم ويأخذهن سبايا .

وهنا يؤكد فرعون إصراره على إذلال قوم موسى بأن يعيد قتل الأبناء ، وأن يستحيى النساء ، وكان الفرعون يفعل مثل ذلك الأمر من قبل ، والسبب فى ذلك أن بنى إسرائيل كانوا يساعدون ملوك الهكسوس ، وبعد أن طرد الفراعنة الهكسوس ، اتجهوا إلى إيذاء بنى إسرائيل الذين كانوا في صف الهكسوس ، ومن بقى من بنى إسرائيل تعرض لتقتيل الأبناء ، لكن الحق أنقذ موسى حين أوحى لأمه أن تلقيه فى اليم ليربيه فرعون . وهاهو ذا فرعون يعيد الكرة مرة أخرى بالأمر بتقتيل الأبناء وسبى النساء .

ويقول الحق بعد ذلك:

مَنْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُواْ بِاللّهِ وَاصْبِرُوٓ أَ إِنَ ٱلْأَرْضَ لِلّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاهُ مِنْ عِبَادِهِ أَ وَالْعَنِقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ شَلَا الْمُتَقِينَ مِنْ اللّهُ اللّهُ مُنْ مِنْ الْمُتَقِينَ مِنْ الْمُتَقِينَ مِنْ الْمُتَقِينَ مِنْ اللّهُ الْمُتَقِينَ مِنْ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهِ اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ الللللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ ا

ويقرر موسى الحقيقة الواضحة وهي أن الأرض ليست لفرعون ، والعاقبة لا تكون إلا للمتقين . وكأنه بهذا القول يريد أن يردهم إلى حكم التاريخ حيث تكون العاقبة دائماً للمتقين ، فإن قال فرعون : وإنا فوقهم قاهرون ، مستعلون غالبون مسلطون مسيطرون ، فإن موسى يرد على ذلك : أنا أستعين بمن هو أقوى

O17.VDO+OO+OO+OO+OO+O

منك . إن موسى عليه السلام يأمر قومه بأن يستعينوا بالله ، ويصبروا على ما ينالهم من بطش فرعون وظلمه .

ولأن قوم موسى كانوا من المستضعفين ، فإن الله وعدهم أن يؤمنهم فى الأرض ويمكن لهم فيها وهذا إخبار من الله وإخبار الله حقائق . ولكن ماذا كان موقف قوم موسى منه بعد هذا النصر العظيم لموسى ، والنصر لهم ؟ . نجد الحق سبحانه يقول :

وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوّدِكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكَ عَدُوّدِكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكَ عَدُوّدِكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكَ عَدُوّدِكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَسْظُرَكَيْفَ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَسْظُرَكَيْفَ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَسْظُرَكَيْفَ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيسَظُرَكَيْفَ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيسَظُرَكَيْفَ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيسَظُرَكَيْفَ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فَي الْأَرْضِ فَيسَظُرَكَيْفَ وَيَعْمَلُونَ فَي الْمُحْمَلُونَ فَي اللهُ الله

لقد قالوا لموسى: من قبل أن تأتينا أوذينا بأن قتلوا الأبناء واستحبوا النساء ، وبعد أن جئت هانحن أولاء نتلقى الإيذاء . كأن مجيئك لم يصنع لنا شيئاً . إذن هم نظروا للابتلاءات التي يجربها الله على خلقه ، ولم ينظروا إلى المنة والمنحة والعطاء وإلى آلاء الانتصار ، وإلى أن فرعون قد حشد كل السحرة ، وبعد ذلك هزمهم موسى ، وكان يجب أن يكون ذلك تنبيها لهم لقدر عطاءات الله ، هم يحسبون أيام البلاء ، ولم يحسبوا أيام الرخاء .

وقوله : ﴿ فينظر كيف تعملون ﴾ يدل على أنهم سوف يخونون العهود ، ويفعلون الأشياء التي لا تتناسب مع هذه المقدمات . وفي الإسلام نجد عمرو بن عبيد وقد دخل على المنصور قبل أن يكون أميراً للمؤمنين ، وكان أمامه رغيف أو رغيفان ، فقال : التمسوا رغيفاً لابن عبيد . فرد عليه العامل : لا نجد . فلما ولى المخلافة وعاش في ثراء الملك ونعمته دخل عليه ابن عبيد وقال : لقد صدق معكم

الحق يا أمير المؤمنين في قوله :

﴿ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَهِلِكَ عَدُوكُمْ وَيَسْتَخَلِفَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾

(من الآية ١٢٩ سورة الأعراف)

وقد قال موسى لقومه هذا القول بعد أن عايروه بعدم قدرته على رد العذاب عنهم . وهكذا استغبل قوم موسى أول هزيمة لفرعون أمام موسى ، وقالوا له : أوذينا من قبل أن تأتينا ، ومن بعد ما جئتنا ، أى بالتذبيح ، واستحياء النساء ، وقتل الأبناء ، فكأن مجيئك لم يفدنا شيئاً لأننا مقيمون على العذاب الذى كنا نسامه . فلا حاجة لنا بك ، ولا ضرورة في أن تكون موجوداً ؛ بدليل أن الذى حدث بعدك هو الذى حدث قبلك .

ولم يلتفتوا إلى أن الإيذاء من قبل ومن بعد لا ينشأ إلا من عدو ، فكأن موسى يرد عليهم بأن أسباب الإيذاء ستنتهى ، وأن الله سيهلك عدوكم الذى آذاكم من قبل ويؤذيكم من بعد . ولن يقتصر الأمر على هذه النعمة ؛ بل يزيدكم بأن يستخلفكم في الأرض ، ويعطيكم ملكهم ويعطيكم أرضهم . وكأن هنا أمرين : الأمر الأول سلبى : وهو إهلاك العدو ، والأمر الثاني إيجابى : وهو استخلافكم في الأرض وهذا أمر لكم ، ووعد من الله بأن تكون لكم السيادة والملك وعليكم أن تتنبهوا إلى أن نعمة الله عليكم بإهلاك عدوكم ، وباستخلافكم في الأرض لن تتؤك هكذا ، بل أنا رقيب عليكم أنظر ماذا تفعلون ، هل تستقبلون هذه النعم بالشكر وزيادة الإيمان واليقين والارتباط بالله ، أو تكفرون بهذه النعمة ؟

وحين يقول الحق سبحانه وتعالى على لسان موسى ﴿ عسى ﴾ فهى كلمة _ كما يقول علماء اللغة _ تدل على الرجاء ، ومعنى الرجاء أن ما بعدها يكون مرجو الحصول . وهناك فرق بين التمنى وبين الرجاء . فالتمنى أن تتطلب أمراً مستحيلاً أو يكون في الحصول عليه عسر ، ولكنك تريد _ فقط _ بالتمنى إشعار حبك له ، فأنت إذا قلت : ليت الشباب يعود ، فهذا أمر لا يكون ، ولكنك تعلن حبك لمرحلة الشباب . وقصارى ما يعطيه أن يعلمنا أنك تحب هذا المتمنى . لكن هل يتحقق أو لا يتحقق أو لا يتحقق . فهذه ليست واردة .

017-100+00+00+00+00+00+0

لكن و الرجاء ، شيء محبوب يوشك أن يقع ، وهكذا نعرف أن الرجاء أقوى من التمنى . وأداة التمنى و ليت ، وأداة الرجاء و عسى ، وحين يكون بعد و عسى ، ما يُرْجَى فلذلك مراحل تتفاوت بقوة أسباب الرجاء في الوقوع . فأنا مثلاً إذا قلت : عسى أن أكرمك فهذا أمر يعود إلى أنا ، لأنَّ إكرامي لك يقتضى بقائى ، وعدم تغير نفسى قبل أن أكرمك ولا يقع وعدم تغير نفسى من ناحيتك ، فمن الجائز أن تتغير نفسى قبل أن أكرمك ولا يقع إكرامي لك . هذا هو الرجاء من صاحب الأغبار ، ومادمت صاحب أغبار فقد لا أقدر على الإكرام ، أو أقدر ولكنى لم أعد أحب هذا الأمر فقد انصرفت نفسى عنه ، وهذا يفسد الرجاء ويقلل الأمل في حصوله . فإذا قلت لإنسان : عسى أن يكرمك فلان وهو مساويه ، فهذا أمر مستبعد قليلاً ؛ لأن من يقول ذلك لايملك أن يقوم فلان بإكرام المساوى له ، لأنه صاحب أغيار .

لكن إذا قلت: عسى الله أن يكرمك فهذه أقوى ، لأن ربنا لا يعجزه شيء عن إكرام إنسان . وهل يقبل الله أن يجيب رجاءك ؟ هذه مسألة تحتاج إلى وقفة ، فسبحانه من ناحية القوة له مطلق القدرة فلا شيء يعطله أو يستعصى أو يتأبى عليه . فإذا ما قال الحق عن نفسه : ﴿ عسى ربّكم ﴾ فقد انتهت المسألة وتقرر الوعد وتحقق ، وهذا ما يقال عنه رجاء محقق ، إذن مراحل الرجاء هي : عسى أن أكرمك ، وعسى أن يكرمك زيد ، وعسى الله أن يكرمك ، وأقوى ألوان الرجاء أن يعد الحق بالإكرام أو بالرحمة .

﴿ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَهِلِكَ عَدُوكُمْ ﴾

(من الآية ١٢٩ سورة الأعراف)

والكلام كما نراه هو من موسى ، ولايقدر على هذه المسألة إلا الله ، فما موقع هذا من تحقيق الرجاء ؟ . نعلم أن موسى رسول أرسله الله لهداية الخلق ، وأرسله مؤيداً بالمعجزة ، فإذا كان الرسول المؤيد بالمعجزة قد أمره الله أن يبلغهم ذلك ، فيكون الرجاء منه مقبولاً : ﴿ عسى ربكم أن يهلك عدوكم ﴾ .

ومرة تكون إزالة الشيء الضار نعمة بمفردها ، أما أن يهلك الله عدوى ويعطينى المحق مكانة عدوى العالية فهذه نعمة إيجاب ، تكون بعد نعمة سلب ، ومثل هذا ما سوف يحدث يوم القيامة ؛ لأن الحق يقول :

﴿ فَنَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأَدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ﴾

(من الآية ١٨٥ سورة أل عمران)

ومجرد الزحزحة عن النار فضل ونعمة ، فمابالك بمن زُحزح عن النار وأدخل الجنة ؟ . لقد نال نعمتين . وهنا يقول الحق مبحانه : ﴿ عسى ربكم أن يهلك عدوكم ﴾ . وتلك وحدها نعمة تلبها نعمة أخرى هى : ﴿ ويستخلفكم في الأرض ﴾ . لكن ثمن هذه النعم هو أن ينظر ماذا تعملون ؟ . هل ستشكرون هذه النعم وتكونون عباداً صالحين ، أو تجحدونها وتكفرونها ؟ فالإنسان ظلوم كفار .

وكلمة « ينظر » إذا جاءت على الإنسان قُهم المراد منها أى يراك بناظره . وإذا أسندت الله فالأمر مختلف ، فتعالى الله أن تكون له حدقة عين مثل عيوننا . لكنه مبحانه لا يجهل شيئاً لينظره ؛ لأنه هو _ سبحانه _ عالمه قبل أن يقع . ونعلم أن هناك فارقاً بين الحكم على المخلوق بعلم الخالق ، وبين الحكم على المخلوق بعمل المخلوق .

مثال ذلك نجد الأستاذ في مادة ما يعرف مستويات الطلاب الذين يدرسون على يديه . وعميد الكلية يقول له : ما رأيك ؟ فيقول فلان تلميذ يستحق النجاح بتقدير مرتفع والثاني لابد أن يرسب . الأستاذ يقول هذا الحكم بناء عن علمه بحال كل طالب . لكن إذا أرسب الأستاذ طالباً بناء على تقديره دون امتحان فالطالب الذي رسب قد يقول لأستاذه : أنت شططت في الحكم ؛ ولومكنتني من الامتحان لنجحت . وحين يقرر العميد امتحان الطالب ، ويؤدى الامتحان بالفعل ، ولكنه يرسب . هنا يتأكد للعميد أن الحكم برسوب طالب قد عرفه الأستاذ أولاً ثم تلا يرسب . هنا يتأكد للعميد أن الحكم برسوب طالب قد عرفه الأستاذ أولاً ثم تلا ذلك إخفاق الطالب في الامتحان .

إن الله سبحانه حين يقول: ﴿ فَيَنظُر كَيفَ تَعَمَلُونَ ﴾ . هو سبحانه لاينظرها ليعلمها ـ حاشا لله ـ فهو عالمها ، ولكنه لا يريد أن يحكم بعلمه على خلقه . ولكن يريد أن يحكم على خلقه بفعل خلقه ، وسبحانه عالم أزلا بكل من يهدى ومن يضل ، ولذلك خلق الجنة وخلق النار لتسع كل منهما كل الخلق ، ولم يخلق أماكن في الجنة على قدر من سوف يدخلونها فقط ، وكذلك لم يخلق أماكن في

O17/120+00+00+00+00+00+0

النار لا تسع فقط أهل النار ، بل يمكنها أن تسع كل الخلق ، ولم يحكم بعلمه في هذه المسألة ، بل يترك الحكم الأخير لواقع الأشياء مادام هناك اختيار للإنسان ، فعلى فرض أنكم جميعاً آمنتم فلكم كلكم أماكن في الجنة . وعلى فرض أنكم _ والعياذ بالله _ كفرتم فلكم أماكن في النار ، وسبحانه لن ينشىء شيئاً جديداً ، بل أعد كل شيء وانتهى الأمر .

وحين يأتى أهل الجنة ليدخلوا الجنة ، وأهل النار ليدخلوا النار سوف يكون لأهل الجنة مقاعد أخرى كانت مخصصة لمن دخلوا النار . ويعلن لأهل الجنة : أورثتموها وخذوها أنتم :

﴿ وَنُودُوا أَن يِلْكُرُ الْمِنَةُ أُورِثْتُمُومًا ﴾

(من الآية ٤٣ صورة الأعراف)

وهى ميراث من الذين كانت معدة لهم ولم يقوموا بالعمل المؤهل لامتلاكها . فإيالك أن تفهم أن نظر الله إلى خلقه ليعلم منه شيئاً لا . إنّه العليم أزلًا .

ولذلك يقول الحق سبحانه وتعالى:

﴿ وَلِيَعْلَمُ أَلَّهُ مَن يَنْصُرُورُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ ﴾

(من الآية ٢٥ صورة الحليد)

وسبحانه يعلم أزلاً ويتحقق بسلوك الناس علمهم بأفعالهم واقعاً ، وعلم الواقع هو الذي يكون حجة على الخلق . وهنا في الآية التي نحن بصددها ثلاثة شياء : أن يهلك سبحانه عدوكم ، وأن يستخلفكم في الأرض ، فينظر كيف تعملون . ونحقق فيما تحقق منهما .

وجاء سبحانه في مقدمة الإهلاك، فقال:

﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَا مَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّينَ وَنَقْصِ مِنَ

ٱلتَّمَرَّتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ١

وهكذا نرى أن الإهلاك لم يحدث دفعة واحدة ، بل على مراحل لعلهم إذا أصابتهم شدة يضرعون إلى الله .

نحن نعلم أن السنة هي العام . . أي من مدة إلى نهاية مدة مثلها ، لكنها تطلق _ أيضاً _ على الله عليه وسلم في _ أيضاً _ على الله عليه وسلم في دعائه على قومه :

واللهم اجعلها عليهم سنين كسني يوسف ه(١)

أى أن ينزل بهم سبحانه بعضاً من الجدب ليتأدبوا قليلًا .

ويقال: وأسنت القوم ، أي أصابهم قحط وجدب . إذن فالسنة المراد منها هنا القحط والجدب .

ولماذا سماها سنة ؟ لأن نعم الله متوالية كثيرة ، وابتلاءاته لحلقه بالشرّ قليلة في الكون ، وسبحانه ينعم عليهم مدة طويلة ثم يبتليهم في لحظة ، فإذا ما ابتلاهم في وقت يؤرخ به ، ويقال حدث الابتلاء سنة كذا . فيقال : سنة الجراد ، سنة حريق القاهرة ، وهكذا نجد الناس تؤرخ بالأحداث المفجعة ؛ لأن الأحداث السارة عادة تكون أكثر من الأحداث السيئة . ولذلك قلنا إن الذي يعد أيام البلاء عليه أن يقارنها بأيام الرخاء ، وعلى الواحد منا أن ينظر إلى أيام السنة التي عاشها ، إن جاء له يوم بلاء حزن نقل له : وكم مرة عشت ونعمت بالرخاء ؟ ونجد أن أيام الرخاء هي أكثر من أيام البلاء : ﴿ ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات ﴾ .

وعرفنا أن السنين _ كما قلنا _ تعنى الجدب والقحط ، أما قوله سبحانه : و ونقص من الثمرات ، فهو يدل على أن بعضاً من الثمار كان موجوداً ، أو كان الجدب

⁽١) رواه البخاري في النفسير، ومسلم في المنافقين، وأحمد ١-٢٨٠، ٤٤١

O+00+00+00+00+00+00+0

والقحط في البادية ، أما و نقص الثمرات و فكان في الحضر ، ويقال: إن النخلة الواحدة في الحضر كانت لا تطرح في السنة إلا بلحة واحدة . ولماذا هذه البلحة ؟ لأن أسباب رحمته سبحانه يجب أن تبقى في خلقه ، ولو أن النخل كله لم يطرح ولا بلحة واحدة لا نقطع نسل النخيل ؛ لذلك يُبقى الله أسباب رحمته لنا .

إننا نرى في واقعنا أنهم مهما حاولوا أن يستزرعوا فواكه بدون بذور بواسطة التقدم العلمي المعاصر، نجد ثمرة وقد شدت وفيها بذرة، لماذا؟ يقال لنا لاستبقاء النوع، فلو خرجت كل الثمار بلا بذور ثم أكلناها جميعها فكيف نزرع محصولاً جديداً؟ ولذلك قلنا من قبل إن الحق سبحانه وتعالى من رحمته بالخلق في استبقائه للنعم ومقومات الحياة لم يجعل الثمار حلوة تستساغ إلا بعد أن تنضج بذرتها، فأنت حين تفتح البطيخة إن كان بذرها أبيض تجد طعمها لا يستساغ وترميها. لكن حين يسود بذرها ويكون صالحاً لأن تعيد زراعته، هنا تكون ثمرة البطيخة ناضجة وحلوة الطعم. وبذلك يوضح لك الحق أن الثمار لن تصير مقبولة ومستساغة إلا بعد أن تنضج بذرتها لتكون صالحة لاستنباتها من جديد، وفي هذا استبقاء للرحمة، وحتى مع العاصين نجده سبحانه يستبقى الرحمة معهم.

﴿ وَلَقَدْ أَخَذُنَا عَالَ فِرْعُونَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصِ مِنَ النَّمَرُاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَ كُرُونَ ﴿ ﴾ ﴿ وَلَقَدْ أَخَذُنَا عَالَ فِرْعُونَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصِ مِنَ النَّمَرُاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَ كُرُونَ ﴿ فَ الْعَرَافَ ﴾

وقوله: ﴿ لعلهم يذكرون ﴾ يعنى أن على الإنسان أن يتذكر أنه الخليفة في الأرض وأنه غير أصيل في الكون حتى يظل العالم مستقيماً. لكن الذي يفسد العالم أن الإنسان حينما تستجيب له أسباب الحياة ، وسننها الكونية ويحرث ويبذر ويطلع الزرع ، ويشعل النار ويستخرج المياه من الأبار ينسى أن كل ذلك وأسباب ، ولا يتذكر المسبب إلا حينما تمتنع عليه الأسباب .

والمثال في حياتنا اليومية أن الإنسان منا إذا جاء ليفتح صنبور المياه في البيت فلم يجد ماء فيتجه أول ما يتجه إلى محبس المياه الذي يتحكم في مياه المنزل ويرى هل به خلل أو سدد ، وإن وجده سليماً ، يبحث هل أنبوبة وماسورة المياه الرئيسية مكسورة أو لا ؟ وإن كانت ماسورة المياه سليمة فهو يبحث عن الخلل في

آلة رفع المياه ، ويظل يبحث في الأسباب الكثيرة ، وقديماً لم تكن المياه تأتى إلا من الأبار وعندما لا يوجد في البئر ماء يقول العبد : يا رب اسقنى . والحضارة الآن أبعدتنا بالأسباب عن المسبّب .

والحق قد أخذ قوم فرعون بالسنين ونقص الثمرات لينفض أيديهم من أسبابها ، فإذا نفضت اليد من الأسباب لم يبق إلا أن يلتفتوا إلى المسبب ويقولون : ويارب ، ويقول القرآن عن الإنسان :

﴿ وَإِذَا مُسَّ الْإِنْسَانَ الضَّرُّ دَعَانًا لِجَنِّهِ } أَوْقَاعِدًا أَوْقَآمِاً ﴾

(من الآية ١٢ سورة يونس)

إذن فالإنسان يذكر المسبّب حين تمتنع عنه الأسباب ، لأنها مقومات الحياة ، فإذا امتنعت مقومات الحياة يقول الإنسان : يارب ، وهكذا كان ابتلاء الله لمقوم فرعون بأخذهم بالسنين ونقص الثمرات ليذكروا خالقهم .

ويقول الحق بعد ذلك:

والحسنة إذا أطلقت فهى الأمر الذى يأتى من وراثه الخير . ولكن الحسنة مرة تكون لك ، ومرة تُطلَب منك ، فالحسنة التي لك في ذاتك أولاً أن تكون في عافية وسلام ، ثم الحسنة في مقومات الذات ومقومات الحياة ، وهي في النبات ، والحيوان ، والخصب والثروة . والحسنة المطلوبة منك هي أيضاً لك . فسبحانه يطلب منك عمل شيء يورِّثك في الأخرة حسنة ، ولذلك يقول سبحانه :

O 1710 DO+OO+OO+OO+OCHO

﴿ وَنَ جَاءً بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْنَا لِمَا ﴾

(من الآية ١٦٠ سورة الأنعام)

وهذه هى الحسنة التي تعطى الإنسان خيراً فيما بعد . إذن فالحسنة التي في ذاتك من عافية وسلامة أو في مقومات الذات من ثمرات وحيوانات وخصب وأعشب وثراء فكلها موقوتة بزمن موقوت هو اندنيا . والحسنة الثانية غير محدودة لأن زمنها غير محدود . فأى الحسنات أرجح وأفضل بالنسبة للإنسان ؟ . إنها حسنة الآخرة .

وقيله الحق : ﴿ فإذا جاءتهم الحسنة ﴾ أي جاء لهم قدر من الخصب والثمار وغير ذلك من الرزق يقولون : « لنا هذه » أي أننا نستحقها ؛ فواحد يقول : أنا أستحقها لأننى رتبت لها وأتقنت الزراعة والحصاد مثلما قال قارون :

﴿ إِنَّ أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِندِي ﴾

(من الآية ٧٨ سورة القصص)

وأجرى عليه الحق التجربة ، قمادام يدعى أنه جاء بالمال على علم من عنده فليجهل العلم الذى عنده يحافظ له على المال أو يحافظ له على ذاته . وهم قالوا عن الحسنات التى يهبها الله لهم : « قالوا لنا هذه » أى نستحقها ، لأننا قدمنا مقدمات تعطينا هذه النتائج . وجرت العادة قديماً بأن يفيض النيل كل سنة يغمر الأرض ، ثم يبذرون الحب وينتظرون الثمار . فإن جاءت لهم سبئة مثل أخذهم الله لهم بالسنين ينسبون ذلك لموسى .

﴿ وَ إِن تُصِبْهُمْ سَيِّمَةً يَطَيْرُواْ بِمُوسَىٰ وَمَن مُعَنَّةً أَلَا إِنْمَا طَآيِرُهُمْ عِندَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكَّرُهُمْ عِندَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكَّرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾

(من الآية ١٣١ سورة الأعراف)

فإذا ما جاءتهم سيئة يطُيرون أى يتشاءمون لأن الطيرة هي النشاؤم ، وضده التفاؤل ، ويقال : ﴿ فلان طائره نحس » ، و « فلان طائره يمن وسعد » . وقديماً حينما كانوا يريدون طلب مسألة ما ، يأتون بطير ويضعه صاحب المسألة على يده ويزجره ويثيره ، فإن طار يميناً فهذا فأل حسن ، وإن طار يساراً فهذا فأل سيى » ،

OC173 D+00+00+00+00+C(17170)

والحق هنا يوضح : لا تظلموا موسى ، لأن شؤمكم أو حظكم السبىء ليس من موسى ؛ لأن موسى لا يملك في كون الله شيئاً ، وإنما المالك للكون هو رب موسى ، وكأن الحق يريدهم أيضاً ألا يفتنوا في موسى إن صنع شيئاً يأتى لهم بخير ، وهنا يقول لهم لا تتطيروا بموسى ، لأن طائركم من عند الله .

ولأن أحداث الحياة صنفان: حدث لك فيه مدخل، مثل التلميذ الذي لم يذاكر ويرسب، أو إنسان لا يحسن قيادة سيارته فقادها فعطبت به أو إصاب أحداً إصابة خطيرة. وهنا لا غريم لهذا الإنسان، بل هو غريم نفسه. وهناك شيء يقع عليك، واسمه حدث قهرى، فالإنسان في الأحداث بين أمرين اثنين: إما مصيبة دخلت عليه من ذات نفسه لتقصيره في شيء. وإمّا أحداث قدرية تنزل بالإنسان ونقول إنها من عند الله لحكمة لا يعرفها الإنسان؛ لأن الإنسان ينظر إلى سطحيات الأشياء، وإلى عاجل الأمر فيها، ولكنه لا ينظر إلى عاقبة الأمر. ولهذا تحدث له بعض من الأحداث ليس له فيها مدخل.

مثال ذلك : أن يكون للإنسان ابن نجيب وذكى وترتيبه دائماً من العشرة الأوائل ، ثم جاء في ليلة الامتحان أو في يوم الامتحان وأصابه صداع جعله لا يعرف كيف يجيب عن أسئلة الامتحان ورسب ، وهذه مصيبة ليس له مدخل فيها .

وعادة ما يحزن الناس من مثل هذه المصائب لكن المؤمن يقول: إن الولد لم يقصر، وهذا أمر جاء من الله، وسبحانه منزه عن العبث، بل حكيم ولابد أن له حكمة في مثل هذه الأمور. وبعد مدة تتبين الحكمة، فلو كان الولد قد نجع لأصابته عين الحسود. وحدث له ما يكره، فكأن الله يصنع له تميمة يحميه بها من الحسد. وقديماً حين كانوا يصنعون للطفل الجميل ه فاسوخة ه، ولا يهتمون بنظافته ولا بملابسه، لماذا ؟ يقال حتى لا تتجه إليه عين العائن الحاسد.

وأقول: وما الذي يدريك أن الله سبحانه وتعالى صنع الحادث الطارى، ليرد عنه العين ، ويُسكت الناس عنه ؟ وما الذي يدريك أن الله أراد له أن يرسب هذا العام لأنه لم يكن يستطيع الحصول على المجموع الذي يدخله الكلية التي يريدها ، ثم يستذكر في العام التالي وتكون المذاكرة سهلة بالنسبة له ، ونقول له : احمد ربك

0171V20+00+00+00+00+0

على أنك لم تنجع في العام السابق وأن الله أراد بك خيراً . . لتبذل جهداً وتنجع وتنال المجموع الذي أردته لنفسك .

إذن فالمقادير التي تجرى على الناس بدون دخل لهم فيها ، فلله فيها حكمة ، وهنا يقال : ﴿ طَائْرُكُم عَنْدُ الله ﴾ ، أما إن كان للإنسان دخل فيما يجرى له فيقال : طائرك من عندك أنت وشؤمك من نفسك وعصيانك .

﴿ فَإِذَا جَآءَتُهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَلَذِهِ مَ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيْئَةٌ يَطَيْرُواْ بِمُوسَىٰ وَمَن مُعَنَّهُ وَالْآ إِنِّمَا طَنَيْرُهُمْ عِندَ اللَّهِ وَلَنْكِنَّ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿ ﴾

(سورة الأعراف)

ألم يتطير اليهود في المدينة برسول الله صلى الله عليه وسلم حينما قالوا: قلت الأمطار وارتفعت الأسعار من شؤم مجيء هذا الرجل، ولم يتفهموا حكم الله. لقد كانوا سادة في الجزيرة ؛ لأنهم أهل علم بالكتاب وسيطروا على حركة السوق التجارية ، وتعاملوا في الربا وتجارة السلاح وكان عندهم الحصون ، والأسلحة ، وأراد الله أن يشغلهم بأخذ شيء من أسبابهم ويهد كيانهم ليلفتهم إلى أنهم خرجوا عن المنهج إلى أن هناك رسولا قد جاء بعودة إلى المنهج .

وقوله الحق : ﴿ ولكن أكثرهم لا يعلمون ﴾ يفيد أن هناك قلة تعلم . فما موقف هذه القلة ، ولماذا لم يرفضوا موقف الكثرة ؟ . كان موقفهم هو الصمت خوفاً من الطغيان ؛ لأن الطاغية أجبرهم وقهرهم وجعلهم يسكتون ولا يعترضون على باطل ، ونرى في حياتنا كثيراً من الناس يعلمون الزور ويعلمون الطغيان ولكنهم لا يتكلمون .

ويقول الحق بعد ذلك :

أى وقال قوم فرعون لموسى عليه السلام : أى شىء تأتينا به من المعجزات لتصرفنا عما نحن عليه فلن نؤمن لك ، وسموا ما جاء به موسى ، آية ، استهزاء منهم وسخرية . وكل هذه مقدمات تبرر الإهلاك الذي قال الله فيه :

عَلَىٰ مَا يُكُمُ أَن يُهِلِكُ عَدُو كُمْ لَهِ

(من الآية ١٢٩ سورة الأعراف)

وأعلنوا أن ما جاء به موسى هو سحر على الرغم من أنهم رأوا السحرة الذين برعوا في السحر وعرفوا طرائقه وبذّوا فيه سواهم قد خروا ساجدين وآمنوا ، كيف يحدث هذا والسحرة كلهم جُمعوا إلى وقت معلوم ؟ وشهد كل الناس التجربة الواقعية التي ابتعلت فيها عصا موسى كل سحر السحرة فآمنوا وسجدوا ، فكيف يتأتي لمن لا يعرفون السحر أن يتهموا موسى بالسحر ؟ وكيف يظنون أن ما يأتي به من آيات الله هو لون من السحر ؟ . إنهم يقولون كلمة « مهما ه وهي تدل على استمرارية العناد في نفوسهم مثلما يقول واحد لآخر : لقد صممت على ألا أقبل كلامك ، فيكرر الرجل : انتظر لتسمع حجتى الثانية فقد تقنعك ، فيقول : مهما كلامك ، فيكرد والجحود والتمرد ويقدمون حيثيات هذا المجعود فيقولون :

﴿ وَقَالُواْ مَهُمَا تَأْتِنَا بِهِ عِنْ ءَايَةٍ لِتُسْحَرَنَا بِهَا فَا نَعْنُ لَكَ بِمُوْمِنِينَ ١

(سورة الأغراف)

وإذا كانوا يظنون أن آيات الله التي مع موسى من السحر، فهل للمسحور إرادة مع الساحر؟. ولو كانت المسألة سحراً لسحركم وانتهى الأمر. وقلنا قديماً في الرد على الذين قالوا: إن محمدًا يسحر الناس ليؤمنوا به، قلنا إذا كان هو قد سحر الناس ليؤمنوا به، فلنا أذا كان هو قد سحر الناس ليؤمنوا به، فلماذا لم يسحركم لتؤمنوا وتنفض المسألة؟ إن بقاءكم على العناد دليل على أنه لا يملك شيئاً من أمر السحر.

وأنت ساعة تسمع كلمة و مهما و تعرف أن هناك شرطاً ، وله جواب ، ويقول العلماء : إن أصلها و مه و أى كُفّ عن أن تأتينا بأية آية فلن نصدقك . وهذا يعنى أن هناك إصراراً وعناداً على عدم الإيمان .

ويبين الحق عقابه لهم على ذلك:

会域域の17110の+のの+のの+のの+のの+の

﴿ فَأَرْسَلْنَاعَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَالْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ وَايَتِ مُفَصَّلَتِ فَٱسْتَكْبَرُواْ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ وَايَتِ مُفَصَّلَتِ فَٱسْتَكْبَرُواْ وَالضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ وَايَتِ مُفَصَلَتِ فَاسْتَكْبَرُواْ وَاللَّهُ وَاللَّهُ عَلَيْهِ اللَّهُ عَلَيْهِ اللَّهُ عَلِيمِينَ اللهُ اللهُ اللهُ عَلَيْهِ اللهُ اللهُ عَلَيْهِ اللهُ اللهُ عَلَيْهِ اللهُ اللهُ عَلَيْهِ اللهُ اللهُ عَلِيمِينَ اللهُ ال

وكلمة والطوفان وراد بها طغيان ماء ، والماء ـ كما نعلم ـ هو سبب الحياة ، وقد يجعله الله سبباً للدمار حتى لا تفهم أن المسائل بذائيتها ، بل بتوجيهات القادر عليها ، وعندما ننظر إلى الطوفان الذي أغرق من قبل قوم نوح ، ولم ينج أحد إلا من ركب مع نوح في السفينة ؛ وهنا مع قوم موسى لا توجد سفينة ، لأن الله يويد أن يؤكد لهم العقاب على طغيانهم . وإذا كان الطوفان قد أصاب آل فرعون ومعهم بنو إسرائيل لدرجة أن الواحد منهم كانت المياه تبلغ التراقي فيبقي واقفاً لأنه لو جلس يموت ، ويظل هكذا ، وأمطرت عليهم السماء سبعة أيام ، لا يعرفون فيه الليل من النهار ويرون أمامهم بيوت بني إسرائيل لا تنمسها الميه ، وهذه معجزة واضحة ، لقد عم الطوفان وأراد الحق أن ينجي بني إسرائيل منه دون حيلة منهم حتى لا يقال آية كونية جاءت على هيئة طوفان وانتهت المسألة ، لكن الطوفان جاء لبيوتهم ولم يلمس بني إسرائيل .

وقال الرواة : إن الطوفان دخل على فرعون حتى صرخ واستنجد بموسى ، وقال له : كف عنا هذا ونؤمن بما جئت به ، ودعا موسى ربه فكف عنهم الطوفان . لكنهم عادوا إلى الكفر .

وجعل الله من آياته لمحات ، وإشارات ، بدأت بالطوفان ، وحين يوضح ربنا : أنا عذبت بالطوفان قوم نوح ، وقوم فرعون ، فهو يعطينا ملامح تشعرنا بصدق القضية ، فيهبط السيل في أي بلد ويهدم الديار ويغرق الزرع والحيوانات ، لنرى صورة كونية ، وكذلك الجراد يرسله الله على فترات فيهبط في أي وقت من الأرقات ، ونقيم الحملات لمكافحته ، وهذا دليل على صدق الأشياء التي حكى الله عنها ، فلو لم يوجد جراد ولا طوفان لكنا عرضة ألا نصدق . وابتلاهم الله بالقمل كذلك .

00+00+00+00+00+0

« والقُمُّل » هو غير القَمْل . فالقَمْل هو الآفة التي تصيب الإنسان في بدنه وثيابه وتنشأ من قذارة الثياب ، أما القُمُّل فقيل هو السوس الذي يصيب الحبوب ، ومفردها قُمُّلة ، وقيل هو ما نسميه بالقراد ، وقيل هو الحشرات التي تهلك النبات والحرث ، وحين نراه نفزع ونبحث عن تخليص الزرع منه باليد والمبيدات ، وكل ذلك من تنبيهات الحق للخلق ، وهي مجرد تنبيه وإرشاد ولَفْتُ للالتفات إلى الحق .

وكذلك يرسل الله عليهم « الضفادع » ، وعندما يضع أى إنسان منهم يده فى شىء يجد فيها الضفادع ؛ فإناء الطعام يرفع عنه الغطاء فترى فيه الضفادع ، والمياه التى يشربها يجد فيها الضفادع !! وإن فتح فمه تدخل ضفدعة فى الفم !! . فهى آية ومعجزة ، وكذلك « الدم » ، فكان كل شىء ينقلب لهم دماً .

ويقال: إن امرأة من قوم فرعون أرادت أن تشرب ماء ، فذهبت إلى امرأة من بنى إسرائيل وقالت لها : خذى الماء في فمك ومُجيه في فمى ، كأنها تريد أن تحتال على ربنا وتأخذ مياها من غير دم ، فينتقل من فم الإسرائيلية وهو ماء ، فإذا ما دخل فم المرأة التي هي من قوم فرعون صار دماً .

﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطَّوْفَانَ وَالْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلذَّمَ وَآيَٰتِ مُفَصَّلَتِ ﴾

وقوله سبحانه: ﴿ مفصلات ﴾ أى لم يأت بها جل وعلا كلها مجتمعة مع بعضها البعض لتفزعهم دفعة واحدة وتختبرهم أيعلنون الإيمان أم لا ؟ بل جاء سبحانه بكل آية مفصلة عن الأخرى ؛ فلا توجد آية مع آية أخرى في وقت واحد ، أو جاء بها علامات واضحات فيها مواعظ وعبر ، مما يدل على موالاة الإنذارات للرغبة في أن يَذْكروا ، وأن يرتدعوا ، فلو اذكروا وارتدعوا من آية واحدة يكف عنهم سبحانه البأس .

وأرسل سبحانه الآيات وهي : طوفان ، جراد ، قمل ، ضفادع ، دم ، هذه آيات خمس في هذه الآية التي نحن بصدد خواطرنا عنها ، ومن قبل قال الحق إنه

017100+00+00+00+00+00+0

اخذههم بالسنين ، وكذلك نقص الثمرات ، فأصبحت الأيات سبعاً ، ومن قبل كانت عصا موسى التى تلقف ما صنعه السحرة فصارت ثمانى آيات ، وكذلك و اليد البيضاء » التى أراها موسى لفرعون وملئه فيصبح العدد تسع آيات ، إذن فالآيات بترتيبها هى : العصا ، واليد ، والأخذ بالسنين ، ونقص الثمرات ، والطوفان ، والجراد ، والقمل ، والضفادع ، والدم .

والآيات المفصلات . . هي عجائب ؛ كل منها عجيبة يسلطها الله على مَن يريد إذلاله ، ويبتلي الله بها نوعا من الناس ولا يبتلي بها قوماً آخرين . فماذا كان موقفهم من الآيات العجائب ؟ نجد الحق يذيل الآية : ﴿ فاستكبروا وكانوا قوماً مجرمين ﴾ . إنهم لم يؤمنوا ، بل تكبروا وأجرموا في حق أنفسهم وقطعوا ما بينهم وبين الإيمان .

ويقول الحق بعد ذلك:

هم إذن بعد أن استكبروا وكانوا قوماً مجرمين ، وتوالت عليهم الأحداث ، والرجز هو الأمور المفزعة وما نزل بهم من العذاب ، وهنا ذهبوا إلى موسى ليسألوه أن يدعو الله ليكشف ويرفع عنهم ما نزل بهم من العقاب . إذن فهم آمنوا بأن موسى مرسل من رب ، وهم قد فهموا أن الرجز الذي عاشوا فيه لن يرتفع إلا من ذلك الرب . وهذا ينقض ربوبية إلههم فرعون ، لأنه لوكانت ربوبية فرعون في عقيدتهم لذهبوا إليه ولم يذهبوا إلى عدوهم موسى ليسألوه أن يدعو لهم الله . ومن هنا ناخذ أكثر من قضية عقدية هي أولاً : أن ألوهية فرعون باطلة ، وثانياً : أن موسى مقبول الدعاء عند ربه ، وثالثاً : أنه إن لم يكشف ربه هذا العذاب فسيستمر هذا العذاب ، وكل هذه مقدمات تعطى الإيمان بالله .

﴿ قَالُواْ يَنْمُوسَى آدْعُ لَنَا رَبُّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ لَهِن كَشَفْتَ عَنَا ٱلْرِجْزَ لَنُوْمِنَنَ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَ مَعَكَ بَنِيّ إِسْرَ وَيلَ ﴾

(من الآية ١٣٤ سورة الأهراف)

أى ادع ربّك بما أعطاك الله من العهد أن ينصرك لأنك رسوله المؤيّد بمعجزاته وهو لن يتخلى عنك . ادع الله أن يرفع عنا العذاب والله لئن رفعت وكشفت عنا ما نحن فيه من العذاب لنؤمنن بك ولنصدقن ماجئت به ولنرسلن ونطلقن معك بنى إسرائيل ، وقد كانوا يستخدمونهم في أحط وأرذل الأعمال ، ولكنهم في كل مرة بعد أن يكشف الحق عنهم العذاب يعودون إلى نقض العهد بدليل قوله سبحانه عنهم :

﴿ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلرِّجْزَ إِلَىٰ أَجَلِ هُمُ الرِّجْزَ إِلَىٰ أَجَلِ هُم بَلِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُنُونَ ﴿ اللَّهُ اللَّا اللَّهُ اللّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّا اللَّهُ اللَّهُ اللَّلَّ اللَّا اللَّهُ

فكأن لهم مع كل آية نقضاً للعهد ، وانظر الفرق بين العبارتين : بين قوله الحق : ﴿ فلما كشفنا عنهم الرجز إلى أجل هم بالغوه إذا هم ينكثون ﴾ وبين قوله السابق : و ادع لنا ربك بما عهد عندك لأن كشفت عنا الرجز ﴾ ، فمن إذن يكشف الرجز ؟ إن الكشف هنا منسوب إلى الله ، وكل كشف للرجز له مدة يعرفها الحق ، فهو القائل : ﴿ إلى أجل هم بالغوه إذا هم ينكثون ﴾ .

والنكث هو نقض العهد,

ويتابع سبحانه :

﴿ فَأَنْفَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَهُمْ فِي ٱلْيَدِ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِعَايَلِينَ مِنْ الْمُعْمَلِينَ مِنْ الْمُؤْمَنَا عَنْهَا غَنِيلِينَ مِنْ اللَّهِ

01717D0+00+00+00+00+0

ويوضح هنا سبحانه أنه مادام قد أخذهم بالعقاب في ذواتهم ، وفي مقومات حياتهم ، وفي معكرات صفوهم لم يبق إلا أن يهلكوا ؛ لأنه لا فائدة منهم ؛ لذلك جاء الأمر بإغراقهم ، لا عن جبروت قدرة ، بل عن عدالة تقدير ؛ لأنهم كذبوا بالأيات وأقاموا على كفرهم . ويلاحظ هنا أن أهم ما في القضية وهو الإغراق قد ذكر على هيئة الإيجاز ، وهو الحادث الذي جاء في سورة أخرى بالتفصيل ، فالحق سبحانه يقول :

﴿ وَأُوحَيْنَا إِلَى مُومَى أَنْ أُسْرِيعِبَادِى إِنَّكُمْ مُتَبِّعُونَ ١٠٠٠

(سورة الشعراء)

ولم يأت الحق هنا بتفاصيل قصة الإغراق ؛ لأن كل آية في الفرآن تعالج موقفاً ، وتعالج لقطة من اللقطات ؛ لأن القصة تأتي بإجمال في موضع وبإطناب في موضع آخر ، وهنا يأتي موقف الإغراق بإجمال : ﴿ فَانْتَقْمَنَا مِنْهُمَ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فَي اللِّمِ ﴾ .

وكلمة « فأغرقناهم » لها قصة طويلة معروفة ومعروضة عرضاً آخر في سورة أخرى ، قحين خرج موسى وينو إسرائيل من مصر خرج وراءهم فرعون ، وحين رأى بنو إسرائيل ذلك قالوا بمنطق الأحداث : ﴿ إنا لمدركون ﴾ . مدركون من فرعون وقومه لأن أمامهم البحر وليس عندهم وسيلة لركوب البحر . لكن موسى المرسل من الله علم أن الله لن يخذله ؟ لأنه يريد أن يتم نعمة الهداية على يديه ، كان موسى عليه السلام ممتلئاً باليقين والثقة لذلك قال بملء فيه :

﴿ كُلَّا إِنْ مَنِي رَبِي سَيْدِينِ ﴾

(من الآية ٦١ سورة الشعراء)

هو يقول: «كلا» أى أن يدركوكم لا بأسبابه ، بل بأسباب من أرسله بدليل أنه جاء بحيثيتها معها وقال: ﴿ إِنْ معى ربى سيهدين ﴾ . لقد تكلم بمنطق المؤمن الذى أوى إلى ركن شديد ، وأن المسائل لا يمكن أن تنتهى عند هذا الوضع ؛ لأنه ثم يؤد المهمة بكاملها ، لذلك قال: «كلا» بمل عنه ، مع أن الأسباب مقطوع بها . فالبحر أمامهم والعدو من خلفهم ، وأتبع ذلك بقوله: ﴿ إِنْ معى ربى

00+00+00+00+00+00+0

ميهدين » بالحفظ والنصرة . . أى أن الأسباب التي سبق أن أرسلها معى الله فوق نطاق أسباب البشر ، فالعصا سبق أن نصره الله بها على السحرة ، وهي العصا نفسها التي أوحى له سبحانه باستعمالها في هذه الحالة العصيبة قائلاً له :

﴿ أَضْرِب بِعَصَاكَ ٱلْبَعْرَ ﴾

(من الآية ٦٣ سورة الشعراء)

ونعرف أن البحر وعاء للماء ، وأول قانون للماء هو السيولة التي تعينه على الاستطراق ، ولو لم يكن الماء سائلاً ، وبه جمود وغلظة لصار قطعاً غير متساوية ، ولكن الذي يعينه على الاستطراق هو حالة السيولة ، ولذلك حين نريد أن نضبط دقة استواء أي سطح نلجاً إلى ميزان الماء .

وقال الحق سبحانه لموسى عليه السلام:

﴿ أَضْرِب بِمَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ﴾

(من الآية ٦٣ صورة الشعراء)

وحين ضرب موسى بعصاه البحر امتنع عن الماء قانون السيولة وفقد قانون الاستطراق ، ويصور الله هذا الأمر لنا تصويرا دقيقاً فيقول : ﴿ فكان كل فرق كالطود العظيم ﴾ ، أى صار كل جزء منه كالطود وهو الجبل ، ونجد في الجبل الصلابة ، وهكذا فقد الماء السيولة وصار كل فرق كالجبل الواقف ، ولا يقدر على ذلك إلا الخالق ، لأن السيولة والاستطراق منة كونية ، والذي خلق هذه السنة الكونية هو الذي يستطيع أن يبطلها . وحين سار موسى وقومه في اليابس ، وقطع الجميع الطريق الموجود في البحر سار خلفهم فرعون وجنوده وأراد موسى ان يضرب البحر بعصاه ليعود إلى السيولة وإلى الاستطراق حتى لا يتبعه فرعون وجنوده ، وهذا تفكير بشرى أيضاً ، ويأتي لموسى أمر من الله :

﴿ وَالرَّكِ الْمِحْرِ رَهُوا ﴾

(من الآية ٢٤ سورة الدخان)

أى اترك البحر ساكناً على هيئته التي هو عليها ليدخله فرعون وقومه ، إنه سبحانه لا يريد للماء أن يعود إلى السيولة والاستطراق حتى يُغرى الطريق اليابس

O1770 DO+OO+OO+OO+OO+O

فرعون وقومه فيأتوا وراءكم ليلحقوا بكم ، فإذا ما دخلوا واستوعبهم اليابس ؛ أعدنا ميولة الماء واستطراقه فيغرقون ؛ ليثبت الحق أنه ينجى ويهلك بالشيء الواحد ، وكل ذلك يجمله الحق هنا في قوله : ﴿ فانتقمنا منهم فأغرقناهم في اليم ﴾ . وو اليم ، هو المكان الذي يوجد به مياه عميقة ، ويطلق مرة على المالح ، ومرة على العذب ، فمثلًا في قصة أم موسى ، يقول الحق :

﴿ وَأُوْحَيْنَا إِلَّا أُمِّ مُومَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي ٱلْيَمْ ﴾

(من الأبة ٧ سورة القصص)

وكان المقصود باليم هناك النيل ، لكن المقصود به هنا في سورة الأعراف هو البحر . ويأتى سبب الإغراق في قوله : ﴿ بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين ﴾ .

كيف إذن يعذبهم ويغرقهم نتيجة الغفلة ، ونعلم أن الغفلة ليس عليها حساب ؟ بدليل أن الصائم قد يغفل ويأكل ويصح صيامه . ويقال إن ربنا أعطى له وجبة تغذيه بالطعام وحسب له الصيام لأنه غافل . لكن هنا يختنف أمر الغفلة ؛ فالمراد بد و غافلين ، هنا أنهم كانوا قد كذبوا بآيات الله ثم أعرضوا إعراضاً لا يكون إلا عن غافل عن الله وعن منهجه ، ولو أنهم كانوا عباداً مستحضرين لمنهج الله لما صح أن يغفلوا ، وهذا القول يحقق ما سبق أن قاله سبحانه :

﴿ عَسَىٰ رَبُّكُو أَن يُهْلِكَ عَدُوكُمْ ﴾

(من الآية ١٢٩ سورة الأعراف)

ثم يأتي بعد ذلك القول الذي يحقق ما سبق أن قاله سبحانه:

﴿ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾

(من الآية ١٢٩ سورة الأعراف)

ويقول الحق تأكيداً لذلك:

﴿ وَأَوْرَثُنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَعَفُونَ

مَشَكْرِفَ ٱلْأَرْضِ وَمَعَكَدِبَهَا ٱلَّتِي بَكْرُكُنَا فِيهَا وَتَمَّتُ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَى عَلَى بَنِيَ إِسْرَةٍ بِلَ وِمَاصَبُرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصَّنَعُ فِرْعَوْنَ وِمَاصَبُرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصَّنَعُ فِرْعَوْنَ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ ﴿ يَصَّنَعُ فِرْعَوْنَ ﴾ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ ﴿ يَصَّنَعُ فِرْعَوْنَ ﴾

أى صارت مصر والشام تحت إمرة بنى إسرائيل ، وهي الأرض التي باركها الله ، بالخصب ، وبالنماء ، بالزروع ، بالثمار ، بالحيوانات ، وبكل شيء من مقومات الحياة ، وترف الحياة : ﴿ وتمت كلمت ربك الحسني على بنى إسرائيل بما صبروا ﴾ .

﴿ وتمت كلمة ربك ﴾ أى استمرت عليهم الكلمة وتم وعد الله الصادق بالتمكين لبنى إسرائيل فى الأرض ونصره إياهم على عدوهم ، واكتملت النعمة ؛ لأن الله أهلك عدوهم وأورثهم الأرض ، وتحققت كلمته سبحانه التى جاءت على لسان موسى :

﴿ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾

(من الآية ١٢٩ صورة الأعراف)

هكذا تمت كلمة الله بقوله سبحانه:

﴿ وَأُوْرَثْنَا ٱلْقُومَ ٱلَّذِينَ كَانُواْ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقٌ ٱلْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا ﴾

(من الآية ١٣٧ سورة الأعراف)

ونعلم أن كلمة ومشارق ومغارب و تقال بالنسبيات ، فليس هناك مكان اسمه مشرق وأخر اسمه مغرب ، لكن هذه اتجاهات نسبية ؛ فيقال هذا مشرق بالنسبة لمكان ما ، وكذلك يقال له و مغرب و بالنسبة لمكان آخر . وحين ينتقل الإنسان إلى مكان آخر يوجد مشرق آخر ومغرب آخر . وعلى سبيل المثال نجد من يسكن في الهند واليابان يعلمون أن منطقة الشرق الأوسط بالنسبة لهم مغرب ، ومن

شِينَ الْأَغَالَيْكَ الْمُعَالِينَا الْمُعَالِينَا

O:111/00+00+00+00+00+0

يسكنون أوربا يعرفون أن الشرق الأوسط بالنسبة لهم مشرق.

وقلنا من قبل: إن المحق حين جاء (بالمشرق والمغرب) بصيغة الجمع كما هنا فذلك إنما يدل على أن لكل مكان مشرقاً ، ولكل مكان مغرباً ؛ فإذا غربت الشمس في مكان فهي تشرق في مكان آخر . وفي رمضان نجد الشمس تغرب في القاهرة قبل الإسكندرية بدقائق ،

ونعلم أن سبب هذه الدورة إنما هو ليبقى ذكر الله بكل مطلوبات الله فى كل أوقات الله ، مثال ذلك حين نصلى نحن صلاة الفجر نجد أناساً يصلون فى اللحظة نفسها صلاة الظهر ، ونجد آخرين يصلون صلاة العصر ، وقوماً غيرهم يصلون صلاة المغرب ، وغيرهم يصلى صلاة العشاء . وبذلك تحقق إرادة الله فى أن هناك عبادة فى كل وقت وفى كل لحظة ، فحين يؤذن مسلم قائلاً والله أكبر علينادى لصلاة الفجر ، هناك مسلم آخر يقول : والله أكبر ، مناديًا لصلاة الظهر أو المعرب أو العشاء ، وهذا هو الاختلاف فى المطالع أراد به سبحانه أن يظل اسمه مذكوراً على كل لسان فى كل مكان لتعلو والله أكبر ، الله أكبر ، فى كل مكان .

وأنت إذا حسبت الزمن بأقل من الثانية تجد أن كون الله لا يخلو من و لا إله إلا الله ؟ أبداً : ﴿ وَتَمَتَ كُلُمَةُ رَبِكُ الْحَسَنَى ﴾ . ونعلم أن كلمة و البحسنى ۽ وصف للمؤنث ، و و كلمة ۽ مؤنثة ، والكلمة هي قول الحق :

﴿ وَرُيدُ أَن تَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَتَجْعَلَهُمْ أَيَّمُ وَتَجْعَلُهُمْ

الورثين ١

(صورة التعبص)

لقد قال الحق القصة بإيجاز ، وهذه هي التي قالها ربنا وهي كلمة والحسني الأنه سبحانه لم يعط لهم نعمة معاصرة لنعمة العدو ، بل نعمة على أنقاض العدو ، فهي نعمة تضم إهلاك عدوهم ، ثم أعطاهم بعد ذلك أن جعلهم أثمة وهداة : وورثهم الأرض : ﴿ وتمت كلمة ربك الحسني على بني إسرائيل بما صبروا ﴾ . وهم بالفعل قد صبروا على الإيذاء الذي نالوه وذكره سبحانه من قبل حين قال :

﴿ يَسُومُونَكُمْ سُوةَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ ﴾

(من الآية ٤٩ سورة البقرة)

وجاء عقاب الله لقوم فرعون :

﴿ وَدَمَّرْنَا مَا كَانًا يَصْنَعُ فِرعُونُ وَقُومُهُم وَمَا كَانُواْ يَعْرِشُونَ ﴾

(من الآية ١٣٧ سورة الأعراف)

والتدمير هو أن تدك شيئاً وتخربه ، وقد ظل ما فعله الله بقوم فرعون باقيًا في الأثار التي تدلك على عظمة ما فعلوا ، وتجد العلماء في كل يوم يكتشفون تحت الأرض آثاراً كثيرة . ومن العجيب أن كل كشوف الآثار تكون تحت الأرض ، ولا يوجد كشف أثرى جاء من فوق الأرض أبداً .

وكلمة و دمرنا و تدل على أن الأشياء المدمرة كانت عالية الارتفاع ثم جاءت عوامل التعرية لتغطيها ، ويبقى الله شواهد منها لتعطينا نوع ما عمروا ؛ كالأهرام مثلاً . وكل يوم نكتشف آثاراً جديدة موجودة تحت الأرض مثلما اكتشفنا مدينة طيبة في وادى الملوك ، وكانت مغطاة بالتراب بفعل عوامل التعرية التي تنقل الرمال من مكان إلى مكان . وأنت إن غبت عن بيتك شهراً ومع أنك تغلق الأبواب والشبابيك قبل السفر ؛ ثم تعود فتجد التراب يغطى جميع المنزل والأثاث ؛ كل ذلك بفعل عوامل التعرية التي تنفذ من أدق الفتحات ، ولذلك لو نظرت إلى القرى القديمة قبل أن تنشأ عمليات الرصف التي تثبت الأرض نجد طرقات القرية التي تقود إلى البيوت ترتفع مع الزمن شيئاً فشيئاً وكل بيت تنزل له قليلاً ، وكل فترة يردمون أرضية البيوت لتعلو ، وكل ذلك من عوامل التعرية التي تزيد من ارتفاع أرضية الشوارع . البيوت لتعلو ، وكل ذلك من عوامل التعرية التي تزيد من ارتفاع أرضية الشوارع . وكل آثار الدنيا لا تكتشف إلا بالتنقيب ، إذن فكلمة و دمرنا و لها سند . والحق وكل آثار الدنيا لا تكتشف إلا بالتنقيب ، إذن فكلمة و دمرنا و لها سند . والحق وكل آثار الدنيا عن أبنية فرعون :

﴿ وَفِرْعَوْنَ ذِي ٱلْأُوْتَادِ ٢

(سورة الفجر)

ونجد الهرم مثلاً كشاهد على قرة البناء ، وإلى الآن لم يكتشف أحد كيف تم بناء الهرم . وكيف تتماسك صخوره دون مادة كالأسمنت مثلاً ، بل يقال : إن بناء

الهرم قد تم بأسلوب تفريغ الهواء ، ولا أحد يعرف كيف نقل المصريون الصخرة الني علي قمة الهرم . إذن فقد كانوا على علم واسع . وإذا ما نظرنا إلى هذا العلم عمارة وآثاراً وتحنيطاً لجثث القدماء ، إذا نظرت إلى كل هذا وعلمت أن القائمين به كانوا من الكهنة المنسوبين للدين ، لتأكدنا أن أسرار هذه المسائل كلها كانت عند رجال الدين ، وأصل الدين من السماء ، وإن كان قد حُرِّف . وهذا يؤكد لنا أن الحق هو الذي هدى الناس من أول الخلق إلى واسع العلم .

﴿ وَأُورَثُنَا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَانُواْ يُسْنَضَعَفُونَ مُشَنِرِقَ الْأَرْضِ وَمَغَنْرِبَهَا الَّتِي بَنْرَكُمَا فِيهَا وَتَمَنَّهُ وَمُعَنْرِبَهَا الَّتِي بَنْرُكُمَا فِيها وَتَمَنْ وَكُمْرُنَ مَا كَانُواْ يَضْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ, وَمَا كَانُواْ يَعْرِشُونَ ﴿ ﴾ وَقَوْمُهُ, وَمَا كَانُواْ يَعْرِشُونَ ﴿ ﴾

(سورة الأعراف)

و « يعرشون » أى يقيمون جنات معروشات ، وقلنا من قبل : إن الزروع مرة تكون على سطح الأرض وليس لها ساق ، ومرة يكون لها ساق ، وثالثة يكون لها ساق لينة فيصنعون له عريشة أو كما نسميه نحن التكعيبة لتحمله وتحمل ثمره .

وبعد ذلك يقول الحق :

حَيْثُ وَجَنُوزُنَا بِبَنِي إِسْرَ مِيلُ ٱلْبَحْرَفَأَتُواْ عَلَى قَوْمِ يَعَكُفُونَ عَلَى آصِنَامِ لَهُمْ قَالُواْ يَنْمُوسَى ٱجْعَل لَنَا إِلَىٰهَا كَمَا لَهُمْ مَالِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجَعَلُونَ اللهُ اللَّهُ اللَّ

لقد قالوا ذلك وهم مازالوا مغمورين في نعم الله إنجاء من عدو ، واستخلافاً في الأرض ، ومع ذلك بمجرد أن طلعوا إلى البر ورأوا جماعة يعبدون صنماً طالبوا موسى أن يجعل لهم صنماً يعبدونه . لقد حسدوا من يجهلون قيمة الإيمان ويعكف تعنى أن يقيم إقامة لازمة ، ومنه الاعتكاف

فى المسجد، أى الانقطاع عن حركة الحياة خارج المسجد إلى عبادة الله فى بيته.

﴿ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامِ لَمُمَّ قَالُواْ يَنْمُومَى أَجْعَلَ لِّنَا ۚ إِلَيْهِ كَمَّا مَا لَهُ عَالَمُ اللَّهِ عَالَمُ عَالِمًا كُمَّا مُعَلِّمُ عَالِمًا كُمَّا مُعَلِّمُ عَالِمًا كُمَّا مُعَلِّمُ عَالِمًا كُمَّا مُعْلَمُ عَالِمًا كُمَّا مُعْلَمُ عَالِمًا كُمَّا مُعْلَمُ عَالِمًا كُمَّا مُعْلَمُ عَالِمًا كُمَّ عَالِمًا كُمَّ عَالِمًا كُمَّا مُعْلَمُ عَالِمًا كُمَّا مُعْلَمُ عَالِمًا كُمَّ عَالِمًا عَلَمُ عَالِمًا كُمَّ عَالِمًا كُمَّ عَلَى اللَّهُ عَلَيْكُ اللَّهُ عَلَيْكُ عَلَى عَلَيْكُ عَلَيْكُمْ عَلَيْكُ عَلَى عَلَيْكُ عَلَيْكُ عَلَيْكُ عَلَى عَلَيْكُ عَلَى عَلَيْكُ عَلَى عَلَيْكُ عَلَى عَلَيْكُ عَلَيْكُ عَلَيْكُ عَلَى عَلَيْكُ عَلَيْكُ عَلَيْكُ عَلَى عَلَيْكُ عَلَيْكُ عَلَى عَلَيْكُ عِلَى عَلَيْكُ عَلَى عَلَى عَلَيْكُ عَلَى عَلَى عَلَيْكُ عَلَى عَلَيْكُ عَلَى عَلَيْكُ عَلَى عَلَيْكُ عَلَى عَلَى عَلَيْكُ عَلَى عَلَى عَلَيْكُ عَلَى عَلَيْكُ عَلَى عَلَيْكُمْ عَلَاكُ عَلَيْكُ عِلَاكُ عَلَى عَلَى عَلَيْكُ عَلَى عَلَيْكُ عَلَى عَلَيْكُ عَلَى عَلْ

(من الآية ١٣٨ سورة الأعراف)

وهذا القول من قوم موسى هو قمة الغباء ، كأن الإله بالنسبة لهم مجهول على رغم أنه قد أسبغ عليهم من النعم الكثير ، وهذه أول خببة ، وهم يريدون أن يكون الإله مجعولاً برغم أن الإله بكمالاته وطلاقة قدرته جاعل ، ولكن عقليتهم لم تستوعب النعم الغامرة وقلوبهم مغلقة لم يعمها الإيمان . وقالوا : اجعل لنا إلها ! وأرادوا أن ينحت لهم الأصنام ، وقد يقول واحد منهم : رأس الإله كبيرة قليلاً صغرها بعض الشيء ، وأنفه غير مستقيمة فلنعدلها بالإزميل ، وقولهم : في اجعل لنا إلها ﴾ . وهذا ما يجعلنا نفهم أن عقولهم لم تستوعب حقيقة الإيمان ؛ لذلك يقول لهم موسى ! ﴿ إنكم قوم تجهلون ﴾ .

ولم يقل لهم: ولا تعلمون » بل قال: « تجهلون » لأن هناك فارقاً بين عدم العلم بالشيء ، وبين الجهل بالشيء ، فعدم العلم يعني أن الذهن قد يكون خالبًا من أى قضية ، أما و الجهل الهو يعنى أن تعلم مناقضاً للقضية ، إذن فهناك قضية يعتقدها الجاهل ولكنها غير واقعية . أما الذى لا يعلم فليس في باله قضية ، وحين تأتى له القضية يقتنع بها ، ولا يحتاج ذلك إلى عملية عقلية واحدة مثل الأمى مثلا الذى لا يعلم ، لأن ذهنه خال من قضية ، أما الذى يعلم قضية مخالفة فهو يحتاج من الرسول إلى عمليتين عقليتين : الأولى أن يخرج ما في نفسه من قضية الجهل ، والثانية أن يعطى له القضية الجديدة ، إن الذى يرهق العالم هم الجهلاء الجهل عنده ما يناقضها ويخالف الواقع .

ويقول سبحانه بعد ذلك :

﴿ إِنَّ هَنَوُلاءِ مُتَابِّرُمَّاهُمْ فِيهِ وَبَطِلٌ مَّا كَانُواْ

○ £777 D O + O O

يَعْمَلُونَ 📵 🏤

و ي مُتبرّ على هالك ومدمر ، وهنا يوضح لهم موسى أن هؤلاء الجماعة التى تعبد الأصنام ؛ وهم وأصنامهم هالكون ، وما يعملون هو باطل لأن قضايا الكون إن أردتم أن تعرفوا حقيقتها فلا بد لها من ثبوت ، والحق ثابت لا يتغير أبداً لأن له واقعا يُستقرا ، ومثال ذلك إذا حصلت حادثة بالفعل أمامنا جميعا ، ثم طلب من كل واحد على انفراد أن يقول ما رآه فلن نختلف في الوصف لأننا نستوحى واقعا ، لكن إن كانت القضية غير واقعة فكل واحد سيقولها بشكل مختلف ، ولذلك نجد من لباقة القضاء أن القاضى يحاور الشهود محاورات ليتبين ما يثبتون عليه وما يتضاربون فيه . وإن كان الشهود يستوحون حقيقة واقعة ، فلن يختلفوا في روايتهم ، ولكنهم يختلفون حين لا يتأكد أحدهم من الواقعة أو أن تكون غير حقيقية .

والمثل العربي يقول: وإن كنت كذوباً فكن ذكوراً و أي إن كذبت والعياذ بالله _ وقلت قولاً غير صادق فعليك أن تتذكر كذبتك ، وأنت لن تتذكرها لأنها أمر متخيّل وليس أمراً ثابتاً . وقد يجوز أن يأخذ غير الواقع زهوة ولمعاناً فنقول : إياك أن تغتر بهذه الزهوة لأن الحق سبحانه وتعالى يقول :

﴿ أَرْكَ مِنَ السَّمَاءَ مَا لَهُ فَسَالَتْ أُودِيهُ مِعْدَرِهَا فَاحْنَمَلَ السَّبِلُ زَبَدًا رَّابِيا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ الْبِنَفَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَنْفِعِ زَبَدٌ مِنْ لُهُ مِ كَذَالِكَ يَضْرِبُ اللهُ الْحَقِّ وَالْبَلْطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَدْهَبُ جُفَاتُهُ وَأَمَّا مَا بَنَفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ حَجَدَالِكَ يَضْرِبُ اللهُ الْأَمْقَالَ شَيْ

(سورة الرعد)

لقد شبه سبحانه الباطل بالزبد وهو ما يعلو السائل أو الماء من الرغوة والقش والمخلفات التي تعوم على سطح المياه إنه يتلاشى ويذهب، أما ما ينفع الناس فيبقى . ونحن نختبر المعادن لنعرف هل هي مغشوشة أو لا . . ونعرضها على النار ، فيطفو ما فيها من مادة غير أصيلة وما فيها من شوائب ، ويبقى في القاع المعدن الأصيل .

のの+0の+0の+0の+0の+0 1777 **の**

وهنا يقول الحق على لسان موسى:

﴿ إِنَّ مَنْوُلًا وَمُنَبِّرٌ مَّاهُمْ فِيهِ وَبَسْطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿ ﴾

(سورة الأعراف)

والأحداث إما فعل أو قول ، والقول : عملية اللسان ، والفعل : لبقية الجوارح ، وكل الأحداث ناشئة عن قول أو عن فعل ، والقول والفعل معاً هما «عمل» . ولذلك يقول الحق :

﴿ لِمَ تَقُولُونَ مَالًا تَفْعَلُونَ ﴾

(من الآية ٢ سورة الصف)

إذن فالعمل يشمل القول ، ويشمل الفعل .

وقوله الحق: ﴿ وباطل ما كانوا يعملون ﴾ إن الأصنام التي كانوا يصنعونها ويعبدونها ، كانت تقوم على أقوال وأفعال ، كأن يقولوا : ياهبل ، يا لات ، يا عزّى ، ويناجون هذه الأصنام ويطلبون منها أن تحقق لهم بعضاً من الأعمال وكانوا يقفون أمامها صاغرين أذلاء ، إذن فقد صدر منهم قول وفعل يضمهما معاً العمل .

ويتابع الحق على لسان موسى عليه السلام:

﴿ قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَاهَا وَهُوَ فَظَالَا أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَاهَا وَهُو

هم حينما قالوا لموسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة ، قال لهم أولاً : ﴿ إِنكُمُ قُومُ تَجْهَلُونَ ﴾ ، ثم قال : ﴿ إِن هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون ﴾ ، وبعد ذلك رجع إلى الدليل على أن هذا طلب جهل ، وأن الذين يعبدون الأصنام

من دون الله إنما يفعلون باطلاً ؛ فقال : ﴿ قال أغير الله أبغيكم إلها وهو فضلكم

من دون الله إنما يفعلون باطلاً ؛ فقال : ﴿ قَالَ أَغَيْرِ اللهُ أَبِغَيْكُمْ إِلَهَا وَهُو فَصَلَّكُمْ عَلَى العالمين ﴾ .

وقوله : ﴿ أغير الله ﴾ أى أن الإله الذى عرفتم بالتجربة العملية أنه فضلكم على العالمين ورأيتم ما صنع بعدوكم الذى استذلكم وسامكم سوء العذاب ، إنه قد أهلكه ودمره ، هل يمكن أن تطلبوا ربًا غيره ؟

وقوله: ﴿ قَالَ أَغِيرَ اللهُ أَبغيكم ﴾ أى أأطلب لكم إلها غيره؟ وفي سؤاله هذا استنكار لأنه يتبعه بتفضيل الله لهم على العالم ، ثم أراد أن يذكرهم بقمة التفضيل لهم فيقول سبحانه على لسان موسى:

﴿ وَإِذْ أَنِحَيْنَكُمْ مِنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوّهَ الْعَذَاتِ يُقَلِّلُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ فِسَاءً كُمْ وَفِي ذَالِكُم بَلَا يُمِن رَبِّكُمْ عَظِيدٌ ﴿ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللهِ اللهُ ا

وإذا سمعت وإذ ، فافهم أن معناها ظرف زمان يريد الحق أن نتذكر ما حدث فيه ، و وإذ ، يعنى اذكروا جيداً ولا يغب عن بالكم حين أنجاكم الله من آل فرعون يسومونكم صوء العذاب وأفظعه وأشده .

ويقول بمدها مبيناً ومفسراً ذلك العذاب : ﴿ يقتلون أبناءكم ويستحيون نساءكم ﴾ ،

ونلحظ أنه لم يأت بالعطف هنا ، فلم يقل : يسومونكم سوء العذاب ويقتلون أبناءكم ويستحيون نساءكم . مما يدل على أنه جاء بقمة سوء العذاب ؛ لأن الاحتقار ، والتسخير هما جزء من العذاب . لكن قمة العذاب هي تقتيل الأبناء ، واستحياء النساء .

وفي آية ثانية يقول سبحانه :

﴿ وَ إِذْ نَجْيَنْكُمْ مِّنْ قَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوَّةَ ٱلْعَذَابِ بُنَيْعُونَ أَبْنَا ءَكُمْ ﴾

(من الآية 14 صورة البقرة)

أَى أَنهُم تَعْرَضُوا لَلْتَقْتِيلَ ، وتَعْرَضُوا لَلْتَذْبِح ، وَفَى آيَة ثَالِثَة يَقُول : ﴿ إِذْ أَنْجَنَاكُمُ مِنْ قَالِ فِرْعُونَ يَسُومُونَكُمْ سُوَّةً ٱلْقَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبِنَآ الْحُرْ ﴾

(من الآية ٣ صورة إراهيم)

لقد جاء بـ و الواو و هنا للعطف . لأن المتكلم هنا مختلف ، فقد يكون المتكلم الله ، وسبحانه يمتن بقمة النعم . لكن : ﴿ إِذْ قال موسى لقومه الذكروا ﴾ ، فموسى يمتن بكل النعم التي ساقها الله إلى بني إسرائيل صغيرة وكبيرة .

ويذيل الحق الآية الكريمة : ﴿ وَفِي ذَلَكُمْ بِلاَّءُ مِنْ رَبِكُمْ عَظْيُمْ ﴾ .

هو بلاء شديد الإبلام والوقع لفراق من يقتل أو يذبح ، وبلاء آخر في الهم والحزن على من يستبقى من النساء لاستباحة أعراضهن وامتهانهن في الخدمة . ويقول الحق بعد ذلك :

﴿ وَاعَدْنَا مُوسَى ثُلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَهَا بِعَشْرِ فَتَمَّ مِيقَنْ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَـُرُونَ ٱخْلُفْنِي فِي قَوْمى وَأَصْلِحْ وَلَاتَنَبِعْ سَبِيلَ هَـُرُونَ ٱخْلُفْنِي فِي قَوْمى وَأَصْلِحْ وَلَاتَنَبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ اللهَ اللهِ

وعلمنا من قبل في مسألة الأعداد أن هناك أسلوبين: الأسلوب الأول إجمالي،

@ 177, DO+OO+OO+OO+OO+O

والثانى تفصيلى ؛ فمرة يتفق التفصيل مع الإجمال ، وبذلك لا توجد شبهة أو إشكال ، وسبحانه في سورة البقرة يقول :

﴿ وَإِذْ وَعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْكَةً ﴾

(من الآية ٥١ سورة البقرة)

جاء بها هناك بالإجمال . ولكنه شاء هنا في سورة الأعراف ألا يأتي بها مرة واحدة مجملة . بل فصلها بثلاثين ليلة ثم أتمّها الحق بعشر أخر لمهمة سنعرفها فيما بعد ، ليكون الميقات قد تم أربعين ليلة ، وإذا جاء العدد مجملاً مرة ، ومفصلاً مرة ، واتفق الإجمال مع التفصيل فلا إشكال . لكن إذا اختلف الإجمال عن التفصيل فعادة يُحمّل التفصيل على الإجمال ، لأن المفصل يمكن أن يتداخل ليصير إلى الإجمال .

وضوبنا من قبل المثل في خلق السماء والأرض في ستة أيام ، وكل آيات الخلق تأتى بخبر الستة الأيام وهي مجملة . لكنه شاء سبحانه في موضع آخر بالقرآن أن يقول :

﴿ قُلْ أَيْنَكُرْ لَتَكُفُرُونَ بِاللَّهِى خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ وَأَندَادًا ذَالِكَ رَبُ

الْعَالَمِينَ ﴿ وَجَعَلَ فِيهَا رَوْسِي مِن فَوْتِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدْرَ فِيهَا أَفُو عَهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدْرَ فِيهَا أَفُو عَهَا وَاللَّهِ فَا اللَّهَ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهُ اللللَّهُ اللّلْهُ الللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللللَّهُ الللللَّهُ الللَّهُ الللللَّا اللَّهُ الللللَّهُ اللللَّهُ الللللَّهُ الللللَّهُ اللللللَّا الللللَّهُ اللللللَّا الللللَّهُ اللللللَّهُ الللللللَّا الللللَّهُ الللللَّا الللللَّهُ اللللللَّا الللللللَّا الللللَّ اللّهُ الللّهُ الل

(سررة فصلت)

وظاهر الأمر هنا أن المهمة قد اكتمل أمرها وخلقها في ستة أيام ، لكنه قال جل وعلا بعدها :

﴿ ثُمُّ اَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِي دُخَانٌ فَقَالَ لَكَ وَلِلْأَرْضِ اثْتِبَا طَوَّا أَوْ كُوْمًا قَالَتَا أَنَيْنَا طَالَعِينَ فَي فَقَضَلُهُنَّ سَبْعَ مَمَنُواتٍ فِي يَوْمَنْنِ ﴾ طَآبِعِينَ ﴿ فَقَضَلُهُنَّ سَبْعَ مَمَنُواتٍ فِي يَوْمَنْنِ ﴾

(الآية ١١ وجزء من الآية ١٢ سورة فعملت) .

وهنا في موقف أيام خلق الدنيا نجد إجمالًا وتفصيلًا ، والتفصيل يصل في ظاهر

الأمر بأيام الخلق إلى ثمانية ، والإجمال يحكى أنها ستة أيام فقط .

فهل هي سنة أيام أو ثمانية أيام ؟ نقول : إنها سنة أيام لأننا نستطيع أن ندخل المفصل بعضه في بعضه ، فإذا قلت : سافرت من مصر إلى طنطا في ساعتين ، وإلى الإسكندرية في ثلاث ساعات ، فمعنى هذا القول أن الساعتين دخلتا في الثلاث الساعات : ﴿ وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر ﴾ .

والوعد هو أن الله وعد موسى بعد أن تحدث عملية إنجاء بنى إسرائيل أنه مسبحانه مينزل عليه كتاباً يجمع فيه كل المنهج المراد من خلق الله لتسير حركة حياتهم عليه ، لكن ما إن ذهب موسى لميقات ربه حتى عبدوا العجل ، في مدة الثلاثين يوماً ولم يشأ الله أن يرسل موسى بعد الثلاثين يوماً بل أتمها بعشر أخر حتى لا يعود موسى ويرى ما فعله قومه ؛ لأنه بعد أن عاد أمسك برأس أخيه يعنفه ويشتد عليه ويأخذ بلحيته يجره إليه إذ كيف سمح لبنى إسرائيل أن يعبدوا العجل . وفي ذلك يقول الحق على لسان هارون :

﴿ قَالَ بَيْنَوُمْ لَا تَأْخُلُ بِلِحْبَتِي وَلَا بِرَأْمِي ۚ إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَقْتَ بَيْنَ بَنِيَ إِمْرَ وَبَلَ وَلَا تَرْفُبْ قَوْلِي ﴿ ﴾

(صورة طه)

فكأن العشرة أيام زادوا عن الثلاثين يوماً ليعطيك الصورة الأخيرة الموجودة في سورة البقرة .

وهنا يقول الحق في سورة الأعراف:

﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَنْرُونَ ٱخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأُصْلِحْ وَلَا تَنْبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾

و و اخلفنى ، أى كن خليفة لى فيهم إلى أن أرجع وذلك فيما هو مختص بموسى من الرسالة فاستخلاف موسى لهارون ليس تكليفا لهارون بامتداد إرسال الله لموسى وهارون أنفسهما لفرعون جاء بضمير التثنية التى تجمع بين موسى وهارون ؛

﴿ إِنَّا رُسُولًا رُبِكُ ﴾

(من الآية ٤٧ سورة طه)

لأن كلا منهما رسول ، وقول الحق : ﴿ وقال موسى لأخيه هارون ﴾ فيه التحنن ، أى أننى لى بك صلة قبل أن تكون شريكاً لى فى الرسالة فأنا أخ لك وأنت أخ لى ، ومن حقى عليك أن تسمع كلامى وتخلفنى . فالأخوة مقرونة بأنك شريك معى فى الرسالة ، إذن نجد أن موسى قد قدم حيثية الأخوة ، والمشاركة فى الرسالة . وأكد موسى عليه السلام بكلمة و قومى و أنهم أعزاء عليه ، ولا يريد بهم إلا الخير الذى يريده لنفسه ، فإذا جاءكم بأمر فاعلموا أنه لصالحكم ، وإذا نهاكم نهيًا فاعلموا أن موسى هو أول من يطبقه على نفسه .

وقيل كان موسى عليه السلام قد قام بإعداد نفسه للقاء ربه ، ولابد أن يكون الإعداد بطهر وبتطهير وبتزكية النفس بصيام ، فصام ثلاثين يوماً ، وبعد ذلك أنكر رائحة فمه ، فأخذ سواكاً وتسوك به ليذهب رائحة فمه ، فأوضح الحق سبحانه له : أما علمت يا موسى أن خلوف فم الصائم أطيب عندى من ريح المسك . وما دمت قد أزلت الخلوف وأنا أريد أن تقبل على بريح المسك فزد عشرة أيام ؛ حتى تأتى كذلك . وقال بعض العلماء : إن تفصيل الأربعين إلى ثلاثين وإلى عشرة ، لأن الثلاثين يوماً هى الأيام التى عبد فيها القوم بعد موسى العجل ، فكان ولابد أن تكون هناك فترة من الفترات ؛ حتى يميز الله الخبيث من الطيب .

﴿ وَقَالَ مُومَىٰ لِأَخِيهِ هَنُرُونَ ٱخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِعْ وَلَا لَنَبِيعٌ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ ﴿ وَقَالَ مُومَىٰ لِأَخِيهِ هَنُرُونَ ٱخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِعْ وَلَا لَنَبِيعٌ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾

وهنا أمر ونهى وأصلح وهن أمر، وولا تتبع وهن نهى ، ونعرف أن كل تكاليف الحق سبحانه وتعالى محصورة في وافعل كذا و ولا تفعل كذا و ولا تفعل كذا و ولا يقول الحق للمكلّفين : وافعلوا كذا وإلا إذا كانوا صالحين للفعل ولعدم الفعل ، وإن قال لهم : ولا تفعلوا وفلا بد أن يكونوا صالحين أيضاً للفعل ولعدم الفعل ، ولذلك أوضحنا من قبل أن الله ركز كل التكليف في مسألة آدم وحواء في الجنة فقال : ﴿ وكلا منها رغداً حيث شئتما ﴾ ، وكان هذا هو الأمر . وقال : ﴿ ولا تقربا هذه الشجرة ﴾ ، وهذا نهى : ﴿ وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين ﴾ .

وكلمة و أصلح و تستلزم أن يبقى الصالح على صلاحه فلا يفسده ، وإن شاء أن يزيد فيه صلاحاً فليفعل . وقوله : ﴿ ولا تنبع سبيل المفسدين ﴾ لأنه قول موجه لنبى وهو هارون ، لا يتأتى منه الإفساد ، ولكن موسى أحلمه أنه ستقوم فتنة بعد قليل ، فكأن موسى قد ألهم أنه سيحدث إفساد ، فقصارى ما يطلبه من أخيه هارون الا يتبع سبيل المفسدين ، ولذلك سيقول هارون بعد ذلك مبرراً تركه بنى إسرائيل على عبادة العجل بعد أن بذل غاية جهده في منعهم وإنذارهم حتى قهروه واستضعفوه ولم يبق إلا أن يقتلوه .

﴿ إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَقْتَ بَيْنَ بَنِيَ إِشْرَ ءِيلَ وَلَا تَرْقُبْ قَوْلِي ﴾ ﴿ إِنِّي خَشِيبَ أَن تَقُولَ فَرَقْتَ بَيْنَ بَنِيَ إِشْرَ ءِيلَ وَلَا تَرْقُبْ قَوْلِي ﴾

ويقول الحق بعد ذلك :

﴿ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَ لِنِنَا وَكُلِّمَا أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ رَبِّ أَرِنِيَ الْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَينِي وَلَيْكِن أَنظُرْ إِلَيْكَ أَلْجَبِلِ فَإِنِ انظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَينِي وَلَيْكِن أَنظُرْ إِلَى الْجَبِلِ فَإِن الشَّقَرَّ مَكَ اللَّهُ اللْمُؤْمِلُولُ اللْمُؤْمِلُولُ اللَّهُ اللَّهُ اللْمُؤْمِلُولُ اللَّهُ اللَّهُ اللْمُؤْمِلُولُ

والميقات هو الوقت الذي يعد لعمل من الأعمال ، ونسميه وقت العمل . وغلب على أشياء في الإسلام ، كمواقيت الحج . ونحن نعلم أن كل عمل وحدث يتطلب أمرين يُظْرُف فيهما ، أي يكونان ظرفاً له ؛ فلا بد له من مكان يحدث فيه ، ومن زمان يحدث فيه كذلك ، واسمهما ظرف الزمان ، وظرف المكان . إلا أن ظرف الزمان غير قار أي غير ثابت ؛ فقد يأتي الصبح ويذهب ويأتي بعده ، الظهر ، والعصر والمغرب والعشاء . لكن ظرف المكان قار وثابت .

والمواقيت _ إذن _ إم أن يتحكم فيها الزمان ، وإما أن يتحكم فيها المكان ، وإما أن يتحكم فيها المكان والزمان معا . فإذا أخذنا المواقيت على أنها زمن كل فعل نجد فريضة « الصوم » لها زمن محدد وهو رمضان . فالذي يتحكم في الصوم هو الزمن ، فيكون ويحدث في أي مكان . وكذلك صيام عرفة يتحكم فيه أيضا الزمان لأنه صيام يوم عرفة ، ومن يجلس في أي مكان يصوم يوم عرفة ولكنه غير مطلوب من الحاج . ولكن الوقوف بعرفة يتحكم فيه المكان والزمان معا . والإحرام بالحج أو العمرة يتحكم فيه المكان وهو ما يسمى بالميقات المكاني ولكل أهل جهة ميقاتهم المكاني الذي يطلب منهم ألا يمروا عليه إلا وهم محرمون . فمرة يتحكم الزمان ، ومرة يتحكم المكان ، وثائثة يتحكمان معا .

وجاء موسى لميقاتنا المضروب له بعد أربعين ليلة .

وهل جاء موسى للميقات أو جاء في الميقات ؟ لقد جاء في الميقات ، واللام تأتى بمعنى وعنده . ونعلم أن واللام وتأتى بمعنى وعند وكثيراً في القرآن ، مثل قوله :

﴿ أَقِم الصَّاوَةَ لِدُلُوكِ النَّمْسِ إِلَى عَسَقِ الْيُسِلِ ﴾

(من الآية ٧٨ سورة الإسراء)

أى أقم الصلاة عند دلوك الشمس أي عند زوالها عن وسط وكبد السماء إلى غسق الليل . ومن الدلوك إلى الغسق نجد صلاة الظهر ثم العصر ثم المغرب ثم العشاء ، وهذه أربعة فروض ، وبقى الفرض الخامس وهو الفجر ، وقال فيه الحق :

﴿ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴾

(من الآية ٧٨ سورة الإسراه)

ولماذا بدأ بدلوك الشمس؟ وهل النهار يبدأ بالظهر أو يبدأ بالصبح؟ . إن الإسراء والمعراج كانا ليلاً ، ورسول الله جاء صباحاً إلى مكة ، وقد فرضت الصلاة في المعراج ، فكانت أول فريضة هي الظهر ، وكأن الحق يعني خذ الغاية وخذ البداية ، وكانت البداية هي صلاة الظهر والعصر والمغرب والعشاء وبقي الفجر ،

وجاء فيه : ﴿ وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهوداً ﴾ .

ثم يخص الله رسوله بالتهجد وهو قيام الليل إنه فرض على رسول الله دون غيره ، فإنه بالنسبة لسائر الأمة تطوع .

﴿ وَمِنَ ٱلَّذِلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ مَ نَافِلَةً لَّكَ عَسَى أَن يَبْعَثُكَ رَبُكَ مَفَامًا مُعُمُودًا ﴿ الْحِداء ﴾ ﴿ وَمِنَ ٱلَّذِلِ فَتَهَجَدْ بِهِ مَ نَافِلَةً لَّكَ عَسَى أَن يَبْعَثُكَ رَبُكَ مَفَامًا مُعُمُودًا ﴿ الْإسراء ﴾

ومن يتشبه برسول الله فله الثواب الجزيل والأجر العظيم ولكن هذا الأمر مرجعه إلى اختيار المسلم: ﴿ ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه ﴾ .

وهذه المسألة تحتاج إلى بحث ، وقوله سبحانه : ﴿ وكلمه ربُّه ﴾ هو قول يدل على أن كلاماً حصل من الله لموسى فكيف يحدث ذلك وسبحانه قد قال في مسألة الكلام بالنسبة للبشر كلاماً عاماً :

﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرِ أَن يُكَلِّمُهُ ٱللَّهُ إِلَا وَحْبًا أَوْمِن وَرَآي جِمَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِى بِإِذْنِهِ عَمَا يَشَاءُ كُهُ بِإِذْنِهِ عَمَا يَشَاءُ كُهُ

وفي هذا نفى أن يكلم الله البشر. إلا بالوسائل الثلاث: الوحى أو من وراء حجاب أو يرسل رسولاً ، والوحى بالنسبة للأنبياء يكون بإلقاء المعنى في قلب النبي دفعة ، مع العلم اليقيني بأن ذلك من الله عز وجل ، وقد يراد بالوحى الإلهامات ؛ مثل الوحى إلى أم موسى ، والوحى إلى الحواريين ، وكذلك إلى الملائكة ، وقد يراد بالوحى : التسخير ؛ كالوحى للأرض ، والنحل .

وبعد ذلك . . د أو من وراء حجاب » أى أن يسمع كلاماً ولا يرى متكلماً ، د أو يرسل رسولاً » هو جبريل عليه السلام . والقرآن لم ينزل إلا بطريقة واحدة ، بواسطة نزول جبريل على سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم . فما نزل القرآن بالإلهام ، وما نزل القرآن من وراء حجاب بل نزل بواسطة رسول من الله وهو جبريل وله علامات .

وهنا في كلام موسى نقول إن الكلام وقع فيه من وراء حجاب وهنا نمسك عن الخوض فيما وراء ذلك لأنه غيب لم يكشف لنا عنه ونترك الأمر فيه لله .

وقد سبق أن قلنا : إن صفات الله لا يوجد مثلها في البشر . فليس وجود الإنسان كوجود الله ، وليس غنى الإنسان كغنى الله ، وكذلك لن يكون أبداً كلامك ككلام الله ، لأن كل شيء يخص الله إنما نأخذه في إطار « ليس كمثله شيء » . وقد بين المحق سبحانه وتعالى أن كلامه لموسى تميز لموسى ، ولذلك يقول الحق :

﴿ إِنِّ أَصْطَفَيْنُكُ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَلَتِي وَبِكَلْنِينَ

(من الآية ١٤٤ سورة الأهراف)

ویجب أن نأخذ كل وصف یوجد فی البشر ، ویوجد مثله . فی وصف الله مثل د استوى » ، و د جلس » و د وجه » ، و د ید » نأخذ كل ذلك فی إطار د لیس كمثله شیء » .

﴿ وَلَمَّا جَآءً مُوسَىٰ لِمِعَلَيْنَا وَكُلَّمَهُ, رَّبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِيَ أَنظُرْ إِلَيْكَ كِه

(من الآية ١٤٣ صورة الأعراف)

وحينما خص الله موسى بميزة أن تكلم إليه ، حصل من موسى استشراق اصطفائى ، وكأنه قال لنفسه : مادام قد كلمنى فقد أقدر أن أراه ؛ لأن استطابة الأنس تمد للنفس سبل الأمل في الامتداد في الأشياء مثلما قال موسى من قبل رداً على سؤال الله :

﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَعِينِكَ يَنْمُوسَىٰ ۞﴾

(سورة طه)

كان الجواب يكفى أن يقول: وعصاء لكنه قال:

﴿ قَالَ هِي عَصَاى أَ تُوكُوا عَلَيْهَا وَأَهُ شَيِّهَا عَلَى غَنَّمِي ﴾

(من الآية ١٨ سورة طه)

قال ذلك على الرغم من أن الحق لم يسأله : ماذا تفعل بها ؟ وأراد بالكلام أن

يطيل الأنس بربه ، وكأنه عرف أنه من غير اللائق أن يكون الجواب مجرد كلمة رداً على سؤال . ولله المثل الأعلى منجد الإنسان مناحين يرى طفلاً صغيراً فهو يداعبه ويطيل الكلام معه إيناساً له . وحين وجد موسى أن الله يكلمه استشرفت نفسه أن يراه : ﴿ ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب أرنى أنظر إليك ﴾ .

لم يقل موسى: أرنى ذاتك . بل قال : ﴿ أرنى أنظر إليك ﴾ كأنه يعلم أنه بطبيعة تكوينه يعرف أنه لا يمكن أن يرى الله ، لكن إن أراه الله ، فهذا أمر بمشيئة الله وإرادته ؛ لأنه يعلم أنه غير معد لاستقبال رؤية الله ؛ لأن تكوينه لا يقوى على ذلك ، وحتى في الوحى والكلام لم يكلم ربنا الناس مباشرة ، بل لابد أن يصطفى من الملائكة رسلا ، ثم تكون مرحلة ثانية أن يصطفى من البشر رسلا ، ويبلغ الرسل الناس كلام الله ؛ لأن الصفات الكمالية العليا الخالقة لا يمكن أن يستوعبها المخلوق .

ضربنا المثل من قبل ـ وقد المثل الأعلى ـ بصناعات البشر ، وأن الإنسان حين ينام ليلا ، قد يستيقظ لأى شيء ، فإذا كانت الدنيا ظلاماً قد يحطم الأشياء التي هي أقل منه أو تحطمه الأشياء التي هي أكثر صلابة منه ؛ وإن اصطدم بشيء صغير فقد يكسره ، وإن اصطدم بدولاب أو حائط فقد ينكسر الإنسان . ولذلك ترك الإنسان في البيت شيئاً من النور الضئيل ؛ ليستفيد من سكون الليل وظلمته ، فيضع ما نسميه ، الوناسة ، قوة شمعتين أو خمس شمعات ، ولا يقدر أن يركبها على قوة التيار الموجود في المنزل ؛ لأنها تفسد فوراً ، لذلك يأتي لها بمحول يأخذ من القوى ويعطى الضعيف .

إذن إذا كانت صناعة البشر نجد فيها الضعيف الذي لا يأخذ من القوى إلا بواسطة ، فمن باب أولى أنه لا يمكن أن يتلقى خلق الله عن الله إلا بواسطة . وكانت الواسطة من البشر اصطفاء ومن الملائكة اصطفاء ، فليس كل ذلك صالحاً لهذه المسألة ، فمصطفى من الملائكة يعطى مصطفى من البشر .

وبعد ذلك يعطى المصطفى من البشر للبشر . كذلك الرؤية وسيظهر ذلك لنا حيتما يعطى الله الدليل على أنه خلقكم لا على هيئة أن تروه الآن ، ولكن حين

O+OO+OO+OO+OO+OO+O

تبرزون في الأخرة وتعدون إعداداً آخر، فمن الممكن أن تنالوا شوف رؤيته: ﴿ وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة ﴾ .

ولا يستوى الناس فى ذلك ؛ لأن المؤمن هو من ينال شرف النظر إلى الله ، أما الكافر فهو محجوب عن رؤية الحق . يقول تعالى فى شأن الكفار : ﴿ كلا إنهم عن ربهم يومثذ لمحجوبون ﴾ فلا يستوى المؤمن والكافر فى هذه الحالة ، فمادام الكافر محجوبا فالمؤمن غير محجوب ويرى ربه . وقال موسى : ﴿ رب أرنى أنظر إليك ﴾ . قال الحق : ﴿ قال ئن ترانى ﴾ .

وفى اللغة نجد أن ولن ، تأتى تأبيدية ، أى تؤيد المستقبل أى لا يحدث ولا يتحقق ما بعدها . فهل معنى ذلك أن قول الحق : ﴿ لَنْ تَرَانَى ﴾ أن موسى لن يرى الله فى الدنيا ولا فى الآخرة ؟ . ونقول : ومن قال إن زمن الآخرة هو زمن الدنيا ؟ إن هذه لها زمن وتلك لها زمن آخر :

﴿ يَوْمَ نَبُدُلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَالسَّمَوْتُ وَيُرَزُواْ لِلَّهِ ٱلْوَاحِدِ ٱلْقَهَادِ ﴾

(صورة إبراهيم)

إذن فزمن الآخرة وإعادة الخلق فيها سيكون أمراً آخر ، يكفى أن أهل الجنة سيأكلون ولن تكون لهم فضلات ، إنه خلق جديد . إن مجىء ، لن ، في قوله الحق : ﴿ لَن تَرَانَى ﴾ تأبيدها إضافى ، أي بالنسبة للدنيا ، وفيها تعليل لعدم قدرة موسى على الرؤية ، وأضاف سبحانه :

﴿ وَلَنَكِنِ النَّالَ إِلَى الْجَلِّلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّمَ كَانَهُ فَسُوفَ تَرَيْنِي فَلَسَّا تَجَلَّى رَبُهُ إِلجَبِلِ جَعَلَهُ دَكُمَّا وَنَحَرَّمُوسَىٰ صَعِقًا ﴾

(من الآية ١٤٣ سورة الأعراف)

ومبحانه هنا يعلل لموسى بعملية واقعية فأوضع: لن ترانى ولكن حتى اطمئنك أنك مخلوق بصورة لا تمكنك من رؤيتى انظر إلى الجبل، والجبل مفروض فيه الصلابة ، والقوة ، والثبات ، والتماسك ؛ فإن استقر مكانه ، يمكنك أن ترانى . إن الجبل بحكم الواقع ، وبحكم العقل ، ويحكم المنطق أقوى من

الإنسان ، وأصلب منه وأشد ، ولما تجلَّى ربه للجبل اندك . والدك هو الضغط على شيء من أعلى ليسوَّى بشيء أسفل منه . والحق هو القائل :

﴿ كُلَّةً إِذَا دُكْتِ الْأَرْضُ دُكًّا دُكًّا ١٠٠

(سورة الفجر)

وهنا في موقف موسى وحواره مع الله يتأكد لنا أن الله تجلى على خلق من خلقه ، ولكن أبقدر المتجلّى عليه على هذا التجلى أم لا يقدر ؟ . إن أقدره الله فهو يقدر ، أما إن لم يقدره الله فلن يقدر . والجبل هو الأصلب ، فلما تجلى له ربه اندك ، إذن فمن الممكن أن يتجلى الله على بعض خلقه ، ولكن المهم أيقوى المستقبل للتجلى أو لا يقوى ؟ ولم تقو طبيعة موسى على التجلى لله بدليل أن الأقرى منه لم يقو . وبعد ذلك أراد الله أن يلفتنا لفتة تصاعدية . ويبين لنا أن موسى قد صعق لرؤية المتجلّى عليه فكيف لو رأى المتجلّى ؟ !! ﴿ فلما تجلّى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا ﴾ . وبقال : خر الشيء إذا سقط من أعلى إلى أسفل ، ويقول الحق في آية قرآنية :

﴿ وَظُنَّ دَاوُرِدُ أَنَّى فَنَنْهُ فَاسْتَغَفَّرُ رَبِّهُ وَخَرَّ رَاكِمًا ﴾

(من الآية ٢٤ سورة صن)

والحق يخبرنا هنا: ﴿ وخر موسى صعقا ﴾ ، وصعقه تُطلق ويراد بها الوفاة ، ولكن هنا صعقة الوفاة يقول فيها الحق صحانه :

﴿ نَصَعِنَ مَن فِي ٱلسَّمَوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ إِلَّا مَن شَسَاءَ اللهُ مُمْ نَفِيحَ فِيهِ أَنْرَىٰ فَإِذَا مُمْ قِيَّامُ يَنظُرُونَ ﴾

(من الآية ٩٨ سورة الزمر)

إذن النفخة الأولى لصعق وموت الجميع ، ثم تأتى النفخة الثانية للبعث . وهنا يقول الحق : ﴿ فلما أفاق قال سبحانك تبت إليك ﴾ . وهذا يدل على أن الصعقة ليست هي الصعقة المميتة ، وأفاق سيدنا موسى من الصعقة ، وانتبه إلى أنه لم يكن من اللائق أن يطلب الرؤية المباشرة لله . وكما نقول : و فلان فاق

O+00+00+00+00+00+00+0

لنفسه ، وهنا وأفاق ، موسى على حاجتين اثنتين ، أفاق من الغشية التى حصلت له من الصعقة ، وكأنّه تساءل : لماذا انصعقت ؟ لقد انصعق لأنه سأل ربنا ما ليس له به علم : ﴿ فلما أفاق قال سبحانك ﴾ ، وساعة تسمع كلمة و سبحانك ، اعرف أنّه يراد بها التنزيه لله من الحدث الذي نحن بصده وهو رؤيته _ تعالى _ أى تنزيها لك يارب أن يراك مخلوقك ؛ لأن الرؤية قدرة بصر على مرثى ، ومعنى: و رأيت الشيء ، ولو أننا نحن المخلوقين رأينا الشيء ، ولو أننا نحن المخلوقين رأينا الله بقائون الضوء ، فهذا يعنى أن أبصارنا تقدر على ربنا وهذا لا يمكن أبداً ؛ لأن المقدور لا ينقلب قادراً ، والقادر لا ينقلب مقدوراً .

﴿ فَلَنَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَنْنَكَ تُبُّ إِلَيْكَ وَأَنَا أُولُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾

(من الآية ١٤٣ صورة الأعراف)

وتوبة موسى هنا من أنه سأل الله ما ليس له به علم ، ولأنه لم يقف عند التجليات المخالفة لنواميس الكون ، وأنَّ ربنا قد أعطاه بدون أن يسأل ، لقد كلمه الله ، فلماذا يُصعد المسألة ويطلب الرؤية ؟ ولماذا لم يترك الأمور للفيوضات التي يعطيها الله له ويتنعم بفيض جود لا ببذل مجهود ؟ .

ويقرر موسى ويقول: ﴿ وأنا أول المؤمنين ﴾ ، أى بأنّ ذاتك ـ سبحانك ـ لا يقدر مخلوق أن يراها ويدركها . لقد شعر موسى ببعض من انكسار الخاطر لانه طمح إلى ما يفوق استطاعته وقال: ﴿ سبحانك تبت إليك وأنا أول المؤمنين ﴾ وكأنه قد فهم ما أوضحه الحق له: لا تلتفت إلى ما منعتك ، ولكن انظر إلى ما أعطيتك :

﴿ قَالَ يَنْمُوسَى إِنِي أَصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَلَنِي وَيَخَلَّنِي فَالْمَا يَعْدُ مَا ءَاتَ يَتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّنِكِرِينَ فَا فَذْ مَا ءَاتَ يَتُكُ وَكُن مِّنَ ٱلشَّنِكِرِينَ فَ فَذْ مَا ءَاتَ يَتُكُ وَكُن مِّنَ ٱلشَّنِكِرِينَ فَ فَا السَّنِكِرِينَ فَا فَالْمَا لَكُولِينَ فَا اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللللْمُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللللْمُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللْمُ اللَّهُ اللللْمُ الللَّهُ الللللْمُ اللللْمُ اللللْمُ اللللْمُ اللللللْمُ اللللْمُ الللللْمُ اللللْمُ الللللْمُ الللْمُ الللللْمُ اللللْمُ الللللْمُ اللللْمُ الللللِمُ الللللِمُ الللللْمُ الللللْمُ الللللْمُ الللللْمُ الللللْمُ اللللْمُ اللللْمُ الللللللْمُ الللللْمُ الللْمُ اللللْمُ الللْمُ الللْمُ اللللْمُ الللِمُ الللِمُ الللللْمُ اللللللْمُ اللللْمُ الللللْمُ الللْمُ الللْمُ اللللْمُ الللْمُ الللللْمُ اللللْمُ الللللْمُ الللْمُ الللللْمُ الللْمُ الللللْمُ اللللْمُ الللللْمُ اللللْمُ اللللْمُ الللْمُ الللْمُ الللْمُ الللْمُ الللْمُ الللْمُ الللْمُ الللْمُ الللْمُ اللللْمُ اللللللللْمُ اللللللْمُ الللْمُ الللْمُ اللللْمُ الللْمُ الللْمُ اللللللللْمُ اللللْمُ اللللْمُ الللللْمُ الللْمُ الللللْمُ اللَّالِمُ الللْمُ اللللْمُ الللللْمُ اللللْمُ اللللْمُ الللْمُ الللل

والاصطفاء هو استخلاص الصفوة ، وقوله : ﴿ اصطفيتك على الناس ﴾ تعبير

فيه دقة الأداء لأنه لوقال اصطفيتك فقط ، ولم يقل على الناس ، فقد يُفهم الاصطفاء على الناس ، فقد يُفهم الاصطفاء على الملائكة أيضاً . ولكن الاصطفاء هنا محدد في دائرة الاصطفاء البشرى : ﴿ إِنِّي اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي ﴾ . ولقائل أن يقول : إن الحق اصطفى غيره أيضاً من الرسل ، والحق هو القائل :

﴿ إِنَّ اللَّهُ أَصْعَلَيْنَ ءَادُمَ وَنُوحًا ﴾

(من الآية ٣٣ سورة أل عمران)

ونقول: هناك فرق بين اصطفاء رسالة منفردة، وبين اصطفاء في رسالة ومعها شيء زائد، وأضرب هذا المثل وقله المثل الأعلى من فإذا جئت كمدرس لنلاميذ واعطبت واحداً منهم هدية عبارة عن قلم كمكافأة، ثم أعطيت الثاني قلماً وزجاجة حبر، أنت بذلك اصطفيت التلميذ الأول بهدية القلم، واصطفيت الآخر باجتماع قلم وزجاجة حبر في هدية واحدة. والاصطفاء هنا لموسى بالرسالة كما اصطفى غيره من الرسل بالإضافة إلى شرف الكلام: ﴿ اصطفيتُكُ على الناس برسالاتي ويكلامي ﴾ .

وعرفنا من قبل أن ورسالاتى ، هى فى مجموعها رسالة واحدة ، ولكن الرسالة مع سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم استمرت جزئياتها ثلاثاً وعشرين سنة فى التزول ، فكأن كل نجم رسالة ، أو كل باب من أبواب الخير رسالة ، فهى رسالات متعددة ، أو أن رسالته جمعت رسالات السابقين :

﴿ قَالَ يَنْمُوسَىٰ إِنِّي أَصْطَلَقَيْنُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَالَتِي وَبِكُلْنِي نَفُذْ مَا عَاتَبَنُكَ وَكُن مِّنَ

السُّنكِينَ ﴿ ﴾

(سورة الأعراف)

اى لا تنظر إلى ما منعتك ، بل اذكر أنى اصطفيتك وكلمتك وعليك أن تشكر لى هذا . ولذلك يجب على الإنسان المؤمن حين يتلقى قضاء الله فيه أن ينظر دائما إلى ما بقى له من النعم . لا إلى ما سلب عنه من النعم . ولذلك نجد المؤمن المتفائل ينظر إلى الكوب الذي نصفه مملوء بالماء فيقول : الحمد لله نصف الكوب ملان . أما المتشائم فيقول : إن نصف الكوب فارغ ، وبرغم أن كلا منهما

يقرر الحقيقة إلا أن المؤمن المتفائل نظر إلى ما بقى من نعم الله .

إننا نجد ابن جعفر حين ذهب للخليفة الأموى في دمشق وجرحت رجله في أثناء السير من المدينة إلى دمشق ، ولم تكن هناك عناية طبية فتقيحت ، وحين أحضروا له الأدلباء وقرروا قطع رجله ، قال بعض الحاضرين : التمسوا له مرقداً أي دواء تخدير يجعله لا يحس بالألم ، فقال : لا ، فإني لا أريد أن أغفل عن ربي لحظة عين ، فلما قطعوها أخذوها ليدفنوها ، فقال هاتوها . فأحضروها له وأمسك بها وقال : اللهم إن كنت قد ابتليت في عضو فقد عافيت في أعضاء .

هذه نظرة المؤمن الذي لا ينظر إلى ما أخذ منه ، بل ينظر إلى ما بقى له . وكذلك كان توجيه الحق لموسى عليه السلام ، فقد أوضح له : لا تنظر إلى أنى منعتك الرؤية ، لا ، بل انظر الاصطفاء وشرف الكلمة إلى الخالق واشكر ذلك .

ويقول الحق بعد ذلك :

﴿ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِ شَيْءِ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِ شَيْءِ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأَمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُورِيكُو دَارَ ٱلْفَاسِقِينَ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهُ

والكتب هو الرقم بقلم على ما يكتب عليه من ورق أو جلد أو عظم أو أى شيء ، وعندما يقول ربنا : ﴿ وكتبنا ﴾ فالله لم يزاول الكتابة بنفسه ، ولكن رسله من الملائكة يكتبون بأمر من الحق وهو القائل :

﴿ إِنَّا غَنْ نُحْيِ الْمُولِّنَ وَنَكُنُّ مَا قَدَّمُوا ﴾

(من الآية ١٢ سورة يس)

وكتابة الرسل من الملائكة لأعمالنا هي بالأمر من الله ، ومرة ينسب الأمر إلى الأعلى ، أو ينسب إلي المباشر أو إلى الواسطة : ﴿ وكتبنا له في الألواح من كل شيء موعظة وتفصيلا ﴾ .

00+00+00+00+00+011110

ونحن نعرف الألواح ، وكنا نكتب عليها قديماً . وللكتابة على الألواح سبب ، فقديماً كانوا يكتبون على أي شيء مبسوط ، وتبين لنا الآثار أن هناك كتباً مكتوبة على جلود الحيوانات ، مثلاً نجد قدماء المصريين قد كتبوا على الأحجار ، مثل حجر رشيد الذي أتاح لنا معرفة تاريخهم . وكان العرب يكتبون على القحف المأخوذ من النخل ، وكذلك كتبوا على عظام الذبائح ، أخذوا منها قطعة العظم المبسوطة مثل عظم اللوح وكتبوا عليها ، وكانت هذه الوسيلة مشهورة جدًا لديهم ، وصار كل مكتوب عليه يسمونه لوحاً .

﴿ وَكَنْبَنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاجِ مِن كُلِّ شَيْ و مَوْعِظَةً وَنَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ ﴾

(من الآية ١٤٥ سورة الأعراف)

وقوله سبحانه : ﴿ من كل شيء ﴾ يعنى : من كل شيء تنطلبه خلافة الإنسان في الأرض في الوقت المناسب له ؛ فالرسل تأتي بعقيدة ، لكن قد يأتي تشريع مناسب للفترة الزمنية التي جاء فيها الرسول ، ويضيف الله لرسول آخر يأتي من بعده ، إلى أن جاء محمد صلى الله عليه وسلم بالمنهج المكتمل إلى قيام الساعة .

لقد أوضح سبحانه أنه كتب في الألواح الموعظة والتفصيل لمنهج الحياة ، والموعظة تعنى ألا تنشىء حكماً للسامع ، بل تعظه بتنفيذ ما عُلِم له من قبل ، ولذلك يقال : واعظ وهو الذي لا يُنشىء مسائل جديدة . بل يعرف أن المستمع يعلم أركان الدين ويعظه بما يعلم ،

وقوله الحق سبحانه: ﴿ وتفصيلاً لكل شيء فخذها بقوة ﴾ أى أن الكلام لم يأت مجملاً ، بل يأتي بالتفصيل ، ويأمر الحق موسى أن يقبل على الموعظة والتفصيلات التي في الألواح بقوة . ولماذا جاء الأمر هنا بأن يأخذها بقوة ؟ لأن الإنسان حين يؤمر أمراً قد يكون الأمر مخالفاً لرتابة ما ألف ، وحين يُنهى نهيا قد يكون هذا النهى مخالفاً لرتابة ما ألف . وبذلك ينزع هذا النهى أو ذلك الأمر الإنسان مما ألف، ويأخذه ويخرجه عما اعتاد .

إن الإنسان في هذه الحالة يحتاج إلى قوة نفس تتغلب على الشهوة الرتبة التي

تخلقها العادة ، ولذلك فمن يريد أن يقبل على منهج الله فعليه أن يعرف أن المنهج سوف يخرجه مما ألف ، ولابد له أن يقبل على المنهج بقوة وعزم ليواجه إلف النفس ، لأن إلف النفس قد يقول للإنسان : لا تفعل ، والمنهج يقول له : و افعل ، وعلى المؤمن _ إذن _ أن يأخذ التكاليف بقوة ، لأن شهوات النفس تحقق متع الدنيا الزائلة ، والمنهج يعطى متعة طويلة الأجل .

إن الشهرة قد تحقق للإنسان لذة على مقدار قدرته واستعداده ، لكن التكليف يعطى للمؤمن نفعاً يتناسب مع طلاقة قدرة الله في النفع . إذن لابد أن تشحن نفسك بما يعطيه الله لك من المنهج ، وإياك ساعة أن ترى المنهج مطالباً لك بعض من الجهد أن تقول : إن تلك أمور صعبة لأنك لست وحدك في المنهج ، بل معك غيرك . فإذا قال لك : لا تسرق ، إياك أن تقول : أيحدد المنهج حريتي ؟ لا ، لا تنظر إلى أن حظر وتحريم السرقة هو تحديد لحريتك بل هو صيانة لك من أن يعتدى عليك آخرون ؛ فقد قال المنهج للناس كلهم لا تسرقوا منه وأنت الكاسب في هذه الحالة . ويتابع الحق بيان ما في الألواح من قيم فيقول سبحانه : فوامر قومك يأخلوا بأحسنها كي .

وأحسن و تفيد أن هناك مرتبة أقل منها وهي وحسن و فأمرهم الحق أن يتركوا الحسن ويأخذوا بالأحسن ، ونعلم أن الإنسان من الأغيار ، إذا ما أصابته مصيبة من أحد يعتبره غريماً له ، فإذا ما كان للإنسان غريم تحركت نوازع نفسه إلى عقابه بمثل ما أصابه به . وهذا ما يبيحه الله في القصاص ، ولكن الله يطلب من المؤمن إن قدر على نفسه أن يعفو ، إذن فالعقوبة بالقصاص أو بغيره مادامت مشروعة من الله بمثل ما عوقبت فهذه مرتبة الحسن ، لكن إذا تركت نوازع نفسك وعفوت فهذه مرتبة و الأحسن ، وجاءت هذه الترقيات لأن الحق سبحانه وتعالى خلق في الإنسان عواطف وغرائز ، وللعواطف والغرائز مهمة في حركة الحياة ، ولكن العواطف لا يمكن أن يسيطر عليها الإنسان ، ولذلك لا يقنن الله للعاطفة ولكن العواطف يقتن للغرائز . كيف ؟ .

نحن نعلم أن « حب الطعام ، غريزة ، ولكن يجب ألا يصل حب الطعام إلى مرتبة النهم والشره . وأيضاً « بقاء النوع ، أو المتعة الجنسية أوجدها الحق من أجل

بقاء النوع . لكن لا يصح أن تتحول إلى درجة الشرود والوقوع في أعراض الناس وانتهاك حرماتهم ، وحب الاستطلاع غريزة ، والذين اكتشفوا الكشوف العلمية جاءت أعمالهم من حب استطلاعهم على أسرار الوجود . لكن لا يصح ولا ينبغى أن يصل حب الاستطلاع إلى التجسس الاستذلالي .

إن للإنسان غرائز يعليها الشرع ؛ أمَّا الحب فهو مسألة عاطفية . فالمشرع ، يقول لك : أحبب من شئت وأبغض من شئت ، ولكن لا تظلم من أبغضته ولا تظلم الناس لحساب من أحببت .

ولنا في رسول الله أسوة حسنة حين قال:

« لا يؤمن أحدكم ختى أكون أحب إليه من نفسه وولده ووالده والناس أجمعين ١٦٥٥ .

فقال عمر: كيف؟.

وكررها رسول الله فعلم عمر _ رضى الله عنه _ بفطرته أن ذلك أمر تكليفى . وعرف أن الحب المراد هو الحب العقلى . فيقول المؤمن لنفه : من أنا لولا رسول الله حبًا عقليًا ، وقد رسول الله حبًا عقليًا ، وقد يتسامى إلى أن يصبر حبًا عاطفيًا . والإنسان منا _ كما قلنا سابقًا _ بحب الدواء بعقله لا بعاطفته لأنه مُرٌ ، ولكنه يغضب إن اختفى الدواء من الأسواق ويفرح بمن يأتى له به .

إذن التكليف يتطلب الحب العقلى . ومن أخبار سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه عندما مرّ أمامه قاتل أخيه زيد بن الخطاب فقال له عمر : ازو نفسك عنى فأنا لا أحبك ، فرد الرجل بكل جرأة إيمانية : أو عدم حبك لى يمنعنى حقًّا من حقوقى ؟ . قال عمر : لا ، قال الرجل : إنما يبكى على الحب النساء .

⁽ ١) رواه أحمد والبخاري ومسلم والتسائي وابن ماجه .

راجع أصله وخرج أحاديثه الدكتور أحمد عمر هاشم نائب رئيس جامعة الأزهر.

@##\@@#@@#@@#@@#@@#@@#@@#@@#@@##

والحق يقول هنا : ﴿ يَأْخَذُوا بِأَحْسَنُهَا ﴾ فمثلاً ، حين يُفْتَلُ إنسان فلولى الدم أن يقتص ، لكن الحق يحنن قلب ولى الدم على القاتل فيقول :

﴿ فَنَ عُنِي لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَأَ تِبَاعٌ إِلْمَعْرُوفِ ﴾

(من الآية ١٧٨ سورة البقرة)

وحين يسمى الحق القاتل أخاً فهو يهدىء من صراع العواطف ويخفف من رغبة الانتقام. ويقول سبحانه أيضاً:

﴿ وَلَمَن صَدِرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَالِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُودِ ﴿ ﴾

(سورة الشوري)

ونجده سبحانه يؤكد أن مثل هذا الأمر من « عزم الأمور » لأنه أمر يتطلب الصبر والمغفرة . ومادام المؤمن قد استطاع أن يصبر وأن يغفر لغريم له ، أفلا يصبر إذا نزلت مصيبة عليه بدون غريم كمرض مفاجى » أو افتقاد حبيب ؟ . من إذن غريمك في المرض ؟ وممن تغضب ، وعلى من تهيج وإلى أين انفعالك ؟ ولذلك يقول لك الحق سبحانه : ﴿ واصبر على ماأصابك ﴾ أى مما لا غريم لك فيه ، ويوضح لك سبحانه : ﴿ إن ذلك من عزم الأمور ﴾ . ونلحظ أن الحق هنا لم يؤكد و باللام » لكنه أكد الأخرى « باللام » ؟ لأن لك غريماً يهيجك ساعة أن تراه ، وفي الآية التي نحن بصدد خواطرنا عنها يقول الحق لسيدنا موسى : ﴿ وأمر قومك ياخذوا بأحسنها ﴾ .

يعنى إذا وجدت لهم ذريعة ووسيلة وسبباً إلى شيء ويوجد ما هو أحسن فأمرهم أن يأخذوا بالأحسن ، لماذا ؟ ؛ لأن الإنسان إذا روض نفسه وذللها وعودها على الأحسن يكون قد فهم عن الله . ونفرض أن واحداً أساء إليك ويمكنك أن تسىء إليه ، فعليك أن تراعى في ردك للإساءة أن تكون بقدرها مصداقاً لقوله الحق سبحانه :

﴿ فَعَاتِبُواْ بِمِثْلِمَا عُوقِبْتُمْ بِهِ ﴾

(من الآية ١٣٦ سورة النحل)

Q1071Q+QQ+QQ+QQ+QQ+QQ1707Q

ولكن من منا يتصف بالدقة في الموازين النفسية حتى يستطيع أن يعرف المثلية بالهوى ؟ فإن كان هناك من صفعك وتريد أن ترد الصفعة ، فمن أين لك أن تقدر حجم الألم الذي في صفعتك له ؟ . لا يمكن لك أن تحدد هذا القدر من الألم ؟ لأن هذه مسألة تتناسب مع القوة . إذن لماذا تدخل نفسك في متاهات ، ولماذا لا ثعفو وينتهى الأمر ؟

وحين يدلك الحق على أن العفو أحسن ، إنما يريد بذلك أن ينهى شراسة النفوس وضغن الصدور . فحين يقتل إنسان إنسانا آخر ؛ سيكون هناك قصاص ودم ، ولكن إذا عفا ولى الدم تكون حياة المعفو عنه هبة من ولى الدم فيستحى القاتل بعد ذلك - أن يجعل أية حركة من حركات هذه الحياة ضد ولى الدم أو من ينسب إلى ولى الدم ، وحينذاك تنتهى أى ضغينة أو رغبة فى الثار ، ولذلك نجد البلاد التى تحدث فيها الثارات وتستشرى فيها عادة الأخذ بالثار - مثل صعيد مصر نجد القاتل إذا ما أخذ كفنه على يده ودخل على ولى الدم وقال له : أنا جئت أبلك . . يعفو عنه ولى الدم وتفهم العائلة كلها أن حياة المطلوب للثار صارت هبة من ولى الدم ، وتصفى الثارات وتنتهى . ولذلك جاء الأمر من الحق بالأخذ من ولى الدم ، وتصفى الثارات وتنتهى . ولذلك جاء الأمر من الحق بالأخذ بالأحسن ، فوامر قومك يأخذوا بأحسنها كه . ومثال آخر على الأخذ بالأحسن ، قد نجد مديناً غير قادر أن يوفى الدين ، هنا نجد الحق يقول :

﴿ فَنَظِرَةُ إِنَّ مَيْسَرُوْ ﴾

(من الآية ٢٨٠ سورة البقرة)

اقترض الرجل لأنه محتاج ؛ لأن القرض لا يكون إلا عن حاجة ، وهوعكس السؤال الذي قد يكون عن حاجة أو عن غير حاجة ، ولهذا نجد ثواب القرض أكثر من ثواب الصدقة ؛ لأن المقترض لا يقترض إلا عن حاجة ، ولأن المتصدق حين يتصدق بشيء من ماله يكون قد أخرج هذا المال من نفسه ولم يعد يتعلق به . لكن القرض تتعلق به النفس ، فكلما صبر المقرض مع تعلق نفسه بماله أخذ أجراً ، وهكذا يكون القرض أحسن من الصدقة .

إذن فهناك حُسَن وهناك أحسن، الحَسَن هو أن تأخذ حقك المشروع، والأحسن أن تتنازل عنه، ومن يتنازلون هم الفاهمون عن الله فهماً واسعاً، ولنا

O (T o T O O + O O + O O + O O + O O + O

المثل والأسوة في سيدنا الحسن البصري _ رضى الله عنه _ الذي أحسن لمن أساء إليه فقال كلمته : و ألا نحسن إلى من جعل الله في جانبنا ، و دائماً أضرب هذا المثل _ ولله المثل الأعلى _ هب أن إنساناً عنده أولاد وأساء واحد منهم للآخر . نجد قلب الأب يكون مع من أسىء إليه ، وكذلك الأمر فينا نحن خلق الله . إن أساء واحد من خلق الله إلى واحد آخر من خلق الله ؛ نجد رب الخلق مع من أسىء إليه أن يقول : هذا الإنسان الذي أساء إلى قد جعل ربنا في جانبي ولذلك فهو يستحق أن أحسن إليه . ولهذا يقول الحق سبحانه :

﴿ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُولَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ﴾

(من الآية ١٨ صورة الزمر)

وني آية ثانية يقول الحق:

﴿ وَاتَّبِعُوا أَحْسَ مَا أَرْلَ إِلَيْكُمْ مِن دَّبِّكُم ﴾

(من الآية ٥٥ سورة الزمر)

ويذيل الحق الآية التي نحن بصدد خواطرنا عنها بقوله: ﴿ ساريكم دار الفاسقين ﴾ .

ودار الفاسقين هي النار ، وكأن الحق هنا يقول : سأريكم النار ، ونعلم أن كل البشر سيمرون عليها ويرونها ، ولكن المؤمنين سيعبرونها ويردون عليها ويدخلون الجنة . ولقائل أن يقول : ولماذا تأتي سيرة النار هنا ؟ ونقول : جاءت سيرة النار لبرهب ويخيف النفس ويحملها على أن تبتعد عن كل أمر يقرب إلى النار . والقول هنا أيضاً لبني إسرائيل الذين نصرهم الحق على قوم فرعون وأخذوا منهم الكنوز والمقام الكريم . وكأن الحق يقول لهم : إن كنتم تحبون أن يكون مألكم مثل مآل قوم فرعون فافعلوا مثلهم ، وإن كنتم لا تريدون هذا المآل فالتزموا منهج الحق .

إذن فقوله الحق : ﴿ سَارِيكُم دار الفاسقين ﴾ معناه حملهم على ما في الألواح من عظة ، وعلى أن يأخذوه بقوة ، وعلى أن يتبعوا أحسن ما أنزل الله . أو ﴿ دار

00+00+00+00+00+00+C1701O

الفاسقين ﴾ هى المدائن التى دمرّت وخربت بتمرد وكفر وعصيان أهلها وفسقهم لتعتبروا فلا تفسقوا مثل فسقهم فينكل الله بكم مثل نكاله بهم ، وأنتم تمرون عليها . في الغدو والرواح .

ويقول الحق بعد ذلك :

﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَنِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِعَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوَّا كُلَّءَ ايَةٍ لَا يُؤْمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوَّا سَبِيلَ ٱلرُّشَدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَكُوفُا سَبِيلًا الْغَيِّ يَتَخِذُوهُ سَبِيلًا ذَالِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَبُواْ بِمَا يَكِينَ وَكَانُواْ الْغَيِّ يَتَخِذُوهُ سَبِيلًا ذَالِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَبُواْ بِمَا يَكِينَ وَكَانُواْ

عَنْهَا عَنْفِلِينَ ﴿ فَا خُلُوا اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ الله

والآيات جمع آية وهي الأمر العجيب ، وتطلق ثلاث إطلاقات ، فإما أن تكون آية كونية مثل قوله تعالى : ﴿ إِن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لايات لأولى الألباب ﴾ ، وإما أن تكون آية دلالة على صدق الرسول في البلاغ ، وإما أن تكون آية دلالة على صدق الرسول في البلاغ ، وإما أن تكون آية قرآنية فيها حكم من أحكام الله ، وهنا يقول الحق :

﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ عَايَنْتِي ٱلَّذِينَ يَتَكَثِّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ فِي

(من الآية ١٤٦ سورة الأعراف)

إذن يوضح سبحانه هنا أنه سيصرف الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق عن أن ينظروا نظر اعتبار في آيات الكون ، أو أن الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق سيبطل كيدهم في أن يتجهوا للحق بالهدم ؛ لأن الواحد من هؤلاء ساعة يرى آية من آيات الله سينظر إليها على أنها سحر ، أو شعوذة ، أو أن يقول عنها إنها ضمن أساطير الأولين .

O+OO+OO+OO+OO+OO+O

إذن وجه الصرف أن يسلط الحق عليه من الكبر ما يجعله غير قادر على وزن الآية بالميزان الصحيح لها ، والمتكبر هو من ظن أن غيره أدنى منه وأقل منزلة ، ومقومات الكبر قد تكون قوة ، لكن ألم ير المتكبر قويًا قد ضعف ؟ وقد يكون الثراء من مقومات التكبر ، لكن ألم ير المتكبر غنيًا قد افتقر ؟ أو يكون المتكبر صاحب جاه ، ألم ير المتكبر ذا جاه صار ذليلًا ؟ .

إذن فمن يتكبر ، عليه أن يتكبر بشى ، ذات آلا يُسْلَب منه أبداً ، فإذا ما أردت أن تعلبت هذا على البشر فلن تجد واحداً يستحق أن يكون متكبراً أبداً ؛ لأنه لا يوجد فى الإنسان خاصية ذائية فيه تلازمه ولا تفارقه أبداً ، بل كلها موهوبة ، ومن الأغيار التى تحدث وقد تزول . فكلها من الله وليست أموراً ذائية ؛ لأن القوة فيك إن كانت ذائية فحافظ عليها ، ولن تستطيع . وإن كان الثراء ذائياً فحافظ على غناك أبداً ، ولن تستطيع . وإن كان الثراء خاتك أبداً ولن تستطيع . إذن فمقومات الكبرياء في البشر غير ذائية .

وقوله سبحانه : ﴿ يتكبرون في الأرض بغير الحق ﴾ يفيد أن هناك كبرياه بحق لمن علك في ذاته كل عناصر الفوة والثراء والجاه والعزة ، ولذلك فالكبرياء لله وحده . واعلموا أن كل متكبر في الأرض لا يخطر الله بباله ؛ لأنه لو خطر الله بكماله وجلاله في باله لتضاءل ؛ لأن الله يخطر فقط ببال المتواضعين من الناس ، ولذلك نضرب هذا المثل : إننا نجد من حولنا إنساناً هو الرئيس الأعلى ، وهناك رئيس لطائفة ومرؤوس لاخر ، وهناك مرؤوس فقط . والرئيس المرؤوس لا يستطيع أن يجلس مع المرؤوسين له بتكبر ويضع ساقاً على ساق ويعطى أوامر ؛ لأنه قد يلتفت فيجد رئيسه وقد دخل عليه . فلو فعل الرئيس المرؤوس ذلك لضحك منه المرؤوسون له . فكذلك الناس الذي لا يستحضرون الله في بالهم نجدهم مثار سخرية ، لكن الذين يستحضرون الله الكبرياء في السموات والأرض لا يتكبرون أبداً .

إنه سبحانه يصرف عن المتكبرين النظر في الآيات الكونية فلا يعتبرون ، ويصرف عنهم القدرة على ويصرف عنهم القدرة على تصديق أحكام القرآن ، ويطبع على قلوبهم ، فما بداخل هذه القلوب من الكفر

OC+OC+OC+OC+OC+O(1'0') C

لا يخرج ، وما في خارج هذه القلوب من الإيمان لا يدخل . وهم برغم حركتهم في الحياة إلا أن الحق يعجزهم عن رؤية آياته في الكون .

﴿ وَ إِن بَرَ وَا كُلَّ مَا يَهِ لَا يُوْمِنُواْ بِهَا وَ إِن بَرَوْاْ سَبِيلَ ٱلرَّشْدِ لَا يَغَيْدُوهُ سَبِيلًا وَ إِن بَرُواْ سَبِيلًا وَإِن بَرُواْ سَبِيلًا وَإِن بَرُواْ سَبِيلًا وَإِن بَرُواْ سَبِيلًا ﴾ سَبِيلًا ﴾ سَبِيلًا ﴾

(من الآية ١٤٦ سورة الأعراف)

وحين يرى أهل الكبر الآية الكونية أو الآية الإعجازية أو آيات الأحكام فهم لا يؤمنون بها ، وحين يرون سبيل الرشد لا يتخذونه سبيلا ؛ لأن سبيل الرشد يضغط على شهوات النفس وهواها ، فينهى عن السيئات وهم لا يقدرون على كبح جماح شهواتهم لأنها تمكنت منهم ، ولكن سبيل الغي يطلق العنان لشهوات النفس ، ولا يكون كذلك إلا إذا غفل عن معطيات الإيمان الذي يحرمه من شيء ليعطيه أشياء أثمن ، وهكذا تكون نظرة أهل الكبر سطحية . ونلحظ أن كلمة السبيل تأي مرة كمذكر كقوله ؛ ﴿ لا يتخذوه سبيلاً ﴾ ، ومرة تأي مؤنثة ، فالحق يقول : ﴿ قل هذه سبيل ﴾ .

وهنا يقول الحق عن الذين يتبعون سبيل الغي من أهل الكبر: ﴿ ذلك بانهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين ﴾ . وقديماً قلنا إن الغفلة لا توجب الجزاء عليها ٤ لأن الغافل سام وناس ، ولكن هؤلاء صدفوا عن الأمر صدوفاً عقليًا مقصوداً ، للرجة .أنهم لا يعيرون الإيمان أي التفات .

ويقول الحق بعد ذلك :

﴿ وَالَّذِينَ كُذَّبُوا بِالْكِينَا وَلِقَى آءِ ٱلْآخِرَةِ حَبِطَتَ أَعْمَالُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّامَاكَانُواْ يَعْمَالُونَ ۞ ﴿ اللَّهِ مَالُونَ ﴾ يَعْمَلُونَ ۞ ﴿ اللَّهِ مَالُونَ ۞ ﴿ اللَّهُ مَالُونَ ۞ ﴿ اللَّهُ مَالُونَ ۞ ﴿ اللَّهُ مَالُونَ ﴾ ﴿ اللَّهُ مَالُونَ ۞ ﴿ اللَّهُ مَالُونَ ۞ ﴿ اللَّهُ مَالُونَ ﴾ ﴿ اللَّهُ مَالُونَ ﴾ ﴿ اللَّهُ مَالُونَ ﴿ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مَالُونَ اللَّهُ مَا أَلَّهُ مَالَوْنَ اللَّهُ مَالَونَ ﴾ ﴿ اللَّهُ مَالْمُونَ اللَّهُ مَالَكُ مَا مَالُونَ اللَّهُ مَالَوْنَ إِلَيْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ اللّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّا اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الل

0+00+00+00+00+00+00+0

وقد جاء لفظ الآيات هنا أكثر من مرة ، فقد قال الحق : ﴿ وَإِنْ يَرُوا كُلُّ آيَةً لَا يُؤْمِنُوا بِهَا ﴾ . ويقول سبحانه : ﴿ وَاللَّذِينَ كَذْبُوا بَآيَاتُنَا ﴾ . ويقول سبحانه : ﴿ وَاللَّذِينَ كَذْبُوا بَآيَاتُنَا ﴾ .

إذن فالمسألة كلها مناطها في الآيات الكونية للاستدلال على من أوجدها ، والإعجازية للاستدلال على صدق من أرسل من الرسل ، والقرآنية لأخذ منهج الله لتقويم واستواء حركة الإنسان .

﴿ وَالَّذِينَ كَذَّبُواْ بِنَايَدَيْنَا وَلِقَ آءَ الْآنِوَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ ﴾

(من الآية ١٤٧ سورة الأعراف)

ويقال: حبط الشيء أى انتفخ وورم من علة أو مرض . أى أنهم فى ظاهر الأمر يبدو لهم أنهم عملوا أعمالا حسنة ولكنها فى الواقع أعمال باطلة وفاسدة ، وقد يوجد من عمل عملاً حسناً نافعاً للناس ، ولكن ليس فى باله أنه يفعل ذلك إرضاء لله ، بل للشهرة لينتشر ذكره ويذيع صِيتُه ويثنى الناس عليه ، أو للجاه والمركز والنفوذ . ولذلك حين سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم : من الشهيد ؟ . قال :

و من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله ١١٥٤.

لأن الرجل قد يقاتل حمية ، أو ليعرف الناس مثلاً أنه شجاع . إذن فهناك من يعمل عملاً ليفتخر به . ويقال مثلاً : إن الكفار هم من اكتشفوا الميكروب وصعدوا إلى الفضاء . ونقول : نعم لقد أخذوا التقدير من الناس لأن الناس كانت في بالهم ، ولن يأخذوا التقدير من الله لأنهم عملوا أعمالهم وليس في بالهم الله . والإنسان يأخذ أجره ممن عمل له ، والله سبحانه وتعالى لن يضيع أجر أعمالهم الحسنة ، بل أعطى لهم أجورهم في الدنيا ، لكن حرث الأخرة ليس لهم .

﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْآنِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُوْتِهِ مِنْهَا﴾

⁽١) رواه احمد والبخاري ومسلم وأبو داود والنسائي والترمذي وابن ماجه .

00+00+00+00+00+00!ToAO

فمن زرع وأحسن اختيار البذور ، واختيار التربة وروى بنظام يأتى له الزرع بالثمر لأنه أخذ بالأسباب ، وهذا اسمه عطاء الربوبية وهو عطاء عام لكل مَن خلق الله ، مؤمناً كان أو كافراً ، عاصبًا أو طائعاً ، لكن عطاء الألوهية يكون في اتباع الممنهج بده افعل ولا تفعل ، وهذا خاص بالمؤمنين ، فإذا ما أحسنوا استعمال أسباب الحياة في السنن الكونية . يأخذون حظهم منها ، والكافرون أيضاً يأخذون حظهم منها إذا أحسنوا الأخذ بالأسباب ؛ ويكون ذلك بتخليد الذكرى وإقامة التماثيل لهم . وأخذ المكافآت والجوائز وحفلات التكريم . أما جزاء الأخرة فيأخذه من عمل لرب الأخرة ، أما من لم يفعلوا من أجل لقاء الله فهو سبحانه يقول في حقهم :

﴿ وَقَدِمْنَا إِلَّ مَاعَيْلُواْ مِنْ عَمِلٍ خَعَلْنَكُ هَبَاءً مَّنتُورًا ١٠٠٠ ﴾

(سورة الفرقان)

وكذلك يقول:

﴿ وَٱلَّذِينَ كَغَرُ وَآ أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابِ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْعَانُ مَاءً ﴾

(من الآية ٢٩ سورة النور)

فالكافرون مثلهم مثل الظمآن الذي يسير في صحراء ويخيل له أن أمامه ماء ، ويمشى ويمشى فلا يجد ماء . أماغير الظمآن فلا يهمه إن كان هناك ماء أو لا يوجد ماء ، فالظمآن ساعة يرى السراب يمنى نفسه بأن المياه قادمة وأنه سيحصل عليها .

﴿ كَسَرَابِ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُ ٱلظَّمْعَانُ مَآءً حَتَّىٰ إِذَا جَآءَهُ لِرْ يَجِدُهُ شَيئًا ﴾

(من الآية ٢٩ سورة النور)

وليس المهم أنه لم يجده شيئاً. بل يفاجاً: ﴿ ووجد الله عنده ﴾ . إنه يفاجاً بأن الإله الذي كان لا يصدق بأنه موجود يجده أمامه يوم القيامة فيوفيه حسابه ويجزيه على عمله القبيح . إذن فإن عمل الإنسان عملاً فلينتظر الأجر ممن عمل له ، وإن عمل الإنسان عملاً وليس في باله الله فعليه ألا يتوقع الأجر منه ، وعلى الرغم من ذلك يعطى الله لهؤلاء الأجر في قانون نواميس الحياة الكونية ، لأن من يحسن عملاً يأخذ جزاءه عنه .

﴿ وَالَّذِينَ كَذَبُواْ بِعَايَنَتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَنْكُمْ مَلْ يُجْزُونَ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿ ﴾

(سورة الأعراف)

هم إذن كذبوا بآيات الله ، وكذبوا باليوم الأخر ، ولم يعملوا وفق منهج الإيمان ، فلهم جزاء وعقاب من الحق الذي أنزل هذا المنهج ، ولكنّهم أعرضوا عنه وكذبوه .

ولذلك يقول سبحانه:

﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّتُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَنَا ﴿ إِلَّا إِنْ ضَلَّ سَعْيَهُمْ فِي ٱلْحَبَوْةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنْهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿ ﴾

(سورة الكهف)

ويقول الحق بعد ذلك:

﴿ وَاتَّخَذَ قُومٌ مُوسَىٰ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ خُلِيّهِ مِدْ عِجْلًا جَسَدًا لَدُ خُوارُ ٱلمَّرْبَرَوْا أَنَّهُ اللّهِ يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ مَسَيِيلًا أَتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَلِيمِينَ اللّهُ اللّهِ مَسْكِيلًا أَتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَلِيمِينَ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهُ اللللللّهُ اللّهُ الللللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّه

وقوله : ﴿ من بعده ﴾ أى من بعد ذهابه لميقات ربه بعد أن قال لهارون : ﴿ اخلفني في قومي ﴾ .

بعد ذلك اتخذ قوم موسى من حليهم عجلاً جسداً له خُوار ، ونعرف أن الحلى هو ما يُتزين به من الذهب ، والجواهر والأشياء الثمينة ، وسيد هذه الحلى هو الذهب دائماً ، ونعلم أن الصائغ الماهر يشكل الذهب كما يربد ، وإن انكسر يسهل إصلاحه ، كما أن كسر الذهب بطىء ، ولذلك يقال : إن الذهب كالإنسان

QQ+QQ+QQ+QQ+Q(F7.Q

الطيب ، كسره بطيء ، وانجباره سهل .

وساعة نسمع كلمة « زينة » قد يدخل فيها الماس والزمرد ، والياقوت ، لكن الذهب سيد هذه الحلى . ونعلم أن العالم مهما ارتقى ، فلن يكون هناك رصيد لأمواله إلا الذهب ، ولذلك لم يأت سبحانه بالياقوت ، أو بالجواهر ، أو بالماس . ولذلك إذا أطلقت كلمة « الحلى » فالمراد بها الذهب .

وهذه الزينة هي التي صنع منها موسى السامري تمثال العجل ، وبطبيعة الحال أخذ الحلى الذهبية لأن الماس والجواهر لا يمكن صهرها . لكن من أبن جاء قوم موسى بالحلى وقد كانوا مستضعفين ، ومستذلين ؟ لقد احتالوا على أهل مصر واخذوا منهم الحلى كسلفة سيردونها من بعد ذلك . ثم جاء رحيلهم فأخذوا الحلى معهم !

وغرق قوم فرعون وبقيت الحلى مع قوم موسى ، وصنع موسى السامرى من ذهب هذه الحلى عجلاً ، والعجل هو الذكر من ولد البقر ، وساعة تسمع قوله : ﴿ عجلاً جسداً ﴾ أى أنه مُحجم ، أى له حجم واضح . وأخذ أهل التفسير من كلمة « جسداً » أن ذلك العجل هو بدن لا روح له ، مثلما نقول : « فلان هذا مجرد جثة » . أى كأنه جثة بلا روح .

وقوله الحق : ﴿ عجلًا جسداً له خوار ﴾ ، هذا القول يدل على أن جسدية العجل لم تكن لها حياة ؛ لأنه لو كان جسداً فيه روح لما احتاج إلى أن يقول عجلًا جسداً له خوار ، ولا كتفى بالقول بأنه عجل . لكن قوله سبحانه : ﴿ له خوار ﴾ دليل على أن الجسدية في العجل لا تعطى له الحياة . وجاء بالوصف في قوله : ﴿ له خوار ﴾ والخوار هو صوت البقر . وقد صنعه من الذهب وكأنه يريد أن يتميز عن الألهة التي كانت من الأحجار ، وحاول أن يجعله إلها نفيساً ، فصنعه ـ كما نعرف ـ من الحلى المسروقة ، وصنعه بطريقة أن هذا العجل الجسد إذا ما استقبل من دبره هبة الهواء ؛ صنعت وأحدثت في جوفه صوتاً يشبه صوت وخوار البقر الذي يخرج من فمه ، وهذه مسألة نراها في الناي وهو أنبوية من القصب مما يسمى يخرج من فمه ، وهذه مسألة نراها في الناي وهو أنبوية من القصب مما يسمى الغاب البلدي وتصنع به ثقوب ، ويعزف عليه العازف ليخرج منه النغمة التي يريدها .

O1711 DO+OO+OO+OO+OO+O

وحين صنع موسى السامرى العجل بهذه الحيلة ، حدث هذا الصوت مشابها لخوار البقر . وقصة هذا العجل تأتى فى سورة طه بوضوح وسنتعرض لها حين نتعرض بخواطرنا الإيمانية لسورة طه بإذن الله :

﴿ عِمْلًا جَسَدًا لَهُ خُوارٌ أَلَمْ يَرُوا أَنَّهُ لَا يُكَالِمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا الْحَنْدُوهُ وَكَانُواْ فَالْوَا

(من الآية ١٤٨ سورة الأعراف)

ولماذا اختار السامرى العجل ؟ لأنهم حين خروجهم من مصر ، رأوا قدماء المصريين وهم يعبدون العجل لمزية فيه ، فقد كانوا يرون فيه مظهر قوة ، كما عبد الأخرون الشمس حين رأوا فيها مظهر قوة ، وكذلك من عبدوا القمر ، والنجوم . وقدماء المصريين عبدوا العجل لأن فيضان النيل كان يغمر الأرض بالمياه ، وكانوا يستخدمون العجل . حين يريدون حرث الأرض . وكان أيدًا ، أى قويًا وشديداً في حرث الأرض وهذا مظهر من مظاهر انقوة ، ولكن كيف اتخذ قوم موسى من بعده عجلاً يعبدونه بعد أن أتم عليهم انه المنة العظيمة حين أنجاهم وأغرق فرعون وآله ؟ . وهنا أوضح لنا الله أنه جاوز ببنى إسرائيل البحر ومروا على قوم يعبدون الأصنام ؛ فقالوا لموسى عليه السلام : اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة .

ويأتى القول من الحق:

﴿ أَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا الْخَذُوهُ وَكَانُواْ ظَالِمِينَ ﴾

(من الأبة ١٤٨ سورة الأعراف)

وهذه قضية تهدم كل عبادة دون عبادة الله ؛ لأن العبد لابد أن يتلقى من المعبود اوامر ، وأن يكون عند المعبود منهج يريد من العبد أن ينفذه ، وأن يأتى المنهج بواسطة رسل يبلغون رسالات الله وكلام الله للبشر . أما الدين يعبدون الشمس مثلاً في فنسألهم : لماذا تعبدونها ؟ وما المنهج الذي أرسلته الشمس لكم ؟ . إن العبادة هي طاعة العابد للمعبود في « افعل » و « لا تفعل » فهل قالت لكم الشمس و افعلوا » و ه لا تفعل المنهج ، المنهج ، وافعل » و « الا تفعل المنهج ، المنهج ، ويجد واسطة كلامية تقول لكم المنهج ، وكيف يوجد - إذن معبود بدون منهج للعابد ؟ وهل قالت : إن من يعبدني سأشرق

Q1713Q+QQ+QQ+QQ+QQ+QQ+QQ

عليه ، وأعطيه الضوء والحرارة ، ومن لا يعبدنى فلن أعطيه شيئاً من ذلك ؟ لم تقل الشمس ذلك فهى تعطى من آمن بها ومن كفر ، ولم ترسل خبراً عن الأخرة وقيام القيامة .

وهكذا يبطل أمامنا كل عبادة لغير الله من ناحية أن العبادة تقتضى أمراً ونهيا ، في ه افعل ه و « لا تفعل ه ولم يقل معبود من هؤلاء ما الذي تطبعه وما الذي نعصاه . والأصل في المعبود أنه يهدى العابد السبيل الموصل إلى خيره في الدنيا وفي الآخرة . لذلك يقول الحق : ﴿ ألم يروا أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلاً اتخذوه وكانوا ظالمين ﴾ . و ﴿ كانوا ظالمين ﴾ لأنهم أعطوا حقًا لمن ليس له الحق ، والحق سبحانه أعلى قمة في الحق ، ولذلك قال عن الشرك به : ﴿ إن الشرك له الشرك به : ﴿ إن

ويقول الحق بعد ذلك :

﴿ وَلِنَاسُقِطَ فِت أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدُّ ضَلُوا قَالُوالَهِن لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَ قَالُوالَهِن لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَلْسِرِينَ ﴿ فَيَهُ

هذا يوضح لنا أن عبادة العجل بين قوم موسى صار لها جمهور لكن الناس اللين امتلكوا قلراً من البصيرة ، أو بقية إيمان قالوا : هذه الحكاية سخيفة ، وما كان لنا أن نفعلها وندموا على ما كان ، ويقال : سقط في يده ، وهذه من الدلالات الطبيعية الفطرية التي لا تختلف فيها أمة عن أمة ، بل هي في كل الأجناس ، وفي كل لغة تشير إلى أن الإنسان إذا ما فعل فعلا وحدث له عكس ما يقعل يعض على الأنامل ندماً وغمًا ، وهذه من الدلالات الفطرية الباقية لنا من الالتقاء الطبعي في المخاطبات ، في كل الأجناس . ويعض الإنسان الإنامل لانه عمل شيئاً ما كان يصح أن يعمله ، فإذا كان الشيء عظيماً فهو لا يكتفي بالانملة بل يمسك يده كلها ويعضها . والحق يقول : ﴿ ويوم يعض الظالم على يديه ﴾

وسُقط في أيديهم » أي جاءت أنيابهم على أيديهم ، كأن الندم بلغ أشده ، إن ذلك حدث من النائبين الذين أبصروا بعيونهم ورأوا أن ذلك باطل وخسران . أي

قالوا: لئن لم يتداركنا الله برحمته ومغفرته لنكونن من الهالكين، وهذا اعتراف منهم بذنبهم والتجاء إلى الله عز وجل.

هم بدنيهم والنجاء إلى الله عو وجل ويقول الحق بعد ذلك:

حَيْنَ وَلَمَّارَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ عَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِنْسَمَا خَلَفْتُهُونِ مِنْ بَعَدِى أَعَجِلْتُمْ أَمْرَرَتِكُمْ وَالْقَى الْأَلُواحَ خَلَفْتُهُونِ مِنْ بَعَدِى أَعَجِلْتُمْ أَمْرَرَتِكُمْ وَالْقَى الْأَلُواحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ أَبْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ الْخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ أَبْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ الْفَوْمِ اللَّهُ فَلَا تُشْمِتُ فِي الْخَوْمِ الْفَوْمِ الظَّيْمِينَ فَلَا تَشْمِتُ فِي الْخَوْمِ الظَّيْمِينَ فَلَا تَشْمِتُ فِي الْخَوْمِ الظَّيْمِينَ فَلَا تَشْمِتُ فِي الْخَوْمِ الظَّيْمِينَ فَلَا تَشْمِتُ فِي الْفَوْمِ الظَّيْمِينَ فَلَا تَشْمِتُ فِي الْفَوْمِ الْفَوْمِ الظَّيْمِينَ فَلَا تَشْمِتُ فِي الْفَوْمِ الْفَوْمِ الطَّيْمِينَ فَلَا الْمُعْتَلِيمِينَ الْمَا لَيْمُ اللَّهُ وَمِ الْفَوْمِ الْفَوْمِ الْفَوْمِ الْفَوْمِ الْفَوْمِ الْفَالِمِينَ الْمَا لَيْمُ اللَّهُ الْمُعْتَلِيمِ الْمَا لَيْمُ اللَّهُ اللّ

وكون موسى يعود إلى قومه حالة كونه غضبان أسِفاً ، يدلنا على أنه علم الخبر بحكاية العجل . والغضب والأسف عملية نفسية فيها حزن وسموها : « المواجيد النفسية ، أى الشيء الذي يجده الإنسان في نفسه ، وقد يعبر عن هذه المواجيد بانفعالات نزوعية ، ولذلك تجد فارقاً بين من يحزن ويكبت في نفسه ، وبين من يغضب ، فمن يغضب تنتفخ أوداجه ويحمر وجهه ويستمر هياجه ، وتبرق عيناه بالشر وتندفع يداه ، وهذا اسمه : غضبان . وصار موسى إلى الحالتين الاثنتين ؛ وقدم الغضب لأنه رسول له منهجه . ولا يكفى في مثل هذا الأمر الحزن فقط ، بل لابد أن يكون هناك الغضب نتيجة هياج الجوارح ،

وقديماً قلنا: إن كل تصور شعورى له ثلاث مراحل: المرحلة الأولى . مرحلة إدراكية ، ثم مرحلة وجدانية في النفس ، ثم مرحلة نزوعيه بالحركة ، وضربنا المثل لذلك بالوردة . فمن يرى الوردة فهذا إدراك ، وله أن يعجب بها ويسر من شكلها ويطمئن لها ويرتاح ، وهذا وجدان . لكن من يمد يده ليقطفها فهذا نزوع

00+00+00+00+00+00+01716

حركى . والتشريع لم يقنن للإدراك أو للوجدان لكنه قنن للسلوك . إلا في غض البصر عما حرم الله وذلك رعاية لحرمة الأعراض .

والأسف عند موسى لن يظهر للمخالفين للمنهج . بل يظهر الغضب وهو عملية نزوعية ، ونلحظ أنه يأتي بكلمة أسف . وهى مبالغة . فهناك فرق بين أسف وآسف ، آسف خفيفة قليلاً ، لكن أسف صيغة مبالغة ، مما يدل على أن الحزن قد اشتد عليه وتمكن منه .

﴿ قَالَ بِنْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي ۖ أَعِلْتُمْ أَمْرَ رَبِكُمْ ﴾

(من الآية ١٥٠ صورة الأعراف)

وقوله سبحانه: ﴿ أعجلتم أمر ربكم ﴾ أى استبطأتمونى ، وهذا نتيجة لذهاب موسى لثلاثين ليلة وأتممها بعشر ، فتساءل موسى : هل ظننتم أننى لن آن ؟ أو أننى أبطأت عليكم ؟ وهل كنتم تعتقدون وتؤمنون من أجلى أو من أجل إله قادر ؟ . ولذلك قال سيدنا أبو بكر رضى الله عنه : عندما انتقل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الرقيق الأعل :

و من كان يعبد محمدًا فإن محمدًا قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حى لا يموت ، وهنا يقول سيدنا موسى : افترضوا أنكم عجلتم الأمر واستبطأتمونى أو خفتم أن أكون قد مت ، فهل كنتم تعبدوننى أو تعبدون ربنا .

﴿ أعجلتم أمر ربكم وألقى الألواح ﴾ ، ونعلم أن الألواح فيها المنهج ، وقدر موسى على أخيه : ﴿ وأخذ برأس أخيه يجرّه إليه ﴾ وهذا « النزوع الغضبي » الذي جعله يأخذ برأس أخيه ، كأن الأخوة هنا لا نفع لها ، فماذا كان رد الأخ هارون : ؟

﴿ قَالَ أَبْنَ أُمْ إِنَّ الْفَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُواْ بَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّلِيبَ ﴾ مَعَ الْقَوْمِ الظَّلِيبِينَ ﴾

(من الآية ١٥٠ صورة الأعراف)

نلحظ أنه قال : ﴿ ابن أم ﴾ ولم يقل : ﴿ ابن أب ﴾ لأن أبا موسى وهارون طُوى

0400400400+00+00+00+0

اسمه في تاريخ النبوات ولم يظهر عنه أي خبر ، والعلم جاءنا عن أمه لأنها هي التي قابلت المشقات في أمر حياته ، لذلك جاء هنا بالقدر المشترك البارز في حياتها ، ولأن الأمومة مستقر الأرحام ؛ لذلك أنت تجد أخوة من الأم ، وأخوة من الأب فقط ، واخوة من الأب والأم ، والأخوة من الأب والأم أمرهم معروف . لكن نجد في أخوة الأم حنانا ظاهراً ، ويقل الحنان بين الأخوة من الأب . وجاء الحق هنا بالقدر المشترك بينها _ موسى وهارون _ وهو أخوة الأم ، وله وجود مستحضر في تاريخهم . أما الأب عمران فنحن لا نعرف عنه شيئاً ، وكل الأيات التي جاءت عن موسى متعلقة بأمه ، لذلك نجد أخاه هارون يكلمه بالأسلوب الذي يجنه : ﴿ قال ابن أمّ إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني ﴾ .

ومادام قد قال : ﴿ وكادوا يقتلونني ﴾ فهذا دليل على أنه وقف منهم موقف المعارض والمقاوم الذي أدى ما عليه إلى درجة أنهم فكروا في قتله ، ويتابع الحق بلسان هارون : ﴿ فلا تشمت بي الأعداء ولا تجعلني مع القوم الظالمين ﴾ .

والشماتة هي إظهار الفرح بمصيبة تقع بخصم ، والأعداء هم القوم الذين اتخذوا العجل ، وقد وصفهم بالأعداء كدليل على أنه وقف منهم موقف العداوة ، وأن موقف الخلاف بين موسى وهارون سيفرحهم . وقوله : ﴿ وأخذ برأس أخيه ﴾ . . إجمال للرأس في عمومها ، وفي آية أخرى يقول : ﴿ لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي ﴾ .

ولقد صنع موسى ذلك ليسمع العذر من هارون ؛ لأنه يعلم أن هارون رسول مثله ، وأراد أن يسمعنا ويسمع الدنيا حجة أخيه حين أوضح أنه لم يقصر . قال : إن القوم استضعفوني لأني وحدى وكادوا يقتلونني ، مما يدل على أنه قاومهم مقاومة وصلت وانتهت إلى آخر مجهودات الطاقة في الحياة ؛ حتى أنهم كادوا "يقتلونه ، إذن فهو لم يوافقهم على شيء ، ولكنه قاوم على قدر الطاقة البشرية ، لذلك يذيل الحق الأية بقوله سبحانه : ﴿ ولا تجعلني مع القوم الظالمين ﴾ .

وكانه يقول: لموسى إنك أن آخذتني هذه المؤاخذة في حالة غضبك ، ربما ظُنَّ بي أنني كنت معهم ، أو سلكت مسلكهم في اتخاذ العجل وعبادته . وأراد الحق سبحانه

00+00+00+00+00+00+00+0

أن يبين لنا موقف موسى وموقف أخيه ؛ فموقف موسى ظهر حين غضب على أخيه وابن أمه ، وموقف هارون الذي بين العلة في أن القوم استضعفوه وكادوا يقتلونه ، ولا يمكن أن يطلب منه فوق هذا ، وحينها قال هارون ذلك تنبه موسى إلى أمرين :

الأمر الأول : أنه كيف يلقى الألواح وفيها المنهج ؟ والأمر الثانى : أنه كيف، يأخذ أخاه هذه الأخذة قبل أن يتبين وجه الحق منه ؟

ويقول الحق على لسانه بعد ذلك:

﴿ قَالَ رَبِّ اعْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَ افِ رَحْمَتِكُ اللَّهِ قَالَ رَبِّمَتِكُ الرَّحِينَ فَ اللَّهِ وَأَنْتَ أَرْحَكُمُ الرَّحِينَ فَ اللَّهِ

ويطلب موسى لنفسه ولأخيه الرحمة : ﴿ وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكُ وَأَنْتَ أَرْحُمُ ٱلرَّحِمِينَ ﴾

(من الآية ١٥١ سورة الأعراف)

وحين تسمع ﴿ أرحم الراحمين ﴾ ، أو ﴿ خير الرازقين ﴾ ، أو ﴿ خير الرازقين ﴾ ، أو ﴿ خير الوارثين ﴾ ، أو ﴿ أحسن الخالقين ﴾ ، وكل جمع هو وصف الله ، وإنه بهذا أيضاً يدعو خلقه إلى التخلق بهذا الخلق ، ويوصف به خلقه فاعلم أن الله لم يعرمهم من وصفهم بهذه الصفات لأن لهم فيها عملا وإن كان محدودا يتناسب مع قدرتهم ومخلوقيتهم وعبوديتهم ، فضلا على أنها عطاء ومنحة منه ـ سبحانه _ أما صفات الله فهى صفات لا محدودة ولا متناهية جلالا وكمالا وجمالا فسبحانه ﴿ ليس كمثله

0+00+00+00+00+00+00+0

شيء كه ، فإذا كان الله هو ﴿ أرحم الراحمين ﴾ فهذا يعنى أنه سبحانه لم يمنع الرحمة من خلقه على خلقه ؛ فمن رحم أخاه سُمى رحيماً ، وراحما ، ولكن الله أرحم الراحمين ؛ لأن الرحمة من كل إنسان ضمان لمظهرية الغضب في هذا الأحد ، يقال : ورحمت فلاناً » أي من غضبك عليه وعقوبتك ، وإن عقوبتك عليه ولاناً » أي من غضبك عليه وقوته لا نهاية لها ، على قدر قوتك ، لكن الله حين يريد أن يأخذ واحداً بذنب فقوته لا نهاية لها ، وكذلك رحمته أيضاً لا نهاية لها .

ويقول الحق بعد ذلك :

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا ٱلْعِجْلَ سَيَنَا أَهُمُّ غَضَبُ إِنَّ ٱلْذِينَ ٱتَّخِرِي مِن رَبِهِم وَذِلَة فِي ٱلْحَيَوْةِ ٱلدُّنِيَا وَكَذَ لِكَ جَعْرِي وَنِ الْمُعْتَرِينَ اللهُ عَلَيْ اللهُ اللهُولِ اللهُ ا

حين يقال: ﴿ اتخذوا العجل ﴾ قد نجد من يتساءل: هل اتخذوه مذبوحاً بأكلونه ؟ أو يشر الأرض أو يسقى الحرث ويدير السواقى ؟ لأن العجل موجود لهذه المهام ، لكنهم لم يأخذوا العجل لتلك المهام ، بل إنهم قد اتخذوا العجل إلها ومعبوداً ، أما اتخاذه فيما خُلِقَ له فلا غبار عليه ، وهو هنا محذوف ومتروك لفطنة السامع ؛ فإذا اتخذنا العجل فيما خُلِقَ له العجل لا ينالنا غضب من الله ، أما الذين مينائهم غضب الله فهم من اتخذوا العجل في غير ما خُلقَ له ، إنهم اتخذوه إلها : ﴿ سينائهم غضب من ربهم وذلة في الحياة الذبيا ﴾ .

وقوله: ﴿ سبنالهم ﴾ يدل على أن أوان الغضب والذلة لم يأت بعد ، وسيحدث في المستقبل ، ومستقبل الدنيا هو الأخرة ، ولكن الحق هنا يقول : إن الذلة ستحدث في الدنيا ، فكيف يكون ﴿ سينالهم غضب ﴾ مع أنهم تابوا ؟ ويوضع سبحانه لنا ذلك في قوله : ﴿ فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم ﴾ .

فبعضهم تاب إلى بارثه وقتل نفسه فلماذا إذن الغضب؟

ويوضح الحق لنا أن الذي نالهم من الغضب هو ما الجاهم إلى أن يقال لهم : و اقتلوا أنفسكم ، وهكذا نفهم أن قوله تعالى : « سينالهم غضب ، أي قبل أن يتوبوا ، وقتل النفس هو منتهى الذلة ومنتهى الإهانة .

﴿ سَيْنَا لَهُمْ عَضَبٌ مِن رَبِيهِمْ وَذِلَةٌ فِي الْحَيَوْةِ الدُّنْيَا وَكَذَالِكَ لَجَنْزِى الْمُفْتَرِينَ ﴾ ﴿ سَالَانَهُ الْمُعْرَفِينَ الْمُعْرَافِ)

أى أن هذا الأمر ليس بخاصية لهم ، فكل مفتر يتجاوز حده فوق ما شرعه الله لابد أن يناله هذا الجزاء ؛ لأن ربنا حين يقول لنا ما حدث في تاريخهم ؛ وحين يسرد لنا هذه القصة فإنه يريد من وراء ذلك ـ سبحانه ـ أن يعتبر السامع للقصة في نفسه لا يتأتى إلا بأن يقول له الله تنبيها وتحذيراً : فسه . واعتبار السامع للقصة في نفسه لا يتأتى إلا بأن يقول له الله تنبيها وتحذيراً : فو وكذلك نجزى المفترين كه أى احذر أن تكون مثل هؤلاء فينالك ما نالهم ، وهو سبحانه ينبه كلا منا لينتفع من هذه العبرة وهذه اللقطة فإن التاريخ مسرود لأخذ العبرة ، والعظة ليتعظ بها السامع ،

ويقول الحق بعد ذلك:

﴿ وَالَّذِينَ عَمِلُوا ٱلسَّيِّ اَتِ ثُكَّ تَابُوا مِنْ بَعَدِهَا وَءَامَنُوَ الِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَعَنَفُورٌ رَّحِيتُ ﴿ فَا الْعَنْفُورُ رَّحِيتُ اللهِ الْعَنْفُورُ

وهذا ما حدث ، فبعد أن اتخذوا العجل ، وقال لهم : اقتلوا أنفسكم توبة إلى بارثكم ، ثم تابوا ورجعوا إلى الله وآمنوا بما جاءهم ، غفر الله لهم . وإذا كان الحق قد قص علينا مظهرية جباريته فإنه أيضاً لم يشأ أن يدعنا في مظهرية الجبارية ، وأراد أن يدخلنا في حنان الرحمانية . لذلك يقول هنا :

﴿ وَالَّذِينَ عَمِلُوا ٱلَّهِ عَالَتِ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْلِهَا وَ امْنُوا إِنَّ رَّبُّكَ مِنْ بَعْلِهَا

لَنَفُورُ رُحِمُ ١٠٠٠ ﴾

(سورة الأعراف)

وقوله: ﴿ ثم تابوا ﴾ أى ندموا على ما فعلوا وأصروا وعزموا على ألا يعودوا ، ونعلم من قبل أن التوبة لها مظهريات ثلاثة ؛ أولا : لها مظهرية التشريع ، ولها مظهرية الفعل من التاثب ثانيا ، ولها قبولية الله للتوبة من التاثب ثالثاً . ومشروعية التوبة نفسها فيها مطلق الرحمة ، ولو لم يكن ربنا قد شرع التوبة في ذاتها لتعب الخلق جميعاً ؛ لأن كل من عمل سيئة ، ولم يشرع الله له التوبة سيستشرى شره في عمل السيئات . لكن حين يشرع ربنا للمسىء التوبة ، ويدعو العبد للكف عن السيئة فهذه رحمة بالمذنب ، وبالمجتمع الذي يعيش فيه المذنب . بعد ذلك يتوب العبد ، ثم يكون هنا مظهرية أخرى للحق ، وهو أن يقبل توبته .

التوبة _ إذن _ لها تشريع من الله ، وذلك رحمة ، وفعل من العبد بأن يتوب ، وذلك هو الاستجابة ، وقبول من الله ، وذلك هو قمة العطاء والرحمة منه سبحانه .

وقوله الحق :

﴿ وَالَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسِّيعَاتِ ثُمَّ ثَابُواْ مِنْ بَعْدِهَا وَوَامَنُواْ ﴾

(من الآية ١٥٣ صورة الأعراف)

إنَّ هذا القول يدل على أن عمل السيئة يخدش الإيمان ، فيأمر سبحانه عبده : جدَّد إيمانك ، واستحضر ربك استحضاراً استقباليًا ؛ لأن عملك السيئة يدل على أنك قد غفلت عن الحق في أمره ونهيه ، وحين تتوب فأنت تجدد إيمانك وتجد ربك غفوراً رحيماً : ﴿ إن ربك من بعدها لغفور رحيم ﴾ .

إن ذنب العبد يكون فيما خالف منهج ربه في و افعل و و لا تفعل ، ومادام العبد قد استغفر الله وتاب فسيحانه يقبل التوبة . ويوضح : إذا كنت أنا غفورا رحيماً ، فإياكم يا خلقي أن تُذكروا مذنباً بذنبه بعد أن يتوب ؛ لأن صاحب الشأن غفر ، فإياك أن تقول للسارق التائب : ويا سارق ، وإياك أن تقول للزاني التائب : ويادرتشي وإياك أن تقول للمرتشي التائب : ويادرتشي ولان المذنب

0-V73 0+00+00+00+00+00+00+0

مادام قد جدَّد توبته وأمن ، وغفر الله له ، فلا تكن أنت طفيليًّا وتبرز له الذنب من جديد .

ويقول الحق بعد ذلك :

﴿ ﴿ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُوسَى ٱلْعَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلُواحُ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدُى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴿ اللَّهِ مِنْ اللَّهِ مُ اللَّهِ مَ

وهل للغضب سكوت ؟ هل للغضب مشاعر حتى يسكت ؟ نعم ؛ لأن الغضب هيجان النفس لتعمل عملاً نزوعيًا أمام من أذنب ، فكأن الغضب يلح عليه ، ويقول للغاضب : اضرب ، اشتم ، اقتل . كأن الغضب قد مُثل وصُور في صورة شخص له قدرة إصدار الأوامر ، فشبه الله الغضب بصورة إنسان يلح على موسى في أن يفعل كذا ، ويفعل كذا ، ويفعل كذا ، فلما قال الله ذلك كأن الغضب قد سكت عنه .

أو هو كما قال إخواننا العلماء : من القلب في اللغة ، أي أنه يقلب المسألة ، اتكالاً على أن فطنة السامع سترد كل شيء إلى أصله ؛ كما نسمع في اللغة : خرق الثوب المسمار ، نفهم من هذا القول أن المسمار هو الذي قام بخرق الثوب ؛ لأننا لن نتخيل أن الثوب يخرق مسماراً . ويسمى ذلك « القلب » أي أن يأتي بمسألة مقلوبة تفهمها فطنة السامع . أو أن المسمار مستقر في مكانه ، والثوب هو الذي طرأ عليه فانخرق ، فيكون سبب الخرق من الثوب ، فكأن الفاعلية المحقيقية من الثوب : ﴿ ولما سكت عن موسى الغضب ﴾ .

أو تكون كلمة (سكت) كناية عن أن الغضب زال وانتهى .

﴿ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلُواحُ وَفِي مُسْخَتِهَا هُدُى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ

O (TY) D O + O O + O O + O O + O O + O

وأول عمل قام به موسى ساعة أن كان غضبان أسفاً أنه ألقى الألواح ، وأول ما ذهب الغضب عنه وزايله أخذ الألواح ، وهذا أمر منطقى ، فالغضب جعله يلقى الألواح ، ويأخذ برأس أخيه ، ثم فهم ما فعله أخوه واعتذر به فقبل عذره ، وطلب من الله أن يغفر له ، وأن يغفر لأخيه وانتهى الغضب وكانت الألواح ملقاة فأخذها ثانية .

﴿ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةً لِلَّذِينَ هُمْ لِرَّبِيمَ بَرْهَبُونَ ﴾

(من الآية ١٥٤ مبورة الأعراف)

النسخة من الكتاب مأخوذة من الشيء المنسوخ أى المنقول من مكان إلى مكان ، ويقال : نسخت الكتاب الفلاني من الكتاب الفلاني . . أى أن هناك كتابا مخطوطاً ثم نقلناه بالطباعة أو بالكتابة إلى نسخة أو عدد من النسخ ، أى أخذته من الأصل إلى الصورة ، واسمه منسوخ ، وكلمة نُسخة على وزد « فُعْلَة » وتأتى بمعنى مفعولة ، فنسخة تعنى منسوخة ، وفي القرآن مثل هذا كثير . والحق سبحانه وتعالى قال :

﴿ إِنَّ اللَّهُ مُسْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنْيَ وَمَن لَرْ يَطْعَمُهُ فَإِنَّهُ مِنْيَ إِلَّا مَنِ اللَّا مَنِ الْفَارِفَ مُنْقَدًا إِنَّا اللَّهُ مِنْيَ إِلَّا مَنِ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْقَالًا مَنِ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْقَالًا مَنِ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْقَالًا مَنِ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْقَالًا مَنِ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مُنْفَعًا لَهُ مُنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مُنْرِبُ مِنْ اللَّهُ مُنْ اللَّالِي اللَّهُ مُنْ اللّلِيسُ مِنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مُن اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مُنَا اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مِنْ اللَّذِاللَّا اللَّهُ مُنْ اللَّذِالِقُولُ مُنْ اللَّذِي اللَّهُ مُنْ اللَّذِي اللَّهُ

(من الآية ٢٤٩ سورة البقرة)

و ﴿ غُرْفَة ﴾ أى مغروفة ، وهي القليل من المياه في اليد لتبل الريق فقط ، والغرفة أيضاً تكون في البيوت ؛ لأنها مكان مقتطع من مكان أخر ولها جدران تحددها ، واسمها غرفة لأنها مغروفة من المكان في حيز مخصوص ، وهنا يقول الحق سبحانه : ﴿ وَفِي نُسختها هدى ورحمة ﴾ ،

و « هدى « المقصود به المنهج الموصل للغاية في « افعل » و « لا تفعل » . إنّه يوصل للغاية وهي ثواب الآخرة . إذن فالهدى والرحمة شيء واحد له طرفان ، فالهدى هو المنهج الذي إن اتبعته تصل إلى الرحمة ، ولذلك يقول الحق : ﴿ هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون ﴾ .

وهكذا لجد المنهج هدي ورحمة ، فمن يسمع كلام الله ويتبعه يهتدي ويرحمه

ربنا ؛ لأنه جعل الله في باله ، وخاف من صفات الجبارية في الحق ، ولهذا لابد أن يستحضر الإنسان أو المؤمن رهبته لربه وخوفه منه ـ سبحانه ـ ليكون المنهج هدى ورحمة له . ويكون من الذين يرهبون ربهم .

وساعة ترى المفعول تقدم في مثل قوله سبحانه هنا:

﴿ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِهِمْ يَرْهُبُونَ ﴾

﴿ مِنَ الْآَيَةِ ١٥٤ صَوْرَةِ الْأَعْرَافِ ﴾

نفهم أن هذا هو ما يسمى في اللغة ۽ اختصاص ۽ وقَصْر مثلما قال البحق في فاتحة الكتاب : ﴿ إِياكَ نعبد ﴾ .

وما الفرق بين « إياك نعبد » و « نعبدك » ؟ إن قلنا : « تعبدك » فهو قول لا يمنع من العطف عليه ، فقد تعبدك ونعبد الشرك ، معك ؛ لكن قولنا: « إياك تعبد » أى خصصناك بالعبادة وقصرناها عليك سبحانك فلا تتعدى إلى غيرك .

إذن حين تقدم المفعول فهذا هو عمل الاختصاص . ومثال ذلك في حياتنا حين نقول: « أكرمتك » ، ولا مانع أن نقول بعدها « وأكرمت زيداً وأكرمت عمراً » . لكن إن قلت : إياك أكرمت ، فهذا يعنى أنى لم أكرم إلا إياك . وهنا يقول الحق : في المذين هم لربهم يرهبون في . ولقائل أن يقول : ألا يمكن أن يدعى أحد الرهبة ظاهراً وأنه ممتثل لأمر الله رياء أو سمعة حتى يقول الناس : إن فلاناً حسن الإسلام ، ويأخذون في الثناء عليه ؟ ولكن هنا نجد التخصيص الذي يدل على أن العبد لا يرهب أحداً غير الله ، وأن الرهبة خالصة لله ، وليست رياء ، ولا سمعة ، ولا لقصد الثناء .

ويقول الحق سبحانه بعد ذلك :

﴿ وَأَخْنَارَ مُوسَىٰ قُومَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَائِنَا فَلَمَا اللَّهِ وَأَخْنَارَ مُوسَىٰ قُومَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَائِنَا فَلَمَّا اللَّهُ مَن السَّمُ ٱلرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْشِنْتَ أَهْلَكُنْهُ مِين

○ £7VY ○ ○ ◆ ○ ◆ ○ ○ ○ ◆ ○ ○ ◆ ○ ○ ◆ ○ ○ ◆ ○ ○ ○ ◆ ○ ○ ○ ◆ ○ ○ ○ ◆ ○ ○ ◆ ○ ○

قَبْلُ وَإِنَّنَى أَتُهْلِكُنَا عِانَعَلَ ٱلسَّفَهَاءُ مِنَا إِنْ هِيَ إِلَا فِئْلُ وَإِنَّا مَا فَعَلَ ٱلسَّفَهَاءُ مِنَا إِنْ هِيَ إِلَّا فِئْلُكُ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاءُ وَتَهْدِي مَن تَشَاءُ أَنْ وَلِينًا فَنْفِرِينَ مَن تَشَاءُ أَنْ وَلِينًا فَاعْفِرِينَ فَعَ اللَّهِ فَاعْفِرُ لَنَا وَارْحَمْنا وَانتَ خَيْرا لَعْنفِرِينَ فَعَى اللَّهِ اللَّهِ فَاعْفِرُ لَنَا وَارْحَمْنا وَانتَ خَيْرا لَعْنفِرِينَ فَعَى اللَّهِ اللَّهُ اللَّ

وكلمة واختار وتدل على أن العمل الإختيارى يُرجع المقل فيه فعلاً على عدم فعل أو على فعل آخر ، وإلا فلا يكون في الأمر اختيار ؛ لأن واختار وتعنى طلب الخير والخيار ، وكان في مكنتك أن تأخذ غيره ، وهذا لا يتأتى إلا في الأمور الاختيارية التي هي مناط التكليف ، مثال ذلك : اللسان خاضع لإرادة صاحبه فخضع للمؤمن حين قال : لا إله إلا الله ، وخضع للملحد حين قال ـ لعنه الله ـ : لا وجود لله ، ولم يعص اللسان في هذه ، ولا في تلك . والذي رجع أمراً على أمر هو ترجيح الإيمان عند المؤمن في أن يقول : لا إله إلا الله ، وترجيع الإلحاد عند الملحد في أن يقول ما يناقض ذلك . والحق هنا يقول : ﴿ واختار موسى قومه سبعين رجلاً ﴾ .

والذين درسوا اللغة يقولون: إن هناك حدثاً. وأنّ هناك موجدا للحدث نسميه فاعلاً مثل قولنا: وكتب زيد الدرس وي أي أن زيداً هو الذي أدى الكتابة ، ونسمي والدرس وي الذي وقعت عليه الكتابة مفعولاً به ، ومرة يكون هناك ما نسميه و مفعولاً له وي أو و مفعولاً لأجله و مثل قول الابن: قمت لوالدي إجلالاً ، فالذي قام هو الابن ، والإجلال كان سبباً في إيقاع الفعل فنسميه و مفعولاً لأجله و ونقول: وصُمّت يوم كذا و ونسميه و مفعولاً فيه و ، وهو أن الفعل ، وقع في هذا الزمن . فمرة يقع الحدث على شيء فيكون مفعولاً به ، ومرة يقع لأجل كذا فيكون مفعولاً فيه ، ومرة يقع لأجل كذا فيكون مفعولاً لأجله ، ومرة يقع أن الإنسان سار بجانب النيل وكلما مشي وجد النيل في جانبه .

وهنا يقول الحق:

﴿ وَأَخْنَارَ مُوسَىٰ قُوْمُهُمْ سَبِعِينَ رَجُلًا لِيمِيقَائِنَا ﴾

(من الآية ١٥٥ سورة الأعراف)

ولأن اختيار موسى للسبعين كان وقع من القوم ؛ فيكون المفعول قد جاء من هؤلاء القوم ، ويسمى « مفعولاً منه » ؛ لأنّه لم يخترهم كلهم ، إنما اختار منهم سبعين رجلاً لميقاته مع الله سبحانه .

وقالوا في علمة السبعين إن من اتبعوا موسى كانوا أسباطاً ، فأخذ من كل سبط عدداً من الرجال ليكون كل الأسباط ممثلين في الميقات ، وكثمة «ميقات » مرت قبل ذلك حين قال الله ؛

﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَنْتِنَا وَ كَلَّمَهُ رَبُّهُ ﴾

(من الأبة ١٤٣ سورة الأعراف)

وهل الميقات هذا هو الميقات الأول ؟ لا ؛ لأن الميقات الأول كان لكلام موسى مع الله ، والميقات الثاني هو للاعتذار عن عبدة العجل .

﴿ وَالْحَتَارَ مُومَىٰ قَوْمَهُ مَسْعِينَ رَجُلًا لِيمِيقَائِنَا فَلَمَا أَخَذَنْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ قَالَ رَبِ

(من الآية ١٥٥ سورة الأعراف)

ولماذا أخذتهم الرجفة ؟

لأنهم لم يقاوموا الذين عبدوا العجل المقاومة الملاتمة ، وأراد الله أن يعطى لهم لمحة من عذابه ، والرجفة هي الزلزلة الشديدة التي تهز المرجوف وتخيفه وترهبه من الراجف . وحين أخذتهم الرجفة قال موسى : ﴿ رَبُّ لُو شُنْتُ أَهْلَكُتُهُم مَنْ قَبِلُ وَإِيانَ ﴾ .

أوضح موسى : لقد أحضرتهم من قومهم . وأهلوهم يعرفون أن السبعين رجلًا قد جاءوا معى ، فإن أهلكتهم يا رب فقد يظن أهلهم أننى أحضرتهم ليموتوا وأسلمتهم إلى الهلاك . ولو كنت مميتهم يا رب وشاءت مشيئتك ذلك لأمتهم من

۵ ٤٣٧٥ - ١٠٥ - ١٠٥٥ - ١٠٥ - ١٠٥ - ١٠٥٥ - ١٠٥٥ - ١٠٥٥ - ١٠٥٥ - ١٠٥٥ - ١٠٥٥ - ١٠٥٥ - ١٠٥٥ - ١٠٥٥ - ١٠٥ - ١٠٥٥ - ١٠٥ - ١٥٥ - ١٥٥ - ١٥٥ - ١٥٥ - ١٥٥ - ١٥٥ - ١٥ - ١٥٥ - ١٥

مَن اللهُ اللهُ اللهُ عَمَا اللهُ عَمَا اللهُ عَمَا اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَ اللهُ عَلَى اللهُ عَلْمُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ ع

رَبِيعِ اللهِ مَا مُؤْمِدُ لَمَا وَأَرْجَمُنَا وَأَنْتَ خَيْرُ ٱلْغَلْغِرِينَ ﴾ تَشَاهُ أَنْتَ خَيْرُ ٱلْغَلْغِرِينَ ﴾

(من الآية ١٥٥ صورة الأعراف)

أنت أرحم يا رب من أن تهلكنا بما فعل السفهاء منا ، وهذا القول يدل على أن العملية عملية فعل ، والفعل هو عبادة العجل ؛ فلو أن هذا هو الميقات الأول لما احتاج إلى مثل هذا القول ؛ لأن قوم موسى لم يكونوا قد عبدوا العجل بعد . ولكنهم قالوا بعد الميقات الأول : مادام موسى قد كلم الله ، فلابد لنا أن نرى الله ، وقالوا فعلاً لموسى :

﴿ أُرِنَا اللَّهُ جَهُرُهُ ﴾

(من الآية ١٥٣ صورة النساء)

إذن نجد أن ما حصل من قوم موسى بعد الميقات الأول هو قولهم : ﴿ أَرَنَا اللهُ جَهْرَةَ ﴾ وليس الفعل: ﴿ أَتَهَلَكُنَا بِمَا فَعَلَ جَهُرَةً ﴾ وليس الفعل: ﴿ أَتَهَلَكُنَا بِمَا فَعَلَ السَّفَهَاءُ مِنَا إِنْ هَى إِلَا فَتَنْتُكَ ﴾ .

وهكذا نعلم أن الآية تتحدث عن ميقات ثانٍ تحدد بعد أن عبد بعضهم العجل . والفتنة هي الاختبار ، والاختبار ليس مذموماً في ذاته ، ولا يقال في أي امتحان إنه مذموم . إنما المذموم هو النتيجة عند من يرسب ، والاختبار والامتحان غير مذموم عند من ينجح .

إذن فالفتنة هي الابتلاء والاختبار، وهذا الاختبار يواجه الإنسان الجاهل الذي لا يعلم بما تصير إليه الأمور وتنتهي إليه ليختار الطريق ويصل إلى النتيجة. ولا يكون ذلك بالنسبة لله ؛ لأنه يعلم أزلًا كل سلوك لعباده، لكن هذا العلم لا يكون حجة على العباد ؛ ولابد من الفعل من العباد ليبرز ويظهر ويكون له وجود في الواقع لتكون الحجة عليهم. والأخذ بالواقع هو الأعدل.

وقول موسى عليه السلام:

O 1713 O + O

﴿ إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكُ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاءُ وَتَهْدِي مَن نَشَآهُ ﴾

(من الآية ١٥٥ سورة الأعراف)

هذا القول يعنى : أنك يا رب قد جعلت الاختبار لأنك خلقتهم مختارين ؟ فيصح أن يطبعوا ويصح أن يعصوا . والله سبحانه هو من يُضل ويهدى ؟ لأنه مادام قد جعل الإنسان مختاراً فقد جعل فيه القدرة على الضلال ، والقدرة على الهدى .

وقد بيّن سبحانه من يشاء هدايته، ومن يشاء إضلاله فقال:

﴿ وَ اللَّهُ لَا يَهِدِي الْقُومُ الظَّالِمِينَ ﴾

(من الآية ٨٦ سورة أل عمران)

والسبب في عدم هدايتهم هو ظلمهم ، وكذلك يقول الحق :

﴿ وَاللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْفُومَ ٱلْكَنْفِرِينَ ﴾

(من الآية ٢٦٤ سورة البقرة)

وهكذا نرى أن الكفر منهم هو الذى يمنعهم من الهداية . إذن فقد جعل الله للعبد أن يختار الهداية أو أن يختار الضلال ، وما يفعله العبد ويختاره لا يفعله قهراً عن الله ؛ لأنه سبحانه لو لم يخلق كلا منا مختاراً لما استطاع الإنسان أن يفعل غير مراد الله ، ولكنه خلق الإنسان مختاراً ، وساعة ما تختار - أيها الإنسان - الهداية أو تختار الضلال فهذا ما منحه الله لك ، وسبحانه قد بيّن أن الذي يظلم ، والذي يفسق هو أهل لأن يعينه الله على ضلاله ، تماماً كما يعين من يختار الهداية ؛ لأنه أن يعينه الله على الهداية .

ويقول الحق على لسان سيدنا موسى في نهاية هذه الآية :

﴿ أَنتَ وَلِينًا فَاغْفِر لَنَا وَارْحَنَّا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَنفِرِينَ ﴾

(من الآية ١٥٥ سورة الأعراف)

والولى هو الذى يليك ، ولا يليك إلا من قربته منك بودك له ، ولم تقربه إلا لحيثية فيه تعجبك وتنفعك وتساعدك إذا اعتدى عليك أحد أو تأخذ من عمله لأنه عليم . إذن فالمعنى الأول لكلمة الولى أى القريب الذى قربته لأن فيه خصلة من الخصال التى قد تنفعك ، أو تنصرك ، أو تعلمك .

O+OO+OO+OO+OO+OO+OO

وقول موسى « أنت ولينا » أى ناصرنا ، والأقرب إلينا . فإن ارتكب الإنسان منا ذنباً فأنت أولى به ، إنك وحدك القادر على أن تغفر ذنبه ؛ لذلك يقول موسى : « فاغفر لنا » ، ونعلم من هذا أنه يطلب در « المفسدة أولاً لأن در عها مقدم على جلب المصلحة ، فقدم موسى عليه السلام طلب غفر الذنب ، ثم طلب ودعا ربه أن يرحمهم ، وهذه جلب منفعة . وقد قال ربنا في مجال در المفسدة : ﴿ فمن رحزح عن النار ﴾ وهذا در عفسدة وهو البعد عن النار : ﴿ وأدخل الجنة ﴾ . وهذا جلب منفعة ومصلحة .

إذن فدرء المفسدة مقدم على جلب المصلحة ، _وعلى سبيل المثال _ إنك توى تفاحة على الشجرة ، وتريد أن تمد يدك لتأخذها ، ثم التفت فوجدت شابًا يريد أن يقذفك بطوبة ، فماذا تصنع ؟ أنت في مثل هذه الحالة الانفعالية تدفع الطوبة أولاً ثم تأخذ التفاحة من بعد ذلك . وهذا هو درء المفسدة المقدم على جلب المصلحة ، وهنا درء الفسدة متمثل في قول موسى : ﴿ فاغفر لنا ﴾ ثم قال بعد ذلك : ﴿ وارحمنا ﴾ وهذا جلب مصلحة ، والقرآن يقول :

﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْدَانِ مَاهُوَ شِفَاتُهُ وَرَحْمَةً ﴾

(من الآية ٨٢ سورة الإسراء)

لأن الداء يقع أولاً ، وحين تذهب لمنهج القرآن يشفيك من هذا الداء ، والرحمة ألاً يجيء للله داء بالمرة . فإذا أخذت القرآن لك نصيراً فلن يأتي لك الداء أبداً .

﴿ فَأَغْفِرْ لَنَا وَأَرْحَنَّا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَنفِرِينَ ﴾

(من الآية ١٥٥ سورة الأعراف)

ومثلها مثل قول الحق سبحانه : ﴿ خير الرازقين ﴾ ، و ﴿ وخير الماكرين ﴾ ، و ﴿ وخير الماكرين ﴾ ، و ﴿ خير الوارثين ﴾ و ﴿ خير الغافرين ﴾ هنا ؛ لأن المغفرة قد تكون من الإنسان للإنسان ، ولكنا نعرف أن مغفرة الرب فوق مغفرة الخلق ؛ لأن الغافر من البشر قد يغفر رياء ، وقد يغفر سمعة ، قد يغفر لأنه خاف بطش المقابل . لكنه سبحانه لا يخاف من أحد ، وهو خير الغافرين من غير مقابل .

ويقول الحق بعد ذلك :

﴿ وَاحْتُبُ لَنَافِي هَانِهِ وَالدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَفِي الْآئِيَ وَالدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدُنَا إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِيَ أَصِيبُ بِهِ عَمَنَ أَشَاءً وَرَحْمَتِي وَسِيعَتُ كُلَّ شَيْءً فَسَا آخُهُ وَرَحْمَتِي وَسِيعَتُ كُلَّ شَيْءً فَسَا آخُهُ اللَّذِينَ يَنْقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكُوةَ فَسَا آخُهُ اللَّذِينَ هُم إِنَا يَنْفُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكُوةَ وَالَّذِينَ هُم إِنَا يَنِينَا يُؤْمِنُونَ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ الْعُلْمُ اللَّهُ اللْمُعَالِمُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الْعُلْمُ اللَّهُ اللْعُلِمُ اللَّهُ اللْمُعَالِمُ اللَّهُ الْمُلْمُ اللَّهُ الْمُلْمُلِمُ اللَّهُ الْعُلْمُ اللَّهُ الْمُؤْمِنُ اللَّهُ

ونلحظ أن هذه الآية تضم طلبات جديدة لسيدنا موسى من ربّه بعد قوله: ﴿ فاغفر لنا وارحمنا ﴾ . ونرى أن خير الغافرين تعود لقول موسى _ عليه السلام _ : ﴿ فاغفر لنا ﴾ أما الحسنة في قوله : ﴿ واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة ﴾ فإنها تعود على طلب الرحمة : ﴿ واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة ﴾ .

هو إذن يطلب الحسنة في الدنيا وكذلك في الأخرة ، والحسنة لها معنى ولغرى ، ومعنى وشرعى ه . أما المعنى اللغوى فكل ما يستحسنه الإنسان يُسمى حسنة ، ولكن الحسنة الشرعية هي ما حسنه الشرع ، فالشرع رقيب على كل فعل من أفعالنا وتصرفاتنا ، فالحسنة ليست ما يستحسنه الإنسان ؛ لأن الإنسان قد يستحسن المعصية ، وهذا استحسان بشرى بعيد عن المنهج ، أما الاستحسان الشرعى فهو في تنفيذ المنهج بـ و افعل » و و لا تفعل » .

والحسنة المعتبرة في عرف المكلفين من الله هي الحسنة الشرعية ؛ لأن الإنسان قد يستحسن شيئاً وهو غير شرعي لأنه ينظر إلى عاجلية النفع فيه ، ولا ينظر إلى اجلية النفع ، ولا ينظر إلى اجلية النفع ، ولا ينظر إلى كمية النافع . والنفع - كها نعلم - في الدنيا على قدر تصورك في النفع ، أما النفع في الأخرة فلا يعلم قدره إلا علام الغيوب مسبحانه - إذن فقوله : ﴿ واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة ﴾ يكون المراد بها الحسنة الشرعية في الدنيا عملاً ، وفي الأخرة جزاءً .

ونلحظ أن موسى أراد بالحسنة الأولى ما يعم الحسنة الشرعية والحسنة

@17V1@@+@@+@@+@@+@@

اللغوية ؛ فهو دعاء بالعافية والنعم الجليلة الطيّبة ، وكل خير الدنيا في ضوء منهج الله . والحق سبحانه وتعالى يقول :

﴿ قُلْ مِي لِلَّذِينَ وَامَّنُواْ فِي ٱلْحَيَوْةِ ٱلدُّنْيَ خَالِصَةٌ يَوْمُ ٱلْقِينَمَةِ ﴾

(من الآية ٢٢ سورة الأعراف)

إذر، فالحسنة الخالصة هي في يوم القيامة ، ولكن هناك من ينتقع بها في الدنيا ؛ فالجماد منتقع برحمة الله ، والباث منتقع برحمة الله ، والحيوان منتقع برحمة الله ، والكافر منتقع برحمة الله . كل ذلك في الدنيا ، وهي الرحمة التي وسعت كل شيء ، لكن مسألة الأخرة كجزاء على الإحسان فهو جزاء خاص بالمؤدنين .

ويتابع الحق على لسان موسى عليه السلام : ﴿ إِنَا هَدُنَا إِلَيْكُ ﴾ .

و ؛ هاد ؛ أي رجع ، و ؛ هدنا إليك ؛ أي رجعنا إليك ، وهذا كلام موسى عن نفسه وعن أخيه ، وعن القوم الذين عبدوا العجل ثم تابوا ، ومادمنا قد رجعنا إليك يا ربي فأنت أكرم من أن تردنا خائبين , ويرد المحق سبحانه :

﴿ قَالَ عَذَانِيَّ أَصِيبُ بِهِ ، مَنْ أَشَآءُ وَرَحْمَنِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَ كُتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَعُونَ

وَ يُؤْتُونَ ٱلزِّكَوْةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِعَايَنْتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴾

(من الآية ١٥٦ سورة الأعراف)

وقوله الحق : ﴿ عذابى أصيب به من أشاء ﴾ أى لا يوجد من يدفعنى ويرشدنى في توجيه العذاب لأحد ؛ فحين يذنب عبد ذنباً أنا أعذبه أو أغفر له ؛ لذلك لا يقولن عبد لمذنب إن الله لابد أن يعذبه ؛ لأنه سبحانه هو القائل :

﴿ عَذَانِيَ أَصِيبُ بِهِ مِنْ أَشَّةُ وَرَحْمَنِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْ وَ ﴾

(من الآية ١٥٦ سورة الأعراف)

وما المقصود بالرحمة هنا؟ أهى الرحمة في الدنيا أو الرحمة في الأخرة؟ إنها الرحمة في الدنيا التي تشمل الطائع والعاصي ، والمؤمن والكافر ، ولكنها خالصة

وقوله سبحانه : ﴿ فَسَاكِتُهُمَا ﴾ يدل على أن هذا سيكون في الآخرة . أي أن رحمة الله وسعت كل شيء في الدنيا ولكنها رحمة تنتهى بالنسبة للكافرين في إطار الدنيا ، ولكن بالنسبة للمؤمنين فهي رحمة مستمرة قد كتبها الله أزلا وتعطى للمؤمنين فضلاً ومنة وعطاء منه _ سبحانه _

﴿ فَسَأْ كُتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَغُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلرِّكَوْةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِعَايَلَتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴾

(من الآية ١٥٦ سورة الأعراف)

وعندما سمع بعض اليهود ذلك قالوا: نحن متقون ، فقيل لهم: في أى منهج أنتم متقون أفي منهج موسى _ كما تزعمون _ أنتم متقون أفي منهج موسى ؟ لوكنتم متقين في منهج موسى أن تؤمنوا برسول الله لأمنتم بمحمد _ صلى الله عليه وسلم _ لأن من تعاليم موسى أن تؤمنوا برسول الله محمد _ عليه الصلاة والسلام _ ولذلك جاء قوله تعالى:

عَلَيْهِ اللَّهِ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّاللَّهُ الللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ

C17/1 00+00+00+00+00+00+0

فهذه تسع صفات لسيدنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهي أن الله أوحى إليه كتاباً مختصاً به وهو القرآن ، وأنه صاحب المعجزات ، وأنه بلغ ونبأ بأفضل وأتم العقائد والعبادات والأخلاق - وهو عليه الصلاة والسلام - الأمى الذى لم يمارس القراءة والكتابة ولم يجلس إلى معلم ، فهو - عليه السلام - باقي على الحالة التى ولد عليها ، وقد ذكره ربه - جل وعلا - باسمه وصفاته ونعوته عند اليهود والنصارى في التوراة والإنجيل وقد كتمها الكافرون منهم أو أساءوا تأويلها ، كما وصفه ربه بأنه يأمرهم بالمعروف ويكلفهم بفعل كل ما تدعو إليه الطبائع المستقيمة والفطر السليمة ؛ لأن في ذلك النجاح في الدنيا والفلاح في الآخرة ، وأنه - صلى والحفلة السوية ، ويحل لهم ما حرم عليهم من الطيبات التي منعوا منها وحظرها والحفلة السوية ، ويحل لهم ما حرم عليهم من الطيبات التي منعوا منها وحظرها والمال الحرام من الربا والرشوة والغش ، ويحفف عنهم ما شق عليهم وثقل من التكاليف التي كانت في شريعة موسى - عليه السلام - كقطع الأعضاء الخاطئة وتحريم الغناثم عليهم ووجوب إحراقها ، وكذلك يخفف الله ويحط عنهم المواثيق وتحريم الغناثم عليهم ووجوب إحراقها ، وكذلك يخفف الله ويحط عنهم المواثيق الشديدة التى فرضت عليهم عقابا لهم على فسوقهم وظلمهم .

يقول ـ جل شأنه ـ :

﴿ فَيَظُلْدٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أَحِلْتُ لَمُسْمَ وَبِصَـدِهِمْ عَن سَبِيلِ اللهِ كَثِيرًا ۞ وَأَخْلِهِمُ ٱلرِّبَوَاْ وَقَدْ نُهُواْ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمُولَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَطِلِ وَأَعْتَدُنَا لِلْكَاهِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ۞ ﴾ لِلْكَاهِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ۞ ﴾

(سورة النساء)

وهكذا أعلم الله الرسل السابقين على سيدنا رسول الله أن يبلغوا أقوامهم بمجىء محمد صلى الله عليه وسلم ، وأن يؤمن الأقوام التى يشهدون ويعاصرون رسائته صلى الله عليه وسلم ، صحيح أن رسول الله لم يكن معاصراً لأحد من الرسل ، ولكن البشارة به قد جاءت بها أنبياؤهم وسجلت فى الكتب المنزلة عليهم ، وكل رسول سبق سيدنا محمداً صلوات الله وسلامه عليه ، قد أمره الله أن يبلغ الذين أرسل إليهم أن يتبعوا الرسول محمداً ويؤمنوا به ولا يتمسكوا بسلطة

زمنية ويخافوا أن تنزع منهم . ومادام الرسول صلى الله عليه وسلم قد جاء ومعه معجزة وبينة فلابد أن يؤمنوا به .

﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ ٱلنَّبِيِّنَ ﴾

(من الآية ٨١ سورة أل عمران)

إذن فقد صنع الله سبحانه وتعالى خميرة إيمانية حتى لا يتعارض اتباع الأديان . ولا يفهم أصحاب دين موجود أن ديناً آخر جاء لينسخه ويأخذ منه السلطة الزمنية ؛ لأن رسالة الإيمان موصولة وتحدث الأقضية للناس بامتداد الزمان . فكل الرسل يحرصون على أن تكون الحياة آمنة سعيدة تتساند فيها المواهب ولا تتعاند فيها الحركات . وقد طلب الحق من الرسل ذلك وأخذ عليهم العهد وبعد ذلك أكده فقال :

﴿ أأقررتم ﴾ واستوحى منهم الكلام الذي يؤيد هذا المنهج . ولذلك لا يصح لتابع نبى أن يصادم رسالة جديدة مؤيدة بمعجزة ومؤيدة بمنهج يضمن للإنسان الحياة وسلامتها وسعادتها .

ولم يكتف الحق بأن يجعل الإيمان برسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم مجرد خبر ، بل وضع لمحمد وحده سمة في الكتب التي سبقته ، ووصفه لهم مشخصاً ، وحين يصفه مشخصاً فهذا أوضح من الخبر عنه بكلام . ولذلك قال عبدالله بن سلام عندما سأله عمر رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : أنا أعلم به منى يا بنى . قال : وَلِمَ ؟ قال : لأنى لست أشك في محمد أنه نبى ، فأما ولدى فلعل والدته قد خانت ، فقبل عمر رأسه . ولذلك يقول الحق سبحانه :

ولاشك أن الإنسان يعرف ابنه معرفة دقيقة . ورسول الله صلى الله عليه وسلم كانت له سمات خاصة وهي التي تثبت شخصيته صلى الله عليه وسلم المادية ، وليس الأمر في رحلة الإسراء والمعراج مجرد كلام ، بل إنه حينما سئل عن هذه

0+00+00+00+00+00+00+0

الرحلة قال : و رأيت موسى وإذا رجل ضَرْبُ ، رَجُلُ⁽¹⁾ كأنه من رجال شنوءة ، ورأيت عيسى فإذا هو رُبعة أحمر كأنه خرج من ديماس ـ الحمّام ـ وأنا أشبه ولد إبراهيم به ع⁽¹⁾ .

وكذلك أعطى الله في التوراة والإنجيل لا الخبر عن محمد صلى الله عليه وسلم فقط ، بل أعطى تفاصيل صورته بحيث تتشخص لهم ، فلا يلتبس به عند مجيئه مع التشخيص شريك ، فيقول سبحانه : ﴿ يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ﴾ . ولكن فريقاً منهم كتموا الحق ليحتفظوا بالسلطة الزمنية ، لأنهم كانوا يظنون أنه حين يأتي دين جديد سياخذ منهم هذه السلطة الزمنية ويقود الأمم والشعوب . لقد أراد الحق سبحانه وتعالى أن يجمل رسل السماء إلى الأرض متعاونين لا متعاندين ، ينصر بعضهم بعضاً . كما جاء في صورة الفتع :

(من الآية ٢٩ سورة الفتح)

لقد جاء الحق بصورة المؤمنين برسالة رسول الله في التوراة والإنجيل ، لأن الدين الإسلامي الذي نزل على محمد لن يأتي دين بعده ؛ لذلك جاء بسيرة رسول الله وصفات أتباعه في التوراة والإنجيل ، وفي هذا الدين ما تفتقده اليهودية

^(1) النَّرْب : الخفيف اللحم ، والرَّجل هو من شعره بين السبوطة والجعودة ، وقوله : من رجال شنومة أى طويل ا لأن هذه القبيلة كانت مشهورة بطول قامة رجالها ، ورَبَّعة أى مربُوع الخَلقُ لا طويل ولا قصير ،

⁽٢) متغنى عليه .

00+00+00+00+00+0 ETALO

التي انجرفت إلى مادية صرفة وتركت الروحانيات ؛ لذلك تأتي سيرة أتباع محمد في التوراة : ﴿ سيماهم في وجوههم من أثر السجود ﴾ .

حين أسرف اليهود في المادية أراد الله أن يأتي برسول يجنح ويميل إلى الروحانية وهو سيدنا عيسى بن مريم عليه السلام . . ليحصل الاعتدال في تناول الحياة دون إفراط أو تفريط .

إذن فالحق سبحانه وتعالى مهد لكل رسول بأن يبشر به الرسول السابق لأنه لا معاندات في الرسالات. ولما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو خاتم الموكب الرسالى ، كان ولابد أن يصفه الله _ سبحانه _ وصفًا ليس بالكلام ، بل يصفه كصورة ، بحيث إذا رأوه يعرفونه ، ولذلك نجد سيدنا سلمان الفارسي حين رأى رسول الله في المدينة ورأى منه علامات كثيرة أحب أن يرى فيه علامة مادية ، فرأى في كتف الرسول خاتم النبوة .

ولكن هل نفع ذلك ؟ نعم ، فكثير من الناس آمن به . وقد أقام رسول الله مناظرة بينه وبين اليهود بواسطة عبدالله بن سلام ، اللى قال بعد أن أسلم بين يدى رسول الله : « يارسول الله إن اليهود قوم بهت إن علموا بإسلامى قبل أن تسألهم بهتونى (١) عندك ، فجاءت اليهود ودخل عبدالله البيت ، فقال رسول الله _ صلى الله عليه وسلم _ : أى رجل فيكم عبدالله بن سلام ؟ قالوا : أعلمنا وابن أعلمنا وأخيرنا وابن أخيرنا . فقال رسول الله _ صلى الله عليه وسلم _ : أفرأيتم إن أسلم عبدالله ؟ قالوا : أعاذه الله من ذلك ؟ فخرج عبدالله إليهم ، فقال : أشهد أن لا إله إلا الله ، قالوا : أعاذه أنه من ذلك ؟ فخرج عبدالله إليهم ، فقال : أشهد أن لا إله إلا الله ، قالوا : أمرنا ووقعوا فيه هر٢٠) .

إذن فالأرصاف الكلامية والأرصاف الشخصية المشخصة جاءت حتى لا يقال : إن أديان السماء تتعاند ، إنها كلها متكاتفة في أن تصل الأرض بالسماء على ما تقتضيه حالة العصر زماناً ومكاناً . وقديماً كان العالم معزولاً عن بعضه ، وكل

⁽¹⁾ بهتون : قالوا على ما لم أفعل ، من البهت والبهتان وهو الباطل والكلب والافتراء .

⁽٢) من حديث أخرجه البخاري في صحيحه -كتاب بدء الخلق - من أنس - رضي الله عنه -

O17A0 DO+OO+OO+OO+OO+O

بيئة لها اجواؤها وداءاتها ؛ فيأتى الرسول ليعالج فى مكان خاص داءات خاصة ، لكن الله جاء برسوله صلى الله عليه وسلم بعد أن توحدت هذه الداءات فى الدنيا ؛ جاء رسولنا الكريم ليعالج هذه الداءات العالمية ، وجاء رسول الله مؤيداً بأوصافه ومؤيداً بتعاليمه التي تخفف عنهم إصرهم وأغلالهم ، والإصرهو الجمع أل وهو الحديدة التى تجمع البدين إلى العنق لتقييد الحركة .

وقد ذكر الحق الأوصاف ومهد الأذهان إلى مجىء رسالة محمد صلى الله عليه وسلم ليضع عنهم الأغلال بالنور الذي نزل على محمد صلى الله عليه وسلم ، فالرسالة المحمدية هي الجامعة المانعة ، ولذلك يقول الحق بعد ذلك :

﴿ قُلْ يَمَا يُنَهَا النَّاسِ إِنِّ رَسُولَ اللّهِ إِلَيْكُمُ مَمِّيعًا النَّاسُ إِنِّ رَسُولَ اللّهِ إِلَيْكُمُ مَمِّيعًا الّذِي لَهُ مُمَّاكُ السّمَدِوَتِ وَالْأَرْضِ لَآ إِلَهُ مَمِيعًا الّذِي لَهُ مُمَّاكُ السّمَدِوَتِ وَالْأَرْضِ لَآ إِلَهُ إِلّهُ إِلّهُ اللّهِ وَرَسُولِهِ النَّهِ يَاللّهِ وَرَسُولِهِ النَّهِ يَاللّهِ وَكَلِمَتِهِ وَالنَّهِ وَاللّهِ وَكَلِمَتِهِ وَالنَّهِ وَاللّهِ وَكَلِمَتِهِ وَالنَّهِ وَكَلِمَتِهِ وَالنَّهِ وَكَلِمَتِهِ وَالنَّهِ وَكُلِمَتِهِ وَالنَّهِ وَكُلْمَتِهِ وَالنَّهِ وَكُلُمَتِهِ وَاللّهِ وَكُلُمَتُهُ مَا لَهُ اللّهِ وَكُلُمَتِهِ وَالنَّهِ وَكُلُمَتِهِ وَاللّهُ وَكُلُمُ اللّهُ وَكُلُمَتُهُ وَاللّهُ وَكُلُمَتُهُ وَاللّهُ وَكُلُمُ اللّهُ وَكُلْمُ اللّهُ وَكُلُمُ اللّهُ اللّهِ وَكُلُمَا لَهُ اللّهُ وَكُلُمُ اللّهُ اللّهُ وَكُلُمَا اللّهُ اللّهُ وَكُلُمُ اللّهُ اللّهُ وَكُلْمُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ وَكُلُمَا اللّهُ اللّهُ وَكُلُمُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللللّهُ الللللّهُ الللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ اللللّهُ

هنآ يأمر الحق رسوله بالآتى : ﴿ قُلْ يَا أَيْهَا النَّاسِ إِنِّي رَسُولُ اللَّهُ إِلَيْكُم جَمِيماً ﴾ في رسالة تعم الزمان ، وتعم المكان . وفي ذلك يقول رسول الله :

اعطیت خمساً لم یُعطَهن احد من الأنبیاء قبلی . . نُصرت بالرعب مسیرة شهر ، وجُعلت لی الأرض مسجداً وطهوراً ، فأیما رجل من أمتی أدركته الصلاة فلیصل ، وأحلت لی الغنائم وكان النبی یبعث إلی قومه خاصة وبعثت إلی الناس كافة وأعطیت الشفاعة ه(۱) .

⁽١) متفق عليه .

ثم بعد ذلك أراد الحق سبحانه وتعالى أن يثبت عمومية الرسالة بعمومية تسخير الكون للخلق؛ لذلك كان الحديث موجها إلى كافة الناس: ﴿ قل يا أيها الناس ﴾ . وكل من يطلق عليهم ناس فالرسول مرسل إليهم: ﴿ إني رسول الله إليكم جميعاً ﴾ وأراد سبحانه أن يعطينا الحيثيات التي تجعل لله رسولاً يبلغ قومه وكافة الأقوام منهج الله في حركة حياتهم ، فقال : ﴿ الذي له ملك السموات والأرض ﴾ .

ومادام هو الذي يملك السموات والأرض ، ولم يدّع أحد من خلقه أنه يملكها ، وفي السموات والأرض وما بينهما حياتنا ومقومات وجودنا فهو سبحانه أولى وأحق أن يعبد . ولو أن السماء لواحد ، والهواء لواحد ، والأرض لواحد ، وما بينهما لواحد لكان من الممكن أن يكون إله هنا ، وإله هناك وإله هنالك . وفي هذا يقول الحق :

﴿ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَّهِ عِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴾

(من الآية ٩١ سورة المؤمنون)

إذن فمادام الوجود كله من السموات والأرض وما سواهما لله ، فهو الأولى أن يعبد ، وأول قمة العبادة أن تشهد بأنه لا إله إلا الله ، وحيثية الوهبته الأولى أن له ملك السموات والأرض . ومادام إلها فلابد أن يطاع ، ولا يطاع إلا بمنهج ، ولا منهج إلا بافعل ولا تفعل . وأول المنهج القمة العقدية إنه هو التوحيد . وجعل الله للتوحيد حيثية من واقع الحياة فقال : ﴿ بحيى ويميت ﴾ . وهذا أمر لم يدعه أحد أبداً ؛ لأن الله هو الذي له ملك السموات والأرض ، ولأنه يحيى ويميت . ولذلك نجد من حاج إبراهيم في ربه يتول الحق عنه :

﴿ أَنْ وَاسْدُ اللَّهُ ٱلمُلْكَ إِذْ قَالَ إِلَّهِ مُعَدِّرَتِي ٱلَّذِي يَحِيء وَيُمِتُّ ﴾

(من الآية ٢٥٨ سورة البقرة)

وحاول هذا الملك أن يدير حواراً سفسطائيًا مضللا ليفحم ويسكت إبراهيم عليه السلام ـ فقال :

﴿ انْأَاحِيدُ وَأَمِيتُ ﴾

017AV 00+00+00+00+00+00+0

وذلك بأن يأمر بقتل انسان ثم يعفو عنه ، وهو بذلك لا يميته بل يحييه في منطق السفسطائيين . لكن هل الأمر بالقتل هو الموت ؟ . طبعا لا ؛ لأن هنائه فارقا بين الموت والقتل ، فقد يقتل إنسان إنسانا آخر ، لكنه لا يمكن أن يميته ؛ لأن الموت بأتى بدون هدم بنيته بشيء ؛ برصاصة أو بحجر أو بقنبلة . ولا أحد قادر على أن يميت أحداً إذا رغب في أن يميته ، فالموت هو الحادث بدون سبب . لكن أن يعتل إنسان إنسانا آخر فهذا ممكن ، ولذلك يقول الحق صبحانه عن نفسه :

﴿ يُعْيِدُ وَيُمِيتُ فَعَامِنُواْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾

(من الآبة ١٥٨ سورة الأعراف)

وانظروا إلى الدقة في الأداء ؛ فمادام قد أمر الحق رسوله أن يقول : إلى رسول الله إليكم جميعاً ، وحيثية الإيمان هي الإقرار والاعتقاد بوحدانية الإله الذي له ملك السموات والأرض ، وهو لا إله إلا هو ، وهو يحيى ويميت ؛ لذلك يدعوهم إلى الإيمان بالخالق الأعلى : ﴿ فَآمنوا بالله ورسوله ﴾ .

لم يقل محمد وآمنوا بي ؛ لأنها ليست مسألة ذاتية في شخصك يا محمد ، إنما هو تكريم لرسالتك إلى الناس ، فالإيمان لا بذاتك وشخصك ، ولكن لأنك رسول الله ، فجاء بالحيثية الأصيلة ﴿ فآمنوا بالله ورسوله ﴾ ، والرسول قد يكون محمداً أو غير محمد . وبعد ذلك قال في وصف النبي : ﴿ النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته ﴾ . والأمية _ كما علمنا من قبل _ شرف في سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وهو صلى الله عليه وسلم يؤمن بكلمات الله ، وهي إما بما بلغنا عنه من أسلوب القرآن ، وإمّا بالذي قاله موسى لقومه : « واجعل كلامي في فيه » .

ويقول فيه عيسى . الذي لا يتكلم من قِبَل نفسه . ، وإنما تأتى له كلمات ربنا في فمه ، والقول الشامل في وصف كلمات محمد صلى الله عليه وسلم : ما بينه الحق في قوله :

﴿ وَمَا يَسْطِلُ عَنِ الْمُوَّىٰ ٢٠٥

(سورة النجم)

أو أن الإيمان بالكلمات هو أن يؤمن بأن كل كون الله مخلوق بكلمة منه :

(سورة يس)

ولقائل أن يقول: كيف يخاطب الله شيئاً وهو لم يكن بعد ؟ ونقول: إنه سبحانه قد علمه أزلاً ، ووجوده ثابت وحاصل ، ولكن الله يريد أن يبرز هذا الموجود للناس ، فوجود أى شىء هو أزلى فى علم الله ، وكانه يقول للشىء: اظهر يا كائن للوجود ليراك الناس بعد أن كنت مطموراً فى طئ قدرتى .

وسواء أكانت الكلمة بخلق الأسباب ، مثل خلق الشمس والقمر أم بخلق شيء بلا أسباب ، كعيسى عليه السلام من فإنه « كلمة منه » أى كلمة تخطت نطاق الأسباب ؛ بأن ولدت سيدتنا مريم من غير رجل . وفي هذا تخط للأسباب ، ولذلك قال الحق سبحانه :

﴿ بكلمة منه ﴾ . ونعلم أن كل شيء لا يكون إلا بكلمة منه سبحانه ، ولكن بكلمة لها أسباب ، أو بكلمة لا أسباب لها . والكلمات هي أيضاً الآيات التي فيها منهج الأحكام ، ولذلك بأتى قوله الحق :

﴿ قُولُواْ عَامَنَا بِاللَّهِ وَمَا أَرْكَ إِلَيْكَ وَمَا أَرْكَ إِلَىٰ إِلَىٰ إِلَىٰ إِلَىٰ الْمَعْمِلُ وَ إِعْمَاقَ وَيَعَقُوبَ
وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُونِي مُومَىٰ وَعِسَىٰ وَمَا أُونِي ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَانْفَرِقُ بَيْنَ أَحَدِ
مَنْهُمْ وَنَعْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿ ﴾

(سورة البقرة)

ويروى لنا الأثر أن سيدنا موسى عليه السلام قال لربه:

د إنى أجد فى الألواح أمة يؤمنون بالكتاب الأول وبالكتاب الآخر ويقاتلون فصول الضلالة حتى يقاتلوا الأعور الكذاب، فاجعلهم أمتى قال: تلك أمة أحمد ه(١).

⁽١) ابن كثير في تفسير قوله تمالى: ﴿ ولما مكت عن موسى الغضب . . . ﴾ النع .

﴿ فُولُواْ وَامَنَا بِاللَّهِ وَمَا أَرْكَ إِلَيْنَ وَمَا أَرْكَ إِلَىٰ إِلَىٰ إِلَىٰ اللَّهِ الْرَاهِ مُ وَإِسْمَامِيلَ وَإِسْمَانَ وَيَعْفُوبَ وَالْأَسْبَاطِ ﴾ وَالْأَسْبَاطِ ﴾

(من الآية ١٣٦ سورة البقرة)

ويذيل الحق الآية التي نحن بصدد خواطرنا عنها بقوله :

﴿ واتبعوه لعلكم تهندون ﴾ . و « لعل » رجاء وطلب . ونعلم أن كل طلب يتعلق بأحد أمرين : إما طلب لمحال لكنك تطلبه لندل بذلك على أنك تحبه ، وهو لون من التمنى مثل قول من قال : ليت الشباب يعود يوماً ، إنه يعلم أن الشباب لا يعود لكنه يقول ذلك ليشعرك بأنه يحب الشباب . أو كقول إنسان : ليت الكواكب تدنو لى فأنظمها عقود مدح ، وهذا طلب لمحال ، إلا أنه يريد أن يشعرك بأن هذا أمر يحبه ، وإما طلب ممكن التحقيق . وهو ما يسمى بالرجاء . وله مراحل : فأنت حين ترجو لإنسان كذا ، تقول : لعل فلاناً يعطيك كذا ، والإدخال في باب الرجاء أن تقول : لعلى أعطيك ؛ لأن الرجاء منك أنت ، وأنت الذى فقوله ، ومع ذلك قد لا تستطيع تحقيقه ، والأقوى أن تقول : لعل الله يعطيك . ولكنها من كلامك أنت فقد يستجيب الله لك وقد لا يستجيب ، أما إذا قال الله : لعلكم ، فهذا أرجى الرجاءات ، ولابد أن يتحقق .

وحينما يتكلم الحق عن قوم موسى ، يتكلم عنهم بعرض قصصهم ، وفضائحهم ونقضهم للعهد بعد نعم الله الواسعة الكثيرة عليهم ، وأوضح لنا : إياكم أن تأخذوا هذا الحكم عاماً ؛ لأن الحكم لوكان عاماً ، لما وُجِد من أمة موسى من يؤمن بمحمد . ولذلك قلنا قديماً إن هناك ما يسمى « صيانة الاحتمال » . ومثال على ذلك نجد من اليهود من آمنوا برسالة رسول الله مثل مخريق الذي قال فيه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم .. : « مخريق خير يهود » . وعبدالله بن سلام إن بعض اليهود كانوا مشغولين بقضية الإيمان ، ولذلك لا تأخذ المسألة كحكم عام ؛ لأن من قوم موسى من يصفهم الحق بالقول الكريم :

﴿ وَمِن قَوْمِر مُوسَىٰ أُمَّاتُهُ يَهُدُونَ بِالْخَيْقَ وَمِن قَوْمِر مُوسَىٰ أُمَّاتُهُ يَهُدُونَ بِالْخَيْق

وحين يسمع قوم موسى هذا القول سيقولون في أنفسهم إنه يعلم ما في صدورنا من تفكير في الإيمان برسالة محمد صلى الله عليه وسلم. ولكن لو عمم الحكم فمن يفكر في الإيمان بمحمد يقول: لماذا يصدر حكماً ضدى وأنا أفكر في الإيمان؟ لكن الحق و صان الاحتمال و وأوضح لكل واحد من هؤلاء الذين يفكرون في الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم أن يتجه إلى إعلان الإيمان فقال:

﴿ وَمِن قَوْمٍ مُوسَىٰ أُمَّةً يَهَدُونَ بِأَخْتَى وَبِهِ ، يَعْدِلُونَ ﴿ فَا اللَّهِ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهِ اللَّمِلْمِلْ اللَّلَّ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ الللَّهِ اللَّهِ الللَّهِ

(سورة الأعراف)

أى يدلون الناس على الحق ويدعونهم إلى طريق الخير، وبهذا الحق يعدلون في حكمهم بين الناس ولا يجورون.

ويقول الحق بعد ذلك :

مِن طَيْبُتِ مَارَزَقْنَ كُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُم يَظْلِمُونَ ١٠ اللهُ ال

وحين يقول الحق و قطعناهم ، فهذه عودة لقوم موسى ، ونعرف أن القرآن لا يخصص كأى كتاب فصلًا لموسى وآخر لعيسى وثالثاً لمحمد ، لا ، بل يجعل من المنهج الإيماني عجينة واحدة في الدعوة ، فيأتي بقضية عبسي ، ثم يدخل في الدعوة قضية موسى وغيره وهكذا، ثم يرجع إلى القضية الأصلية كي يستغل انفعالات النفس بعد أي قصة من القصص.

وهنا يعود الحق سبحانه لقوم موسى مرة أخرى . فبعد أن أنصفهم وبيِّن أن فيهم أمة يهدون بالحق وبه يعدلون . يقول : ﴿ وقطعناهم اثنتي عشرة أسباطاً أمماً ﴾ . والمقصود هنا بنو إسرائيل ، ومعنى و قطعت الشيء ، أن الشيء كان له تمام وجودي مع بعضه ، ثم قطعته وفصلت بعضه عن بعض ، وجعلته قطعاً وأجزاء . فهم كلهم بنو إسرائيل ، ولكن الحق يوضح أنه قطعهم وجعلهم ، أسباطاً ، ، و و السبط ، هو ولد الولد ، وهم هنا أولاد سيدنا يعقوب وكانوا اثنى عشر ولداً ، وحكت سورة يوسف وقالت:

﴿ يَنَابُتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدٌ عَشَرٌ كُو كُبًّا وَالنَّمْسُ وَالْقَمْرُ رَأَيْنَهُم لِي سَنِعِدِينَ ﴾ (من الآية ؛ سورة يوسف)

وحين تعد وتحصى ستجد أحد عشر كوكباً مرئية ، وتضم إليها الشمس والقمر والرائي ، فيصير العدد أربعة عشر واترك الشمس والقمر لأنهما يرمزان إلى يعقوب وزوجه ، وخذ الأحد عشر كوكباً ، وأضف الراثي وهو يوسف فيكون العدد اثني عشر . وهؤلاء هم الاثنا عشر سبطاً ، فقد أنجب سيدنا يعقوب اثني عشر ابناً من أمهات مختلفة ، وعرفنا من قبل أن الأمهات حين تتعدد فالميول الأهوائية بين الأبناء قد تتعاند . ولذلك تنبأ سيدنا يعقوب وقال لسيدنا يوسف :

﴿ لَا تَقْمُ صُ رُوْيَاكَ عَلَى إِخُورِكَ فَيَكِدُو اللَّهُ كَيدًا ﴾

(من الآية ٥ سزرة يوسف)

00+00+00+00+00+00+0

هذا أول دليل على أنهم مختلفون ، وهو سبب من أسباب وحيثية التقطيع : ﴿ وقطعناهم اثنتي عشرة أسباطاً ﴾ .

وفي سورة يوسف نقرأ :

﴿ هَانَا تَأْوِيلُ رُوْيَنِي مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا ﴾

(من الآية ١٠٠ سورة برصف)

وهنا يقول الحق سبحانه:

﴿ وَأُوحَيْنَا إِنَّ مُوسَىٰ إِذِ آسْتَسْقَنَهُ قَوْمُهُ وَ أَنِ اضْرِب يِعَصَاكَ الْحَجَرُ فَانْبَجَتْ مِنْهُ الْمُنْتَا عَشَرَةً عَيْنًا ﴾ الْمُنْتَا عَشْرَةً عَيْنًا ﴾

(من الآية ١٦٠ سورة الأهراف)

إنهم لا يريدون حتى مجرد الاشتراك في الماء تحسباً للاختلاف فيما بينهم ، فجعل الحق لكل سبط منهم عيناً يشرب منها ليمالج ما فيهم من داءات الغيرة والحقد على بعضهم البعض ؛ لأن الحق قال عنهم : ﴿ وقطعناهم اثنتي عشرة أسباطاً أمماً ﴾ .

وهنا وقفة لغوية فقط ، والأسباطي في أولاد يعقوب وإسحاق يقابلون القبائل في أولاد إسماعيل ، وأولاد إسماعيل و العرب ع يسمونهم قبائل ، وهؤلاء يسمونهم واسباطاً ع ، ونعرف أن لغظ و اثنتي ع يدل على أنهم إناث ، و و عشرة ع أيضاً إناث ، لأننا نقول : و جاءني رجلان اثنان ع و و امرأتان اثنتان ع ؛ أي اثنان للذكور ، واثنتان للإناث ، وكلمة و اثنتي عشرة عدد مركب وتمييزه يكون دائماً مفرداً ، ولذلك يقول الحق : ﴿ أحد عشر كوكباً ﴾ .

إذن « اثنتا عشرة » بدل على أنه مؤنث . لكن المذكور هنا « سبط » وسبط مذكر ، ولنا أن نعرف أنه إذا جمع صار مؤنثاً لأنهم يقولون : « كل جمع مؤنث » وأيضاً فالمراد بالأسباط القبائل ، ومفردها قبيلة وهي مؤنثة ، وقطمهم أي كانت لهم من قبل ـ وحدة تجمعهم ، فأراد الحق أن يلفتنا إلى أنهم من شيء واحد ، فجاء بكلمة « أسباط » مكان قبيلة ، وقبيلة مفردة مؤنثة ، ويقال : « اثنتا عشرة قبيلة » ،

Q171700+00+00+00+00+0

ولا يقال اثنتا عشرة قبائل ، فوضع أسباطاً ، موضع قبيلة لأن كل قبيلة تضم أسباطاً لذا جاء التمييز مذكراً . .

﴿ وَقَطَّعْنَاهُم أَنْدَى عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أَيْمًا ﴾

(من الآية ١٦٠ صورة الأعراف)

اى جعلنا كل مبط أمة بخصوصها . والواقع الكونى أثبت أنهم كذلك ؛ لأنك لا تجد لهم _ فيما مضى _ تجمعاً قوميًا وهو ما يسمونه و الوطن القومى لليهود ع برغم أن الدول الظالمة القوية أعانوهم وأقاموا لهم وطنا على أرض فلسطين ، ومع ذلك نجد في كل بلد طائفة منهم تعيش معزولة عن الشعوب التي تحيا في رحابها ، وكانهم لا يريدون أن يذوبوا في الشعوب ، ففي باريس _ مثلاً " تجد وحى اليهود ع ، وفي لندن المسألة نفسها ، وفي كل مدينة كبيرة تتكرر هذه الحكاية ، فهم يعيشون فيها بطقوسهم وبشكلهم وبأكلهم ، وبعاداتهم معزولين عن الشعوب ، وكانهم ينفذون قدر الله فيهم : ﴿ وقطعناهم النتي عشرة أسباطاً أمماً كه .

وقطعهم ربنا في الأرض أي أنه نشرهم في البلاد ، ولم يجعل لهم وطناً مستقلاً ، ولذلك ستقرأ في سورة الإسراء إن شاء الله : ﴿ وقلنا من بعده لبني إسرائيل اسكنوا الأرض ﴾ .

أى أنه سبحانه قال لهم بعد سيدنا موسى: اسكنوا الأرض وحين تقول لنا يا رب: «اسكن » فأنت تحدد مكاناً من الأرض . كأن يسكن الإنسان في الإسكندرية أو القاهرة أو الأردن أو سوريا ، لكن أن يصدر الحكم بأن «اسكنوا الأرض » فهذا يعنى أن انساحوا فيها فلا تجمع لكم .

ويقول الحق : ﴿ فإذا جاء وعد الأخرة جثنا بكم لفيفاً ﴾ .

أى أنه حين يجىء وعد الأخرة تكون ضربة قاضية عليكم - أيها اليهود - لأن عدوكم لن يتتبعكم في كل أمة من الأمم ، ويبعث جيشاً يحاربكم في كل مكان تعيش فيه طائفة منكم ، لكن إذا جاء وعد الآخرة يأتي بهم الحق لفيفاً ويتجمعون . في هذا الوطن القومي الذين يفرحون به ، ونقول لهم : لا تفرحوا

فهذا هو التجمع الذي قال الله عنه : « جثنا بكم لفيفاً » لتكون الضربة موجهة لكم في مكان واحد تستأصلكم وتقضى عليكم .

ويأتى الحق بعد ذلك بخبر المعجزات:

﴿ وَأُوحَيْنَا إِنَّى مُومَى إِذِ أَسْتَسْقَنَّهُ قَوْمُهُ ۚ أَنِ أَضْرِب بِعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ﴾

(من الآية ١٦٠ سورة الأعراف)

و « استسقى » المراد منه هو طلب السقيا ، والسقيا هى طلب الماء الذى يمنع عن الإنسان العطش ، ومادام قد طلبوا السقيا فلابد أنهم يعانون من ظمأ ، كأنهم فى التيه . وأراد الله سبحانه أن يبرز لهم نعمه وقت الحاجة ، فقد تركهم إلى أن عطشوا ليستسقوا وليشعروا بنعمة الرى .

والحق يقول: ﴿ إذ استسقاه قومه ﴾ ، أى طلبوا من سيدنا موسى أن يسأل الله السقيا . فلماذا لجاوا إلى موسى وقت الظمأ ؟ وقال لهم موسى : ليس بذاتى أرويكم ، ولكن سأستسقى لكم ربى ، ونعلم أن مقومات الحياة بالترتيب الوجودى الاضطرارى : الهواء والماء والطعام . وساعة ترى « همزة » وسيناً « وتاء » واقعة على شىء من الأشياء فاعرف أنه أمر مطلوب ومرغوب فيه .

مثال ذلك : حين سار موسى والعبد الصالح ونزلا قرية استطعما أهلها ، أى طلبا طعاماً وهذا هو المقوم الثالث للحياة . وهنا « استسقى » أى طلب المقوم الثانى وهو الماء ، ونعلم أن المقوم الأول وهو الهواء لا نستغنى عنه . لذا لم يضعه الله في يد أحد بل أعطاه ومنحه كل المخلق .

ولما كان الهواء غير مملوك وهو مشاع ؛ لذلك لم توجد فيه هذه العملية . إنما الطعام يُمكن أن يُملك ، والماء يُمكن أن يُملك ، فقال سبحانه مرة و استطعم » ، وقال هنا و استسقى » ، ولم يوجد و استهوى » لطلب الهواء ، لكن وجد في القرآن واستهوى » بمعنى طلب أن تكون على هواه :

و كَالَّذِي اسْتَهُونَهُ الشَّيْطِينُ ﴾

(من الآية ٧١ سورة الأنعام)

@ (7% DO+OO+OO+OO+OO+O

أى طلبت الشياطين أن يكون هواه ومراده تبعاً لما يريدون لا لما يريده الله .

وقصة الاستسقاء وردت من قبل في سورة البقرة: ﴿ وَإِذَ استسقى موسى لقومه ﴾ . وفي سورة الأعراف التي نحن بصدد خواطرنا عنها هم الذين طلبوا الاستسقاء . فهل هناك تعارض ؟ . طبعاً لا ؛ لأن قوم موسى طلبوا السقيا من موسى ، فطلب لهم السقيا من ربه . فهل هذا تكرار ؟ لا ؛ لأنه سبحانه تكلم عن الواسطة ، وبعد ذلك تكلم عن الأصل ، وهو سبحانه الواهب للماء ؛ فقال هنا : هو إذ استسقى موسى لقومه ﴾ .

وهذا ترتیب طبیعی . أقول ذلك لنعرف الفارق بین العبارتین حتی نؤكد أنه لا خلاف ولا تكرار ؛ لأن المستسقی هنا القوم ، والمستسقی لهم هنا هو موسی والمستسقی منه هو الله ـجلت قدرته ـ وهذا أمر طبیعی .

والحق سبحانه يقول في سورة البقرة:

﴿ وَإِذِ ٱسْنَسْنَ مُومَينَ لِقُومِهِ عَنَقُلْنَا ٱضْرِب بِعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ﴾

(من الآية ٦٠ سورة البقرة)

ونجد الوحى نزل إلى موسى بقوله : ﴿ فقلنا اضرب ﴾ ؛ وهنا في سورة الأعراف نجد الحق يقول :

﴿ وَأُوحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ إِذِ اسْتَسْقَنْهُ قَوْمُهُ ﴿ أَنِ اصْرِب بِعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ﴾

(من الآية ١٦٠ سررة الأعراف)

ولنا أن نعرف أنَّ و قُلْنا ۽ تساوي و أوحينا ۽ تماماً ، لأن المقصود بالقول هنا ليس من مناطات تكليم الله لموسى ، بل مناط هذه القضية غير المناط في قوله الحق : ﴿ وكلم الله موسى تكليماً ﴾ .

فليس كل وحى لموسى جاء بكلام مباشر من الله ، بل سبحانه كلمه مرة واحدة كتشريف له ، ثم أوحى له من بعد ذلك كغيره من الرسل . وقوله الحق :

﴿ أَذِ الْمَرِبِ يِعَمَاكُ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْلَنَا عَشْرَةً عَيْنًا ﴾

(من الأية ١٦٠ صورة الأعراف)

هذا القول يدلنا على الإعجاز المطلق، فمرة أمر الحق موسى أن يضرب الماء بالمصا ﴿ فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم ﴾ ، ومرة يأمره هنا أن يضرب المحاء الحجر فينبجس منه الماء ، وهكذا نرى طلاقة قدرةالله في أن يعطى ويمنع بالشيء الواحد ، ولم يكن ذلك إلا بالأسباب التي في يد الله يحركها كيف يشاء . ولذلك رأينا أمر الله حين ضرب موسى البحر بعصاه ، فصار كل فرق كالطود ، أي كالجبل ، وامتنعت السيولة ، ولما خرج موسى وقومه إلى البر بعد أن عبر البحر أراد أن يضرب البحر ليعود ثانية إلى سيرته الأولى من السيولة ، فاوحى له الله :

أي اتركه كما هو عليه ؛ لأن الله يريد أن يغتر فرعون وقومه بأن يروا اليابس طريقاً موجوداً بين الماء ، فيحاولوا النفاذ منه وراء موسى وقومه ، وما أن دخل فرعون وقومه خلف موسى حتى عاد الماء إلى سيولته فغرق فرعون وقومه . وهكذا أنجى الله وأغرق بالشيء الواحد ، وكذلك في أمر العصا ؛ إنها هي حين ضربت الماء فلفته فصار كل فرق كالطود والجبل الشامخ ، ثم ضرب موسى بها الحجر فانبجست منه اثنتا عشرة عينا من الماء ، وهكذا فرى قدرة من بيده القدرة والأسباب .

﴿ أَضْرِب بِعَصَاكَ ٱلْحَجْرُ فَأَنْبِجَسَتْ مِنْهُ ٱثْنَنَا عَشْرَةَ عَيْنًا ﴾

(من الآية ١٦٠ سورة الأهراف)

وهنا تعبير و انبجست وهناك تعبير و انفجرت و ونعلم أن الانبجاس يحدث أولاً ثم يتبعه الانفجار ثانياً و فالانبجاس أن بأتى الماء قطرة قطرة ، ثم يأتى الانفجار وتتدفق المياه الكثيرة ، فكان موسى عليه السلام أول ما يضرب الضربة تأتى وتجىء المياه قليلة ثم تنفجر بعد ذلك . إذن فقد تكلم الحق عن المراحل التى أعقبت الضربة في لقطات متعددة لمظهر واحد و له أولية وله آخرية .

وحين تكلم أمير الشعراء عن عطاء الله وقدرته قال:

0171V00+00+00+00+00+0

علمت بالقلم القرون الأولى وابن البتول فعلم الإنجيلا

سبحانك اللهم خيس معلم أرسلت بالتوراة موسى مرشداً ثم جاء لسيدنا محمد وقال: وفجرت ينبوع البيان محمداً

فسقى الحديث وناول التنزيلا

وهنا توفيق رائع في العبارة حين قال : « فسقى الحديث » ، فالحديث سقيا أما القرآن فمناولة من الله لخلقه . والحق يقول : ﴿ فانبجست منه اثنتا عشرة عينا ﴾ .

إن الضربة واحدة من عصا واحدة ، وكان المفترض أن تحدث هذه الضربة عينا واحدة تنبع منها المياه ، لكن الحق أرادها اثنتي عشرة عينا وعلم كل أناس مشربهم ؛ لذلك كان لابد أن يكون المكان متسعاً . وأن هذه الضربة كانت إيذانا بالانفعال من الأرض .

﴿ فَأَنْبَجَسَتْ مِنْ الْمُنَا عَشْرَةً عَبِنا قَدْ عَلِم كُلُ أَنَاسٍ مَشْرَبُهُم ﴾

(من الآية ١٦٠ صورة الأعراف)

ومن أين عرف كل قسم منهم الماء الذي يخصه ؟ إنها قسمة الله وصارت كل عين تجذب أصحابها ، فلم يتزاحموا ، وهذا يدل أيضاً على التساوى ، فلم تتفجر عين بماء أكثر من الأخرى فتثير الطمع ، لا ، بل انتظم الجميع فيما أراده الحق : ﴿ قد علم كل أناس مشربهم ﴾ .

والحق هنا يتكلم عن رحلة بنى إسرائيل فى التيه ، وفى الصحراء والشمس محرقة ، ولا ماه ، فاستسقوا موسى ، فطلب لهم السقيا من الله ، وجاءت لهم اثنتا عشرة عينا حتى لا يتزاحموا ، وعرف كل منهم مشربه .

ويضيف الحق: ﴿ وظللنا عليهم الغمام ﴾ .

ولأن الشمس محرقة يرحمهم الله بمسيرة من الغمامات تظللهم ، ولكل سبط غمامة على قدره ، فإذا كان الواحد من البشر حين يوزع جماعة من كتل صغيرة ، لا يعجز أن يضعهم في عشرين خيمة مثلا ، فهل يعجز ربنا عن ذلك ؟ طبعاً لا .

0C+00+00+00+00+0(11/1/0)

وإذا كان المحق قد ضمن لنا في الأرض الرزق حتى لا نجوع ، ولا نسرى ، ولا تحرقنا الشمس ، ونجد ماء . إذن لقد بقى أمر الطعام لهؤلاء . فقال :

﴿ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْمُنَّ وَالسَّلْوَى حَكُلُواْ مِن طَيِّبَتِ مَارَزَقَنْكُمْ ﴾

(من الآية ١٦٠ سورة الأعراف)

ساعة تأتى كلمة و أنزلنا و نعرف أنها مسألة جاءت من علو ، ولا يُفترض أن يكون مكانها عاليًا ، لكن هي مسألة جاءت من أعلى من قدرتك ، أي من قوق أسبابك إنها بقدرة الأعلى .

و « المنّ » مادة بيضاء اللون حلوة الطعم مثل قطرات الزئبق . يجدونه على الشجر . ولا يزال هذا الشجر موجوداً إلى الآن في العراق ، يهزونه صباحاً فيتساقط ما على الورق من قطرات متجمدة لونها أبيض ، فيأخذونه على ملاءة بيضاء واسمه عندهم المنّ _ أيضاً ـ وهو في طعم القشدة وليونتها ، وحلاوة العسل .

و « السلوى » هو طير من رتبة الدجاجيات يستوطن أوربا وحوض البحر المتوسط واحدته « سُلواة » وهو « السَّمان » وهر يأتى مهاجراً ولم يربه أحد ، وفي هذا إنزال من الله لأنه رزق من فوق قدرة العباد وأسبابهم .

﴿ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْمَنَّ وَالسِّلْوَى صُلُواْ مِن طَيِّبَتِ مَارَزَقْنَكُمْ ﴾

(من الآية ١٦٠ سورة الأعراف)

وهناك مصانع تصنع المن في أشكال مختلفة وأنواع من الحلوى جميلة ، ومن زار العراق ذاقه أو أحضره لأهله . والسلوى ـ كما قلنا ـ هو طائر ه السمان ع المعوجود في بيئة أخرى يغريه ربنا بالطقس الدافيء فيأتي إلينا لناخذه ، وهذه الطيور جاءت طالبة استمرار الحياة ، ويبعثها ربنا لتصير لنا طعاماً ليدلل على أنه حين يريد أن يأتي لهم برزق غيبي يمدهم ويمنحهم المن والسلوى كما أخرج من المحجر الماء ، وكما ظللهم بالغمام ، وبذلك صارت حاجاتهم قدرية ليس لهم فيها أسباب وجاءت لهم بالهناء . فقالوا : ومن يدرينا أن الرزق الذي يأتينا من المن والسلوى ميستمر ، ثم كيف لنا أن نصبر على طعام واحد ؟ إنهم قالوا لنبيهم صيدنا موسى

المَوْلَالْ الْمَوْلَةِ عَلَيْهِ عَلِيهِ عَلَيْهِ عَلِيهِ عَلَيْهِ عَلَيْه

﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَكُوسَىٰ لَن نَصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامِ وَإِجِدِ فَأَدْعُ لَنَا رَبُّكَ يُخْرِجُ لَنَا مِمَا تَنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِنْلَهَا وَقُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ﴾

(من الآية ٦١ سورة البقرة)

وهنا قال المحق: اذهبوا إلى أى مِصْرِ من الأمصار والمدن تجدوا ما تريدون: ﴿ اهبطوا مصرا فإن لكم ما سألتم ﴾ . لقد أعطاهم المحق الرزق بدون السببية ، إنه منه مباشرة ، فكان من الواجب أن تشكروا من أراحكم ، وجعل لكم الرزق ميسرا . لكنهم لم يشكروا الله ، بل تمردوا ، ولذلك ذيل المحق الأية بقوله : ﴿ وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ﴾ . نعم فهم ظلموا بعدم شكر النعمة .

ويقول الحق بعد ذلك :

وهذه القصة مذكورة أيضاً في سورة البقرة ، ونعرف أن قوله سبحانه : ﴿ وَإِذَ قَيْلُ لَهُم ﴾ ، ولم يذكر الحق من القائل ؛ لأن طبيعة الأمر في الأسباط أنه سبحانه جعل لكل سبط منهم عيناً يشرب منها ، وكل سبط له نقيب ، وهذا دليل على أنهم لا يأتلقون ؛ فلا يكون القول من واحد إلى الجميع ، بل يصدر القول من المشرع الأعلى وهو الحق إلى الرسول ، والرسول يقول للنقباء ، والنقباء يقولون للناس .

وبعد أن تلقى موسى القول أبلغه للنقباء ، والنقباء قالوه للأسباط ، وفي آية الخرى قال الحق : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا ﴾ . وهذا القول الأول وضعنا أمام لقطة توضح أن

○○+○○+○○+○○+○○+○○!!··○

المصدر الأصيل في القول هو الله ، ولأنهم أسباط ولكل سبط مشرب ؛ لذلك يوضع الحق هنا أنه أوحى لموسى . وساعة ما تسمع ، وإذ ، فاعلم أن المراد اذكر حين قبل لهم اسكنوا هذه القرية ، لقد قبل إن هذه القرية هي بيت المقدس أو أريحا ، لكنهم قالوا : لن ندخلها أبداً لأن فيها قوماً جبارين وأضافوا :

﴿ فَأَذْهَبْ أَتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلًا إِنَّا هَنَّهُنَّا قَنْعِدُونَ ﴾

(من الآية ٢٤ سورة المائدة)

والحق لا يبين لنا القرية في هذه الآية ؛ لأن هذا أمر غير مهم ، بل جاء بالمسألة المهمة التي لها وزنها وخطرها وهي تنفيذ الأمر على أي مكان يكون : ﴿ اسكنوا هذه القرية وكلوا منها ﴾ .

ويوضح الحق: أنا تكفلت بكم فيها كما تكفلت بكم في التيه من تظليل غمام، وتفجير ماء من صخر، ومن وسلوى. وحين أقول لكم ادخلوا القرية واسكنوها فلن أتخلى عنكم: ﴿ وكلوا منها حيث شتتم ﴾ . وقديما كان لكل قرية باب ؛ لذلك يتابع سبحانه: ﴿ وقولوا حطة وادخلوا الباب سجداً ﴾ .

والحطة تعنى الدعاء بأن يقولوا: يا رب حط عنا ذنوبنا فنحن قد استجبنا لأمرك وجئنا إلى القرية التى أمرتنا أن نسكنها ، وكان عليهم أن يدخلوها ساجدين ؛ لأن الله قد أنجاهم من التيه بعد أن أنعم عليهم ورقههم فيه . وإذا ما فعلوا ذلك سيكون لهم الثواب وهو:

﴿ نَعْفِرُ لَكُمْ خَعِلَيْكَ ثِيرً الْمُعْسِنِينَ ﴾

(من الآية ١٦١ سورة الأعراف)

وسبحانه يغفر مرة ثم يكتب حسنة ، أي سلب مضرة ، وجلب منفعة ، لكن هناك في سورة البقرة قد جآء النص التالي :

﴿ وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُواْ هَالِمِ الْقَرِّيةَ فَكُلُواْ مِنَّا سَيْتُ شِيْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُواْ الْبَابَ سَجَدًا وَتُولُواْ

حِطَّةً نَعْفِرْ لَكُرْ خَطَلَيْكُرْ وَسَنْزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ١

(صورة البقرة)

فالكيان العام واحد ونجد خلافاً في الألفاظ واللقطات عن الآية التي وردت في سورة الأعراف. أول خلاف ﴿ وإذ قلنا ﴾ ، ﴿ وإذ قبل ﴾ ، وشاء الحق ذلك ليأتي لنا بلقطة مختلفة كما أوضحنا من قبل . فغي آية سورة البقرة يقول سبحانه : ﴿ اسكنوا ﴾ ، ونعلم أن الدخول يكون لغاية وهي السكن أي ادخلوا لتسكنوا ، وأوضح ذلك بقوله في سورة الأعراف : ﴿ اسكنوا ﴾ وأراد سبحانه الأعراف : ﴿ اسكنوا ﴾ ليبين أن دخولهم ليس للمرور بل للإقامة . وأراد سبحانه أن يعطيهم الغاية النهائية ؛ لأنه لا يسكن أحد في القرية إلا إذا دخلها .

وهكذا نرى أن كلمات القرآن لا تأتى لتكرار ، بل للتأسيس وللإتيان بمعنى جديد يوضح ويبين ويشرح . ويقول الحق هنا في سورة الأعراف : ﴿ وكلوا منها حيث شئتم ﴾ . وفي آية سورة البقرة يقول : ﴿ فكلوا منها حيث شئتم رغداً ﴾ .

وحين أمرهم الله بالدخول وكانوا جوعى أمرهم الحق أن يأكلوا ، على الفور والتو بتوسع ، لذلك أتى بكلمة و رغداً ، لأن حاجتهم إلى الطعام شديدة وملحة ، لكنه بعد أن أمرهم بالسكن أوضح لهم أن يأكلوا ؛ لأن السكن يحقق الاستقرار ويتبح للإنسان أن يأكل براحة وتأن . وقال الحق هنا في سورة الأعراف : ﴿ وقولوا حطة وادخلوا الباب سجداً ﴾ . أى أنه قدم قولهم وحطة ، على السجود ، وفي آية سورة البقرة قدم السجود فقال :

﴿ وَادَّخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجِّدًا وَتُولُواْ حِطَّةً ﴾

(من الآية ٥٨ صورة البقرة إ

جاء الحق بهذا الاختلاف لأنه علم أن انفعالات السامعين تختلف ساعة الدخول ، فهناك من ينفعل للقول ، فيقول أول دخوله ما أمر به من طلب الحطة وغفران الذنب من الله ، وهناك آخر ينفعل للفعل فيسجد من فور الدخول تنفيذاً لأمر الله . وأيضاً قال الحق هنا في سورة الأعراف :

﴿ نَعْفِرُ لَكُمْ خَطِيَّتُنْكُمْ سَنَزِيدُ ٱلْمُعْسِنِينَ ﴾

(من الآية ١٦١ سورة الأعراف)

وفي سورة البقرة يقول: ﴿ نَغَفُر لَكُم خَطَايَاكُم وَسَنَزِيدَ الْمُحَسِّنَينَ ﴾ .

00+00+00+00+00+0011110

ونعلم أن صبغة الجمع تختلف ؛ فهناك وجمع تكسير ، وجمع تأنيث ، فغى جمع التكسير نغير من ترتيب حروف الكلمة ، مثل قولنا و قفل ، فنقول في جمعها و أقفال ، أما في جمع التأنيث فنحن نزيد على الكلمة ألفا وتاء بعد حذف ما قد يوجد في المفرد من علامة تأنيث ، مثل قولنا و فاطمة ، و و فاطمات ، و و أكلة ، و و أكلات ، وهذا جمع مؤنث سالم ، أي أن ترتيب حروفه لم يتغير ، وجمع المؤنث السالم يدل على الفلة . لكن جمع التكسير يدل على الكثرة فجاء سبحانه ـ بجمع المؤنث السالم الذي يدل على الفلة وبجمع التكسير الذي يدل على الكثرة لاختلاف درجات ونسب الخطايا ؛ لأن المخاطبين غير متساوين في الخطايا ، فهناك من ارتكب أخطاء كثيرة ، وهناك من أخطأ قليلاً . والاختلاف حدث أيضاً في عجز الآيتين ، فقال في سورة البقرة : ﴿ وسنزيد المحسنين ﴾ . وجاء عجز سورة الأعراف بدون « واو » فقال : ﴿ سنزيد المحسنين ﴾ .

وقد عودنا ودعانا الحق إلى أن نقول: اغفر لنا وأنت خير الغافرين ، وارحمنا وأنت خير الراحمين ، واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة . وهنا يوضح سبحانه: أنا لن أكنفي بأن أغفر لكم وأن أرفع عنكم الخطايا . لكني سأزيدكم حسناً ، وفي هذا ملب للضرر وجلب للنفع . كأن الله حينما قال : « خطاياكم » بجمع التكسير الذي ينبى ، ويدل على كثرة الذنوب والخطايا و « خطباتكم » التي تدل على القلة انشغلوا وتساءلوا : وماذا بعد الغفران يا رب فقيل ؟ لهم : ﴿ سنزيد المحسنين ﴾ الشخير لنا فقط ، أو أنه سيجازينا بالحسنات أيضاً ؟ وكانت إجابة الله أنه سيغفر لهم ويزيدهم ويمدهم بالحسنات . وقد عقدنا هذه المقارنة المفصلة بين آية سورة البغض ، بل البقرة وآية سورة الأعراف لنعرف أن الآيات لا تتصادم مع بعضها البغض ، بل تتكامل مصداقاً لقول الحق :

﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِغَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَاهَا كَثِيرًا ﴾

(من الآية ٨٦ صورة النساء)

ويقول الحق بعد ذلك :

الله فَهُمَّ فَهُمَّ فَوَلَّا غَيْرًا لَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرًا لَّذِي

قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَاعَلَيْهِمْ رِجْزَامِنَ ٱلسَّكَمَآءِ بِمَاكَانُوا يَظْلِمُونَ شَ اللَّهِ

هذه الآية تدل على أنهم افترقوا فرقتين ؛ لأن الحق سبحانه مادام قد قال :
﴿ منهم ﴾ فهذا يعنى أن بعضهم قالوا وفعلوا المطلوب ، وبعضهم ظلموا وبدلوا القول ، فقد أمرهم الحق أن يقولوا : « حطة » وطلب منهم أن يدخلوا سجداً . والتغيير منهم جاء في القول ؛ لأن القول قد يكون بين الإنسان وبين نفسه بحيث لا يسمعه سواه . لكن الفعل مرئى مما يدل على أن بعضهم يرائى بعضاً ، فقى القول أرادوا أن يهذروا ويتكلموا بما لا ينبغى ولا يليق ، فبدلاً من أن يقولوا : « حنطة » استهزاء بالكلمة .

وهكذا نرى أن التبديل جاء فى القول ، لكن الفعل لم يأت فيه كلام ، وإن قال بعضهم : إن التبديل أيضاً حدث من بعضهم فى الفعل . فبدلاً من أن يدخلوا ماجدين دخلوا زاحفين على مقعداتهم ، كنوع من التعالى ، لكن الحق لم يذكر شيئاً من ذلك ؛ لأن سلوكهم فى الفعل قد يكون السبب فيه أن بعضهم لا قدرة له على الفعل .

﴿ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُم قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَمُمْ

(من الآية ١٩٢ سورة الأعراف)

وكأن الحق يذكرنا بما فعله معهم من رعايتهم في أثناء التيه وكيف ظلل عليهم الغمام وأنزل عليهم المن والسلوى ، واستسقى لهم موسى فجاءت المياه . لكن غريزة التبديل والتمرد لم تغادرهم . وماداموا قد بدّلوا في كلمات الله ، فعليهم أن ينالوا العقاب : ﴿ فأرسلنا عليهم رجزاً من السماء ﴾ .

وهناك آية ثانية في سورة البقرة يقول فيها الحق : ﴿ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظُلْمُوا رَجْزاً مِن السَمَاء ﴾ . والفارق بين « الإنزال » وبين « الإرسال » أن الإنزال يكون مرة واحدة . أما الإرسال فهو مسترسل ومتواصل ، ولذلك يقول الحق سبحانه في

00+00+00+00+00+00+0

المعلر: ﴿ وَأَنزَلْنَا مِن السّماء ماء طهوراً ﴾ . لأن المطر لا ينزل طوال الوقت من السّماء . لكن في الإرسال استمرار ، اللهم إلا بعضاً من تأثير الهواء . ولذلك يقول الحق : ﴿ وأرسلنا الرياح لواقح ﴾ . فالذي يحتاج إلى استمرارية في الفعل يقول فيه الحق : « أرسل » بدليل أن الله حينما أراد أن يجيء بالطوفان ليغرق المكذبين بموسى قال :

﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْقُوفَانَ ﴾

(من الآبة ١٣٣ سورة الأعراف)

وعندما أراد أن يرغب عاداً قوم سيدنا هود في الاستغفار والتوبة والرجوع عما كانوا عليه من الكفر والآثام قال لهم :

﴿ وَيَنْقُومِ اسْتَغْفِرُواْ رَبُّكُمْ مُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاةَ عَلَيْكُم مِدْرَارًا ﴾

(من الآية ٥٣ سورة هود)

إذن فالإرسال يعنى التواصل ، أما الإنزال فهو لمرة واحدة ، وأراد الحق سبحانه من قصة بنى إسرائيل أن يأتى لنا بلقطة فجاء بكلمة ، أنزلنا » ، ولقطة أخرى جاء فيها به وأرسلنا » ؛ لأن العقوبة تختلف باختلاف المذنبين ، والمذنبون مقولون بالتشكيك ، فهذا له ذنب صغير ، وآخر ذنبه أكبر ، وكل إنسان يأخذ العذاب على قدر ذنبه ؛ فمن أذنب ذنباً صغيراً أنزل الله عليه عقاباً على قدر ذنبه ، ومن تمادى أرسل الله عليه عذاباً يستمر على قدر ذنوبه الكبيرة .

وهنا يقول الحق :

و فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِم رِجْزًا مِنَ السَّمَاء بِمَا كَانُواْ يَظْلِمُونَ ﴾

(من الآية ١٦٢ سورة الأعراف)

و « رجزاً » أى عذاباً ، وهناك رِجْز ، ورُجْز ، والرُجز يُولد من الرُجْز ؛ وينشأ مثل قوله المحق : ﴿ وَالرَّجِزَ فَاهِجِر ﴾ . أى اهجر الرُّجْز . . أى المآثم والمعاصى واللنوب لتسلم من الرَّجز . . أى من العذاب . وهنا يبين الحق أنهم تلقوا العذاب بسبب ظلمهم ، وهناك في الآية الآخرى قال : ﴿ بِما كانوا يفسقون ﴾ .

والفسق يسبق الظلم ؛ لأن الإنسان لا يمكن أن يظلم نفسه بمخالفة منهج إلا إذا

فسق أولاً ، ولذلك جاء الحق بالمسبب وجاء بالسبب ، وهكذا نتأكد أن كل كلمة في القرآن جاءت لمعنى أساسى تؤديه ولا تكرار إلا لمجموع القصة في ذاتها ، أما لقطات القصة هنا ، ولقطات القصة هناك فأمور جاءت تأسيساً في كل شيء

ويقول الحق بعد ذلك :

لتعطى معانى ولقطات جديدة .

﴿ وَسَّنَا لَهُمْ عَنِ ٱلْقَرْكِةِ ٱلَّتِي كَانَتُ حَاضِرَةَ الْبَحْسِرِ إِذْ يَعَدُونَ فِ ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمُ الْبَحْسِرِ إِذْ يَعَدُونَ فِي ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمُ مُنْ رَعُاوَيُومَ لَا يَسْبِتُونَ كَانَهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَعُاوَيُومَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ مُنْ رَعُاوَيُومَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ مُنْ مَنْ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّ



هنا سؤال عن القرية التي كانت حاضرة البحر ، ونعلم أن القرية الأولى التي دخلوها هي « بيت المقدس » ولم تكن على البحر ، والقرية التي كانت على البحر هي « أيلة » أو « مدين » أو « طبرية » ، المهم أنها كانت « حاضرة البحر » أى قريبة من البحر ومشرفة عليه ؛ لأننا نقول فلان حضر ، أى كان بعيداً فاقترب . فمثل الإسكندرية يمكن أن نسميها حاضرة البحر .

وقوله: « واسألهم » والسؤال هنا موجه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليوجه السؤال إلى أهل الكتاب ، ويطلب منهم أن ينظروا في كتبهم ليعرفوا أن ما يقوله هو وحى من الله إليه ؛ لأنهم يعلمون أنه صلى الله عليه وسلم لم يجلس إلى معلم ، ولم يقرأ في كتاب ، وإنما علّمه من أرسله ، إنّه صلى الله عليه وسلم لا يريد أن يُعلّم منهم ، بل يريد أن يُعلّمهم أنه يعلم ، وهم يعلمون أنه لا مصدر له كعلم سائر البشر ؛ لا جلس على معلم ولا قرأ في كتاب ولذلك تجد « مأكنات »

Of-33 2+00+00+00+00+00+00

القرآن أى قوله الحق : دما كنت ؛ و « ماكنت ؛ و « ما كنت ؛ ودما كنت ؛ مثل قوله :

﴿ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِيِّ إِذْ تَصَبَّنا إِلَّ مُوسَى ٱلْأَمْرَ ﴾

(من الآية ٤٤ صورة القصص)

ومثل قوله تعالى :

﴿ وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِي أَهْلِ مَذْيَنَ لَتَلُواْ عَلَيْهِمْ عَايَتِنَا ﴾

(من الآية ٥٤ سورة القصص)

ومثل قوله تعالى :

﴿ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقَلْتُهُمْ أَيْهُمْ يَكُفُلُ مَرْيِمٌ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَحْنَصِمُونَ ﴾ ﴿ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَحْمَلُونُ أَقَلْتُهُمْ مَا يَعْمُ مِنْ اللَّهِ عَلَى مُورَةً آل عمران)

إذن فأنت يا رسول الله لم تكن معهم لتقول لهم ما حدث وحصل لهم ، بل إن ذلك موجود عندهم في كتبهم ، إذن فالذي علمك هو من أرسلك . كذلك هنا مصداقاً لقوله تعالى :

وَوَمَا كُنتَ نَتْلُواْ مِن قَبْلِهِ مِن كِتَنْبِ وَلَا تَخْطَعُم بِيمِينِكُ إِذَا لَا رَبَّابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿ ﴾ وَمَا كُنتَ نَتْلُواْ مِن قَبْلِهِ مِن كِتَنْبِ وَلَا تَخْطَعُم بِيمِينِكُ إِذَا لَا رَبَّابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿ فَي لَهُ عَلَيْهِ مِن المنكبوت)

وفي هذا القول أمر من الله سبحانه وتعالى أن يخبرهم أنه سبحانه قد علمه وأعلمه بما لا يستطيعون إنكاره ليتيقنوا أن الله يعلمه ليؤمنوا به .

﴿ وَسَعَلْهُمْ عَنِ ٱلْفَرْيَةِ ٱلَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ ﴾

(من الآية ١٩٣ صورة الأعراف)

وكلمة واسألهم ع تحل لنا إشكالات كثيرة ، مثال ذلك حديث الإسراء ، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى بالأنبياء بصلاة إبراهيم .

فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لقد رأيتني في الحجر وقريش تسألني عن مسراي ، فسألوني عن أشياء من بيت O11-VOC+OO+OO+OO+OO+O

المقدس لم أثبتها فكربت كرباً ما كربت مثله قط ، فرفعه الله إلى أنظر إليه ، ما سألونى عن شيء إلا أنبأتهم به ، وقد رأيتني في جماعة من الأنبياء ، وإذا موسى قائم يصلى وإذا هو رجل جعد كأنه من رجال شنوءة ، وإذا عيسى قائم يصلى أقرب الناس شبها الناس شبها به عروة بن مسعود الثقفي ، وإذا إبراهيم قائم يصلى أقرب الناس شبها به صاحبكم _ يعنى نفسه _ فحانت الصلاة فأممتهم فلما فرغت قال قائل : يا محمد هذا مالك خازن جهنم فالتفت إليه فبدأني بالسلام »(١).

وتأتى آية في القرآن تقول :

﴿ وَسُعَلُ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبِلِكَ مِن رُسُلِنَا ﴾

(من الآية 18 صورة الزخرف)

والأمر لرسول الله عليه الصلاة والسلام أن يسأل رسل الله من قبله ، ومتى يسألهم ؟ لابد أن توجد فرصة ليلتقوا فيسأل . إذن حين يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم إنه التقى بالأنبياء وكلمهم وصلى بهم فالخبر مصدق لأنه قد أدى أمر الله : ﴿ واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر ﴾ . والسؤال هنا سؤال للتقرير والتقريع والتوبيخ : وما قصة القرية التي كانت حاضرة البحر ؟

لقد قلنا إن حاضرة البحر أى القريبة من البحر ، ونفهم أن ما تتعرض له الآية من سؤالهم يشير إلى أن للبحر فيه مدخلاً ؛ لأن المسألة متعلقة بالحيتان والسمك والصيد ، لذلك لابد أن تكون بلدة ساحلية .

﴿ إِذْ يَعْدُونَ فِي ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيمُ حِبَّانُهُمْ يَوْمٌ سَبْنِيمْ شُرْعًا وَيَوْمٌ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيمِمُ صَعْدُونَ فِي السَّبْتُونَ لَا تَأْتِيمِمُ صَعْدُالِكَ نَبْلُوهُم عِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ ﴾

(من الآبة ١٩٣ سورة الأعراف)
وحيتان جمع حوت ، مثلما يجمعون « نُوناً » ـ وهو الحوت أيضاً ـ على
« نينان » ؛ وهو صنف من الأسماك . لقد حرم الله عليهم العمل في يوم معين
لينقطعوا فيه للعبادة وهو يوم « السبت » ، ومازالت عندهم بعض هذه العادات ،
حتى إن واحداً منهم زار أمريكا ورفض أن يركب سيارة يوم السبت لأنه يوم عطلة ،

(١) أخرجه مسلم في صحيحه .

WIE WILL

00+00+00+00+00+0(!...

ورفض كذلك أن يعمل حتى جاء اليوم التالى . وشاء الحق سبحانه أن يؤدبهم حينما ارتكبوا أشياء مخالفة للمنهج ، وسلب منهم وقتاً للعمل وقال :

﴿ فَيظُلْمِ مِنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا حَرَمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبُتِ أَحِلْتُ لَمُمْ ﴾

(من الآية ١٦٠ صورة النساء)

وفى هذه مُثُل وعِبُر لأى منحرف ، ولكل منحرف نقول : إياك أن تظن أنك بانحرافك عن منهج الله ستأخذ أشياء من وراء ربنا وتسرقها ، لا ؛ لأن ربنا قادر أن يبتليه بعقاب يفوق ما أخذ آلاف المرات ، فالمرتشى مثلاً يفتح له الله أبواباً من الأمراض ومن العلل ومن المصائب فيضيع عليه كل شيء أخذه .

إذن فقد استحل بنو إسرائيل أشياء محرمة ، فابتلاهم الله بأن يحرمهم من أشياء كانت حلالاً لهم . وهكذا نرى أن ما وقع عليهم من عقاب كان بظلمهم لأنفسهم الأنهم انشغلوا بالدنيا وبالمادة ، فحرم عليهم العمل في يوم السبت ، وهؤلاء الذين كانوا يقيمون قريباً من حاضرة البحر يبتليهم الله البلاء العظيم ، ويرون السمك في المياه وهو يرفع زعاففه كشراع المركب ، وتطل عليهم أشرعة الحيتان وهم في ييوتهم ، وهذا ابتلاء من ربهم لهم وعقاب ؛ لانهم معنوعون من صيده ، ويرون ييوتهم ، هذا السمك أمامهم في يوم السبت ، لكن في بقية الأيام التي يباح فيها العمل ، كيوم الأحد والاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس والجمعة لا تظهر لهم ولا سمكة واحدة : ﴿ ويوم لا يسبتون لا تأتيهم كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون ﴾ .

وهنا قالوا: مادام ربنا قد حرم علنيا أن نصطاد يوم السبت فعلينا أن نحتال . وصنعوا كيساً من السلك المضفر والذي نسميه و الجوبية وهم أول من صنعوا هذه الجوبية بشكل خاص ، ويدخل السمك فيها ولا يستطيع الخروج منها ، فيأتي السمك يوم السبت ويدخل في الجوبية ويستخرجونه يوم الأحد . وفي هذا السمك يوم السبت ويدخل في الجوبية ويستخرجونه يوم الأحد . وتمكر لهم اعتداء . أو يصنعون حوضاً له مدخل وليس له مخرج وفي هذا مكر . وتمكر لهم السماء بحيلة أشد . لقد أراد الله ابتلاءهم لأنهم فسقوا عن المنهج . وخرجوا عن الطاعة ، واستحلوا أشياء حرمها الله ؛ لذلك يحرم الله عليهم أشياء أحلها لغيرهم .

المن بعد ذلك:

﴿ وَإِذْ قَالَتُ أُمَّةً مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمُّا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْمُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ أَوْمُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَنَقُونَ فَي اللَّهُ اللَّهُ مَا يَنْقُونَ فَي اللهِ اللهِ اللهُ اللهُ مَا يَنْقُونَ فَي اللهُ اللهُ اللهُ مَا يَنْقُونَ فَي اللهُ الله

وحينما تجد أن طائفة قالت قولاً ، فلابد أن هناك أناساً قيل لهم هذا القول . إذن ففيه وقوم واعظون ، ووقوم موعوظون ، ووقوم مستنكرون وعظ الواعظين ، وهكذا صاروا ثلاث فرق :

الذين قالوا وعظاً لهم: لماذا لا تلتزمون بمنهج الله ؟ هؤلاء هم المؤمنون حقاً . وقالوا ذلك لأنهم رأوا من يخالف منهج الله . والذين لاموا الواعظين هم الصلحاء من أهل القرية الذين يئسوا من صلاح حال المخالفين للمنهج . وحين ندقق في الآية :

﴿ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا آللهُ مُهْلِكُهُمْ ﴾

(من الآية ١٦٤ سورة الأعراف)

تعلم أن القائلين هم من الذين لم يعتدوا ، ولم يعظوا وقالوا هذا التساؤل لمن وعظوا ؛ لأنهم رأوا أن الوعظ مع الخارجين على منهج الله لا ينقع . كما قال الله لرسوله صلى الله عليه وسلم : ﴿ فلعلك باخع نفسك ألّا يكونوا مؤمنين ﴾ .

هنا يسأل الحق رسوله : ولماذا تُحزن نفسك وتعمل على إزهاق روحك . وهنا قال بعض بنى إسرائيل : لم تعظون هؤلاء المغالين في الكفر ، لماذا ترهقون انفسكم معهم ، إنهم يعملون من أجل أن يعلبهم الله . وماذا قال الواعظون ؟ : ﴿ قالوا معلرة إلى ربكم ولعلهم يتقون ﴾ .

وما هي المعذرة إلى الله ؟ . يقال : عذرك فلان إذا كنت قد فعلت فعلاً كان في

ظاهره أنه ذنب ثم بينت العذر في فعله ، كان تقول : لقد جعلتني انتظرك طويلاً وتأخرت في ميعادك معى . أنت تقول ذلك لصديق لك لأنه أتى بعمل مخالف وهو التأخر في ميعاد ضربه لك . فيرد عليك : تعطلت منى السيارة ولم أجد وسيلة مواصلات ، وهذا عذر . إذن فمعنى « العذر » هو إبداء سبب لأمر خالف مراد الغير . ولذلك يقال : أعذر من أنذر ، والحق يقول :

﴿ وَجَآءَ الْمُعَدِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ ﴾

(من الآية ٩٠ سورة النوبة)

ونعلم أيضاً أن هناك مُعْذِراً ، ومُعذَّراً . والمُعَدَّر هو من يأتي بعذر كاذب ، والمُعْذِر هو من يأتي بعذر كاذب ، والمُعْذِر هو من يأتي بعذر صادق . وقال الواعظون : نحن نعظهم ، وأنتم حكمتم بأن العظة لا تنفع معهم لأتهم اختاروا أن يهلكهم الله ويعذبهم ولكنا لم نيأس ، وعلى فرض أننا يئسنا من فعلهم ، فعلى الأقل نكون قد قدمنا لربنا المعذرة في أننا عملنا على قدر طاقتنا .

وكلمة « وَعْظ » تقتضى أن نقول قيها : إن هناك فارقاً بين بلاغ الحكم ، والوعظ بالحكم ؛ فالوعظ أن تكرر لموعوظ ما يعلمه لكنه لا يفعله . كأن تقول الإنسان : قم إلى الصلاة ، هو يعلم أن الصلاة مطلوبة لكنه لا يقوم بأدائها .

إذن فالوعظ معناه تذكير الغافل عن حكم ، ومن كلمة الوعظ نشأت الوعّاظ . وهم من يقولون للناس الأحكام التي يعرفونها ، ليعملوا بها ، فالوعاظ إذن لا يأتون بحكم جديد :

وبعض العلماء قال: إن قول الحق: ﴿ لَم تعظون قوماً الله مهلكهم ﴾ ليس مراداً به الفئة التي لم تفعل الذنب ولم تعظ ، إنما يراد به الفئة الموعوظة ، كأن الموعوظين قالوا: إن ربنا سيعذبنا فلماذا توعظوننا ؟ . ونقول : لا ؛ لأن عجز الآية ينافى هذا . فالحق يقول : ﴿ معذرة إلى ربكم ولعلهم يتقون ﴾ .

ومجىء والعلهم ، يؤكد أن هذا خبر عن الغير لا أنَّه من الموعوظين . ويقول الحق بعد ذلك :

﴿ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِ الْبَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهُوْنَ عَنِ ٱلسُّوَءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ بِعَذَابِ بَيْسِ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ شَا اللَّهِ اللَّ

ويدفيرنا الحق هنا أن الموعوظين حينما نسوا ما وعظهم به بعض المؤمنين أهلكهم الله بالعذاب الشديد جزاءً لخروجهم وفسوقهم عن المنهج وأنجى الله الفرقة الواعظة . وماذا عن الفرقة الثالثة التى لم تنضم إلى الواعظين أو الموعوظين ؟ الذين قالوا : ﴿ لم تعظون قوماً الله مهلكهم ﴾ إن قولهم هذا لون من الوعظ ؛ فساعة يخوفونهم بأن ربنا مهلك أو معذب من يخرج على منهجه ، فهو وعظ من طرف آخر .

وقوله الحق: ﴿ فلما نسوا ما ذكروا به ﴾ يدل على أنه قد وعظهم غيرهم وذكروهم . ويعذب الحق هؤلاء الذين ضربوا عرض الحائط بمنهجه ولم يسمعوا من وعظوهم ، وخرجوا على تعاليمه فظلموا أنفسهم واستحقوا العذاب الشديد ؛ فالمسألة ليست تعتناً من الله ؛ لأنهم السبب في هذا ، إما بفسق ، وإمّا بظلم للنفس .

وينول الحق بعد ذلك :

﴿ فَلَمَّا عَنَوَا عَن مَا نَهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَمُمْ كُونُوا قِرَدَةً فَلَنَا لَمُمْ كُونُوا قِرَدَةً فَا فَلَمْ كُونُوا قِرَدَةً فَالْمَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً فَالْمَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً فَالْمَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً فَالْمَا لَمُمْ كُونُوا قِرَدَةً فَالْمَا لَمُ مُنْ اللَّهُ فَاللَّهُ مِنْ اللَّهُ فَاللَّهُ مِنْ اللَّهُ فَاللَّهُ مَا يَعْمُ اللَّهُ فَاللَّهُ مُنْ اللَّهُ فَاللَّهُ مِنْ اللَّهُ فَا لَهُ فَاللَّهُ مِنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ فَاللَّالِي اللَّهُ مُنْ اللَّهُ فَاللَّهُ مِنْ اللَّهُ فَاللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ فَالِمُ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ فَاللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ أَلَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ أَنَّالِمُ مِنْ اللَّهُ مِنْ أَنَّ اللَّهُ مِنْ أَنَّا لَمُنْ أَلَّا اللَّهُ مِنْ أَلَّا مُنْ أَلَّا مُنْ أَمْ أَلْمُ اللَّهُ مِنْ أَلَّا لَمُنْ أَمْ أَلْمُ اللَّهُ مِنْ أَلَّا لَمُ مُنْ أَلَّا لَمُلَّا مِنْ أَلَّا لَمُلْمُ مُنْ أَلْمُ اللَّهُ مِنْ أَلْمُ اللَّالِمُ مِنْ أَلَّالِمُ مِنْ أَلْمُ اللَّهُ مِنْ أَلَّا لَمُلْمُ مِنْ أَلَّالِمُ مِنْ أَلَّالِمُ مِنْ أَلَّا لَمُلْعُلُمُ مِنْ أَلْمُ اللَّهُ مِنْ أَلَّا لَمُلْمُ مِنْ أَلَّاللَّا مُلْمُ مِنْ أَل

واخذهم بعذاب يدل على أنه لم يزهق حياتهم ويميتهم ؛ لأن العذاب هو إيلام من يتألم ، والموت ليس عذاباً لأنه ينهى الإحساس بالألم ، ولنتعرف على الفارق بين الموت والعذاب حين نقرأ قصة الهدهد مع سيدنا سليمان ، يقول سيدنا سليمان حين ثنبه لغياب الهدهد عندما وجد مكانه خاليا :

00+00+00+00+00+0(!!)

﴿ مَالِيَ لَا أَرَى الْمُدُهُدُ أَمْ كَانَ مِنَ الْعَلَيْبِينَ ﴿ لَأُعَلِّبَتُ مُ عَذَابًا شَلِيدًا أَوْلَا أَذْ يَعَنَّهُ مِ كَانَ مِنَ الْعَلَيْبِينَ ﴿ لَا أَذْ يَعَنَّهُ مِ لَهُ اللَّهُ اللَّ

(من الأيتين ٢٠ ، ٢١ سورة النمل)

هكذا نرى الفارق بين العذاب وبين الموت . وهنا يقول الحق : ﴿ فلما عنوا عن ما نهوا عنه ﴾ و « عنوا » تعنى أبوًا وعصوًا واستكبروا فحق عليهم عذاب الله الذى أوضحه قول الحق : ﴿ كونوا قردة خاسثين ﴾ .

لأن و العتو عكبرياء وإباء ؛ فيعاقبهم الله بأن جعلهم كأخس الحيوانات ، فصيرهم أشباه القرود ، كل منهم مفضوح السوءة ، يسخر الناس منهم ويستهزئون بهم . فهل انقلبوا قردة ؟ . نعم ؛ لأنك حين تأمر إنساناً بفعل . . ألا تُقدّر قبل الأمر له بالفعل أنه صالح أن يفعل وألا يفعل ؟ . وحين يقول الله : ﴿ كونوا قردة ﴾ فهل في مكنتهم أن يصنعوا من أنفسهم قردة ؟ . ونقول : إن هذا اسمه و أمر تسخيرى » أي اصبحوا وصيروا قردة . وقد راوهم على هذه الهيئة من وعظوهم ، وهي هنا مقولة وخبر » نصدقه بتوثيق من قاله ، وكان هذا الخبر واقعاً لمن شاهده .

ولذلك نجد المعجزات التى حدثت لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم غير القرآن الذى وصلنا ككتاب منهج ومعجزة وسيظل كذلك إلى قيام الساعة ، لكن ألم ينبع الماء من بين أصابعه صلى الله عليه وسلم ؟ لقد حدث ذلك وغيره من المعجزات وشاهده أصحابه صلى الله عليه وسلم ، وأخبرونا بالخبر ، وكان ذلك آية تُثبّت يقينهم وإيمانهم ، وتثبت لنا خبراً ، فإن اتسع لها ذهنك فأهلاً وسهلاً ، وإن لم يتسع لها فلا توقف إيمانك ، لأنها آية لم تأت من أجلك أنت ، وكل معجزة كونية حدثت لرسول الله فالمراد بها من شاهدها ، ووصلتك أنت كخبر ، إن وثقت بالخبر صدقته ، وإن لم تثق به ووقفت عنده فلن ينقص إيمانك . غير أنه يبجب على من وصل إليه الخبر بطريق مقطوع به ، أن يصدق ويذعن .

وقد أخبر الحق هنا بالأمر بقوله : ﴿ كونوا قردة خاسئين ﴾ بأنه أوقع عليهم عذاباً بأن جعلهم قردة خاسئين ، فهذا عقاب للذين عتوا عمًّا نهوا عنه . والذين وعظوهم أو عاصروهم هم من شاهدوا وقوع العذاب .

وهل الممسوخ يظل ممسوخاً ؟ . إن الممسوخ قرداً أو خنزيراً ، يظل فترة كذلك ليراه من رآه ظالماً ، ثم بعد ذلك يموت وينتهى .

ويقول الحق بعد ذلك:

وتأذّن نجد مادتها من الهمزة والذال والنون ، فمنه أذّن ، ومنها أذّان ، وكلها يراد بها الإعلام ، والوسيلة للإعلام هي الأذن والسمع ، حتى الذي سنعلمه بواسطة الكتابة نقول له ليسمع . ثم يكتب ويقرأ ، وما قرأ إلا بعد أن سمع ؛ لأنه لن يعرف القراءة إلا بعد أن يسمع أسماء الحروف و ألف » ، و باه ۽ إلخ ، ثم تهجاها . إذن فلا أحد يقرأ إلا بعد أن يسمع ، وهكذا يكون السمع هو الأصل في المعلومات ، ونقرأ في القرآن :

﴿ إِذَا ٱللَّهُمَا } أَنسُنَّتُ فَ وَأَذِنتَ لِرُبَّا وَخُفَّتْ ١

(سررة الانشقاق)

واذنت لربها . . أي سمعت لربها ، فبمجرد أن قال لها : « انشقي » امتثلت وانشقت .

(سررة الأعراف)

والكلام هنا بالنسبة لبنى إسرائيل ، ويبين لنا سبحانه أنهم مع كونهم مختارين في أن يفعلوا ، « فإن مواقفهم الإيمانية ستظل متقلبة مترددة ، ولن يهدأ لهم حال

00+00+00+00+00+00+00!!\!

فى نشر الغساد وإشاعته ، ولذلك يسلط الله عليهم من يسومهم سوء العذاب ، ولماذا ؟ .

لأنهم منسوبون لدين ، والله لايسوم العدّاب للكافر به وللملحد ، لأنه بكفره والحاده خرج عن هذه الدائرة ، إذ لم يبعث الله له رسولا ولكن المنسوب الله ديانة ، والمنسوب الله رسالة ، والمنسوب الله كتاباً ؛ إذا فسد مع كون الناس ويعلمون عنه أنه تابع لنبى ، وأن له كتاباً ، حينئذ يكون أسوة مبيئة في الفساد للناس ، فإذا ما سلط الله عليهم العذاب فإنما يسلط عليهم لا لأجل الفساد فقط ، ولكن لأنه فساد منسوب لمن هو منسوب إلى الله . وعرفنا أن مادة أذن كلها مناط الإعلام ، وحينما تكلم الله عن خلقنا قال :

﴿ وَاللَّهُ أَنْوَجَكُمْ مِنْ بُعُلُونِ أُمَّهَ يَكُمْ لَا تَعْلَدُونَ شَيْعًا وَجَعَلَ لَنكُرُ السَّمْعَ وَالأَبْصَنر

وَالْأَفْعِدُةُ ﴾

(من الآية ٧٨ سورة النحل)

إنّ الحق _ سبحانه _ يسمى العرب المعاصرين لرسول الله أميين ، أى ليس عندهم شيء من أسباب العلم ، وسبحانه خلق لنا وسائل العلم . بأن جعل لنا السمع والأبصار والأفئدة ، وهي وسائل العلم التي تبدأ بالسمع ثم بالأبصار ثم الأفئدة . ومن العجيب أنه رتبها في أداء وظيفتها ؛ لأن الإنسان منا إذا كان له وليد _ كما قلنا سابقاً _ ثم جاء أحد بعد ميلاده ووضع أصبعه أمام عينه فإنه لا يطرف ؛ لأن عينه لم تؤد بعد مهمة الرؤية ، وعيون الوليد لا تؤدى مهمة الرؤية إلا بعد مدة من ثلاثة أيام إلى عشرة ، ولكنك إذا جئت في أذنه وصرخت انفعل .

إن هذا دليل على أن أذنه أدت مهمتها من فور ولادته ، بينما عينه لا تؤدى مهمة الرؤية إلا بعد مدة ، فأولاً يأتي السمع ، ثم يأتي البصر ، ومن السمع والبصر تتكون المعلومات ، فتنشأ عند الإنسان معلومات عقلية ، ويقولون للطفل مثلاً : إياك أن تقبل على هذه النار حتى لا تحرقك ، فلا يصدق ، ومنظر النار يجذبه فيلمسها ، فتلسعه مرة واحدة ، وبعد أن لسعته النار مرة واحدة ، لم يعد في حاجة إلى أن يتكرر له القول : بأن النار محرقة . فقد تكونت عنده معلومة عقلية . فأولاً

يأتى السمع ، ثم الأبصار ، ثم تأتى الأفئدة . ولذلك قال سبحانه : ﴿ لعلكم تشكرون ﴾ . تشكرون له سبحانه أن أمدكم بوسائل العلم ليخرجكم مِن أميتكم .

وهناك لفتة إعجازية أخرى ؛ فحين تكلم الحق عن وسائل العلم ، تكلم عن السمع بالإفراد ، وعن الأبصار بالجمع . مع أن هذه آلة ، وهذه آلة ؛ فقال : (السمع والأبصار) ولم يقل السمع والأبصار ؛ لأن السمع هى الآلة التي تلتقط الأصوات ، وليس لها سد من طبيعتها ، أما العين فليست كذلك ، ففي طبيعة تكوينها حجاب لتغمض . وإذا أنت أصدرت صوتاً من فمك يسمعه الكل ، وعلى هذا فمناط السمع واحد ، لكن في أي منظر من المناظر قد تكون لديك رغبة في أن تراه ، فتفتح عينيك ، وإن لم تكن بك رغبة للرؤية فانت تغمضهما .

إذن فالأبصار تتعدد مراثبها ، أما السمع فواحد ولا اختيار لك في أن تسمع أو لا تسمع . أما البصر فلك اختيار في أن ترى أو لا ترى ، وهذه أمور رتبها لنا الحق في القرآن قبل أن ينشأ علم وظائف الأعضاء ، ورتبها سبحانه فأفرد في السمع ، وجمع في البصر مع أنهما في مهمة واحدة ، إلا آية واحدة جاءت في القرآن :

﴿ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْغُوَّادَ كُلُّ أُولَكِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْعُولًا ﴾

(من الآية ٣٦ سورة الإسراء)

قال الحق ذلك لأن المسئولية هنا هي الفردية الذاتية ، وكل واحد مسئول عن سمعه ويصره وفؤاده ، وليس مسئولاً عن أسماع وأبصار وأفئدة الناس . ونرى مادة السمع قد تقدمت ، وبعدها جاءت مادة البصر إلا في آية واحدة أيضاً ، تتحدث عن يوم القيامة :

﴿ رَبِنَا أَبِصِرَةً وَسِمِنَا ﴾

(من الآية ١٦ سورة السجدة)

هنا قدّم الحق مادة الإبصار على مادة السمع ؛ لأن هول القيامة ساعة يأتي سنرى تغيراً في الكون قبل أن نسمع شيئاً .

شِينَا الْجَالِيَا

﴿ وَإِذْ تَأَذَٰنَ رَبُكَ لَيَبْعَثَنَ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ ٱلْفِينَمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوَءَ ٱلْعَدَابِ إِنَّ رَبِّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعَقَابِ وَإِنْهُ لِنَقُورٌ رَحِيمٌ ﴿ ﴾ وَإِنَّهُ لَعَقُابٍ وَإِنَّهُ لَعَقُورٌ رَحِيمٌ ﴿ ﴾

(سورة الأعراف)

وتأذَّن أى أعلم الله إعلاماً مؤكداً بأنَّكم يا بنى إسرائيل ستظلون على انحراف دائم ، ولذلك سيسلط الله عليكم من يسومكم سوء العذاب ، إما من جهة إيمانية ، مثلما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم في بنى النضير وبنى قريظة وبنى قينقاع وخيبر ، وإما أن يسلط عليهم حاكماً ظالماً غير متدين ، مصداقاً لقوله الحق :

﴿ وَكَذَاكِ نُولِي بَعْضَ الظَّالِينَ بَعْضًا ﴾

(من الآية ١٢٩ سورة الأنعام)

وكذلك مثلما حدث من بختنصر ، وهتلر . إذن و وإذ تأذن ربك » أى أعلم ربك إعلاماً مؤكداً و لأن البشر قد يُعلمون بشى ، ولكن قدرتهم ليست مضمونة لكى يعملوا ما أعلموا به ، فإذا أعلمت أنت بشى و فأنت قد لا تملك أدوات التنفيذ ، أمّا الله - سبحانه - فهو المالك لأدوات التنفيذ ، والإعلام منه مؤكد ، ولذلك يُعلم بالشى و ، أما غيره فالظروف المحيطة به قد لا تساعده على أن ينفذ . مثال ذلك : صحابة رسول الله الأول وهم مستضعفون ولم يستطيعوا أن يحموا أنفسهم من أضطهاد المشركين والكافرين ، وصار كل واحد يبحث لنفسه عن مكان يأمن فيه و الضطهاد المشركين والكافرين ، وصار كل واحد يبحث لنفسه عن مكان يأمن فيه و منهم من يذهب إلى الحبشة أو يذهب إلى قوى يحتمى به ، فينزل الله في هذه الظروف العصيبة آية قرآنية لرسول الله يقول فيها :

وسيهزم الحمع ويولون الدر ١٠٠٠ ١

(سورة القمر)

وتساءل البعض كيف يُهزّمون ونحن غير قادرين على حماية أنفسنا . فعندما نزلت هذه الآية قال سيدنا عمر : أى جمع يُهزم ، قال عمر : فلما كان يوم بدر رأيت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يثب في الدروع وهو يقول : ﴿ سيهزم الجمع ويولون الدبر ﴾ ، فعرفت تأويلها يومئذ . إن الله سبحانه وتعالى أعُلم بالنصر ، وهو قادر على إنفاذ ما أعْلم به على وفق ما أعلم ؛ لأنه لا يوجد إله آخر

Q!!\V@@+@@+@@+@@+@@+@

يصادمه . إذن و وإذ تأذن ربك ، يعنى أعلم إعلاماً مؤكداً ، وحيثية الإعلام المؤكد أنه لا توجد قوة أخرى تمنع قدرته ولا تنقض حكمه .

﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبَعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَّ يَوْمِ ٱلْفِيكُمَةِ ﴾

(من الآية ١٦٧ سورة الأعراف)

أى يبعث الله عليهم من يسومهم سوء العذاب . وهناك بنص القرآن مبعوث ، والله يخلى بينه وبينهم ، فلا يمنعهم الله منه ، إنما يسلط الله عليهم العذاب باختيار الظالم . مثلما قال الحق :

وَأَلَرْ ثِرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيْطِينَ عَلَى الْكَنفِرِينَ تَوُزُهُمْ أَزَّا ١٠٥٠

(سورة مريم)

اى انه _سبحانه _ ارسلهم لهذه المهمة وخلّى بينهم وبين الذين يستمعون اليهم : ﴿ وَإِذْ تَأْذُنْ رَبِكُ لَيْبِعِنْنَ عَلَيْهِم إِلَى يَوْمِ الْقَيَامَةُ ﴾ .

وكلمة و إلى يوم القيامة ؛ تفيد أن هذا العنصر ، المشاكس من اليهود سيبقى في الكون كخميرة (عكننة) إلى أن تقوم الساعة ، لماذا ؟!

هم يقومون بمهمة الشر في الوجود ، ولولا أن هذا الشر موجود في الوجود ، ويعض الناس بمساوته وإفساداته ، لم يكن من الناس من يتهافت على الحق وعلى المخير . فالشر _إذن _ جاء ليعض الناس بآلامه وإفساده ليتجه الناس إلى الخير ، ولذلك تجد أقوى انفعالات تعتمل في صدور المسلمين وأقوى نزوع حركى إلى الإسلام حين يجدون من يضطهد قضية الإسلام .

إن مهمة الشرفى الوجود أنه يجمع عناصر الخير فى الوجود ، ومهمة الباطل فى الوجود أنه يحفز عناصر الحق ويحضهم على محاربة الشر ومناهضته ؛ لأن الباطل حين يعم ، ويتضايق منه الناس ، ترفع يدها وتقول : يا ناس افعلوا الخير ولو لم يحدث ذلك فلن تجد من يقبل على الخير بحمية وحوارة .

﴿ وَإِذْ تَأَذَنَ رَبُّكُ لَيَبِّعَنَنَ عَلَيْهِمْ إِلَّ يَوْمِ ٱلْقِيدَةِ مَن يُسُومُهُمْ سُوَّةَ ٱلْعَذَابِ ﴾

00+00+00+00+00+00181140

(ويسوم) من مادتها سام ، ونسمعها في البهائم ونسميها السائمة وهي التي تطلب مغومات حياتها ، وليس صاحبها هو الذي يجهز لها مقومات حياتها . أما البهائم التي تُربط وليست سائمة فهي التي تجد من يجهز لها طعامها ، إذن أصل ١ سام ۽ أي طلب ، وبهيمة سائمة أي تطلب رزقها وأكلها بنفسها .

و « سام » أيضاً أى طلب العذاب . ولا يطلب أحد العذاب إلا أن يكون قد أفرغ قوته فى التعذيب . فيطلب ممن يقدر على العذاب أن يعذب ، أى أن الله يسلط ويبعث عليهم من يقوم بتعذيبهم جهد طاقته ، فإذا فترت طاقته أو ضعفت فإنه يستعين على تعذيبهم بغيره .

إذن فطلب العذاب معناه أنّه : عَذَّب هو ، ولم يكتف بأنه عذَّب بل طلب لهم عذاباً آخر ، و « يسومهم سوء العذاب » أى العذاب السبىء الشديد . ويذيل الحق الآية بقوله تعالى :

﴿ إِنَّ رَبُّكَ لَسَرِيعُ الْمِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾

(من الآية ١٦٧ سورة الأعراف)

ومعنى سرعة الشيء أن تأخذ زمناً أقل مما يتوقع له ؛ لأن السرعة هي اختصار الزمن . ولسريع العقاب و هي للدنيا وللآخرة ، فساعة يقترفون ذنباً . يسلط عليهم من يعذبهم في الدنيا ، أما الآخرة ففيها سرعة عالية ؛ لأن مسافة كل إنسان إلى العذاب ليست هي عمر الدنيا ، فالإنسان بمجرد أن يموت تنتهي الدنيا بالنسبة له . والرسول صلى الله عليه وسلم يقول : وإذا مات أحدكم فقد قامت قيامته و(۱) .

إن هناك سرعة لحساب الأخرة . وحتى لو افترضنا أننا سنبقى جميعاً دون حساب إلى أن تنتهى الدنيا ، فإن الحساب سيكون سريعاً لأن كل لحظة تمر على أي إنسان تقربه من العقاب ، وحتى لو كان عمر الدنيا مليون سنة ، فكل يوم يمر سينقص من عمر الدنيا .

⁽١) رواه الديلمي هن أنس مرفوعاً.

O111100+00+00+00+00+0

وحين يقول الحق سبحانه بعد سرعة العقاب و وإنه لغفور رحيم عقد نجد من يسأل كيف والحديث هناعن العقاب ؟ ونقول : إنه سبحانه الذي يتكلم . وهو القادر ، فإذا قال : إنه لسريع العقاب ، فهذا يعني أنه يسرع بعقاب المفسدين والظالمين ؟ لأنه غفور رحيم بالمظلومين الذين يُظلمون ، إذن فسرعة عقاب الظّلمة رحمة منه بالمظلومين . أو أن الله كما قال عسريع العقاب » فإنه - سبحانه - يأتي بالمقابل لكي يشجع كل إنسان على الدخول في رحمته .

ويقول سبحانه بعد ذلك:

﴿ وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ أَمَمَا مِنْهُمُ ٱلصَّدَلِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَالِكُ وَبَكُونَاهُم بِٱلْمَسَنَاتِ وَٱلسَّيْعَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ۞ ﴿ فَاللَّهُمْ يَرْجِعُونَ ۞ ﴾

وقد قال سبحانه قبل ذلك أيضاً:

(من الآية ١٦٠ سورة الأعراف) ولكن القول هنا يجيء لمعنى آخر: ﴿ وقطعناهم في الأرض أمماً منهم الصالحون ومنهم دون ذلك ﴾ .

وقد قطعهم الحق حتى لايبقى لهم وطن ، ويعيشون فى ذلة ، لأنهم مختلفون غير متفقين مع بعضهم بعضا منذ البداية ، كانوا كذلك منذ أن كانوا أسباطاً وأولاد إخوة على خلاف دائم . وهنا يقول الحق : ﴿ وقطعناهم فى الأرض أمماً ﴾ .

ومعنى و قطعنا هم ، أى أن كل قطعة يكون لها تماسك ذاتى في نفسها ، وأيضاً لا تشيع في المكان الذي تحيا فيه ، ولذلك قلنا : إنهم لا يذوبون في المجتمعات أبداً ، _كما قلنا _ فعندما تذهب إلى أسبانيا مثلاً تجد لهم حيًّا خاصًّا ، كذلك في

00+00+00+00+00+C(11-0

فرنسا، وألمانيا، وكل مكان يكون لهم فيه تجمع خاص بهم، لا يدخل فيه أحد، ولا يأخذون أخلاقاً من أحد، وشاء الحق ذلك بعد أن قال لهم:

﴿ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّبَ اللَّهِ كُنَّ اللَّهُ لَكُرْ ﴾

(من الأية ٢١ صورة العائلة)

فبعد أن من عليهم بأرض يقيمون فيها ، قالوا:

﴿ إِنَّا لَنَ نَدْخُلُهَا أَبُدًا مَّادَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَنتِلاً إِنَّا هَنهُنَا تَعْمُونَ مَعْمُونَ فَعَيْدِلاً إِنَّا هَنهُنَا تَعْمِدُونَ ﴾

(من الآية ٢٤ سورة المائلة)

فحرم الله عليهم أن يستوطنوا وطنا واحداً يتجمعون فيه ، ونشرهم في الكون كله لأنهم لو كانوا متجمعين لعم فسادهم فقط في دائرتهم التي يعيشون فيها . ويريد الله أن يعلن للدنيا كلها أن فسادهم فساد عام . ولذلك فهم إن اجتمعوا في مكان فلابد أن تتالب عليهم القوى وتخرجهم مطرودين أو تعذبهم ، وأظن حوادث هتلر الأخيرة ليست بعيدة عن الذاكرة ، وقد أوضحنا ذلك من قبل في شرح قوله الحق :

﴿ وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ عِلْبَنِي إِسْرَ وَمِلَ أَسْكُنُواْ الْأَرْضَ ﴾

(من الآية ١٠٤ سورة الإسراه)

لقد قلنا : إن السكن في الأرض هو أن يتبعثروا فيها ؛ لأنه _ سبحانه _ لم يحدد لهم مكانا يقيمون فيه ، فإذا جاء وعد الآخرة ينتقم الله منهم بضربة واحدة ، ويأتى الحق بهم لفيفاً تميهداً للضربة القاصمة : ﴿ وقطعناهم في الأرض أمماً منهم الصالحون ومنهم دون ذلك ﴾ .

هناك فريق منهم جاء إلى المدينة المنورة ووسعتهم المدينة وصاروا أهل العلم وأهل الكتاب ، وأهل الثراء وأهل المال ، وأهل بناية للحصون ، وحين هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم عقد معهم معاهدة . فالذى دخل منهم في الإيمان استحق معاملة المؤمنين ، فلهم ما لهم وعليهم ما عليهم ، والحق قد قال :

﴿ وَمِن قَوْمٍ مُوسَىٰ أَمَّةً يَهِدُونَ إِلْحَقِّ وَبِهِ ، يَعْدِلُونَ ﴿ ﴾

(سورة الأعراف)

وقلنا إن هذه تسمى صيانة الاحتمال لمن يفكرون فى الإيمان برسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿ وقطعناهم فى الأرض أمماً منهم الصالحون ومنهم دون ذلك ﴾ . و ددون » أى غير ، فالمقابل للصالحين هم المفسدون . أو منهم الصالحون فى القمة ، ومنهم من هم أقل صلاحاً . فهناك أناس يأخذون الأحسن ، وأناس يأخذون الحسن فقط . ويتابع الحق سبحانه :

﴿ وَبِلُوْنَاهُم إِلْمُسَنَاتِ وَالسِّيعَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾

(من الآية ١٩٨ سورة الأعراف)

كلمة و لعلهم يرجعون و هى التي جعلتنا نفهم أن قول الحق سبحانه وتعالى : إن منهم أناساً صالحين ، ومنهم دون ذلك ، أي كافرون و لأنهم لو كانوا قد صنعوا الحسن والأحسن فقط ، لما جاء الحق بـ ﴿ لعلهم يرجعون ﴾ . أو هم يرجعون إلى الأحسن .

و « بلونا » أى اختبرنا ؛ لأن الله فى الاختبارات مطلق الحرية ، فهو يختبر بالنعمة ليعلم واقعاً منك لأنه مسبحانه عالم به ، من قبل أن تعمل ، لكن علمه الأزلى لا يُعتبر شهادة منا . لذلك يضع أمامنا الاختبار لتكون نتيجة عملنا شهادة إقرار منا علينا : ﴿ وبلوناهم بالحسنات والسيئات ﴾ . وسبحانه وتعالى يختبر بالنعمة ليرى أتغرنا الأسباب فى الدنيا عن المسبب الأعلى الذى وهبها :

﴿ كُلَّا إِنَّ ٱلْإِنسَانَ لَيَطْغَيُّ ۞ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَى ۞

(سورة العلق)

فالواجب أن نشكر النعمة ونؤديها في مظان الخير لها . فإن كان العبد سيؤديها بالشكر فقد نجح ، وإن أداها على عكس ذلك فهو يرسب في الاختبار . إذن فهناك الابتلاء بالنعم ، وهناك الابتلاء بالنقم . والابتلاء بالنقم ليرى الحق هل يصبر العبد أو لا يصبر ، أي ليراه ويعلمه واقعاً حاصلاً ، وإلا فقد علمه الله أزلاً .

ولذلك يقول الحق سبحانه :

﴿ فَأَمَّا ٱلْإِنْسَنُ إِذَا مَا آبْتَكُ رَبُّهُ فَأَكُرُمَهُ وَنَعْمَهُ فَيَقُولُ رَبِّ أَكُومُونَ ﴿ وَأَمَّآ الْإِنْسَنُ إِذَا مَا آبْتَكُ فُو مَا أَبْتُكُ وَبُهُ وَلَكُمُ وَنَعْمَهُ وَنَعْمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَمْنَانِ ﴿ فَي أَمَّا اللَّهُ اللَّهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ وَنَبَعُولُ رَبِّي أَمْنَانِ ﴿ فَي أَمْ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْهِ وَزْقَهُ وَنَهُ أَنْ فَاللَّهُ اللَّهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ وَنَهُ أَنْ فَاللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ فَقَدُر عَلَيْهِ وِزْقَهُ وَنَهُ أَنْ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ فَقَدُر عَلَيْهِ وِزْقَهُ وَنَهُ وَاللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللّهُ اللَّهُ اللَّالَةُ اللَّهُ الللَّا الللَّا اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ الل

(سورة الفجر)

إننا نجد من يقول: «ربى أكرمن». ومن يقول: «ربى أهانن» والحق يوضع: أنتما كاذبان. فليست النعمة دليل الإكرام، ولا سلب النعمة دليل الإهانة. ولكن الإكرام ينشأ حين تستقبل النعمة بشكر، وتستقبل النقمة بصبر. إذن مجىء النعمة في ذاتها ليس إلا اختبارا. وكذلك إن قُذر الله عليك رزقك وضيقه عليك، فهذا ليس للإهانة ولكنه للاختبار أيضاً.

ويوضح الحق جل وعلا :

﴿ كَالْمُ بَلِ لَا تُكْرِمُونَ الْبَنِيمَ ﴿ وَلا تَحَدَّضُونَ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴿ وَتَأْكُلُونَ الْمُالُ حُبَّا بَعُ الْمُعَامِ الْمِسْكِينِ ﴿ وَتَأْكُلُونَ الْمُالُ حُبَّا بَعُ الْمُالُ حُبَّا بَعُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ ا

(سورة الفجر)

أنتم لا تطعمون في مالكم يتيماً ولا تحضون على طعام مسكين . فكيف يكون المال نعمة ؟ إنه نقمة عليكم . وهنا يقول الحق : ﴿ وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون ﴾ . ولله المثل الأعلى ، نقول : إن فلاناً أتعبنى ، لقد قلبته على الجنبين ، لا الشدة نفعت فيه ، ولا اللين نفع فيه ، ولا سخائى عليه نفع فيه ، ولا ضنى عليه نفع فيه ، وقد اختبر الله بنى إسرائيل فلم يعودوا إلى الطاعة مما يدل على أن هذا طبع تأصل فيهم .

ويقول الحق بعد ذلك :

﴿ فَخُلُفَ مِنْ بَعَدِهِمْ خُلُفُ وَرِثُوا ٱلْكِنْبَ يَأْخُذُونَ عَرَضُ هَنَدُا ٱلْأَدَّنَى وَيَقُولُونَ سَيغَفُرُلْنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضُ عَرَضَ هَنَدَا ٱلْأَدَّنَى وَيَقُولُونَ سَيغَفُرُلْنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضُ

© € € 7 7 0 0 + 0

مِثْلُهُ, يَأْخُذُوهُ أَلَة يُؤْخَذَعَلَيْهِم مِيثَنَّ ٱلْكِتَكِ أَن لَا يَقُولُواْ عَلَى اللّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ وَدَرَسُواْ مَافِيةٌ وَٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ خَيْرٌ عَلَى اللّهَ إِلَّا الْآخِرَةُ خَيْرٌ لَا يَعْقِلُونَ اللّهَ اللّهَ اللّهَ اللّهَ اللّهَ اللّهَ اللّهَ اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ اللّه

والخُلَف أو الخُلْف أو الخليفة هو من يأتي بعد ذلك ، ويقال : فلان خليفة فلان ، ومن قبل قرأنا أن سيدنا موسى قال لسيدنا هارون :

﴿ اَخْلُفْنِي فِي فَوْمِي ﴾

(من الآية ١٤٢ سررة الأعراف)

اى كن خليفة لى ، إلا أنك حين تسمع « خَلْفُ » بسكون اللام ، فاعلم أنه فى الفساد ، وإن سمعتها « خَلْفُ » بفتح اللام فاعلم أنه فى الخير ، ولذلك حين تدعو لواحد تقول : اللهم اجعله خير خُلف لخير سلف . وهنا يقول الحق : ﴿ فخلف من بعدهم خَلْف ﴾ . والحديث هنا عن أنهم هم الفاسدون والمفسدون ، والشاعر يقول :

ذهب الذين يعاش في أكنافهم وبقيت في خُلْفٍ كجلد الأجرب

الشاعر هنا يبكى موت الكرماء وأهل السماحة ، فلم يعد أحد من الذين كان يعيش فى رحاب كرمهم وسماحتهم ؛ فقد ذهب الذين يُعاش في أكنافهم أى جوارهم ؛ لأن هذا الجوار كان نعمة أيضاً . وحين يجاور رجل ضيق وقدر عليه رزقه رجلاً طبيًا عنده نعمة ، فتنضح عليه نعمة الرجل الطبب . والشاعر هنا قال : و وبقيت فى خَلْفٍ كجلد الأجرب ، أى أن جلده قريب ولا صق لكنه جلد أجرب .

وعرفنا قصة «أبودلف» وكان رجلاً كريماً في بغداد . يعيش في نعمته كل الناس ومن يحتاج يعطيه . وطرأ طارىء على جار فقير له ، وأراد أن يبيع داره ، فعرض الدار للبيع ، وسألوه عن الثمن الذي يرتضيه ، فقال : دارى بماثة دينار .

لكن جوارى لأبى دلف بألف دينار ، فبلغ هذا الكلام أبا دلف فقال : إن رجلًا قدر جوارنا بعشرة أمثال ما قدر به داره لحقيق ألا يفرّط فيه . قولوا له : فليبق جاراً لنا وليأخذ ما يريد من مال :

﴿ فَخَلْفُ مِن بِعِدِهُمْ خُلْفُ وَرَثُوا الْكَتَابِ ﴾ . والكتاب هو التوراة ، والخُلْفُ أَخَذُوهُ مِيراثاً ، والشيء لا يكون ميراثاً إلا إذا حمله السابق بأمانة وأدّاه للاحق ، ولكن لأنهم أهل إفساد فلنر ماذا فعلوا في الكتاب ؟ لقد ورثوه . ويُلِّغ إليهم وعرفوا ما فيه .

﴿ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَاذَا ٱلْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيْغَفُر لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلُهُمْ يَأْخُذُوهُ ﴾ ﴿ يَأْخُذُوهُ كُلُونَ عَرَضُ مِثْلُهُمْ يَأْخُذُوهُ ﴾ (من الأبة ١٦٩ سورة الأعراف)

أى لا حجة لهم فى ألا يكونوا أصحاب منهج خير ، لكنهم لم يلتفتوا إلى ما فى الكتاب _ التوراة _ من المواثيق ، والحلال ، والحرام ، وافعل كذا ولا تفعل كذا ؛ لم يلتفتوا لكل هذا ؛ لأنهم قالوا لأنفسهم : إن هذا الكتاب يعطى النعيم البعيد فى الأخرة ، وهم يريدون النعيم القريب ، فمنهم من قبل الرشوة واستغلال النفوذ . وبذلك أخذوا عَرَض الحياة الأدنى وهو عرض الدنيا . ولم يأخذوا إدارة الدنيا بمنهج الله ، والدنيا فيها جواهر وأعراض ، والجوهر هو الشيء الذاتي ، فالإنسان بشحمه ولحمه و جوهر ه أما لونه إن كان أسمر أو أبيض فهذا عَرَض ، قصيراً أو طويلا ، صحيحاً أو مريضاً ، وغنيًا أو فقيراً فهذا عرض . إذن فالأعراض هى ما توجد وتزول ، والجواهر هى التي تبقى ثابتة على قدر ما كتب لها من بقاء ، ما توجد وتزول ، والجواهر هى التي تبقى ثابتة على قدر ما كتب لها من بقاء ، وكما يقول علماء المنطق : الجوهر ما قام بنفسه ، والعَرَض ما قام بغيره .

وهم قد أخذوا العرض من الحياة الدنيا ، وعرض الدنيا قد يتمثل في المال الحرام ، وأن يغشوا ويستحلوا الرشوة . ونعلم أن الإنسان .. حتى المؤمن ـ قد تحدث منه معصية ولا يمنع ربنا هذا ؛ لأن المشرع الأعلى حين يشرع عقوبة لجريمة ، فهذا إذن بأنها قد تحدث ، وحين يقول الحق :

﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُواۤ أَيْدِيهُمَّا ﴾

(من الآية ٣٨ سورة المائدة)

إِنَّ معنى هذا القول أن المؤمن قد تسول له نفسه أنْ يسرق مثلاً ، ولم يترك

Q11100+00+00+00+00+0

الحق هذا الجرم بدون عقوبة ، وإن رأينا مسلماً يسرق ، نقل له هذا فعل مُجرَّم من الإسلام ، وله عقوبة ، والمُجْرِم لا يمكن أن يرتكب الجُرْم وهو ملتزم بالدِّين ، بل هو منسوب للدين فقط ، وعندما يرتكب مسلم ذنباً أو معصية ثم يندم ويتوب ويعزم على أنه لن يعود تصح توبته ، وكذلك لو ألحّت عليه معصيته فيعود إليها ، ثم تاب ، المهم أنه في كل مرة لا يصر على الفعل ، ثم يقول : سوف أتوب . وهم كانوا يصرون على المعصية ويقولون : سيغفر الله ننا ، بل إنهم لم يفكروا في التوبة ، ووجدنا منهم من يقول :

﴿ تَحْنُ أَبْنَتُواْ آلَةِ وَأَحِبْنَوُهُ ﴾

(من الأية ١٨ سورة العائدة)

ويأتى الرد:

﴿ قُلْ قَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ ﴾

(من الآية ١٨ صورة الماثلة)

إذن هم يأخذون عرض هذا الأدنى ، ويحكمون فى أخذهم بهذا العرض أنه مبحانه سوف يَغْفِر لهم . وبذلك استحلوا الحرام وانتقلوا من منطقة المعصبة إلى منطقة الكفر ؛ لأن هناك فرقاً بين أن تفعل الشيء وتقول هو معصبة . لكن أن يرتكب الإنسان المعصبة ويقول : ليست بمعصبة ، فهذا انتقال من العصبان إلي الكفر . ومثال ذلك الرباحين نجد من يحلله ، نقول له : اقبل أن تكون عاصبا ولا تدخل نفسك في الكفر ؛ لأنك إن حللت ما حرم الله يقع عليك الكفر وتوصف به والعياذ بالله ، أما إن قلت : هو حرام ولكن ظروفي صعبة ولا أقدر على نفسي فقد يغفر الله لك . لكن قوم موسى كانوا يصرون على المعصبة ويقولون : سيغفر الله لئا :

ويقول الحق : ﴿ وَإِنْ يَاتُهُمْ عَرْضُ مِثْلُهُ يَأْخَذُوهُ ﴾ .

وهم بعد ذلك تركوا الأعلى وأخذوا عرض الحياة الأدنى ويتمادون فى غيهم ويرتكبون المعاصى تلو المعاصى دون أن يدقوا باب التوبة . لذلك ينبههم الحق سبحانه :

المُونِ المُعَالِينَ المُعَالِينَ المُعَالِينَ المُعَالِينَ المُعَالِينَ المُعَالِينَ المُعَالِينَ المُعَالِينَ

﴿ أَلَّ يُوْخَذُ عَلَيْهِم مِّينَتُ الْكِتَبِ أَن لَا يَقُولُواْ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ ﴾

(من الآية ١٦٩ سررة الأعراف)

لقد ورثوا الكتاب ، وفي الكتاب قد أُخذ عليهم عهدٌ موثقُ ألا يقولوا على الله إلا الحق ، لكن هل يعدل الفاسق عن الباطل ويعود إلى الحق ؟ . طبعاً لا ، هم إذن تجاهلوا ما في هذا الكتاب ، رغم أنهم قد درسوا ما فيه مصداقاً لقوله الحق : ﴿ ودرسوا ما فيه ﴾

وكلمة « دُرَسَ » تدل على تكرر العمل ، فيقال : « فلان درس الفقة » أى تعلمه تعلما متواصلاً ليصير الفقه عنده ملكة . وهو مختلف عمن قرأ الكتاب مرة واحدة ، هنا لا يصبح الفقه عنده ملكة . وحتى نفهم الفرق بين « العلم » و« الملكة » ، نقول : إن العلم هو تلغى المعلومات ، أما من درس المعلومات وطبقها وصارت عنده المسألة آلية ، فهذا هو من امتلك ناصية العلم حتى صار العلم عنده ملكة . إذا التقى صائم حمثلا - بفقيه وسأله عن فتوى في أمر الصيام يجبه فوراً ؛ لأنه علم كل صغيرة وكبيرة في الفقه . لكن إن تسأل تلميذاً مبتدئا في الأزهر فقد يرتبك وقد يطلب أن يرجع إلى كتبه ليعثر على الإجابة ؛ لأن الفقه لم يصبح لديه ملكة . والملكة في المعنويات هي مقابل الآلية في الماديات التي تحتاج إلى دُرْبة ، فمن والملكة في المعنويات هي مقابل الآلية في الماديات التي تحتاج إلى دُرْبة ، فمن والملكة في المعنويات هي مقابل الآلية في الماديات التي تحتاج إلى دُرْبة ، فمن والملكة في المعنويات هي مقابل الآلية في الماديات التي تحتاج إلى دُرْبة ، فمن والملكة في المعنويات هي مقابل الآلية في الماديات التي تحتاج إلى دُرْبة ، فمن والملكة في المعنويات هي مقابل الآلية في الماديات التي تحتاج إلى دُرْبة ، فمن يمسك النول لينسج النسيج ويتقن تمرير المكرك بين الفتلتين لا يفعل ذلك إلا عن يصبح لديه قد ثعلم ذلك بصعوبة وتكرار تدريب .

إذن فقوله: ﴿ ودرسوا مافيه ﴾ أى تكررت دراسة الكتاب حتى عرفوا مافيه من علم . ونحن أخذنا و درس العلم » من مسألة حسية هى و درس القمح » ، ويعلم من تربى في الريف كيف ندرس القمح ، حين يدور النورج على سنابل القمح فيخرج لنا الحب من أكمامه ، ويقطع لنا العيدان ، وهذه العملية تسمى و درس القمح » .

إنّ مافعلوه من عصيان ليس عن غفلة عن هذا الميثاق في ألاّ يقولوا على الله إلا الحق ، لأنهم درسوا ما في الكتاب المنزل عليهم وهو التوراة دراسة مستوعية ، لكنهم أخذوا العرض الأدنى . وكان لابد أن يأتى لنا بمقابل العرض الأدنى فيوضع لنا أنّ مصير من يريد الدار الأخرة هو الثواب الدائم ولذلك يقول الحق :

﴿ وَالدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَنَّقُونَ أَفَلًا تَعْقِلُونَ ﴾

من الآية ١٩٩ سورة الأعراف

وهذا يعنى التنبيه بأنه من الواجب قبل أن تفعلوا الفعل أن تنظروا ما يعطيه من خير ، وأن تتركوه إن كان يعطى الكثير من الشر ، وزنوا المسألة بعقولكم ، وساعة أن تزنوا المسألة بعقولكم متعرفون أن عمل الخير راجح . ويقول الحق بعد ذلك :

مَنْ وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِنَّبِ وَأَقَامُوا الصَّلُوةَ الْسَّلُوةَ إِلَّا لَانْضِيعُ أَجْرَ الْنُصِّلِحِينَ ﴿ اللَّا اللَّهِ اللَّهُ اللَّلِمُ اللللِّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّ

إنّ الكثير من بنى إسرائيل ورثوا الكتاب ، وأخذوا العرض الأدنى ، ولم يزنوا الأمور بعقولهم ؛ لذلك لم يتمسكوا بالكتاب ، وتركوه ، وساروا على هواهم ؛ كأنهم غير مقيدين بمنهج افعل كذًا ولا تفعل كذًا ، ويقابلهم بعض الذين يتمسكون بالكتاب الذي ورثوه ، ولا يقولوا على الله إلا الحق .

ومادة الميم والسين والكاف تدل على الارتباط الوثيق ؛ فالذى يجعل الانسان متصلاً بالشيء هو ماسكه ، وتقول : و مُسُكَ » ، و و أمسك » ، وتقول : و مُسُكَ » ، و و أمسك » ، وتقول واحدة . وقوله الحق : ويمسّّكون » مبالغة في المسك ، مثل قطع وقطع ، ولكن قطع أبلغ .

و(مسك) يعنى أن الماسك تمكن مما يمسك ، و(استمسك) أى طلب ، ورا تماسك) أى أن هناك تفاعلاً بين الاثنين ؛ بين الماسك والممسوك . ومن رحمة ربنا أنه لا يطلب منا أن نمسك الكتاب ، بل يطلب أن نستمسك بالكتاب ، ولذلك يوضح لك الحق سبحانه وتعالى : إن أنت ملت إلى القرب منى والزلفى إلى ، فاترك الباقى عنك فالمعونة منى أنا ، ولذلك يدلنا على أن من ينفذ منهج القرآن لا يلقى الهوان أبدا ﴿ فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها ﴾ وهنا يستخدم

00+00+00+00+00+0(!YAO

الحق سبحانه كلمة (استمسك) لاكلمة مسك، فمن وجه نيته في أن يفعل يعطيه الله المعونة، ولذلك يقول سبحانه في الحديث القدسي:

و أنا عند ظن عبدى بى ، وأنا معه إذا ذكرنى ، فإن ذكرنى فى نفسه ، ذكرته فى نفسى ، وإن تقرب إلى بشبر ، نفسى ، وإن تقرب إلى بشبر ، تقربت إليه ذراعاً ، وإن تقرب إلى ذراعا ، تقربت إليه باعا ، وإن أتانى يمشى ، أتيته هرولة(١) ،

فأنت بإيمانك بالله تعزز نفسك وتقويها بمعونه الله لك . فإن أردت أن يذكرك الله فاذكر الله ؛ فإن ذكرته في نفسك يذكرك في نفسه ، وإن ذكرته في ملأ يذكرك في ملأ خير منه ، وإن تقربت إليه شبراً تقرب إليك ذراعاً ، فماذا تريد أكثر من ذلك ، خاصة أنك لن تضيف إليه شيئاً ، إذن فالموقف في يدك ، فإذا أردت أن يكون الله معك فسر في طريقه تأت لك المعونة فوراً . وهكذا يكون الموقف معك وينتقل إليك ، وذلك بإيمانك بالله وإقبالك على حب الارتباط به .

ولذلك قلنا من قبل: إن الأنسان إذا أراد أن يلقى عظيماً من عظماء الدنيا وفي بده مصلحة من مصالح الإنسان فهو يكتب طلباً ، فإما أن يوافق هذا العظيم وإما ألا يوافق ، وحين يوافق هذا العظيم يحدد الزمان ويحدد المكان ، ويسألك مدير مكتبه عن الموضوعات التي ستتكلم فيها ، وحين تقابله وينتهى الوقت ، فهو يقف من كرسيه لينهى المقابلة ، هذا هو العظيم من البشر ، لكن ماذا عن العظيم من الأعظم الأعلى الذي تلتى به في الإيمان ؟ أنت تلقى الله في أي وقت ، وفي أي مكان ، وتقول له ما تريد ، وأنت الذي تنهى المقابلة ، ألا يكفى كل ذلك لتستمسك بالإيمان ؟ .

﴿ وَالَّذِينَ يُمَيِّكُونَ بِالْكِنَدِ وَأَقَامُواْ الصَّلَوْةَ إِنَّا لَانْضِيعُ أَجْرَ الْمُصَّلِحِينَ ﴿ ﴾ ﴿ وَالَّذِينَ يُمَّيِّكُونَ بِالْكِنَدِ وَأَقَامُواْ الصَّلَوْةَ إِنَّا لَانْضِيعُ أَجْرَ الْمُصَّلِحِينَ ﴿ وَالْمُوافِي الْمُوافِي الْمُوافِي الْمُوافِي الْمُوافِي الْمُوافِي (سورة الأعراف)

والكتاب هنأ هو الكتاب الموروث ، والمقصود به التوراة وهو الذي درسوا

⁽۱) من صحيح البخارى في كتاب التوحيد ، وأخرجه مسلم في صحيحه بثلاث طرق عن أبي هريرة ، كما أخرجه الترمذي وابن هاجه .

0111100+00+00+00+00+0

ما فيه ، وقد أخذ الله في هذا الكتاب الميثاق عليهم ألا يقولوا على الله إلا الحق ، والمحق يقول هنا : ﴿ وأقاموا الصلاة ﴾ فهل هذا الكتاب ليس فيه إلا الصلاة ؟ لا ، ولكنه خص الصلاة بالذكر . لأننا نعلم أن الصلاة عماد الدين ، وعرفنا في رسالة محمد صلى الله عليه وسلم أن الصلاة قد فرضت بالمباشرة ، وكل فروض الإسلام _ غير الصلاة _ قد فرضت بالوحى .

لقد قلنا من قبل ولله المثل الأعلى ، إن رئيس أى مصلحة حكومية حين يريد أمراً عادياً رُوتينياً ، فهو يوقع الورق الذى يحمل هذا الأمر ويكتب عليه : « يعرض على فلان ، ويأخذ الورق مجراه ، وحين يهتم بأمر أكثر ، فهو يتحدث تليفونياً إلى الموظف المختص ، وحين يكون الأمر غاية في الأهمية القصوى فهو يطلب من الموظف أن يحضر لديه ، وهكذا فرضت الصلاة بهذا الشكل لأنها الإعلان الدائم للولاء لله خمس مرات في اليوم ، وإن شئت أن تزيد على ذلك تنفلا وتهجدا فعلت .

إنك بالصلاة توالى الله بكل أحكامه ، إنك توالى الله بالزكاة كل سنة ، وبالصوم في شهر واحد هو رمضان ، وبالحج مرة واحدة في العمر إن استطعت . لكن الصلاة ولاء دائم متجدد ، ولأن الصلاة لها كل هذه الأهمية ؛ لذلك لا تسقط أبداً . وأركان الإسلام - كما نعلم - خمسة ؛ شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، إنها الإيمان بالله وبالرسول كوحدة واحدة لا تنفصل ، ويكفى أن ينطقها الإنسان مرة لتكتب له ، ثم تأتى أركان الصلاة ، والزكاة ، والصوم ، والحج ليس ركناً مفروضاً إلا على من يستطيعون . قد لا يكون للإنسان مال يخرج عنه الزكاة ؛ فلا يجب عليه إخراج شيء حينئذ ، وقد يكون الإنسان مريضاً أو مسافراً فلا يصوم .

إذن فبعض فروض الإسلام قد تسقط عن المسلم ، إلا الصلاة فهى لا تسقط أبداً ؛ لأن في الصلاة في ظاهر الأمر قطعا لبعض الوقت عن حركة عملك ، وإن كان كل فرض يأخذ مثلاً نصف الساعة ، فالإنسان يقتطع من وقته ساعتين ونصف الساعة كل يوم في أداء الصلاة . والوقت عزيز عند الإنسان . ففي الصلاة بذل لبعض الوقت الذي يستطيع أن يكسب الإنسان فيه مالاً ، وفيها أيضا الصوم عن الأكل والشرب ومباشرة الزوجات ، ففيها كل مقومات أركان الإسلام ، لذا فهي لا تسقط أبدا .

﴿ وَالَّذِينَ يُمَيِّكُونَ بِٱلْكِنْبِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوْةَ ﴾

(من الأيه ١٧٠ سورة الأعراف)

إذن الاستمساك واضح هنا جداً ، وأداء الصلاة تعبير عن الالتزام بالاستمساك بمنهج الإيمان . ولذلك نسمع من يقول : حين ذهبنا إلى مكة والمدينة عشبا الصفاء النفسى والإشراق الروحى ، وعشنا مع التجلّى والنور الذي يغمر الأعماق . وأقول لمن يقول ذلك : إن ربنا هنا هو ربنا هناك ، فقط أنت هناك التزمت ، رساعة كنت تسمع الأذان كنت تجرى وتسعى إلى الصلاة ، وإذا صنعت هنا مثلما وسنعت هناك فسترى التجليات نفسها . إذن إن صرت على ولاء دائم مع الحق سبحانه وتعالى فالحق لن يضيع أجرك كأحد المصلحين . لأنه القائل : ﴿ إنا لا نضيع أجرك المصلحين .

وهذه قضية عامة ، والحق سبحانه وتعالى لا يضيع أجر المصلح . وقوله : ﴿ يَمْسُكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الْصَلاة ﴾ ولا نضيع أجر المصلحين ﴾ بعد قوله : ﴿ يَمْسُكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الْصَلاة ﴾ دليل على أن أي إصلاح في المجتمع يعتمد على من يمسكون بالكتاب ويانيمون الصلاة ؛ لأن المجتمع لا يصلح إلا إذا استدمت أنت صلتك بمن خلقك وخلق المجتمع ، وأنزل لك المنهج القويم . ويقول الحق بعد ذلك :

﴿ وَإِذْ نَنَقُنَا ٱلْجَبَلُ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ وَظُلَّةٌ وَظُنُّواۤ أَنَّهُ وَاقِعُ وَإِذْ نَنَقُنَا ٱلْجَبَلُ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ وَلَا تُلَكِّرُ وَالْمَافِيهِ لَعَلَّكُمْ وَقُوَّةً وَٱذْكُرُواْ مَافِيهِ لَعَلَّكُمْ وَمُوَّةً وَٱذْكُرُواْ مَافِيهِ لَعَلَّكُمْ وَمُوَّةً وَٱذْكُرُواْ مَافِيهِ لَعَلَّكُمْ وَمُوَّةً وَاذْكُرُواْ مَافِيهِ لَعَلَّكُمْ وَمُواذَ كُورُواْ مَافِيهِ لَعَلَّكُمْ وَالْفَاقُونَ مَنْ اللهِ اللهِ اللهُ ال

والجبل معروف أنه من الأحجار المندمجة في بعضها والمكونة لجرم عالى قد يصل إلى ألف متر أو أكثر ، والحق يقول عن الجبال : ﴿ والجبال أرساها ﴾ ولا يقال أرساها إلا إذا كان وجد شيء له ثقل ، فأنت لا تقول : « أرسيت الورقة على المكتب » ، ولكنك تقول : « أرسيت لوح الزجاج على المكتب ليحميه » ، وأنت بذلك ترسى شيئاً له وزن وثقل ،

0117100+00+00+00+00+0

وقد أرسى ربنا الجبال وجعلها في الأرض أوتادا، والوّتد - كما نعلم - عسوك من الموتود والمثبت فيه، بدليل أنه لو تخلخل في مكانه نضع له ما نسميه التخشيئة المتلصقه وتربطه بما يثبت فيه، وهنا يقول الحق : ﴿ وإذ نتقنا الجبل ﴾ «نتقنا » أي قلعنا، وهناك قول أخر ؛

﴿ وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ ٱلطُّورَ بِينِنَقِهِم وَقُلْنَا لَمُمُ ٱدْخُلُواْ الْبَابُ جَدًّا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُواْ

(من الآية ١٥٤ سورة النساء)

وقال الحق أبضا:

﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِينَاعَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ ﴾

(من الآية ٦٣ سررة البقرة)

وهنا اختلاف بين " نتق " و " رفع " ؟ لأن الجبل راس في الأرض ، و عسوك كالوتد ؛ لذلك يحتاج قبل أن يرفع إلى عملية نزع واقتلاع من الأرض ، ثم يأتي من بعد ذلك الرفع ، و " نتقنا " تعنى نزعنا الجبل من مكان إرسائه حتى نرفعه ، وقد رفعه الله ليجعل منه ظلة عليهم ، أى أن هناك ثلاث عمليات : نتق أى نزع وخلع ، ثم رفع ، ثم جعله سبحانه ظلة لهم ، وهذا يحتاج إلى اتجاه في المرفوع إلى جهة ما . والحق يقول : " وإذ " أى اذكر إذ نتقنا الجبل ، أى نزعناه وخلعناه ، من الأرض ، ولا ننزعه ونخلعه من الأرض إلا لمهمة أخرى أى لنجعله ظلة ، وكان تظليل الغمام رحمة لهم من قبل ، وصار الجبل ظلة " عذاب " ؟ لأن الحق أنزل لهم التوراة على موسى فقالواله : إن أحكام هذه التوراة شديدة . وللإنسان أن يتساط : لماذا كل هذا التلكؤ مع التشريعات التي جاءت لمصلحة البشر ؟ . وجاء لهم العقاب من الحق بأن رفع فوقهم الجبل كظلة تحمل التهديد كأنه قد يقع فوقهم ﴿ كأنه ظلة وظنوا أنه واقع بهم ﴾ .

لذلك نجد أن كل يهودي يسجد على حاجبه الأيسر ، على الرغم من أن السجود

يقتضى تساوى وضع الجبهة على الأرض، ولكنهم يسجدون بميل إلى الحاجب الأيسر لأن السابقين لهم رأوا الجبل فوقهم وتملكهم الخوف من سقوط الجبل، وكانوا يسجدون وفي الوقت نفسه يرقبون الجبل، ويقيت هذه المسألة لازمة فيهم، وصاروا لا يسجدون إلا على حاجبهم الأيسر، بسبب حكاية الجبل الذي نثقه الله وقلعه ورفعه فصار فوقهم. ﴿ وظنوا أنه واقع بهم ﴾.

والظن هو رجحان قضية، وقد يأتي ويراد به أنه رجحان قوى قد يصل إلى درجة اليقين، مثل قوله الحق: ﴿ الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم ﴾

وحين بقيت الحالة هذه، وخافوا من الجبل أن يقع عليهم، ولأن هناك كتابا قد أنزل إليهم وهو التوراة وهم يعصون ويتمردون على ما فيه؛ لذلك قال لهم الحق:

﴿ خُدُواْ مَا مَا مَا تَيْنَكُمُ مِثْوَةٍ وَاذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ لَتَقُونَ ﴾

(من الآية ١٧١ سورة الأعراف)

و خذوا " فعل أمر ، والأمر يقتضى آمرا ، ولابد له من شيء يأمر به . وكلمة «القوة " هذه هي الطاقة الفاعلة ، والأصل في الكون كله أن نقبل على كل شيء بقوة ؛ لأن الكون الذي تراه مسخراً ليس له رأى في أن يفعل أو لا يفعل ، بل هو فاعل دائما إذا أمر ، وكما قلنا من قبل : لم تغضب الشمس على الناس وقالت : لن أطلع هذا اليوم ، وكذلك لم يمتنع الهواء ، وأيضا لا يرفض الحمار مثلاً أن يحمل الروث ، أو أن ينظفه صاحبه ويأتي له بد البرذعة المجعلة ركوبة متميزة ، الحمار إذن لا يعصى هنا ولا يعصى هناك ، والكون كله مسخر بقوانين مادية ثابتة .

﴿ لَا الشَّمْسُ يَغَيِّفِى خَمَا أَنْ تَدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا الَّبْلُ مَانِيَ النَّهَارِ وَكُلُّ فِي فَلَكِ مِ لَا النَّبْدُونَ ﴾ يَسْبُحُونَ ۞ ﴾

(سورةيس)

وقد وضع الحق هذا النظام للكون نظراً لأنه مقهور وليس له تكليف، والمحكوم بالغريزة الكونية صالح للحياة عن المحكوم بالاختيار الفعلي، ومع هذا الاختيار

0111700+00+00+00+00+0

فالإنسان له أشياء تفعل فعلها فيه ولا يُدرى عنها شيئا مع أن بها قوام حياته، فلا أحد يسك قلبه ويضبطه ويقول له: دق، والرئة كذلك وحركة التنفس، والحركة الدودية في الأمعاء، والحالب، ويرغب الإنسان في دخول دورة المياه عندما تمتليء المثانة بالبول، كل هذه مسائل رتيبة لا اختيار للإنسان فيها أبدا، والأمور المحكومة بالغرائز ليس لنا فيها اختيار، كأن يأكل الإنسان ويتكلم في أثناء تناول الطعام فتنزل حبة أرز في القصبة الهوائية فيحاول الإنسان أن يطردها بالسعال، هذا اسمه و غريزة وأي أمر غير محكوم بالفعل الاختياري.

وكذلك الحيوان إذا أحضرت له طعاما فهو لا يأكل أكثر من طاقته حتى لو ضربه صاحبه. أما الإنسان فقد يأكل بعد أن يشبع، وحين يقول له مُضيفه على سبيل المثال -: أنت لم تذق هذا اللون من اللحم، فيأكل، ولهذا نجد أن الأمراض في الحيوان؛ لأن اختيار الإنسان يمتد إلى مجالات متعددة متفرقة قد تضر به وتؤذيه،

ونعرف جميعاً هذا المثال للفارق بين الإنسان والحيوان، نجد الإنسان يغلى النعناع ويشربه، ويطبخ الملوخية ليأكلها، وقد فعل ذلك لأنه اختبر الاثنين، فلم يأكل النعناع وأكل الملوخية، رغم تشابه أوراقهما. لكن هات شجرة النعناع أمام الجاموسة أو الحمار، وهات النجيل الناشف وضع الاثنين أمام الجاموسة أو الحمار، ستجد الجاموسة والحمار يتجهان إلى النجيل الناشف ويتركان نبات النعناع الأخضر الرطب، وهما يفعلان ذلك بالغريزة، فالمحكوم بالغريزة له نظام، ولو كان الحيوان مختارا لارتبكت حركة الحياة كلها واختلطت واشتد على الناس شأنها.

وهكذا نعرف أن مغومات الحياة تقوم على قوانين الغريزة ، وهذه القوانين موجودة في الكون لتخدمنا نحن بني البشر ، فالكهرباء مثلاً كانت موجودة قبل أن نتفع بها ، لكن بعد ذلك انتفعنا بها ، وكذلك الجاذبية ، كانت موجودة في الكون منذ الأزل ، لكنا لم نتبه لها ، وحين اكتشفناها زادت قدراتنا على الاستفادة منها ، وهكذا نرى أن الإنسان واحد من هذا الكون ، إلا أنه يتحير بأن له جهة اختيار في

بعض الأمور، وله جهة قهر في البعض الآخر، فهو يشارك الكون في القهر، ويتميز عن بقية المخلوقات - عدا الجن - بالاختيار في أمور أخرى. ونجد على سبيل المثال أن الإنسان الذي يعاني قلبه من ضعف ما، عندما يصعد هذا الإنسان سلماً ينهج ويتتابع نفسه من الإعياء وكثرة الحركة، لأن غريزته المحكوم بها تُنبه الجسد إلى ضرورة أن تعمل الرئة أكثر لتعطى الأوكسجين الذي يساعد على الصعود.

ومثال آخر، نجد الذكر من الحيوانات يقترب من أنثاه ليشمها، فإن وجدها حاملاً لا يقربها، والحيوان في هذا الأمر مختلف عن الإنسان؛ لأن الحيوان تحركه الغريزة التي تبين له أن العملية الجنسية بين الذكر والأنثى لحفظ النوع، ومادامت الأنثى قد حملت، فالذكر لا يقربها، فاختلف الإنسان عن الحيوان في هذا الأمر؛ فلذة الإنسان في الجنس أعلى من لذة الحيوان؛ لأنها في الحيوان ترضخ للغريزة قحسب، أما في الإنسان فإنها مع الغريزة ترضخ أيضا للاختيار الذي منحه الله للإنسان

ومن رحمه الله - إذن - أن يكون الإنسان مقهوراً في بعض الأشياء ومختاراً في أشياء أخرى، بدا افعل ؟ و الا تفعل ؟ حتى يختار بين البديلات.

وهنا يقول الحق: ﴿ خَذُوا مَا أَتَيْنَاكُمْ بِقُوةٌ ﴾

أى خذوا ما آتاكم فى الكتاب بجد واجتهاد. وكان هذا القول مقدمة لما جاء به العلم فى شرح معنى القوة. وقد وصل إلينا خبر العلم قبل أن يصل لنا واقعه المادى، فصرنا نرى الطاقة التى تعطى القوة. وجاء نيوتن ليكشف لنا قانون الجاذبية، القانون الأول والثانى والثالث، واكتشف أن كل جسم يظل على ما هو عليه، فإن كان ساكناً يبق على سكونه إلى أن يأتى محرك يحركه. وإن كان الجسم متحركاً فهو لا يتوقف إلى أن يصدمه صادم أو يمسكه ماسك. وسمى العلماء هذا التأثير بالقصور الذاتى، أو التعطل، أى أن الساكن يُعطل عن المحركة إلا أن يحركه محرك، والمتحرك يعطل عن السكون إلا أن يوقفه الحركة إلا أن يحركه محرك، والمتحرك يعطل عن السكون إلا أن يوقفه موقف، فأنت إذا ركبت سيارة وأنت قاعد وساكن والسيارة تسير، فإنك تظل ما لم تمسك بشيء.

وفى الأسواق نرى الحواة وهم يؤدون بعض الألعاب ليسحروا أعين الناس فيأتى بمنضدة وعليها مفرش لامع وأملس، ثم يضع عليها أطباقاً وأكواباً، ثم يحرك المفرش بخفة لينزعه بهدوء من تحت الأكواب حتى لا تتحرك بحركة المفرش.

وحين جاء نيوتن عقد مقارنة وموازنة بين القوة والحركة والعطالة، وقلنا: إنّ العطالة تعنى أن الساكن يتعطل عن الحركة، والمتحرك يتعطل عن السكون، وهذه هى القضية المادية فى الكون التى خدمت العلم الفضائي الخاص بسفن الفضاء والصواريخ. ونحن نرى السفن الفضائية ونعتقد أنها تدور فى الفضاء بالوقود، رغم أن حجمها لا يسع الوقود الذى يسيرها لسنوات، والحقيقة أنها تسير بقانون القصور الذاتى أو العطالة إنّها بدون وقود، وهى تندفع إلى الفضاء بقوة الصاروخ إلى أن تخرج إلى الفضاء الكونى، وتظل متحركة ما لم يوقفها موقف. ونرى ذلك فى التجربة اليسيرة حين يطلق إنسان رصدصة من مسدس فتنطلق الرصاصة بقوة الطلقة مسافة ثم تقع إن لم يوجد حاجز يصدها، وهى تقع بعد مسافة معينة ؛ لأن الهواء يقابلها فيصادم الحركة إلى أن تتوقف، أما فى الفضاء الخارجى فليس هناك هواء؛ لذلك لا تتوقف سفينة الفضاء، لأنها تسير بقانون القصور الذاتى أو العطالة.

وهذه السفن الفضائية تعتمد في صعودها إلى الفضاء على الصواريخ لتصل إلى المدار الخارجي . والصواريخ تسير بالغاز المتفلت الذي أخذ القانون الثالث من قوانين نيوتن ، وهو القانون القائل : إن كل فعل له رد فعل يساويه ومضاد له في الاتجاه ، وحين يسخن هذا الغاز المتفلت يخرج من خلف الصاروخ بقوة فيندفع الصاروخ للأمام .

وهكذا نرى قبول الحق: ﴿ خدوا منا آتيناكم بقبوة ﴾ في الواقع المادى والواقع القيمى، وانظر إلى غير المتدينين تجدهم ساكنين في بعض الأمور ولا يتحركون عنها ولا يجاوزونها ، فالواحد منهم لا يصلى ، ولا يزكى ، ولا يقول كلمة معروف، وهو في ذلك يحتاج إلى قوة تحرك سكونه عن طاعة الله. ونجد أيضا من غير المتدينين من يشرب خمرة ، أو يزنى أو يسرق أو يرتشى ، وهو هنا يحتاج إلى قوة لتصده

00+00+00+00+00+00+0

عن مثل هذه الحركة. ولذلك نقول: إن الإنسان في أفعاله الاختيارية يحتاج إلى أسرين: الأول إن كان ساكناً عن فعل الخير نأت له بقوة تحركه إلى هذا الخير، وإن كان متحركا إلى الشر نأت له بقوة توقفه عنه، وهذا هو ما يقدمه المنهج الإيماني في " افعل "، و « لا تفعل ". فمن يتراخي عن الصلاة وسكن عنها نقول له صلّ. ومن يذهب للقمار ويتحرك إليه لا يمكن أن يقف إلا إذا جاءت له قوة توقفه عن ذلك وتمنعه، إذن فالقوة الشرعية تكون في المنهج بافعل " ليحرك الساكن، و « لا تفعل " ليقف المتحرك شريطة أن يكون كل من السكون والحركة في ضوء المنهج.

ولنعرف أن الله سبحانه وتعالى يسخر لنا الكافرين ليبينوا لنا المستغلق علينا في قوانين الكون، فقد اكتشفوا قوانين القوة المادية وفهمناها نحن في إطار الماديات والمعنويات، وليس اكتشاف الكافرين للقوانين في الكون مدعاة للكسل والاعتماد عليهم، بل علينا أن نشحذ الهمم لتقدم في العلم الذي يُسير أمور الحياة، ولنعلم أنه لا شيء ينشيء فينا فطرة جديدة؛ لأن البشر من قديم مفعلورون على الفطرة السليمة التي تلفتهم إلى أن لهذا العالم صانعاً، فكل ذراتنا وكل اتجاهاتنا تؤكد لنا وجود إله واحد، بل إن الفلاسفة حينما بحثوا وراء المادة تأكد لهم ذلك، وأغلب الفلاسفة كانوا غير مؤمنين، وهم ببحثهم وراء المادة إنما يبحثون عن الخالق الأعظم؛ لأن الإنسان لا يبحث عن شيء لا يظن وجوده، ولأنهم جميعا يعلمون أن الإنسان طرأ على كون، وهذا الكون مقام بهندسة حكيمة، ومخلوق بقوة لا تستطيع قوى البشر جميعا أن تأتي مقام بهندسة حكيمة، ومخلوق بقوة لا تستطيع قوى البشر جميعا أن تأتي

لقد بينا أن القوانين التى تظهر لنا فى المادة تتماثل مع قوانين القيم، إلا أن الناس يشهافتون على قانون المادة لأنها تحقق لهم خيراً أو تدفع عنهم شرا، فيأخذون ما ينفعهم ويدعون ويتركون ما يضرهم، ولذلك احتاج الإنسان إلى منهج من السماء ليوضح ويبين له قوانين القيم التى تحقق له السعادة العاجلة فى الدنيا والآجلة فى الأخرة، أما قوانين المادة فى الأرض فتركها الله لنشاط العقل، حتى الذين لا يؤمنون بالله يذهبون إلى قوانين المادة ويصنعونها، ويتهربون من قوانين المقيم لأنها تحد من شهوات النفس، وتتعب بمشقة التكليف، فشاء الحق

WE WILL

O111700+00+00+00+00+0

سبحانه وتعالى أن يقول فيها:

﴿ خُلُواْ مَا مَا مَا مَا مَا مَا مَا مَا يَبِ لَمُلَّكُمْ لَتَفُونَ ﴾

(من الآية ١٧١ صورة الأعراف)

وأراد الحق سبحانه وتعالى أن يعطى من قانون المادة ما يقرب لنا قوانين القيم فى الفعل ورد الفعل، لنفهم أن كل حركة للشر قد تحبها النفس لأنها تحقق لها شهوة من شهواتها، لكن يجب ألا يغيب عن ذهنك أيها الإنسان أن لكل فعل رد فعل مساوياً له فى الحركة ومضاداً له فى الاتجاه، فإن كنت ترتاح فى هذا العمل وتحبه وتشتهيه فتذكر جيداً رد الفعل الذى يأتيك بالعقاب عليه، وكذلك مشقات التكليف، حين تفعل الطاعة تكون صعبة عليك ولكن يجب أن تذكر رد الفعل فيها وهو الراحة وحسن الثواب، ولذلك يقول الحق سبحانه وتعالى:

﴿ كُلُواْ وَاشْرَبُواْ هَنِبَتَ إِمَّا أَسْلَفُتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَّةِ ١ ﴾.

وفي هذا القول فعل ورد فعل، الفعل هو العمل الصالح في الأيام التي مضت، ورد الفعل هو الطعام والشراب الهنيء في الآخرة. ولمن اغتر واعتز بنفسه وجبروته وقوته يقول له الحق:

﴿ فَلْيَضْحَكُواْ فَلِيلًا وَلَيْسَكُواْ كَيْسِرًا ﴾

(من الآية ٨٦ صورة التوبة)

وهكذا نجد البكاء الكثيف الشديد الكثير نتيجة للضحك القليل. ويأتي الإنسان من هؤلاء يوم القيامة ليقال له:

﴿ فُقُ إِنَّكَ أَنتَ الْمَزِيزُ الْكِرِيمُ ١

(سورة الدخان)

إن كنت قد فهمت أنك عزيز كريم فأسأت إلى الناس فلسوف تتلقى العقاب.

ولذلك يقول لنا الحق عن المنهج: ﴿ واذكروا ما فيه لعلكم تتقون ﴾. وإياكم أن تطرأ عليكم الغفلة من هذه الناحية ، فالذي يتعب الناس في مناهج الله أنهم يغفلون عنها ؛ لأن الطاعة تكلفهم مشقة وبعض عناء ، والمعاصى تكسبهم لذة وشهوة ، فأوضح الحق : اذكروا جيدا الفعل ورد الفعل في هذه القيم .

ونعلم أن لذَّكْر يحتاج إلى أشياء كثيرة جدا، فالواعظ مثلاً يذكرهم دائماً، وقلنا إن « الوعظ » هو نوع من إعادة التذكير بالإعلام بالحكم، فأنا أعظ من علم الحكم؛ لأنى أريد أن يفعله، فبعد أن علمه الموعوظ علماً فقط يريد منه الواعظ أن ينفذه عملياً. فكلنا نعلم أن الصلاة ركن، وأن الحج ركن، والزكاة ركن من أركان الإسلام، وكلنا جاءنا العلم بذلك، لكن منا من يكسل في تطبيق هذا العلم. ونظل ندق على دماغه بالتذكير والوعظ، وهذا من خيرية أمته صلى الله عليه وسلم:

﴿ كُنتُمْ خَيرُ أُمَّةٍ أُنْوِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾

(من الآية ١١٠ سورة آل همران)

ولماذا هذا التذكير؟. يجيب الحق:

﴿ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُونِ وَتَنْهُونَ عَنِ الْمُنكِرِ ﴾

(من الآية ١١٠ سورة آل عمران)

الأمر بالمعروف عظة قولية ، والنهى عن المنكر عظة قولية ، ويعددها الرسول صلى الله عليه وسلم لبقاء التذكير ، وليأخذ كل مسلم منهج الله بقوة ، فيقول في الحديث :

« من ر.ى منكم منكسراً فليخيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، وإن لم يستطع فبلسانه، وإن لم يستطع فبقله وهذا أضعف الإيمان » (١).

إذن فقد نقل الرسول المسألة من الأمر وهو القول والنهى وهو قول أيضاً إلى أن اشرها فعلاً، فإن لم يستطع الإنسان منا تغيير المنكر بلسانه أو بيده فلينكره بقلبه، ونجد القرآن قد جاء بها أمراً ونهياً، والرسول جاء بها فعلاً، لأن هناك فرقاً بين

(۱) رواه مسلم

المعلومة التى تدخل الذهن، وحمل النفس على مطلوب المعلومة. ولذلك نحن ندرس الدين فى مدارسنا، وندرس فيها أيضا الجبر والهندسة، والكيمياء، والطبيعة، والمتعب ليس تدريس الدين، بل الذى يتعب الناس هو حمل النفس على مطلوب الدين، لكن التلميذ حين يتعلم الجبر والهندسة أو الكيمياء، فهذه علوم تعطى الإنسان خير الدنيا فيذهب لها، لكن مسألة الدين مسألة قيم ؟ لذلك لا يكفى أن نعلم الدين بل لابد أن تنفذ ذلك العلم، وتنفيذ هذه المسألة يكون بالتطبيق فى سلوك من أسوة حسنة وقدوة طيبة.

وهب أن الذي يُعلم الدين يدرسه معلومة ويدخلها في نفوس التلاميذ، ثم لا يجدون من أثر هذه المعلومة نضحاً على سلوك من علمها، ماذا يكون الموقف ؟ . هنا تضعف ثقة التلميذ في أستاذة، وتضعف ثقته في الدين؛ لأنه لم ير من الدين إلا كلاماً يقال، بدليل أن من يقولونه لا ينفذونه، وفي هذا فشل في تعليم منهج الدين. والخطأ إذن في أن الناس يظنون أن منهج الدين يقف عند تعليم المعلومات الدينية، لا. إن تعليم الدين يقتضى تنفيذ ما فيه من معلومات، عكس العلوم الأخرى التي تعطى المعلومة فقط. وإن أراد الإنسان معلومات، عكس العلوم الأخرى التي تعطى المعلومة فقط. وإن أراد الإنسان أن ينتفع بها في حياته انتفع، وإن لم يرد فهو حر في ذلك.

إذن فالتذكير مرة يكون بالأمر بالمعروف وبالنهى عن المنكر، ومرة يكون بالفعل، « من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه »، وماذا يعنى التغيير باللسان ؟ . يعنى أن الإنسان إن كان عنده حسن تأد واستعداد للعظة ومعرفة أدب النصح فله أن يقبل على تناول العظة . وليس كل إنسان صالحا لأن ينصح ؛ لأن المنصوح يخالف المنهج، والناصح يقف أمامه حتى لا يخالف المنهج، إنه يخرجه عما ألف وأحب، لذلك يجب أن يتلطف الناصح في النصح .

ومثال ذلك نجد الطبيب حين يلهب إليه المريض يصف له الدواء ، والدواء قديماً كان كله مراً . وكانت الناس تأخيذ الدواء بصعوبة ، ويمسك الكبار الأطفال ليعطوهم الدواء . وحين ارتقت صناعة الدواء ، قام الصيادلة بتغليف جرعة الدواء بغلاف يحجب المرارة . ليلتطفوا مع مريض الجسم ، فما بالنا عريض القيم ؟ . إنه يحتاج إلى المسألة نفسها . لذلك لابد أن نجعل النصح خفيفا ، ولا نجمع على المنصوح بين

أن نخرجه عما ألف وما يكره من الأساليب، ولذلك قلنا: إن النصح ثقيل، لأنك حين تنصح إنسانا فمعنى ذلك أنك افترضت أنك أفضل سلوكاً منه، وهو أقل منك في ذلك، وهذا هو أول مطب، وينظر لك المنصوح على أنك تفهم أحسن منه. ولهذا قالوا في الأثر: النصح ثقيل فلا ترسله جبلا، ولا تجعله جدلاً. وقيل أيضا: الحقائق مرة فاستعيروا لها خفة البيان. هكذا يكون التذكير، وإن لم تستطع أن تمنع بالفعل فامنع بالقول؛ لأن التغيير باليد يحتاج إلى سلطة المغير على المغير، وهذا لا يأتي إلا بأن يكون للمغير مقدمة وسابقة مع المغير يثبت فيها المغير أنه يحب مصلحة المغير، وقد يكون ذلك وارداً من غير أن تقول. كأن تكون أباه أو أمه، والأب والأم يقومان برعاية الابن، وتلبية الابن، وتلبية الابن، وإذا كان الناصح ليس له هذه الصلة بالمنصوح، فعليه أن يتلطف له أولا الابن. وإذا كان الناصح ليس له هذه الصلة بالمنصوح، فعليه أن يتلطف له أولا علي حب. فحين يطلب منك أمراً تقوم بإجابته إلى طلبه، وتنبهه بعد ذلك إلى ما تريد أن تنصحه إنك قد قدمت له شيئا من المعروف فيتحمل منك النصح.

ومثال آخر : افرض أن ابنك قد طلب منك أن تحضر له ساعة ، وبعد ذلك قالت لك أمه : إنه لم يستذكر دروسه حتى الآن. ثم تأتى له بالساعة وتقول له : يا ولد أنت أردت منى ساعة وأحضرتها لك، وتناولها له وتقول : إن أمك قالت لى إنك غير مهتم بدروسك، ولو تذكرت قولها لما أحضرت لك الساعة . وقد توجه له توبيخاً فيضحك لأنك قد حننت قلبه ، وبينت له أنك تحبه فيقبل النصح ، حتى ولو صفعته قد يقبل لأنه يعلم أنك تحب مصلحته . إذن للتذكير ألوان متعددة : عظة بالقول ، وتغيير بالفعل وإنكار بالقلب .

﴿ واذكروا ما فيه لعلكم تتقون ﴾ والأصل في التقوى أن تتقى شيئاً بشئ ؟ تتقى مؤلماً بجعل وقاية بينك وبينه، وهي تأتى كما علمنافي المتقابلات ؟ فالحق سبحانه يقول :

﴿ وَا نَفُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي أُعِدُّتْ لِلْكُنفِرِينَ ﴿ ﴾

وهو سبحانه وتعالى يقول:

﴿ وَاتَّقُواْ اللَّهُ لَعَلَّكُمْ تُقْلِحُونَ ﴾

(من الآية ١٨٩ سورة البقرة) (ومن الآية ١٣٠ سورة آل عمران)

ونجد من يتساط : كيف يقول : « اتقوا الله»، و «اتقوا النار»؟

نقول: نعم؛ لأن اتقوا الله تعنى اتقوا غضب الله عليكم، واتقوا عذاب الله لكم بأن تجعلوا بينكم وبين عقابه وقاية، ولابد أن تجعل بينك وبين النار وقاية؛ لأن الحق سبحانه وتعالى كما علمنا له صفات جلال وصفات جمال، وصفات الجمال هي التي تسعد الإنسان ككونه - سبحانه - "غفوراً"، و"رحيماً"، "باسطاً"، وكما أن لله صفات جمال تعطيك الرغبة والإقبال عليه - سبحانه - فله صفات جلال تعطيك الرهبة، فهو - جل شأنه - جبار ومنتقم، قاتق الله حتى تحجب عن نفسك متعلقات صفات الجلال التي منها جبار ومنتقم.

ويقول الحق بعد ذلك:

﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُكَ مِنْ بَنِي ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِيَّكُمْ وَالْهُورِهِمْ ذُرِيَّكُمْ وَاللَّهُ وَاللَّهُ مَا تُعَلَّمُ مَا لُوا بَكُنْ شَهِدُنَا السَّتُ بِرَيِّكُمْ قَالُوا بَكُنْ شَهِدُنَا الْفُسِمِ السَّتُ بِرَيِّكُمْ قَالُوا بَكُنْ شَهِدُنَا الْفُسِمِ السَّتُ بِرَيِّكُمْ قَالُوا بَكُنْ الْفُسِمِ السَّهُ السَّاسَةُ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَلَذَا الْفُلِينَ السَّاسَةُ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَلَذَا الْفُلِينَ السَّاسَةُ اللَّهُ اللَّا اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ الللَّا الللَّهُ اللَّا اللَّهُ اللَّهُ اللَّا اللَّهُ اللَّهُ ا



وإذ تنصرف إلى الزمن، أى اذكر وقت أن أخذ الله من بنى آدم، والآخذ هو الله، والمأخوذ منه بنو آدم، والشيء المأخوذ هو ذريتهم، هذه هي العناصر. ولنشأمل

ذلك بدقة ، إن الرب هنا هو الآخذ، وبنو آدم مأخوذ منهم ، والمأخوذ هو الذرية . وبنو آدم هم أولاد آدم من لدنه إلى أن تقوم الساعة ، وهنا اتحد المأخوذ والمأخوذ منه ، ولابد أن نرى تصريفاً في هذا النص ؛ لأنه يشترط أن يكون المأخوذ منه كلاً ، والمأخوذ بعضه .

والمثال : إن أنا أخذتُ منك شيئاً، فالمأخوذ منه هو الكل، والمأخوذ بنفسه هو البعض . لكننا هنا نجد المأخوذ هو عين المأخوذ منه ، وأزال سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا الإشكال في هذه الآية فقال صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عنه أبو هريرة رضى الله عنه :

(لما خلق الله أدم مسح ظهره، فسقط من ظهره كل نسمة هو خالقها إلى يوم القيامة، وجعل بين عبنى كل إنسان منهم وميضاً من نور ثم عرضهم على آدم، فقال: أى رَبّ. من هؤلاء ؟ قال: هؤلاء ذريتك. فرأى رجلاً منهم، فأعجبه وميض ما بين عينيه، فقال: أى رب، من هذا ؟ قال: هذا رجل من آخر الأم من ذريتك، يقال له داود، فقال: رب كم جعلت عمره؟ قال: ستين سنة، قال: أى رب زده من عمرى أربعين سنة، فلما قُضى عُمُر آدم جاءه ملك الموت، فقال: أو لم يَبْقَ من عُمرى أربعون سنة؟ قال: أولم تعطها ابنك داود؟ قال: فجعد آدم فجعدت ذريته، وخطئ آدم فخطئت ذريته، وخطئ آدم فخطئت

إذن ذرية آدم أخذت من ظهر آدم. وعرفنا من قبل أن كُلاً منا قبل أن تحمل به أمّه كان ذَرّة في ظهر أبيه حتى آدم. وهكذا نجد أن كل واحد مأخوذ من ظهره ذرية، هناك أناس يؤخذون - كذرية - ولا يؤخذ منهم ، مثل من فرض عليهم الله أن يكون الواحد منهم عقيماً، وكذلك آخر جيل ثقوم عليه الساعة، ولن ينجبوا. وآدم مأخوذ منه لأنه أول الخلق، وهو غير مأخوذ من أحد. وما بين الأب آدم وآخر ولد؛ مأخوذ ومأخوذ منه. وبذلك يكون كل واحد مأخوذ ومأخوذ منه، وهكذا يستقيم المعنى.

⁽١) رواه الترمذي في سننه وقال هديث حسن صحيح،

0!!!100+00+00+00+00+0

والمأخسوذ منه آدم ثم كل ولد من أول أولاد آدم إلى الجسيل الأخسيس الذي سينقطع عن النسل.

و وضح النبى صلى الله عليه وسلم: أن ربنا سبحانه وتعالى مسح بيده على ظهر آدم وأخرج منه الذرية، وقال لهم: ألست بربكم؟ قالوا: بلى، وبهذا علمنا أن كل ذرة من الذرات قد أخذت مما قبلها، وأخذ منها ما بعدها؛ وكليا مأخوذ ومأخوذ منه، اللهم إلا القوسين؛ القوس الأول: آدم لأنه مأخوذ منه وليس مأخوذاً من شيء، والقوس الثانى: آخر ولد من أولاده مأخوذ وليس مأخوذاً منه؛ لأن الإنسان منا وُجد من حيوان أبيه المنوى. ولو أن الحيوان المنوى أصابه مرت لما أنجب الأب، ومن ولد من حيوان منزى لأب، هذا الأب مأخوذ من حيوان منزى لأب، هذا الأب مأخوذ من حيوان منزى لاب، هذا الأب مأخوذ من حيوان منزى أدم؛ ستجد أن كل واحد من حيوان منزى عربي، ستجد أن كل واحد من حيوان منافيه جزىء حي من لدن آدم لن يدركه موت أبداً.

لذلك يقول ربنا:

﴿ وَإِذْ أَخَفَ رَبِكَ مِنْ بَنِيَّ وَادْمٌ مِن ظُهُورِ هِمْ ﴾

(من الآية ١٧٢ سورة الأعراف)

ولا تقل إن الكل سيكون في ظهره؛ لأن المأخوذ منه هو الأساس الموجود في ظهره، ومادام كل شئ يتكاثر فهو قد وجد من أقل شيء ونعلم أن الأقل يوجد فيه الأكثر مطموراً. وقد أخذ ربنا من ظهور بني آدم الذرية وخاطب الذرية بقوله تمالى : ﴿ أَلْسَتْ بِرِبْكُم ﴾ ؟.

وهنا قد يقول قائل: أكان لهذه الذرية القدرة على النطق؛ إنها ذرية تنتظر التكوين الآخر؛ لتتحد مثلاً بـ" البويضة" في رحم الأم؟ فنرد عليه ونقول: لماذا تظن أن مخاطبة ربنا لهم أمر صعب؟ إن الواحد من البشر يستعليع أن يتملم عشر لغات ، ويتزوج من أربع سيدات ، وكل سيدة ينجب منها ذرية ، ويقعد يوما عند سيدة وذريتها ويعلمها اللغة الإنجليزية مثلا، ويجلس مع الأخرى ويعلمها اللغة العربية ومكذا، بل يستطيع أن يتفاهم حتى اللغة الألمانية ، ويعلم أن يتفاهم حتى

@@+@@+@@+@@+@@!!!!@

بالإشارة مع من لا يعرف لغته، وإذا كان الإنسان يستطيع أن يعدد وسائل الأداء، ألا يقدر أن يعدد ربنا وسائل الأداء لمخلوقاته ؟ إنه قادر على أن يعدد ويخاطب، ألم يقل الحق تبارك وتعالى للجبال:

﴿ يا جبال أوبي معه ﴾

(من الآية ١٠ من سورة سبأ)

كيف إذن لا يتسع أفق الإنسان لأن يدرك أن الله قادر على أن يخاطب أيّاً من مخلوقاته؟. إنه قادر على أن يخاطب كل مخلوق له بلغة لا يفهمها الآخر. وهو القائل سبحانه:

﴿ وَيَعْرِنَا مَعَ دَاوُدُ دَ الْحِبَالَ يُسَبِّحْنَ ﴾

(من الآية ٧٩ من سورة الأنبياء)

ونعلم من القرآن الكريم كذلك أن الجبال تسبح أيضاً من غير داود، شأنها شأن المخلوقات جميعها مصداقاً لقول الحق تبارك وتعالى:

﴿ وَإِن مِن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِعَمْدِهِ - وَلَنكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِحَهُمْ ﴾

(من الآية ٤٤ من سورة الإسراء)

وحتى ذرات يد الكافر تسبح، وإن كان تسبيحها لا يوافق إرادته.

وقول الحق سبحانه : ﴿ ومسخرنا مع داوود الجبال يسبحن ﴾

يبين لنا أن الجبال كانت تردد تسبيح داوود وتلاوته للزبور ، ولا يقتصر أمر الحق إلى الجبال بل إلى كل مخلوق ، فتحن - على سبيل المثال - نقراً في القرآن الكريم أن ربنا أوحى إلى النحل أن اتخذى من الجبال بيوتاً ومن الشجر ومما يعرشون . إذن فلله مع خلقه أدوات خطاب ؛ لأنه هو الذى خلق الكون والمخلوقات ، وله سبحانه خطاب بألفاظ ، وخطاب إشارات ، وخطاب بإلهام ، وخطاب بوحى ، فإذا قرأنا ألحق تبارك وتعالى قال للرية آدم : ألست بريكم ؟ فهذا يعنى أنه قالها

○!!::○○+○○+○○+○○+○○+○

لهم باللغة التي يفهمونها، لأنه هو سبحانه الذي قال للسماء والأرض:

﴿ الْتِيا طَوْعًا أَوْ كُرُمُ ۗ قَالَنَا أَتِينًا طَآبِدِينَ ﴾

(من الآية ١١ من سورة نصلت)

ولقد تكلمت النملة وفهم سليمان كلامها، ولو لم يُعْلِم اللهُ سليمانَ كيف يفهم كلامها لما عرفنا أنها تكلمت :

﴿ قَالَتْ مَمْلُةً يَنَايِكَ النَّمَلُ ادْخُلُواْ مَسْكِنَكُ لَا يَعْظِمُنَّكُ سُلِّمَنُ وَجُنُودُهُ ﴾

(من الآية ١٨ من سورة النمل)

إنها تفهم ما يفعله البشر حين يدوسون على كائنات صغيرة دون أن يروها، ولكن سليمان نبى من أنبياء الله، ولن يعتدى على خلق الله، والنملة التى تكلمت كانت تحرس بقية النمل. وكذلك تكلم الهدهد ليخبر سيدنا سليمان عن علكة سبأ وحالة بلقيس وقومها.

إذن فائله عز وجل يخاطب جميع خلقه، ويجيبه جميع خلقه، فلا تقل: كيف خاطب المولى سبحانه الذر، والذر لم يكن مكلفاً بعد؟ ولم يحاول العلماء أن يدخلوا في هذه المسألة؛ لأنها في ظاهرها بعيدة عن العقل، ويكفى أن ربنا الخالق القادر قد أبلغنا أنه قد خاطب الذرات قائلا: ألست بربكم؟ . قالوا: بلي، ويبدو من هذا القول أن المسألة تمثيل للفطرة المودعة في النفس البشرية والذات الإنسانية فطرة تؤكد له أن وراء هذا الكون إلها خالقاً قادرا مدبرا.

وقديماً قلنا: هب أنَّ طائرةً وقعت بك في صحراء، وحين أفقت من إغماءة الخوف؛ فكرت في حالك وكيف أنك لا تجد طعاماً أو شراباً أو أنيساً، وأصابك غم من هذه الحالة فنمت، ثم استيقظت فوجدت مائدة عليها أطايب الطعام والشراب، ألا تتلفت لتسأل من الذي أقام لك هذه المأدبة قبل أن تمد يلك إلى أطايب الطعام ؟. كذلك الإنسان الذي طرأ على هذا الكون الحكيم الصنع؛ البديع

00+00+00+00+00+01110

التكوين؛ ألا يجدرُبه أن يسأل نفسه من خلق هذا الكون ؟.

إننا نعلم أن المصباح الكهربي احتاج لصناعته إلى علماء وصناع مهرة كثيرين وإلى إمكانات لا حصر لها لينير هذا المصباح حجرة محدودة ، وحين نرى الشمس تنير الكون كله ، ولا يصيبها كلل أو تعب ولا تحتاج منا إلى صيانة ، الا نسأل من صنعها ؟ . وخصوصاً أنَّ أحداً لم يدَّع أنه قد صنعها ، وقد أبلغنا المولى سبحانه وتعالى بأنه هو الذي خلق الأرض وخلق الشمس وخلق القمر ، فإما أن يكون هذا الكلام صحيحاً ؛ فنعبده ، وإما لا يكون الكلام صحيحاً فنبحث عمن صنع وخلق الكون لنعبده .

وبما أن أحداً لم يَدَّع لنفسه صناعة هذه الكائنات ، فهى تسلم لصاحبها وأنه لا إله إلا الله. إذن فالفَطرة تهدينا أن وراء هذا الكون العظيم قدرة تناسب هذه العظمة ؛ قدرة تناسب الدقة ؛ هذه الدقة التي أخذنا منها موازين لوقتنا ؛ فقد أخذنا من الأفلاك مقياساً للزمن ؛ ولولا حبركة الأفلاك التي تنظم الليل والنهار ؛ لما قسمنا اليوم إلى ساعات ، ولولا أن حركة الأفلاك مصنوعة بدقة متناهية ؛ لما استطعنا أن نَعُدها مقياساً للزمن وحينما نستعرض قول الحق سبحانه وتعالى :

﴿ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَنَرُ يُمْسَبَانِ ۞ ﴾

(سورة الرحمن)

نجد أن كلمة "بحسبان" وردت مرتين، فقد أبلغنا الحق سبحانه وتعالى: أنه جعل الشمس والقمر بحسبان، أو حسبانا، وهما من الآيات الدالة على كمال قدرته وعظيم سلطانه ولم يخلقهما عبثا بل لحكمة عظيمة.

﴿ لَتَعْلَمُواْ عَدُدُ السَّنِينَ وَالْجَسَابَ ﴾

(من الآية ٥ سورة يونس)

فقد أخذنا من دورة الشمس والقمر مقياساً، ولم نكن لنفعل ذلك إلا إن كانت مخلوقة بحساب؛ لأن الكون مصنوع ومخلوق على هذه الدرجة من الدقة والإحكام، لهذا يجب أن نلتفت إلى أن هناك قدرة وراء هذا العالم تناسب عظمته. لكن أنعرف ماذا تريد هذه القوة بالعقل ؟ إن أقصى ما يهدينا العقل هو أن نعرف أن هناك قوة ولا يعرف العقل اسم هذه القوة، وكذلك لم يعرف العقل مطلوبات هذه القوة، وكان لابد أن يأتى لنا رسول من طرف تلك القوة ليقول لنا مرادها، وجاء الموكب الرسالي فجاءت الرسل ليبلغ كل رسول مراد الحق من الخلق، فقال كل رسول: إن اسم القوة التي خلقتكم هو الله، وله مطلق التصرف في هذا الكون، ومراد الحق من الخلق تعمير هذا الكون في ضوء منهج عبادة الحق الذي خلق الإنسان والكون. وكل هذه أمور ما كانت لتدرك بالعقل.

وهكذا نعلم أن منتهى حدود العقل هو إيمانٌ بقوة خالقة وراء هذا الكون ، وتستوى العقول الفطرية في هذه المسألة. أما اسم القّوة والمنهج المطلوب لهذا الاله فلابد له من رسول ،

وأرهق الفلاسفة أنفسهم في البحث عن هذه القوة ومرادها. وسموا مجال البحث "الميتافيزيقا" أي "ماوراء الطبيعة" وعادة ما يقابل الفلاسفة من يسألهم من أهل الإيمان: ومن الذي قال لكم إن وراء المادة قوة يجب أن تبحثوا عنها؟.

وغالباً ما يقول الفيلسوف منهم: إنها الفطرة التي هدتني إلى ذلك، وتشعبت الفلسفة إلى مدارس كثيرة. وحاول أهل الفلسفة أن يتصوروا هذه القوة، وهذا هو الخلل؛ لأن الإنسان يمكنه أن يعقل وجود القوة الخالقة، ولا يمكن له أن يتصورها. وغرق الكثيرون من الفلاسفة في القلق النفسي المدسّر. وأنقذ بعضهم نفسه بالإيمان. وكان يجب على كل فيلسوف أن يرهف أذنه ويسمع ما قاله الرسل ليحلوا لنا هذا اللغز، بدلاً من إرهاق النفس بالخلط بين تعقل وجود قوة وراء المادة، وبين تصور هذه القوة.

وإننى في هذا الصدد أضرب هذا المثل وأرجو آلا تنسوه أبداً: إننا إذا كنا قاعدين في حجرة، والحجرة مغلقة الأبواب، ودق الجرس وكلنا يجمع على أن طارقاً بالباب؛ وهذا الشيء المجمع عليه من الكل يَعدُّ تعقلاً، لكن أنستطيع

00+00+00+00+00+0

أن نتصور من الطارق ؟ رجل؟ امرأة؟ شاب ؟ شيخ؟. المؤكد أننا سنختلف في التصور وإن اتحدنا في التعقل.

ونقول للفلاسفة : أنتم أولى الناس بأن ترهفوا آذانكم لمجئ رسول يحل لكم لغز هذا الكون، واسم القوة التي وراء هذا الكون، ومطلوب هذه القوة منا.

والحق سبحانه وتعالى يهدينا إلى هذا عبر الرسل، ويقول هنا :

﴿ وَإِذْ أَخَـدُ رَبُّكَ مِنْ بَنِي عَادَمَ مِن ظُهُورِ هِم ذُرِّ يَتَهُمْ وَأَشْهَدُهُمْ عَلَى أَنفُسِومُ أَلَسَتُ رِبِيكُمْ قَالُواْ بَلَنْ شَهِدْنَا ﴾

(من الآية ١٧٢ سورة الأعراف)

وهذه شهادة الفطرة، ونحن نرى أن الفطرة تكون موجودة في الطفل المولود الذي يبحث بفمه عن ثدى أمه حتى ولو كانت نائمة ويمسك الشدى ليرضع بالفطرة وبالغريزة، وهذه الفطرة هي التي تصون الإنسان منا في حاجات كثيرة، وفي رد الفعل الانعكاسى ؛ مثال ذلك حين تقرب أصبعك من عين طفل، فيغمض عينيه دون أن يعلمه أحد ذلك.

وقد أشهدنا الحق على وحدانيته ونحن في عالم الذر:

﴿ وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلي شهدنا ﴾

ويقال "أسهدته أى جعلته شاهداً، والشهادة على النفس لون من الإقرار، والإقرار سيد الأدلة؛ لأنك حين تُشهد إنساناً على غيره؛ فقد يغير الشاهد شهادته، ولكن الأمر هنا أن الخلق شهدوا على أنفسهم وأخذ الله عليهم عهد الفطرة خشية أن يقولوا يوم القيامة :

﴿ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَّا غَافِلْينٌ ﴾

فحين يأتي يوم الحساب، لا داعي أن يقولن أحد إنني كنت غافلاً.

○!!!\○○+○○+○○+○○+○○+○○

ويتابع المولى سبحانه : وتعالى قوله :

﴿ أَوْنَقُولُوٓ إِنِّمَا أَشْرَكَ ءَابَا وُنَامِن قَبْلُ وَكُنَا وُرِيَّةُ مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَنُهُ لِكُنَامِا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿ إِنَّ الْمُنْظِلُونَ ﴿ وَالْمُنْظِلُونَ ﴿ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ اللّهُ اللَّهُ اللَّاللَّهُ اللَّهُ الللَّا اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّا اللَّهُ

كأن الحق يريد أن يقطع عليهم حجة مخالفتهم لمنهج الله ، فينبه إلى عهد الفطرة والطبيعة والسجية المطمورة في كل إنسان ؛ حيث شهد كل كائن بأنه إله واحد أحد أحد ويذكرنا سبحانه بهذا العهد الفطرى قبل أن توجد أغيار الشهوات فينا.

﴿ الست بربكم قالوا بلى ﴾ وهل كان أحد من الذر وهو في علم الله وإرادته وقدرته يجرؤ على أن يقول: لا لست ربى ؟. طبعاً هذا مستحيل، وأجاب كل الذر بالفطرة " بلى ". وهي تحمل نفي النفي، ونفى النفي إثبات مثل قوله الحق:

﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكُمُ الْمُنْكِينَ ۞ ﴾

(الآية ٨ سورة النين)

و"أليس" للاستفهام عن النفى؛ ولذك يقال لنا: حين تسمع "أليس" عليك أن تقول "بلى" وبذلك تنفى النفى أى أثبت أنه لا يرجد أحكم الحاكمين غيره سبحانه، وهنا يقول الحق: "ألست بربكم "؟ وجاءت الإجابة: بلى شهدنا. ولماذا كل ذلك ؟ قال الحق ذلك ليؤكد لكل الخلق أنهم بالفطرة مؤمنون بأن الله هو الرب، والذى جعلهم يغفلون عن هذه الفطرة تحرك شهواتهم مى نطاق الاختيار، ومع وجود الشهوات فى نطاق الاختيار إن سألتهم من خلقهم؟ يقولون: الله، ومادام الله هو الذى خلقهم فهو ربهم،

﴿ وَلَيْنِ سَأَلْتُهُمْ مِّنْ خُلُقَ السَّمَواتِ وَالْأَرْضَ وَسَغَرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرُ لَيَقُولُنَّ الله ﴾

(من الآية ٦١ سورة العنكبوت)

وجاء الحق بقصة هذه الشهادة حتى لا يقولَنَّ أحدُ : ﴿ إِنَّا أَشْرِكَ آبَاؤِنَا مِنْ قَبِلَ ﴾

وبذلك تعلم أن أعذار العاصين وأعذار الكافرين التي يتعللون ويعتذرون بها تنحصر في أمرين اثنين : الغفلة عن عهد الذر، وتقليد الآباء.

وما الغفلة؟ وما التقليد؟. الغفلة قد لا يسبقها كفر أو معصية، ويقلدها التاس الذين يأتون من بعد ذلك. والمثال الواضح أن سيدنا آدم عليه السلام قد أبلغ أولاده المنهج السوى المستقيم لكنهم غفلوا عنه ولم يعد من اللائق أن يقول واحد منهم إن أباه قد أشرك. ولكن جاء هذا الأمر من الغفلة ، ثم جاء إشراك الآباء في المرحلة الثانية؛ لأن كل واحد لو قلد أباه في الإشراك ؛ لانتهى الشرك إلى آدم، وآدم لم يكن مشركاً ، لكن الغفلة عن منهج الله المستقيم حدثت من بعض بني آدم، وكانت هذه الغفلة نتيجة توهم أن هناك تكاليف شاقة يتطلبها المنهج، فذهب بعض من أبناء آدم إلى ما يحبون وتناسوا هذا المنهج ولم يعد في بؤرة شعورهم ؟ لأن الإنسان إنما ينفذ دائماً الموجود في بؤرة شعوره . أما الشيء الذي سيكلفه مَشقَّة فهو يحاول أن يتناساه ويغفل عنه ، هكذا كانت أول مرحلة من مراحل الانفصال عن منهج الله وهي الغفلة في آبائهم. وهنا يضاف عاملان اثنان : عامل الغفلة ، وعامل الأسوة في أهله وآبائه. ولم تكن القضايا الإيمانية في بؤرة الشعور، ولذلك يقال: الغالب ألا ينسى أحد ما له ولكنه ينسى ما عليه؛ لأن الإنسان يحفظ ما له عند غيره في بؤرة الشعور، ويُخرج الإنسان ما عليه بعيداً عن بؤرة الشعور. ولأن البعض قد يتصور أن في التكليف الإبماني مشقة، لذلك فهو يحاول أن يبعد عنه وينساه، وكذلك يحاول هذا البعض أن ينأى بنفسه عن هذه التكاليف.

و تأخذ المثل من حياتنا: قد نجد إنساناً مَديناً لمحل بقالة أو لنجأر وليس عنده مال يعطيه له، لذلك يحاول أن يبتعد عن محل هذا البقال، أو أن يسير بعيدا عن

O!!!!/OO+OO+OO+OO+OO+O

أعين النجار. وهكذا يكون افتعال الغفلة في ظاهره هو أمراً مُنْجِياً من مشقات التكاليف، لكن البشر في ميثاق الذر قالوا: ﴿ بلي شهدنا ﴾

وقد أخذ ذلك العهد عليهم ، وأقرُّوا به واستشهد الحقُّ بهم ، على أنفسهم حتى لا يقوّلوا يوم القيامه ﴿ إِنَا كَنَا عَنَ هَذَا غَافَلِينَ ﴾ لأنه لا يصبح أن نغفل عن هذا العهد أبداً ، ولكنَّ الحقُّ تبارك وتعالى عرفَ أنّنا بشرّ ، وقال في أبينا آدم :

﴿ وَلَقَدْ عَهِدُنَا إِنَّ وَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِي ﴾

(من الآية ١١٥ من سورة طه)

ومادام آدم قد نسى، فنسيانه يقع عليه حيث بين وأوضح لنا الإسلام أن الأم السابقة على الإسلام تؤخذ بالنسيان، وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بخبر واضح: فقال عليه الصلاة والسلام:

(رفع عن أمتى الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه) (١).

والخطأ معلوم ، كأن يقصد الإنسان شيئاً ويحدث غيره ، والنسيان ألا يجىء الحكم على بال الإنسان. والمكرّة هو من يقهره من هو أقوى منه بفقدان حياته أو بتهديد حريته وتقييدها مالم يفعل ما يؤمر به ، وفي الحالات الثلاث يرفع التكليف عن المسلم . وذكر الرسول صلى الله عليه وسلم أن الله أكرم الأمة المحمدية بصفة خاصة برفع ما ينساه المسلم . وهذا دليل على أن من عاشوا قبل بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يؤاخذون به . وإذا سلسلنا ما قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم نصل إلى سيدنا آدم الذي خلق بيد الله المباشرة ، بينما نحن أبناء آدم مخلوقون بالقانون ؛ أن يوجد رجل وتوجد امرأة وتوجد علاقة زوجية فيأتي النسل .

وقد كلف الله آدم في الجنة التي أعدها له ليتلقى التدريب على عمارة الأرض بأمر ونهي؛ فقال له سبحانه وتعالى:

(١) أخرجه ابن ماجه وابن حبان، والدار قطني والطبرائي والعاكم في المستدرك من حديث أبن عباس رضي الله عنهما

﴿ وَكُلَّا مِنْهَا رَفَدًا حَبْثُ شِيْتُمَا وَلَا تَقْرَبًا هَالِهِ ٱلسُّجَرَةُ ﴾

(من الآية ٣٥ سورة البقرة)

إذن فقصارى كل تكليف هو أمر فى "افعل"، ونهى فى " لاتفعل؟، وقد نسى آدم التكليف فى الأمر الواحد البسيط وهو المخلوق بيد الله والمكلف منه بأمر واحد أن يأكل حيث يشاء ويمتنع عن الأكل من الشجرة، وإن لم يتذكر آدم ذلك، فما الذى يتذكره؟ وما كان يصح أن ينسى لأنه ممخلوق بيد الله المباشرة، والتكليف وإن كان بأمرين؟ لكن ظاهر العبء فيه على أمر واحد؛ الأكل من حيث شاءا هو أمر لمصلحة آدم، والاتقرب؟ هو تكليف واحد.

- ولذلك قال الحق في آية أخرى : ﴿ وَعَمَىٰ عَادُمُ رَبُّهُ فَعُونِ ﴾

(من الآية ١٢١ سورة طه)

وهو عصيان لأنه نسيان لأمر واحد، ما كان يصح أن ينساه. لعدم تعدده ويقول الحق تبارك وتعالى:

(صورة الأعراف)

جاء هذا القول لينبهنا إلى أن الغفلة لا يجب أن تكون أسوة لأن التكاليف شاقة، والإنسان قد يسهو عنها فيورث هذا السهو إلى الأجيال اللاحقة فيقول الأبناء : ﴿ أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون ﴾ .

وهذا يعنى أن إيمانهم هو إيمان المقلد، رغم أن الحق قد أرسل لهم البلاغ، وإذا كان الآباء مبطلين للبلاغ بالمنهج فلا يصح للأبناء أن يغفلوا عن صحيح الإيمان.

0110100+00+00+00+00+0

ويقول الحق بعد ذلك :

مَنْ وَكَذَالِكَ نُفَصِلُ ٱلْآيَتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ١

والآيات التى فصلها الحق هنا هى العهود الخاصة، ورفع الجبل ليأخذوا التوراة بقوة، وكذلك العهد العام الذى اشترك فيه كل الخلق من لدن آدم إلى أن تقوم الساعة، وجاء سبحانه بكل ذلك ليؤكد لهم أن قضية الإيمان عقيدة يجب أن تكون فى بؤرة الشعور، فمن غفل فليتذكر، ومن قلد آباه فى شىء مخالف للمنهج القويم، فليرجع عن هذا التقليد؛ لأن التكاليف الإيمانية تكاليف ذاتية، وسبحانه لا يكلفك وأنت فى حاجة إلى أبيك، أو إلى أمك. لكنه يكلفك من بعد البلوغ؛ لأنك بعد البلوغ تستقل بذاتيتك استقلالا كاملا مثل واللك، ومادمت مكتمل الرجولة كوالدك وصالحا للإنجاب فلا ولاية إيمانية لأبيك عليك أبداً، فلا تقل إننى أقلد أبى ولو كان على غير المنهج السليم؛ لأن مثل هذا القول يمكن أن يكون مقبولاً لو كان التكليف للإنسان وهو فى دور الطفولة، حيث الأب يسعى لإطعام أبنائه ورعايتهم، لكن التكليف لا يأتى للإنسان إلا بعد البلوغ، ومعنى بعد البلوغ: أنك صالح لإنجاب مثلك ورعاية نفسك.

ولذلك يطلب الحق سبحانه وتعالى من الآباء أن يدربوا أبناءهم ويعودوهم على مطلوبات التكليف قبل مجىء أوان تكليف الله، ويقول النبي عليه الصلاة والسلام:

(مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم على تركها وهم أبناء عشر سنين وفرقوا بينهم في المضاجع ، ، إلخ)(١)

الأب إذن يأمر ويُعاقب قبل أوان التكليف ليتدرب الأبناء عليه ويصير دربة سهلة لا يتعب منها الإنسان بعد البلوغ.

﴿ وكذلك نفصل الآيات ولعلهم يرجعون ﴾ .

أى أن على الغافل أن يرجع عن غفلته فيتذكر، وأن يرجع المقلد لآبائه (١) رواه أبو دارد بإسناد حسن (رياض الصائمين مد١٨١)

عن التقليد، ويقتنع اقتناعاً، مصداقاً لقوله الحق:

﴿ لا يجزي والدعن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئاً ﴾

(من الآية ٣٣ من سورة لقمان)

ويقول الحق تبارك وتعالى بعد ذلك:

﴿ وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِي مَا تَيْنَدُ مَا يَكِنَا فَآنسَ لَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَدُ ٱلشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ ٱلْفَاوِينَ مِنْهَا فَأَتْبَعَدُ ٱلشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ ٱلْفَاوِينَ

ولأنهم قالوا: ﴿ إِنَا كُنَا عَنِ هَذَا عَافِلِينَ ﴾ ، فالله سبحانه وتعالى يريد أن يعطينا خبر هؤلاء فيقول : ﴿ واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها ﴾ .

والنبأ هو الخبر المهم وله جدوى اعتبارية ويمكن أن ننتفع به وليس مطلق خبر. ولذلك يقول سبحانه وتعالى عن اليوم الآخر:

﴿ عَمْ بَنُسَاء لُونَ ١ عَنِ ٱلنَّبِ الْعَظِيمِ ١ ﴾

(سورة النبأ)

كما يقول ﴿ واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا ﴾ ، كأن هذا النبأ كان مشهوراً جداً ، ويقال : إنه قد قيل في « ابن بعوراه » أو أمية بن أبي الصلت ، أو عامر الراهب ، أو هو واحد من هؤلاه ، والمهم ليس اسمه ، المهم أن إنساناً آتاه الله آياته ثم انسلخ من الآيات ، فبدلاً من أن ينتفع بها صيانة لنفسه ، وتقرباً إلى وبه ﴿ فَانسلخ منها ﴾ واتبع هواه ومال إلى الشيطان .

و كلمة * انسلخ ، دليل على أن الآيات محيطة بالإنسان إحاطة قوية لدرجة أنها تحتاج جبروت معصية لينسلخ الإنسان منها ؛ لأن الأصل في السلخ إزاحة جلد

○!!···○○+○○+○○+○○+○○+○

الشاة عنها، فكأن ربنا يوضح أنه سبحانه وتعالى أعطى الإنسان الآيات فانسلخ منها، وهذا يعنى أن الآيات تحيط بالإنسان كما يحيط الجلد بالجسم ليحفظ الكيان العام للإنسان؛ لأن هذا الكيان العام فيه شرايين، وأوردة، ولحم، وشحم، وعظام. وجعل الله التكاليف الإيمانية صيانة للإنسان، ولذلك سمى الخارج عن منهج الله و فاسقاً ، مثله مثل الرطبة من البلح، فبعد أن تضرب الشمس البلحة يتبخر منها بعض من الماء، فتنكمش ثمرة البلحة داخل قشرتها وتظهر الرطبة من القشرة، ولذلك سمى الخارج عن المنهج و فاسقاً ، من فسوق الرطبة عن قشرتها، والله عز وجل يقول هنا: ﴿ آتيناه آياتنا ﴾ . وكان يجب ألا يغفل عنها، لأن الإتيان نعمة جاءت ليحافظ الإنسان عليها، لكن الإنسان السلخ من الآيات،

ونعرف جميعاً ثوب الثعبان وهو على شكل الثعبان تماماً، ويغير الثعبان جلده كل فترة، ولا ينخلع من الجلد القديم إلا بعد أن يكون الجلد الذي تحته قد نضج، وصلح لتحمل الطقس والجو، وكذلك حين يندلق سائل ساخن على جلد الإنسان، تلحظ تورم المنطقة المصابة وتكون بعض المياه فيها، ولو أفرغ الإنسان هذه المياه تصاب هذه المنطقة بالتهاب، أما إذا تركها فهى تحمى المنطقة المصابة إلى أن يتربى الجلد تحتها وتجف وتنفصل عن الجسم، وكذلك نعلم أن الشاة مثلاً لا تسلخ نفسها ، بل نحن نسلخها، والحق سبحانه وتعالى يقول:

﴿ وَوَالِيَّةً لَمْهُمُ ٱلَّئِسُ لَهُ لَكُحُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ ﴾

(من الآية ٣٧ سورة يس)

فكأن الليل كان مجلداً ومغلفاً بالنهار، والليل أسود، والنهار فيه الضوء، ونعلم أن اللون الأسود ليس من ألوان الطيف، وكذلك اللون الأبيض ليس من ألوان الطيف؛ لأن ألوان الطيف؛ لأن ألوان الطيف: الأحمر، البرتقالي، الأصفر، الأخضر، الأزرق، النيلي، البنفسجي، واللون الأسود يأخذ ألوان الطيف ويجعلها غير مرثية، لأنك لا ترى الأشياء إلا إذا جاءت لك منها أشعة لعينيك، واللون الأسود يمتص كل الأشعة التي تأتى عليه فلا يرتد إلى العين شعاع منها فتراه مظلماً. والأبيض هو مزيج من

@@#@@#@@#@@#@@#@#@#@

ألوان متعددة إن مزجتها مع بعضها يمكنك أن تصنع منها اللون الأبيض، وهكذا نعلم أن الأبيض مثله مثل الأسود تماماً، فالأسود يمتص الأشعة فلا يخرج منه شعاع لعينيك، والأبيض يرد الأشعة ولا يخرج منه شعاع لعينيك. وقوله الحق: ﴿ نسلخ منه النهار ﴾ كأن سواد الليل جاء يغلف بياض النهار.

وإذا انسلخ من آتاه خبر الإيمان عن المنهج يقول الشيطان: إنه يصلح لأن يتبعني، وكأن الشيطان حين يجد واحداً فيه أمل، فهو يجرى وراءه مخافة أن يرجع إلى ما آتاه الله من الكتاب الحامل للمنهج، ويزكى الشيطان في نفس هذا الإنسان مسألة الخروج عن منهج ربنا.

وقلنا من قبل: إن المعاصى تأتى مرة من شهوة النفس، ومرة من تزيين الشيطان وأوضحنا الفارق، وقلنا: إن الشيطان لا يجرؤ عليك إلا إن أوضحت للشيطان سلوكك أن له أملاً فيك، لكن إن اهتديت وأصلحت من حالك فالشيطان يوسوس للإنسان فى الطاعة ويحاول أن يكرهه فيها، والشيطان لا يذهب - مثلا - إلى الخمارة، بل يقعد عند الصراط المستقيم ليرى جماعة الناس التى تتجه إلى الخير، أما الآخرون فنفوسهم جاهزة له. إذن فالشيطان ساعة يرى واحداً بدأ فى الغفلة عن الآيات فهو يلاحقه مخافة أن ستهويه الآيات ثانية، ولذلك لابد لنا أن نفرق بين الدافع إلى المعصية هل هو من النفس أم من نزغ الشيطان، فإن جاءت المعصية وحدثتك نفسك بأن تفعلها ثم عزت عليك تلك المعصية لأى ظرف طارىء ثم ألححت عليها ذاتها مرة ثانية، فاعلم أنها شهوة نفسك. لكن إن عزت عليك ثم فكرت في معصية ثانية فهذا من نزغ الشيطان؛ لأن الشيطان لا يريلك عاصياً بمعصية مخصوصة، بل فهذا من نزغ الشيطان؛ لأن الشيطان لا يريلك عاصياً بمعصية مخصوصة، بل يريلك بعيداً عن المنهج فقط، لكن النفس تريد معصية بعينها وتقف عندها، فإن رأيت معصية وقفت عندها نفسك، وإن امتنعت عليك رأيت معصية وتركتها، ثم فكرت في معصية ثانية. فهذا نزغ من الشيطان - ويقول الحق:

﴿ فَأَنْبُعَهُ ٱلنَّبِطَانُ فَكَانَ مِنَ ٱلْفَاوِينَ ﴾

@!!«V@@+@@+@@+@@+@@

الغاوى والغوى هو من يضل عن الطريق وهو المعن في الضلال، ونعلم أن الهدى هو الطريق الموصل للغاية، ومن يشذ عن الطريق الموصل للغاية يضل أو يتوه في الصحراء. وهو الذي يُسمى « الغاوي »، ومادام من الغاوين عن منهج الله فالفساد ينشأ منه لأنه فسد في نفسه ويفسد غيره.

ويقول الحق بعد ذلك :

﴿ وَلَوْشِنْنَا لَرَفَعْنَهُ بِهَا وَلَنَكِنَهُ وَأَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَانَبَعَ هَوَنَهُ فَشَلُهُ كَمَثَلِ الْحَلْبِ إِن صَّبِلُ عَلَيْهِ وَانَبَعَ هَوَنَهُ فَشَلُهُ كَمَثَلِ الْحَلْبِ إِن صَّبِلُ عَلَيْهِ يَلْهَتْ أَوْتَتُرُكُ هُ يَلْهَتْ ذَالِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ اللَّيْيِكَ يَلْهَتْ أَوْتَتُرُكُ هُ يَلْهَتْ ذَالِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ اللَّيْيِكَ كَذْبُواْ إِنَا يَئِننَا فَا قَصْصِ الْقَصَصَ لَعَلَهُمْ يَتَفَكَّرُونَ عَنْ اللَّهُ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللّهُ اللَّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ الللللّهُ اللّهُ اللللّهُ الللّهُ الللّه

وهنا أمران اثنان، الرفعة: وهي العلو والتسامي، ويأتي بعدها الأمر الثاني وهو الإخلاد إلى الأرض أي إلى التسمقل، والفعلان منسوبان لفاعلين مختلفين.

﴿ ولو شننا لرفعناه ﴾ ، والفعل رفع هنا مسند لله . ولكنه اختار أن يخلد في الأرنس . وجاء الأمر كذلك لأن الرفعة من المعقول أن تنسب لله ، لكن التسفل لا يصح أن يُنسب لله ، وكان كل فعل هو بأمر صاحب الكون . وربنا هنا يرفع من يسير على المنهج ، وحين يقول الحق تبارك وتعالى ﴿ ولو شننا ﴾ أي أنها مشيئتنا . فلو أردنا أن نرفعه كانت المشيئة صالحة ، لكن هذا الأمر ينقض الاختيار ، والحق يريد أن يُبقى للإنسان الاختيار ، فإن اختار الصواب فأهلا به وجزاؤه الجنة ، وإن أراد الضلال فلسوف يَلقى العذاب الحق ، ولمزيد من الاعتبار بقصص القرآن اقرأ معى قصة العبد الصالح مع موسى عليه السلام :

的特別原

﴿ فَوَجَدًا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا أَا تَبْنَكُ رَحْمَهُ مِنْ عِندِنَا وَعَلَمْنَكُ مِن لَدُنَا عِلْمَا ﴿ قَالَ لَهُمْ مُوسَىٰ هَلْ أَمْرُ مُوسَىٰ هَلْ أَمْرُ مُوسَىٰ هَلْ أَمْرِ مُوسَىٰ هَلْ أَمْرِهُمُ عَلَىٰ اللهُ اللهُ عَلَىٰ اللهُ اللهُ عَلَىٰ اللّهُ عَلَىٰ اللهُ عَلَىٰ اللّهُ عَلَىٰ اللهُ عَلَىٰ اللّهُ عَلَىٰ اللهُ عَلَىٰ اللهُ عَلَىٰ اللهُ عَلَىٰ اللّهُ عَلَىٰ اللهُ اللهُ عَلَىٰ اللهُ عَلَىٰ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَمُ اللّهُ عَلَمْ عَلَا اللّهُ عَلَمُ اللّهُ عَلَمُ ا

(سورة الكهف)

ورغم أن موسى رسول من عند الله إلا أنه لم يتأبّ على أن عبداً من عباد الله تقرب إلى الله فاتبعه موسى ليقول له: ﴿ هِلْ أَتْبِعِكُ على أَنْ تعلمني عما علمت رشدا ﴾ .

وفي هذا تأكيد على رغبة موسى أن يستزيد بالعلم عن أعطاه الله العلم. وجاء القرآن بهذه القصة ليعلمنا أدب التعلم.

وماذا قال العبد الصالح؟ لقد عذر موسى وقال:

﴿ قَالَ إِنَّكَ لَن مَّسْتَطِيعَ مَعِي صَبْرًا ﴿ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَالَمْ نَعِطْ بِهِ عَنْ بَرًا

(سررة الكهف)

أى أنك يا موسى لن تصبر لا لنقص فيك، بل لأنك سترى أمورا لا تعرف أخبارها. لكن سيدنا موسى قال له لا: ﴿ ستجدنى إن شاء الله صابرا ﴾ وأصر موسى أن يتبع العبد الصالح وأنه لن يعصى له أمرا، واشترط العبد الصالح ألا يسأله سيدنا موسى عن شيء إلا أن يحدثه العبد الصالح. وكان كل ذلك مجرد كلام نظرى، فيه أخذ ورد، وحين جاء الواقع تغير الموقف تماما. بعد أن ركبوا في السفينة وخرقها العبد الصالح، لم يصبر ميدنا موسى بل قال:

. ﴿ لَقَدْ بِعْتَ شَيْعًا إِمْرًا ﴾

(من الآية ٧١ من سورة الكهف)

وهكذا أثبتت التجربة العملية أن موسى لم يصبر على أفعال العبد الصالح،

وحين ذكره العبد الصالح بما وعد به من ألا يسأل، تراجع موسى، وتكرر السؤال، وتكرر التذكير. إلى أن أوضح العبد الصالح لموسى كل أسرار ما لم يحط به علما وهنا يقول الحق: ﴿ ولو شئنا لرفعناه بها ﴾ لماذا ؟ . لأن مشيئة الله مشيئة مطلقة، يفعل ما يريده، ولكنه سبحانه قد سبق منه أن جعل للاختيار جزاءً، لهذا لم يرفعه مع أنه مخالف، لأنها سنة الله، ولن تجدلسنة الله تبديلاً. وسنة الله أن من عمل عملاً طيباً يشيبه الله عليه. ومن عمل سوءاً يعاقبه، ومشيئته سبحانه مطلقة، ولا راد لمشيئته ولا معقب لحكمه.

و بمقتضى مشيئة الله فهو بعذب المذنب بعدله ويثيب الطائع بفضله، وله سبحانه مطلق الإرادة فهو عزيز، وحكيم في كل فعل.

﴿ وَلُو شِئْنَا لَرَفَعْنَهُ مِهَا وَلَكِينَهُ ۖ أَخَلَدَ إِلَّ ٱلْأَرْضِ وَآتَبِعَ هَوَنهُ ﴾

(من الآية ١٧٦ صورة الأعراف)

و ﴿ أخلد إلى الأرض ﴾ ، أي أنه اختار أن ينزل إلى الهاوية ، رغم أن الحق هدى الإنسان وبين له طريق الخير ليسلكه فيصعد إلى العلو ، والحق يقول :

﴿ قُلْ تَعَالُوا أَتُلْ مَا حُرْمٌ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ﴾ .

(من الآية ١٥١ سورة الأنعام)

ونخطى، حين نفهم أن « تعالوا » بعنى « أقبلوا » فقط وهذا فهم ناقص، إنها دعوة للقبول وإلى العلو، لأنه سبحانه وتعالى يشرع لنا حتى لا نلزم منهج الأرض السفلى. بل نرتقى ونأخذ منهج الله الذى يضمن لنا العلو. وكأنه سبحانه يقول: تعالوا وتساموا في أخذ منهجكم من الله العلى الأعلى وإياكم أن تأخذوا منهجكم عا وضعه البشر ويناقض ما جاء في شرع الله، لأن في هذا تسفلا ونزولا إلى الحضيض.

﴿ وَلَوْ شِنْنَا لَرَفَعْنَهُ بِهَا وَلَنَكِنَهُ وَأَخَلَدُ إِلَى ٱلأَرْضِ وَأَنْبَعَ هَوَنَهُ فَلَسُلُهُ كُنَلِ ٱلْكُلْبِ
إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَتْ أَوْ تَتَرَّكُهُ يَلْهَتْ ﴾
إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَتْ أَوْ تَتَرَّكُهُ يَلْهَتْ ﴾
(من الآية ١٧٦ سورة الأعراف)

CC+CC+CC+CC+CC+C(!).C

ويقال: «حملت على الكلب»، فأنت حين تجلس ويقبل الكلب عليك وتزجره وتطرده وتنهره، فهذا نفسير لقوله: « تحمل عليه »، أى أنك تحمل عليه طردا أو زجراً؛ لذلك يلهث، وأن تركت الكلب بدون حمل عليه طرداً أو زجراً فهو أيضا يلهث، لأن طبيعته أنه لاهث دائماً، وهذه الخاصية في الكلب وحده، حيث يتنفس دائماً بسرعة مع إخراج لسانه.

ونعلم أن الحيوانات لا تلهث إلا إن فزعت فتجرى، لتفوت من الألم أو من العذاب الذى يترصدها من كائن آخر، وحين يجرى الحيوان فهو يحتاج لطاقة، فيدق القلب بشدة ليدفع الدم بما فيه من غذاء إلى كل الجسم، ولابد للقلب أن يتعاون مع الرئة التي تمد الدم بالهواء. ونلحظ أن الكائن الحي حين يجلس برتابة فهو لا يلحظ تنفسه، لكن إذا جرى يلحظ أن تجويف الصدر أو سعة الصدر تنقبض وتنسط لتسحب الأوكسجين، من الهواء لتصل به للدم بكمية تناسب الحركة الجديدة، فيحاول أن يتنفس أكثر. ولا تفعل الحيوانات مثل هذه المسألة إلا إذا كانت جائعة أو متعبة أو مهاجة، لكن الكلب وحده هو الذي يفعلها، جائعا أو شبعان، عطشان أو غير عطشان، مزجوراً أو غير مزجور، إنه يلهث دائماً. ولماذا يشبهه سبحانه بالكلب اللاهث ؟؛ لأن الذي يظهر بهذه الصورة تجده مكروها دائماً؛ لأنه متبع لهواه، وتتحكم فيه شهواته. وحين الصورة تجده مكروها دائماً؛ لأنه متبع لهواه، وتتحكم فيه شهواته. وحين تتحقق له شهوة الآن، يتساءل هل سيفعل مثلها غذاً ؟ وتتملك الشهوة كل وقته، لذلك يعيش في كرب مستمر، لأنه يخاف أن يفوته النعيم أو أن يفوت هو النعيم، ويصير حاله كحال الكلب يلهث آمناً أو غير آمن، جائعاً أو غير عطشان.

﴿ أَنْسُلُهُ كَنُوا إِنَّكُمِ إِن تَحْمِلُ عَلَيْهِ بَلْهَتْ أَوْ تَنَرُّكُ بَلْهَتْ ذَالِكَ مَثَلُ الْقُومِ الْقَوْمِ الْقَرْمِ الْقَصْصَ لَعَلَهُمْ بَنَغَكُرُونَ ﴾ الذينَ كَذَبُوا بِعَالِكِتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصْصَ لَعَلَهُمْ بَنَغَكُرُونَ ﴾

O111/00+00+00+00+00+00+0

هكذا يكون مصير من كذَّب بالآيات.

وقول الحق: ﴿ فاقصص القصص ﴾ يوضح لنا أن الله لا يريد أن يعلمنا تاريخاً، لكنه يعلمنا كيف نأخذ العبرة من التاريخ، بدليل أنه يكرر القصة أكثر من مرة وكل مرة يأتي سبحانه بلقطة جديدة، لتعدد ما في القصة الواحدة من العبر، ولو أنه أراد أن يقص علينا التاريخ لقال لنا روايته مرة واحدة. ونجد في القرآن الكثير من قصص الحق مع الباطل، ومن قصص المبطلين مع المحقين، ومن قصص المعاندين مع الرسل؛ لأن القصة أمر واقعي، والتقنين للمناهج أمر لفظي، فيريد سبحانه وتعالى أن يوضح لنا المنهج المناسب للواقع؛ لأن واقع الحياة يعطى القصة القولية حرارة وسخونة فلا يظل المنهج مجرد كلام نظرى معزول عن الواقع.

وهكذا بين الحق سبحانه وتعالى في هذه الآية ، أنه سبحانه قد أنزل علم منهجه بواسطة الرسل إلى بعض خلقه ، فمنهم من يأخذ منهج الله بالاستيعاب أولاً ، وتوظيف ما علم ثانياً ، وبذلك يرتفع من منطق الأرض إلى منطق السماء . ومن يعطيه الله ذلك المنهج ، ما كان يصح له أن يترك ارتفاعه إلى السماء ، ليهبط إلى مستوى الأرض . وهذا ما يفعله البشر حين يقننون لأنفسهم ، ويضعون نظم الحياة على وفق هواهم ، وعلى وفق نظمهم ، ويتركون منهج الله الذى خلقهم وصنعهم ووضع لهم قانون صيانتهم .

وهذا كلام نظرى له واقع في ابن « باعرراه »، هذا الذي آتاه الله العلم، ولكنه أخلد إلى الأرض ولم يتبع ما علم، فانسلخ من المنهج كما تنسلخ الشاة من جلدها وقال فيه الحق:

﴿ فَنَدُهُ مُكُنِّلِ الْكُلِّبِ إِن تَحْمِلْ طَلَّيْهِ يَلْهَتْ أَوْ تَتَرَّكُ يَلْهَتْ ﴾

(من الآية ١٧٦ صورة الأعراف)

ومن يريد أن يرفعه الله إلى السماء بالوحى بالمنهج ثم يهبط إلى الأرض نجد

الحق سبحانه وتعالى يمثل حاله بحال الكلب، مع الفارق بين الاثنين؛ لأن الكلب يلهث غريزة. فهو غير مذموم حين يلهث وهو مطرود، ويلهث غير مطرود فهذه غريزة فيه، ولا يذم على هذه ولا على تلك، لكن الإنسان الذى فطره الله على حب الخير وميز غرائزه بمنهج عقلى يصون حركته ما كان يصح له أن يفعل ذلك ولا ينبغى أن تقولوا: وما ذنب الكلب في أنه يلهث، ويضرب به المثل في الكفر ؟ لأن الكلب يفعلها غريزة، وهو بغير تكليف فيفعل ما يشاء، أما الإنسان الذى ارتفع بفكره وميزه الله بأن يختار بين البديلات ما كان يصح له أن يصل إلى هذا المستوى، ومثل هذا السلوك في الكلب محمود فيه لأن طبيعته هكذا، وإياك أن تقول: لماذا ربنا يضرب المثل بأشياء وما ذنبها هي ؟

والحق - سبحانه - هو القائل عن البهود: ﴿ مَثُلُ الَّذِينَ مُعِلُوا النَّوْرَنَةَ ثُمَّ لَرْ يَحْلُوهَا كُنُلُ الْحِمَارِ يَخْلُ أَسْفَاراً ﴾

(من الآية ٥ صورة الجمعة)

هل الحمار حين يحمل أسفاراً يستحق الذم لأنه لم يفقه ما في الأسفار؟ الجواب لا؛ لأن مهمته ليس منها فقه وفهم ما في الأسفار، بل مهته أن يحمل ما عليه فقط، وكأن الحق يقول: لا تكونوا مثل الحمار الذي يكتفى من الخير بأن يحمله، ولكن أريد منكم أن تحملوا المنهج وأن تنتفعوا بما يحويه من التشريع. إذن فهذه الأمثلة ليست ذماً للكلب، ولا هي ذما للحمار. إنما ذم لمن يتشبه بهما؛ لأنه نزل إلى مرتبة لم يرده الله لها، وأراد الله المثل فيها بشيء لاتذم منه، ولكنه مذموم من الإنسان.

والإنسان الذي لا يتبع منهج الله يكون مضطرب الحركة في الحياة، حتى وإن كان في نعمة، لأنه معزول عن الله، ومادام معزولاً عن الله تجده دائم التساؤل: أيدوم لي هذا النعيم أو لا يدوم ؟ ويعيش دائما في قلق ورعب مخافه أن يفوت النعيم أو ألا يدوم له النعيم، ومثله كالكلب يلهث حال راحته ويلهث حال تعبه.

﴿ ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون ﴾

إذن حين يضرب الله لنا مثلاً من الأمثال الواقعية في هذا الرجل المسمى ابن باعوراء "، فسبحانه يعطينا واقعاً لما حدث بالفعل.

أى أن الذي يريد الله أن يرفعه بما علمه من منهج فانسلخ من دينه فهو مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله، ولستم بدعاً في هذا، فالله يريد أن يرفعكم بمنهج السماء وأنتم تخلدون إلى الأرض، وقد حدث هذا مع ابن باعوراء، وكلمة "مثل" إذا سمعتها هي من مادة الـ "م" والـ "ث" والـ "لام"، وتنطق كما يأتى : إما أن تنطقها مثل ابكسر الميم وسكون الثاء، وإما أن تنطقها مثل لابفتح الميم والثاء، والمثل هو المشابه والنظير، فتقول : فلان مثل فلان في الكرم، في العلم، في الطول، في العرض، وبذلك أعطيت تشبيه ما هو مجهول للمخاطب بما هو معلوم له.

والحق سبحانه يقول:

﴿ لَيْسَ كُفْلِهِ مُنْ اللهِ

(من الآية ١١ سورة الشوري)

أي لا أحد يشبهه في شيء ؟ لأنه مَنزَّه في الذات والصفات والأفعال.

وأيضاً نقول: هذا مثل هذا ، أي أن فلاناً الشبه به يكون أعلى منه فيما يشبهه به ، لكن الناس لا تعرف ذلك . وإن كان المشبه به ذائع الصيت ؛ بحيث يجرى اسمه على كل لسان ؛ فنحن نقول : إنّه مثل ؛ كقولنا عن الكريم : "هو حاتم " لأن شهرة حاتم في الكرم جعلته مثلاً. والفرق أنك إذا قلت في فلان إنه يشبه حاتماً في الكرم ، فقد تكون أول من يخبر عنه ، ولك أن تأتي بواحد له شهرة ذائعة الصيت على كل لسان ؛ فهذا مثل ، كأن تقول : مثل حاتم في الكرم ، أو مثل عنترة في الشجاعة. والمثل في الذكاء إياس ، لأن كل واحد منهم مشهور بصفة ، ولذلك لما مدح الشاعر (١) الخليفة (٢) قال فيه :

(١) ابن تمام (٢) احمد بن المعتمم

إقدام عمرو (١) (في شجاعته) في سماحة حاتم (أي الطائي) في حلم أحنف (الأحنف (٢) بن قيس وكان مشهوراً بالحلم عند العرب) وفي ذكاء إياس (٣). وقال رجل من القوم: كيف تُشبّهُ الأمير بصعاليك العرب؟ إن الأمير فوق من ذكرت جميعاً.

ما عمرو بالنسبة للأمير؟!

وما حاتم بالنسبة للأمير؟!

فقال الشاعر:

وشبهه المدّاح في الباس والندي

بمن لو رآه كان أصغر خادم

ففي جيشه خمسون ألفأ كعنتر

وفي خُسزنه ألف ألف كحاتم

أى أن عنده أمثال حاتم وأمثال عسرة. فما كان منه إلا أن أسعفته ذاكرته وبديهته ؛ فقال :

"لاتنكروا ضربي لـه من دونه

مثلاً شرودًا في الندي والباس

فالله قد ضرب الأقلل لنوره

مشلا من المشكاة والنبراس

وكأن الشاعر يقول: أنا ضربت بهم الثّل لأنهم أصبحوا المثل المشهور والأمثال لا تنغير.

⁽۱) عمرو بن معدى كرب الزبيدي قارس اليمن (۲) من سادات التابعين كان شهما حليما (۲) كان قامي البصرة ويضرب به المثل في الفطنة والذكاء.

O 11/1 O O + O O O + O O O

وأنت تقدر في المثل، فقد تقول: فلان حاتم، وحاتم انقضى عمره، لكنه قد صار مثلاً مشهوراً في التاريخ، أو تقول: "فلان عنتر"، أو "فلان إياس"، وفي ذلك يرتقى التشبيه، بأن صار المشبّه به مشهوراً معلوماً متوارداً على الألسنة وكل واحد يشبه به.

ويُعرَفون المُثَل بأنه: قول شبّه مورده بمضربه ، أى أنك تشبه الحالة التي قيل فيها المثل أولاً ، ومثال ذلك : حينما أرسل عظيم من عظماء العرب خاطبة اسمها "عصام" لتخطب له أم إياس ؛ فقد بلغه أنها جميلة وأنها وأنها ، فقال : اذهبى حتى تعلمى لى علم ابنة عوف ، فذهبت الخاطبة وخلّت أم الفتاة بينها وبينها ، وقالت لها: يا هذه ، هذه خالتك جاءت لتنظر إلى بعض أمرك فلا تسترى عنها شيئاً أرادت النظر إليه ، من وجه وخلق ، وناطقيها فيما استنطقتك به . ثم أرسلت إلى خباء ، ونظرتها كلها وفحصتها فحصاً شاملاً . فلما عادت إلى من أرسلها ، وكان ينتظرها في شوق وكأنه على أحر من الجمر ، قال لها : "ما وراك يا عصام ؟ "قالت : "أبدى المخض عن الزبّد الى أن الرحلة جاءت بفائدة .

وأصبح العرب بعد ذلك كلما أرسلوا رسولاً ذكرا أو أنثى أو مثنى أو جمعاً ؟ ويعد أن يعود إليهم ويستعلموا منه عن نتيجة رحلته ، فهم يقولون له : "ما وراك يا عصام ؟ " ، ولو كان رجلاً ، لأن الأمثال لا تغير . وكل شيء يجدى الجمهد فيه يقال عنه : "أبدى المخض عن الزبد" . فحين ينجح الولد ويأتى بالمجموع المناسب يقال : "أبدى المخض عن الزبد" .

والحق تبارك وتعالى يقول:

﴿ إِنَّ اللَّهُ لَا يَسْتَحْيِ أَنْ يَضْرِبُ مَشْكُا مَّا بَعُوضَةً أَكَ فَوْقَهَا ﴾

(من الآية ٢٦ سورة البقرة)

وكانوا قد قالوا: كيف يضرب الله المثل ببعوضة ؛ وقال سبحانه:

﴿ لَن يَعْلَقُواْ ذُبّابًا وَلَوِاجْتَمُواْ لَهُمْ ﴾

(من الآية ٧٣ سورة الحج)

لقد فهموا قوله: "فما فوقها" أنها أكبر منها، والمراد غير ذلك؛ لأنه سبحانه ضرب المثل بالأقل؛ لذلك قال: "فما فوقها" من باب فما فوقها في الاحتقار منكم والقلة في الحجم مما تنكرونه، وهو الضالة، وحتى تفهم ذلك نسمع أحياناً: فلان مريض، ويرد السامع وفلان فوقه في المرض، ونجد "فوقه" هنا لا تعنى المرض الأقل، بل المرض الأكثر شدة:

﴿ ذَٰلِكَ مَشَلُ الْقَرِمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِعَا يَتِنا فَاتْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾

(من الآية ١٧٦ سورة الأعراف)

والكلام موجه لليهود: أى أنتم يابنى إسرائيل مَثَلكم مثل الرجل الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها، ولقد جاءت لكم فى التوراة بشارة بمحمد، ووصفته بسمات وعلامات، بحيث إذا رآه الإنسان يعرف أنه الرسول الذى جاء ذكره فى التوراة، ويعرفه الواحد منكم كما يعرف ابناً له، لأنه مذكور لكم بنصه ونعته وشكله وطوله، وعرضه، وكنتم تستفتحون به على العرب، لكنكم امتنعتم عن التصديق بالآيات، وعندما جاءكم بما عرفتم عنه كفرتم به، وصار مثلكم كمثل الرجل الذى آتاه الله الآيات فانسلخ منها. ﴿ ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا ﴾

وهم بعنادهم ويغيهم وكفرهم قد كذبوا بالآيات الكونية التي يراها البصر ؛ السماء والأرض والشمس ، والآيات المعجزات التي يثبت بها الرسول صدق بلاغه عن الله ، وكذلك آيات القرآن التي تحمل منهج الله.

﴿ فاقتصص القصص لعلهم يتفكرون ﴾ وعليك يا محمد أن تقتصص القتصص وأن تقتصص وأنت لن تحكى الأمر التافه، بل ستحكى ما يقال له قصص ويكون فيه عبرة ؛ تنتفع بها حركة المجتمع.

创新原式

ويذيل الحق الآية بقوله تعالى: ﴿ لعلهم يتفكرون ﴾ ، ونعلم أن القرآن قد جاء فيه الأمر بالتفكر والتذكر والتدبر.

والتفكر - كما نعرف - هو عمل العقل في المقارنات بين البديلات المتنوعة ليُرَجّع بديلاً على بديل فتُعقلَ به القضايا.

والتذكر يعنى إن غفلت عن هذا فتذكره ، حتى يزيح عنك الغفلة عن القضية المعلومة.

أما التدبر فهو أيضاً بحث عقلي. فلا تنظر إلى واجهة الأشياء ، بل إلى كلية الأشياء من جميع جهاتها بواجهة وجوانب وخلف ، وما ينتج عنها . وعلى صبيل المثال يقال : انظر خلف العبارة ، لتجد المعنى الخفى فيه ا يقال . والمثال في قول الحق :

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُسْتَحَيَّ أَن يَضْرِبَ مَثَالًا مَّا بَعُوضَةً فَا فَوْقَهَا ﴿

(من الآية ٢٦ صورة البقرة)

وحين تفكرنا وتدبرنا وجدنا أن معنى "فما فوقها" لا يعنى الأعلى منها في القوة، بل الأعلى منها في القوة، بل الأعلى منها في الضعف الذي أنكروه . لذلك لا يجب أن تنظر إلى معنى ومدلول اللفظ حسب ظاهره فقط، بل لما خلف اللفظ، ومعطياته.

﴿ فاقصص القصص لعلهم يتفكرون ﴾ أى يتفكرون في أسلوب توجيه المنهج ؛ لعلهم يؤمنون. وهذه فائدة القصص،

ويقول الحق تبارك وتعالى بعد ذلك :

﴿ سَآءَ مَثَلًا ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِثَايَنِنَا وَٱنفُسَمُمُ مَّ كَانُواْ يَظْلِمُونَ ﴿ يَهِ الْمُعَالِمُونَ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللهُ اللَّهُ اللّهُ اللَّهُ اللَّلَّا اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ الللَّهُ ا

والحق قال فيهم من قبل: إنهم كذبوا بآياتنا، وضرب لهم المثل بابن باعوراه وكان مشهوراً في أيامهم. لكنهم فاقوا ابن باعوراء لأنه كان فرداً وهم جماعة ؛ لذلك لا تقل إن في المسألة تكراراً ؛ لأن المثل من قبل كان على فرد واحد، أوتى آيات الله فانسلخ منها ، ولكنهم كانوا جماعة ، لذلك فانسلاخهم عن المنهج يجعل موقفهم أشد سوءاً.

﴿ ساء مثلاً القوم الذين كذبوا بآياتنا﴾

و"ساء" أى قَبُح ، وحين نقول : ساء فلان ؛ أى قبح أمره ، ولكن أى أمر من أموره هو القبيح ؟ فنقول : ساء صحة أى صار مريضاً أو ساء حالاً أى صار فقيراً ، أو ساء خلقاً أى صار شرساً ، وأنت حين تقول : ساء ، فهذا السوء عام له جوانب متعددة ، ويقتضى الأمر التمييز.

و"ساء مثلاً "أى ساء من جهة المثل ، والمثل فى ذاته لا يسوء؛ لأن الله تعالى يضرب المثل لنا . والمثل إنما يجئ ليبين ويشرح ويوضح . والمعنى هنا : ساء مشلاً حال القوم . أو القوم أنفسهم هم الذين ساء وا . لأنهم حين كذبوا بالآيات ظلموا أنفسهم ، فالتكذيب منهم لم يعرقل منهج الله فى الأرض ، ولم يعرقلوا بالتكذيب شيئا فى كون الله تعالى ، فالكون بنظامه ونسقه يسير بإرادته سبحانه وآيات الكون سائرة . إذن تكذيبهم بآيات الله لن يضير أبداً فى أى شيء . والخيبة إنما تقع عليهم . وإن كان التكذيب فى الآيات المعجزات فقذ بقى ذكر المعجزات إلى الآن . وهم الذين خابوا ، وإن كانوا قد كذبوا بآيات المنهج فهم أيضاً الذين خسروا ولم يصب الآيات الإعجازية أو القرآنية أى شيء . وهم قد ظلموا أنفسهم ومثلهم فى ذلك مثل المريض الذى لم يسمع كلام وهم قد ظلموا أنفسهم ومثلهم فى ذلك مثل المريض الذى لم يسمع كلام الطبيب فإنه يسىء إلى نفسه ولن يضر الطبيب شئ ، والله سبحانه قد أعطانا المنهج لتستقيم به حركة الحياة ، فمن يأخذه ينفع نفسه ، ومن لا يأخذه لن يضر الله شبئاً .

هم إذن ظلموا أنفسهم، ومن يظلم نفسه كان هو أول عدو لها ولن يضر الله شيئاً، ولا الرسول، ولا المجتمع.

@!!!\@@+@@+@@+@@+@@

﴿ وَأَنفُسُهُمْ كَانُواْ يَظْلِمُونَ ﴾

(من الآية ١٧٧ سورة الأعراف)

وحين تجد معمولاً تقدم على عامله - قاعدة نحوية - فاعلم أن هناك مايسمى بالقصر في علم البلاغة، وقد نقول: "يظلمون أنفسهم " ويصح أن تعطف قائلاً: ويظلمون الناس. ولكن حين نقول: أنفسهم يظلمون، فمعنى ذلك أنه لا يتعدى ظلمهم أنفسهم، ويكون الكلام فيه قصر وتخصيص، مثلما نقول: ﴿ لله الأمر من قبل ومن بعد ﴾، أي أن الأمر لا يتعدى إلى غيره أبداً.

ويقول المولى سبحانه وتعالى بعد ذلك :

﴿ مَن يَهْدِ أَلَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَن يُضَلِلْ فَهُو الْمُهْتَدِي وَمَن يُضَلِلْ فَهُو الْمُهْتَدِي وَمَن يُضَلِلْ فَاوْلَتِهِ فَا هُمُ الْفَنسِرُونَ فَ الْحَالِمَ الْحَالِمُ اللَّهُ اللَّهُ الْحَالِمُ اللَّهُ الللَّهُ الللَّا اللَّا اللَّهُ اللَّالِمُ الللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّا

وهذه الآية هي الوحيدة التي جاء فيها قوله سبحانه وتعالى: "المهتدي" -بالياء - بينما جاء المولى سبحانه وتعالى بكلمة "المهتد" - من غيرياء - في آبات متعددة عدا هذه الآية:

واقرأ قوله تعالى : ﴿ وَمَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُو الْمُهْمَدِ ﴾

و يقول الحق : ﴿ فَيَنْهُم مُهَمِّدُ وَكُثِيرِ مِنْهُم فَكَسِمُّونَ ﴾

(من الآية ٣٦ سورة الحديد)

وكذلك تأتى الكلمة بدون "ياه" في قوله سبحانه:

﴿ من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجدله وليّاً موشداً ﴾.

(من الآية ١٧ سورة الكهف)

00+00+00+00+00+00+0

والمعركة الخاصة بقضية الهداية والإضلال قائمة من قديم ، ولا تزال أيضاً ذيول هذه المعركة موجودة إلى الآن، وأوضحنا هذه القضية من قبل ولكننا نكررها للتأكيد ولتستقر في الأذهان، لأن هناك دائماً من يقول: إذا كان الله هو الهادي والمضل، فلماذا يعذبني إن ضللت ؟. وشاع هذا السؤال وأخذه المستشرقون والفلاسفة ويراد منه إيجاد مبرر للنفس العاصية غير الملتزمة. ونقول لكل مجادل: لماذا قصرت الاعتراض على مسألة الضر والعذاب إن ضللت ؟ ولماذا لا تذكر الثواب إن أحسنت وآمنت ؟ . إن اقتصارك على الأولى دون الثانية دليل على أن الهداية التي جاءت لك هي مكسب تركته وأخذت المسألة التي فيها ضرر ، ولا يقول ذلك إلا المسرفون على أنفسهم.

وضرَّبنا من قَبْلُ أمثلة كثيرة. لنفرق في هذه المسائل بين المختلفين؛ لأن الجهة عندهم منفكة. وهم قد باقشوا مسألة "خلق أفعال العباد" وتساءلوا: مَّنْ خلق هذه الأفعال؟ هل خلقها الله أم أن العبد يخلق أفعاله؟.

ونسأل: ما هو الفعل؟. إنه توجيه طاقة لإحداث حدث؛ فطاقة اليد أنها تعمل أيَّ عمل تريده منها؛ قد تضرب بها إنساناً أو تحمل بها إنساناً واقعاً على الأرض، أو تربت بها على اليتيم،

إذن ففى اليد طاقة تصلح لأن تفعل الخير وتفعل الشر، وأنت لحظة أن تضرب إنساناً ؛ فأى عضلة تحركها حين ترتفع اليد لتضرب ؟. إنك بحجرد رغبتك في أن تضرب ، تضرب ؛ عكس الإنسان الآلي حين يرفع شيئاً ، فله أجزاء وأزرار تعمل ، وكلها آلات،

وأنت حين تربت على كتف يتيم ، ما هى الأعضاء والأجهزة التى تحركها لتعمل هذا العمل ؟. إذن فالله هو الذى خلق فيك الانفعال للفعل. فإن نظرت إلى ذلك، فكل فعل من الله، ولكن توجيبه الجارحة إلى الفعل هو محل التكلف.

إذن فأنت تحاسب لأنك فعلت، لا لأنك خلقت؛ لأن خالق الأفعال هو الله سبحانه وتعالى، وأنت تفعل بمجرد الإرادة والاختيار، مثل اللسان فيه طاقة

O1111100+00+00+00+00+0

مخلوقة لبيان ما في النفس ؛ إن أردت أن تقول بها " لا إله إلا الله " صلحت، وصلحت كذلك عند الملحد أن يقول - والعياذ بالله - لا يوجد إله ، واللسان لم يعص في هذه ولا في تلك .

إذن فالذى خلق قدرة الجارحة على الفعل هو الله. وأنت توجه الجارحة ، إذن فكل الافعال مخلوقة لله ، لكن توجيه الطاقة للفعل بالميل والاختيار إنما يكون من العبد . والحق سبحانه وتعالى يهدى الجميع بالمنهج ، ومن يقبل عليه بنيَّة الإيمان ، يعينه على ذلك ، ولذلك لا يصح أن نختلف في مسألة مثل هذه ، وأن نسأل من خلق الأفعال ، بل علينا أن تحدد الأفعال وكيف توجد ، وما دور الإنسان فيها ؛ لأننا نعلم أن الله قد يسلب طاقة الفعل على الأحداث ، مثل من يريد أن يؤذى إنساناً بيده لكنه يصاب بشلل فلا يقدر أن يرفع يده . ولو كان هو الذي يخلق الرفع يده وآذى بها من أراد ، لكنه لا يخلق الطاقة الصانعة للفعل.

وعلى ذلك تكون الهداية نوعين : هداية دلالة ، وهي للجميع ؟ للمؤمن والكافر ؟ لأن الحق لم يدل المؤمن نقط ، بل يدل المؤمن والكافر على الإيمان به ، فمن يُقبل على الإيمان به ؛ فإن الحق تبارك وتعالى يجد فيه أهلا للمعونة . فيأخذ بيده ، ويعينه ، ويجعل الإيمان خفيفاً على قلبه ، ويعطى له طاقة لفعل الخير ، ويشرح له صدره ويبسر له آمره : وصبحانه القائل :

﴿ وَانْقُوا اللَّهُ وَيُعَلِّمُ اللَّهُ ﴾

(من الآية ٢٨٢ سورة البقرة)

ويقول سبحانه وتعالى:

﴿ وَمَن يُضَلِّلْ فَأُولَنَّهِكَ أُمُّ الْخَنْسِرُونَ ﴾

(من الآية ١٧٨ سورة الأعراف)

فإذا كان الله قد عمم حكماً ثم خصصه، فالتخصيص هو الذي يحكم التعميم.

ويقول ربنا عز وجل: إن من شاء هدايته فهو سبحانه وتعالى يعطيه الهداية ،

ومن شاء له الضلال زاده ضلالاً، وقد بين أن من شاء هدايته يهتدى وهذه معونة من الله، والكافر لا يهتدى وكذلك الظالم، والفاسق؛ لأنه سبحانه قد ترك كل واحد منهم لاختياره، وهكذا يمنع سبحانه وتعالى عنهم هداية المعونة. ونقرأ في القرآن الكريم ما يوضح هذه المسألة، فهو سبحانه يقول:

﴿ وَأَمَّا كُورُ فَهُدُينَا لُهُمْ فَأَسْتَحَبُواْ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْمُلَكَىٰ ﴾

(من الآية ١٧ سورة نصلت)

والهداية التي كانت لقوم ثمود إنما هي هداية الدلالة، وليست هداية المعونة.

ويقول سبحانه:

﴿ وَالَّذِينَ اهْتَدُواْ زَادَهُم مُدّى وَعَاتَنْهُم تَقُونُهُم عَلَى فَعَالَنْهُم

(مورةمجيد)

أى أنه سبحانه قد زاد من اختاروا الهداية، بالمعونة وجعل بينهم وبين النار وقاية، والحق سبحانه وتعالى يقول لرسوله:

﴿ إِنَّكَ لا تَهِدِي مَنْ أَحَيْثَ ﴾

(من الآيه ٥٦ سورة القصص)

أي أنك يا محمد لن تعين أحداً على الطاعة لأن هذا أمر علكه ربك.

ويقول سبحانه لرسوله:

﴿ وَإِنَّكَ لَتُهْدِئَ إِنَّ مِرْطٍ مُسْتَغِيرٍ ﴾

(من الآية ٥٢ سورة الشوري)

أى أنك يا محمد تهدى هداية الدّلالة بالمنهج الذي أنزله الله إليك.

إذن إذا رأيت فعلاً أو حدثًا مُثبتاً لواحد ومنفياً عنه . . فاعلم أن الجهة منفكة ، والكلام هنا لحكيم عليم . ولماذا يقول الحق سبحانه :

﴿ مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِى وَمَن يُصْلِلْ فَأُولَنَّهِكَ هُمُ ٱلْخَنْسِرُونَ ۞ ﴾

(سورة الأعراف)

لأن الحق سبحانه وتعالى حين ينصرف عن معونة عبده، فعلى العبد أن يواجه حركة الحياة وحده بدون مدد من خالقه. ويعيش وحالته كرب، سواء كان في يسر مادى أو في عسر. هذا إن اعتبر أن الدنيا هي كل شيء، فإذا أضيف إلى ذلك غفلته عن أن الدنيا معبر للآخرة، فالخسارة تكون كبيرة حقاً.

ويقول الحق بعد ذلك :

﴿ وَلَقَدُّ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ آلِجِهِنَّمَ كَثِيرًا مِنَ آلِجِينَ وَأَلْإِنسِ الْمُمْ قُلُوبٌ لَايَمْ مَعُونَ بِهَا وَلَهُمُّ أَعْيُنُ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمُّ مَعُنُونَ بِهَا وَلَهُمُّ أَعْيُنُ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمُّ مَا فَانَ لَا يَسْمِعُونَ بِهَا أَوْلَتِهِكَ كَالْأَنْعُلِمِ بَلَّ هُمْ أَضَلُّ أَوْلَتِهِكَ عَالْاَنْعُلِمِ بَلَ هُمْ أَضَلُّ أَوْلَتِهِكَ عَالْاَنْعُلِمِ بَلَ هُمْ أَضَلُّ أَوْلَتِهِكَ كَالْأَنْعُلِمِ بَلَ هُمْ أَضَلُّ أَوْلَتِهِكَ عَلَى اللهَ اللهُ وَلَيْهِكَ عَلَى اللهُ اللهُ

وذراً، بمعنى بث ونشر، وقد قال الحق سبحانه وتعالى في أول سورة النساء:

﴿ وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء ﴾

كما يقول الحق أيضا: ﴿ يَذُرُوْكُمْ فَيِهُ ﴾

وهنا يقول الحق سبحانه وتعالى:

﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَمْ كَثِيرًا مِنْ آلِلْنِ وَالْإِنِس ﴾

(من الآية ١٧٩ سورة الأعراف)

ونعرف أن في الكون أشياء عابدة بطبيعتها وهي كل ما عدا الإنس والجن؟ لأن كلا منهما في سلك الاختيار، وهم من يقول عنهم ربنا في سورة الرحمن:

﴿سنفرغ لكم أيها الثقلان ﴾

00+00+00+00+00+0

وذرأنا معناها بثثنا ونشرنا وكثّرنا، وكلمة كثير لا تعنى أن المقابل قليل، فقد يكون الشيء كثيراً ومقابله أيضاً كثير، والحق سبحانه وتعالى يقول في كتابه الكريم :

﴿ أَلَمْ تُرَأَنَ اللَّهُ يَسْجُدُلُهُ مِن فِي السَّمَوْتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمْرُ وَالنَّجُومُ وَإِنْ عَبَالُ وَالشَّجْرُ وَالدُّوآبُ ﴾

(من الآية ١٨ سورة الحج)

إذن كل الكائنات من جمادات ونباتات وحيوانات تسجد لله سبحانه وتسبحه، ولكن الأمر انقسم عند الإنسان فقط، حيث يقول الحق في ذات الآية:

﴿ وَكَنِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَنِيرٌ حَنَّ عَلَبْهِ الْعَذَابُ ﴾

(من الآية ١٨ سورة الحج)

أى هناك كثير بسجدون ويخضعون لله، ومقابل ذلك كثير كفروا ولم يسجدوا وحق عليهم العذاب. وإذا كان المولى تبارك وتعالى يقول:

﴿ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والإنس

فقد يثور في الأذهان سؤال هو:

هل أنت خالقهم يارب لجهنم. ماذا يستطيعون إذن ؟ ولا شيء في قدرتهم مادمت قد خلفتهم لذلك ؟

ونقول: لا. ولنلفت الأنظار إلى أن في اللغة ما يسمى « لام العاقبة »، وهو ما يؤول إليه الأمر بصورة تختلف عما كنت تقصده وتريده؛ لأن القصد في الخلق هو العبادة مصداقاً لقوله الحق تبارك وتعالى :

﴿ وَمَا خَلَقْتُ آبِكُنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِبَعْبُدُونِ ٢٠

(مورة الذاريات)

ومعنى العبادة طاعة الأمر، والكف عن المنهى عنه، والمأمور صالح أن يفعل وألا يفعل، فالعبادة - إذن - تستدعى وجود طائع ووجود عاص، وأضرب هذا المثل ولله المثل الأعلى ومنزه سبحانه وتعالى: يأتى لك من يروى لمحة من سيرة إنسان ويقول لك: لماذا يقف منك هذا الموقف العدائى، أليس هو الذى أخذنه معك لتوظفه؟ فترد عليه: قزرعته ليقلعنى ، هل كان وقت مجيئك به كنت تريده أن يقلعك ؟ لا. ولكن التنبجة والنهاية صارت هكذا.

والحق سبحانه لم يخلق البشر من أجل الجنة أو النار. لكنه عز وجل خلقهم ليعبدوه، فمنهم من آمن وأصلح فدخل الجنة، ومنهم من عصى فدخل النار وهذا اسمه « لام العاقبة »، أي ما صار إليه الأمر غير مرادك منه، ومثال ذلك حينما قال الله سبحانه لأم موسى :

﴿ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْرَمِّ وَلَا تَحْنَافِي وَلَا تَحْزَفِيُ إِنَّا رَآدُوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿ فَالْتَقَعُلُمُ عَالُوا كُونَ لِيَكُونَ لَمُمْ عَدُوا ﴾ الْمُرْسَلِينَ ﴿ فَالْتَقَعُلُمُ عَالُوا لَهُمْ عَدُوا ﴾

(من الآية ٧ ومن الآية ٨ سورة القصص)

هل التقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً ؟ لا، لأن زوجة فرعون قالت :

﴿ قُرْتُ عَيْنِ لِي وَلَكُ لَا تَقْتُ لُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَّا ﴾

(من الآية ٩ سورة القصص)

فقد كانت علة الالتقاط . إذن - هي أن يكون قرة عين ، لكنه صار عدواً في النهاية ، وهذا اسمه - كما قلت - لام العاقبة .

وهكذا لا تكون علة الخلق أن يدخل كثير من الجن والإنس النار، في قوله الحق:

﴿ ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والإنس ﴾

لأن علة الخلق في الأصل هي العبادة، والعبادة تقتضي طائعاً وعاصياً، فالذي يطيع يدخل الجنة، والذي يعصى يدخل النار، ولله المثل الأعلى، أذكركم بالمثل الذي

THE YEAR

ضربته من قبل حين يسأل وزير التعليم مدير إحدى المدارس أو عميد كلية ما عن حال الدراسة والطلبة فيقول العميد أو المدير: إننا نعلم جيداً من هم أهل للرسوب ومن هم أهل للنجاح وإن شئت أقول لك عليهم وأحددهم، لم يقل العميد أو المدير ذلك لأنه يتحكم في إجابات الطلبة، ولكنه علم من تصرفاتهم ما يؤولون إليه، والعلم صفة انكشاف لا صفة تأثير، وعلى ذلك فإن قوله تعالى:

﴿ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الحن والإنس

يعنى أننا نشرنا وبثثنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس، وهم من يعرضون عن منهجنا، ثم يأتي الحق بالحيثيات لذلك وهي أولا:

﴿ لَمُ مُ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ إِمَا ﴾

: أيناش

و وَهُم أعين لا يبيعمرونَ بِهَا ﴾

: أثالئ

﴿ وَلَمْ مُ اذَانٌ لَا يُسْمَعُونَ بِهَا ﴾

(من الآية ١٧٩ سورة الأعراف)

(من الآية ١٧٩ سورة الأعراف)

(من الآية ١٧٩ سورة الأعراف)

ولقائل أن يقول: إن كانت قلوبهم مخلوقة بحيث لا تفقه فما ذنبهم هم ؟ . ومادامت عيونهم مخلوقة بحيث لا ترى فما ذنبهم ؟ وكذلك مادامت الأذان مخلوقة بحيث لا تسمع فلماذا يعاقبون ؟ . ونقول: لا ، لم يخلقهم الله للعذاب ، لكنهم انشغلوا بما استحود عليهم من شهواتهم ، وصارت عقولهم لا تفكر في شيء غيره وتخطط فقط للحصول على الشهوة ، وكذلك العيون لا ترى إلا ما يستهويها ، وكذلك الأذان . وكل منهم يرى غير مراد الرؤية ، ويسمع غير مراد السمع .

والفرق بين فقه القلب ورؤية العين وسماع الأذن . . أن فقه الفلب هو فهم القضايا التي تنتهي إليها الإدراكات. ونعلم أن الإدراكات تأتي بواسطة الحواس

@EEW@@+@@+@@+@@+@@

الخمس، فنحن نعرف أن الحرير ناعم باللمس، ونعرف أن المسك رائحته طيبة بالشم، ونعلم أن العسل حلو الطعم بالذوق.

إذن لكل وسيلة إدراك، وهي من المحسّات، وبعد أن تتكون المحسّات وبعد أن تتكون المحسّات بمتلك الإنسان خميرة علمية في قلبه وتنضج لتصير قضية عقلية منتهية ومسلماً بها.

وكلنا يعرف أن النار محرقة؛ لأن الإنسان أول ما يلمس النار تلسعه، فيعرف أن النار محرقة، ويتحول الإدراك إلى إحساس ثم إلى معنى، إذن فالمعلومات وسائلها إلى النفس الإنسانية وملكاتها الحواس الظاهرة، وهناك حواس أخرى غير ظاهرة مثل قياس وزن الأشياء بالحمل. وقد انتبه العلماء لذلك واكتشفوا حاسة اسمها حاسة العضل؛ لأنك حين تحمل شيئا قد تجهد العضلة أكثر إن كان الحمل ثقيلاً.

وحينما ترى واحداً من قريب وواحداً من بعيد، فهذه اسمها حاسة البعد، وكذلك حاسة البين وهي التي تميز بها سمُك القماش مثلاً.

كل الحواس - إذن - تربى المعانى عند الإنسان وحين تربى المعانى في النفس الإنسانية تتكون القضايا التي تستقر في القلب.

ولذلك يمتن الحق سبحانه وتعالى على خلقه بأنه علمهم فقال تعالى:

﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أَمْهَنِيكُ لَا تَعْلَمُونَ شَيْعًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَلَّ

وَالْأَنْفِدَةُ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ١

(سورة النحل)

ونعود إلى قول الحق تبارك وتعالى:

﴿ لهم قلوب لا يفقهون بها ﴾

والفقه هو الفهم، ويصير الفهم قضية مرجحة انتهى إليها الاقتناع من المرائي والمحسّات، لكنّ هؤلاء الكافرين لا يرون بأعينهم إلا هواهم، وكذلك لا تسمع

آذانهم إلا ما يروق لهم، فلا يستمعون إلى هدى، ولا يلتفتون إلى الآيات التى يستدلون بها على الخالق فتعيش قلوبهم بلا فقه، فهم إذن لهم قلوب وأعين وآذان بدليل أنهم فقهوا بها ومسمعوا بها ورأوا بها الأشياء التى تروق لانحرافهم.

ويصف الحق تبارك وتعالى هؤلاء فيقول :

﴿ أُولَيْكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَيْكَ هُمُ الْفَافِلُونَ ﴾

وهنا وقفة لإثارة سؤال هو: ما ذنب الأنعام التي يُشبه بها الكفار؟ إن الأنعام غير مكلفة وليس لأى منها قلب يفقه أو عين تبصر آيات الله أو آذان تسمع بها آيات الله. هي فقط ترى المرعى فتذهب إليه، وترى الذئب فتفر منه، وتتعود على أصوات تتحرك بها، وكافة الحيوانات تحيا بآلية الغريزة، ويهتدى الحيوان إلى أموره النافعة له وإلى أموره الضارة به بغريزته التي أو دعها الله فيه، لا بعقله.

والإنسان منا لا يبتعد عن الضر إلا حين يجربه ويجد فيه ضرراً. لكن الحيوان يبتعد عن الضر من غير تجربة بل بالغريزة، لأن الحيوان ليس له عقل وكذلك ليس له قدرة اختيار بين البديلات، وفطره الله على غريزة تُسيّرهُ إلى مقومات صالحة، ومثال ذلك: أنه قد يوجد الحيوان في بيئة ما، ويعطى الله له لوناً يماثل لون هذه البيئة ليحمى نفسه من حيوانات أقوى منه.

ومثال آخر: نحن نعلم أن الحيوان مخلوق لينفع الإنسان، ولابد أن يتناسل ليؤدى ما يحتاج إليه الإنسان من ذرية هذا الحيوان ويمارس الحيوان العملية الجنسية كوسيلة للتناسل وليست كما هي في الإنسان، حيث تصير في بعض الأحيان غاية في ذاتها، بجانب أنها وسيلة للنسل. ولذلك نجد كثيراً من ظواهر الحياة المتعلقة بالإنسان قد تعلمها من الحيوان مثلما قال الحق تبارك وتعالى:

﴿ فَبَعْثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْعَثُ فِي ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَّهُ كُنْتُ يُورِي سَوْءَةَ أَخِيهِ ﴾

إذن فالغراب مَهْدى بغريزته إلى كل متطلباته ، ولذلك نجد من يقول : كيف نشبه الضال بالأنعام ؟ نقول : إن الضال يختلف عن الأنعام فى أنه يملك الاختيار وقد رفع فوق الأنعام ، لكنه وضع نفسه موضع الأنعام حيث لم يستخدم العقل كى يختار به بين البدائل . وبذلك صار أضل من الأنعام ، وكلمة * أضل * تبين لنا أن الأنعام ليست ضالة ، لأنها محكومة بالغريزة لا اختيار لها فى شى م . لكن الكفار الذين ذراهم ربنا لجهنم من الجن والإنس ، لا يعرفون ربهم ، بينما الأنعام ، والجمادات والنباتات تعرف ربها لأن الحق يقول :

﴿ وَإِن مِن ثَنَّ وِ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ ، وَلَكِن لَّا تَفْقُهُونَ تَسْبِحَهُم ﴾

(من الآية ٤٤ سورة الإسراء)

إذن فالأنعام تعرف ربنا وتسبحه وتحمده . وفي آية أخرى يقول المولى تبارك وتعالى :

﴿ كُلُّ قَدْ عَلِمَ مَسَلَّاتُهُ وَتَسْبِحُهُ ﴾

(من الآية ٤١ سورة النور)

وعلى ذلك فكل الجماد - إذن - يعلم صلاته وتسبيحه.

ولذلك قصصنا قصة من قصص العارفين بالله حين يجلسون مع بعضهم البعض كوسيلة تنشيط إلى غايات وأهداف سامية. والعارف بالله من هؤلاء الصالحين يستقبل الأحسن منه في العبادة بالضحك، أما الأحسن منه في أمور الدنيا فيستقبله و بالتكشير ، وقال واحد منهم لآخر: أتشتاق إلى ربك ؟ فرد عليه: لا.

تساءل الآخر: كيف تقول ذلك؟ .

قال له : نعم . إغا يُشتَاقُ إلى غائب .

﴿ أَوْلَتُهِكَ كَأَلَانُعُمْ بَلْ مُمْ أَضَلَّ أَوْلَتُهِكَ مُمُ الْغَنْفِلُونَ ﴾

(من الآية ١٧٩ سورة الأعراف)

ولا تظنن أن الضلال لعدم وجود منهج، أو لعدم مُذَكِّر، أو لعدم وجود مُنذر أو مُبَشِّر. بل هي غفلة منهم، فالأمور واضحة أمامهم، لكنهم يهملونها ويغَفُلون عنها.

ويقول الحق بعد ذلك :

﴿ وَيِلْمَوا لَا شَمَاءُ الْمُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا اللَّهِ بِنَ يُلْحِدُونَ مَا كَانُوا يُعْمَلُونَ ﴿ شَيْجُزُونَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿ إِلَيْهِ اللَّهِ اللَّهِ

وحين يقول المولى سبحانه وتعالى ﴿ ولله الأسماء الحسنى ﴾ نقول: إنه لا يوجد لغير الله اسم يوصف بأنه من الحسنى، إن قلت عن إنسان إنه « كريم »، فهذا وصف، وكذلك إن قلت إنه « حليم »، وكلها صفات عارضة في حادث، ولا تصير أسماء حسنى إلا إذا وصف الله بها. فأنت - مثلا - لك قدرة تفعل أفعالاً متعددة، ولله قدرة، لكن قدرتك حادثة من الأغيار، بدليل أنها تسلب منك لتصير عاجزاً، أما قدرة الله تعالى فلها طلاقة لا يحدها شيء. فهى قدرة مطلقة. وأنت قد تكون غنياً، لك غنى، ولله غنى، لكن ثراك محدود، وأما غشى الله فإنه غير محدود،

إذن الأسماء الحسني على إطلاقها هي لله، وإن وجدت في غيره صارت صفات محدودةً مهما اتسعت.

﴿ ولله الأسماء الحسني فادعوه بها ﴾

والحسنى.. تأنيث لكلمة «الأحسن» اسم تفضيل، وهى الأسماء الحسنى فى صلاحية الألوهية . وحين تقول عنه سبحانه: إنه «رحيم»، فهذا أمر حسن عندى وعندك لأننى أنظر إلى رحمته لى، وأنت تنظر إلى رحمته لك، وأنت تنظر إلى رحمته لك. وحين تقول: «غفار»، فأنت وأنا وكل من يسمعها تعود عليه.

O!!//OO+OO+OO+OO+OO+O

وحين تقول: " قهار " وأنت مذنب ستخاف، وهي صفة حسني بالنسبة للإله؟ لأن الإله لابد أن تكون له صفات جمال وصفات جلال، فصفات الجمال لمن أطاع، وصفات الجلال لمن عصى. ولذلك لا تأخذ النعم بمدلولها عندك، بل خذ النعم بمرادات الله تعالى فيها.

وساعة يتكلم الحق سبحانه وتعالى قائلا:

﴿ سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيْهُ النَّقَلَانِ ﴿ فَبِأَيِّ الآورَبِكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿ يَنَمُعُمُّرُ الْحِنِ وَالْإِنِسِ إِن اسْنَطَعْتُمُ أَن تَنفُلُواْ مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَّتِ وَالْأَرْضِ فَانفُذُواْ لَا تَنفُدُونَ إِلَا يَسِلُطُونِ ﴿ وَالْأَرْضِ فَانفُدُواْ لَا تَنفُدُونَ إِلَا يَسِلُ عَلَيْكُما شُواظ مِن نَارِ وَعُمَاسُ بِسُلُطُونِ ﴿ فَانفُدُوا لَا مَن نَارِ وَعُمَاسُ بِسُلُطُونِ ﴿ فَيَا يَا اللّهِ وَرَبُّكُما تُكَذِّبَانِ ﴿ وَيَمُا تُكَذِّبَانِ ﴿ وَاللّهِ مَن نَارِ وَعُمَاسُ فَلَا تَنتَصِرُانِ ﴿ فَي فَإِلَّى عَالًا ورَبِّكُما تُكَذِّبَانِ ﴿ ﴾ فَلَا تَنتَصِرُانِ ﴿ فَا فَاللّهُ ورَبِّكُما تُكَذِّبَانِ ﴾

(سورة الرحمن)

فهل إرسال الشواظ من النار والنحاس نعمة يقول بعدها: « فبأى آلاه ربكما تكذبان » ؟

نقول: نعم، هى نعمة كبيرة، لأنه سبحانه وتعالى ينبهنا قبل أن توجد النار، أن النار قوية، ويعطى لك نعمة العظة والاعتبار. وعظته وتنبيهه - إذن - قبل أن توجد النار نعمة كبرى، وأيضاً هى نعمة بالنسبة للمقابل، فحين يطيعه المؤمنون فى الدنيا ويلزمون أنفسهم بمنهج الله، فلهم ثواب حق الالتزام، والمقابل لهم الذين لم يلتزموا وأخذوا الخروج عن المنهج غاية، يتوعدهم سبحانه بالعقاب، وهذه نعمة كبرى

﴿ ولله الأسماء الحسني قادعوه بها ﴾

والحق سبحانه وتعالى عرفنا اسمه بالبلاغ منه، لأننا قد نعرف مسماه من

○○+○○+○○+○○+○○+○!!AY○

القوى القادرة وهى التى تعرف بالعقل، لكن العقل لا يقدر أن يعرف الاسم. وسبق أن قلت: لنفترض أن أناساً يجلسون فى حجرة ثم طرق الباب. هنا يجمع الكل على أن طارقاً بالباب، لكن حين دخلوا فى التصور اختلفوا، فواحد يقول: إن الطارق رجل، فيرد الآخر: لا إنها امرأة لأن نقرتها خفيفة، ويقول ثالث: هذه النقرة على الباب تأتى من أعلاه وهى دليل على أن الطارق ضخم، وهو نذير لأنه يطرق بشدة، ويختلف تصور كل الحضور عن الطارق، ولا أحد يعرف اسمه. إذن حين تربد أن تعرف من الطارق، فأنت تسأله من أنت؟ فيقول لك واسمه .

إذن فإن الاسم لا يدرك بالعقل. ومن خلق الخلق كله قوى، قادر، حكيم، عليم، لأن عملية الخلق تقتضى كل هذا. أما اسم الله. فهذه مسألة لا يعرفها العقل وتحتاج إلى توقيف، إذن فأسماء الله تبارك وتعالى توقيفية، فحين يقول لنا: هذه أسمائي فإننا ندعوه بها، وما لم يقل لنا عليه لا دعوة لنا به، و لذلك يقول تعالى: ﴿ فادعوه بها ﴾

فإذا أنت نقلت هذا إلى غيره. فأنت تدعو بالأسماء الحسنى سواه، مثلاً كذاب اليمامة مسيلمة سمى نفسه الرحمن، وبذلك ألحد في اسم الله حيث نقل أحد أسماء ربنا إلى ذاته، ومثله فعل غيره، ألم يسموا «اللات» من الله ؟. ألم يسموا «مناة» من المنان ؟. كل هؤلاء ألحدوا في أسماء الله التي لا ندعو غيره بها، ولذلك ورد عنه صلى الله عليه وسلم قوله في دعآته: اللهم إنى عبنك وابن عبنك وابن أمتك ناصبتي عليه وسلم قوله في دعآته: اللهم إنى عبنك وابن عبنك وابن أمتك ناصبتي بيدك ماض في حكمك، عدل في قضاؤك أسالك بكل اسم هو لك، سميت بيدك ماض في حكمك، عدل في قضاؤك أسالك بكل اسم هو لك، سميت علم الغيب عندك أن تجعل القرآن ربيع قلبي ونور صدرى وجلاء همي وذهاب حزئي وغمي (۱).

إذن فهذه الأسماء وضعها ربنا لنفسه ، لأنها لا تعرف بالعقل . أما إذا نظرت إلى الأوصاف ؛ لأنه تعالى المراء الأوصاف ؛ لأنه تعالى (١) رواه الإمام أحمد في مسنده وابن حبان والعاكم في المستدك.

Q11/700+00+00+00+00+0

خلق الكون بمحكمة وتدبير وقدرة. وأضرب هذا المثل - ولله المثل الأعلى - نحن نؤسس مصانع كثيرة وكبيرة لتصنع المصابيح، فنصنع زجاجاً ونفرغه من الهواء، ونضع داخله أسلاكا تتحمل ذبذبة الكهرباء، وبعد استخدام هذه المصابيح لفترة تفسد، بينما الشمس تضىء الكون كل هذا العمر، من بدء الخلق، ولا تحتاج منا إلى قطعة غيار،

وحين نقول هو: «حكيم»، نقولها ونرى أثر ذلك في حركة الكواكب التي تسير منسجمة، وكل كوكب يدور في فلكه ولا يصطدم بأخر، وهذا دليل على أن الكواكب قد خلقت بحكمة.

وينبهنا الحق سبحانه وتعالى أن ندعوه بالأسماء الحسنى في قوله: ﴿ ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها ﴾ لأنه يريد من خلقه دائماً أن يذكروه؛ لأنه هو الرب الذي خلق من عَدَم، وأمد من عُدُم، وصان الخلق بقيومية، وحين تأتى لك حاجة وجب عليك أن تذكر أسماء الله الحسنى وتنادى الله بها، وحين تريد أن تتقرب إلى الله لا تناديه إلا بالاسم الذي وضعه لنفسه وهو « الله »، لأن هذا هو اسم علم على واجب الوجود، وأسماء الله الحسنى كلها صفات وصلت إلى مرتبة الأسماء، وهناك أسماء تدل على مجموع الصفات.

ولله المثل الأعلى: أنت تقول: قزيد عفيعرف السامع أن هذا اسم علم على شخص اسمه زيد، ثم له صفات أخرى، كأن يكون تاجراً، أو عالماً متفقها في العلم، أو مهندساً. لكن الاسم العلم هو زيد وهو الذي لا يشترك معه أحد من معارفك فيه وهو زيد، لكن الصفات الأخرى قد يشترك معه فيها غيره،

والأسماء لله نوعان، اسم يدل على ذات الله، الذات المجردة عن أى شىء وهو الله، ولكن هناك صفات لله مثل الرحمن والرحيم والملك والقدوس والسلام والمؤمن والمهيمن، وهذه صفات ارتقت فى السمو والعلو لأنه لا أعلى منها، حتى أصبحت إذا أطلقت إطلاق الكمال الأعلى لا تنصرف إلا لله. فصارت أسماء.

قد نقول فلان غني، وفلان كريم، وفلان حكيم، لكن الغني على إطلاقه هو لله تعالى.

00+00+00+00+00+0(!!!!

والأسماء الحسنى ناشئة من صفات مبالغة فى العلو فيها، لأنه سبحانه الأكمل فيها وهى فى الأصل صفات لها متعلقات فعلية، وهذه نوعان اثنان: نوع يطلق على الله منها اسم ومقابله، ونوع يطلق عليه الاسم ولا يطلق عليه المقابل، ونأتى بصفة شبيهة بالاشتقاق، فنقول: «غنى »، ونقول: «مغنى وجدت بعد وجود من فهو غنى فى صفة ذاته قبل أن يوجد من يُغنيه، ومغنى وجدت بعد وجود من يُغنيه من عباده، وسبحانه حى فى ذاته، ومحيى لنيره، والإحياء صفة فعل فى الغير، ولابد لها من مقابل، فنقول: محيى وعيت. ولم نقل حى ومقابله، الغير، ولابد لها من مقابل، فنقول: محيى وعيت. ولم نقل حى ومقابله، إذن فالاسم الذى ترى له مقابلاً هو صفات الفعل، أما صفات الذات فهى التي لا يوجد لها المقابل. ويلحدون فى أسماء الله أى يُميلونها إلى غير الله وينقلها للواحد منهم لغير الله أو يأتى باسم للغير ويطلقه على الله، أو يطلق اسماً ليس له معنى أو لا يُفهم منه أى معنى على الله، أو يأتى باسم للغير ويطلقه على الله،

﴿ وذروا الذين يلحدون في أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون ﴾

ونعلم أن " العمل " هو اسم للحدث من أي جارحة ؛ فنطق اللسان عمل ، وشم الأنف عمل ، ونعلم أن هناك مايسمي بـ [قول وفعل]، والقعل عمل الجوارح ما عدا اللسان؛ والقول عمل اللسان، والاثنان يطلق عليهما عمل ، ولذلك يقول الحق: تبارك وتعالى في صورة الصف:

﴿ لِرَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾

إذن فالقول مقابله الفعل ، والجزاء هنا على الفعل والقول لأن كليهما عمل. وإذا كان لله أسماء كثيرة ، فهل يجوز لنا أن نأخذ من فعل الله في شيء اسماً له ؟ وخصوصاً انه القائل :

﴿ وَعَلَمْ عَادَمَ الْأَسْمَاءَ كُلُّهَا ﴾

O11/10 OC+OC+OC+OC+OC+OC

وهو القائل أيضاً :

﴿ وَعَلَّمَكُ مَالَّ تَكُن تَعْلَمُ ﴾

(من الآية ١١٣ سورة النساء)

هل يمكن أن نقول: إن الله معلم ؟ وهل يصبح أن نأخذ من قوله:

﴿ وأكبد كبداً ﴾

(مبورة الطارق)

اسماً هو كائد؟

لا يجوز ذلك لأن أسماء الله توقيفية ، وإن رأيت فعلاً منسوباً لله فقف عند الفعل فقط ولا تأخذ منه اسماً لله تعالى.

ويقول الحق بعد ذلك :

﴿ وَمِمَّنَ خَلَقْنَا أَمَّةً يَهُدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ عَلَى وَمِمَّنَ خَلَقْنَا أَمَّةً يَهُدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ عَ اللهِ عَلَيْهِ اللهِ عَلَيْهِ اللهِ اللهِ عَلَيْهِ اللهُ عَلَيْهِ اللهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ اللهِ عَلَيْهِ عَلِيهِ عَلَيْهِ عَلِي عَلَيْهِ عَلَيْ عَلَيْهِ عَلَا

وبعد أن قال مبحانه: "ولقد ذر أنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس" أراد أن يطمئن أهل منهج الله ، فلم يقل: "كل الناس" ، بل كثير من الجن والإنس" ، وعرفنا المقابل يكون كثيراً أيضاً بدليل قوله تعالى في سورة الحج: ﴿ وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب ﴾ أي كثير من الناس يسجدون لله وكثير حق عليهم العذاب ،

ويعنى قول الحق تبارك وتعالى :

﴿ وَمِنْ خَلَقْنَا أَمَةً يَهِدُونَ بِالْمُنِّي وَهِم يَعْدِلُونَ ﴿ فَ لَهِ مَا يَعْدِلُونَ ﴿ ١٠ ﴾

(سورة الأعراف)

أن كون الله لايخلو من هداة مهديين، لتستمر الأسوة السلوكية في المجتمع.

والأسوة السلوكية في المجتمع هي التي تربي عقائد المواجيد عند الصغار، فالصغير لا يعرف كيف يصلى، ولا كيف يصوم، ولا يميز بين الكذب والصدق ولكنّه يتعلم بالتقليد لوالديه، فالطفل حين يرى والده وأمه ساعة يوّدن للصلاة يقوم كل منهما إلى الوضوء وأداء الصلاة، هنا يتعلم الطفل كيفية المسلاة، وحين يتكلم إنسان في سيرة آخر، يقول الأب أو الأم: لا داعي للخوض في سيرة الآخرين حتى لا نحبط حسناتنا؛ بذلك يتعلم الطفل كيف يصون لسانه عن الخوض في سيرة الغير، لأن الأسوة السلوكية تنضح عليه، بدليل أن الصغير الذي لم يبلغ مبلغ الفهم إذا سمع المؤذن بعد ذلك يقوم من بدليل أن الصغير الذي لم يبلغ مبلغ الفهم إذا سمع المؤذن بعد ذلك يقوم من نفسه ليُحضر سجادة الصلاة ويقلد والده ووالدته.

ونفهم من قوله تعالى : ﴿ وَبِهُ يَعْدُلُونَ ﴾

إنهم في حكمهم على الأشياء يقيمون العدل بالحق ، أو أن يكون العدل هو · نفى الشرك، وقد يكون العدل في مسألة الكبائر، أو يقيمون العدل في مسألة الحقوق بين الناس.

﴿ وبمن خلقنا أمة ﴾

وقوله في الآية الكريمة: "أمة" يعنى أن صفات الكمال المنهجية أكثر من أن يحيط بها واحد لينفذها كلها ، فكل واحد له جزء يقوم به ، فهناك من يتميز بالصدق ، وآخر في الشجاعة، وثالث في الكرم ، وهكذا تبقى الأسوة في مجموع الصفات الحسنة، وقد ميز الله سيدنا إبراهيم – على نبينا وعليه السلام – فقال :

﴿ إِنَّ إِبْرَاهِم صَحَانَ أَمْدُ قَانِتًا لِلْهِ حَنِيفًا وَلَدْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ١٠٥٥ ﴾

(سورة النحل)

أى أنه جامع لخصال الخير التي لا توجد إلا في مجتمع واسع، ﴿ وعمن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون ﴾

وأى أمة من أم الأرض - إذن - هي التي تهدى بالحق؟ لقد قال سبحانه في قوم موسى!

﴿ وَمِن قُومٍ مُومَىٰ أَمَّةً يَهَدُونَ بِالْحَقِّ ﴾

(من الآية ١٥٩ سورة الأعراف)

ثم جاءت أمة محمد صلى الله عليه وسلم ولا رسول بعده، لذلك تظل هذه الأمة المسلمة مأمونة على صيانة منهج الله إلى قيام الساعة.

فإذا رأيت إلحاداً انتشر فاعلم أن لله مدداً ، وكلما زاد الناس في الإلحاد، زاد الله في المدد، وحتى إن صارت بلد مسلمة غارقة في الفسق فقد يكون فيها واحد يجمع كل هذه الصفات الكريمة الهادية إلى الحق لتبقى شريعة الله مصونة بالسلوكيين التابعين لمنهج الله.

إذن فالحق سبحانه وتعالى ترك للفساد أن يصنع الشر ، ولسائل أن يسأل : ما لزوم هذا الشر في كون خلقه الله على هيئة محكمة ؟ نقول! لولا أن الناس يضارون بالشر؛ لما تنبهوا إلى حلاوة الخير، ولو أن الإنسان لم يصب من أصحاب الباطل بسوء؛ ما تحمس للحق أحدٌّ، ولا عرف الناسُ ضرورة أن بتأصل الحق في الوجود ، فللشر - إذن - رسالته في الوجود. وهو أن يهيج إلى الخير ، فكما ذرأ الله لجهنم كثيراً من الجن والإنس؛ أوضح سبحانه وتعالى في قوله: ﴿ وَكُنَّ خَلَقْنَا أَمَّةً يَهِدُونَ بِالْحَقِّ ، وَبِهُ يَعَدُلُونَ ﴾ في الحكم، عدلاً في القمة؛ وهو ألا يشركوا بالله شيئاً ، لأن أول مخالفة لقضية العدل هي مخالفة الشرك وهو ظلم عظيم، فالشرك والعياذ بالله ينقل الأمر من مستحقه إلى غير مستحقه، وكذلك تحريم ما أحل الله ، أو حل ما حرم الله، وكل ذلك ظلم، وكذلك عدم حفظ التوازن في الحقوق بين الناس، فإن لم يحصن العدل بحفظ الحقوق بين الناس من حاكم وولى ومسلط ؛ سنجد كل إنسان وهو يضن بجهده في الحياة يكتفي بأن يصنع على قدر حاجته بحيث لا يترك للظالم أن يأخذ منه شيئاً، فلا يتحرك في الحياة إلا حركة محدودة، ولا يعمل إلا بقدر ما بكفيه فقط، فإذا ما حدث ذلك؛ فلن يجد الضعاف الذين لا يقدرون على الحركة الإنتاجية أي فائض ليعيشوا به.

إذن أراد الله أن يضمن بالعدل عرق وتعب كل واحد. فأوضح له أن ما تكسبه من حل هو ملك لك. لكن لله حق فيه، وأنت لك الباقى، حتى يجد الضعيف الذى لا يقدر على حركة الحياة من يقيته. ولذلك يحذرك المنهج الإيماني بقوله: إياك أن تستكثر أن تدفع للضعيف، لأن قُوتَك التي استعملتها في تحصيل هذا المال إنما هي عرض لا يدوم لك، فإن أخذنا منك وأنت قوى قادر على الحركة، سنأخذ لك حينما تكون عاجزاً لا تقدر على الحركة، وذلك هو التأمين والعدالة.

وبالنسبة للأمة في تلك الآية ﴿ وعمن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون﴾

فقد جاء في الآثار أن المراد بالأمة في هذه الآية الأمة المحمدية ، قال قتادة : بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : إذا قرأ هذه الآية : هذه لكم وقد أعطى القوم بين أيديكم مثلها ومن قوم موسى أمة يهذون بالحق وبه يعدلون (1)

ويخاطب النبي صلى الله عليه وسلم صحابته بقوله: هذه لكم، أي في أمتكم ويؤكد ذلك قول الله سبحانه وتعالى:

﴿ كُنتُمْ خَيْرُ أُمَّةٍ أُمِّرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُونِ وَتُنهُونَ عَنِ ٱلْمُنكِرِ ﴾

(من الآية ١١٠ سورة ال همران)

وكلمة "للناس" هنا تفيد أن الله لم يجعل خيرية الأمة المحمدية وهي أمة الإجابة للمؤمنين فقط، بل جعل خيريتها للناس جميعاً ؟ مؤمنهم وكافرهم.

﴿ وعمن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون ﴾

وذكر " أمة ' لأن خصال الخير لا يمكن أن تجتمع في إنسان واحد، بل كل واحد يأخذ لمسة من خير، هذا فيه ذكاء، وذاك فيه شجاعة، وذاك عنده مال، وذلك له خلق. فكأن الأمة المحمدية قد وجد في أفرادها ما يجمع المواهب

(١) تفسير ابن كثير المجلد الثاني، والطبري المجلد السادس،

O15/100+00+00+00+00+0

الصالحة للخلافة في الأرض.

ويأتى الحق بعد ذلك بعقابلهم، لأن مجىء الشيء بمقابله أدعى إلى أن يتمكن من النفس فيقول سبحانه:

وَالَّذِينَ كُذَّبُواْيِتَا يَلِيْنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنَ عَلَيْهِ وَالَّذِينَ كُذَّبُواْيِتَا يَلِيْنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ اللهِ اللهِ

(سورة الأعراف)

وهؤلاء هم المقابلون للذين خلفهم الله أمة يهدون بالحق وبه يعدلون، والآيات جسمع آية، وقلنا: إن الآيات التي في الكون ثلاث؛ آيات تنظرها لتهتدى بها إلى من صنع ذلك الكون المترامي الأطراف بتلك الدقة العظيمة، وذلك الإحكام المتقن، آيات تلفتك مثل الليل والنهار والتسمس والقمر، وكذلك آيات تخرق ناموس الكون لتثبت صدق الرسول بالبلاغ عن الله، وآيات قرآنية تحمل منهج الله، والذين كذبوا بآيات الله الكونية ولم يعتبروا بها، ولم يستنبطوا منها وجود إله قوى قادر حكيم، وكذبوا الآيات المعجزات لصدق النبوة. وكذلك كذبوا آيات القرآن فلم يعملوا بها، ولم يتمكوا بها وهولاء يلقون الحكم من الله فلن يدخلهم الحق النار فقط، بل لهم عذاب أقرب من ذلك في الدنيا، لأن المسألة لو أجلت كلها للآخرة هو من سيحيا بأدب من ذلك في الدنيا، وتكون حركته جميلة متوافقة مع المنهج، عكس من يعربد في الكون؛ لذلك لابد أن يأتي العقاب لمن يعربد في الكون أثناء الحياة الدنيا، وسبحانه وتعالى القائل:

﴿ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَّمُواْ عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ ﴾

(من الآية ٤٧ سورة الطور)

أي أن لهم عذاباً قبل الآخرة.

ويقول الحق بعد ذلك عن العذاب في الدنيا:

00+00+00+00+00+0

﴿ والذين كذبوا بأياتنا سنستدرجهم من حيث لا يعلمون ﴾

رحين تقول: أنا استدرجت فلانا، فأنت تعنى أنك أخذت تحتال عليه حتى يقر بما فعل، مثل وكيل النيابة حين يحقق مع المجرم، ويحاصره بالأسئلة من هنا، ومن هناك، إلى أن يقر ويعترف، وهذا هو الاستدراج. و "الاستدراج" من الدرج ونسميه في لغتنا اليومية "السلم" وهو وسيلة للانتقال من أسفل إلى أعلى ومن أعلى إلى أسفل فمن المستحيل على الإنسان أن يقفز بخطوة واحدة إلى الدور الخامس مثلا في عمارة ما، ولذلك صمموا الصعود على درجات إلى الدور الخامس مثلا في عمارة ما، ولذلك صمموا الصعود على درجات إلى الدور الخامس مثلا في عمارة ما، ولذلك صمموا الصعود على درجات الى الدرجة مثلاً اثنى عشر سنتيمتراً بحيث يستطيع كل إنسان أن يرفع قدمه ويضعها على الدرج دون إرهاق النفس، وهذا يعنى أننا نستدرج العلو لنصل إليه أو ننزل منه.

وقد خصوا في الآخرة الجنة بالدرجات العليا، والنار بالدركات السفلي. وهنا يقول الحق :

﴿ وَالَّذِينَ كَذَّبُواْ بِعَايَنْتِنَا مُنَسْنَدْرِجُهُم مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلُمُونَ ﴿ ﴾

(سورة الأعراف)

أى نأخذهم درجة درجة ، و بعطى لهم نعمة ثم نرهقهم بما وصلوا إليه، كما قال سبحانه من قبل :

﴿ حَتَّى إِذَا فَرِحُواْ بِمَا أُونُواْ أَخَذُنَّهُم بَفْتَهُ ﴾

(من الآية ٤٤ سورة الأنمام)

لأن الله حين يريد أن يعاقب واحداً على قدر جرمه في حق أخيه الإنسان في الدنيا يأخذه من أول جرم؛ لأن الأخذة في هذه الحالة ستكون لينة ، لكنه يملى له ويعليه ثم يلقيه من عَلُ.

0111/00+00+00+00+00+0

﴿ فَلَمَّا نَسُواْ مَاذُ كُرُواْ بِهِ وَفَتَحْنَا عَلَيْهِم أَبُوابَ كُلِّ شَيْءٍ حَنَّىٰ إِذَا فَرِحُواْ بِمَا أُوتُواْ أَخَذْنَاهُم يَفْتَهُ ﴾

(من الآية ٤٤ سورة الأنعام)

وهكذا يكونُ الآخذُ أخذ عزيز مقتدر.

وحين يستدرجُ البشرُ، فإن الطرف المستدرج له أيضا ذكاء، ويعرف أن هذا نوع من الكيد وفغ منصوب له ، لكن حين يكون ربنا القوى العزيز هو الذي يستدرج فلن يعرف أحد كيف يفلتَ. والعلة في قوله : "سستدرجهم "هي قوله : فرمن حيث لا يعلمون ﴾ ؛ لأن البشر يعلمون طرق استدراج بعضهم لبعض،

ويقول الحق بعد ذلك :

﴿ وَأَمْلِي لَهُم إِنَّ كَيْدِي مَتِينُ ﴿ وَأَمْلِي لَهُم إِنَّ كَيْدِي مَتِينُ ﴿

والإملاء هو الإمهال وهو التأخير، أى أنه لا يأخذهم مرة واحدة، فساعة يقوم الفاسد بالكثير من الشر في المجتمع ، نجد أهل الخير وهم يزيدون من فعل الخيرات، ونسمع دائماً من يقول: لو لم يكن هناك إيمان لأكل الناس بعضهم بعضاً، فالإيمان يعطى الأسوة واليقين. والإملاء للظالم الكافر ليس إهمالاً له من المولى تعالى، بل هو إمهال فقط، ثم يأخذه الله أخذ عزيز مقتدر، وهنا يوضح الحق: إذا كنت سأستدرج وسأملى فاعلم أن كيدى متين. والكيد هو المكر ، والمكر أخذهم من حيث لا يشعرون وهو عملية خفية تسوء الممكور به.

وهو تدبير خفى حتى لا بملك المكور به ملكات الدفع ، وإذا كنان البشر يمكرون ويدبرون تدبيراً يخفى على بعضهم ، فماذا حين يدبر الله للكافرين مكيدة أو مكراً ؛ أيستطيع واحد أن يكشف من ذلك شيئاً ؟ . طبعاً لن يستطيع أحد ذلك . هذا هو معنى ﴿ إن كيدى متين ﴾ ؛ ومتين أى قوى ، والمتانة مأخوذة من المتن وهو الظهر ، ونعرف أن الظهر مُكونٌ من عمود فقرى وفقرات عظمية ، تحيط بها عضلات . فلو كان العمود الفقرى من عظم فقط لكان

00+00+00+00+00+00+0

أى حمل عليه يكسره. فشاءت تجلياتُ رَبنا عزوجل واقتضت رحمتُه وقدرتُه أن يحاط هذا العظام بعضلتين كبيرتين، وهما مانسميه في عرف الجزارين "الفلتو" لحماية الظهر وتقويته ووقايته.

وإذا نظرنا إلى كلمة متين ، نجد المتن هو الشيء العمودي في الأشياء ، وفي العلم مثلاً ندرس الفقة وندرس النحو، ويقال : هذا هو المتن في الفقه ، أي الكلام الموجز الذي يخترل العلم في كلمات محددة، والذكي هو من يستوعبه، وغالباً نجد مع المتن الموجز شرحاً للمتن، ثم حاشية للمتن.

ويقول الحق بعد ذلك:

﴿ أُولَمْ يَنَفَكُرُوا مَا بِصَاحِبِم مِن حِنَّةً اللهُ الله

وهنا يُنبّه الحقّ سبحانه وتعالى كلّ اخلق أن يتفكروا في أمر الرسول المبلغ الذي ينقلُ عن القوة العليا مرادها من الخلق. وأول ما يستحق التفكير فيه أن نعرف هل هذا الإنسان الذي يقول إنه رسول صادق أو غير صادق؟ ولقد ثبت صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم من قبل نزول الرسالة عليه، وجائل الرسالة لتأخذ بيد الخلق إلى الإيمان بالله . لكنهم لا يريدون أن يسمعوا ، البوجدوا لأنفسهم مبررات بالنكوص عن المنهج ، فقال بعضهم اتهاما للرسول : ليوجدوا لأنفسهم مبررات بالنكوص عن المنهج ، فقال بعضهم اتهاما للرسول : إنه مجنون ، مثلما قال بعضهم من قبل : إنه ساحر ، وكاهن ، وقالوا : شاعر ، ويرد ربنا على كل تلك الأقاويل .

ونتساء ، من هو المجنون ؟.

نعلم أن المجنون هو من فقد التوازن الفكرى في الاختيار بين البدائل، وحين يأخذ الله منه هذه القدرة على التوازن الفكرى، يصبح غير أهل للتكليف؛ لأن التكليف فيه اختيار أن تفعل كذا أو لا تفعل كذا، والمجنون لا يملك القدرة على هذا الترجيح،

0111700+00+00+00+00+0

والحق سبحانه وتعالى لم يكلف الإنسان إلا حين يبلغ ويعقل؛ لأنه حين يبلغ تصير له ذاتية مستقلة عن أهله وعن أبيه وأمه؛ لذلك نلاحظ الطفل وهو صغير يختار له والله أو والدته الملابس والطعام ، ويعد أن يكبر نجد الطفل قد صار مراهقاً يتمرد ويقرر أن يختار لنفسه مايريده لأنه قد صارت له ذاتية ، والذاتية - كما نعلم - توجد في النبات وفي الحيوان والإنسان وذلك بمجرد أن يصير الفرد منها قادراً على إنجاب مثله ، سواء كان هذا الفرد من النبات أو الجيوان أو الإنسان. أما إن كان الإنسان قد صارت له ذاتية في الإنجاب والنسل ، وليست له ذاتية ناجحة عاقلة في التفكير ؛ فهنا يسقط عنه التكليف؛ لأنه مكره بفقدان العقل.

وهكذا نعرف أن التكليف يسقط عن الذي لم يَبْلغ ، والمجنون والمكره بمن هو أقوى منه ، وهذه عدالة الجزاء من الحق ، وهكذا نجد أن التكليف لا يلزم إلا من بلغ جسمه ونضج عقله ، وبهذا يحرس رَبُنا الكون بقَيُّوميَّته .

وإذا كان المجنون هو فاقد الميزان العقلى الذي يختار بين البديلات ، فكيف يقولون ذلك على سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام وهو قد عاش بينهم ، ولم يكن قط فاقداً لميزان الاختيار بين البديلات ، بل كانوا يعتبرونه الصادق الأمين ، وكانوا يحفظون عنده كل غال نفيس لهم حتى وهم كافرون به ، وخلقه الفاضل ذاتى مستمر ودائم .

لقد قالوا ذلك على محمد ظلماً له ، وبغو عَائيّة ، وكل واحد يلقى اتهاماً ليس له من الواقع نصيب؛ لذلك قال الحق تبارك وتعالى الأصحاب هذه الاتهامات :

﴿ تُمَلَ إِنَّنَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُوا لِلْهِ مُشْنَىٰ وَفُرَدَىٰ ثُمَّ أَنْفَكُرُواْ مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ ﴾

(من الآية ٢٦ سورة سبأ)

أى أن يجلس كل اثنين ويتدارسا: هل محمد عاقل أم مُجنُون ؟ وسيجّد كل منهما من واقع تجربته أنَّ محمدًا هو أكثر الناس أمانة، وكان الجميع يسمونه

00+00+00+00+00+00+0

الأمين ، حتى قبل أن يتصل به الوحى ، وليس من المعقول أن يضره الوحى، أو أن يفقد بالوحى توازنه الخلقى ، لذلك قال الحق سبحانه وتعالى :

﴿ نَ ۚ وَالْقَلْمِ وَمَا يَسْعُرُونَ ۞ مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِكَ بِمَجْنُونِ ۞ وَإِنَّ لَكَ لَأَبْرًا عَلَيْهِ ۞ عَيْرَ مَنُونِ ۞ وَإِنَّ لَكَ لَا بُرًا

(سورة القلم)

كان خُلُق رسول الله صلى الله عليه وسلم خُلُقاً عظيماً ؟ لأن الخُلُن هو الصفات التي تؤهل الإنسان لأن يعيش في مجتمع سليم وهو مسالم . والدام خُلُقه سليماً ، فمعيار الحكم عنده سليم .

وبعد ذلك قالواعنه: إنه 'ساحر' ، ونقول لهؤلاء: لماذا إذن لم يسحر كبار رجال قريش ليؤمنوا برسالته ؟ إن كل ذلك جدل خائب، والمسألة ليس. فيها سحر على الإطلاق.

﴿ أَوْ لَمْ يَتَفَكِّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ جِنَّةً إِنَّ هُو إِلاَّ نَذْيِرَ مِبِنْ ﴾

الجنّة التي تقولون عليها وتفترون بها على رسول الله صلى الله عليه وسلم -هي منّتهي العقل ومنتهى الخلق، فمحمد صلى الله عليه وسلم نذير واضع، جاءهم أولاً بالبشارة، لكنكم في غيكم لا تستحقون البشارة، بل تستحقون الإنذار،

ويقول الحق بعد ذلك :

﴿ أُولَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُونِ السَّمَوَنِ وَالْأَرْضِ وَمَاخُلُقَ اللَّهُ مِن ثَمَّى وِ وَأَنْ عَسَى آن يَكُونَ قَدِ اُفْتُرَبُ وَمَاخُلُقَ اللَّهُ مِن ثَمَّى وِ وَأَنْ عَسَى آن يَكُونَ قَدِ اُفْتُرَبُ أَجُلُهُمْ فَيِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴿ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ ال

وبذلك ينتقل الجدل من الرسول المباشر لهم الذي يأخذ بيدهم إلى الإيمان الأعلى ، ينتقل الجدل إلى التفكر ومسئوليته :

Q!!!.OO+OO+OO+OO+O

﴿ أو لم ينظروا في ملكوت السموات والأرض ﴾

والتفكر هو إعمال العقل حتى لا يقولن أحد: إن رسول الله مجنون، لأن مجرد النظر في الكون يجعل الإنسان رائيا للسماء مرفوعة بلا عمد، والأرض مبسوطة والهواء يتحرك في انتظام دقيق.

﴿ أُولَ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾

إذن فوقنا سماء، وهناك ما فوق السماء، وتحتنا الأرض، وفيها ما تحت الأرض، وهناك ما بين السموات والأرض. وما نراه في الظاهر هو ما يسمونه لا مُلك ؟ أما الحفى عنك الذي لا تقدر أن تصل إليه بمعادلات تستخرج منها النتائج فاسمه لا ملكوت ؟.

ويقول سبحانه في سيدنا إبراهيم :

﴿ وَكَذَالِكَ زُرِي إِنَّ إِنْ إِهِمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَنُونِ وَالْأَرْضِ ﴾

(من الآية ٧٥ سورة الأنعام)

فكلمة «ملكوت» معناها مبالغة في الملك، مثل رهبوت أي الرهبة الشديدة، ورحموت أي الرحمة الشديدة، وكلها صيغة « فعلوت » وهي صيغة المالغة.

﴿ أو لم ينظروا في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شئ ﴾

ونحن نرى السماء والأرض بوضوح، ولكن العظمة والسر ليسا في السماء والأرض فقط، بل هناك أشياء دقيقة جداً، بلغت من اللطف أنها لا تدرك بالنظر، ومع ذلك فإن فيها الحكمة العليا للخلق. وأنت قد ترى ساعة «بيج بن» الشهيرة في لندن وتكاد أن تكون أضخم ساعة في العالم، لكن الصانع المحترف من البشر صنع ساعة يد صغيرة في حجم الخاتم، وننبهر ونعجب بدقة عمله وصنعته. فما بالنا بالخالق الأعظم الذي يعظم خلقه من السموات والأرض لأنها فوق إدراكات البشر، وخلق أيضاً مخلوقات دقيقة لطيفة

لا تستطيع أن تدركها أنت بمجرد النظر، كالميكروب، أو تدركها بصعوبة كالذبابة والبعوضة وبكل هذه الكائنات كل مقومات حياتها، حتى الكائن الذي لا معدة له يجهزه خالقه بقدرة على امتصاص الدماء مباشرة بعقله أو غريزته ويسعى ليأكل ويملأ معدته وله أجهزة تحول غذا.. ليكون دماً.

إذن فليست العظمة مقصورة على خلق السموات والأرض فقط، لذلك يقول الحق:

﴿ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ وَأَنْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدُهُ

أى من أول شىء يقال له شىء، صار محكوماً عليه وجودياً، بأنك إن نظرت إليه ستجد الأجهزة التى تعطى له الحياة، وتعينه، حتى وإن كانت حواس استشعارية فى ذات هذا الكائن، ولا يقوى عليها صاحب العقل. مثال ذلك : نجد أن ما يفر قبل حدوث الزلازل هو الحمير التى نتهمها بالغباء.

وحين يتأمل العقل ما وصل اليه العلم في البحث في عالم الحيوان وعالم البحار، سنجد الإيمان بضرورة وجود خالق حكيم. وإن كمان الكافرون مصروفين عن النظر في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من كائنات قد لا تراها العين المجردة، كان عليهم أن يراعوا مصلحتهم فعسى أن يكون قد اقترب أجلهم.

إننا نعلم أن الإنسان جنس، وأن له نوعين: نوع ذكورة، ونوع أنوثة، وبينهما جنس مشتبه نسميه الخنثى، والأجناس لها أفراد متعددة. وكل واحد له خلق، وكل واحد له مهمة. وساعة يطلب منا الحق: إياك أن تستصغر شيئاً منك ضد غيرك، وإياك أن تستكثر شيئاً منك لغيرك، ويجب عليك أن تجعل كلمة «شيء» هذه هي المقياس، ولذلك يقول لك الشرع: إنك حين تقدم حسنة إياك أن تستكثرها، بل قل هي ليست بشيء ذي بنل. وإن هم واحد بعمل سيئة فلا يقل: وماذا ستفعل لي سيئة واحدة ؟

مستصغراً شأن هذه السيئة. وهذا نقول له: لا، لأن كلمة «شيء» يجب أن تحكم الكون. إنك إن نظرت لهذه المسألة قد تجد واحداً مثلاً ضئيل التكوين، ولا بسطة له في جسمه، لكن من الجائز أن له موهبة كبيرة، وقد تجد إنساناً آخر متين التكوين وليست عنده أية موهبة؛ لأن الله قد يعطى الضئيل فكرا عميقاً، أو حيلة كبيرة، أو موهبة خاصة في أي شيء. فلا تنظر إلى شيء قليل في أي إنسان، بل انظر إلى الشيء الجميل الذي فيه وهو المخفى عنك في نفسك.

﴿ وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم فبأي حديث بعده يؤمنون ﴾

ولماذا تأتى هنا حكاية اقتراب الأجل؟ وللإجابة عن التساؤل أقول: إنها هامة جداً؛ لأننا مادمنا أفراداً أى جنسين أو ثلاثة أجناس، وقال عنا ربنا إننا خلفاء في الأرض، فعلينا أن تعلم أن الخليفة في الأرض جباء ليخلف من سبقوه، وقد يُميت ربنا أى إنسان في سن شهر أو سنة، أو سنتين أو خمسين عاماً؛ لأن العمر بالنسبة لكل إنسان هو أمر قد اختص به الحق - تبارك وتعالى نفسه ولا يعلمه أحد؛ لأن غاية المتساوى لابد أن تكون متساوية، وعلى سبيل المثال: إن سألنا طلبة كلية الحقوق عن غايتهم من دراسة الحقوق قالوا: لنيل إجازة الليسانس، وسنجد منهم الطويل، والقصير، والأبيض، والأسود، والذكي والغبي، والقوى والضعيف، وهم لا يتفقون إلا على دراسة الحقوق، ولذكك لا ننساوى جميعاً كبشر إلا أمام الموت، فهناك من يموت وهو في بطن أمه، ومن يموت وهو طفل، ومن يموت وهو فتى. وإن كنا نختلف فيما بقى بعد ذلك، والمؤمن أو الكافريرى هذه الأحداث أمامه ولا يستطيع أن يقول: لا بعد ذلك، والمؤمن أو الكافريرى هذه الأحداث أمامه ولا يستطيع أن يقول: لا نموت.

ومادمت ستموت فانظر إلى مصلحتك أنت، لتثاب على ما فعلت في الدنيا بدلاً من أن تعاقب، فعسى أن يكون قد اقترب أجلك وأنت لا تعرف متى يجىء الأجل، وإبهام الأجل من الله لنا إشاعة للأجل، والإبهام هو أوضح أنواع البيان، فحين يريد ربنا أن يوضح أمراً توضيحاً كاملاً فهو يبهمه.

ومثال ذلك: لو جعل الله للموت سناً، لصار الأمر محدداً بلا أمل. لكنه

سبحانه لم يجعل للموت سناً أو سبباً، وأشاعة في كل زمن، والإنسان عرضة لأن يستقبل الموت في أى لحظة، ونزول الموت لا يتوقف على سبب، فقد يأتى بسبب وقد يأتى بغير سبب، ومادام الإنسان يستقبل الموت في أى وقت، فعلى العاصى ألا يستقبل الموت وهو على عصيان لله.

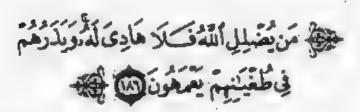
وإياك أن تقول: كيف مات فلان وهو غير مريض ؟؛ لأن هناك العديد من الأسباب للموت، واعلم أن الموت بدون أسباب هو السبب، فالإنسان الذى نفقده بالموت، مات لأن أجله قد انتهى، والحق هنا يوضع: أيها الكافرون ألا تعلمون أن منكم من مات وعمره سنة ومن مات وعمره سنتان، ومن مات وعمره ثلاث سنوات، ومن مات وهو ظالم، ومن مات وهو مظلوم، ولو لم تكن هناك حياة ثانية فماذا تساوى هذه الحياة ؟. وما ذنب الذى لم يعش في الدنيا إلا شهرا ؟ لابد إذن أن تعرفوا أن هناك غاية ثانية تنتظركم، غايات فردية هي آجال الناس بذواتهم، وآجال إجماعية تتمثل في يوم القيامة.

وفي قوله تعالى ﴿ فبأي حديث بعده يؤمنون ﴾

يوضح الحق تبارك وتعالى: أنه إذا كان هذا الحديث الذي أنزلته إليهم وفيه ما فيه من الإعجاز ومن الإبداع، ويجمع كل أنواع الكمالات، فماذا يريدون أكثر من ذلك ؟

وهل في اتباعهم للأهواء ولتقنينات بعضهم لبعض سعادة لهم ؟ بالعكس إنهم يشقون بذلك . وكان يجب عليهم أن يتأدبوا مع الله ومع الرسول .

ولذلك يقول سبحانه وتعالى :



وقد كرر الحق هذا التحذير كثيراً؛ لأن الأشياء التي قد يقف العقل فيها، أو تأخذه مذاهب الحياة منها، ويكررها الله، ليجعلها في بؤرة الاهتمام دائماً، لعل هذا التكرار بصادف وعياً من السامع، وانظر إلى الحق وهو يعدد نعمه في سورة الرحمن فيقول بعد كل نعمة:

﴿ فبأى ألاء ربكما تكذبان ﴾

إنه يكرر ذكر النعم ليستقر الأمر في ذهن السامع.

﴿ من يضلل الله قلا هادي له ﴾

وسبحانه لا يرغم واحداً على أن يهتدى، فإن اهتدى فلنفسه، وإن لم يهتد فليشرب مرارة الضلال.

وكلنا يعرف أن الطبيب يكتب أسلوب العلاج للمريض، ليتم الشفاء بإذن من الله، الدواء إذن وسيلة إلى العافية، فإن رفض المريض تناول الدواء فهل في ذلك إساءة للطبيب ؟ لا. وكذلك منهج الله.

﴿ من يضلل الله قلا هادي له ﴾

لكن هل يريد الله الضلال لأحد، لا، بل سبحانه دعا الناس جميعاً بهداية الدلالة، فمن اهتدى زاده بهداية المعونة، ومن ضل فليذهب إلى الكفر كما شاء. ولذلك يقول لنا الشرع: إياك أن تشرك بالله شيئاً في أي عمل؛ لأن ربنا يقول لنا في الحديث القدسى الذي يرويه لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ربه فيقول: قال الله تبارك وتعالى: ﴿ أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملاً أشرك فيه غيرى تركته وشركه ﴾ (١)

ومعنى الشركة في عرف البشر، أن مجموعة من الناس عرفوا أن عمل كل منهم ومال كل منهم، وموهبة كل منهم، لا تكفى لإقامة مشروع ما، لذلك يكونون شركة لإنتاج معين، فهل هناك ما ينقص ربنا ليستكمله من آخر ؟حاشا

⁽١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه في باب تحريم الرياء،

لله . بل إن مجرد توهم العبد بأن هناك شريكا يجعل الله رافضاً لعبادة العبد المشرك . لذلك يقول في الحديث القدسى : "أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملاً أشرك فيه غيرى تركته وشركه» . ومادام ربنا قد تنازل عن رعايته له فليتلق المتاعب من حيث لا يدرى .

ومن قوله تعالى:

﴿ من يضلل الله فلا هادي له ﴾

نتبين أنه حين يحكم الله بضلال إنسان أو بهداية آخر فلن يستطيع البشر أن يعدل على الله، ليجعل شيئاً من ضلال هو هدى، أو شيئاً من هدى هو ضلال.

كما يتضح من تلك الآية الكريمة أن من في قلوبهم مرض يزيدهم الله مرضاً ويتركهم في طغيانهم يعمهون، والعمه هو فقدان القلب للبصيرة، والعمى هو فقدان العين للبصر.

ويقول الحق - تبارك وتعالى - بعد ذلك :

﴿ يَسْتُلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُنْ سَلَهُ أَقُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِي لَا يُحَلِّيهَا لِوَقِيهَا إِلَّاهُو ثَقَلَت فِي السَّمَوَتِ عِندَ رَبِي لَا يُحَلِّيهَا لِوَقِيهَا إِلَّاهُو ثَقَلَت فِي السَّمَوَتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُو إِلَا بَغَنَةُ يَسْتَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِي عَنها وَالْإِنْ اللهِ عَلَيْهِ وَلَيْكِنَ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللّهِ وَلَيْكِنَ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ قُلْ إِنَّهَا عِلْمُهَا عِندَ اللّهِ وَلَيْكِنَ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ



والمسئول هو رسول الله صلى الله عليه وسلم، والسائل إما هم اليهود الذين سألوه عن الساعة، وعن الروح، وعن ذي القرنين، فكان الجواب منه مطابقاً لما عندهم في التوراة لأنهم ظنوا أن الكلام الذي يقوله محمد إنما يأتي منه جزافاً

بدون ضابط وليس من رب يُنزلُه. فلما أجاب بما عندهم في التوراة، علموا أنه لا يقول الكلام من عنده، ولذلك سألوه أيضاً عن أهل الكهف وما حدث لهم، وكانوا جماعة في الزمن الماضي، واتفقوا معه على كل شيء حدث لأهل الكهف إلا على الزمن فنزل القرآن يحدد هذا الزمن بقوله سبحانه:

﴿ وَلَبِنُواْ فِي كَهْفِهِمْ تَلَتَ مِالَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُواْ يُسْمًا ١٠٠٠ ﴾

(سررة الكهف)

فقال اليهود: الثلاثمائة سنة نعرفها، أما التسعة فلا نعرفها، وما علموا أن الحق سبحانه وتعالى يؤرخ لتاريخ الكون بأدق حسابات الكون لأن ربنا هو القائل:

﴿ إِنَّ عِنَّهُ ٱلشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ النَّهِ عَثَرَ شَهْرًا فِي كِنْبِ اللَّهِ ﴾

(من الآية ٣٦ صورة التوبة)

إذن التوقيتات كلها حسب التوقيت العربى، ونعلم أن الذين يريدون أن يحكموا التاريخ حكماً دقيقاً فهم يؤرخون له بالهلال، والمثال أن كل عالم البحار تكون الحسابات المائية فيها كلها بالهلال، لأنه أدق، وأيضاً فالهلال آية تعلمنا متى يبدأ الشهر، ولا نعرف من الشمس متى يبدأ الشهر؛ لأن الشمس دلالة يومية تدل على النهار والليل، بينما القمر دلالة شهرية، ومجموع الاثنى عشر هو الدلالة السنوية، لكنهم لم يفطنوا إلى هذه، وأخذوها على الثلاثمائة سنة بالحساب الشمسى، وأضاف الحق : ﴿. وازدادوا تسعا ﴾ لأنك إن حسبت الثلاثمائة سنة الشمسية بحساب السنة القمرية تزداد تسع سنين.

ومادة السؤال في القرآن ظاهرة صحية في الإيمان؛ لأن الإيمان إنما جاء ليحكم حركة الحياة بـ افعل ، و لا لا تفعل ، وساعة يقول الشرع: افعل ، ففي ظاهر هذا الفعل مشقة ، وساعة يقول: لا تفعل ففي ظاهر هذا الطلب أنه سهل ومرغوب ، والمنع عنه يناقض شهوات النفس . وللتأكد من أن الأسئلة ظاهرة صحية من المؤمنين نجد أسئلة كثيرة موجهة لرسول الله من أمته ، حكاها القرآن بصور متعددة ، ورد السؤال مرة بفعل مضارع مثل قوله : ا ويسألونك ، ومرة

ورد بصورة فعل ماض « وإذا سألك ». وكثيراً ما جاء السؤال بهيئة المضارع « يسألونك »، لأن المضارع يكون للحال وللاستقبال.

وجاءت الأسئلة بالقرآن في صيغة المضارع خمس عشرة مرة، وجاءت بصيغة الماضى مرة واحدة. وإن نظرت إلى الخمس عشرة مرة تجد كل مرة منها جاءت لتبين حكماً. وإذا نظرنا إلى مادة الفعل في سأل في القرآن وبترتيب المصحف، نجد القرآن يقول:

﴿ يَسْعَلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَةِ قُلْ مِي مُواقِبِتُ لِلنَّاسِ ﴾

(من الآية ١٨٩ سورة البقرة)

ويقول سبحانه:

﴿ يَسْعَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونُ قُلْ مَا أَنفَقُتُم مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَ بِنَ ﴾

(من الآية ٢١٥ سورة البقرة)

ويقول الحق تبارك وتعالى:

﴿ يَسْعَلُونَكَ عَنِ ٱلنَّهِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كِيرٌ وَصَدُّعَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرُ بِهِ عَ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ ﴾ وَالْفَتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ ﴾

ويقول سبحانه وتعالى :

﴿ يَسْعَلُونَكَ عَنِ الْخَصْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِما إِنْمُ حَصَبِيرٌ وَمَنْفِعُ لِلنَّاسِ ﴾ (من الآية ٢١٩ سورة البقرة)

ومرة أخرى يقول في ذات الآية السابقة :

﴿ ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو ﴾

ويقول سبحانه وتعالى :

﴿ ويسألونك عن اليتامي قل إصلاح لهم خير﴾

(من الآية ٢٢٠ سورة البقرة)

ويقول عز وجل:

﴿ وَيَسْعَلُونَكَ عَنِ ٱلْمُحِيضِ قُلْ هُو أَذَى فَأَعْزِلُواْ ٱلنِّسَاءَ فِي ٱلْمُحِيضِ ﴾

(من الآية ٢٢٢ سورة البقرة)

ويقول الحق تبارك وتعالى :

﴿ بَسْعَلُونَكَ مَاذَآ أَصِلَ لَمُ مُ فُلُ أَصِلُ لَكُو الطَّيْبِئَتُ ﴾

وبعد ذلك في سورة الأعراف يقول:

﴿ يَسْعَلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَلُهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندُ رَبِّي ﴾

(من الآية ١٨٧ سورة الأعراف)

وأيضاً يقول سبحانه:

﴿ يَسْفَلُونَكَ كَانَكَ حَنَّى عَنْهَا ﴾ (من الآية ١٨٧ سورة الأعراف)

ثم يقول الحق:

﴿ يَسْعَلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنْفَ أَلِّ قُلِ ٱلْأَنْفَ أَلُ لِلَّهِ وَٱلْزَرُولِ ﴾ (من الآية ١ سورة الانفال)

ويقول الحق تبارك وتعالى :

﴿ وَيَسْعَلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ﴾ (من الآبة ٨٥ سورة الإسراه)

WE WILL

00+00+00+00+00+0+0

ويقول المولى سبحانه:

﴿ وَيَسْعَلُونَكَ عَن ذِي ٱلْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَنْلُوا عَلَيْكُم مِنْهُ ذِكُا ١٠٥

(سورة الكهف)

ويقول الحق:

﴿ وَيَسْعَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنِسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ۞ ﴾

(مورةطه)

و يختم هذه الأسئلة بقوله:

﴿ يَسْفَلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسُلُهَا ﴿ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكَرَنْهَا ۚ ﴾ (مورة النازعات)

تلك هي خمس عشرة آية جاء فيها الحق بقوله « يسألونك »، وآية واحدة يقول فيها الحق تبارك وتعالى:

﴿ وَإِذَا مَا لَكَ عِبَادِي عَنِي فَإِنِّي قَرِيبٌ أَجِيبُ دَعَوةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾

(من الآية ١٨٦ سورة البقرة)

والآيات الخمس عشرة التي جاء فيها الحق بصيغة المضارع « يسألونك » نجد كل جواب فيها مصدراب « قل » وهو أمر للرسول : قل كذا، قل كذا، ولكن في الآية الواحدة التي جاء فيها بصيغة الفعل الماضي و « إذا سألك »، لم يقل : فقل إني قريب، بل قال : « فإني قريب أجيب دعوة الداع »، لأن الله يعلم حب محمد لأمته، وحرصه عليهم ولذلك يقول:

﴿ لَعَلَّكَ بَنْضِعٌ نَّفْسَكَ أَلَا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ٢ ﴾

(سورة الشعراء)

WE WITH

○!···○○+○○+○○+○○+○○+○○+○

ويقول سبحانه:

﴿ فَلَعَلَّكَ بَنِيغٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰ عَاتَنْ مِمْ إِن لَّهُ يُؤْمِنُواْ بِهَنذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا ١ ﴿ وَ لَا لَهُ مَا أَن اللَّهُ اللّ

(سورة الكهف)

ولذلك حين علم الحق علم وقوع: أن رسول الله مهتم بأمر أمته ومشغول بها وحريص على أن يشملها الله بمغفرته ورحمته وألا يسوؤه فيها، أخبره المولى عز وجل بأنه سوف يرضيه في أمته. وقد ورد في الحديث ما يؤيد ذلك، فقد روى عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم تلا قول الله عز وجل في إبراهيم صلى الله عليه وسلم ﴿ ربُّ إنهن أضللن كثيرا من الناس فمن تبعني فإنه مني ومن عصاني فإنك غفور رحيم ﴾

وقول عيسى صلى الله عليه وسلم: ﴿ إِنْ تَعَـذَبِهِم فَإِنْهِم عَبَادَكُ وَإِنْ تَعَـذَبُهُم فَإِنْهُم عَبَادَكُ وَإِنْ تَعَفَرُلُهُم فَإِنْكُ أَنت الْعَزِيزَ الْحَكِيم ﴾ (فرفع يديه فقال : أمتى أمتى وبكى فقال الله عز وجل : ياجبريل اذهب إلى محمد وربك أعلم فَسَلَهُ مَا يبكيه ؟ فأتاه جبريل فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قال وهو أعلم ، فقال الله تعالى: ياجبريل اذهب إلى محمد فقل إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوؤك) (١)

وتأكيداً لعلم الحق تبارك وتعالى من حرص رسو له على أمته، أراد أن يكرم هذه الأمة من نوع ما كرم به الرسول، فجاء الخطاب في آية الدعاء بدون «قل».

﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِي فَإِنِّي قَرِيبٌ ﴾

(من الآية ١٨٦ سورة البقرة)

وأراد الله أن يبين لمحمد ولأمته أن الله يعلم لا بما تسألونه فقط، بل يعلم ما سوف تسألونه عنه. لذلك نجد أربع عشرة آية تأتى فيها " يسألونك " وتكون الإجابة " قل "، والآية الخامسة عشرة جاء فيها " يسألونك " وكانت الإجابة " فقل" لندل " الفاء " على أن السؤال لم يقع بعد، فكأن الفاء دلت على شرط

WE WIND

مقدر هو: إن سألوك فقل ينسفها ربي نسفاً، وهنا يقول الحق سبحانه:

﴿ يَسْعَلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَبَّانَ مُرْسَلُهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَرَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا مُو تَقُلَتْ فِي ٱلسَّمَاوَتِ وَٱلأَرْضِ لَا تَأْتِبِكُمْ إِلَّا بَغْنَاةً بَسْفَاوُنَكَ كَأَنَّكَ حَنَّى عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدُ أَنَّةِ وَلَئِكِنَّ أَكْثُرُ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ٢

(سورة الأعراف)

ؤ « يَجُلُّهُمَا » أَي يُظهرها، وهناك ما يسمى « الجلوة » وما يسمى « الخلوة »، و ﴿ الجلوة ٤ أَن يطهر الإنسان للناس ، و ﴿ الخلوة ﴾ أن يختلي عن الناس ، و الايجليها؛ أي لا يظهرها، و الوقتها ؛ ترى أنها مسبوقة باللام، ويسمونها في اللغة العربية ﴿ لام التوقيت ﴾ ، مثلما يقول الحق سبحانه :

﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَاةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ ﴾

(من الآية ٧٨ سورة الإسراء)

وهي بمعنى ﴿ عند ٤ ، ومعنى دلوك الشمس، أنها تتجاوز نصف السماء، وتميل إلى المغرب قليلاً. وقوله : ﴿ لا يجليها لوقتها إلا هو ؛ أي لا يُبَيُّها عند وقتها إلا هو سبحانه وتعالى.

﴿ ثقلت في السموات والأرض لا تأتيكم إلا بغتة ﴾

والثقل يعنى أن تكون كتلة الشيء أكبر من الطاقة التي تحمله؛ لأن الكتلة إن تساوت مع الطاقة فهي لا تثقل على الحمل.

أو أن الطاقة التي تحمل لم تقدر على جاذبية الأرض؛ فيكون الشيء ثقيلاً، وقد يكون هذا الثقل أمْراً ماديا، كما يحمل الإنسان - مثلاً - على ظهره أردباً من القمح فيقدر على حمله، لكنه إن زاده إلى أردب ونصف، فالحمل يكون ثقيلاً على ظهره لأن طاقته لا تتحمل مثل هذا الوزن « فينخ » به.

侧到顶头

O10-VOO+OO+OO+OO+OC+O

﴿ ثقلت في السموات والأرض ﴾

والثقل لا يكون مادياً فقط، بل هو ثقل فكرى وعقلي أيضاً، مثال ذلك حين يقوم الطالب بحل تمرين هندسي أو تمرين في مادة الجبر، فالطالب يشعر أحياناً أن مال هذا التمرين ثقيل على فكره، وصعب الحل في بعض الأحيان.

وقد يكون الأمر ثقيلاً على النفس في ملكاتها، مثل الهم جاثم على الصدر وثقيل عليه، وهو أقسى أنواع الثقل، ولذلك فالشاعر القديم يقول:

ليس بحمل ما أطاق الظهر

ما الحمل إلا ما وعاه الصدر

إذن ُهناك ثلاثة أثقال: ثقل مادى، وثقل فكرى، وثقل نفسى.

و فقلت في السموات ﴾، ونحن نعلم أن السموات فيها الملائكة. ونعلم أن الملائكة أيضاً لا تعرف ميعاد الساعة، ولا يحاول معرفتها إلا الإنسان بشهوة الفكر، أما الملائكة فهي ليست مكلفة لأنها لا اختيار لها، وبعضها يخدم البشر، وهم الملائكة الذين سجدوا لآدم وهم الموكلون بمصالحه، وبحياته، وقد رضخوا لأمر الحق بأن هناك سيداً جديداً للكون. فكونوا جميعاً مسخرين في خدمته، وهم الملائكة الحفظة الكرام الكاتبون، ولهم إلف بالخلق، إلف كاره للعاصى، وإلف محب للطائع. ومن يسير على منهج الله من البشر يفرحون به. وإن وقع من الطائع زلة، يأسون له ويتمنون ألا تقع منه زلة أخرى، ومن يسير ضد منهج الله يغضبون منه، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول فيما يرويه عنه أبو هريرة رضى الله عنه : « ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقا خلفا، ويقول الآخر اللهم أعط بحكا تلفاً (١)

ونعلم أن المنفق سيأخذ ثواب إنفاقه، أما الممسك فإن تلف ماله وصبر عليه فهو أيضاً ينال ثواباً عليه. وهكذا تدعو لنا الملائكة.

⁽١) رواه الدار قطني في سننه،

و القلت المناتعنى أن ميعاد الساعة لا يعرفه إلا ربنا، فلا يعرف ذلك الميعاد من هم في السموات وكذلك من هم في الأرض، وكل من على الأرض خائف عما سوف يحدث لحظة قيام الساعة، وخصوصاً أن المصطفى صلى الله عليه وسلم، يعطى لها صورة توضع قوله الحق:

﴿ لا تأتيكم إلا بغتة ﴾

ويخبرنا الرسول صلى الله عليه وسلم بالحالة التي تأتي عليها فيقول: * إن الساعة تهيج بالناس والرجل يصلح حوضه والرجل يسقى ماشيته والرجل يقيم سلعته في السوق والرجل يخفض ميزانه ويرفعه » (١)

ومثل هذه التوقعات تخيف.

وقوله الحق:

﴿ ثقلت في السموات والأرض لا تأتيكم إلا يغتة ﴾

أى أن الواقع في هذا اليوم يكون فوق احتمال البشر وهو يأتي بغتة، أي يجيء من غير استعداد نفسي لاستقباله. ويتابع سبحانه:

﴿ يسألونك كأنك حفى عنها ﴾

وحفى من الحفاوة، والحفى هو الملح في طلب الأشياء، مثل التلميذ الذي يتوقف عند درس لا يفهمه، فيسأل هذا، وذاك إلى أن يجد إجابة.

والحفى بالسؤال عن أمر يحاول أن يصل إليه، والحفى أيضا عالم بما يسأ ل عنه، وسبب العلم أنه ألح في السؤال عليها.

والأمور التي يعالجها الإنسان إما أن يعالجها وهو مستقر في مكانه كالأمور الفكرية أو العضلية الموقوتة بمكان، وقد يكون أمراً بعيداً عن مكانه ويريد أن

⁽۱) رواه سعید عن قتادة،

06-100+00+00+00+00+0

يعالجه، فيقطع المسافة إلى المكان الثاني لتحقيق هذه المهمة، إنما يمشي ويسعى على رجليه، و اليدوب النعل الذي يضعه في قدميه من المشي فيقال عنه إنه: «حانى». ولذلك يقال: حفى فلان إلى أن وصل للشيء الفلاني، أي سار مرات كثيرة وقطع عدة مسافات، مزقت نعله حتى جعلته يمشى حافياً. وهنا يقول الحق على ألسنة القوم: ﴿ كَأَنْكَ حَفَّى عَنْهَا ﴾ أي أنك مُعنى بها، ودائب السؤال عنها، وعارف لها.

وتأتى الإجابة من الحق:

﴿ قُلُ إِنَّا عَلَمُهَا عَنْدُ اللَّهُ ﴾

وفي ذات الآية سبق أن قال: ﴿ علمها عند ربي ﴾

والربوبية متعلقها الخلق، والرعاية بالقيومية لمصالح البشر، والألوهية متعلقها العبادة وتطبيق المنهج، وجاء الحق في هذه الآية، مرة بالربوبية، ومرة بالألوهية. والأولى هي علة الثانية، فأنت أخذت الله معبوداً، وأطعته لأنه خلقك ووضع لك المنهج، ولا يدخر وسعاً بربوبيته أن يقدم للعبد الصالح كل شيء وينحه البركة، وكذلك يغطى الكافر إن أخذ بالأسباب ولكن دون بركة وبغير ثواب في الدنيا أو الآخرة، لذلك هو الإله الحق الذي نتبع منهجه.

﴿ قُلُ إِنَّا عَلَمُهَا عَنْدُ اللَّهِ وَلَكُنْ أَكْثُرُ النَّاسُ لَا يَعْلَمُونَ ﴾

وأكثر الناس الذين يسألون عن موعد الساعة لا يعلمون أن ربنا قد أخفاها، وسبحانه هو القائل:

﴿ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ وَاتِيلَةً أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ ١٠٥

هم إذن لا يعلمون أن علمها عند الله.

ويقول سبحانه وتعالى:

(سورة طه)

00+00+00+00+00+00+0

﴿ قُل لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعُاوَلَاضَرًّا إِلَّا مَاشَاءَ اللَّهُ وَلَوْ مَنَّ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَلَوْكُنتُ مِنَ الْعَيْدِ وَلَوْكُنتُ مِنَ الْعَيْدِ وَلَوْكُنتُ مِنَ الْعَيْدِ وَمَامَسَنِي السُّوَّةُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِلْقَوْمِ يُوْمِنُونَ وَمَامَسَنِي السُّوّةُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمِ يُوْمِنُونَ وَمَامَسَنِي السُّوّةُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمِ يُوْمِنُونَ فَي مَامَسَنِي السُّوّةُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمِ يُوْمِنُونَ فَي السَّوْدُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللللّهُ الللللّهُ اللللّهُ الللللّهُ اللّهُ الللّهُو

ويقول الحق تبارك وتعالى على لسان رسوله: أنتم تسألونني عن الساعة، وأنا بشر، ومتلقّ فقط، والإرسال بالمنهج يأتي من الله وأنا أبلغه، ولا علم لى عوعد قيام الساعة، ولا أملك لنفسى لا ضراً ولا نفعاً، أى لا أملك أن أدفع الضرعني أو أجذب النفع لنفسى، ولكن حين يسوق الله النفع أو يمنع الضر، فالإنسان يملك ما يعطيه الله، والعاقل حين يملك، يقول: إن هذا ملك عَرضى، لا آمن أن ينزع منى، ولذلك قال لنا الحق تبارك وتعالى:

وهنا يقول الحق تبارك وتعالى :

﴿ قُلُ لَا أَمْلُكُ لِنَفْسِي نَفْعاً وَلَا ضِراً إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ﴾

أَىٰ أَنَّ أَحِداً لا يُملِك شيئا إلا ما شاء الله أن يملكه، ورسول الله من البشر. ويضيف:

﴿ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكُنَّرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسْنِي السُّوعَ ﴾

(من الآية ١٨٨ سورة الأعراف)